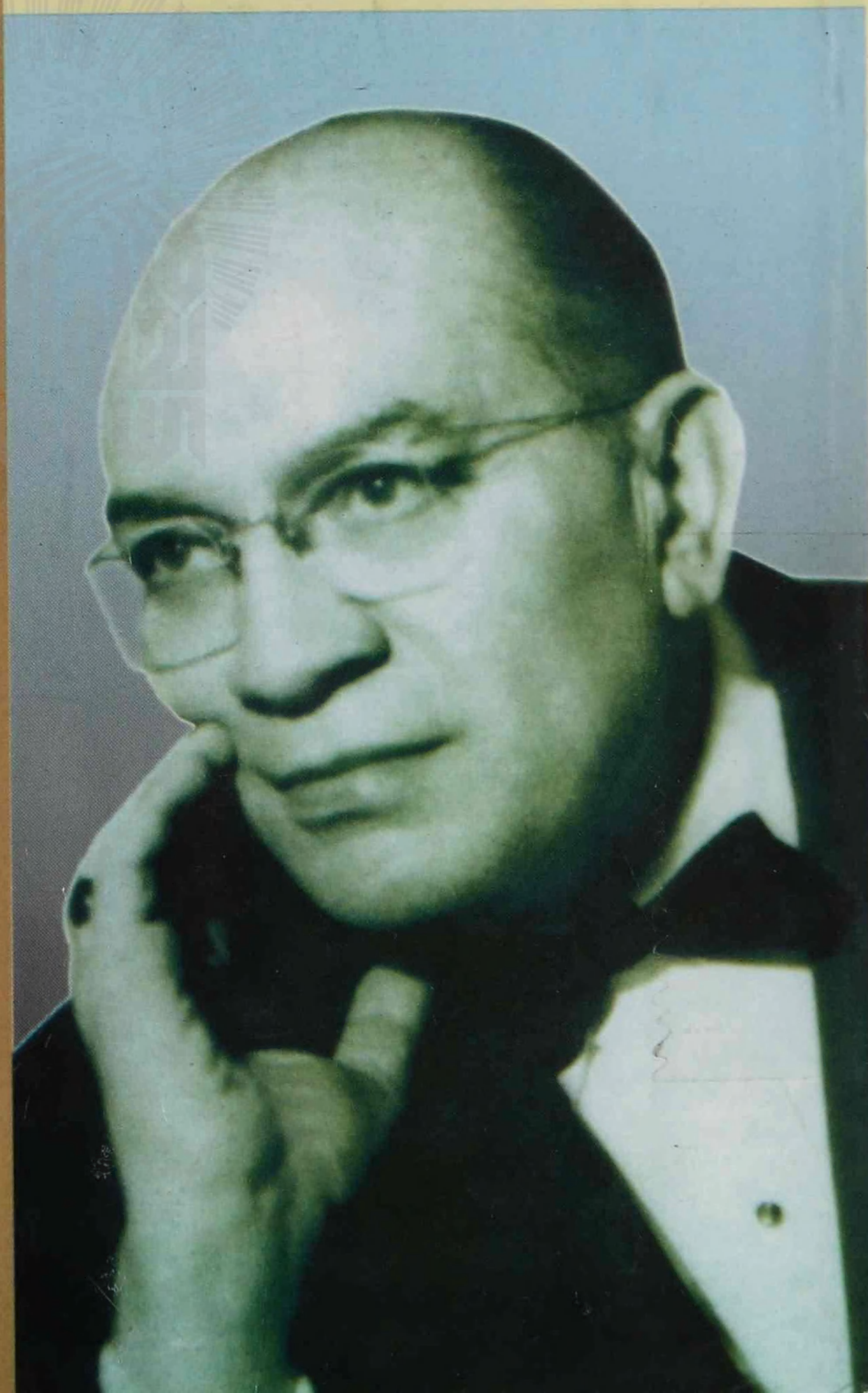


الأعمال الشعبية والحكامة

أحمد زكي أبو شادي



دار الغدوة
بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

أحمد زكي أبي شادي

شبكة كتب الشيعة



دار الفؤاد بيروت

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٥

يطلب من دار العودة / بيروت - لبنان

كورنيش المزرعة - بناية الريفييرا ستر

هاتف : 01 818405

فاكس: 01 818 406

Email :lguemradi@yahoo.com

ص.ب. : 146284 بيروت - لبنان

صورة من قُرب

للأديب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبي شادي

لم يعد باقياً من المعاصرين الذين تواصلوا مع الشاعر أحمد زكي أبي شادي المولود في حي عابدين بالقاهرة في التاسع من شباط (فبراير) ١٨٩٢ إلا أربعة أدباء هم الأديب الأردني روكس بن زائد العزيزي والأديب التونسي أبو القاسم محمد كرو والأديب المصري الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وكاتب هذه السطور، وهم قد تواصلوا مع رائد جماعة أبولو في مهجره الأمريكي السحيق إلى تاريخ وفاته في واشنطن العاصمة في الثاني عشر من نيسان (إبريل) ١٩٥٥ عن ثلاثة وستين عاماً.

وكان أبو شادي يعرف عني أنني صديق لشاعر القطرين خليل مطران بك الذي عانى صنوفاً من الأمراض سنوات طوالاً في أواخر أيامه، فأشار عليّ بأن أنصح المطران بأن يسافر إلى أمريكا حيث تتوافر أسباب العلاج الحديثة، ولكن مطران لم يستجب لهذه النصيحة وعاش إلى أن بلغ السابعة والسبعين من عمره في حين أن أبا شادي الذي عاش في بلاد المعالجات الحديثة مات عن ثلاثة وستين عاماً فقط.

وفي ظني أن التعريف بأبي شادي، ولا سيما بالجوانب الشخصية من حياته المجهولة، أبدى من دراسة شعره في هذا المقام لأنه في وسع أي باحث أن يتصدى لهذه الدراسة من أي زاوية تتراءى له استناداً إلى دواوين أبي شادي ومؤلفاته. بل لقد صدرت في حياة أبي شادي وبعد وفاته طائفة غير قليلة من الدراسات الجامعية والأدبية باللغتين العربية والإنكليزية، والمؤكد أنها كتبت بلغات أخرى لاهتمام المستشرقين الروس وغيرهم بآثاره، مما يُغنيني عن الخوض في هذه الدراسة، ولا سيما بالنظر إلى غزارة إنتاج أبي شادي شعراً ونثراً وباللغتين العربية والإنكليزية وهو إنتاج بث فيه أبو شادي آراءه ومعتقداته ورؤاه بتمام الصدق والأمانة مع نفسه، حتى وإن خالف ما تواضع عليه الناس أو مالت إليه جمهرتهم.

ولد أبو شادي في بيئة ذات حظوظ مقدورة من الثقافة والمنزلة الاجتماعية، فوالده محمد بك أبو شادي محام مرموق، وكان نقيباً للمحاميين وعضواً في مجلس النواب (البرلمان)، وكان صديقاً شخصياً للزعيم سعد زغلول باشا (١٨٥٩ - ١٩٢٧) وكان انتماءه الحزبي إلى الوفد، كما كان يصدر جريدة "الظاهر". فلا غرو أن يرث الشاب أحمد زكي أبو شادي عن أبيه انتماءه إلى الوفد على مدى عمره، وهو ما عانى منه بسبب الحزابات الحزبية في مصر. أما والدته فهي أمينة نجيب، وكانت شاعرة ولها ديوان بقي مخطوطاً في حوزة ابنها فلم ير النور.

تلقى أحمد زكي أبو شادي تعليمه في المدارس المصرية قبل أن تقرر أسرته إيفاده إلى لندن لدراسة الطب والتخصص في البكتيريولوجيا، وكان قرار إيفاده إلى الخارج راجعاً أساساً إلى أن أبا شادي كان يهيم بقريبة له اسمها "زينب حسيب" على غير هوى الأسرة، فباعدت الأسرة بين الاثنين بهذه الرحلة العلمية. ولم ينس أبو شادي هواه القديم، فأصدر ديواناً عنوانه "زينب" تخليداً لهذه العاطفة البريئة التي ملكت عليه لُبّه وجميع مشاعره. في حين تزوجت زينب بشخص آخر، تزوج أبو شادي في إنكلترا سيدة إنكليزية أنجب منها بعد عودته إلى مصر أبناء الثلاثة: رمزي وصفية وهدي. وكان أبو شادي قد أسراً إليّ بأنه بعدما تزلزلت زينب وتوفيت زوجته الإنكليزية، أعربت له زينب عن رغبتها في الانضمام إليه في مهجره لتحقيق حلم الصبا، ولكنه صارحها بأن الحب القديم أصبح تاريخاً، وأن ظروفه الجديدة بدلت من مشاعره القديمة.

تضى أبو شادي اثني عشر عاماً في إنكلترا حيث أنشأ مجلة "ملكة النحل" باللغة الإنكليزية تنازل عن امتياز إصدارها لهيئة بريطانية، ولعلها ما زالت تصدر حتى اليوم، كما اهتم بتربية الدجاج وأصدر مجلة متخصصة في هذا المجال. وكان قد أكمل دراسته الطبية بما يؤهله للعمل كبكتيريولوجي عند عودته إلى مصر.

وعند عودته في عام ١٩٢٢ تلقفته وظائف الدولة في معامل التحليل البكتيريولوجي، ثم في معمل المستشفى الحكومي في الاسكندرية، ورغبةً منه في إفادة القراء عموماً والأطباء بصورة خاصة، أصدر كتاباً ضخماً عنوانه "الطبيب والمعمل" يزيد عدد صفحاته على ألف صفحة، وقد أهداه إلى صاحب السعادة الجليل الأستاذ الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية وزعيم النهضة الطبية المصرية، وإلى صاحب العزة المفضال الأستاذ الدكتور علي توفيق شوشة بك (١٨٩١ - ١٩٦٤) وكيل معامل الصحة العمومية اعترافاً بجهدهما العظيم لرفع مستوى الطبيب والمعمل وحفظ كرامتهما في مصر. ثم أُرِفَ هذا الإهداء ببيتين من الشعر جاء فيهما:

فإنَّ الذي يبني لنا رتبة العلى عظيم، وما في الجاهدين عظيم
ومن يعرف التقدير للفضل مرغماً وينكره حُرّاً، فذاك أثيم

على أن هاجس الشعر كان يؤرق أبا شادي منذ يفاعته، ولم يلبث أن استولى عليه حتى كاد يباعد بينه وبين الطبّ، فباع من ممتلكات أبيه ما طوَّع له شراء مطبعة وإنشاء مجلة "أبولو" فكانت المجلة الشعرية الأولى والوحيدة في العالم العربي حتى ذلك الوقت، بل نجحت في تخريج جيل كامل من الشعراء الذين انضمّوا إلى جماعة أبولو وحملوا الراية بعد جيل أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) وحافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢) وخليل مطران (١٨٧٢ - ١٩٤٩) وبعد جيل عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ - ١٩٥٨) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ - ١٩٤٩)، وصار للمجلة تواصل واسع وعميق مع شعراء العالم العربي والمهاجر الأمريكية.

ولئن طغى الشعر على اهتمامات أبي شادي حتى كاد يحجب مناحي اهتماماته الأخرى، فقد كان متعدّد المواهب والمجالات: فهو رسّام وكانت لديه مجموعة من اللوحات الفنية التي أبدعها بريشته تضم ٣٦ لوحة ولكن زوجته

الثانية الأمريكية استولت عليها بعد وفاته ولا يعرف مصيرها، كما واصل هواية تربية النحل سواء في مصر أو بعد هجرته إلى أمريكا، كما عُني بالصناعات الزراعية وبالرسالة التعاونية، فكان في هذه الميادين سباقاً بل منفرداً في الساحة، ربّما إلى هذا اليوم.

أما اهتمامات أبي شادي الفكرية فقد انصرفت إلى معظم فنون الكتابة، والتحرير من أدب إلى تاريخ إلى اجتماع إلى فلسفة إلى دين إلى نقد أدبي إلى ترجمة، هذا عدا ما أنتجه من مسرحيات شعرية وأوبريتات، وما ترجم من رباعيات عمر الخيام وسواه.

ولقد كان في وسع أبي شادي وهو منشئ جماعة أبولو في عام ١٩٣٢ أن ينصب نفسه رئيساً لها، ولكنه - كدأبه دائماً - أثر أن يكون أمينها العام، واختار الشاعر أحمد شوقي رئيساً و خليل مطران وأحمد محرم وكيلين أو نائبين للرئيس، وبقي أبو شادي سكرتيراً. أما أعضاء مجلس الإدارة الأول فقد ضمّ إلى جانب هؤلاء إبراهيم ناجي والدكتور علي العناني وكامل كيلاني ومحمود عماد ومحمود صادق وأحمد الشايب وسيد إبراهيم (الخطاط) وعلي محمود طه (المهندس) ومحمود أبو الوفا وحسن القاياتي وحسن كامل الصيرفي.

وفي العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٢ دعا شوقي أعضاء مجلس إدارة جمعية أبولو إلى عقد اجتماعها الأول في دارته المسماة "كرمة ابن هاني" على شاطئ نيل الجيزة لبحث المشروعات التي تضطلع بها الجمعية. وبعد أربعة أيام تماماً، فجعت جمعية أبولو في رئيسها الشاعر أحمد شوقي الذي رحل إلى الرفيق الأعلى في فجر الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢، فاختير الشاعر خليل مطران خلفاً له في رياستها.

وكان شوقي قد أعرب عن سعادته بقيام هذه الجمعية فحيّاها بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً رَحّب فيها بسوق عكاظ الجديدة، ونشرتها مجلة "أبولو" في صدر عددها الأول المؤرخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٢. ولست أثبت نصّها هنا

من قبيل التسجيل وحسب، وإنما لكي أورد بعد ذلك النص الذي لفته
الشاعر محمد مصطفى حمام (١٩٠٤ - ١٩٩٤) ونسبه ظلماً وغدراً إلى
الشاعر شوقي. أما قصيدة شوقي فنصّها:

أبولو، مرحباً بك يا أبولو	فإنك من عكاظ الشعر ظلُّ
عكاظ وأنت للبلغاء سوق	على جنباتها رحلوا وحلّوا
وينبوع من الإنشاد صافر	صدي المتأدبين به يُبلُّ
ومضمار يسوق إلى القوافي	سوابقها إذا ما الشعراء قلّوا
يقول الشعر قائلهم رصيناً	ويحسن حين يكثر أو يقلّ
ولولا المحسنون بكل أرضٍ	لما ساد الشعوب ولا استقلّوا

* * * * *

عسى تأتيننا بمعلقات	نروح على القديم بها نُدلُّ
لعلّ مواهباً خفيت وضاعت	تذاع على يدك وتُسْتَغْلُّ
صائفك المدبجة الحواشي	رُبى الورد المفتّح أو أجَلُّ
رياحين الرياض يُملُّ منها	وريحان القرائح لا يُملُّ
يمهّد عبقرى الشعر فيها	لكل ذخيرة فيها محلُّ
وليس الحق بالمنقوص فيها	ولا الأعراض فيها تُستحلُّ
وليست بالمجال لنقد باغٍ	وراء يراعاه حسدٌ وغلُّ

وقد أثبتت هذه القصيدة في الجزء الرابع من "الشوقيات".

ولكن خصوم أبي شادي، وسأورد أمثلة على خبائثهم، لم يكونوا ينفكّون
عن الكيد له، سواء في عمله التوظيفي أو في نشاطه الأدبي أو حتى بعد
هجرته إلى الولايات المتحدة. وإزاء هذه الشهادة العظيمة الصادرة من أمير
الشعراء أحمد شوقي، زعم محمد مصطفى حمام أن شوقياً استدعاه إلى
مكتبه قبيل وفاته وصارحه بأنه ندم أشدّ الندم على نظم هذه القصيدة في
"قوم أذوه بالسنتهم وأقلامهم" - وهو ما لم يحدث بدليل أن مجلة أبولو

أصدرت بُعيد وفاة شوقي عدداً خاصاً عنه في ٣٠٠ صفحة في تمجيد ذكره شارل فيه جميع أعضاء جمعية أبولو شعراً ونثراً، وكان تاريخ هذا العدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٢ أي بعد ثلاثة أشهر من وفاة شوقي. وزعم حمام أن شوقياً أملى عليه قصيدة نقض بها كل ما قاله في أبولو، وقام بنشرها في مجلة "الصباح" المصرية التي كان يصدرها مصطفى القشاشي. ونص القصيدة، ومؤكد أنها قصيدة ملفقة، كالآتي:

أبولو ضلّة لك يا أبولو	فإنك من بقايا اللؤم ظلّ
أبولو أنت للسفهاء سوق	على جنباتها رحلوا وحلّوا
وينبوع من الإسفاق صرف	صدى المتشاعرين به يبلّ
يُميت الشعر قائلهم جنيناً	ويقبح حين يكبر أو يقلّ
ولولا المفسدون بكل أرضٍ	لساد بها الشعوب أو استقلّوا
صحائفك المدبجة القوافي	شعارير القريض بها تحلّ
وأدواء الجسوم لها شفاء	وأدواء الحسائك لا تبّلّ
يمهد مصرع للشعر فيها	لكل نقيصة فيها محلّ
وليس الحق بالمنصور فيها	وأعراض النوابغ تُستحلّ
وأوسعت المجال لنقد باغٍ	وراء يراعاه حسدٌ وغلّ

وواضح أن حماماً عارض القصيدة الشوقية لفظاً وقافية ببراءة يُحسد عليها، وإن تكن براءة المزيف والمحترف.

ولم ير أبو شادي مندوحة من أن يبلغ النيابة العامة ضد محمد مصطفى حمام متهماً إياه بالتزوير الأدبي والقذف في حقه وحق جماعة أبولو، وعندما استدعي حمام للتحقيق معه، زعم أن القصيدة لشوقي نفسه، وأنه لم يزورها، وأن دوره فيها كان دور الناقل. لرغبة شوقي الأخيرة قبل وفاته، وقال إنه لا يمانع في تعيين أربعة من الشعراء كخبراء لفحص هذه القصيدة، يختار حمام اثنين منهم ويختار أبو شادي اثنين. ونظراً لأن وكيل النيابة

المحقق ألقى نفسه إزاء قضية أدبية تحار فيها النصوص القانونية، فقد تخلص من المأزق بأن قرّر حفظ البلاغ.

وقد عرفت حمّاماً، وهو على مواهبه الكثيرة، مهذار كبير، بارع في التقليد واختراع الروايات وتقويل الناس ما لم يقولوه. ومن غير المعقول أن يرأس شوقي اجتماع مجلس إدارة جمعية أبولو في بيته في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر)، ثم تستولي عليه مشاعر الندم في الأيام الأربعة التي مدّ أجله فيها بعد ذلك الاجتماع، وعوضاً عن أن يطلب الاستعفاء من هذه الجمعية إذا كان قد ساء أمر من أمورها، فقد لجأ إلى استدعاء حمام ليملي عليه هذا الهجو السفيف الذي ليس له مثيل في أجزاء "الشوقيات" الأربعة، حتى إذا ما أصبح شوقي موسداً في الثرى، طلع حمام على الناس بهذه الأكذوبة أو الشوقية المزعومة، ولو كانت هذه الشوقية صريحة النسب إلى شوقي، فلم لم تدرج في "الشوقيات" ولو في ذيل باعتبارها آخر ما نظمه الشاعر قبل رحيله، ولم لم يدرجها الدكتور محمد صبري السوريوني (١٨٩٤ - ١٩٧٨) في كتاب "الشوقيات المجهولة" بجزئيه؟ بل لقد كان شوقي يعرف عن نفسه أنه ضعيف في الإلقاء، وكان يستعين بالدكتور سعيد عبده (١٩٠١ - ؟) وفكري أباطة (١٨٩٧ - ١٩٧٩) لإنشاد شعره، فلم لم يستدع هذا أو ذاك لإملاء القصيدة عليه؟ ومعدور أبو شادي إذا ما اضطر إزاء هذه الألعبانيات المتكررة من حمام وغيره إلى تكليف محاميه محمد لطفي جمعة (١٨٨٦ - ١٩٥٣) بمقاضاتهم على ما ورد في مذكراته التي نشرها نجله المستشار رابع لطفي جمعة (١٩٠٨ - ٢٠٠٣).

ويروي لطفي جمعة أن واحداً من صغار الكتّاب في الاسكندرية اسمه البطّاح أذاع أن الدكتور أبا شادي ملحد وإباحي، مما جعل وزارة الصحة التي كان يعمل فيه إلى اتهامه بأنه يشتغل بالسفاسف ونهته عن التهنّك في الشعر وفيما لا يعنيه غير وظيفته. كما كانت لأبي شادي خلافات مع كامل كيلاني (١٨٩١ - ١٩٥٩) ومنازعات وخصومات حامية، فاستعمل له

الكيلاني أشخاصاً مثل محمد مصطفى حمام فكتبوا عنه أموراً تشيب لها الأطفال في مجلات هزلية، فشكاهم أبو شادي إلى النيابة. ويرى لطفي جمعة أن الخلاف بين أبي شادي وكامل كيلاني يرجع إلى تنافسهما على رئاسة "رابطة الأدب العربي".

وقد عرفت كامل كيلاني، وكان يحذرنى دائماً من أبي شادي، وهو ما كنت أتجاهله. وعندما أقمنا حفلاً لتأبين أبي شادي بعد وفاته في "دار الحكمة" - وهي مقر نقابة الأطباء التي كان أبو شادي عضواً فيها - وكان ذلك في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٥، لاحظت وأنا جالس على المنصة أن كامل كيلاني يحتل الصف الأول في القاعة بين الحاضرين. وبعد انتهاء الحفل تقدم مني مصافحاً ومثنياً على كلمتي! فتذكرت ما كنت أسمعه منه من تحذير من أبي شادي!

احتضنت جمعية أبولو شعراء الشباب في ذلك الحين مثل الدكتور إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأحمد محرم ومحمود أبي الوفا وصالح جودت وجميلة العلايلي ومختار الوكيل وحمد عبد المعطي الهمشري وعبد العزيز عتيق وحسن كامل الصيرفي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبد الغني حسن وإسماعيل سري الدهشان وعبد اللطيف النشار وغيرهم. كما رعت شعراء من البلدان العربية مثل أبي القاسم الشابي التونسي وإلياس أبي شبكة وحليم دموس اللبنانيين وشفيق معلوف في المهجر وغيرهم وغيرهم، فالقائمة طويلة. وواصلت مجلة أبولو الصدور بانتظام ثلاث سنين، حرصت خلالها على مستواها الأدبي الرفيع، ولكنها كانت - من الناحية الأخرى - تمثل استنزافاً مالياً وعبئاً إدارياً على صاحبها، فاضطر إلى حجبها بعد آخر عدد صدر منها في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٤ قائلاً "إنه يختم به جهوده العامة إلى غير عودة" وشاكياً من "المتاعب والتضحيات الكثيرة والمعاكسات المتنوعة والإساءات الجمة التي فاقت كل حدود الاحتمال". وهكذا نعى الشاعر أبو شادي مجلته الأثيرة

بعدما أحدثت نهضة شعرية واسعة، سواء بما نشرته من قصائد الشعراء، أو بما ترجمته من عيون الشعر الغربي، أو بما حفلت به من دراسات نقدية للشعر، أو بما أصدرته من دواوين أعضائها من الشعراء بتمويل من أبي شادي نفسه. صحيح أن مجلات خالصة للشعر وقضاياها ظهرت بعد ذلك في سورية ومصر ولبنان وتونس وفلسطين، ولكن تبقى لأبولو ريادتها الأولى التي جعلت منها مدرسة حقيقية في تاريخ الأدب العربي المعاصر.

وقد أحصيت لأبي شادي نحو ثلاثين ديواناً نشرها بين عامي ١٩١٠ و١٩٤٩، وكان في بعض الأحيان يكتفي بطبع نسخ محدودة من دواوينه على نفقته الخاصة ويهديها إلى أصدقائه، بحيث خلت المكتبات القومية من معظمها لأن قانون إيداع الكتب في المكتبة الوطنية لم يكن قد صدر وقتها. وقد طبعت جميع هذه الدواوين في مصر باستثناء ترجمته لرباعيات عمر الخيام التي طبعت في بيروت، وديوانه "من السماء" الذي طبع في نيويورك. أما ديوانه الموسوم "ألحان الغريب" فقد فقد ربما في أثناء شحن مكتبة أبي شادي الخاصة من مصر إلى الولايات المتحدة.

وتسجلاً لهذه الدواوين أورد قائمة بها بحسب تواريخ صدورها، وهي: "أنداء الفجر" وقد طبع مرتين في عامي ١٩١٠ و ١٩٣٤ و "ديوان زينب" (١٩٢٤) وديوان "مصريات" (١٩٢٤) و "الشفق الباكي" (١٩٢٤) و "مفخرة رشيد" (١٩٢٥) و "أنين ورنين" (١٩٢٥) و "شعر الرجدان" (١٩٢٥) و "وطن الفاعنة" (١٩٢٦) و "المنتخب من شعر أبي شادي" (١٩٢٦) و "الآلهة" وهي أوبرا رمزية (١٩٢٧) و "إحسان" وهي أوبرا تلحينية (١٩٢٧) و "إخاناتون" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و "أردشير وحياة النفوس" (١٩٢٧) و "الزباء ملكة تدمر" وهي أوبرا تاريخية (١٩٢٧) و "مها" وهي قصة شعرية (١٩٢٧) و "عبده بك" وهي قصة اجتماعية شعرية (١٩٢٧) و "مختارات وهي العام" (١٩٢٨) و "رباعيات عمر الخيام" (١٩٣١) و "عمريات فتزجير الد" (١٩٣١) و "أشعة وظلال" (١٩٣١) و "الشعلة" (١٩٣٣) و "أطياف الربيع" (١٩٣٣) و "أغاني أبي

شادي" (١٩٣٣) و"الينبوع" (١٩٣٤) و"الكائن الثاني" (١٩٣٥) و"فوق العباب" (١٩٣٥) و"ديوان الريف" (١٩٣٥) و"عودة الراعي" (١٩٤٢) و"من السماء" (١٩٤٩)، وله ديوانان مخطوطان باللغة الإنكليزية هما "أغاني العدم" (Songs of nothing) و"أغاني الفرح والحزن" (Songs of joy and sorrow).

وعند وفاة أبي شادي كانت هناك أربعة دواوين مخطوطة لم يمهلها العمر بطباعتها، فونفت بنفسه على تحقيقها وضبطها وتفسير مناسباتها وهي "الإنسان الجديد" وقد صدر عام ١٩٨٣ و"النيروز الحر" وقد صدر عام ١٩٨٨ و"من أناشيد الحياة" و"إيزيس" وقد صدرا في مجلد واحد في بيروت عام ٢٠٠٠ مع ٤ تمثيلات.

أما كتبه المطبوعة في النثر فهي "من نافذة التاريخ" في جزعين و"الطبيب والمعمل" و"ملكة العذارى" و"قضايا الشعر المعاصر" و"أبو شادي في المهجر" و"لماذا أنا مسلم" و"دراسات أدبية" و"دراسات إسلامية" و"نكبة نافرين" و"إنهاض تربية النحل في مصر" و"عقيدة الألوهة" وغيرها. كما قام الأديب المصري رضوان إبراهيم (١٩١٩ - ١٩٧٥) بنشر ثلاثة كتب لأبي شادي هي "شعراء العرب المعاصرون" و"الإسلام الحي" و"عظمة الإسلام".
يضاف إلى كل هذا التراث الضخم لأبي شادي أنه أثناء وجوده في أمريكا نشر في المجلات والصحف المختلفة وأذاع من الراديو سلاسل من الأحاديث في موضوعات اختار لها عناوين مثل "وليمة منيرفا" و"هذا ما يعيننا" و"أحاديث إسلامية" و"أدباء الأقباط" و"ملاحم من الإسلام" و"الإسلام في نقائه" و"كتب حية" وهي مقالات كان أبو شادي يعتزم إصدارها في كتاب متعدد الأجزاء عنوانه "الكشكول" ولكن القدر لم يمهلها، وخسارة أن تعدو عليها عوادي الضياع.

في عام ١٩٤٥ كانت الحرب العالمية الثانية تؤذن بالانتهاء عندما زرت صديقي المستشرق الأمريكي الدكتور جورج رنس Dr. George Rentz

(١٩١٢ - ١٩٨٦) الذي كان يرأس وحدة الترجمة في مكتب الاستعلامات الحربي الأمريكي بالقاهرة، وهو مكتب أنشئ بسبب ظروف الحرب وصُفي بعد توقفها، فسألني إن كنت أعرف الدكتور أحمد زكي أبو شادي، فقلت له: إنني أعرف عنه أنه أديب وشاعر كبير وله دور غير مجهود في الحياة الأدبية المصرية، ولكنني لا أعرفه شخصياً. ثم سألته عن سبب استفساره عنه فقال إنه تقدم بطلب إلى الحكومة الأمريكية للهجرة الدائمة إلى الولايات المتحدة مع أسرته المؤلفة من زوجته الإنكليزية وابنه وابنتيه، وقد طُلب مني أن أكتب تعريفاً به. فقلت له: إنني لا أعرف ظروف تفكيره في الهجرة، ولكن المؤكد أن هذه الشخصية الفذة ستكون مكسباً كبيراً لأمريكا.

وكان أبو شادي وقتها قد ضاق بألوان الجحود التي يلقاها من طامعين في وظائفه الحكومية ومن حاسدين قصرت وسائلهم عن مجاراته في الشهرة الواسعة التي حققها على حساب رأس ماله من الصحة والأعصاب والثروة، وكان أبو شادي قد صفى كل ممتلكاته الموروثة بما أنفقه من حرّ ماله على مجلاته وكتبه، بل كذلك على طبع دواوين أعضاء جماعة أبولو، ثم تباهت مشكلاته بسبب مرض زوجته بداء عضال، فاتخذ قراره الحاسم بالهجرة إلى الولايات المتحدة على الرغم من أنه كان في سن متأخرة نسبياً (السادسة والأربعين) وكان مُرادُه في المقام الأول توفير أسباب العلاج الناجح لأم أولاده، وأيضاً الفرار من المزعجات التي صدفها في مصر والتي وصفها بقوله:

وطاردتني إلى منفاي جانيةٌ وعددت صفو أثاري كآثامي

ومن جملة هذه المزعجات أن عباس محمود العقاد هاجم أبولو وراعيها قائلاً إن أبا شادي عميل للسراي (أي للملك) ولرئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقي باشا، وإنه ما أصدر مجلة أبولو وروج فيها للمذهب الرومانسي الوجداني إلا لكي يصرف الاهتمام عن طغيان صدقي باشا ومشكلات البلاد المستحكمة. فقد استغرقت قضايا الحب والهيام كل عناية

شعراء أبولو، وترك صدقي باشا يبطش بالشعب بلا رحمة. وقد ردّ عليه أبو شادي قائلاً: "لو كنّا صنائع للسراي وصدقي باشا كما تزعم، لما توقفت مجلة أبولو بعد ثلاث سنين فقط من إصدارها، ولا استمرت في الانتظام بدعم من الحكومة. أما أن شعراء أبولو أسرفوا في نظم قصائد الحب والهيّام، فسببه أنهم كانوا جميعاً في سنّ الشباب، وأن الرومانسية هي بضاعة الشباب الأولى.

ومن نماذج الحملة على أبي شادي أنه عندما أصدر إسماعيل أحمد أدهم (١٩١١ - ١٩٤٠) كتاباً كبيراً باللغة الإنكليزية عن أبي شادي عنوانه "إضاءة الدرب" Blazing the Trail زعم النقاد أن هذا الكتاب من تأليف أبي شادي نفسه، وأن دور أدهم لا يعدو أن يكون وضع اسمه على غلاف الكتاب، وفات هؤلاء النقاد المغرضين أن لإسماعيل أحمد أدهم دراسات كبيرة عن خليل مطران وجميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦) وتوفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧)، ومن غير المعقول أن يكون دور أدهم في جميع هذه الدراسات مقتصراً على وضع اسمه على أغلفتها لكونها من تأليف مطران والزهاوي والحكيم!

وأذكر من قبيل الاستطراد أنه كانت تربطني بالشاعر خليل مطران صداقة وثيقة، وكنت أزوره في بيته على ناصية شارعي ٢٦ يوليو وعرابي بالقاهرة مرة كل يومين إلى تاريخ وفاته. وكانت دراسة إسماعيل أدهم عن مطران تنشر مُنْجَمةً في مجلة "المقتطف" تطبع بضع عشرات من ملازم هذه الدراسة على أمل أن تقوم بتجليدها وتقديمها إلى المؤلف، لأنها لم تكن تدفع مكافآت للكُتّاب. وبانتحار إسماعيل أدهم في عام ١٩٤٠ بقيت هذه الملازم الإضافية مخزونة في مستودع المجلة. ولما اكتشفت أمرها، لأنني كنت وقتها أعمل في دار المقتطف والمقطم، رجوت أمين المستودع أن يجهّز منها أي عدد من النسخ الكاملة ويجلّدها. وأمكن فعلاً إنقاذ نحو عشر نسخ لأن الأعوام قد أتلّفت بقية الملازم، وحملت بنفسني خمس نسخ كاملة من دراسة أدهم

الموسومة "خليل مطران الشاعر الإبداعي" وقدمتها إلى الشاعر الذي كان يجهد بالبكاء تأثراً، وقال لي: لقد فاجأني إسماعيل أدهم بهذه الدراسة، ولم يراجعني في أثناء إعدادها، وقد حزنت عندما علمت أنه انتحر بإلقاء نفسه في البحر (وقيل إنه قتل) فرثيته بقصيدة ستطالعها في ديواني عند طبعه، وكم كنت أودّ أن أشكره لا أن أرثيه.

فالذين استكثروا على إسماعيل أدهم أن يؤلف كتاباً عن أبي شادي كانوا ظالمين لأنفسهم قبل أن يظلموا أدهم أو أبا شادي.

بل أن هناك من اتهم أبا شادي بالإلحاد والإباحية – وهي في القانون جريمة قذف – وتواتر هذا الاتهام عندما أصدر إسماعيل أدهم رسالة عنوانها "لماذا أنا ملحد" فما كان من أبي شادي إلا أن ردّ عليه برسالة عنوانها "لماذا أنا مسلم" ولكنهم مع ذلك استمروا يتشككون في عقيدته حتى بعد هجرته إلى أمريكا.

تلك نماذج من المضايقات المفزعة التي عانى منها أبو شادي في مصر والتي "طارده إلى منفاه جانية" لأنها "عدّدت صفو آثاره كآثامه"!

لم تكد الملاحة تنتظم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى كان أبو شادي قد تهيأ مع أسرته للهجرة في عام ١٩٤٦، ولكن قضاء الله كان قد نفذ في زوجته الإنكليزية، فكنتم أحزانه، وتكتم خبر وفاتها، ووسّدها الثرى في مقابر المسيحيين في الإسكندرية لأنها بقيت على دينها، وعجلّ بالسفر قبل أن يجدّد أصدقاءه مساعيهم لإثنائه عن الهجرة في سنّ الكهولة ولا سيما لأن أبناءه جميعاً لم يكونوا قد استكملوا تعليمهم الجامعي، ممّا يضاعف من تبعاته في بداية الهجرة عندما يشرع في إلحاقهم في الجامعات الأمريكية.

وقبل مغادرته الإسكندرية عبأ مكتبته الخاصة في صناديق وأودعها في مخازن "البونرد" في جمر ك الإسكندرية على أمل أن تشحن إليه فيما بعد، كما رثى زوجته بقصيدة مؤثرة مطلعها:

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي هذا فناؤك مؤذن بفنائني

وبعث بهذه القصيدة إلى محرر "الرسالة" أحمد حسن الزيات (١٨٨٥ - ١٩٦٨) مع رسالة وداعية كتبها عشية سفره فنشرتها المجلة في عدد ٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ بمقدمة جاء فيها: "سافر إلى نيويورك يوم الأحد الماضي الدكتور أحمد زكي أبو شادي ليقوم فيها هو وأسرته وقد أرسل إلينا عشية سفره هذه القصيدة ومعها كتاب يقول فيه: "كان بودّي أن أزورك مودّعاً قبيل عارحة وطني الذي لم تسمح لي الظروف بخدمته كما أودّ، ولكن أحوالي الخاصة لم تمكّنني من مغادرة الاسكندرية لهذا القصد، وسأبحر منها مع أولادي على الباخرة فلكانيا يوم الأحد ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٤٦ وعلى فمي بيت المتنبي القائل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم، فالراحلون هموا!

وكان بودّي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمه لا هذه المراثية الحزينة لزوجتي، ولكنها أغلى ما أملكه الآن، وقد ارتسمت فيها ذكرياتي وعواطفني وأشجاني".

وعلق الزيات على هذه الرسالة بقوله: "كتب الله للدكتور السلامة، ومَنْ عليه في مهجره بطيب الإقامة".

وصل أبو شادي إلى نيويورك في أول أيار (مايو) ١٩٤٦، وعوضاً عن أن يمارس الطب فتعتدل أحواله لمادية ويهجر الأدب الذي جلب عليه المتاعب واضطره إلى الهجرة، أخذ يتطلع إلى الانضمام إلى عصبة الشعراء العرب المهاجرين المقيمين في القارة الأمريكية، ولكنه فوجئ بمقال نشره الشاعر إيليا أبو ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) في مجلته "السمير" بعنوان "ليس منّا!" وهو يقصد طبعاً أن الدكتور أبا شادي لن يصبح أبداً من شعراء المهجر. فما كان من أبي شادي إلا أن نظم قصيدة عنوانها "ليس منّا" قال في مطلعها:

"ليس منّا!" قال الحسود المعنّى "ليس منّا!" أعادها "ليس منّا!"

عِلْمُ الله أنّني لست من يرغب في مثلكم، ولا مَنْ تدنّي

وختمها بقوله:

شاعر نافس التعالي بما يحكي ويحكي القروء معنى ومبنى!

كان الهمّ الأول والملح لأبي شاري هو أن يهتدي إلى عمل يرتزق منه، وأن يدبّر لأولاده أسباب التعليم في هذا الوطن الجديد. فكان عليه وهو صاحب التراث الضخم في الأدب في مصر أن يبدأ من نقطة الصفر، مؤملاً أن تكون شهرته الأدبية قد سبقته إلى أوساط العرب المهاجرين بحيث يوطئ له ذلك مكاناً حقيقياً بينهم، سواء في الصحف العربية التي كانت تصدر هناك مثل جريدة "الهدى" لصاحبها نعوم مكرزل (١٨٦٤ - ١٩٣٢) وسلوم مكرزل (١٨٧٩ - ١٩٥٢) وجريدة "السائح" لصاحبها عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣) و "نهضة العرب" لصاحبها سعيد داود فياض و "الإصلاح" لصاحبها الدكتور ألفونس جميل شوريز وسواها، أو في أقسام الدراسات العربية في الجامعات الأمريكية أو في الأمم المتحدة التي كانت حديثة العهد بالنشوء. وبفضل تمكنه من اللغة الإنكليزية استعان به الوفدان السعودي والإيراني في الأمم المتحدة ليكون مستشاراً لهما، ثم انطلق يقيم الجسور مع الهيئات الجامعية والعلمية، فاختر استاذاً في معهد آسيا في نيويورك، وأخذ يوافي الصحف العربية في المهجر بمقالاته. وجرياً على عادته في جمع شمل الأدباء، أنشأ في نيويورك "رابطة منيرفا" وجعل على رأسها الشاعر ندرة حداد (١٨٨١ - ١٩٥٠) الذي توفي فجأة في حفلة عرس، وعندئذ اختار الشاعر نعمة الحاج (١٨٨٩ - ١٩٧٨) خلفاً له، مكتفياً بمنصب الأمين العام كدأبه دائماً.

وعندما أصدر في نيويورك ديوانه الأول والأخير الموسوم "من السماء"، انتهزت أكاديمية الشعراء الأمريكيين وجمعية الشعر الأمريكية هذه الفرصة، فتنادتا إلى إقامة حفل تكريم جامع في فندق والدورف أستوريا - وهو أكبر وأشهر فنادق نيويورك - يوم ٣٠ نيسان (إبريل) ١٩٥٠ تكريماً للشاعر أبي

شادي. وقد وصف أبو شادي هذا الحفل في رسالة بعث بها إليّ تاريخها ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وهي أول رسالة أتلّقاها منه، قال فيها:

"في الواقع لم تشهد نيويورك من قديم حفلة أدبية في فخامتها وروعها ومغزاها وفي شخصياتها مثل هذه الحفلة التي جمعت بين العديدين من رجال الأدب والشعر والصحافة والفكر الحر أمريكيين وعرباً، فضلاً عن أعلام من المستشرقين ومن رجال الجامعات وسيدات القلم والفن، حتى كان يصعب أن تفصل تأليف جماعة من الحاضرين على أخرى بالنسبة للموائد المبتوثة في قاعة الزمرد الفخمة بفندق والدورف أستوريا العالمي الشهرية. وما كان يمكن مطلقاً في الوقت المحدد تناول العشرات من الرسائل والدراسات القيمة والقصائد الرائعة من العالم العربي، بل من أقطار أخرى كذلك من جنوبي أمريكا وشمالها وأوروبا.... إلخ. وبالرغم من كل اختصار، استغرقت الحفلة أربع ساعات وكانت مظاهرة منقطعة النظير لأدبنا العربي وللروح الإنسانية التي ألّزمتها في شعري وفي كل جهودي. وكان بين الخطباء أساتذة من ثلاث جامعات، كم خطب الأديب الإنساني الشهير روجر بولدوين رئيس الجمعية الدولية لحقوق الإنسان (إحدى المنظمات الاستشارية لهيئة الأمم المتحدة)، وتلا الممثل الذائع الصيب ليو كارول الترجمة الإنكليزية لقصيدتي، ولم يسمح بأن يشترك في الحفلة أحد من غير المفكرين والأدباء المعروفين والشخصيات البارزة. وبلغ رعاة الحفلة من الأكابر زهاء المائة، بينهم وزير لبنان المفوض وسفير المملكة السعودية ودولة فارس الخوري بك وقنصل سوريا العام في نيويورك. وأما مصر، التي تعود إليها في النهاية كل هذه الحفاوة، فلم تمثل إطلاقاً في الحفلة!!! وقد حضر محمد أفندي لبيب أمين القنصلية المصرية بصفته الشخصية فقط، لأن عنده شيئاً من الشجاعة الأدبية وعرفان الجميل، ولأنه لم ينس بعد أنني كنت المصري الوحيد هنا الذي دافع عن الديمقراطية المصرية وعن حق الوفد في الحكم أثناء العهد الماضي المشؤوم".

أما ديوانه "من السماء" فقد أهدى منه ألف نسخة إلى دولة أحمد حلمي باشا (١٨٨٢ - ١٩٦٣) رئيس حكومة عموم فلسطين التي كان مقرها في القاهرة لكي تباع وترصد حصيلتها لقضية فلسطين.

توهم أبو شادي أن هجرته كفيلة بدفع الأذى عنه من الذين كانوا يضيقون به في مصر. ولكن ما كان ينشره من قصائد ويكتبه من مقالات مطالباً بالإصلاحات في مصر أسىء فهمه واعتبر هجوماً منه على وطنه الأم. فقد كانت أخبار الملك فاروق المشينة تملأ الصحف الأجنبية، مما حدا بالدكتور أبي شادي الذي كان أستاذاً للملك فاروق في شبابه، إلى نظم قصائد رمزية في الحملة عليه كقصيدة "الكركدن" وقصيدة "جنون البستاني" وغيرهما. مما جاء في قصيدة "الكركدن" قوله:

ومن دم الأمة في نرده	من دمعة الشعب ومن كده
يا ليتها تملك من حده	مملك الحد على صفوها
ليخنق المصلح في مهده	كم يجعل الدين حبالته
ويسرق الأمة في رفده	يمرغ الأمة في رجسه
إلى أن قال:	

ثمكّن الفاجر من قصده؟	حتّام يا قوم ضلّالاتكم؟
فأصبح الغاشم في حقه	كنّا نرجّيه مثال الهدى
فأصبح المبدل من حمده	كنّا نغنيّه أغباني العلا
في روحه العالي وفي زهده	كنّا نغذيّه بأرواحنا
الشارد، الخادع في وعده	ما باله أصبح فتىً ماجناً
حتّام، والخسّة من مجده؟	حتّام يستهزئ من مجدكم؟
حتّام والسوقة من جُنده؟	حتّام يسترسل في غيّه؟
حتّام، بل أهون من عبده؟	حتّام أعلاكم له صاغراً؟

أعقلكم دون دفن الثرى

لو يعتل الميت في لحده

أما قصيدة "جنون البستاني" فقد جاء فيها قوله:

ماذا أصابك أيها البستاني

وذويك؟ ما هذا الجموح الجاني؟

ضيّعت غرساً صوّحت أفنائه

وشُغلت بين مهازل وغواني

الليل ينشق في القمار وفي الزنا

رجسان مأثوران للشيطان

تتضاعل الحسنات منك وتمحي

في حين جسمك بعدها جسمان

ماذا دهى الأمل العريض، فطالما

أوحى لنا، والآن لظمة عان؟

كأن نرى الوجه الصبيح كأنه

رمزٌ لكل تطلّع روحاني

ماذا دهى هذي الغوالي كلها

وشخوصها ما زلن في وجداني؟

إلى أن قال:

هيهات يُفلح فاسق مُستهتر

أو يستقل بعزّة ومكان

ما زلت أخلصك النصيحة، فأتعظ

وتحاش من خروا إلى الأذقان

هيهات ينفعك التملق والرُقى

وجميع ما يوحى جنون أناني

مهلاً ومهلاً أيها البستاني

ارجع لغرسك أيها البستاني

هذا الشعر، الذي وصفه صاحبه بأنه شعر رمزي لأنه لم يورد فيه اسم الملك فاروق صراحة، اعتبر هجوماً على مصر من خصوم أبي شادي عوضاً عن أن يعتبر نصيحة خالصة من غيور على رمز بلاده. واتفق في ذلك الوقت أن كان الصحفي مصطفى أمين (١٩١٤ - ١٩٩٧) يزور الولايات المتحدة، فأبرق إلى جريدة "أخبار اليوم" برسالة قال فيها إن أبا شادي يهاجم مصر ويدعو إلى النظام الجمهوري لا الملكي! وتلقف عباس خضر (١٩٠٨ - ١٩٨٧) هذه البرقية، وجرياً على عادته في التحرش بكبار الأدباء هو وزميله أنور المعداوي (١٩٢٠ - ١٩٦٥) في مجلة "الرسالة" أثناء غياب صاحبها في ضيعته في مدينة المنصورة، فكتب مقالاً في عدد ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ من

المجلة قال فيه: "إن أبا شادي مكث دهرًا ينظم كلاماً فارغاً ويقذف به ديواناً وراء ديوان، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلا في إفساد المذهب التجريدي في الشعر العربي، حتى لقد نفر أبو شادي بعض المجيدين من لفظ التجديد، وأصبح مثار التندر في مجالسهم. إن مصر لا تستحق هجومه عليها إلا لسبب واحد هو أنه من أبنائها، وإن كانت كثرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار".

وهذا كلام لا يصدر إلا عن موتور، وما كان يصح أن يجد له موضعاً في مجلة رصينة كمجلة "الرسالة". فأبو شادي كان ينصح ويحذر من العواقب التي جلبها طيش الملك فاروق على نفسه وعلى بلاده وكأن أبا شادي كان يرجم بالغيب ويعرف ببصيرته أن الثورة ستطيح العرش والمتربع عليه. ولعل الذي أغرى عباس خضر بكتابة هذا الهجاء المسفّ اعتقاده بأن أبا شادي المقيم في أمريكا لن يطلع على هذا الكلام، فيكون هو قد حسم الأمر وكسب القضية، ولا سيما لأن القراء يجهلون تفاصيلها.

ولكن أبا شادي كان يقرأ "الرسالة" حتى في مهجره. ولئن غضب على كاتب هذا الكلام المهين، فقد تجاهله تماماً في الردّ الذي بعث به إلى صاحب "الرسالة". ففي العدد الصادر في ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٩ نشر أبو شادي مقالاً عنوانه "بين الأدب والوطنية والأخلاق" عاتب فيه صاحب "الرسالة" أحمد حسن الزيات على سماحه بترديد مطاعن جارحة في أخلاقه وفي محبته لمسقط رأسه، واستنكر أن تقابل خدماته لوطنه الأول بالجحود قائلاً "إننا وجد في الصحف الأمريكية ما بالاً لنشر آرائه بعدما حال الرقيب دون نشر آرائه الحرة في مصر، ولحمتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حريات العامة وعن عرش مصر".

ومن مدينة دمنهور في شمال دلتا النيل جاء صوت منصف استهول ما كتبه عباس خضر فتصدى من تلقاء نفسه وبروحه المنصفة للدفاع عن أبي شادي، حيث نشرت "الرسالة" في نفس العدد مقالاً بتوقيع عبد الحفيظ نصّار

من دمنهور جاء فيه: "المني حقاً الأسلوب الذي تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له في الحياة الأدبية أثر لا ينكر. ومن المعروف أن أبا شادي بذل مجهوداً صادقاً في خدمة الأدب الحديث. وأقل ما يُنسب إليه من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفرهم، الشباب منهم بنوع خاص، ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٣٢) وسكرتيرها أبو شادي؟ وأعتقد أنه قبل مجلة "أبولو" - وهي مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير في عالم الصحافة العربية - كان القارئ العربي لا يعرف شيئاً عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص، نذكر في طليعتهم الشاعر أبا القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤). فهل أفسد أبو شادي سليقته؟".

ولما فاضت الكأس بأبي شادي، أصدر بياناً شاملاً للمواطنين المصريين نشرته مجلة "الصباح" القاهرية لصاحبها مصطفى القشاشي في عددها بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٥١ قال فيه: "أمنت بأن العوامل التي أرغمتني إرغاماً على الهجرة عن وطني لا تزال سائدة، بل إنها شرٌّ مما كانت عليه. وبناءً على ذلك فإني سأقضي في أمريكا البقية القصيرة الباقية من حياتي، وعلى الأخص بعد اشتداد المرض عليّ في أواخر نيسان (إبريل) من هذا العام، حتى أنني لم أنج من الموت إلا بأعجوبة. والآن، بعد اضطراري إلى تنظيم استقرار في أمريكا نهائياً، لا أطلب إلا تركي وشأني هنا. والأولى بأولئك الأصدقاء والمريدين الذين يودّون، كرماً منهم، عودتي إلى مصر ألا ينسوا أن شخصي هو مبادئ وتفكير فحسب. وسأظل إلى آخر أنفاسي على هذا العهد من الحب والوفاء، دون نظر إلى أي جزاء".

هـ. لئن عاين أبو شادي بالقطيعة مع مصر، وقرّر في حزم صارم ألا يعود إليها حتى في صندوق، فهو لم يكف عن الحنين إلى مصر والتغني بها في شعره. ففي قصيدة عنوانها "وطني قال:

مَنْ مَبْلَغُ وطني الحبيب تلهفي للقائه كتأسفي للقائه

لَجَّ الحنين وما عرفت بهجرتي
وطني الذي رُبِّيتُ تحت سماءه
ورضعت من أزهاره، وسكرت من أسماره، وشربت من أضوائه
مَنْ لَيْسَ يَغْدُلُهُ سَوَى حُبِّي لَهُ
مَنْ طَالَمَا غَنِيَتْ فِي أَفْيَاءِ،

أَنْ أَسْتَخَفَّ بِعَنْفِهِ وَزَكَائِهِ
ووهبتَه فَنِّي نَجُومِ سَمَائِهِ
حُبًّا تَشْرَدُ كَالْيَتِيمِ التَّائِهِ
بِرُؤَايِ حِينَ سُجِنْتُ فِي أَفْيَاءِ

وقال في قصيدة عنوانها "لا تهزوا روعي":

لا تهزوا روعي لفرط ولوعها
مصر الحبيبة جنة لا أشتهي
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت
إن كان عاقبني الزمان بغربتي

دمعي الذي تَأْبُونُ بعض دموعها
منها الخيار، فخيرها بجميعها
بحياتها، وتصوّرت بصنيعها
فلقد أفاء عليَّ حُلْمٌ بديعها

وفي قصيدة عنوانها "الزيارة الأخيرة" قال:

وددت قبـل ممـاتـي
وإن أكـن في جنـانٍ
ولم أزل في جنـينـي
يهتـاجـني كل صـفوٍ
أهـفـو إليـك وأعـصـي
وإن عرـفـت جمـودي
فإن تجوهرـت عمـداً
وظـلّ مثـل وفـائـي
فبالنَّفْيِ أجـدى لثـلي
حتـى أجـود بروحـي

أراك يا مصر مرّة
فريدة الحسن حُرّة
إليك أكرع جمرة
وقد أعانني المسرة
روحـي وأرسل عبـره
فما عرـفـت المـبرـه
وأصبح الحـب غـمـره
مرمـى لحـقـد وغـيره
والبعد أسـلم عـثـره
ولا أفـوز بنظـره!

في شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٦ افتتح الدكتور أبو شادي لنفسه مكتباً في شارع ماديسن بنيويورك أطلق عليه اسم "المكتب الأدبي المصري" في حين اتخذ لنفسه منزلاً في ضاحية جامبكا. وظلّ يزاول أعماله الأدبية ومحاضراته الجامعية من هذا المكتب إلى أن قرّر راديو صوت أمريكا الاستعانة بخدماته في الترجمة وتأليف المسرحيات وإلقاء نماذج من شعره، مع الانتقال إلى واشنطن العاصمة، فاختار لإقامته بيتاً ذا حديقة جميلة، وكان قد تزوج أمريكية من أصل إيطالي وتبنى ابنها الذي رزقت به من زوج سعودي سابق وصار هذا الابن يعرف إلى هذا اليوم باسم كلايف أبي شادي.

كنت مبتوت الصلة بأبي شادي وهو في مصر، فلما هاجر إلى أمريكا وأقيم له مهرجان التكريم الحاشد في فندق والدروف أستوريا - وقد تقدّم الحديث عنه - أطلعني صديقي الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١٩٠٢ - ١٩٨٣)، وهو من رواد أبولو، على تفاصيل هذا الحفل، ووافاني بالكلمات التي ألقى فيها وكذلك بصورة بانورامية للجمهور المجتمع في قاعة الزمرد، فنشرت في "المقطم" صفحة كاملة وصفت فيها هذا المهرجان المصري في نيويورك تزيّنها الصورة الفريدة. وقام السحرتي بعد النشر بإرسال نسخة من الجريدة إلى أبي شادي الذي أهداني ديوان "من السماء". ولما شكرته على هديته، بدأ يرسلني بانتظام اعتباراً من ٨ أيار (مايو) ١٩٥٠ وكانت آخر رسالة تلقيتها منه مؤرخة في ٨ نيسان (إبريل) ١٩٥٥ أي قبل وفاته بأربعة أيام. كان أبو شادي يوم الوفاة جالساً في حديقة منزله بين المناحل التي يربي فيها النحل عندما صرخ قائلاً إنه فقد الرؤية تماماً، ولم يلبث أن لفظ أنفاسه متأثراً بجلطة في المخ. ومن المفارقات المغيظة أنني زرت واشنطن في شهر تموز (يوليو) من العام نفسه، أي بعد ثلاثة أشهر من وفاته، ولو تقدّم موعد زيارتي أو لو أرخى له في العمر هذه الأشهر الثلاثة لصافحت وجهه بدلاً من الوقوف على قبره في ولاية ميريلند الذي دلّني على موضعه ابنته الوفية صفية، فهو مدفون في قبرٍ مُسوّى بالأرض تغطيه لوحة

من البرونز نقش عليها اسمه وتاريخا ميلاده ووفاته. أما المقبرة التي تضم رفاتة، وهي بحدائقها وزهورها تكاد تكون دوحة غناء، فتعرف باسم non-sectarian cemetery وفيها يدفن أبناء الطوائف غير المسيحية، حتى الهنود. ولذلك أقيمت فيها محرقة لإحراق جثث الهنود. ولأنني عرفت من صفة أن القرنفل الأبيض كان أحبّ الزهور عند أبي شادي، فقد وضعت باقة من القرنفل في أصيص مثبت على المقبرة بعدما ملأناه بالماء.

أما مكتبة أبي شادي التي خلفها وراءه في مستودع "بوترد" جمرك الاسكندرية معبأة في صناديق، فقد بقيت جاثمة في مكانها نحو ست سنين، ولم تسلم من آثار الأنواء والرياح الهابة ومن الأمطار السخينة التي تتعرض لها الاسكندرية. وكان أبو شادي قد كلف مندوباً بأن يسعى لدى الجهات المعنية لشحن هذه الصناديق إليه، ولكن الإجراءات البيروقراطية المعقدة حالت دون ذلك، وعندما كاد أبو شادي يفقد الأمل نهائياً في الإفراج عن كتبه التي يحتاج إليها في دراساته ومحاضراته، استنجد بي ظناً منه أنه بوسعي تذليل العقبات الخانقة. وكان لوزارة المالية المسؤولة عن الجمارك وكيل واحد - وليس عشرات من الوكلاء كما هو الحال اليوم - وكان هذا الوكيل صديقاً لي، وكان على درجة عالية من حسن الفهم والقدرة على الحزم والتغلب على التعقيدات الدهرية، ألا وهو الدكتور محمد توفيق يونس بك الذي صار بعد ذلك رئيساً لديوان المحاسبة. وحتى لا أخرج به بالاتصال الشخصي، بعثت إليه برسالة على ورق عادي وبالبريد العادي. كلفتني خمسة مليمات هي رسم البريد، ولم تكن وقتها نعرف الدمغات التي تباهظت قيمتها، ولا عرض حالاتها القبيحة! وأوضحت له في رسالتي أن أبا شادي يسخر كل حياته في مهجره لخدمة وطنه وأمتة وثقافته العربية، وأنه في أشد الحاجة إلى مكتبته الخاصة التي تتعرض في جمرك الاسكندرية لعوامل التعرية المدمرة، وأنه ليس تاجر كتب وإنما عالم كبير يقتني هذه المكتبة للاستعانة بها في مآربه الأدبية والعلمية. ورجوته بأن يأمر بالإفراج عنها إنقاذاً لها من الدمار

المحتوم، وخدمة لرسالة الثقافة والعلم التي يضطلع بها أبو شادي في أمريكا. وبمجرد وصول رسالتي إلى الدكتور يونس هاتفني قائلاً إنه أصدر أوامره المشددة بالإفراج فوراً عن الكتب، ولكن بعد عرضها على الرقابة، لأن الرقابة ليست من سلطانه أو مسؤولياته. فكتبت إلى مندوب أبي شادي في الاسكندرية لأبلغه أن أمر الإفراج قد صدر، ولم يبق إلا الاتصال بالرقيب الهام، ورجوته أن يلح على هذا الرقيب بأن يعجل بمهمة الإفراج، ولا بأس طبعاً من إمهاله فترة معقولة لقراءة نحو خمسة آلاف كتاب باللغتين العربية والإنكليزية! وكأي موظف حكومي لا يتعب نفسه كثيراً في أداء عمله، طلب قائمة الكتب ووقع عليها دون أن يقرأ كتاباً واحداً إيراً لزمته! وعلى الأثر، شحنت الكتب إلى وجهتها فوصلت إلى أبي شادي في نيويورك في أواخر عام ١٩٥١ أي بعد ست سنين من هجرته وبقائها جاثمة في مستودع جمرک الإسكندرية.

وكنْتُ أحسب أن أبا شادي سيفرح بوصول كتبه إليه، ولكنه كتب إليّ رسالة تاريخها ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥١ جاء فيها: "لم أشأ أن أبلغك من قبل عن المأساة التي أصابت صناديق كتبي حتى لا تتكدر، وحتى نصل إلى حل. فأولاً، الصناديق وصلت مكسورة الجوانب ومسروقة منها مئات من الكتب حتى اضطرت مصلحة الجمارك هنا إلى سدّها بألواح من الخشب. وثانياً، ضاع صندوق كامل فلم يصل. وثالثاً، جميع المخطوطات والمستندات والرسائل الأدبية المهمة مفقودة، ولم أعثر إلا على مخطوط ديوان عبد الحكم الجراحى (وهو من شهداء الوطنية من طلاب جامعة نؤاد الأول في الثلاثينات من القرن الماضي) وأشياء قليلة أخرى. وأما ديوان "ترنمات الشيطان" للزهاوي فلم نهتد إليه. وما زانا في أخذ وردّ مع شركة الملاحة دون جدوى إلى الآن. وأنا لا يهمني التأمين، وإنما تهمني تلك الآثار الأدبية".

ومخطوط ديوان "الترنمات" للشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦) يحتاج إلى وقفة. كان هذا الشاعر العراقي قد أودع

مخطوطة هذا الديوان لدى صديقه سلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨) بغية نشره ذات يوم لأن في المخطوطة شطحات عُرفت عن الزهاوي وقد لا يرضى عنها الرقيب. فقام سلامة موسى بإيداعها لدى أبي شادي لأنه كان مستهدفاً من رجال الشرطة الذين كانوا يقتحمون بيته في أي وقت ويصادرون كتبه وأوراقه كلما تكررت عملية اعتقاله، وبقي هذا المخطوط لدى أبي شادي. ولكنه بحث عنه ضمن صناديق كتبه عند وصولها إليه فلم يعثر له على أثر وأعتقد أنه كان ضمن المفقودات، وهو اعتقاد لم يفارقه إلى وفاته. واتفق أن كريمته صفية كانت تقلّب في كتبه بعد ذلك وعثرت مصادفة على المخطوطة، فقامت باستنساخها وأهدتني نسخة منها مع رجاء بعدم نشرها لأن الديوان كان عهداً أو أمانة لدى أبيها ولم يكن مرخصاً له في نشره.

وفي هذه الأثناء كان الشاعر العراقي هلال ناجي، اللاجئ السياسي في القاهرة، يعدّ كتاباً عن الزهاوي، ورغب إليّ في مساعدته في الحصول من أسرة أبي شادي في أمريكا على نصّ ديوان "الترنمات". ووعدته بذلك دون أن أذكر له أن الديوان تحت يدي، ولكنني تعهدت بعدم نشره استجابة لرجاء صفية أبي شادي. ولما تكررت زيارته واشتدّ إلحاحه قلت له إن صورة الديوان عندي، ولكنني وعدت بعدم نشرها، فقال إنه لا ينبغي إلاّ الاطلاع عليه للاسترشاد بالديوان في بحثه عن الزهاوي، وإنه سيعيد المخطوطة إليّ دون تأخير. وتلقاء إلحاحه ووعدته بعدم نشر الديوان، أعرتة إياه. وفوجئت بعد ذلك بصدور كتاب "الزهاوي وديوانه المفقود" وفي متنه النص الكامل لديوان "الترنمات" الذي زعم المؤلف بأنه بحث عنه بنفسه جاهداً حتى عثر عليه!

وكنت احتكمت إلى أستاذنا العقّاء في تحرّي مدى نسبة هذا الديوان إلى الزهاوي، فكتب مقالاً نشرته في مجلة "قافلة الزيت" السعودية التي كنت أمثلها في مصر وذلك في عدد أيار (مايو) - حزيران (يونيو) ١٩٦٣ أكد فيه

"أن كل الشواهد والقرائن مقنعة بل قاطعة في إثبات نظم الشاعر لجملة القصائد والمقطوعات التي احتواها ديوان الترجمات".

وقد يسأل القارئ عن مصير مكتبة أبي شادي الخاصة، سواء ما كان يقتنيه من كتب في مصر أو ما استجدّ من كتب اقتناها أو أهديت إليه في أمريكا (وكنت أوافيه بناءً على طلبه بما يزيد كيلو غرامين يومياً من الكتب الصادرة في مصر والبلاد العربية). فبعد وفاته قامت كريمته صفية بإهدائها إلى مكتبة جامعة يوتا UTAH الأمريكية عندما كان المؤرخ المصري الدكتور عزيز سويلال عطية (١٨٩٨ - ١٩٨٨) صديق أبي شادي يعمل أستاذاً للتاريخ فيها. فخصصت الجامعة لها جناحاً وعهدت في الإشراف عليه إلى أمين مكتبة من أصل عربي.

وعندما أصدر الشاعر المهجري جورج صيدح (١٨٩٣ - ١٩٧٨) موسوعته الضخمة "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" لم يعترف بأبي شادي شاعراً من شعراء المهجر. ولكنني راجعته في هذا الرأي، وقلت له إن أبا شادي كان حريصاً على أن يؤكد للدارسين أن المرحلة المهجريّة في حياته - وإن تكن امتداداً للمرحلة السابقة عليها في الوطن - إلا أنها قد تميزت عنها بخصائص جديدة أكسبتها إياه حياة المهجر فتراعت في آثاره الشعرية النثرية، حيث ازدادت إنسانيته شفافية، وازداد أفقه رحابة عالمية، وازداد حنينه إلى وطنه النائي وازدادت مجاً بحكم تحلله من الوظائف والأعمال الإدارية التي كانت تبهظ كاهله، وازداد استشرافه على العالم العربي وقضايا المصيرية والتحررية، بحيث يصحّ القول بأن شعره المهجري يختلف في نسيجه وصوره ومضمونه عن شعره السابق. وقد اقتنع صيدح بوجهة نظري، وبأحقية أبي شادي وابنته صفية صاحبة ديوان "الأغنية الخالدة" في الاندراج ضمن شعراء المهجر، وأفرد لهما حيزاً في الطبعة الثالثة من هذه الموسوعة النفيسة اعترافاً لهما بهذه الصفة.

وطراً لي عند كتابة هذا الحديث أن أراجع رسائل أبي شادي الكثيرة إليّ،
فأفيتها طافحة بالشكرى من أشكال الجحود التي كانت تلاحقه حتى في
مهجره، مما اضطره إلى الدفاع عن نفسه في شعره، وكأنه إزاء اتهام
بالعقوق أو النكران كقوله:

سألوني لم ارتحلت، كائي	لم أجبهم بسيرتي نصف قرن
شادياً بالطلاق من شعري الباكي	أغني لجدهم ما أغني
ما كفاهم أني ارتضيت شقائي	لي جزاءً، ويهدمون وأبني
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا	بعقوقي، وما رعوا حق سني
وأظل الوفي رغم اغترابي	لبلاء ما غيّبت قط عني

وعندما توفي ابن أبولوبكر الشاعر إبراهيم ناجي (١٨٩٩ - ١٩٥٣)
حسيراً مقهوراً بعدما طرد من وظيفته بزعم "التطهير"، رأى أبو شادي في
محنته شبيهاً بمحنة كل شاعر حرّ مثله، فرثاه بقوله:

كيف قد غاله الردى	فجأةً، غادراً، وفرّ؟
أُثري كل ذنبه	أنه شاعر شعّر؟
أنه نغم الأسى	أنه طارد الضجر؟
أنه أنقذ السورى	من شرور ومن شرر؟

وعندما تعرضت بدوري للبطش والاعتقال في تشرين الأول (أكتوبر)
١٩٥٢ غيلةً وغدراً، أهداني أبو شادي قصيدة عنوانها "الأخطبوط" قال فيها:
هيهات أرضى أن أساوم مرّه
في الحق، أو أرضى به مدحورا
إن الإساءة من عتي فاجرٍ
ملاً البئاد مقابحاً وشرورا
ندّ الإساءة من زعيم صالح
قتل المواهب جاهداً مغرورا
إن ترتضوا هذا فحسبي أنني
أبقى بمنفאי السحيق شكورا

وعندما توفي أستاذه وصديقه الشاعر خليل مطران في عام ١٩٤٩ وكان يسميه "الشاعر السامي" رثاه بقصيدة عامرة الأبيات ختمها بقوله:
يا مصر، إن أنسَ لا أنسَ الهوى ثملاً على ضفافك في شتّى عناصره
رضعتُ فيك حناني للجمال كما ركعتُ فيك لساميه وطاهره
لألبثتُ وفيّاً لا يغيّره عادي الخطوب، أيباً في ضمائره
لئن أميتَ كفاحي في منابته فسوف يحيا كفاحي في مهاجره

أما أسرة أبي شادي التي تعيش في أمريكا فقوامها ابنته صفية التي عملت في بادئ الأمر في جريدة "الهدى" ثم انتقلت للعمل في السفارة السعودية بواشنطن وكانت تقوم بأعمال السكرتارية للأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية السعودي عندما كان يمثل بلاده في الأمم المتحدة، وعملت بعد ذلك في راديو صوت أمريكا مترجمة إلى أن تقاعدت. وهي التي حافظت على تراث أبيها بعد وفاته، وبفضلها أمكن نشر الدواوين الأربعة المخطوطة التي خلفها أبوها.

أما هدى أبو شادي فقد هوت التصوير الفوتوغرافي وعملت في وظائف شتّى كمصورة محترفة، ونالت جوائز متعددة على ما أقامته من معارض لصورها. وقد تزوجت الطبيب الأمريكي ميريل جارنت Dr. Merrill Garnett الذي يعكف منذ أكثر من عشر سنوات على الاهتمام إلى عقار السرطان، وقد نشر نتيجة أبحاثه في كتابه عنوانه "النبضة الأولى" First Pulse، ولو تنبّهت إليه الجهة المانحة لجائزة نوبل في العلوم فلعلها كانت تمنحه جائزتها.

وأما رمزي أبو شادي فقد عمل في وظائف شتّى في الأمم المتحدة، ولما تقاعد، ترك الإقامة في مدينة نيويورك الصاخبة، وانتقل إلى ضيعته يمارس فيها كل فنون الزراعة وتربية الماشية.

ولكل من هدى ورمزي أبناء وأحفاد يحمل الذكور منهم اسم "أبو شادي"، أما صفية فلم تتزوج.

أنداء الفجر

الديوان الأول للشاعر

إهداء الديوان

إلى زينب

رُبُّعُ قَرْنٍ مَضَى وَهِيَّاهُ تَمُضِي
لَمْ أَزَلْ ذَلِكَ الْفَتَى فِي جُنُونِي
ذِكْرِيَّاتُ الْهَوَى وَأَشْبَاحُ النَّشْ
أَنَا مِنْهَا فَكَيْفَ أَرْتَدُّ عَنْهَا؟
تُشِيرَتْ فِي السُّطُورِ بَعْدَ احْتِجَابِ
فَإِذَا بِي أَعُودُ طِفْلاً صَغِيراً
فَاقْبَلِي يَا سَمَاءَ وَحَيَّ زُهُوراً
وَأَعِيدِي عَلَيَّ الصُّبَا فِي نَظِيمِي
كَمْ شَقِينَا تَفَرَّقَا وَحَيَاءَ
وَرَجَعْنَا نَنُوحُ نَوُوحَ يَتِيمِي
عَلِمَ الْحُبُّ لَيْسَ غَيْرُكَ مَجْدِي

شُعْلَةُ الْحُبِّ عَنْ وَثُوبٍ وَوَمَضٍ
وَفَوَادِي بِنْبُضِهِ أَيْ نَبْضٍ
وَيَ أَمَامِي فِي كُلِّ صَحْوٍ وَغَمَضٍ
مَرْحَباً بِالْخِيَالِ لِمَسِي وَقَبْضِي!
كَنْثِيرِ الْحَيَا عَلَى زَهْرِ رَوْضٍ
بَاكِياً لَاهِياً بِأُنْسِي وَرَكْضِي
مِنْ حَيَاكَ السَّخْيِّ لَا جُودَ أَرْضِي
نَظْرَةَ الْحُبِّ يَنْتَفِضُ مِثْلَ نَفْضِي
وَحَضَعْنَا لِحُكْمِ دَهْرٍ مُمِضٍ
نِ عَلَى ذَلِكَ الصُّبَا الْمُنْقُضِ
فِي وَفَاءٍ وَلَيْسَ غَيْرُكَ خَفْضِي!

أحمد زكي أبو شادي

بولية سنة ١٩٢٤

أنداء الفجر

مِنْ دُمُوعِ النُّجُومِ، مِنْ سَهَرِ العَا
فِي حَنَانٍ وَرَقَّةٍ وَهِيَ لَا تَمُ
فِي تُغُورِ الأزْهَارِ، فِي أَلْقِ العُشْرِ
وَهَبَتْ حُسْنَهَا الضَّحِيَّةَ لِلشَّمِ
وَيَعُودُ الفَجْرُ الوَفِيُّ بِهَا بَعْدَ
هِيَ مِلْكٌ لَنَا حَيَاةٌ وَمَوْتاً

شَقِ صَيِّغَتْ وَمِنْ رَجَاءِ الحَيَاةِ
لَكَ مِنْ عَمَرِهَا سَوَى لِحَظَاتِ
بِ، وَفَوْقَ الغُصُونِ تَحِيَا وَتَفْنَى
سِ كَأَنَّ الفَنَاءَ لِلشَّمْسِ أَغْنَى
ثَاً، وَلَكِنْ تَعُودُ تَمْضِي الضَّحِيَّةُ
وَهِيَ بِالرُّوحِ صُورَةُ الأَبَدِيَّةِ

الحب والأمل (نظمها الشاعر وهو عليل)

وَفَى الرِّبِيعُ فَحْيُ الحُبِّ والأَمَلِ
وَاحْفَظْ حَدِيثَ الغَوَانِي فِي أَزَاهِرِهِ
مِنْ كُلِّ هَيْفَاءٍ إِنْ مَاسَتْ وَإِنْ نَظَرْتُ
رَبَّنْتَ إِلَيَّ بِلَحْظٍ نَاطِقٍ لَعِبٍ
يَا رَائِقَ الشُّعْرِ هَلْ بَلَّغْتَنَا نَبَأً
يَخْطُو إِلَى المَوْتِ وَالْآلَامِ تَلَفُّتُهُ
لَيْتَ الوَفِيِّ الَّذِي تُنْسَى مُرُوءَتُهُ
إِنْ عَاشَ كَانَتْ عَلَى التَّسْهِيدِ نَضْرَتُهُ
لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ رَأْيٌ عَلَى سَبَبٍ

وَسَائِلِ الذِّكْرِ إِنْ كَانَ الفَوَادُ سَلَاً
وَاحْرَصْ عَلَى النَفْسِ أَنْ يُدْنِيَ لَهَا الأَجَلَاً
لَمْ تَتْرِكْ القَلْبَ إِلَّا حَائِراً وَجَلَاً
وَالسُّحْرُ إِنْ عَزَّ لَا أَبْغِي لَهُ بَدَلَاً
عَنْ حَالِ مَنْ كَانَ لَوْلَا العَهْدُ مُرْتَجِلَاً
إِلَى العُهُودِ فَيُتْنَى جَارِعاً خَجَلَاً
مَا عَاهَدَ البَدْرُ أَنْ يَرْعَاهُ مِمْتَثَلَاً
أَوْمَاتُ أَزْجَى المُنَى مِنْ قَبْرِهِ رُسُلَاً
وَرُبَّ صَوْتٍ ثَنَى^٢ مِنْ هَمِّهِ وَجَلَاً

^١ راحلاً من هذا العالم. يشير إلى مرض سابق.
^٢ ثنى: طوى.

سهلٌ لديه التأسّي عن مدامعه
رأى النعيم هموماً في صبابته
ما أجزع الصبّ يُبكيه متيمه

* * * * *

ودعت همّي، وهمّي كله أملٌ
مرّت كحلّم يجاريه الدّلالُ فلا
وداعبتني بصوتٍ خافتٍ وبكت
الدّهر فرّقنا، والدّهر ألقنا
الكونُ زاوٍ قشيب، والظلام سنأً
فاجلُ القريضِ وحدث طائراً غرداً
فسرتُ في الروضِ من فرط الهوى ثملاً
والطيرُ دانٍ فلما جئته خطرُ
والله لستُ الذي يرضى السّهاد له
يا طيرُ المِت نفسي - كلنا ديفٌ
ويا زهوراً كساها من مدامعه
ويا شُعاعاً سُحرنا من تألقه
ويا نجومأً توافينا وما برحتُ
ويا أديماً جلسنا في بدائعِهِ
ويا ملاكأً يحيينا وما فتئتُ
ويا زمانأً نعمنا من نضارته
ويا ربوعأً وقفنا في معابدها
لا قلتُ معنى يروق الشّعَر جوهرة

يومَ اللقاء، فأماً في الوداع فلا!
وقربَ الحسنِ مثواه له فحلاً
منَ الجمالِ، وما أهناه لو وصلاً

يا ربّ لحظْ ولفظْ في الهوى قتلاً
نمتُ عليه، ولا أخفتُ له مثلاً
وقربتني وقالتِ حسبنا جدلاً!
فانسَ الذنوبَ، ولا تعتبُ لما فعلاً
والنورُ كنزُ معانٍ تُبهج المُقلأً
واذع النّسيمَ ولحنٌ بعده زجلاً
مثلي النّسيمُ بدا من رقةٍ ثملاً
فيه الظّنون فخلّى إلفه وعلاً
حتى يخاف، ولكن لستُ من عدلاً
ما كنتُ باعدتني لو كنت من عدلاً
هذا الغمامُ عقوداً نضرةً وحلى
يبكي ويلعب بسّاماً ومقتلاً
نُفسي حديثُ الدّجى، لا تعرف الخجلاً!
يأبى علينا الهوى أن نترك الغزلاً
منه اللّحاظ سهاماً.. ليتَه غفلاً
والأنسُ وقفٌ عليه دامٌ أم أفلاً
أسرى الجمالِ، نزعُ الحبِّ والأملأً
لو أن بعضَ نعيمي من هوائِ خلا!

حياتان

أمي (الطبيعة)! في نجواك إسعادي
وفي حمى أخوتي من كل طائفة
ما بالها هي صفوي وحدها فإذا
كأنما الناس أعداء: فبعضهمو

وفي ابتعادي أعاني دهري العادي
وكل نبت نبيل وحيك الهادي
رجعت للناس لم أظفر بإسعاد؟
حرب لبعض وحساد لحساد!

حظ الناقمين

فؤادي برغم الحادثات كبير
تلين لي الأيام في كل شدة
سلخت من الأعوام بضعا وعشرة
وفي النفس حاجات وفي القلب لوعة
وما انقطعت أسباب أنس ونعمة

وطرفي وإن عز العفاف كسير
ولو أن جل الفاتحين أسير
أقيم على دين العلى وأسير
على أن كلي همّة ومزير^١
ولكن حظ الناقمين عسير!

التبرم

يا رب! كيف خلقتني متبرماً
أتراك أنت معلّمي، وكأنما

بالناس حين وددت هذا الناس
قد عشت في ندم وعشت ثواسي؟!^١

^١ المرير: العزم.

الألوهية

ملكوت قلباً عليلاً	جنى الغرام عليه
فراق رب الله فيمن	فؤاده في يديه ^١
وسائل اللحظ عمّن	يذوب شوقاً إليه
وسامح العبد يوماً	فأنت ربّ لديّ!

الشاعر المصور^٣

(أصلح الشاعر ببراعته صورة حبيبته التي لم يحسن المصور إخراجها)

كذب الضياء على المصور مرة	أخفى بها المشهود من آياتها
فوضعت في كفي براعة عاشق	كان البيانُ يجول في لفتاتها
ونقشت تأثير العيون لأنني	أدرى بوقع السحر من نظراتها!

قوس قزح

ملهى السماء يرشّنا بثيره	والماء ذوبُ أشعة وأغاني
والسحب تلعب فيه لعبة صاعر	أو هابط درجاً من الألوان!

^١ أي يقدمه إليك.

على صفحة الماء

يشقّ القاربُ المزهوُّ مثلي
فيُسِرُّ صفحةً للماءِ راقِثُ

طريقاً في المياهِ مع ابتهاجي
ونسَمُعُ صوتَ تكسيرِ الرُّجَاجِ!

إلى سجين القلم (محمد فريد بك)

مَنْ كَانَ يدركُ في الوجودِ هواكَا
لستَ الذي يجدُ الحياةَ بغفلةٍ
نفسٌ لديها المجدُ خدمةً قومها
تشقى وتَضُرُّعُ أَنْ تموتَ على هدى
حجبوا سنّاكَ عن العيونِ وما دَرَوْا
أكرمتَ نفسك هادياً ومفادياً
والحرُّ أَوْلَى أَنْ يجودَ بنفسه
سيانٍ كنتَ بنعمةٍ أو نقمةٍ
سيانٍ كنتَ مقرباً أو مبعداً
وكفاكَ فخراً أَنْ تناضلَ دولةً
والعمرَ ساعاتٍ يطيبُ أمرُها

أسفاً عليه إذا بكى ولحاكَا
ويعافُ في بثِّ اليقينِ حراكَا
تستعذبُ الآلامَ والإنهاكَا
لا ترهبُ الأغلالَ والأشراكَا
أَنْ القلوبَ خالاهنَّ سنّاكَا
شعباً يقيمُ على الدوامِ فدّاكَا
من أَنْ يرومَ عن الصوابِ فكاكَا
ما دمتَ تُرضي بالجهادِ حجاكَا
ما دامَ حربُ العابثينَ مُناكَا
كم أرهقتَ مِنْ مصلحينَ سِواكَا
لو أنّ في حسمِ الضلالِ هلاكَا

عهد الصبابة

خَطَرْتُ فَمَكَّنْتَ الهوى تمكيناً
نَزَعْتَ بَرَقَتَهَا الشعورَ فأشفقتُ
تَخَشَى الملامَةَ فِي الغرامِ إِذَا عَفْتُ
عُودْتُ مَرَّ العيشِ حَتَّى لَمْ أَبْتَ
مَا يَنْفَعِ الصَّبَّ الكئيبَ مِنَ الجوى
أَسْفَى عَلَى عهدِ الصبابة لَمْ يَكُنْ
أَسْفَى عَلَيْهِ وَقَدْ فَقَدْتُ شَبَابَهُ
وَوَضَلْتُ مُحْزُوناً أَكْفَكَفْ أَدْمَعِي
مَتَصَدَّعاً مِنْ لَوْعَةٍ، مَتَرَا جِعاً
يَا حَسْرَةَ القلبِ الضعيفِ إِذَا رَجَا

وَشَدْتُ فَرَجَّعْتَ القلوبَ رنيناً
وَبَكَتُ فَكَانَ أَنِينُهَا التَّأِينَا!
فَجَفْتُ وَكُنْتُ عَلَى الشَّقَاءِ أَمِينَا
إِلَّا بِصِيرَافٍ بِالهَمومِ رَزِينَا
حَتَّى يَحْنُ إِلَى البكاءِ حَنِينَا؟!
إِلَّا شُعَاعاً كَاذِباً مَظْنُونَا!
وَوَهَبْتُ فِيهِ فَوَادِي المِغْبُونَا
أَمَلًا، وَعَشْتُ مَتِيماً مَفْتُونَا
مِنْ هَيْبَةٍ، مَسْتَغْفِراً، مَسْجُونَا
مَنْ لَا يَزَالُ عَلَى الوَفَى ضَمِينَا!

غدر الجمال

بَسَمْتُ فَمَا فَتَكْتُ وَمَا عَبَثْتُ
وَرَنْتُ فَمَا أَحْيَيْتُ وَمَا قَتَلْتُ
اللَّهُ فِي حُسْنٍ يَحْيِرُنَا

إِلَّا بِمَهْجَةٍ صَبَّهَا العَانِي
إِلَّا الْمَشُوقَ لَطَرْفَهَا الرَانِي
مِنْ لَحْظِهَا الْمُتَخَشَّعِ الْجَانِي!

بعد الفراق

ويومَ أثارَ البينُ كامنَ لوعتي
نفضتُ الكرى وارتحتُ للبثِّ بعدما
يكاد يكونُ الحبُّ ديناً أعزُّه
ولكن يهون البؤسُ في كل لحظةٍ
نزحتُ عيوناً عن بلالٍ أحبها
أقمتُ بها عمراً على الوجدِ صابراً
ذكرتُ بها بديراً ضللنا لبعده
سلامٌ على حسنٍ دفنًا سهامه
سلامٌ وفي نفسي شجونٌ كثيرةٌ
تحملتُ قلباً دامَ رهن ودادهم

وأغرقتُ في شكوى تخفف من همِّي^١
تهالكتُ ما بين الصَّباةِ والسُّقمِ
وهذا الشَّقَاءُ العذبُ مِنْ مُنتهى همِّي^٢
إذا زاد حِفْظُ العهدِ غمّاً على غمي
تساق بها الأحرارُ للخسفِ والضَّيْمِ
وخلفتُها بين التلفتِ والْأَمِّ
فأرسلتُ توديعَ الفؤادِ على اليمِّ
بأضلّعنا بين التكتُّمِ والنَّمِّ
تفيض لدى التذكارِ في مدمعي الجمِّ
وما زال مملوكاً على الطَّوعِ والرَّغْمِ!

الطب الحائر

نظر الطبيبُ إليَّ نظرةً ناقدٍ
والطبُّ يقصرُ عن شفاءِ مُسَهِّدٍ
ما كلُّ بأسٍ في الجسومِ بصحةٍ
والعيشُ عيشُ حقائقٍ ودقائقٍ
نفسي تحركها الهمومُ إذا بدتُ

أعياء مكمُنٍ علّتي ودوائي
ألفَ الأسى لتسفلَ الأهواءُ
أو كلُّ وهنٍ للجسومِ بداءٍ
والموتُ موتُ سلامةٍ الآراءِ
مكونةٌ في أنفُسِ الضعفاءِ

^١ حزني.
^٢ اهتمامي.

والناسُ في هذي الحياة غنيُّهم
أينَ العقولُ وأينَ أربابُ النُّهى؟
في القلبِ همٌّ لا أجلٌ بغيره

قد يستطيبُ تحرقُ التُّعساءِ
أينَ الشَّعورُ وحكمةُ الرُّحماءِ؟
والمرءُ صورةٌ حسُّه المترائي

دمعة على قبر

(قيلت في حسناء انتحرت ياساً لفقد عزيز لديها)

مودعة الأيام والعمر شقوة
فزعت من الدار التي طال همُّها
نفوسٌ على الوجد الذي فيك كله
تلمسُ في الأحزان سلوى، وهكذا
أميطي لثاماً أسدل الموتُ تشرقي
حرامٌ على قلبٍ عرفنا كماله
حرامٌ على شمسٍ أضاعت بطهرها
حرامٌ على روضٍ نمونا بمائه
أكان الردى حلواً لفقدٍ فقدته
وخلفت أماً على العسر لم تحل
فيا دهرُ ما أقساك! للبأس غاية
حناناً ورفقاً بالألى غاب أنسهم
دموعي وإن قلت وفي الدمع راحة—

علي سلام الحب في القرب والهجر
وبنت، وهذا البين أقرب للغدر
تقلب بين الموت واليأس والصبر
ينيش شفي العمر في السقم والمر
حناناً... عساه الآن يطفئ من جمري
يرد رجاء الحي للتراب والقبر
تغيب ونحن اليوم أحوج للطهر
يجف بلا ذنب جنينا ولا عذر
فأحببته حباً وإن كنت لم تدري
وكنت أظن العسر يخلف باليسر!
وأنت تخال اللين يعقب بالخسر
وشئتته فقد الملاحاة والبر
نداء شجون يزدهمن على صدري!

* * * * *

وأنت أيا سراً من الله لم تكن

لنذكره إلا على الطهر والبشر

ذكرتك مبكياً شاباً خذلقه
بخلت على الوافين بالعيش والردى
فلا تهزني من عبرة حاجها الأسى
ولا تضحكي من دار جهل ونقمة
فما البؤس كل البؤس في الفضل والهدى
وليس جزاء الميت بالحي يرتجى
فجارك في الدنيا عفاف عبدته
إذا قلت لم أنطق عن الزين والهوى
جمالك في نفسي، وذكرك في فمي

وحسن حواه النعش في غيبة البدر
ولا بد هذا الجمع يتبع في الإثر
فما كل دمع سال عن ذلة يجري
وأوحي إلى الأحياء عن مخبأ الفجر
وما الحظ كل الحظ في الشر والمكر
وكيف وكل الناس في حيرة السفر
ونبل رواه النبل في ذكرك العطر
وحسبك أني لا أرخص من شعري
وشخصك في عيني مقيم وفي فكري

الدنيا

لمست قلبي بكف مسها وجل
إن كان همي من الدنيا وفتنتها

من الخفوق فلم أعرف له سبباً
عم الهوان فما بات الشقا عجباً

الراحل المقيم

(قيلت في جنازة المرحوم محمود عبد الغفار بك
النائب الوطني الكبير والعضو بمجلس المعارف الأعلى)

ماذا تؤمل من رحيم صامت
يبكي عليه الناشئون وما بكوا
والذكر يفقده الخؤون لقومه

والموت حق والمؤمل راحل
جسداً يشيعه الجبان الغافل
والحر يرفعه الشعور الكافل

والعقلُ أسخفُ ما يكون مؤلّهاً
غَضُّوا العيونَ فما الرجالُ بكثرةٍ
واصغوا إلى صوتِ تردّدِ داوياً:
فالموتُ أصدقُ ناطقٍ عن عبْرَةٍ
والخلدُ أقربُ ما يكون لو أنّما

بأساً يعزّ به الذليلُ السافلُ
وابكوا فقد ذهبَ الحكيمُ العاملُ
إنّ الحياةَ مآثرٌ وجلائلُ
والفضلُ يعرفه الأبى الفاضلُ
تُعزّي إليه رواتبٌ ومنازلُ!

شفيعي

شفيعي لدى الحسن الذي لاح سرُّه
خيالُ أطال الحبُّ مثواه أمناً
إذا كان لا يرثي لضعفي وشِقوتي
أرومُ النوى - والبعدُ في نكره جوى -
ومن كان لا يحييه سخناً ولا رضى

بعيداً وما أدريه في لحظة القربِ
بنفسي، وصفو العيش في سكرة الحبِّ
فإني برغم "العهد" أشكو إلى ربّي
وهيهات بعد البين يُسعدني قلبي
فكيف يُقضي العيش في حيرة اللبِّ!

عيش الحر

قليلٌ على الأحران ما انهدَّ من جسمي
بكيّت وما أبكي على سالفِ الهوى
يصيحون من خوفٍ على سرِّ عيشهم
جسومٌ على الإفساد تُفني رجاءنا
جسومٌ برغم الزجر أسرى لعصبيه

إذا كان عيشُ الحرِّ أشبه بالإثمِ
وحولي الألى ييكون من خَشْيَةِ الفهمِ!
إذا غابَ نورُ الحسِّ بالحالكِ الجمِّ
وتدفعُها الأطماعُ للخسفِ والضيمِ
تحركها الغاياتُ في القيدِ والكمِّ

وَمَنْ كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِسْعَادُ قَوْمِهِ
تَرِيدُونَ إِعْزَازَ النُّفُوسِ الَّتِي هَوَتْ
تَرِيدُونَ تَسْخِيرَ الْعُقُولِ الَّتِي سَمَتْ
أَفَيْقُوا فَإِنَّا أُمَّةُ الدَّهْرِ لَمْ نَزَلْ
أَفَيْقُوا فَلَسْنَا الْيَوْمَ نُغْضِي عَلَى الْقَدَى
فَهِيهَاتَ سَتُعَلِّي عَلَى الْحَقِّ قُوَّةٌ
وَأَقْسَمُ أَنَّ الشَّعْبَ لَا بَدَّ يَعْلَمِي
وَلَوْ شَاءَ رَبُّ الْمُلْكِ إِسْقَاطَ أُمَّةٍ
فِيَا مَجْدَ مَنْ يَسْعَى بِنَفْسِ أَبِيَّةٍ
إِذَا صَحَّ أَنَّ الْأَمْسَ وَلَّى بِخِيَّةٍ

أَحَقُّ بِفَقْدِ الذِّكْرِ لَا الْقَدَحِ وَالذَّمِّ!
وَمَا يَصْنَعُ الْمَغْلُوبُ بِالسِّيفِ وَالسَّهْمِ؟
وَتَخْشُونَ مِنْ بَأْسِ الْحَقِيقَةِ وَالْعِلْمِ
نَهَشَ عَلَى الذِّكْرِ فَكُونُوا عَلَى وَجْمٍ!
وَرُدُّوا الرِّزَايَا مِنْ غُرُورٍ وَمِنْ وَهْمٍ
وَهِيهَاتَ أَنْ يَبْقَى بِنَاءٌ عَلَى ظُلْمٍ
وَكُلُّ فَسَادٍ أَوْ ضَلَالٍ إِلَى هَدَمٍ
تَقَدَّسَ لَارْتَدَّ بِالْخِزْيِ وَالْغُرْمِ
وَيَا ذُلَّ مَنْ يَرْضَى عَنِ الذُّلِّ وَالْهَمِّ!
فَلَا بُدَّ مِنْ فَوْزِ الْمَجَاهِدِ فِي الْيَوْمِ!

إلى الصديق الشاعر الرقيق عبد الحلیم حلمي المصري

يَا نَاشِرَ السُّحْرِ فِي يَوْمٍ بَكَيْتُ بِهِ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَمَهَلْتُنَا زَمَانًا
مِنَ الْبَيَانِ شِفَاءَ النَّفْسِ سَالِيَةً
يَهْفُو الْجَمَالُ لَشَعْرٍ قَلَّتْ أَعْذَبُهُ
وَرَبُّ قَلْبٍ - لِمَعْنَى رُوحِهِ فَتَنُ
أَحْنُو عَلَيْهِ وَأَتْلُوهُ كَأَنَّ بِهِ
فَمَا عَبَسَتْ قَلِيلًا فِي بَدَايَتِهِ
وَأَقْدَرُ النَّاسِ يُبْكِيهِمْ وَيُفْرِحُهُمْ

عَذَّبْتَ خِلَاً بِحُكْمِ الْحَبِّ لَمْ يَنْمِ
فَرْقَةُ الشَّعْرِ تُحْيِي مَيِّتَ الْأَلَمِ؟
وَمَا عَرَفْتُ شِفَاءَ الصَّبِّ فِي الْقَلَمِ
وَيَبْسُمُ الزَّهْرُ فِي سُكْرِ وَفِي حُلْمِ
يَحْيَا الْجَمَالُ بِهَا - نَاجٍ مِنَ الْعَدَمِ
وَعَدَ الْحَبِيبِ، وَأُدْنِي لَفْظَهُ لِفَمِي!
إِلَّا طَرَبْتُ وَوَلَّى بَعْدَهَا نَدْمِي
مِنْ رُوحِهِ الْحَيِّ فِي شِعْرِ وَفِي نَعْمِ

المعنى الأقدس

حبيبتي! أنتَ لي معنىً أبجلُّهُ
معنىً تَقْدَسُ في طهرٍ وفي ألقٍ
معنىً أظَلُّ سَنِينَ العَمْرِ أنشدهُ
وكلُّ مغزاهُ أن أَلقاكِ في شَغْفي

* * * * *

رضيتُ هذا الصَّبَا قربانَ أونةٍ
ما دمتِ نائِيَةً عني ففي طربي

فوقَ المعاني التي تُحْكِي بتعبيري
كالنورِ، لكنْ تَسَامَى عن سنى النُّورِ
ولستُ أعرفُ منه غيرَ تقصيري
كلاهما في مَداهِ غيرُ محصورِ!

يجيبُ فِكرُكِ فيها كلَّ تفكيرِي
هَمْ، وفي مَرَحِي شَتَّى الأعاصيرِ!

بحر الأمانِي

حمدتُ مِنَ الصَّبَا بحرَ الأمانِي
ولولاهُ ارتطمتُ بكلِّ صخرٍ
نشأتُ على الدموعِ غذاءَ رُوحِي
فصرتُ إذا ابتسمتُ رأيتُ دمعي

* * * * *

أزِنُّبُ! إنَّ حَيِّتُ فما حياتِي
ترى هل بعضُ أشواقِي يُرَجِّي
كلانا في الهوى طِفْلٌ، ولكنْ
ويا بحرَ الأمانِي أنتَ عوني

سواكِ، وما عداها الآنَ فاني
لديكِ، أم الطفولة لا تُعاني؟!
أنا الطفلُ الغَيبُ، أنا المُعاني
ولو غرقَ الهوى بينَ الأمانِي!

فؤادي

تَشَجَّعْ فِي المصائب يا فؤادي
أَلَسْتُ كجَوهَرٍ فِي طَيِّ جِسمِي
إِذَا الأَحداثُ عَضَّتْ فِيكَ فَاكسِرْ
وَلَا تَكُ فِي الأَسَى لَحماً وَرِخَواً
فؤادي ما عَدَدْتُكَ بَعْضَ جِسمِي
وَلَكِنْ نَفْحَةٌ طَافَتْ وَوَاقَتْ
فَفِيكَ مِنَ النُجُومِ شِوَاظُ نارٍ
تَلَوِّدُ بِكَ الحِياةُ وَأَنْتَ مِنْها
فصاحِبُها مِصباحُةُ المَفدَى
وَلَا تَجزَعْ عَلى دَنياءٍ تُساوِي
فَفيما تَشَتَكِيهِ نَعيمٌ يَأْسِ

وَكُنْ بِصِلاَةِ الحِجرِ الكَرِيمِ
خَبِيءٌ لَا يُعَرِّفُ لِلنَّعِيمِ؟
نُيوباً لَنْ تَنالَ مِنَ العَظيمِ
فَتَدَمَى بِالكُلُومِ وَبِالكُلُومِ
فَما أَصَلَ القُلُوبِ مِنَ الجِسمِ
عَلى خَفَقِ الشِّعاعِ مِنَ النُّجُومِ
وَفِيكَ تُدْفِقُ النُّورِ العَمِيمِ
بِمَنزِلَةِ اليَتِيمِ مِنَ اليَتِيمِ
وَلازِمُها مِلَازِمَةُ الحَكِيمِ
نَفُوسَ البُهَمِ بِالحَرِّ الصَّمِيمِ
وَبَعْضُ اليَأْسِ مِنَ صُورِ النَّعِيمِ!

أول الشهداء

لَا تَنَدَبُوا هَذا الشَّهِيدَ فَإِنَّه
زَهَبَ الضَّحِيَّةَ لِلحِياةِ بِشِعبِهِ

لَتَرِاثُ أَجِالٍ وَفَخْرُ قُرُونٍ
مَتَنزَهاً عَنِ مُشَبِّهِهِ وَقَرِينِ!

إلى صديقي الشاعر المجدد علي الغياتي*

رَدَدْتُ شِعْرَكَ مَطْرَباً وَعَلِيلاً
صَحَّ الشَّعُورُ بِهِ فَشَاقَ تَهَافُتِي
قَبَائُثُهُ وَوَعِثُهُ فَوَجَدْتُهُ
وَإِذَا الْمُهَيْبُ تَرْقَرَقَتْ آيَاتُهُ
قَلَمٌ إِذَا أَجْرَى الْوَفَاءُ دُمُوعَهُ
أَنَا مِنْ مَعَانٍ نَضْرَةٍ مَتَمَايِلِ
وَإِذَا الْبَيَانُ سَمَتْ بِهِ حَسَنَاتُهُ
فَارِباً بِشِعْرِكَ أَنْ يُذَالَ، وَلَا تَقْلُ
إِنَّ الْيِرَاعَ وَإِنْ تَدْفُقَ سَحْرُهُ
فَاذْكُرْ لَنَا قِيمَ الرِّجَالِ وَقُلْ لَنَا
حَسَبُ الْعَظِيمِ جَلَالَةً وَسَعَادَةً

وَلَكُمْ أُرْدُ مِنْ الْجَمَالِ قَتِيلاً
وَحَلَا الْأَنْيُنُ بِهِ فَكَانَ قَلِيلاً
عَذْباً بِأَمَالِ الْأَبْيِ كَفِيلاً
وَجَدَ النَّدَاءُ إِلَى الْقُلُوبِ سَبِيلاً
أَجْرَى الْبَيَانُ مَهْدَباً وَصَقِيلاً
جَذْلاً، وَأَعَشَقْتُ ذَلِكَ التَّمَثِيلَ
طُبَعَ الْجَلَالُ بِهِ فَعَاشَ جَلِيلاً
إِلَّا لَتَنْظُمَ لِلْهُدَى إِكْلِيلاً
يَبْدُو بِأَبْدِي الْعَابِثِينَ خُسَيْلاً
حَرَّ الْمَقَالِ وَأَنْتَ تُرْضِي (النَّيْلَ)
أَنْ لَا يَرُومَ عَنِ الصَّوَابِ بَدِيلاً

أوهام....

غَرَامُكَ لَا عَذْلَ عَلَيْهِ وَلَا رَدُّ
بَيَانُكَ غَلَابٌ، وَعَذْرُكَ مُفْجَمٌ
يَبِيْتُ عَلِيلاً خَافَتْ النُّبْضُ مَتَعَباً
إِلَى الْعَيْنِ مَا يُحْيِيكَ مِنْ خَطَرَةٍ حَلَّتْ

فَمَا لِلسَّنَى حَدٌّ، وَمَا لِلْهَوَى حَدٌّ
وَلَحْظُكَ بَسَامٌ، وَقَلْبُكَ مَنْقَدٌ
يَبْنُ، فَلَوْ أَصْغَى الْمَغْرَدُ لَمْ يَشُدُّ
وَالْقَلْبُ دَائٍ، فَيْكَ يَسْرِي وَيَشْتَدُّ

* أرسلت إليه لمناسبة ظهور ديوانه (وطنيتي)، وقد صودر فيما بعد.

ولولا اللقا ما كنت جذلان عابساً
حياتك لغز، والهوى كله جوى
فيا لشباب فيك لم تُبقه النوى
تركت لحكم الحسن نفساً عزيزة
ومهما يكن من دفعك السقم والأسى
وربّ صفاء عزّ في مذهبي عناً
نعم الفتى فيما يرى الأنس حوله

ولولا الجفا ما كنت تبكي وتحتدّ
يهون، فلا غمّ لديك ولا سعد
ويا لجلال منك ما فاته الصّد
وأيّ عظيم النفس في شرعه عبد
فأنت على الحالين تفتى وتنهد
وربّ شفاء دام في مذهبي رعد
وهم الفتى فيما يُخال به الوجد

حول تمثال مصطفى كامل

ودّع القلب بين مَضْنَى وخالٍ
وانظر العقل ناطقاً من جمارٍ
نظرات على الهوى باقيات
وشباب ما زال تصويرة الحق (م)
وحياة ما زال تذكّارها العذ
يا أمير النفوس هل ينقضي العم
نحن أسرى على الحياة وإن جلد

وتناس الأسى وهم الليالي
وارقب المجد صادقاً في خيالٍ
تدع الحرّ في إसार المعالي
و (م) منار الشّعور والإجلال
ب مقرر الحياة والآمال
ر وركن الهدى حليف الزوال؟
ت، وأنت العظيم في كل حال

* * * * *

لك غالٍ من الهوى غير بالٍ
صمتك اليوم مثل سعيك بالأم
ضجعة الموت رقدة السهد والوج
دُم حليف الجلال في حفرة القبر

لوفاء على المدى غير بالٍ
س مهيب لمخلد الأعمال
ع لقلب على الردى غير خالٍ
ر كما كنت يا حليف الجلال

وَأَذْكُرُ مَصْرَ وَارْفَعَ الصَّوْتِ وَالذِّكْرَ
تَخْطُبُ الدَّهْرَ مِنْ مَبِيتِكَ فِي الْخَلِّ
وَتَهْزِرُ الْعُقُولَ لِلْحَزْمِ وَالْعِزِّ
وَقَفَّةُ الشَّعْبِ عِنْدَ تَمَثَالِكَ الْيَوْمِ
أَو! كَمْ يَخْطِئُ الْمُضِلُّ فِي الْخَلِّ

رَ، كَمَا شَتَّتَ يَا فَقِيدَ الْمَعَالِي
قِ وَتَأْتِي بِأَصْدَقِ الْأَمْثَالِ
مَ إِذَا أَخْفَقْتَ فَحَوْلُ الْمَقَالِ
مَ فَخَارٌ لَهُ وَلِلتَّمَثَالِ
وَكَمْ يَزْدَرِي بِحُسْنِ الْفَعَالِ

إِنَّ مَجْدَ الْإِنْسَانِ فِي خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ دَانٍ وَغَالِي
خَافِقَاتُ لَكَ الْقُلُوبُ مِنَ الْحَبِّ (م) وَإِنْ لَمْ تَثْبُ لِبَاسٍ وَمَالٍ
وَاهِبَاتُ لَكَ الْحَيَاةَ عَلَى الْمَوْتِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَرِينَ الزَّوَالِ
يَا كَبِيرَ الْيَقِينِ فِي قُوَّةِ الْحَقِّ (م) وَيَا بَانِيَا قُلُوبِ الرِّجَالِ
يَا كَثِيرَ الْإِبَاءِ فِي دَوْلَةِ الْبَغْيِ
أُمَّةٌ تَحْفَلُ الزَّمَانَ بِمَاضِيهِ
وَتُحْيِي خَيَالَكَ اللَّيْلَ وَالْفَجْـ
يَا نَاسِفًا صُرُوحَ الضَّلَالِ
كَ وَتَعَزُّو إِلَيْكَ حُسْنَ الْمَالِ
رَ بِدَمْعٍ عَلَى الْهَوَى فَيْكَ غَالِي

أَيُّهَا الصَّانِعُ الْمَصُورُ إِجْلَالَ أُمَّةٍ - تَعْبُدُ الْهُدَى - فِي جَلَالِ
كَيْفَ وَفَّقْتَ بَيْنَ عَهْدٍ وَمَجْدٍ
صَنَعْتَ تَخْجَلُ الْبَيَانَ مِنَ الْحَسَنِ
صُورَةً تَفْتِنُ الْمَفْكَرَ مَبْهُو
ثَقُّ بِشُكْرِ الْقُلُوبِ وَالْفَضْلِ وَالْجَو
لَيْسَ بَدْعًا إِذَا حَلَفْتَ بِمَا أَتَى
وَلَكِ اسْمٌ يَصُونُهُ أَثَرُ الْعَلَمِ

نِ وَمَا بَيْنَ وَصْفِ تِلْكَ الْخِلَالِ؟
نِ وَتُزْهِى عَنْ كُلِّ سِحْرِ حِلَالِ
تَا وَعَبْدًا لَصِمْتَ هَذَا الْجَمَالِ
رَ، وَتَهُ فَاخِرًا بِذَاكَ الْكَمَالِ
قُنْتَ صِدْقًا وَاخْتَلَتْ أَيُّ اخْتِيَالِ
مَ، وَرَسَمَ بِنُضْرَةِ الْمَجْدِ حَالِي

أنفاس الخزامى

أيُّ عطرٍ فاق أنفاسَ الخزامى
بنتُ مصرٍ في حياءِ زهرةٍ
لا يراها غيرُ مَنْ كانت له
تجذبُ النحلَ إلى أكوابها
تتوارى عن عيونٍ لا ترى
أيها الأنفاسُ طيبي وانشري
كم وقفنا في مجالي نشوةٍ
لم نُقبلَ غيرَ معنى حائمٍ

في حنانٍ يملأ الروحَ سلا ماً
وخشوعاً وسلاماً وابتساماً
روحها أو مَنْ يحاكيها غراماً
وهي سكرى ترشفُ الشهدَ المداماً
دقةَ الحسنِ وأخرى تتعامى
خطراتِ الحبِّ حتى يتسامى
عند مَرَاكِ فتوناً واحتشاماً
حولنا منك عشقناه دواماً

هجر الكريم (إلى أستاذي خليل مطران)

سل النجمَ كم أودعته الحبُّ مِن فني
وربَّ جمارِ صادقِ الذكرِ مُفضِحِ
أراقبه في كلِّ ليلٍ وعندها
وأسأله تبليغَ عتبي لهاجري
وأحسبه أشجاك في وصفِ حالتي
أميرَ القوافي! أنتَ في اللبِّ ماثِلُ
توخيتُ داراً شئتُ أن نلتقي بها
فلما رأيتُ الوعدَ آمالَ حالمٍ
نثرتُ بها مِن أدمعي كلَّ درةٍ

فإنَّ له من صحةِ القولِ ما يُغني!
وأيُّ حياةٍ لا تحومُ على أفنٍ؟
أبثُّ له ما يشتكي السُّهدُ من جَفَنِي
لعلمي أنَّ الحسنَ أطوعُ للحُسْنِ
وهل كان هذا ما يخففُ من حُزني؟
وليس بياني عن سنائك بمستغنٍ
لقاءَ الوفا بالمجدِ والخدنِ بالخدنِ
وأسلمني طولُ الترقُّبِ للوهنِ
وكلفْتُها تبليغَ صدقِ الهوى عني!

عالم وعالم

أرسل الأستاذ الجليل حامل لواء النهضة الأدبية خليل مطران إلى صاحب هذا الديوان قصيدة ودية رائعة مطلعها:

يا ابن أخى بشرتني مرة
ما دمت في خير وفي صحة
ومنها:

تحكي سهيلاً قطرة من دم
كلاهما في نوعه عالم

فأرسل إليه صاحب الديوان الرد الآتي:

يا سيدي العمّ ويا مَنْ له
ما كنت إلا بضعة من هدى
هيهات أن أنسى مواعيدنا
وكيف أنساها وأنت الذي
مقالة الصدق، وحسبي غنى

يا شاعرَ العصر ويا مرشدي
نصائح الودّ التي سَطُرَتْ
تَفَتَّرُ بالإلهام وضاعة
حبّبت لي الطبَّ كائي به
استصغر العالم من عرّة
كأنما العُرفُ وإنكاره

بملتقى السبب ولم تحضر
فانس الذي تنساه أو فاذا

وتكفؤ الدرة للمشترى
أدقّه يُدهش كالأكبر!

أدين بالحلّ وبالمزهر
أهديته أنت إلى معشري
لكن تخالفنا فلم نحضر!
لولا لم أزهرو ولم أثمر؟
مقالة الصدق وحبي السري

ورافع الخلق ويا مظهري
في شِعْرِكَ الحيّ جنّى أسطري
كعهدك الدائم بالمُبهر
كَفَرْتُ بالدنيا ولم أكفر
بالعلم والجهل وبالمُنكر!
سيان في الروح وفي الجوهر

¹ يريد أخطأ كلانا في تعيين الموعد فلم نلتاق.

ما زلتُ بالباب ولكنني
والمجهر^١ الكاشفُ لا ينثني
أستنبطُ الأحياءَ في نُوره
كأنني الخلاقُ في رِقَّة
كأنما الإنسان في قبضتي
أو أنما تشريحه نفحةً

* * * * *

ما أعجبَ الطبَّ والهامه
أقصى الخيالات لأشعاره

كالهارب التائه في عسكر!
يشوقني وهماً ولا يمتري
كأنني مُستنبطُ عُصرِي!
والعالمُ الأكبرُ في مجهري^٢
مستحدثاً حياً لدى مخبري^٣!
تحية بالعلم وإن يُقبر!

للشاعرِ الناثِرِ والمجتري
لا شيءُ جَنَّبَ العلمَ في المخبر!

لوحة الخريف (١) إلى أستاذي خليل مطران

شعري لدى العمّ الخليـ
صِفْ لَوَعَتِي حينَ الخريـ
حين الصَّبَا رَهْنُ الدُّبُو
متقطّعا متوجّعا
حُلْمٌ يرويه الصَّبَا
لهفي على الحُلْمِ الجميـ
وعلى الهوى بين المعَا

لِ صِفِ الهوى في مَدْمَعِي
فُيِّنْ في ألمٍ معي
لِ حينَ قلبي لا يعي
في حُلْمِهِ المتقطّـ
فيجفُّ عندَ المنبـ
لِ مُضَيِّعاً ومُضَيِّعِي!
نَدِ والمكابرِ والدَّعِي!

^١ مرداف الميكروسكوب.

^٢ مجهري: ميكروسكوبي.

^٣ المخبر: المعمل العلمي الاختباري.

وعلى الصُّبَا يذوى عتقا

بأ للغرام المُبْدِع!

شِعري لدى العمّ الخليلـ

عَبَّرْ لَهُ عَنْ كُلِّ أ

وَعُد الطيِّوفَ مِنَ المحـ

عُدْ بَيْنَ آمَالِ الرِّبـ

فَهُوَ الكَفِيلُ بِحَبِّهِ

أدبِي يَدِينُ إِلَيْهِ بـ

وَقَوَامُ تَفَكُّيرِي الجديـ

وَلَدَيْهِ أَغْتَنِمُ الرِّبـ

يَطْوِي الفُصُولَ بِسَحْرِهـ

وَإِذَا الرِّبـُوعُ أَضْمَمُهُ

وَإِذَا الحَبِيبُ كَأَنَّـهـ

سَحَرٌ مِنَ العَهْدِ القديـ

يُحْيِي المَوَاتَ مِنَ القلـو

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى يَجـو

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

شَتَانِ بَيْنَ هَوَى بـ

لِ عِزَاءِ قَلْبِي المَوْجـع

لَا مِي وَوَجْدِي وَاسْمِعْ

بِة هَامِساً فِي مِسْمَعِي

ع مِنَ الحَنَانِ المُرِع

طِبْأً لِحَرْقَةِ أَضْلَعِي

بِل قَلْبِي وَغَايَةَ مَطْمَعِي

بِ وَوُثْقَاتِي وَتَدْفُعِي

بِ بَوَحْشَتِي وَتَفْجُّعِي

فَإِذَا الخَرِيفُ مَوْدَعِي

فِي نَشْوَةِ المَسْـتَمْعِ

مَا غَابَ أَوْ هُوَ مُبْدَعِي

بِمُ بَفْتَةِ المَتَرَفِّعِ

بِ بِلْدَةِ المَتـِّـبَرِّعِ

دُوبَيْنِ حُـبِّ يَدْعِي

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

مَجْدِي وَأَخْرُ مَصْرَعِي!

(٢) رد أستاذي مطران

أزكى تحيات الفؤا	د إلى الزكـي الأروع
أهدى إلي قصيد	كخريد دة لم تُفرع
عمرت مكان الأنس	عندي من فؤاد بلقم
حسناء بارعة المعـا	ني في نظام أبرع
تجلى فتحلى أو تغـيـ	ب فحليها في المسمـع
من لي بمنصرم الشبا	ب وفكري المتـوزع
فأجيد في رد الثنا	ء على الأخ المتـبرع
قصرت في شأو البلا	غة عن تمادي مطمعي
أهلاً بحاملة الكتا	ب أمينة المسـتودع
أهلاً بناقله البديـ	ع من الطراز الأبدع
أهلاً بصاحبة شجـتـ	قلبي وأجرت مدمعي
بنت حكاية وجـدـهـ	بأنينها المتقطـعـ
وشدت على توقيع سر	ب من حمام سـجـعـ
نغم الملائك بين مبدو	ء وبين مرجـعـ
أحسنت تأدية البلا	غ عن الصفي الأملعي
كوفائه ليكن وفا	ء الخـذن غير مصنـعـ
وكودو فليشـرعـ الـ	ود النقي المشـرعـ
وكعزمه في المجد فلـ	يك عزم كل سميذع
لا خلُق أنزع للعلـيـ	بجمال هذا المنزع

المتصرف

(كتبت على صورة أهداها الشاعر إلى أحد أوفياءه)

القلبُ لا يرجو دُنُوَّ مَالِهِ ما دمتَ أنتَ مصرفاً في حالِهِ
كنْ كيف شئتَ مقدراً لجلالهِ ونعيم مُهجَّتِهِ وحظ "خيالهِ"
لو رمتَ أسعدتَ الأسيرَ بأسرِهِ أو شئتَ أذللتَ العزيزَ بآلِهِ

الإستشفاء

دع الرحيلَ لدارِ الحبِّ والغيدِ واصبرْ على القيظِ في قاسٍ من البيدِ
فمدمعُ العينِ من حُسنِ تَقَرُّبِهِ ولذَّةُ السَّمْعِ في أسرِ الأغاريدِ
يحلُّو الهجيرُ إذا صحَّ الفؤادُ به عن النسيمِ بتعذيبِ وتسهيدِ

على قبر الشهيد

شهدتُك مشنوقاً وزرْتُك مقبراً ولستُ على الحالين أبخسُ من قدرِي
وقفتُ عليك اليومَ وقفةً عابرةً يحجّ لأيّ الله يا صاحبَ القبرِ
وطأطأتُ رأساً لم تشأْ خفضةً له يخرّ لدى ذكرى مماتِكَ لو تَدْرِي
إذا متُّ محروماً مدَى النطقِ بالهدى فيا حسرةَ الفاني وأهاً على عمري
ولو فإني على الإحجام أقربُ للكفرِ!

وطني! وطني!

يا ابنَ الزَّمنِ!	وطـنـي! وطـنـي
سِرُّ الدَّهْرِ؟	أَو لَمْ تَذَرِ
بِأَغْ وحسودُ	هيهات يسودُ
والخلفُ خرابُ؟	فيمَ الأحزابُ
سِرُّ الأيَّامِ	حبُّ ووئامُ
تركنا العطبـا!	فإذا ذهبـا

الطائر الجديد

(لمناسبة اجتياز بليريو خليج المانش بنجاح باهر وانتعاش حركة الطيران)

تشتهي أن تعطي هذا السديما	أيها الإنسان يا ابن الأرض فيما
أصلح الأرض تجد فيها المقاتن	لك أن تسمو ما شئت ولكن
عمر الأرض ولا تنس المسير	قبل أن تمضي لهواً وتطير
أنت تبقيه على غير انتباه	كم خراب شامل فيها نراه
إن هذا وحده مجد وجاه	عمر الأرض تكن فيها إله
ليس في الإنسان عبد ومليك	عمر الأرض وعش عيش أخيك
ليس للأحلام حد وانتهاء	ثم طر ما شئت ولتغر الجواء

مسرح الليل

مسرح الليل! أي ملهى عجيب
كم مرأى خلقتها وهي شتى
أنت ملقى العبار والطهر بيننا
كل راء يرى الذي يشتهي
والنجوم التي تطل علينا
بين حُب لنا كأم رعتنا
حبست دمعها فإن بذلته
شهب تستحيل من دمعها الصا
فكان الأجواء للأرض أدت

أنت تبدو للشاعر الفنان!
من مديد التناقض الفنان
أنت مجلى التهتك المتفاني
ويذوق الذي يرى من معاني
في حنان وعرشة وافتنان
والتياع كخفق قلب الجبان
فشأبيب دمعها النوراني
في إلى حرقلة إلى صوان
ها فحاكت طبيعة الإنسان!

نبع الصبابة

هذي الأنامل من أباح لوقعها
لولاها ما كنت أفهم وقعها
جودي بأنغام الحياة وجددي
لغة العواطف تستساغ كأنها
أصغيت كالطفل الرضيع لأمه
ونعمت قربك في صلاة حرة

قلبي سوى عينيك يا حسنائي؟
سحراً يمت كما يعيد رجائي
ما شئت إلهاماً على إلهام
نبع الصبابة فاض بالأنغام
ورشفت منك بمسمعي حياتي
للفن لم تقررن بأي صلاة!

لِمَ يَحْبِبُونَكَ؟

يا "زين" دنيائي التي ما نالني	منها سوى قلقي على حرمانني؟
لِمَ يَحْبِبُونَكَ؟ هل أثمتُ بكلِّ ما	أعطيتُ حسنَكَ من جمالِ بياني
هل لي سوى دينِ الطهارة ملّة	أو لي سواكَ حمائي أو دِيَّاني؟
فإذا حُبِّبتَ فمن أخصُّ بمهجتي؟	ولن أعيشُ؟ ومَنْ له وجداني؟

عبادات

ما لعيني كلما ألقاك بالفرحة تدمع؟
أهي لي الفرحة أم خشية حلم يتصدّع؟
بي رجاء ليس يحبو ورجاء ليس يلمع
وأنا كالتائه العاني إلى الأوهام أفرع
هاك قلبي يا حياتي! نبئيه كيف يصنع!
هو في القرب بعيدٌ عنك يهفو ثم يجزع
أو كم يجني حيائي! أو من شوقٍ مضيع!
كم تلاشتُ قبلاّتي في غرامٍ يتورّع!
قبلاّتي في امتناعٍ هو بعثٌ لي ومصرّع
وحياءٌ هو تسليمي بعقلٍ ليس يخضع
وعباداتٌ تناهتْ وأبت لي كلَّ مطمع!

موسيقى الوجود

(نظمها صاحب الديوان متأثراً بقصيدة للشاعر جبرائيل سبتون)

حدّثوني عن الوجود المغنى:
من جمادٍ ومن نباتٍ وأحيا
وعجيبٌ إذا تناهت عني
وإذا ما ظفرتُ منك بأنسي
كلُّ ما فيه صادحٌ يتغنى
، فليس الغناءُ منهن يغنى
لم أجدُ للغناءِ فيهنَّ مغنى
صار هذا الوجودُ لحناً وفناً!

باقة أنغام

إذا استمعتُ إليك
كأنَّ سمعي لديك
أصغي إلى هذه الألحانِ زاهيةً
فكلُّ لحنٍ له لونٌ يُضيءُ به
وكلُّ لحنٍ له عطرٌ يفوحُ به
وأنت كوني، وكوني في حقيقته
إذا استمعتُ إليك
كأنَّ سمعي لديك
فُتنتُ من توقيعك
عيني بمجلى ربيعك
كأنها تُخبُّ الأزهارَ للعَيْنِ
وجمعها باقةً من زهرِك الفنى
وإن تخيَّله غيري من الظنِّ
جُمُ المعاني التي غابت عن الكونِ
فُتنتُ من توقيعك
عيني بمجلى ربيعك

الإكسير

لو ساعةُ الدهرُ يأبى منحها
أو عدتُ يا أُملي إليك فجُددي
إلا بتوقييتِ له وقِيود
عُمري بنفحةِ روحك المعبود

أَلْقَاكَ لُقْيَا خَاشِعٍ مُتَعَبِّدٍ
فِيصِدَّنِي هَذَا الْخَشُوعُ كَأَنَّنِي
ضَيَّعْتُ أَحْلَامِي وَسَنِّي هَكَذَا
أَنَا لَا أَلُومُكَ يَا حَيَاتِي بَلْ أُرَى
فَأَنَا الْأَمِينُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُحَاسِبٍ
فَإِذَا لَحِظْتُكَ كَالْغَرِيبِ فَإِنَّمَا
هَذَا هُوَ الْأَسْبُوعُ مَرَّةً وَهِيَ أَنَا
مُتَنَاوِلًا فِي الْوَهْمِ كَأَنَّ رَحِيقَهُ

وَالْقَلْبُ يَخْفُقُ لِلْعِنَاقِ سَوْوَلًا
أَجِدُ الْعِبَادَةَ أَنْ أَعِيشَ خَجُولًا
فِي الشُّوقِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْحَرَمَانِ
حِظِّي كَحِظِّ الْحَارِسِ الْبَسْتَانِي
إِلَّا مُحَاسِبَةَ الضَّمِيرِ الْقَاسِي
أَنَا وَحْدِي الْقَرِيبَانُ دُونَ النَّاسِ
قَدْ عَدْتُ فَرَحَانًا إِلَى إِكْسِيرِي
مِنْ صَمْتِنَا الْمُغْنَى عَنِ التَّعْبِيرِ!

الخالق الفنان

تَبَارَكَ رَبِّي مُبْدِعًا وَمُصَوِّرًا
يَرَاهَا الْفَتَى لَكِنْ كَأَنَّ الَّذِي يَرَى
وَمَا عَظَّمَ الْخَلَّاقَ إِلَّا احْتِجَابُهُ
وَمَا شَاقَّنِي فِي الْكَوْنِ إِلَّا خَفِيُّهُ
يَعَافُ نُهَى الْفَنَّانِ إِعْلَانَ ذَاتِهِ
كَذَلِكَ خَلَّاقُ الْوُجُودِ فَإِنَّهُ
فَهَذَا هُوَ الْفَنُّ الْإِلَهِيُّ لِلَّذِي
وَهَذَا هُوَ الْمَجْلَى الْعَجِيبُ لِمَبْصَرِ

لَقَدْ خَلَقَ الْآيَاتِ كَالسَّحْرِ لِلْوَرَى
خِيَالٌ وَخَلْفَ الْكَوْنِ كَوْنٌ تَسْتَرًا
فَسُبْحَانَهُ يَبْدُو وَيَخْفَى مَكْرَرًا
فَإِنْ وَرَاءَ الْكَوْنِ عَقْلًا مُدَبِّرًا
وَيُعْلَنُ عَنْهُ الْفَنُّ أَضْعَافَ مَا يُرَى
تَحْجَبُ وَاسْتَهْوَى بِهِ عَقْلٌ مِنْ دَرَى
يَرَى الْفَنَّ وَالْفَنَّانَ فِي النِّجْمِ وَالثَّرَى
يَرَى الْخَالِقَ الْفَنَّانَ عَيْنًا وَمُضْمَرًا

وَكُونْتَ أَنْتَ الْحَبَّ لِي عَالَمًا كَمَا

تَحْجَبْتَ كَالْخَلَّاقِ إِذْ بَاعَدَ الْوَرَى!

بنات الخريف

هَلَمْـيْ! هَلَمْـيْ! بنات الخريف!
وطوفى وطوفى بهـذا الحـفـيـف!
نـراك بأوـهامـنا جـائـلـه
كـباحـثـة عـن تـراث فـقـيـد
وقـد حـرـمـت مـنـه فـي يـوم عـيـد
فـتمـضـي بـلـهـفـتـها سـائـلـه!
نـراك تـطـوفـين ولـهـي شـرـيـده
تـهـزـين حـتى الغـصـون الوـحـيـده
وتـذـرين حـتى الـريـاح الـسـتـي
تـظـنـن فـيـهـا خـفـايـا الجـمـال
وقـد حـجـبـتـهـا أيـادي الـليـال
فـهـل تـنـتـهـن إـلى غـايـة؟

الساعة

نمنا جميعاً وأنـتـ يقـظـائـه	وقـد غـولـنا ولـسـتـ غـفـائـه
بـل كـلـنـا فـيـه رـوح غـفـائـه	كـفـيـا سـوفـي عـافـ إنـسـائـه
كـم دقـة مـنـك جـد مـنـدره	فـما انـتـفـعـنا ودمـتـ لـهـفـائـه!

الوساوس

هل في الهواء من الحديث محجَّبٌ
ما لي أحسُّ بهاتفٍ وبهاتفٍ
ملئَ الفضاءُ بها وكم في طيِّها
فكأنَّها كلُّ الذي ظفرَ الورى،

إلا عن الفنان بين الناس؟!
وعوالم شتَّى من الإحساس؟!
صوِّرُ من الماضي العزيزِ الفاني
بالخلد بين مشاعرِ الإنسان!

الطائر الرقيب

رقيبٌ ولكن يغني لنا
لعلَّ الربيعَ وقد فاتنا
نُتابعُه في حُبِّهِ الصُّبَا
فيا مرحباً ثم يا مرحباً
ويا طائري أنت يا طائري
وأصغيت للشاعرِ الطائرِ
إذن لعرفت غرامي الدفين
وحبِّي الذي مثل حيِّ الغُصونِ

ويعطي الحديقةَ معنى الغنى
أهَابَ به ليريه لنا!
ونُصغي إلى الشَّدْوِ مُسْتَعْدَبَا
بهذا الرقيب وما حبَّبا!
بسمت إلى روعي الشَّاعرِ
فهلأُ أصختُ إلى خاطري؟
وما لجَّ بي من جوى أو حنين
تفرَّع، بل مثل حيِّ الفنون!

وحي المطر

أنا ظاميُّ والكلُّ حولي ظاميُّ
هذي الغصونُ تناولت ما خصَّها

فتقطري يا سحْبُ كيف حننت
ولبثتُ في ظمئي لوحيك أنت

تتساقط القطرات من يد زهرة
وأنا الوحيد فأين أين حبيبتي
هلا بعثت إلى دفين شعورها
فلعلها تأتي وتنثر عطفها

ليد، لأخرى، والجميع سكارى
حتى تردّ جوى وتطفئ نارا؟
برسالة الحب الوفي الباكي
كالقطر فوق الزهر والأشواك!

القطعة اليتيمة

جلست قربي كأن قربي
وكم تألمت في جنوبي
فقدت أمأ وما فقدنا
كأنني تأكل شبابي
أحببت في وحدتي عزاء
قد أسرف الحسن كبرياء
فلتغنمي أنت من حناني
فالحب جان وأي جان

عزاء إحساسك اليتيم
عليك في صمتك الأليم
لكن في عزلي افتقاد!
وسائد الصمت من حداد!
مذ لم أنله من الجمال
أو بره يشبه المحال
ما شئت يا طفلة الغرام
والحب كم يئم الأنعام!

ديوان مختارات وحي العام

(٣١ ديسمبر ١٩٢٨)

إهداء الديوان

إلى المشاعر الحية

فدعيت ديوان الوفي الشاعر
ومن (الطبيعة) ما استعز بخاطري
وصف الأمين يهزهم لماثر
فأحق بالمدح الشريف مشاعري
والروح - أهدي الشعر غير مفاخر
فلملكها حسّي ونور خواطري

أودعتُ فيك عزيز وحي مشاعري
وجمعتُ من صور الحياة منوعاً
ونقلت وصفي للأنام وحالمهم
فإذا خصصت من البيان بمدحة
فإلى الشاعر - وهي عنوان النهي
فرض عليّ مدى الحياة لملكها

الناظم

تصدير

جمعت هذه الصحائف ما أتيح لي نظمه في موضوعات عامة متنوعة من قصائد ومقطوعات أدبية واجتماعية وإنسانية عامة في غضون هذا العام، ما عدا المراثي التلحينية لزعيم الأمة الأكبر ونحوها مما نظمته في خريف العام الفائت ورأيت من المناسب إضافته إلى قصائد هذا الديوان.

وإذا سمح الأجل وظروفي الخاصة وما يجتمع لي من نظم ففي نيتي إذاعة مثل هذا المجلد في نهاية كل سنة (اللهم إلا ما تدعو المناسبات إلى نشره مستقلاً عنه)، تبادلاً للفائدة الأدبية مع إخواني الشعراء ومحبي الأدب ونقاده الأفاضل الغيورين، ونشراً لما أعزه في هذا التنظيم من عواطف وعقيدة ومبادئ وآراء هي ذخيرتي وسلواني في الحياة.

وقد عودني الكثيرون من أفاضل الأدباء حسن الظن والتشجيع والتعاون الكريم الذي أبذل أقصى جهدي لاستحققه، بيد أن ديني لهم يضاعف إذا هم شملوني أيضاً بنقدهم الأدبي المستقل، فانتفع وينتفع أهل الأدب من وراء هذا النقد ومناقشته، ونساعد بذلك على تحبيب النقد الأدبي وتقاليده النزيهة إلى المؤلفين عامة كما نساعد على رفع منزلته.

أرجائي أن لا تخلو هذه الصدائف - وما سأنشره نظيرها في المستقبل - من وفاء صادق لشعر العصر، ومن حسنة موجهة إلى خير الأدب والوطن والإنسانية؟

أحمد زكي أبو شادي

٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٨

الفن الباكي

مرثية تلحينية لساكن الجنان سعد باشا زغلول نظمت لتنشدها
السيدة منيرة المهدية

إسمعي يا (مصر) من قلبي النّحيبُ وأنينَ (العُود) أيضاً و (المثاني)
كلنا في الرزءِ بالنوح خطيب تستوي الأدمع منا والأغاني!
* * * * *

أي صوتٍ بعد (سعد) يستبيح لذة إلا بذكره العظيمه؟
كلنا من صدمة الخطب جريح وجراح النفس كم تبقى أليمه!
* * * * *

إسمعي! هذا غنائي كله نبغ وجداني وإحساسي اليتيم
من فؤادٍ ذاب حزناً أصله وتبقى فيه نار وهشيم
إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!
* * * * *

لا أعزّي! كلنا ذاق المصاب ورأى الدنيا وإن جلّت حقايره
ما عزاء الشعب عمن لا يُعاب مجده إلا بدنياه الكبيره؟!
* * * * *

كان روح (النيل) يوحى بالحياه لبنيه بل (لشرق) بات يبكي
كلنا المفجوع إذ يرثي أباه رغم خلد حقه من غير شك!
* * * * *

غير أني حينما أتلو رثائي لست أنسى فرض حب وجهاد
أنا (بالفن) صلاتي ودعائي وجهادي لمنى هذي البلاد
فاسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!
* * * * *

(سعد) أسمى من مدى جسم يموت (سعد) سر لحياة باقيه

نورُ إلهام وإحياء وقوتُ للأمانى الخالدات الراقية^١

تضحيات ومساعٍ جمّة كوّنت تاجاً له فوق العصور
كيف تهوى بعد هذا أمة استمدت منه نوراً بعد نور؟!

فاعملي يا (مصر) مهما تنديبي بعده إن كنت حقاً بنت (سعد)
أصغري الموت كما كان الأبى وارفعي مجدين من ذكر ولحد
إسمعي يا (مصر) من قلبي اسمعي!

الوفاء الحي

روح سعد

مرثية تلحينية نظمت لتنشدّها الأنسة ملك

مجدُ (سعد) ما تناهتُ في مـمـنـاتٍ دولُثـة
عاش في خلد وعاشت في وفـنـاء أمتـه

(سعد) روح سوف يبقى في العصور الأبدية
ينشر الحب ويرقى بالنفوس البشرية

كلنا نشدوبه كلنا نبكي عليه
العلـى من دأبه والنـدى من راحتيه

^١ الراقية: السامية.

كلنا تكوين (سعد) في ثبات وأمل
أي مجد غير مجد يلهم الناس العمل؟

عاش نبراساً عظيماً ومثلاً للأبـوّه
كان بالروح كريماً كان في خلق النبـوّه

في سبيل (النيل) ضحّ واهباً (للنيل) سمحاً
في سبيل الحق عانى عمره المحسود شائناً

أندييه يا معالي أندييه يا (فنون)
كل محمود وغال حين ينساه يهـون

وهو حي لي ينسى!

إلى أم المصريين

نظمت ليصدّر بها نشيد (النادي الفني) في تأبين الزعيم الأكبر

إلى التي من معالي وحيها قبست إلى التي من معالي وحيها قبست
إن كان (سعد) مضى فالروح باقية إن كان (سعد) مضى فالروح باقية
يا أم شعب يتيم لا يطيب له يا أم شعب يتيم لا يطيب له
رأك صورة (سعد) في جلالتها رأك صورة (سعد) في جلالتها
قومي إلى العلم المفجوع رافعة قومي إلى العلم المفجوع رافعة
ثم انشري صوت أهل (الفن) فهو لهم ثم انشري صوت أهل (الفن) فهو لهم
يحكي نشيد العلى في وجدته سيراً يحكي نشيد العلى في وجدته سيراً

عهد سعد

(ألقي هذا النشيد في حفلة التابين الكبرى التي أقامتها نقابة موظفي
الحكومة بمسرح محمد علي بمدينة الاسكندرية يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٧م)

لَبَّيْتُ دَعْوَةَ وَجْدَانِي	فِي أَحْزَانِي
وَجِئْتُ أَنْشُرَ إِيْمَانِي	بِأَكِي الْأَشْعَارُ!
رَثَيْتُ (سَعْدًا) مِنْ قَلْبِي	يَوْمَ الْخَطْبِ
فَزَادَ تَأْبِينِي خَطْبِي	بِأَبِي الْأَحْرَارُ!
مَهْمَا رَثَيْتُ فَلَنْ يَوْفَى	قَلْبِي الْمَوْفَى
وَبِثْ دَمْعٌ مَلْهَوْفٌ	عَتَبَ الْأَقْدَارُ!
أَبْكِي وَمَا أَرْضِي دَمْعِي!	أَيُّنَ الْمَنْعَى
مَنْ دَامَ شَغْلًا لِلْسَّمْعِ	مَلَأَ الْأَفْكَارُ؟!
نَبْكِي لِأَنَّا لَا نَدْرِي	سِرًّا يَجْرِي
فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْءِ الدَّهْرِ	طَوَّلَ الْأَعْصَارُ!
نَبْكِي لِأَنَّا كَمْ نَخْشَى	سِرًّا يَغْشَى
لِلْمَوْتِ، كَمْ نَلْقَى النِّعْشَا	مِثْلَ الْجَبَارُ!
وَلَوْ عَقَلْنَا مَا كُنَّا	نَذْوِي حَزْنَا
الْمَوْتَ فِي الْعَالِيَا مَعْنَى	لِبَلْوَغِ فَخَارُ!
مَا جِئْتُ أَرِثِي بَلْ أَحْكِي	دُونَ الشَّكِّ
عَهْدًا (لِسَعْدٍ) كَالْفَلَكِ	نُورًا سَيَّارُ!
مِنْهُ اتَّخَذْتُ لِأَنْفَاسِي	وَحْيِي الْأَسْيَاسِي

ومنه عزة إحساسي
ومنه عاد لوادينا
تقديس (مصر) لنا دينا
قال: "انتهيت" فناجانا
عهداً بحرر أوطاننا
قد كون الشعب الباقي
يسعى إلى الملك الراقى
كان المعلم والبانى
أحلام شعب مزدان
وقد أتم على وعد
ونحن أهل للجهد
(سعد) حياة في الجسم
فكيف بالروح المسمى^١
وهو الغني عن الشكر
كم عد ميزان القدر
وكل وصف يرويه
تالله دون معاليه
ساوى البليغ بإعجاز
من لم يخص بممتاز
كل ينقب مذهبولا

وأجل شعاعا!
عن ماضينا
عالي الأسرار!
في ذكرانا
من حكم العار!
دون شققاقي
رغم الأخطار!
دون تـوان
بحلى الآثار!
عهد المجد
في غير عثار!
بل في الإسم
نبل الأوطار؟!
بل والذكر
ورضى المقدار!
من يبكيه
رغم الإكبار!
دون مجاز
من شعر ثار!
أو متبـولا^٢

^١ المسمى: الرافع.

^٢ متبولا: سقيما.

وينوح مـراراً!	فلا يبلغ مأمولاً
بل من عُدّاً	ما (سعد) شخصاً أو فرداً
لحجى قهاراً!	في ذمة الدنيا حدّاً
للأجبال	سرٌّ من الخلد العالي
وضياء نهاراً!	وسفر مجد للتالي
وبلا ضِعْفٍ	فمجدّوه بلا وصفٍ
هَذَا التّياراً!	فبركُكم حقّاً يكفي
عم من يـبني	إن (البطولة) تستغني
وأسى الأوتاراً!	بالنظم أنأ والفن
ما يحيينا	لكنها توحى فينا
لجنى الأثماراً!	وما يسوق أمانينا
فالبث شمساً	يا (سعد) عهدك لن ينسى
حتى الأحجاراً!	تهز روحاً أو رمساً ^١

سعد الخالد

نشيد شعبي

في حياة وممات	يا أبا الشعب المرجى
بالعظائم الخالدات	ما يزال الشعب يشجى
ومماتك	من حياتك

^١ أي سواء روحاً أو رمساً.

يا عظيم!

هذه الذكرى فدعنا نملا الدنيا رثاء
لا بالفاظ ومعنى بل بأيات الفداء

في جهاد للخلود

كخلودك!

أنت روح سرمدية مثلت (مصر) وحلت
في النفوس العبقريه فانتشت منها وجأت

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

إنما الحج لـقـبرك أي فرض وصلاه
يشعر الوافي لـقـدرك كل أسرار الحياه

في جهاد للخلود

كخلودك!

(سعد) يا قائد (مصر) في علو وشمس
أنت قبل (النيل) أحرى بجلال في الأمم

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

عهدك المرعي حي ليناجي كل جيل
أنت والله نبي كـوّن الشعب النبيل

في جهاد للخلود

كخلودك

يا عظيم!

نمُ قريراً بعد عمرٍ في عذاب التضحيات
عشن ذكراً بعد ذكرٍ كنَّ للشعب الهبات

من حياتك ومماتك

يا عظيم!

إنَّ شعباً أنت فيه دائم الإحياء يبقَى
دأبه ما تبتغيه لن يسام الدهر رقا

في جهاد للخلود

كخلودك!

شبل إسماعيل

إلى جلالة الملك فؤاد الأول

فقدت ربوعُ (النيل) أحزمَ قائمٍ
فإذا اصطفت خلفاً له ما فاتها
جددت عهداً أبىك في استعلائه
وأراك أكبر من يصون تراثه
وإذا تعاونت الرؤوس فلن ترى
عرفته حين بقيت أنت أباهـا
أن تحتمي بحماك في بلواها
بالعلم والإصلاح يوم بناها
شرفاً، واقدّر من يُعزّ حماها
في أمة رؤساءها أدناها

عشْ ما بدا لك من محبة أمة
وكن المليك كما نراك مضحياً
تحيا كفرد في الرعية حينما
ومن التكبر والتغطرس ذلة

عدَّتْك تاج رجائها وعلاها
ومزكياً ومبلغاً لغناها
حُب الرعية في عَلاك تناهى
ومن التواضع ما يزين إلهاً!

هدى

رزق صاحب الديوان في الثاني من
أكتوبر سنة ١٩٢٧م برمل الإسكندرية طفلة
أسمها (هدى) فبعث إليها الشاعر العصري
المعروف الأستاذ عبد الله بكري صاحب
"مقامات أبي الشمقمق" الأبيات التالية،
يتبعها شكر الشاعر وردة عليه.

(١) تهنئة الصديق

رُزِقْتَ (أبا شادي) فتاة دعوتها
لقد وضعت في (الرمل) فهي نقية
ألا ليت شعري هل سبيل لقبله
تمتع بها يا شاعراً بين صحبه

(هدى) تبتغي للخاطبين هداها!
تسر بحسن أمها وأباها!
فأنشق منها زهرة بنداها؟!
بها أو (أمين) أو (صفية) باهى!
بكري

(٢) شكر الشاعر

كفاها من الشعر الذي قد وهبته
وما ولدت بنت الأديب فقيرة
تهانيك زانتها، فعش للغد الذي
ونورتها^١ بالشعر حتى بدت (هدى)
غنى، وكفاني أن أكون أباهاً!
وهذي هدايا الشعارين حلاها!
به أنت مرجواً تزين فتاهاً!
فأنت ضمين ما حييت هداها!
أبو شادي

هيكل الشهيد

في بقعة من بلاد الهند قد رفعوا
وصوروا هيكلاً منه يقدره
لذكر مدفن كلب بين تكريم
من لم ير الكلب عنواناً لتعظيم
* * * * *
قال الرواة: بعهد سالف عرفوا
وكان يشتد بل يطغى معاملة
مرايياً في جوار القبر مسكنه
من لم يمت منه كان الهم مدفنه!
في شدة الضيق حين الدين يرهقه
من حل غلاً لمديون يضيقه!
أن يقبل الكلب رهناً منه أياماً
فبعد لأي أجاز الرهن شتاًماً!
شيء يُباع لكي يستخلص الكلبا
وعمره بعد ما قد أصبحا نهبا!
* * * * *

^١ يقن: نور المصباح أي أزهر..

مضى المدين، وشاء العدل أن نقبت
فنبه الكلب إعواء ذويه فما
وهكذا أنقذ الكلب الذي رهنـت
فسره ذاك منه راضياً قنعاً
وقال: لا بد من إطلاقه، وأتى
وقد تخلى بها عن دين صاحبه
فأسرع الكلب جذلاً لصاحبه
وقال: يا أيها الملعون إمش فما
فمات من وقعـه، حتى إذ قرئت
قضى بطيش وجهل منه حين رمى

* * * * *

عصابة من لصوص بيت دائنه
نال اللصوص سوى أغلال ساجنه!
حياته ثروة للدائن القاسي
من بعد ما كان أطغى الناس في الناس
برقعة ضمنت ما كان من بره
وعلق الشكر وضاء على صدره!
فاغتـاظ منه وألقى نحوه حجرا
أردت عودك إلا بعد مقتـدرا
تلك الرسالة أشجته فأبكتـه
على حميم، فبئست تلك رميته!!

ممثـلٌ صدقٌ وجدانٍ لصاحبه
بعد الممات فداء عن مناقبه!

والآن بالقرب من (ريبور) هيكله
لم يفده المال من أسر فقدسه

ولّى سعد

مصطفى النحاس باشا

(نظمت في ذكرى الأربعين لوفاة الزعيم الأكبر)

واعترزَ بين تشبُّث الأُلفاء!
تاج الجهاد وراية الأشراف
ولمن يجـل مفاخر الأسلاف
بعد (النبي) على أبر طواف

إصعدُ مكانك بين شعبٍ وافر!
واجلس بكرسي الرئاسة رافعاً
إرث الجلالة للعظيم بطبعه
وأرى (أبا بكر) بذاتك ماثلاً

حجاً إلى القبر الشريف مؤيّناً
وإذا النزاهة والوفاء تلاقيا
حزت الذكاء بجانب النبل الذي
ووهبت روحك (الزعيم) وبعده
عَلِمُ النزاهة أنت جنب مروعة
خل الذين يصغرونك جهدهم
ماذا يضير المهتدين بشيعة
هاك الملايين الذين تكاتفوا
وقد اصطفوك كما اصطفوا سعداً لهم
ما كنت بالمجهول فضلاً أو علأً
واليوم أن لنا شروق كمالها
عمرأً بذلت كما بذلت مائراً
أنت المخضرم بين عهد فتوة
وزمان تكوينٍ وعهد مثبت
فحييت في عمل وفي شرف وما
بل كنت من يمهي الجهاد بعزمه
تغنيه همته وقوة روحه
جيش به اعتز (الزعيم) وكنّته

* * * * *

ومعاهداً عهد الإياء الوافي
في النفس فالجهد المسدد كافٍ
ما كان فيك لمبحث وخلاف
عادت بنفح للجوارح شاف
وشهامة وتفاؤل وعفاف
لنقائص ما كن في الأحلاف
جازوا سبيل الرشد والإنصاف؟!
ودّوك محمولاً على الأكتاف!
رمز الحياة نمت بكل شغاف
إلا مواهب صنّ في الأصداف!
في دهمة^١ الليل البهيم الضافي
كن السلاف لألسن الوصاف
لسميكَ البطل العظيم النافي^٢
لكيان (مصر) (بسعدها) الوقاف
ألفيت في طرف^٣ الخطوب بغاف
ويحارب التضليل في إرجاف^٤
عن جحفلٍ لجبٍ من الأسياف
لما تطاير كل غرٍ هاف!^٥

^١ دهمة: ظلمة.

^٢ المغفور له مصطفى كامل باشا؛ وكان روح سياسته المصرية سليماً غالباً.

^٣ طرف (بكسر فسكون): حديث.

^٤ يمهي الجهاد يشحذه. والإرجاف: الزلزلة.

^٥ تطاير: تفرق. وهاف: ذليل. إشارة إلى حوادث التبرؤ من الوفد في عهد الاتحاديين.

يا ابن (المحامة) الذي بلغ المدى
وأبا (القضاء) وكم له من موقف
وفتى الهدى والتضحيات بلا روى
قد بايعتك نفوسنا وقلوبنا
ومبادئ في الحق ما خجلت وقد
ونضارة الوجدان رغم عواصف
رب الوديعه أنت بعد معيدها
وقيت لديك من العثار وبلغت
والدهر يقصر عن فلاح مزعزع
هي كل ما تصبو إليه نهاية
وكأنما النغب العذاب متاعب
عرفت سجايك الضمائر فانتشت
وعرفتها عرفان ذاكر حبها
شخصت إليك اليوم دون تردد
وثقت بذمتك النقية مثلما
ولو إنما اللسنُ اللهازم^٢ سلطت

* * * * *

وطني وإخواني وأهل عقيدتي
إن الحياة شهية وعظيمة

بسموه عن وهدة الإسفاف
للحق معصوم من استئناف!
وأخا الكرامة واليقين الصافي
لجواهر في الخلق غير زياف
بزغت وراء ستارها الشفاف
أودت بآلاف موت جفاف
جلت لديك اليوم عن إتلاف
أمل الخلود ببرك الوكاف
ثقة خصصت بها كحلونطاف^١
من عالم الدنيا بلا إحاف
في ذمة الوطن الحفي العافي^٢
بعوارف الآثار والأوصاف
بالطبع قبل حنانه الكشاف
وبدت تناجي الفضل دون سجايف
وثقت بروضة خلقك المناف
ما نلن من حب وصدق هتاف!

ما العيش بين رضى وحظ كفاف
في حالي الحرمان والألطف^٣!

^١ جمع نطفة وهي الماء الصافي.

^٢ النعب: الجرع. والحفي: العارف الشيء حق معرفته. والعافي: الطالب الفضل.

^٣ اللهازم: الحدود القاطعة للسيوف.

^٤ مفردها اللطف: أي التوفيق والعصمة.

ما الذل ذل للجسوم، وإنما
فتعاضدوا وتدرعوا بثباتكم
لكم الحياة مع التآلق كلما
لا تستخفوا بالهينات فربما
أو تيأسوا عند المصاعب بينما
أو تخذعوا بالنصر فهو كخمرة
صنتم بوحدةكم تراث زعيمكم
إن الرئاسة همة جذابة
واليوم قائدكم صنيعة رشدكم
إن تخذلوه فقد خذلتكم حقكم
أو تحسبوه أبا العجائب ضلة
فلتنصفوه وأخلصوه وفاءكم
ودعوا خرافات الخصوم ولغوهم
خلّوا الأمانة بيدنا لتعاون
وتأملوا الضوء العزيز بوحدة
روح الزعيم تجاهكم فتخيروا
تلقاءكم زمر المخاطر فادأبوا
بل واستعدوا للهموم جديدة

ذل النفوس هو الشقاء الطافي^١
وإخائكم، إن الإخاء يعافي!
كنتم رجال توحّد وتلاف
فقد القدير سبق باستخفاف
قامت مقام المرشد العراف
ساوى الصريع بها صريع سلاف!
لا تفقدوه اليوم بالسفساف^٢
لا صيحة أو صدحة العراف!
وفؤاد (مصر) النابض الرفراف!
ومن حماقة نزوة المتلاف
لم تقطفوا منه أبر قطاف^٣
يحمل من الأعباء غير خفاف
فكثيرها يحكي ثغاء خراف!
تجدوا التعاون أصدق الإسعاف
فإذا تفرق ضاع في الأطياف^٤!
نهج البطولة للغد الصدّاف^٥
ما كان حظ الفوز للمخلاف^٦
قبل النعيم وبهجة الإتحاف!

^١ الطافي: الشامل المنتشر.

^٢ السفساف: الأمر الحقيق.

^٣ القطاف: جمع القطف (يكسر القاف) بمعنى الثمار المقطوعة.

^٤ الأطياف: جمع الطيف (spectrum) أي رسم انحلال النور.

^٥ الصدّاف: المقاطع المنصرف.

^٦ المخلاف: الكثير الخلف في وعده.

وأنا الضمين لكم جلال سيادة
بنيت قواعده على دستوره
وحبته للدنيا منار حضارة
فأرفع زعيم الشعب صوتك هادياً

وحياة ملك ثابت الأكناف^١
فنمته أضعافاً على أضعاف
(للشرق) ثم ذخيرة الأخلاف^٢
يغنيه عن خطب وسحر قواف!

التقصير

(من صورة الحياة)

قالت: أتعلم أي ذكرى لم تزل
فأجبت: هل هي فرصة تضيعها
أم ذاك ذنب ما عملت لمحوه
قالت: إليك روايتي، وكأنما
من عهد أعوام طوال كنت في
أستنشق العطر الذي حملته لي
فإذا بشيخ عاجز في البعد قد
وجلست أرقبه بغير تحرك
حتى أتى عرضاً فتى وأغاثه
والآن أسمع كل مدح شائق
وأظل يؤلني امتعاضٍ لاذعٌ

تترددُ في خاطري المحزون؟
قد كان في عقباه شبه جنون؟
وغنمت منه نهاية المغبون؟
قاربت في التقدير والتخمين
متنزه في نشوة وسكون
بيض البراعم فوق تاج غصون
سقطت عصاه وزل دون معين
وهو الضرير فلاح جد حزين
ومضى ولم يعبأ بكل فتوني
عن بهجتي ورشائقي وغيوني
من ذكر ذاك الأمس بين شجوني!

^١ ثابت الأكناف: راسخ الجوانب.

^٢ النبت النثى: أي رجال الغد.

يا حامل الأرض بل والكون في يده
قد جزت حد خيال الوهم في ثقة
إن الأساطير ما فاتتك في عجب

وواصفاً كنهه في شبه تحديد^١
بما حسبت بتقريب وتبعيد
بما روته، وما اعترزت بتأييد!

* * * * *

وما (جليلو)^٢ و(كوبرنيك)^٣ قد وهبا
صار الزمان قريناً للفضاء كما
حين الفضاء تراءى حاكياً كرة

ولا (نيوتن)^٤ ما حققت للناس
صار الزمان يوافينا بمقياس
من بعد ما كان لا يعنو لإحساس

* * * * *

وأصبحت نسب الأشياء أجمعها
فما الحساب نبي صادق أبداً
وما الوجود وجود يستعز بنا

من التقلب ما يوحيه موضعها
لولا ارتباط بأسباب يشايعها
لولا اكتشاف معان كدت تبدها

* * * * *

يا ليت شعري وأقوى الناس أعرفهم
من ذا يفوقك تمكيناً بصولت
لقد فتحت لهم دنيا تحدها

بسرهم ربأحوال لدنياهم -
في العقل حين أمير الناس أحجاهم
فهل فتحت لهم من بعد أخراهم؟!

^١ الكون متناه حسب نظرية أينشتين الذي يعتبر أن الفضاء (space) والوقت اصطلاحان مترانفان تقريباً، وهو يعتبر الوقت (الزمان) بعداً أو مقياساً رابعاً - fourth dimension -، ويرى أن الفضاء كروي، وكان هذا لا يكيف بشكل من قبل، وقد برهن بناء على نظرية النسبية أن الضوء يسير في خطوط منحنية (لا مستقيمة كما كان يظن سابقاً)، وعارض نظرية الجاذبية حسب العرف القديم. وقد أصبح الحساب الرياضي علماً نسبياً لا علماً مضبوطاً (exact) على قواعد يوكلايد (Euclid). فتأثير أينشتين على التفكير العلمي بل على التفكير الإنساني عامة في جميع نواحيه بعيد المدى. وهو بلا جدال أعظم شخصية علمية في هذا العصر.

^٢ Galileo: هو الفلكي الإيطالي العظيم، ولد في مدينة بيزا سنة ١٥٦٤م، وتوفي سنة ١٦٤٢م، واكتشف وهو حدث قانون اهتزاز الرقاص، وهو مخترع أول تلسكوب، وبه استطاع أن يقوم بدراسات فلكية عديدة.

^٣ Nicolas Copernicus (١٤٧٣م - ١٥٤٣م) هو الطبيب البولندي والفلكي المشهور واضع النظام الفلكي المعروف باسمه، وعليه قامت أبحاث كبلر وجليليو ونيوتن.

^٤ Sir Isaac Newton الفيلسوف الرياضي الإنجليزي العظيم (١٦٤٢م - ١٧٢٧م) مكتشف أو واضع قانون الجاذبية.

حسناء وعبدما

(وصف مرتجل لآنسة جميلة يحرسها عبد زنجي)

لم ألق في كل ما لاقيتُ من عَجَبٍ كعابد ظلَّه حرزٌ لمعبود
ماذا على الشَّمْسِ لو أحبت لنا أملاً؟ وما على الأرض لو قالت لها جُودي؟!

عواطفني

مُلُكْتَ أحلامي ونُورَ دُموعي ما العقل حين تسيطرين؟ وما الحجى
قالوا: "تغالي في العواطف" حينما لولاء ما كان البيان أشعة
لولاء لم أدر (الجمال) ولا (الهوى) لولاء لم أسغ (الطبيعة) بينما
غُذِّيت منك فلا عدمتك مرة وأرى (الألوهة) من جdak مثولها
فلئن حرصتُ عليك كان تحرقني وحييت بعد منيتي بك في النهى
وغدا خشوع القارئين تحيتي وقَهَرْتَ نفسَ إمامي المتبوع^١
إن لحت أنت لشاعر مطبوع؟! هذي العواطف مهجتي ونزوعي
كلاً، ولا كان التنظيم دموعي أبداً، ولا قدر (الحياة) ولوعي
أنت (الطبيعة) لي وأنت ركوعي ظمئي نـاك إذا سقمت وجوعي
فإذا احتجبت مضت لغير رجوع غُثْماً، وكان تحجُّبي كطلوعي
شعراً وألحاناً ووقد شموع لك عين تقديسي وعين خشوعي!

^١ يريد العقل.

عبد المجيد

مرثية تلحينية في تابين منشيء (المسرح)
نظمت لمناسبة ذكرى الأربعين

بذلت والله عمركُ بذل الكمي الأمين
إن يجهل الناس قبرك فلست أنت الغيبين!

* * * * *

كنت الجريء الشجاع في الحب مثل الخصومة
كنت السري الشعاع يعزو وينفي همومه!

* * * * *

مضيت (عبد المجيد) لكن لغير انتهاء
من قال إن الفقيـد في الكون سر الذكاء؟!

* * * * *

إن يشمت الحاسدون فأنت لاه ضحوك
لعلهم في جنون أهل له شانئوك!

* * * * *

يا رمز ذاكي الشباب ويا شهيد الجهاد
ما المجد إلا العذاب لمبدأ واجتهاد!

* * * * *

وضعت في (مصر) فنا (للنقد) حتى استطال
فصار مبنى ومعنى وكان شر به الحال!

* * * * *

من بات يحصي عيوبك فناكر للجميل
يكفيك أن لا يشوبك موت الجمود الثقيل!

* * * * *

قد كنت نوراً وناراً من اندفاع الشباب
وكنت قبساً معاراً فغاب مثل الشهاب!

* * * * *

مضيت لكن كريماً بوحبك المستطاب
أنظر تجده مقيماً على عهد الصحاب!

* * * * *

في ذمة الفن تمضي حياً لذكر البقاء
و (المسرح) الحريبيكي عليك أشجى البكاء

* * * * *

ما ناح إلا حزيناً إلى البنان القدير
فاغفر وفاءً حزيناً ما دمت أنت القرير

الطبيعة

زُرْتُهَا أَشْكُو إِلَيْهَا لَوْعَتِي مِنْ جُحُودِ نَالِنِي فِي زَمَنِي
فَاكْفَهَرْتُ فِي اكْتِئَابِ سُحْبُهَا ثُمَّ صَاحَتْ صَيِّحَةُ الْمَمْتَنِّ!^١
وَتَجَلَّتْ^٢ بَعْدَهَا فِي بَسْمَةٍ تَبَعَتْ السَّحَرُ لِلْبِ الْفَطْنِ!
هَزَّاتُ بِالْجَهْلِ حَتَّى أَخْجَلْتُ نَظَرْتَنِي لِلْعَالَمِ الْمَمْتَحْنِ!
وَكَأَنِّي مَذْنَبٌ فِي عَرْفِهَا فَهِيَ أُمِّي، وَهِيَ مِنْ تَلْهَمَنِي!
مَوْئِلِي فِي ظِلِّهَا أَوْ نُورِهَا وَهِيَ مِنْ فِي عَطْفِهَا تَنْعَشَنِي
كَيْفَ أَشْجَى وَهِيَ حَوْلِي دَائِماً

^١ إشارة إلى صوت الرعد.

^٢ أي الطبيعة. إشارة إلى انقشاع الغيوم.

ثم لم تلبث على سخط فقد
حين غنت بعصافير لها
بين وثب واختباء في على
وفرادى النحل جاءت تحتسي
أنشدت حولي أناشيد الهوى
والنسيم الحر يحكي ما رأى
والفراش اللاعب اللاهي يلي^١
والأصيل السمح يروي شعره
ورأني ناهلاً من نوره
وإذا الجدول يروي حقله
وعذارى الريف في لهو الصبا
لسن يعرفن هموماً غير ما
أخجلتني^٢ هكذا من حسرتي
وأرتني حينما أفهمها
فاغتنى طبعي حنيني دائماً
فأناجيهما بحب معلن
منشداً شعري، وحسبي سمعها
جلست في عرشها مصغية
وكأنني وارث ملكاً لها

صفحت عن زلتي وحزني
لعب الأطفال قبل الوسن!
حيرتني بل غدت تقهرني!
خمرة الزهر بغير زمن
وأغاني رفقة^٣ تعرفني!
من غرام ومعاني الفتن
تحت أصباغ الغرور الحسن!
ملء ألوان لَوْحِي الفُطْن
فحباني كل ما يسكرني
مثلما يطفئ بآنس شجني
واهبات مستطاب المنن
تعرف الورقاء فوق الفن!
بينما في الكون ما يسعدني
أنني أنعم إذ تفهمني
لجاليها التي تفرحني
وتناجيني ببر معلن
فهو منها ولديها يغتني
لوفاء الشاعر المفتن
وكأنني حاكم في زماني!

^١ رثية: صحاب.

^٢ دلي: يذنو.

^٣ أي الطبيعة.

الإلقاء والتمثيل

نظمت في استقبال العام الثاني للكونسيراوار المصري (معهد الإلقاء والتمثيل) بالقاهرة في الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٩٢٧م

عش للغد الزاهي أعز مثيل
أهلاً بعيدك بعد عام طفولة
(الفن) بارك عمرك الحالي فما
لم تدر من سنن التطور حاكماً
أصبحت مدرسة (البيان) موفقاً
أكرم بمن غذك من إخلاصهم
وبمن رأوك ملاذ حس أو حجي
كافأهم بالبر فوق صنيعهم
في موطن ضاع (النبوغ) سدى كما
دنيا خرافات وجهل شائع
(الفن) كاد يموت منها حسرة
لم يبق للأحرار غير مباءة
إبعث ضياعك للشباب مرحباً
وانهض برغبة (مصر) في استعلائها
مصرية النفحات، ليس يشوبها
وليعل صوت الرشد فيك مؤذناً

يا (معهد الإلقاء والتمثيل)
قد بلغت مكانة التبجيل
أحوجت بعد دليله لدليل
فطفرت منفرداً بوادي النيل
في شبه إعجاز لهذا الجيل
وبمن حبوك رجاء كل نبيل
يحتاج للتعبير والتدليل
وغدوت ملجأهم من التضليل
أضحى الجميل يعد غير جميل
وفنون إفساد بكل سبيل
ما بين قال في الضلال وقيل
بحماك من عبث ومن تدجيل^١
وإلى الشيوخ مطمئناً كوكيل
بثقافة تزري بكل دخيل
فقر ولا عجز وحس ذليل
حيناً، وأنا أية التنزيل

^١ التبجيل لغة بمعنى التغطية، ومجازاً بمعنى المخادعة.

قصص الحياة تعاد فيك قوية
ومواقف الخطباء فيك عظيمة
دم في زكاتك هذه تعطى لنا
حتى نعالج (مصر) من أدوائها
حتى يرز صدى الخطابة بالهدى
حتى يعود إلى الفصاحة مجدها
حتى ترى مصر الجديدة قسطها
حتى يصير (الفكر) ديناً سيداً
وأنا الكفيل بأننا في برنا

عبراً، فما تحتاج للتأويل
تستأهل التقدير بالتكليل
روحاً وريحاناً وطب عليل
في المسرح العاني عناء كليل
في كل عاصمة وكل قبيل
في بهجة غنيت عن التهليل
من قوة التبيان غير ضئيل
وله الصلاة وأروع الترتيل
لن نكتفي بالشكر والتقبيل!

التعالي

رجاؤك أن تُصيبَ وفاء قوم
فإن كنت المصيب له فهذا
ومن شاء السيادة في شموخ
ولكن السيادة - وهي عندي
تنال بكل تضحية وطعن
فتغنم غاية التسفيه ممن
ويغدو كل حسن فيك قبحاً
وتلقى الاتهام يساق سوقاً
فما تدري أصار الفضل عيًّا
أم الدنيا تعيش على خيال

بررتَ بهم رجاءً للمحال!
مثالٌ بذّ مألوف المثال
فما يعليه نبل من فعال
تعالي النفس لا بطش التعالي -
وأيذاء كأنك لا تبالي!
بدلت له الرشاد وكل غال
وكل كرامة شبه الضلال
إليك، وحين لم يخطر ببال!
وبات النقص نوعاً من كمال!
ولن تشفى الدهور من الخبال!

أم الأحداث فيها لم تزدها
وساوى الألعى بها جهولاً
وهل هذي الجبال لها رؤوس
قياس الناس أوهام تناهت
وتوشك أن تغص بكل وجد
ولكن عندها ترنو بعيداً
فتقبل كل تضحية وتنسى
وتجعل نفسك المثل المرجى
فلن ترقى الحياة بلا كفاح

شعوراً بالحقيقة والجلال؟
وأصبحت المساوى كالمعالي؟
عليها، أم تقوم بلا جبال؟
ومنطقهم خيال في خيال
وتسرف في التشاؤم غير سال
بإيمان العظيم إلى الجمال
حياتك في جمال بعد تال
تعالیه لتكوين الرجال
نبيل بين عزم واحتمال

الفلاحة

سيري خلال القطن بين تبسم
ودعي الذي يدعوك ربة مصره
إنني أبايع بالسيادة من لها
ربت له همم الرجال وأطلعت
وأعز ثروته سخاء بنانها
وكان رفق الشمس لفضة ثغرها

ما القطن إلا من تبسم فيك
يجني ابتسام الحب دون شريك
في مجد (وادي النيل) مجد ملوك!
أملأ كوعه للصباح وشيك
وحبورها جدوى لكل ضريك
فيحول في طمي يعز سبيك!

* * * * *

يا وحى (بنتاؤور) لم نزل العلى
ما زلت لابسة الحداد كسيفقى
أنت المؤله العزیزة بيننا

كالفن في أيام (منف) تليك!
فلتنزعیه، فنحن نستوحيك!
وإن احتملت متاعباً لذوك

سيرى متوجّة بتاج محبة
وإذا تناساك الذين تخاذلوا
وعملت زارعة وحاصدة لهم
حتى إذا انقشع الغرور تنبهوا
ويعاف إلا أن تكوني حرة
قسماً بقدرك لو نصفت لأدركت

للنفع والإصلاح جنب أخيك
جاهدت إشفافاً على ناسيك
وغذوت أفئدة بروح فيك
فإذا العتي النفس يسترضيك
في عيشة تهنیه إذ تهنيك
(مصر) العزیزة كل ما یرضیک!

لغة العرب

تحية مجلة (لغة العرب) وصاحبها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملی
في یوبیله الخمسینی

في عيد مجدك يهتز الألباء
طلعت عنوان فضل لا يحد له
وكنت شارة خلّ كله شمم
في نصف قرن بنى علماً وتجربة
ولا يزال عظیم الجهد مبتدعاً
إن كنت إبنة ست في السنين فكم
وذمة مثل حد السيف قاطعة
ما بين بأسٍ عظیم البطش في ثقة
وبين مرحمة بالفكر باللغة
وبين نارٍ تُلظّي، من تأججها
وبين سعي لدفع بل مقاتلة

وتحمل البشر للأبناء أنباء
نبلاً لمن أمتعوا برأ كما شأوا
حيّاً جلاله ماضيه الأجلاء
وحكمة فوق ما يرجوه بّناء
له أيار على الإصلاح غراء
في دفتيك من الأعوام أحياء
وبسمة للذكاء الجم حسناء
بالحق إن عصفت بالحق أهواء
وبالتراث المعلّى فهي أنداء
هذي العقول وإشعاع وعلياء
للجهل، والجهل أدواء وأرزاء

جمعت شتى من الدنيا وما وهبت

لرشدنا همة شماء قعساء

* * * * *

أهلاً بيوم (أنستاس) تُكرِّمه
كم تضحيات أضاعت حولنا قبساً
حياته سيرة للنفع دائمة
أعاد مجدداً من الأسلاف مندثراً
الرافعون مناراً من سماحتهم
كأن بغداد قد عادت لعزتها
ولم يفت (سيبويه) في تقمُّصه
قضى عليه (الكسائي) في مناهضة
ثارت للعلم، فليخسأ محاربه
هذي صحائفك البيضاء ساطعة
أغنيتك في موقف عزِّ النصيرُ ففي
إن شاء أن يتعامى عن مفاخرها
أو شئت أنت احتجاجاً عن علانية
أو ناظرتك عقول جِدُّ مجبة
أو صورتك بأغراضٍ مزعزعة
أو عاب حكمك من يهوى مجاملة
إن العظيم عظيم النفس عن شرف
وليس من شاد فوق المال هيئته
بل من تعيد في تعييده أمم

مأثرٌ هي للتاريخ صهبا
والتضحيات حرارات وأضواء
(موسوعة)، ولها الأعوام أجزاء
إلى (لسان) له الآباء 'آباء
والعالمون الأجلاء الأعزاء
و (للخيل) بها وحي وإيماء
وجدانك الحي إرشاد وإفتاء
زوراً، وطعنك الغراء نجلاء
فما لنا بعد للحساد إصغاء
وحسبنا صفحة في الحق بيضاء
مبادئ الحر تعزيزٌ وتأساء
غر فلا وهم إضحاك وإبكاء
فللمأثر مثل العطر إفشاء
فما تحس بجذب الترب فيحاء
فإنما مقلّة الإغراض عمياء
فليس في العدل إيثار وإقصاء
يعنو لهيبته رعد وأنواء
وهماً، وهيئته جوفاء خرساء
طوعاً، ويتبع نجواه الألباء

¹ إشارة إلى الآباء الكرمليين الذين يؤلّزون في إصدار (لغة العرب).

بيت النور

ترحيب (بنادي جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة

روضوا النفوسَ فمن أهوائها الداء
روضوا شباباً على لهو وفي كسل
ونوروا من هدى (النادي) مشاعرهم
بيتٌ يُلاذ به علماً، وترضية
حيث الإخاء عزيزٌ في جوانبه
يبثُّ فيه من الآداب أرفعها
فما يفوت الصدى نفساً بلا هبة
وتمحى فيه أجقاد ويخلفها
ويبتني من حضارات متنوعة

* * * * *

قد طال عهد التراخي، يا له زمناً
حيث التفرق أنواع مجددة
والمسلمون حيارى في وساوسهم
والقائد الفذ مغموراً، وغايتيه
وليس للدين معنى غير سفسطةٍ
عادوا به الفن والعرفان في زمنٍ
وصوروه بما يابى تصويره
فهان دينٌ وعلمٌ بيننا، ومضت
وكاد يقضي على أخلاقنا، وغدا
فحيرتنا مقاييس لحكمتهم

ورُبَّ داءٍ توالى منه أدواءُ
يقسو عليه الهوى والجهل والداء
فخلف أضوائه للنشء أضواء
للصفو، وهو بصافي الحب وضاء
حي، وحيث حياة النبل غراء
ومن معارف هذا العصر أصداء
ويزدهي بعلَى الآداب أبناء
بر وصدق وإخلاص وإغضاء
نخر البنين ونخر الدين آباء

ضاعت به همم شتى وأراء
وللظهور حزازات وإغراء
وكل يوم ضلالات وشحناء
من جهده السمع حرمان وإشقاء
كأنما الدين إضحاك وإبكاء
الفن كالدين في الإصلاح بناء
عقل، وما عاف نجواه الألباء
بالدين والعلم غايات وأهواء
للعابثين مجال الهدم ما شأؤوا
وجهلهم كلها نكراء خرقاء

وكاد يُيئسنا من حالنا عجباً
حتى تجلى شعاع الصبح مؤثلقاً

* * * * *

إذا شكرتُ فشكري سابقٌ لفتى
أبى ظهوراً وخلقاً جهده علماً
ولو تدبر لم يحجب محامده
من قاد لم يغن عن صيت يخص به
شتان بين الذي يحيا لشهرته
وبين تاخذها جسراً لغايته
كرمت فينا "محب الدين"^١ بل كرمت
أعلنت دينك إصلاحاً ومحمدةً
وكان براءً جميلاً من تسامحه
وصدنت أخلاق شبان نصون لهم
لم ينكروا فضل ماضيهم ولا جحدوا
ولا اكتفوا بالسنا الماضي ولا قبعوا
من نام مات، ومن أيامه عملٌ

لا يستتب، وزلزال وأنواء
وسار يتبع داعيه الأجلاء

المدح فيه - وإن حققت - إيذاء
فليس ترضيه ألقاب وأسماء
فإنها هبة للخلق زهراء
فالصيت للجهد إسعاف وإحياء
وحظه العمر تغرير وإغواء
في النفع للناس حيث الذكر مشاء
من أجل جهدك آمال وعلياء
فكان من حقه طوع وإصغاء
وما كإيحائه للشعب إحياء
حباً، فهم لرجاء المجد أكفاء
تراثه، فهو للتاريخ أنباء
فكلهم هممة للفتح شماء
حي، وهل يستوي موتى وأحياء؟!

^١ هو الأديب الشهير الأستاذ محب الدين الخطيب مستر (جمعية الشبان المسلمين) ومؤسسها الأول وصاحب مجلتي (الزهراء) و (الفتح).

أمين

رثاء فقيده الصحافة والوطنية المغفور له أمين بك الرافعي صاحب (الأخبار)

رُويَدَكَ أَيُّهَا النَّاعِي (أَمِينًا) !
نَعَيْتَ لَنَا مَطْهَرَةَ السَّجَايَا
بِحَسَبِ جَلَالِهَا أَنَّنَا عَرَفْنَا
رُويَدَكَ ! لَنْ نَرَى لِلْمَوْتِ حَكْمًا
فَتَى وَهَبَ الْحَيَاةَ وَغَابَ لِمَا
وَكَمْ مِنْ نَاهِضٍ تَلْقَاهُ يَسْعَى
شَبَابَ رُوحِهِمْ مِنْهُ، وَفَرَضَ
وَمَا مَاتَ الَّذِي يَحْيَا ذَوُوهُ
إِذَا مَضَتْ الْأَشْعَةُ فِي غِيَابِ
مَآثِرَ لَنْ تَمُوتَ وَلَيْسَ يَفْنَى
إِذَا انْتَسَبْتَ (فَلِلْإِخْلَاصِ) حَتَّى
مَضَى الرَّجُلَ الَّذِي مَا خَطَّ إِلَّا
لَهُ وَهَبَ الْجُهُودَ بَلَا انْقِطَاعِ
فَكَانَ لِنَفْسِهِ فِي زَهْدٍ رَاعٍ
فَمَا عَرَفَ الْهُوَادَةَ فِي حَقُوقِ
وَأَنْ عَرَفَ الْقَنَاعَةَ فِي حَيَاةِ
فَتَى فِيهِ (الرَّجُولَةُ) قَدْ تَمَادَتْ
وَدَامَ غِذَاؤُهُ (الْإِيمَانُ) حَتَّى
وَرَّاحَ بَثْرُوهَ التَّقْدِيرِ لِمَا
فَعَاشَ بِمِثْلِ صَوْمَعَةٍ مَكْبَأً

نَعَيْتَ بِهِ خِلَالًا مَا نُعِينَا !
وَرَكْنَا قَدْ حَوَى (الْأَخْلَاقَ) دِينَا
مَعَالِمَهَا صِفَاتِ الْخَالِدِينَا
عَلَى عِلْمِ الْهَدَاةِ الْجَارِيْنَا
تَغْلُغِلُ فِي نَفُوسِ الْجَاهِدِينَا
وَتَلْمَحُ حِينَ تَلْقَاهُ (أَمِينًا)
عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا النَّاهِضِينَا
حَيَاةَ الْأَوْفِيَاءِ الذَّاكِرِينَا
فَقَدْ تَرَكْتَ لَنَا صُورًا بَنِينَا
لَهَا وَحْيٌ، وَلَنْ يَلْفِي مَهِينَا
غَدَا (الْإِخْلَاصُ) حَارِسَهَا الْأَمِينَا
دِفَاعًا يَدِي، عَفَ الْوَطْنَ الْغَبِينَا
وَخَلْفَهَا حَدِيثَ الْمُعْجِبِينَا
وَكَانَ لِقَوْمِهِ فِي الطَّامِحِينَا
(لِمَصْرِ) وَظَلَّ يَحْرُسُهَا ضُنِينَا
فَعَزَّ وَلَمْ يَعِشْ يَوْمًا ظَنِينَا
فَعَاشَ لِأَجْلِهَا فِي الْمَرْهَقِينَا
قَضَى وَلَهُ ابْتِسَامُ الْمُؤْمِنِينَا
أَبَاحَ لِقَوْمِهِ الْعُمُرَ الثَّمِينَا
عَلَى التَّحْبِيرِ يَزْجِي الْيَائِسِينَا

يحارب باليراعة في اطراد
به ازدهت (الصحافة) واشرابت
وما وجد الثبات له وفيأ
فما بالى عدا الناس لما
ولم يرهب بوحدته عدواً
وهل عرف الهزيمة من تسامى

* * * * *

أخي في الحب للوطن المفدى
فديت الموطن الغالي، فطوبى
وعشت القدوة المثلى شريفاً
مثال أخرس السفهاء لما
حفظت جميل ودك في سنين
ومن ينس الوداعة في حياء
ومن ينس نفائس المعى
فإن الصدق حليته، وأجمل
وإن النبل شيمته، وأعظم
وإن النصر غايته، وأكرم
وإن الصبر خلّته، وأنعم
مواهب في الحياة ملكن حباً

* * * * *

جيوشاً أو خصوماً غالبينا
وكان مهذباً لمهذبينا
تحمل مثله في الكاتبيننا
رأى وجدانه الوافي قرينا
كقرم^١ يسكن الحصن الحصينا
ومن دام (اليقين)^٢ له يقينا^٣

وفي الأدب الذي أضحى حزينا
لمثلك في عداد المفتديننا
وكننت لنا مثال الصابرينا
تغالوا في اتهام النابهينا
فلم يذبل على رغم السنينا
ولطف بأسر المتحامليننا؟!
حوت نخب الفضائل أجمعينا؟
به من شارة للناغبينا
به من عزة لتوجيننا
بحزم يملأ الدنيا رنيننا
به من مسعف للعامليننا
وبعد نواك ملكن الحنيننا

* * * * *

^١ القرم (يفتح فسكون): السيد العظيم.

^٢ التحقيق.

^٣ عقيدة.

رثاك النائحون وقال قوم
وأنتك ما غنمت سوى عناء
وما عرفوا قلوب الناس، كلا
ولا فهموا اعتزازك حين تلقى
ولا هم قدروا أن المعالي
ولو خيَّرتُ في موتي فإنني
لقد ضحيت كالشهداء حتى
صحائف تنقل (الأخبار) عنها

شبابك هكذا ظلماً أهينا
لشعب ذوات نصحك مستهينا
ولا عرفوا سكون الثائرينا
وأنت الشهم بين الوادعينا
برغم البؤس رهن المخلصينا
أعد مماتك الفخر الرزيننا
لروحك كلنا أضحي مدينا
على مر الزمان لهتدينا

موت الجبن

لا تخش من نُوب الزمان فإنها
تهب العظاات لمن يشاء عظاتها
وتثير همته فيرفع نفسه
فيسود أحداث النوائب مثلما
الجبن والإقدام في حكم الحجي

موصولة أبداً بسر نعيمه
وتفكه من بؤسه وهمومه
عن مستوى الفاني ونار جحيمه
يغزو بإيمان دهاء غريمه
الفرق بين سفيهه وحكيمه!

أنا وغيري

(مثال من الشعر المرسل)

إن نفسي نفسي، ولكن نفسي
لست إلا كنقطة البحر تجري

هي غيري لما تشاء الحياة
في حمى الموج لا تطيق انفكاكا

فأنا بعضه وإن كنت أدري
وأنا رهنه: فإنني إليه
فشعاري تعاون وتناخ
إنما المرء غيره في سمو
والذي يرفض التعاون يحيا
أو كغر مضى بقارب خوص
حسب الفتح في الجهاد وحيداً

أنني غيره كفرد سوي
أتناهى وإنني فيه أجري
شأن حُر حنّاً على ود حر
وحياة الإنسان ملك أخيه
كغريب وتائه وسفيه
في مياها حياها ظلمات
وجهاد الغبي فيه الممات!

تغلغل في الحياة

تغلغل في الحياة ولا تجانب
وفرض أن تكون بها عليمًا
ومن خاض الرذيلة في دروس
ولكن المجانب خوف ضعف
فخلّ مصاحب التسبيح يلهو
يعممه النفاق على فسار
وكنّ رجل التسامح والتسامي
فمن رام الطهارة في وجوه
ومن شاء الصلاح عليه حتماً
وما أصل النبالة في اعتكاف
ولكن في اندماج النفس صدقاً

مساوئها فقد تحوي جميلاً
إذا ما شئت أن تحيا جليلاً
تنزه عن عواقبها عليلاً
يزلّ ويغتدي بعد الذليلاً
بأوراد يرددها ثقيلًا
وقد تخذّ الهوى سرّاً زميلاً
وكنّ أيضاً لتجربة خليلاً
بلا رجس يروم المستحيلاً
لينجح أن ينقب مستطيلاً
ولا أن نصغر الحظ الضئيلاً
بدنياها لتسديها جميلاً^١

^١ يقال ألحم ما أسديت: أي تمّ ما ابتدأته من الإحسان.

وما كان الترفع في ثراء
تغلغل في الحياة إذن وأدرك
وحاسب عقلك الواني إذا ما
فإن العقل معتزلاً شبيهه
وما هذا الوجود سوى شعاع
نقائض في اجتذاب واتصال

ولكن الترفع أن نقليلاً
بأنك ما بها، وانظر طويلاً
تخلّى عن فرائضه بخيلاً
بنجم قد هوى فغدا محيلاً
يحجب خلفه ظلاً ظليلاً
وتأبى أن نفرقها قليلاً!

قاطع طريق (أو ضحية الكوكابين)

تخذ السبيل إلى الشكاة سبيلاً!
كانت شجاعته التَّسْوَلْ هكذا!
صاح وما هو رهن صحو، إنما
وكأنه كالديـدبان تهـزه
يشكو إلى الغادي الحياة وبؤسها
وبصوته خطر الملح مهـدداً
ويكاد يسقط من عياء تارة
والبرد يقصره فيرقص ضاحكاً
والريح تصفر حوله وكأنه
لم يبق من ثوب يقيه وصانه

أرأيت من قطع الطريق ذليلاً؟
بُسْتُ شجاعةً من يطوف سؤولاً!
أمسى النؤوم الواقف المشغولاً!
خمر، وما ذاق الشقي شمولاً
شكوى تخال معيدها مقتولاً!
بيننا تراه المستكين طويلاً
ويكاد يحسب - إن أراد - مهولاً!
لكنه ضحك يُخال عويلاً!
في ملعب قد شوّه التمثيلاً!
إلا كساء لا يصون نحيلاً

قد لفّه لفاً فبان كأنه
وكأنه كفّنْ أطلّ برأسه
أو أنه (إبليس) جاء محجّباً
فإذا مضى المغبون بعد لقائه
ومن افتدى بالمال بمد لقائه
أوفى على الشبح انليل فتى له
وبمثل لمح البرق أسعف شمه
وتقاسما المال الذي اقتنصا لكي
جرم تجسّم في الظلام مكرراً

* * * * *

في الكرنفال، محولاً تحويلاً!
شبح كعفريت يظل قتيلاً!
ومروعا من شامه مذهولاً!
جزعاً كمن لاقى البلاء وبيلاً
أو شق في خط الممات سبيلاً
كالهر خفّته، وساء خليلاً
ببطاقة وتناوبا المنديلاً!
يتقاسما السمّ المميتُ الجيلاً
مذ كان بالموت الكفيل^١ كفيلاً^٢

أكذا الحضارة والمواهب تغتدي عبئاً على هذا الزمان ثقيلاً؟!

صلاة العشاء

لفردي، الموسيقار الإيطالي الشهير

ردّدي ردّدي جميل الملوديا^١
ردّدي للذين يصغون للسحر
ردّدي للصلاة من متع الألف
بين سامي الصعود في نغمات

يا نعيم الأسماع والأرواح
روكل كحالم وهو صاح
حان ما سال مثل معسول راح
ترفع الحس غوق حظ متاح

^١ المثل.

^٢ ضامناً.

^٣ Melody: أي اللحن الغنبي.

وقرار على سلام من الرا
نتخلى بها عن البؤس في الدن
ونحاكي الأنغام في اللطف إسرا
يا صلاة الإسعاد طولي وأحـ

حة للنفس في لذيذ ارتياح
يا وعن نقمة وعن أتراح
ء إلى غير عالم الأشباح
ـيينا العشاء للأصباح!

وليمتي

لبيت داعي الهوى من حسنه الزاهي
مدت موائده حولي وطلعته
والناس قد فرحوا بالخمير تسكرهم
بيننا (الطبيعة) ترعاني وتسعدني
لم تتل مدحاً على سخر وفي عبث
لكنها عطف عطفاً على أدبي
فيها اندمجت ولم أجد رعايتها
وقد سها عن غنائي من بدائعها
في كل أحلامها حلم يشوقني
ومتعة من معانٍ لا يساورها
المشتكي وهو في يسر وفي مرح
والحاسب السقم أو هما يلـم به
لا أزرني العيش والأتراح حيث أرى
وليمتي هذه الدنيا بأجمعها

ورحت أشوق مشتاق إلى (الله)
ترنوا إليّ، وإن غابت عن اللاهي
وبالمدائح، ملقاة بأفواه^١
ببرها المتسامي دون أشباه^٢
ولم أكن كفتى بالوهم تياه
وعانقتني كدر بين أمواه
على المدى، فإليها منتهى الجاه
موتى الحياة وقلبي ليس بالساهي
جم الجلالة لا فانٍ ولا واه
داعي التشاؤم من غافي الورى الناهي
وحظه العمر بين البث والآه
نوعاً من الرزء أو شبه الردى الداهي
من (الطبيعة) سلوى حسننها الباهي
فكلها صور من صورة (الله)!

^١ شبه الشاعر المدائح المغررة الكاذبة بالخمير المسكرة التي تلقى في أفواه سامعيها في ولاتم الظهور الفارغة. وقد صاغ تعبيره هذا صياغة تحقير.
^٢ أي ببرها المتعالي عن الأمثلة.

هنا وهناك

قصيدة ترحيب باستاذ الأدب والطب الدكتور عبد الرحمن بك عمر - مدير مستشفى الحكومة ورئيس (الجمعية الطبية) بالإسكندرية - في امادبة التكرمية التي أقيمت له مساء ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ في فندق "سمربلاس" إثر عودته من رحلة علمية في انجلترا.

فأهلاً يا إمامَ الطبِّ فينا
فلما أن شفيت به^١ شفينا
دفين هيج الألم الدفينا
مهنة العلى لمهنيينا
شفاؤك نعمة لمعيدينا
(لطيفة) بعد أن حرمت (أمونا)
موفقة فما كفت العرينا
له نفسية المتواضعا
ولا تستصغر الملاء المدينة
شهي^٢ ينشر الأدب الثمين
ولو أنا اشتياقاً ما كفيها
رأينا نعيم المخلصينا
فيعشق هكذا صداً ولينا
بمعركة، ولم ينبذ طعينا
إذا احتكموا ويملؤهم يقينا

رَجَعْتَ لِتُسْعِدَ (الثغر) الأمينا
رجعت وقد مرضت غداة عود
كذاك الوصل في سقم غرام
قد ازدوجت تهانينا وأوحت
لقاؤك كان عيداً ثم أضحي
وعدت كعود (أمون) المرجى
وكالأسد الذي خلّى شُبولاً
له شخصية العظماء بينا
كشمس تسعد الدنيا وتعلو
حرمنا في الغياب جنى حديث
وعلم مستعز كم كفانا
وخلق مستطاب إن تجلى
يلين بشاشة ويصد حزمأ
عظيم النبل: لم يقتل جريحاً
فيرضاه الخصوم رضى صحاب

^١ أي العود.

وما مثلي الذي يخشى اتهاماً
ولكن قد كفى وصفي تجلّى
وما كان احتفاء الناس إلا
ومن كانت مواهبه كباراً

* * * * *

ألا حدث - وأمتعنا - حديثاً
ولا توجز فقد غيبت عنا
أسابيع الفراق على وداد
بحقك في صراحة مستقل
أجبنا: هل بلاد (التمز) تحكي
وما سر المناعة في رباها
وكيف تعيش أجيالاً مناراً
وكيف تدوم في خصب سخي
وهل مجهودها (للفرد) أم هل
وهل فخر العظام لها بصيت
وهل (للابغين) بها حياة
وهل (للجهل) سطوة مستعز
وهل للعلم شِعوذة تناهت
وهل (للفن) سخرية ولهو
وهل (للشعر) ألقاب وزهو

فيوجز في صفاتك مستهينا
نُهي (الفاروق) عندك و(ابن سينا)
وفاء، لا غلوّ المحققينا
فما يغني بمدح المادحيننا

كعهدك راوياً^١ سمحاً معينا
وطال حنيننا فاجز الحنيننا
تمر^٢ كأنما مرت^٣ سنينا
ومعتد^٤ بصحب مؤمنينا
بلاد (النيل) أخلاقاً وديناً؟
قروناً لم تزل تتلو قروناً؟
يشع بلا ونى للتابعينا؟
بأذهان وتأوي الخالديننا؟
غدت حيراتها للحاكمينا؟
ومال، أم فخر المصلحيننا؟
تذال كحالننا والنابعينا؟
على (عقل) يدين له مهيننا؟
فكان جهالة للعالمينا؟
وأضحى (الفكر) فيها مستكيننا؟
ودولات تظلم^٥ الفاسقيننا؟

^١ راوياً: من روى القوم بمعنى استقى لهم.

^٢ من المراجعة.

^٣ تولت.

وهل (للطب) ما تلقى: دعاوى
وهل (للمرأة) القسطُ المعلى
فعزت.. أم غدت لهواً ووهماً
وهل كانت (صحائفهم) خليطاً
وهل عادت (كنائسهم) نهوضاً
وحاربت (الذكاء) وإن تغالى
وكم من (مالك) أضحى عتواً
وكم من (خادم) لم يعط حقاً
وهل (حرية الوجدان) صدق
وهل (للباحثين) بها مجال
وهل (للجامعات) بها جلال
تسود بها (الحقيقة) في شموخ
فتطبع في النفوس صفات نبيل
وتمنح (للحضارة) فضول نور
وكيف غدت (مزارعها) جناناً
وأصبحت (الحياة) بها نعيماً
وصار (العامل) المسكين قبلاً
قريباً بين مصنعه وبيته
إذا ما خانته حظف عانى
فهل كانوا بوحدتهم بناء
وهل أضحى جميع الناس فيها
لهم فخر (الأمانة) قبل فخر

تعيد لنا زمان الساحرين؟!
من التقديس بين العابدین؟!
ومظهر متعة للمالکین؟!
من الأدران تؤذي الناشئین؟!
فكفرت الهداة الفاتحین؟!
وهدمت البناة المحسنین؟!
يدوس الفالحن الزارعین؟!
من الدنيا فمات بها غبین؟!
بها، أم أنه صدقاً أهین؟!
أم ابتدعت عدااء الباحثین؟!
وملك لا يهاب الثائرین؟!
وقد عدت لها الحصن الحصین؟!
وتكسبها الفضائل أجمعین؟!
يدوم هداية المتمدينین؟!
ونور الشمس يلحظها ضنین؟!
مقيماً، و(الجمال) لها قرین؟!
معافى لا يخاف الآجرین؟!
فلا يلقى شقاء المرهقین؟!
تلقى المرشدين المسعفین؟!
يؤازر بعضه بعضاً أمین؟!
على سرر الهدى متقابلین؟!
بيأس أو بمجد الغابرین؟!

وكلُّ حقّه حيٌّ، وكل
كأن (انجلترا) في كل فرد
لنهضته الجهود بكل قطرٍ
تُرى الايثار مبدأه، ولكن
فيكرم بعضه بعضاً ببر
ويحترمون (حكم الشعب) حتى
فما عرفوا التحكّم من فريق
وفيهم من أصالتهم دليلٌ
إذا سألوا: فكم يسدون نفعاً
وليس سؤال من عاثوا فساداً
أجنبنا! ثم حدّثنا بوعظٍ
رحلت بروح تلميذ وديع
وعُدّت لتخدم الوطن المربّى
ونحن الكاسبون بأي حالٍ
فإن تغنم فغنمك في شعورٍ
وقد حرنّا بأسباب نراها
بمثلك يقتدى في درس داء
فأهلاً بابتسامك! ثم أهلاً

له فيها حياة الأماننا
وقد ملك البوارج والسفيننا!
حوى إخوانه المستبسلينا
برغم مداه لا تلقى غبيننا
ويحيون التساوي فاخرينا
غدوا علماً له في العالمينا
يسود ولا نهى المستوزرينا
إلى حسن التوسّط ظافرينا
إلى الوطن المفدى والبنينا
لينتفعوا، وكانوا هادميننا!
فأشهى الوعظ وعظ السائحيننا
وأنت معلم لمعلمينا
مواهب قد برهن المعجبينا
زكاة لا ترد السائلينا
بأنك تسعد الوطن الحزينا
لعثرتنا، فناج الحائرينا
ويوصف طبه لليائسينا
بعور ينشر الإصلاح فينا!

الينبوع

La Source

(من تصوير إنجرز J. A. D. - ١٧٨٠م، ١٨١٧م)

بَلَغَ التَّخْيُّلُ مِنْكَ غَايَةَ سُؤْلِهِ
هل كان للدنيا سواك رجاؤها
بنت (الطبيعة) أنت، آية فنها
تعبت ملايين القرون فأبدعت
قسماً به لولاك ما حفز النهى
لولاك أعلنت العواطف يتمها
منك استمد الملهمون وأثمروا
فإذا اعتززت فإن عصرك سيد
ووقفت عارية فكنيت أمينة
في حافة النبع المرحب مثلما
وعرضت في فتن انتنائك ما اشتهدت
وقلبت جرتك العريزة فارتوى
أودعته غرساً لظلك مثلما
والنرجس النامي بقربك مفعم
وأرى الجدار قد استحال مباءة
والناميات حياله من خضرة
والماء - وهو يسيل بين أنامل
وأرى يمينك فوق رأسك وحدها
وعرفت أنك أنت نوراً أو شذى
هذا هو الينبوع، لا النبع الذي

وكذا الحقيقة في الخيال تَضُوعُ
أو كان غير جمالك الينبوع؟!
فعلى روائك فنها المطبوع
ووفت: فكان سناؤك المتبوع
داع، ولا سحب النبوغ سطوع
وقضى على لب الحياة الجوع
فالأصل أنت وما عداه فروع
وإذا أهنت فعزه ممنوع!
للحسن حين عدوه المصنوع
بالبدر رحب ماؤه المسموع
عين، وما سفكت لديه دموع
من مائها الينبوع فهو زروع
أودعته ألقاً يظل يروع
عبقاً، كذلك لحظه مرفوع
للوحي، واستولى عليه خشوع
هي للمحبة نضرة وذيوع
لك - كالخطوط يفوتها المفجوع
كالتاج زينته سنى وولوع
متجسّم، مستأسر، مجموع
أسديته روحاً لديك يضوع!

(مداعبة من الشاعر إلى صديقه الأستاذ علي أدهم)

أديب الناقدین لخیر جیل
تهجّلنا^١ فبارکنا فإننا
وأنت خليفة في أرض (منفر)
ومن جعل "التناقض" في "اتصال"
ومن نسب "التنوع" في صفات
وما زالت "رسالته" حديثاً
ويتلى في المكاتب من ذويه
فبارکنا إذن واعطف علينا
لعلك تثبت الإيمان فينا
نئنُ بفقرنا... هل كان وهماً
فإن كان "التناقض" محض وهم
وخذ منا إلى (هجل) خضوعاً
ولا تطمع بإيمانٍ إذا ما
إذا عدم الفقير الحظ عمراً

یرى بعُلاک إعزازَ الکتابَة
نرى في الفكر نوعاً من قرابه
لمن (اللكون) قد عرف انتسابه
فوحّد ما رأى وأبى اقتضابه^٢
"لوحدة" عالم جم المهابه
يعيش، ولم يزل يوحى خطابه
بعزة مسلم يتلو (كتابه)
لعلك ناشرب بر الصحابه!
فعندك يذكر الإيمان بابه
وعندك يرتجي العاني صوابه؟
فبلغنا الغنى وابعث حسابه!
إلى الأبد القصي ونل ثوابه!
عددت رجاءنا هذا دعابه!
فما نسي النعيم ولا سرابه!

^١ أي تمذهبنا بمذهب (هجل) وهو الفيلسوف الألماني الشهير (١٧٧٩م - ١٨٣١م) صاحب المذهب القائل بأن كل ما هو معقول حقيقي، وكل ما هو حقيقي معقول. وكان يعتقد بوجود وحدة مطلقة تتألف حقيقتها من التمثل المتنوع في الأفراد. وبعبارة أخرى كان يعتقد أن الوحدة والتتويع كلاهما لازمٌ لآخر. وقاعدته الثلاثية الفلسفية هي: التأكيد، فالتناقض، فالتأليف. ونظريته من أوفق النظريات للتقريب بين المتناقضات الظاهرة في الحياة. وهذه نقطة الدعابة بين الناظم وبين صديقه الأستاذ علي أدهم أشد المنتصرين (لهجل) في مصر.

^٢ أي وأبى قطع الاتصال.

مناظرة وحنان

(نموذج من الشعر المرسل المتنوع الوزن – أي الشعر الحر: free verse –
في وصف حسان أوروبيات ازدن بالأزهار وجلسن يتأملن في المرايا تجاه بعضهن
في مجتمع عام.)

..... وجلسن بين تناظرٍ متأملاتٍ في المرايا
فلم التناظر؟

الحسن وحدته تجلٍ وإن تنوع أو تباين
فله الجلاله!

وللمحبين أشواق وتقديس

هيهات يحصرها داع إلى حصر!

فالحسن سلطان، والجوهر الأسنى

لا قسمة المظهر،

مهما ازدهى وغلا!

وكأنما الأزهار أيضاً قد حنن إلى التناظر!

ما كن حليتهن، لكن كن رسل العاشقين

وكان كلا تشتهي أبهى التفوق في الملاحه

وكذا الحسن ليس يتبع آخر،

بيننا الأسارى التابعون على افتتان رهن رحمه!

أنظر إلى الأزهار!

أنظر جميل التثني!

وضعن في الأكمام

وكن بين اهتزاز ونشوة من غرام!
والزهر كالناس يهفو إلى الثغور الجميله!
فيا بنات الرشاقة!
إرحمن أزهار حب حياتها للجمال!
وقد كفاكنّ أنا ضحية الحرمان
فرحمة بالأزهار!
فإنها ترجمان وإننا القارئون
وإننا العابدون!
عطفاً عليها لتحيا!
عطفاً عليها بقبله!
كأن هذا نعيم لنا وإن غاب عنا!
محبة الحسن لا تقضى بإيثار
ومن أحب (الطبيعه)
رأى نعيم سواه كمتعة قد أتنه!
دعن المرائي إذن وانظرن في الأزهار
تنظرن أرواح ناس قلوبهم كالأزهار!

محرر الفلاح

(أحمد لطفي السيد بك)

عَلَّمْتُهُ بِالْأَمْسِ أَنَّ بِلَادَهُ لَنْ تَسْتَعِزَّ إِذَا اسْتَمَرَ التَّابِعَا
فَغَدَوْتَ أَنْتَ لَهُ الْمَدِينُ بِأَمَلٍ حَتَّى يَصِيرَ بِكَ الْأَعَزُّ الدَّافِعَا

ومن العجائب في الحياة لفتح
كونت للفلاح نبل ضميره
فإذا رجعت عن الجهاد تركته
وإذا وقفت - ولا وقوف لنهضة -
وإذن فما أولاك أنت بعزيمة
حتى يصير أبو الحياة بقطرنا
والشعب إن يغفل حقوق صغيره

أن لا يرى في الفتح حظاً ذائعاً
فيما دبوت، ولا يزال الطامع
في غصة يلقي المصائب جائعاً
ألتأبصاراً لنا ومسامعاً
فيما بدأت محرراً ومقارعاً
حيأ، وروحاً للمآثر شائعاً
أضحى الكبير به الصغير الضائعاً!

خلود الوفاء

إذا ما ذكرتُ خُلُودَ الوفاءِ
لها وحدةٌ من نهى أو إحاء

فليس الوفاءُ إذن كالجميل
ولكنه طبع روح أصيل

فلا ترجُ يوماً وفاءً صحيحاً
ولا تُجزِه عند بر مديحاً

ولكن عليك صلاحُ الأنام
فإن سلماً عزَّ ملك السلام

ذكرتُ اتِّصالَ النفوسِ الوفيَّةِ
تعيش بعيشتها في البرِّيَّةِ

وما هو إحسان حرٍّ لعبدٍ
توزع، لكن لردٍّ وردٍّ

يدوم سوى من فؤاد شقيق
فتمدح نفسك مدح الرقيق

فينمو الإخاء وينمو الوفاء
وصار خلود الوفاء الرجاء

تشاؤمي

تشَاءَمْتُ حَتَّى قَدْ وَجَدْتُ تشاؤمي
وكم من هموم مُرّة قد شربتها
وما غاب عني ما بها من مناسئ
ولم أنس يوماً ما حيالي من الأذى،
ولكنني وجهت بحثي وخاطري
إلى ذلك الصفو اللباب من الحجى
إلى ما وعت دنياي من روح خيرها
إلى قوة غلابة ليس ينتهي
فأبصرتُ روحاً للجمال مجدّة
فعزى فؤادي أن أكون ضحية
وإني إذا ما متُّ خَلُفْتُ حبرة
فيكسب نوعي بعد خسري، وريحه
فأصبحتُ حرّ النفسِ أستمريّ الأسى
وأيقنت أنني صنو دنياي، فالذي
وما خفت موتي كالغريب الذي قضى
حياة على الأباد تبقى بنوعها
فلما اطمأن الفكر ضحّت عواطفي
وأمتعت روحي بالنعيم الذي أبى

تفاؤل مَنْ ينأى عن العَرَضِ الفاني
لنفسى وغيري في الحياة كإنسان
ومجمع آلام ومعرض أحزان
إذا نسي الثاوي بجيرة بركان^١
إلى خلف ما تبدي الحياة لوسنان
إلى الأمل الحي المهيب بوجداني
وعاملها الساعي ومُصلِحها الباني
لها عمل الإنشاء والهدم في أن
وأدركتُ أنا للجمال كقربان
وأن يهب التجميل للكون حرمانى
لدنياي تستهدي بها بعد فقداني
أجلُّ، كأن الخسر ليس بخسران!
ووجدني، كأن الهم غاية سلواني!
ترجّى رجائي، وهي رشدي وحسباني
وحيداً، فعمري والمنية سيان
وما عدمت للخلد أسطع برهان
بأنسي ولدّاتي وأجمل ريحاني
سخاء بوحي للعتي^٢ وللجاني

^١ أي باماكن مجاورة لبركان.

^٢ أي النوع الإنساني.

^٣ الظالم الغاشم.

وما لاح إلا لامرئ عافٍ إثره
فيا بؤس زُرْ والهَمَّ قلبي وعذباً
تذوقت مر العيش حتى جعلته
ووزعت روحي في الوجود بأسره

فعدَّ شقيَّ الحظ وهو هو الهاني
فلن تهدما يوماً معاقل إيماني
دوائي إذا ما الخطب أقبل يغشاني
فبات جحيم العيش أنضر بستان!

وطن الضباب (إنجلترا)

عَدُّوكِ دَارَ الضَّبَابِ
قد كان شبه سياج
ما ضاق صدري منه
وكنيت في الأسر حراً
من عاب لم يدر معنى
الحسن فيك عزيزُ
والمجد فيك أصيل
بناك خلق أبيّ
فكان عيشي صلاة
و(التمز) ديوان شعرٍ
والريف مرآة طهرٍ
يروى النفوس حبوراً
والغرس فيك شموخُ
وكل ما فيك حيٌّ

ولذّتي في ضبابك
إلا لدى أصحابك
بل ضاق بعد احتجاجك
والآن رهـن ببابك
علاك أو آدابك
متوجّ بهضابك
في الناس مثل ترابك
يصون سحر شبّابك
لديك في محرابك
مخضّب بخضابك
ممثل في كعابك
كريّه من سحابك
أليس من أحبابك؟
لأنه من كتابك

من مبدلي شمسَ (مصر) بنفحة من ضبابك؟!

الممات

عرفتُ (الممات) صديقَ العليلِ
كريمٌ ولكنّه كالبخيلِ
وإن كان يُجحدُ هذا الجميلُ
إذا ما تباطأ عند الجواب!

يداوي وإن كان منه الجروح
فيا أسياً برؤهُ كالقرونِ
فروحٌ تُسرُّ وأهل تنوح
شكرتك شكر الثرى للرباب

شكرتك إن كنت تعنى بسؤلي
فما سُممتني حال حزن وذلي
وقدرتني مثل خلٍ لخلٍ
ولكن حميت فؤادي العذاب

تمر السنين بوعد اللقاء
فهل لك - يوم تلبي الرجاء
ولا شك أنك رب الوفاء
فتأتي - التودد مثل الصحاب؟

فتنبئنا مؤذناً بالوفود
لوعد، فتنصف هذا الوجود
لكي نتكّـب عما يعود
وننصف أنفسنا في التراب؟

تقابل لا بانتضاء السيوف
كما في الدُّجَّة وحشٌ يطوف
ولا بالأغاني ونقر الدفوف
-ولا كالوحوش- ويفشي الخراب!

كأن الورى عند فوت الأجل
نسوا ما الدفاع وسر الحيل
أمامك في الروع صرعى الشلل
نسوا ما عداك ووقع المصاب!

* * * * *

ولكنني من عجمت الحياة
ومن نغم البؤس شعراً، فبات
ورضت الحظوظ وذقت الممات
غذائي، أنغم هذا الشراب!

* * * * *

ولن تتقصّف مني الضلوع
ولكن ألاقيك بين الدموع
بحسرة عانٍ وقلب مروع
كأني ألاقي أحب الكعاب

* * * * *

وأنهل من قينة في تحية
وأصدع عن نفسي المستحية
شهيّ العزاء لنفسي شقيه
قسية^١ أغلالها كالشهاب

* * * * *

وما كل سؤلي سوى أن أوفي
فما كان عيش الغطاريف^٢ يكفي
ديوني لجنسي وأهلي ونفسي
أبياً يرى اللهو عيش الذباب!

* * * * *

فدعني إذن كي أوفي ديوني
وإن عد سؤلي شبيه الجنون
فأسلم من لؤم ناس وهون
بفوضى الحياة التي لا تعاب!

* * * * *

حياة تمر وقد لا تعود
فلسنت أودّعها في جحود
بصورتها في مجالي الوجود
ولست أودّعها في ارتياب

* * * * *

ولكن أودّعها في يقين
بروح طليق ولب رصين
بأني خليّ ولست المدين
يشق السبيل له في الضباب!

* * * * *

^١ قسية: زائفة.

^٢ بمعنى الغطارفة: مفرد الغطريف وهو السيد وإيضاً بمعنى الذباب. والمناسبة واضحة في الشطر الثاني للبيت.

وحينئذ لا أهاب انتقالي
عن النفي دهري وعن فقد مالي

ولا أجانف^١ يوم ارتحالي
من الحظ أو من بقايا الشباب!

* * * * *

فأترك خلفي مآثر عمري
يبث لشم، وحب، وفكر

شذا الزهر بعد اندثار الزهر
وتتلى طرائفه في كتاب!

بلاسكو إيبانز

(١٨٦٧م - ١٩٢٨م)

(بلاسكو)! تَمُوتُ اليومَ في النَّفْيِ بينما
وترثيكَ آلافُ العقول التي نمت
ويسكن هذا الصدر بعد اعتياده
عنتَ رثاكَ اليومَ للموت بعد ما
فيا أسفي للحر يمضي كعبده
وإن كان في موت العظيم مهابة
ويذهل في تكييفها كل باحث
تموت ممات الخلد وهو خرافة
تهز نفوس العابدين جلاله
كأن لم تكن بالأمس أنت عزاءهم

تعيشُ بدُنْيَا قد ملكت وأوطانِ
بنورك في ليل من الخوف لهفانِ
طليقَ الهواء الصفو في قرب غدران^٢
تعودتا حريّة دون إيذان
ويا ألم العقبان في موت غربان
يحس بها النائى ويلمحها الراني
ذهولِ جبان عند وثبة طعّان
وحق، كأن الخلد والموت سيان
لحكمتك الكبرى بحيرة إيمان
ومبعث هم للتجدد في آن

^١ ولا أتمائل.

^٢ مات بلاسكو إيبانز الأديب العالمي الجمهوري بالتهاب رئوي مفاجأة في كرمته بمنتون (بالريفييرا بفنيسا) يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٨م على أثر مرضه الذي لم يمهله سوى أيام ثلاثة، وكان منفياً من وطنه أسبانيا أو هارباً من الاضطهاد لدعايته الجمهورية.

وواصفَ دنياهم بخبرة سائح
و (بالمثل الأعلى) فتننت، وزدتهم
فلاع بدع إن رِيَعَتْ قلوب ذكية
مما تك إصغارُ الهوانِ لعالم
فمما تك ترثيه البرية، إذ ترى
وترثي به ألامها ورجاءها
وما مدمعي هذا سوى قطرة جرت
وأنت لهذا الكون تُعزى، فواجبي
بكل ربوع الفكر قامت مناحة

* * * * *

كبير العلى! ما قيمة العمر والعلی
وأنت منحت الكون أضعاف منحه
وبرهنتَ برهانَ النبوغ موفقاً
فوفيت ديناً ثم زدت، فهل لنا
أم النبل أن نرقى برتبة نوعنا
شخوص بلا حصرٍ وصفت محلاً
لتنفع الأقدار من وصفك الذي
وتقتبس الأجيال من علمك الذي
ولو كنتَ خلّاقاً بدنيا جديدة

* * * * *

نشأت بحكم العسف حراً شعاره

وواصفَ أخراهم بدقة فنان
من الفن فتاناً يضيء لفتان
ولا عجب في لوعة جنب نكران
من الفكر قد لاقى الوجود بعصيان
منيناًهُ للعالمين كعنوان
وأجراً إنسان، وأرحم إنسان
إلى سيل إشفاقٍ، إلى بحر أشجان
وفاء لمن بالفكر يرفع من شائي
وإن حجبت، فاقبل لواعج عرفاني

سوى في وفاء الكون من مصلح بان
جنانك، حتى كنت أكبر جناناً^١
بأنك من يأبى الحياة كإحسان!
بأن نسأل الدنيا الوفاء بحسبان؟
ونتبع هذا الرشد منك كفرقان؟
كأنك رسامٌ لمقبل أزمان
به الدرس والتبيان معجز إتقان
تنوع تطبيقاً لرفعة وجدان
لكنتَ بهذا العلم خالقها الثاني!

* * * * *

إخاءً وتحريراً لفكرٍ وعبدان

^١ الجنان: البستاني.

فأصليت من خاصمته النار ثائراً
وكنتم شفاءً للجروح، وكنتمو
ولكن رماد النار ينسى، وهكذا
وذقتم من السجن الويل مصائباً
عناء به أثبت حقك في العلى
وصرت وصحب ناصروك أعزة
تجشمت أهوالاً، فما دنت مرة
نشأت العصي الذمر^٢ منذ حادثة
ترى الطوع للإصلاح والعلم عندما
قضيت الشباب الصفو ظمان ثائراً
وكان اليراع الحر نهزم فاتح
جريح، ولكن صبره جنة^٣ له
وما رتل الأزهار^٤ أشهى لفاتح
كفتك غنى في النفس أو عزة لها
وقد كنت تاجاً للقناعة في الغنى
وكنتم أميراً في الصحافة فاغدت
تهز العتي الظلم وهو مدرع

بمنطقك المتبوع من حب شبان
على الظلم مدحوراً قذائف بركان
نسيتم، فأصليت مجد نيران
وأسراً وتحقيراً، كزمرة جرذان^١
فما دانت العلياء يوماً لغفلان
لشعب رأي التكريم أجدر بالعاني
لظلم، ولا كنت المذبذب والواني
ترى العار عيش الجبن في ظل طغيان
يصون أمانى الناس من خبث شيطان
ومت ولم تهدأ بحرقه ظمان
وصمصامة الساعي إلى للخطر القاني
تدرعه، والجرح شارة فرسان
وأعلى من الآلام في رفع بنيان
فإن الغنى أن لا تحن لغنيان
وأحسب هذا التاج زينة تيجان
بسلطتها تعلو على كل سلطان
وتهدي إلى الأبواب طاقة بستانى

^١ إشارة إلى ما ابتلى به وأصحابه من تعذيب وسجن في صباه إذ كان متحمساً بشدة يدعو إلى الحكم الجمهوري ويحلم بإنشاء نظام كنظام الولايات المتحدة في بلاده، فما كانت تهبط حرارة الحركة الجمهورية حتى أنيق ويلات الانتقام، ولكن عقيدته لم تنزع برغم ما عاناه من شدائد.

^٢ الذمر (يكسر فسكون): الشجاع.

^٣ جنة (بضم الجيم): ترس.

^٤ المتناسق: المنتظم حسناً منها.

وكننت المعين الغمر تسقي ظوامئاً
وكننت الذي خلى النيابة رتبة
مراراً تجلى في النيابة بينما
إلى أن تنادى النابهون وقدروا
فسرت إلى (الدنيا الجديدة) حاملاً
تلمي نداءً من قلوب كبيرة
فلقنتها ما شئت من أدب العلى
وكانت بك الأخرى على نعمة الهوى
وساقتك شوقاً للفلاحة نزعاً
فكم حن للأرض الذي عزفنه
وعاد إلى حب (الطبيعة) خاشعاً
فمن ذا الذي ينهك عنها بنقده
مساع له فخر الجهاد، وهكذا
منحت (بتاجونيا) فتوحاً جليلاً
وعدت إلى نهر الحياة موزعاً
فما أبت للتحريض ناراً، وإنما
قصص حياة قد بلوت ضروبها:

إلى الحق حيث الحق سلعة دهقان^١
تجل، ومنه الوحي شع لأقران
(بلنسية) الحسناء تزهى بتبيان
جلالك في حب بذلت وعدوان
لواء النبوغ الفذ في عزم يقظان
تجلت ألوفاً في حفاوة لقيان^٢
شهوراً بتطواف وكننت بها الهاني
فطبت وطابت في وفاء وتحنان
إلى الفن قبل المال أويسر خلصان^٣
حنين الذي يعنو إلى وجه ديان!
فتاها الذي ناجته من بين خلان
إذا كان في حس ولذة ضحيان^٤!
حياتك أمثال تزف لشجعان
من الخصب معواناً لنصرة معوان^٥
نضوجك في علم ودربة إمكان
مزجت لهيب السخط بالأدب الحاني
فمن طوع أوهام إلى رفع أوثان

^١ الدهقان: التاجر.

^٢ لقيان: استقبال. إشارة إلى الحفاوة الحارة التي وجدها في (بيونس آيرس) حيث استقبله ثمانون ألفاً من مريديه.

^٣ الخلصان: الأخوان الأوفياء. ويستوي ني هذا اللفظ المفرد والجمع.

^٤ ضحيان: مستمتع بالنور.

^٥ أي الشعب الأرجنتيني الذي أحبه، وبتاجونيا من مقاطعات الأرجنتين حيث أنشأ بلاسكو إيبانز مستعمراته الزراعية.

وكيفَ بها الإنسان رغم حظوظه
وكيف رجال الدين يبنون دورهم
وكيف جنت هذي السياسة دائماً
ولما دعا داعي الحضارة للوغى^١
وضحيت ما ضحيت من جهدك الذي
وكانت به أولى، ولكن بذلته
فكنت تراعى كاللغيف^٢ وقد مضى
والفت سफراً ينصر الحق نشره
وما زالت الدنيا بشر^٣، وما انقضت
وما برح (الغرب) الشقيّ مرقصاً
وما فتئ المنهوب يرضى بحظه
وما كان كل العدل في صف جيرة
ولا كل أذان بدعوى حضارة
ولو كان (دنتي) في الحياة لصاغها
فاشجاك ما أشجى قلوباً كبيرة
ولم ترض يوماً أن تكون مطية
وكنّت مليكاً دون تاج يهابه

يسوق إلى أنثاه أجمل قربان
على نقض ما للعلم من شمْ أركان
على الناس حزناً لا يقاس بأحزان
بذلت ولم تعباً بصفقة خسران
كفى سرر الآداب من رفعة الشأن
لظنك أن السيف ليس بخوآن
لصوص الوغى بالنصر في فرط كفران
فداع كإنجيل، وضاع بنسيان
عروش، وإن ثلث عروش لبلدان
على الجمر محجوباً بحجاب بهتان
من الذهب باسم الملك أو باسم صليبان
ولا كان كل الجرم في صف (جرمان)
أصاب كما تحيا الصلاة بأذان^٤
مهازله الأخرى بأروع ديوان!
وآثرت عيش النفي بل عيش إمعان
لشهوة حكّام، فكنّت كميزان
أولو البغي: من عاشوا بلذة إثم^٥

^١ إشارة إلى الحرب العالمية وانتصاره للحلفاء.

^٢ اللغيف: من يحرس متاع اللصوص ولا يسرق معهم، وكتاب الحرب المشار إليه هو المسمى (الفرسان الأربعة) وقدر أجراً نادراً، ودر خيراً كثيراً على ناشره الذي كان يشتري حق الطبع من المؤلف بمبلغ تافه.

^٣ أي الجمر.

^٤ الأذان: الأنين، والصيغة وضعية للمبالغة كعليم وعلام.

^٥ الإثم: المبالغة في القتل.

شريد، عزيز، مستقل، شعوبه
وميراثه للناس ميراث ماجر
قضى حرداً^١ في معزل عن ربوعه
يفكر في تأليف دنيا فتية
فعاجله الموت الذي غال قبله
وخلفنا في حيرة انشك والأسى

* * * * *

فيا راحلاً، والعالم الحر نادب:
فإنك فنان وللفن حرمة
ولا بد من تاج بكى لك خلصة^٢
وما كان فينا كاره التاج إنما،
وإني كفرد أشتهي من يذمني
فكيف بذى بأسٍ علا عن شماتة
ولو كنت في قدرٍ كقدرك لم يكن
أضمنها إقدامك العمر، مثلما
وأروي حنيناً من تراب بموطن
وأحكي فخاراً في ثرى مدفن العلى
على لا المات اليوم رغم شكوكنا

أعم من الحصر المخص بابدان
أبى خسرهم، وهو المصاب بحرمان
وإن عاش في كون من الفكر روحاني
كتاباً، ويحكي من مداه لفتيان^٣
كنوزاً أو آيات أو نفس أذهان
من الأمل الباقي إلى العرض الفاني

صديقك والخصم المعاند صنوان
وإن أخطأ التقدير في حال إدجان^٤
كما نحن أسوان يبت لأسوان
جزعنا لأن يطوى النبوغ بأكفان
إذا كان مفتتاً بأسلوبه الشاني!
وإن كان مضطراً إلى خطة الجاني؟
رثائي إلا قصة ذات ألوان
أضمنها ما لاح من مجدك الثاني
بعيد، ومن شمس لديه وريحان
(بمنتون) إذ ضم (الحياة) بجثمان
يجازف مزهواً بأسوا إعلان

^١ حرداً بكسر الراء: منفرداً.

^٢ هو كتابه الأخير المسمى (شباب العالم) وكان مشغولاً فيه قبيل مرضه وكان يتحدث عنه حتى دقائق قبل وفاته.

^٣ إشارة إلى تقدير الملك ألفونسو له برغم عداة بلاسكوليانتز للملكية، وبرغم تأليفه كتاباً ضد ملكه بالذات إذ وصفه بالألعبان!

^٤ الإيجان: حالة إبلاس الغيم الأرض وإبطار السماء والمطر الكثير (القاموس المحيط) والمعنى المقصود: حالة الظلام والاضطراب.

ولا الفيلسوف النافذ الرأي يدعي
ولا الملك - الرافيك رغم قطيعة -
فحسبي إن شاعر العواطف والأسى
وما الشعر إلا للجمال ماله
وما الشعر إلا الحس بعد حدوده
وحسبك موتاً لفظة الروح هادئاً
بذلت لها حب الحياة بأسرها
وحببت الموت الأليم لكاره

يقيناً بعقباها، ولا شرط إيقان
ليجدها، أو يزدري بأسها الداني
فإنني إذا حاولت وصفك أعياني
وسيرتك العلياء زينة أوزاني
وقد كاد حسّي في وفاتك ينعاني
على صدر من راعتك من غير نشدان^١
فجازتك براً لا يقاس بئثمان
وأعطتك صفو الموت من حب أوطان

جوابي

عَدَدْتُمْ ثَبَاتِي فِي يَقِينِي ضَلَّةً
لِعَمْرِي مَا بِالْيَتُّ يَوْمًا بِجَمْعِكُمْ
وَلَكِنَّمَا بِالْيَتُّ عَمْرِي بِمَبْدئي
وَأُذِيتُ حَتَّى قَدْ تَمَتَّعْتُ بِالْأَذَى
وَلَمْ أَكْثَرْتُ بِالْغَامِطِينَ وَحَرِبَهُمْ
سَبِيلِي قَوِيمٌ لَا ضَلَالٌ بِنَهْجِهِ
فَإِنْ كَانَ لِي فِي جَرَاتِي وَصْرَاحَتِي
وَإِنْ كَانَ حَبِي لِلْحَقِيقَةِ سَنَةً
وَإِنْ كَانَ سَبْقِي وَابْتِكَارِي ذَلَّةً

أَصَبْتُكُمْ! فَخَلُّونِي إِذَنْ ثَابِتًا وَخُدِي
خَصِيمًا، كَتَيْ شَامَخًا لَسْتُ بِالْفَرْدِ!
فَفِي مَبْدئي عَرْضُ وَأَكْرَمُ مَا عِنْدِي
وَبِالْحَسَدِ الْمَشْقِي، وَبِالْأَلَمِ الْمُرْدِي!
وَإِنْ أَنَا أَدَبْتُ الْمَنَافِقَ عَنْ عَمْدٍ
وَمَا كَانَ رَجْمِي مَا يَثْبُطُ مِنْ قَصْدِي
وَفِي تَضَحِيَاتِي مَا حَمَلْتُمْ مِنَ النِّقْدِ
وَمَا حَبَّهَا إِلَّا التَّعَالِي بِلا حَدٍ
وَلَمْ أَرْ كَالْتَجْدِيدِ أَقْرَبَ لِلْجَدِّ

^١ إشارة إلى زوجته، فإنه مات واضعاً رأسه على كتفها، وكان يحادثها ويحادث ولديه قبل وفاته المباحثة.

فلا خير لي في مدحك بسلاسلٍ
وأهلاً بطعني حين أمضي مسدداً
وما خدم الأحرار مثل خصومهم
وحسبي أني منتج من حشاشتي
ولست أحاكي من شكوا في قبورهم
أسير مسير النجم والرجم حوله
وما فقدته إلا اندماجاً بصنوه
ولي مذهبي، لا أستطيع خيانة
وما ضرني أن تجهلوا ما أردته
فحسبي أني طابع نهضة بدت
يسير بها شعري الطليق محرراً
وأبى مصف الناس في غير نشوة
فإما أشق الكون طوعاً لمهجتي

فإن مديح العبد أصلح للعبد!
خطاي، وأقضي بعد سد على سد!
ولا خدم الإبداع مثل ذوي الحقد!
مأثر نفسي للمأثر من بعدي
ولا أنا مثل القرد يفتن بالقرد!
وهيهات ينبو عن مدار وعن وعد!
وهل كان فقد النجم نوعاً من النقد؟
له، أو عزوفاً عن رجائي أو ودي
وأن تتكروا أو تبخسوا ما به مجدي
بطابعي الفنان في المثل وال ضد
وإن كان بعض الناس ينعم بالقيد!
من الزهو، لكن في نبو عن الغمد!
وإما أشق اللحد في موت معتد!

آمال

(تهنئة من الشاعر إلى صديقه الأستاذ علي أدهم بعزیزته (آمال) في
الذكرى الأولى لميلادها - ١١ فبراير سنة ١٩٢٨)

أخي! طربت لعيد أنت خالقُه
عيد تهشُّ له عيد نكرمه
يكفيه زيناً صفات منك زاهية
فاقبل تحية أمالي {لآمال}
وقدره فوق قدر الجاه والمال
تشع في جيلنا الراجيك للتالي

يكفيه حب أبٍ وافرٍ لفلسفةٍ
وحبه أدب التاريخ يرفعه
عام مضى وله الأعوام تالية
حتى تزف بيوم العرس نرقبه
وما جعلت نظيمي طوع تهنئة
وأني والد أحنو على ولدي

كأنها بنته الأخرى لإقبال
كأنه ابن له في بره الغالي
أجزاء ديوان شعر باسم حال
إلى محب العلى من حبك العالي
لكن جعلت نظيمي طوع إجلال
وأنت في الأدب المحبوب من ألي

على باب المستشفى (في يوم الزيارة للسيدات)

أعيدك من وقفةٍ أشبهتْ
وقد شمل الحشد شرّ السواد
وقد أوصد الباب حتى يحين
ولم تمنح الشمس من نورها
فأنتى التفتْ وجدت السواد
مئات تكفن في لبسهنَّ
تفوح الروائح من تنهنَّ
وأطفالهنَّ بشبه اختناقٍ
وحام الذباب عليهنَّ لما
كما حام بعض الرجال الألى
ومن ذل من باعةٍ روجوا
فلما أردت المضي لبיתי

بروعتها يوم حشر الأنام
ملأأت نسوتنا في ازدحام
قدوم الطبيب، فزاد الزحام
جمالاً ونوراً لهذا الظلام
وأنتى نظرت رأيت الخصاص
وفي جهلهنَّ بموت زوام
"مفتقة" من خبيث الطعام!
وأنا فهنَّ بشبه اصطدام
تصبين من عرق في انتقام!
يحبون في العيش رزق اللئام
صنوف الغداء الشيبة السمام
وروعت من خوف هذا الصدام

دفعت صديقي الذي زارني
قال: "تفضل!" فقلت: "عفاء
فانك أولى بفضلٍ فدعني
فسار وسرت فلما خرجنا

أمامي وقلت: "عليك السلام!"
عليّ إذا كنت غر الأنام
بسيري تباعك يا ابن الكرام!
من الحشر كنا فقدنا الكلام!

النبوغ السجين

(إلى الصديق الشاعر العبقي الأستاذ عبد الرحمن شكري)

إذا جحدَ الفدَّ النبوغُ مُعانِدُ
وأنتَ برغم الصمتِ أفصحُ شاعرٍ
وينتقص الحسادُ آياتِ خلده
تبسمُ ولا تحزنُ بدنيا عبوسة
ولا تشكُّ من لؤمِ الأنامِ فإنما
تقبلُ إذن مني تهانئٍ مخلص
مضت زمر الأعوامِ والدهر عاصف
وما خذل الألباب مثل تحاسرٍ
لقد حفر الشاني بدمك قبره
وعيرَ حيناً بالشذوذ وما دري
فعد يا نبيَّ الشعرِ للشعرِ هادياً
سجنتَ نبوغاً عاش طلقاً بطبعه

ففي الكونِ مِنْ برِّ النبوغِ حسيبُ^١
يئنُّ فتبكي للأنينِ قلوب
فيزدادُ مجداً في الخلودِ طيب
فإنك قبلي للنفوس طيب!
شهادة نبلٍ أن يذم أريب
على القدرِ، فهو المدح، وهو عجب!
وقلبي على مر الزمان حبيب
فذلك داء للنبوغ مُذِيب
ويفعل غر ما يعاف لبيب!
بأنك في أقصى الشذوذ أديب
أتسكت والشعرُ الكريمُ غريب؟
فكل محبٍ يرتجيك كئيب

^١ حسيب: محاسب.

وقد راح عهدٌ كان للوهم بأسه
إذا أنت خاضمت الوجودَ جميعه
وإني الذي يبكي على جرحٍ غيره
وأحمد غيري إن أجاد وبذني
وكل فتوح للجمال أعده^١
فكيف بمن أخلصته الودَّ غائباً
تحبيك رغم السخط كل سنية
فحظك مستور، وفي اسمك رمزه
فدعني إذن أهدي الثناء معبراً
ودعني أرجي من وداك عودة
وأنت سماويّ الشعور، ومن له

ونحنُ بعهدٍ لا يسود مريب
فلي بوفائي من هواك نصيب!
وما لي على جرحي الدفين نحيب!
فإني لتقدّيس الجمال طليب^١
فتوحي، وخصمي إن أجاد نسيب!
وهيهات عن لبي نداه يغيب؟
من الكون، والكون الشكور رقيب
وكم لك من شكرٍ وليس خطيب!
عن الفن، فهو الكون وهو خصيب^٢
إلى الفن، فالفن العزيز سليب
شعورك للحب الصميم يجيب

فانسي - Vannessi

(الراقصة الفاتنة الشهيرة)

وقفّةٌ للحُسنِ عاريةً
صوروها منك في عجب
كنت (حواء) مجددة
لونها^٢ الفلّسي مازجّه

وافتنّانُ الحُسنِ فتّانُ
من ضياء، وهو ألوان
وجنان الخلد إيقان
من رحيق الحب فنان

^١ الطليب: الطلوب: أي الكثير الطلب.

^٢ رحب الجناح كثير الخير.

^٣ أي لون حواء المجددة.

عصبت رأساً معرزة
ثم مدت ساعدَيَّ أمل
نثرت بالراحتين لنا
وثنت ساقا رشاقتهما
سترت بالخز أو سَطَّها
وعليه من محاسنها
كلنا منه يغار كما
وهو يحكي روضة أنفأ
أكذاك الرسم يفتننا
وكان الرسم يعذرنا
نتملئ منه أبداً
نثرت في خلفه زهراً
في سماء أنت بهجتها
إن يكن هذا تعبُ دنا
لبئس الطبع^١ مؤتلقاً
فلعشق الفن ربُّه
وسجود الناس في شغفه
عندما تغدين راقصة
تنعم الدنيا وزينتها
يا قواماً حسنه عجب
وجمالاً لا يعيُّره

كلها ورد وريحان
وهي نشوى وهو نشوان
زهرات فهي ندمان
فوق ساق، فهي تزدان
فإذا بالخز ريان
جدة تزهى وريعيان
أنه في الوصل غيران
ولها الأحلام سكان
فإذا بالقلب صديان
وكان الرسم حنان
وهو بالإحسان ضحيان
أنجم للحسن أخدان
ورواء منك حليان
لخيال وهو وهنان
ولحبر منه تحنان
فوق ما يرجوه ديان
عند قرب منك إيمان
والوجود الطلق سكران
وتعم الكون ألحان
كله سحر وإتقان
أنه كالكون عريان

^١ Printing - أي طبع صورتها الفنية المرسومة.

ليس منا نظرة أثمت كل ما نهديه قربان
ذاك إعجازٌ يخبرنا أن تاج الحسن إنسان
والجمال الفذ دولته ما لها حد وأوطان

نور الجحيم

(سونيئة غنائية)

إِذَا كُنْتُ أَبْكِي لِعُسْفَرِ الْحَيَاةِ
فَهِيَهَاتَ أَبْكِي لِقَلْبِي الْحَزِينِ!
لَكُنِّي أَشْجِي لِمَنْ قَدْ شَجَاهُ
مَنْ عِيشُهُ طَوَّلَ الْعَذَابِ الدِّفِينِ
لَقَدْ ذُقْتُ صَرْفًا ضُرُوبَ الْأَلَمِ
فَصَارَتْ لِنَفْسِي كِبَعُضِ النَّعِيمِ!
فَإِنْ كَانَ بَنِي حَلِيفِ النَّعْمِ
فِيَا رُبَمَا النُّورَ بَعْضَ الْجَحِيمِ!
عَلَى أَنْنِي زَاهِدٌ فِي سُرُورِي
فَقَدْ خَلَقَ الْقَلْبُ مَعْنَى السُّرُورِ
وَحَوْلٌ مِنْ صَبْرِهِ فِي شَعُورِي
تَعَاسَى نَفْسِي وَفِيَّ الْحُبُورِ!
فَرَجَّعْتُهَا فِي بَكَائِي غِنَاءَ
يَعْزِي الْوَرَى وَحَجَبَتِ الشَّقَاءَ!

الصدى (سونيئة غنائية)

يا حياة الحب كيف الحياة
بعد ما ضاعت عهود الحبيب؟
ما جمال الصوت يحكي صداة
لا، ولا الطب ظنون الطبيب!
إنما الذكرى لمثلي عذاب
تشبه النوح بنيل بهيم
مثلما حن لماضي الشباب
دائم الوجد مسن سقيم
هكذا الطائر لما بكى
ما فاته حس يأتي الربيع!
لكنما قلبي إذا ما اشتكى
يشكو كمسجون بحزن منيع!
ما خيال الحب وهو البعيد
إلا تباريح الفؤاد العميد!

شوبنهاور والحياة

خطبة شعرية ألقاها الناظم في نادي موظفي الإسكندرية يوم ١٠ مارس سنة ١٩٢٨
(مهدة إلى الأستاذ الدكتور طه حسين)

(١) - الفلسفة والشعر

تَخَيَّرْتُ (شُوبِنَهَاوَر) اليَوْمَ مَبْحَثاً
وسيرته العظمى حياة شهية
فإن مجال الفن في كل مبحث
وملحمة (العقل) الجليل حريّة
فصفحة إذا قصّرت رغم تطلعي
لأنشر في آدابنا بعض روعة
وأتحف شعر العصر مما أعده
إذا الشعر لم يهضم من (العلم) قوة
له نظرة الفنان للعلم والحجى
ويهدي إلى الناس العزاء وصورة
ولا كان للشعر الخلود إذا كبا

وما كان بحثي غير مُتَعّة إلهام
إلى (الفن) حتى في مواقف آلام
إذا شاء، والفن المنعم أنغامي
بملحمة (الشعر) الحريّ بإعظام
وحسي شفيع من شعوري وإقداامي
من (الغرب) في روح تجلت وأفهام
غذاء ينميه من الأدب النامي
ومن فلسفات العيش ذاب كأحلام
فيرسمها بالوهم حرباً لأوهام
من الكون قد زينت بصبغة إحكام
صعوداً بالباب إلى (المثل السامي)!

(٢) - فلسفة الرضى وخصيمها

فررت إلى حضن (الطبيعة) ناجياً
كأنني وقد غابت عنها رأيّتي
فررت إلى حيث (الطبيعة) سمحة
إلى حيث ناغت في وفاءٍ مُحبها
ودانت لها أقسى العواطف عبدة
إلى حيث آيات (الجمال) عزيزة
إلى حيث أزهار (الطبيعة) في ندى

بروحي إلى مرأى كروحي بسّام
يتيماً، ضريراً، تائهاً بين أيتام
ومن حقها خفض المشاعر والهام
بأجمل شعر جل عن أيّ إعجام
فما لمحت منها مظاهر إحجام
وأحكامه ليست لنقض وإبرام
من الطهر، قد ماست بحلية أكمّام

لها دولة، والناسُ عند مثولها
فلا شيعٍ فيهم أمام جلالها
فررت إليها أشقري خير نعمتي
إلى حيث رق (البحر) عند هديره
إلى حيث استوحى (الوجود) بأسره
وأنشَقُ من صافي الهواء كائنني
وقد طاب لي بُعدي وراحة عزلتي
كما طاب لي قرب لأخرى رضية
تأملتُ حتى كان طولُ تأملي
وكان لقلبي ما اجتلى من عبادة
فلما انتحت شطر الغروب وودعت
تتبعَت سير الأرض حول جلالها
وأرسلت نفسي في زهولي إلى مدى
فأدركتُ أنني بعضه، بل أجَلُّه
سألقاه في آتي قرونٍ بعيدة
سألقاه في نوعي برغم تباين
وقد كنت في نوعي بماض مغيب
فصيرني دهري عزيزاً مَجَلَّلاً

سواء لتقدّيس، وليسوا كأخصام
وإن بعدوا كانوا طوائف أحزّام
بروحي، وروح الصب أكرم مستام
وكفن ثوب (الشمس) خافي إظلامي
فيوحي بحب زاد حظي وأعوامي
بدنيا تخلت عن هموم وأوغام^١
هنالك عن خلق وشاهق أطام^٢
فأنشد كالصوفي راحة إجمامي^٣
دليلاً وإعلاناً لرشدي وإسلامي
كما لقي المحروم غاية إنعام
وقد تركت ذكراي في الشفق الدامي
قروناً كأن الشمس سدة همام^٤
قصي إلى خلف الزمان وقداامي
يهش لي الآتي الحفي بإكرامي
عزيزاً عظيم الفتح، من غير صمصام^٥
وللنوع قبل الفرد غاية أرحام
شريداً بأجام، طريداً لأيامي
وأصبح دهري من سوائم أنعامي

^١ الأوغام: جمع الوغم وهو الحقد، والمستام: المغالي في الثمن.

^٢ الأطام: القصور والبيوت العالية، ولحدها: الأطم.

^٣ إجمامي: حضوري للروحي.

^٤ الهمام: الملك العظيم الهمة.

^٥ الصمصام: السيف لا ينثى.

وأصبحتُ أيضاً راسفاً في قيوده
وما المرءُ إلا (الكون) والكون نفسه
تسير هذا الكون روحٌ جميلةٌ
ونحن ضحاياها، ونحن رجاؤها
وما ذلك الفن السماوي غير ما
وهيهات أن تنهد يوماً جهوده
أبى طفرة، لكنه غير عاجز
وأكبر ظني أنه دائم، له
إذن فحياتي طوعه، وحياته
يذوقنا منه سلافاً شهية
وننكر هذا الجود منه تجاهلاً
نقيس بفرد، والسخاء معمم،
فنخطئ في التقدير بين تشاؤم
ومنذ رأيت نفسي (الوجود) قرينها
وحن إلى هذا السكون: دماجها
عرفت استيائي من وجودي مماثلاً
وأيقنت أنني إن شكرت فإنما
عزائي إذن أنا وسيلة غاية
ومن كان منا مطمئناً لكونه

كلانا كضُرغامٍ أسيرٍ لضرغام
فأعظمُ بمقدام قرين لمقدام
تجمله دوماً بنزعة رسام
إلى غاية (الفن) المنزّه عن ذام
يؤدي إلى نعمى الوجود بأقسام
ولكنها ما بين نقص وإتمام
ويأبى ارتكاساً^١ في نزوع وأحكام
مساعٍ، فلن يدري مساعيه إمامي
لأجلي بنوعي في التعاقب كالجام
ويتركنا في الخصب من بره الهامي
لأعظم توكافٍ وأروع إرزام^٢
وتوزيعه من سر أحكم علام
وتعياً عقولٍ بين بحث وتحوام^٣
سواء بأرضٍ أو شمسٍ وأجرام
بعالمها، و (الروح) فيه كعوام
لسخطي على نفسي، وشبهاً لإجرام
بررت بنفسي دون شك وإبهام
إلى (المثل الأعلى) ولسنا كأغنام
رأى في الحياة الصفو لا الأسف الظامي

^١ ارتكاساً: ارتداداً وانتكاساً.

^٢ التوكاف: القطر المستمر، والإرزام اشتداد صوت الرعد الممطر.

^٣ تحوام: تجوال.

ولم يشك من ضرر بسخط وغضبة
وليست لفرد واحد لجمعنا
نلاقي بها فقراً، وفي فقرها غنى
وما نارها إلا ضياءً لجنة
بحسني هذا - وهو أس عقيدتي -
وجئت أقصر الآن فلسفة له
وهيهات أن أنسى جلاله بحثه
وإني إنسان، وذلك صاحبي
وما طلبي إلا (الجمال) وفنه
وشعري للإنسان قبل متاعه
وقد كان رعداً للتشاؤم قاصفاً
رمى بذكاء نادر من تعاسة
حمته صنوفاً من ظهور وعندها
فحق له تقدير كل مفكر
كأني محام (للحياة) موفق^٢
وقد ندبتني بعد خلوة صحبة
وإن ندبت قبلي عقولاً عتية
وما عابني أني الصغير وإنما
وقد شمت (نرفانا الحياة) تغلغلي

فما كانت الدنيا لتصفني للوام
ونحن جميعاً مثل فرد بإرغام
لنا كلنا، واليسر فيها كإعدام
ويتلو السلام السمع روعة إضرام
فحصت الذي عد الوجود كآثام
وما كان داعي الخلف يدعو لإلجامي
فمثلي يرى ظلامه عين ظلامي!
والألمة تدعو كذاك لإيلامي
فذاك دوائي في الحياة لأسقامي
وللنفس قبل النظم في سقم أجسام
وما خدع الدنيا ببشر له وإيهام
(حياة) حبته الخلد في ذكره الحامي^١
جزته بصيت لم يخص بأقوام
فليس شذوذ الفكر زلات أقدام
يرد برفق ما رماها به الرامي
رأيت بها أعلامها نفس أعلامي
وليس مضيري أن تقدم أعلامي^٢
يعيب فؤادي أن أضيع أقسامي
بها: حيث أغدو ذاتها بين إحرام!

^١ الحارس.

^٢ أي موفق بينها وبين شوبنهاور.

^٣ أساتنتي.

فأستوعب (الحسن) الذي هو روحها
فإن جئت أطريها فلست بخادم
ولكنني أطري شعاعاً لمحتة

وأفنى به، حتى ولو بين أصنام
لأوهامها، والمرء خادم خدام
يضيء عزيز النهج (للمثل السامي)

(٣) - إبداع شوبنهاور وطبيعته

نظرتُ فلم أكذبُ وفيّ تأملي؛
فقلت جريئاً (للحياة): تأملي؛
فتى شب محروماً شقيماً موزعاً
له عذره بين الشذوذ وسقمه
ولكنه قد جاد رغم شذوذه
فتى طالما زكى بخير ذكائه
كلوا^١ إلى أن مات موت كهولة
وكان عنيد الطبع في فرط حدة
له لغة معسولة في سياقها
ترقُّ جمالاً كيفما كان بحثه
وإني بحكم (الفن) في عد جيشه
بحسبي إذن هذا لأرفع ذكره
وما نظرات (الفكر) مهما تباينت

وما ساقني بحثي إلى حكم بهتان
جنيت، فمن قال الغيب هو الجاني؟
وأرهفته خلقاً فشذ ببيان
ودائم أتراح أبحت وأشجان^٢
بنور، وكان النور إشعاع نيران
وإن عاش محروماً ومات بحرمان
بجسم، ولكن فيه عزمة فتیان
ولكنه الحاني بأسلس تبيان
لها أدب (الخيّام) في ظل بستان^٣
فلا بدع إن عدّوه إنجيل فنان
فقد عده للكون أعظم سلوان^٤
وأدفع عن آدابه محض عدوان
سوى صور شتى لذات بألوان

^١ إشارة إلى عصبية مزاجه السوداوي وإلى ما عناه من متاعب في أسرته وفي حياته.

^٢ كلوا: لا يغلبه النوم.

^٣ إشارة إلى أسلوبه السلس البديع الذي امتاز به عن جميع الفلاسفة، وإلى صوفية فلسفته في غايتها.

^٤ يرى شوبنهاور أن (الفن) قوة تخلص من استعباد (الإرادة)، وذلك بتأملنا في (الجمال) الذي يوحيه الفن، وبذلك تتمحي فينا شهوة النشدان وما يتبعها من تعاسة وشقاء.

فليس رضائي غير بعض تشاؤم
كلانا قريب من أخيه بحسه
عليّ وفاءً كيفما كان موقفه
كفته على في الذكر آثار (فجنر)
وقد رفع (الشعر) الكريم إلى مدى
وقد وجد (الفن) العزاء لعالم
وإن وجد استسلام من عاش خالياً
راها سلاماً أو عزاءً مقدساً
وكان له مثل الرسول مبشراً
وما همه شيء من (المادة) التي
ولكنه ألقى الجلال تصوفاً
وقدر أن (الكون) محض (إرادة)
وليس بدنيانا سوى ما نظنه
فعرز إيماناً (لكنن)² وصاغه
وقال هي الدنيا (الإرادة) وحدها
وليس ذكاء الناس أو سر روحهم

وما سد غطه إلا عزاء لأسوان!
وقد يشبه العاني المنعم والهاني
فمن مثله أحياء الفنون فأحياني؟^١
فقد كان يزجيه إلى كل إتقان
من الخلد والسلوان للعالم الفاني
بخيلٍ مسيء لا يبضّ بإحسان
عديم مبالاة نهائية إيمان
فكان (كبوذا)³ في رجاحة عرفان
بدين رأى فيه توحد أديان
لها جيله قد زف أعظم قربان
يوحد هذا الكون في عقله الراني
تسيره من غير قصد وحسبان
حقيقته ليست سوى وهم أذهان
بوحدة تعبير عجيب وبرهان
وليس عداها غير أحلام وجدان
سواها، وما شيء سواها بروحاني

^١ لا يعرف من فيلسوف آخر ما كان لمتل شوبنهاور بأرقه الفلسفية عن (الفنون) من التأثير العظيم في نهضتها الحديثة ولا سيما في نهضة الموسيقى، وقد استوحى (فجنر) نظريات شوبنهاور. أما الشعر فلم يفرد شوبنهاور بين الفلاسفة بالإحياء إليه، وقد ذكرنا الأدبية (مرجريت بير) بأن الشعر دائماً كان يستوحى الفلسفة وضربت الأمثلة على ذلك بـ (سبنسر) و (شلي) اللذين تأثرا بفلسفة (أفلاطون)، و (بجوت) الذي تأثر بفلسفة (سينوزا) و (وردزورث) الذي تأثر بفلسفة (كانت). ولدينا نحن في العربية أبو العتاهية وأبو العلاء وأبو نواس والمتنبي وغيرهم الذين تأثروا بألوان من الفلسفات القديمة والتصوف.

^٢ إشارة إلى اقتباس شوبنهاور من فلسفة (بوذا) للتجريدية، وإليه يرجع الفضل الأكبر في إشهارها بأوروبا.

^٣ إشارة إلى اعتبار (كانت) لأن العالم مظهر وفكرة في أنهما نانا فقط.

وليست جسومُ الناسِ إلا رسائلًا
ولكنه هذي (الإرادة) دائماً
تحركه من حيث يدري ولا يعي
إذن كل ما في الكون محض (إرادة)
وليست سوى معنى (الألوهة)، فالذي
وليست إرادات الأنام قوامها
وليس لها نورٌ، وليس لها حجى
ومن عجب هذا الوجود جميعه
فلا بدع إن أشجاه بين تشاؤم
ولا غرو إن عد (الحياة) مناحة
تسيرها هذي (الإرادة) للأذى
فلا سبب فيها، ولا لنتيجة
جهادٍ سقيمٍ دائمٍ من (غريزة)
هي (القدر) العاتي، فكيف يعدها
فمن حقه كفرٌ بها ونتاجها^١
ومن عد أسباب الشقاء جميعها
- كفاحٌ، وعسفٌ، واقتتالٌ، وشرعةٌ
فلا عجب إن عد خير سرورها
ولا بدع أن يسخر بحب حياتنا

لحسٌ بدنينا، فما العيش جثماني
فتلك هي اللغز العظيم لإنسان
وأجزاء جسم المرء زمرة أعوان
وإن تختلف شكلاً فليس لها ثان
تشاء هو الحي المهدم والمباني
ولكنها تملى على كل ذي شان
وإن حكمت فينا، وسادت بأكوان
يسيره في عرفه دفعٌ عميان
يظل بسمع الدهر يدوي لأزمان!
تقوم بحاجات وتنتهى بأحزان
فتلك إله في غواية شيطان
تقود، ولا قاست هواها بميزان
تمغطسنا جذباً ومن غير إمعان
(إلهاً) وليست في ذكاء وإيقان؟
وإن فات للجراح أرواح أبدان^٢
(إرادة) دنيانا بعيشة لهفان
نهايتها محضُ السكون بكفان -
خداعاً، ولاقاها بأسوأ لقيان
على الرغم من شر حوته وإدجان^٣

^١ وبما تله، أي وبآثارها.

^٢ كان شوبنهاور يرى أن مبضع الجراح هو الكفيل بأخبارنا عن ماهية الروح، وأما العقل فليس إلا إحدى وظائف المخ فليس هو الروح.

^٣ إدجان: حلوكه.

فكانت له الدنيا كلا شيء، والحجى
وأذعن للكفران حتى كأنما

كلا شيء، والأشخاص أصناف عبدان
رأى الحكمة الكبرى العزاء بكفران!

(٤) - حياة شوبنهاور وبيئته

سمعتُ ضجيجاً (الحياة) كغضبةٍ
وقد حسبتُ أني غدوت خصيمها
فقلت لها: "صفحاً، فأنت غنية
وفيك انتسابٌ (للألوهة) فاشملي
وخلي دفاعي عن خصيمك حجة
ألست التي صاغت دقائق نفسه
وقد ورث الضعف الذي نال أهله
وأسوأ ضعفٍ ضعفُ أعصابٍ فأكبرٍ
ولولا أب قد شذ حظ نبوغه
كذلك لولا أمه في صفاتها
ولولا اختلاف الوالدين ومره
ولولا سخافات تسمى ديانةً

إزاء دفاعي عن مغاضب أفكار
وأني له المزجي كرائم أشعاري
غنى عن دفاع في الوجود وأنصار
بعطف جميع الخلق في حلم جبار
على أنك الكبرى وأهلٌ لإكبار!
فناحت بأراء، وذابت بأسطار؟
كما ترث الأغصان ضعفاً بأشجار
فذاك على التكرار ينمو بتكرار
لما كمن عدوا جنونا كأصفار
لما كان جباراً لعب كزخار^١
لما صار ذاك الطفل شيخاً بإمرار
ببيئته طفلاً لما أصبح الزاري

^١ كان والد شوبنهاور معروفاً بذكائه الجم وقوة نفسه، وكان تاجراً ناجحاً وأنيباً قديراً متشيعاً لفلتير، وقد اطلع كثيراً على الأنبيين الفرنسي والإنجليزي، وكان معجباً بالحياة الإنجليزية وبالثقافة الإنجليزية، وأما والدته شوبنهاور فكانت من أسرة راقية في داتزج، وتربت تربية حرة بالنسبة لبنات جيلها، وكان لها شغف بالأدب والفنون، وقد اشتغلت بذلك فيما بعد عندما ترملت، وأقامت في فيمار حيث كان بيتها منتدياً لمشاهير أدبائها وفنانيها في ذلك العهد وبينهم أمثال جوتة وشلجل وفيلاند وجريم وفرنو. ومما هو جدير بالذكر أن أسرة شوبنهاور ترجع إلى أصل هولندي من ناحية الجد وأن والد شوبنهاور هو الوحيد الذي كان معافى في أسرة تقضى فيها الشذوذ والجنون، ويظهر أن نصيباً من هذا الشذوذ شبهه الجنوني أصاب فيلسوفنا.

فلما تغذى بالمعارف حُرّة
إلى أن قضى طبعُ الخلاف بوحشةٍ
فعاش بعيداً يُنكر المرأة التي
ولما اغتدى رب الرجولة وارثاً
فأهدى إلى ذكرى أبيه كتابه
وكان بدرس الفلسفات يشوقه
مصرّاً على استقلاله في تأملٍ
وكان - و (بونابرت) يرهق قومه
ويهرب في حب الحياة وينتحي
ويتركها تركاً إلى غير عودة
ولولا حماها ما رأى مثل (جوتة)
ولا كان مفتتاً ببحث، مؤلفاً

وبالفن في (فيمار) هش (لفيمار)^١
مشت بينه والأم والصحب كالنار^٢
رأها؛ وينأى عن مجالس سمار
رأيناه في شكر الوفي بتذكار^٣
وقدره تقدير صدق وإقرار
شدوذ له للطعن في خير آثار^٤
وإن عد تلميذاً فريداً بإصرار
- جزوعاً يهاب الموت والأخذ بالثار
إلى أمه، لكن يعود بإعصار^٥
كأن حياة الأهل عيشة إخطار!
ولا (ماير) المفشي لـ (بوزا) بأسراره^٦
عن النور والأصباغ في عرف إيصار^٧

^١ إشارة إلى زمن إقامته بها للدراسة تبعاً لاهتراح والدته. وكان يستمتع بتلك البيئة الفنية الأدبية العالية منمياً معلوماته الأدبية والموسيقية مما كان له أثر قيم فيما بعد في تكوين فلسفته.

^٢ لم يكن من طبع شوبنهاور القدرة على حبس عواطفه، وكان كثير الشكوى والاستياء والتذمر من إسرار والدته ومن مجال سمرها فلم تستطع احتماله طويلاً، لاسيما وقد كان كل منهما مولعاً بإظهار نفسه، فتعارضت الرغبتان ودب الخلاف بينه وبين أمه، وما استطاعا التفاهم فافترقا.

^٣ إشارة إلى إهدائه كتابه الجليل (الدنيا كفكرة إرادة - The World As Will Idea) إلى ذكرى والده الذي خصّه في وصيته بنحو مائة وخمسين جنيهاً إيراداً سنوياً، وقد صاغ الإهداء في عبارات وفيّة مؤثرة، وهذا دليل من أدلة كثيرة على أن تبرم شوبنهاور بالحياة لم يكن ناشئاً عن شدوذه العصبي فقط، وإنما لما كان عاناه أيضاً بحيث إنه ما لقي سروراً منها إلا بادر إلى تقديره وتسجيله شاكراً.

^٤ إشارة إلى طعنه في آثار فخت وشليرمماكر وغيرهما. بينما كان يدرس في جامعة برلين في سنة ١٨١١م.

^٥ إشارة إلى هربه من برلين بعد سقوطها في أيدي الفرنسيين قاصداً درس دن ثم روستاد، وأخيراً قصد أمه في فيمار ولكن ليعود إلى الاختلاف معها ومفارقتها إلى غير رجوع عائداً إلى درس دن حيث أقام بضع سنوات.

^٦ هو المستشرق ف. ماير الذي اقتبس منه شوبنهاور للكثير من العلم عن الفلسفة البوذية.

^٧ إشارة إلى بحثه العلمي في هذا الموضوع.

وَكُونْ وَهُوَ الشَّابُّ^١ فلسفة له
رأى أمه عنوان إثرة شهوة
أقام زماناً في (درسدن) عاشقاً
وفيه من التصوير كل كريمة
فعاش يناجي الكون والفن باحثاً
وفي نفسه أن الوجود تكالبٌ
تناحرت (الأنواع) حتى تناثرت
فكلُّ طعام بينهما هو أكل!
وليس سوى حب الحياة (إرادة)
تسخّره في قطع أوصال غيره
وأما (الزكاء) الحق فهو مجرد
لكي يعرف الصفو (الجمال) وفنه
لكي يبصر (الحسن) الذي قد ترومه
ويلقى جمال (الفن) أنساً معزياً
نعيم فريد (بالتصوف) مطلق
فتى كان بين الحسن والقبح متلفاً
ترقرق كالغدران عند رضائه
لئن غفر الشيطان ذنباً لخصمه

أذابت حجاه في ترسله الناري
فما ساقه هذا إلى طبع إثثار
جمالاً لنهر (الألب) في شعره الجاري
ومن متع الألحان أكرم مختار
يفتش عن معنى الوجود بأستار
وجملة أوزارٍ تضاف لأوزار
حقائق دنيانا ببؤسٍ وإضرار
وكم هدّ قهار ضحية قهار!
تسود، وأما (العقل) فهو كمنشار
وتزري به، وهو الجهول بها الزاري!
لكي يدرك الإنسان ما أعجز (الباري) !
ويلمح في نينا الخيال السني الساري
طبيعة دنيانا فتعيا بتيار
وفي عيش قديس تجرد أنوار
تنزه عن نغمى الحياة وأوطار
فكان كبنيانٍ؛ وكان كمنهار!
وثار كبرهان لدى السخط فوّار!
فليس فتاناً للخصيم بغفار!

^١ إشارة إلى فلسفة التعاطف التي دعا إليها ابن ناقضها هو عملياً، اللهم إلا مع الحيوان الأعجم. ولا شك في أن هذا التناقض يرجع بعضه إلى تهيج أعصابه وشذوذه الخلقي.

^٢ الباري: الخالق.

وقد خلق الأخصام خلقاً، ومثله
ولكن كذا كانت جبلة نفسه
فكيف إذن - كيف (الحياة) تلومه
ضحيتها مذ كان خصماً لحكمها
تحمل - وهو الطفل - جمع شذائذ
فلاقى جموداً من ثقافة جيله
فظن بهم مسخ الطبائع، واقتضى
وما فاتته حرصاً على كل حقه
ولا فاتته سعي لكرسي حكمة
فلما قضى طبع النزاع بخيبة
وراح يكيل الطعن كيلاً بلا وني
خشونة طبع في خشونة شهوة
وقد فات ذكرها بشهوة ذكره
ومن عجب كان المحب لكلبه

إذا شاء صار للخصم صاحبه الباري^١
فقسمت التصريف منه بمقدار
إذا نحن لنأه على قبح مضمار؟
ولم يلق إقبالاً لديها كإدبار
وليس مشيل النخس من هام هاري
وكان كمثّل السيل فاض لأحجار!
شموخ له طول الزئير كأنداز
بمال، فحامى دونه غير خوار^٢
فسار إلى (برلين) في شبه أمار
وضاعت مساعيه أساء إلى الجار^٣
إلى (هجل)^٤ والتابعيه كأنصار
وقد خص منها (المرأة) الحكم بالعار
صحائف أرداها المريدون في النار^٥
وكانت له أيضاً صداقة مزمار^٦

^١ الباري: الشافي، وقد صدر كتاب شوبنهاور (الدنيا كفكرة إرادة) وهو في العقد الثالث من عمره، وقد قوبل صدوره ببرود متناه من مفكري عصره وأبنائه!

^٢ هذا مثل آخر لكفاحه ونزاعه منشؤه سوء ظنه بالناس. والناظم يشير إلى نزاعه مع متجر داتزج الذي كان له ولبيعة الأسرة صوالح فيه. وقد استمر هذا النزاع سنتين، واستطاع في النهاية أن يحصل على جميع حقه، بينما غيره من أصحاب الحقوق (وبينهم أمه وأخته) لم يغنموا غير ثلث استحقاقهم بل أقل، فمثل هذه الحادثة التجريبية كانت ذات تأثير غير قليل في تكوين آرائه في (الحياة).

^٣ إشارة إلى حادثة تعديده المشهورة على امرأة زائرة لجارته مما أدى إلى عاهة مستديمة لها، فأرغمه القضاء على دفع غرامة دائمة لها طول حياتها.

^٤ كان كلما فشل أو لاقى إغراضاً عنه يتهم الفيلسوف العظيم (هجل) وأنصاره بالكيد له، وكانت علاقته بجميع زملائه الأساتذة في جامعة برلين على أسوأ ما يمكن أن تكون.

^٥ إشارة إلى إحراق مريدیه لما كتبه بحرية عن المرأة والحب والزواج.

^٦ وكان شغفاً بكلبه الذي كان الناس يدعونه "شوبنهاور الصغير" وكان له ولع بمزماره للتسلية في أوقاته فراغه.

رأى الكلب كالإنسان حقاً وحرمة
وكان رحيماً بالسوائم لا يرى،
كما كان عباد (الفنون) جميعها
وكان كثير الإطلاع موفقاً
له ذوق فنان، فأجمل درسه
فتى جمع الجنات والنار هكذا
ومن عجب يخشى اللصوص وزهده
وكان حريصاً في صيانة جسمه
فبيناه يدعو للتجرد ناسكاً
ولكنه في دعوة "العطف" مخلص
كأن جرد الإنسان من حق عطفه
ولما مضى عهد "التفائل" واغتدت
تبسم من بعد، العبوسة طافراً
ولكنه قد عاد ينكر غيره
وما كان هذا غير ضعف منوع
وكان يعاف النقد حتى كأنما

فأسبل إشفاقاً على حظه العاري
من العدل أن تشقى بجهد وإقتار
ومزماره ما كان إلا كتذكار
فيظفر بالأزهار من كل معطار
إذا بثه في الطرس معرض أزهار
وعاند دنياه كما كافاً القاري!
هو الكنز لا ماصان في حيلة الفار!
على عمره بالرغم من مبدأ زاري
إذا هو في التطبيق هان بإقصار
إلى الحيوان الأعجم الألف والضاري
وإن كان لم يحرمه "عطفاً" بأسفار!
تحن إلى ما خط ثورة أفكار
بفرحته، في بهجة دون أطرار^٢
بغضبة مغتر، وثورة هدار^٢
وسقم أصيل فيه كان لإظهار
هو الواحد المعصوم عن أي إنكار!

^١ إشارة إلى تقننه الغريب في تخبئة نقوده بمنزله بحكم خوفه الدائم من اللصوص، وكان لا ينام إلا وبجانبه المسدس.

^٢ أطرار: حدود. يشير الشاعر إلى انقلاب الآراء في جرمانيا بعد حبوط الحركة الديمقراطية سنة ١٨٤٨م، إذ حدث رد فعل ضد فلسفة هجل وانقلبت روح التفاؤل إلى تشاؤم ويأس، وكان شوبنهاور ضد الديمقراطيين ونصير الملكية بعكس والده الذي كان جمهورياً صميماً، ومن أجل ذلك هجر دانزج (المدينة الحرة) إلى هامبورج في سنة ١٧٩٣ لما استولى عليها البروسيون، وكان فيلسوفنا شوبنهاور وقت ذلك طفلاً.

^٣ إشارة إلى رسائله إلى فراونستاد ولندنر وأشر، وكلها ناطقة بغروره النهم دائماً إلى التسبيح بحمده، مع اعتقاد ما يشبه العصمة في نفسه، رافضاً أي نقد أو تنكير! وحتى لما قدرته الجامعات سخط سخطاً عظيماً حينما منحت جائزة إلى طالب عده أديباً أكثر منه فيلسوفاً!

وكان أناانياً عظيماً مشوّهاً
ومن بيته كان الجنود رصاصهم
على من تنادوا "بالمساواة" واحتفوا
وما فاته عند الوصية أنه
ولما أصابته الكهولة بالأذى
أساءت إلى (ملك الجمال) إساءة
ويا حزننا إذ نذكر اليوم حزنه
فتحجبه عنه غشاوة ناظر
تنحى عن الحسن الذي طالما اشتهى
وكان حرياً أن يكفن جسمه
وأن تسمع الدنيا مناحة موته
فلا تذكره يا (حياة) بزلة
كفاه على رغم الشذوذ بطبعه
ومن كان مثلي طوع فلسفة (الرضى)
ولكنني أكبرت أي نبوغه

نداء الديمقراطية السمع للدار
يصب على أهل الفداء وثوار^١
بها، فإذا هم في الضحايا كأشرار
حبا المال جرحى الجند براً كأصهار^٢
وقد أطفأت نوراً بلحظه واري
تظل على الأدهار لوعة أدهار
إذا هونا جى ما يشيم لإخبار^٣
ووقر بسمع كان أشوق مشتار
ومات ممات الحزن في غير إشعار
على عزف أنغام بنور ونوار
من (الفن) في الأشعار حسرى كأوتار
إليك تناهت، واذكره كتذكاري
جلالة فنان عظيم لأعصار
فما نم (فناً) شاق في سخطه الثاري
وإن كان أسقاماً، ودمت بإكباري

^١ إشارة إلى الجنود النمسيين الذين كانوا يصوبون رصاصهم من نوافذ غرفة شوبنهاور على أنصار الديمقراطية سنة ١٨٤٨م، وكانت تلك الحركة أجمل ما في ذلك الوقت من نهضة سياسية، ولكن شوبنهاور بقي في شذوذه خصماً لها: ينادي بأنه لا مهمة للدولة سوى المحافظة على الأرواح والأموال.

^٢ لما كتب شوبنهاور وصيته في سنة ١٨٥٢م. أوصى بمعظم ماله للجنود الذين جرجوا في برلين في ثورة سنة ١٨٤٨م. السالفة الذكر أثناء دفاعها عن الملكية إذ كان باقياً على عقيدته بأنه من الخطأ تصور أية وظيفة أدبية للدولة والحكومة بل كل عزيتها صيانة الأمن! ولا عجب بعد ذلك إذا لجأ الناس إلى فلسفته بعد سقوط البرلمان الجرمانى الذي عاش زمناً قصيراً في فرانكفورت وبعد هزيمة الديمقراطية في ذلك العهد.

^٣ كان شوبنهاور يقول في أواخر أيامه أنه ما كان نظره يقع على شيء في زمن شبابه ونشاطه الروحي إلا وكان يستوحى من ذلك الشيء. ولكنه في شيخوخته صار إذا تأمل حتى في صورة المانونا (العذراء) لرفائيل لم تتطرق له بأي وحى.

لئن فاته خير (الحقيقة) فالذي
ومن لم يُصِرْخْ إلا لنغمة ألفة
وسوف له تصغي البرية دائماً
مباحثه للعقل كنز سنسق

رأه هو الحق الجريح بأوعار
فقد فاته من عيشه كل سيار
على رغم خُلف في شعور وأقدار
وذكراه قد زينت بإكليله الغاري

(٥) - فلسفة السخط والشقاء

أصاغت إلى عُثبي (الحياة) ورَحَّبْتُ
فقلت لها: يكفيك أنك عنده
وذلك فن في تناهي فنونه
يعلمنا أن ليس (للفن) ضابطاً
وما كان للآداب أسر قواعد
فأطلق أقلاماً من الأسر واغتدت
وقلت لها: صفحاً إذا كنت مكثراً
نريني قليلاً شارحاً لب رأيه
نريني أصف ما قيمة (الفن) عنده
وحيثُ تدرين قدر وفائه
فقد برحقاً بالذي قد وهبته
وكم من فتى قد نال منك كنوزه
وعالمنا عاش الغبين وما رُلا
وكان مريضاً بينما كان فنه

بعُثبي بصمت كان رمزاً لترحاب
قرنت مناحات الوجود بإطراب
يراه بسخطٍ إذ يراه بإعجاب
ولكنه طبع بحريّة الآبي
وأنت مثـال في تحرر إنجاب
تفيض بأوصافٍ لديك وأسباب!
فذاك جلال فاق قدرة حساب
(بيئس)، وقد يرضيك في الشرح إسهابي
وما (ربه) الأعلى المهيب بأرباب
لما نال من لب ذكي وأعصاب
وقد كان فناناً برأي وأراب
ولكنه قد عاش جاحدك الكابي
جهاداً، ولا شارحاً لفن وآداب
معافى، فأضحى فنه زخر ألباب

رأى أن عقل المرء قالب ما رأى
رأى أن ما يزجي الأنام (إرادة)
تؤثر في النبات الطيرير وبذره
سواء بإنسان، وترب، وجوهر
فلا فارق إلا التدرج وحده
جميعاً ضحايا قوة مستكنة
ونحسب أن الأصل فينا، ولو درى
فما الصخر نلقيه سوى نفس ذاتنا
فنحسب أنا السائرون برغبة
تسيرنا عمداً مسير تطاحن
وما النور إلا الأمس وهو مضيع
ولكن إذا وافى رأينا ضلة
وإن صدنا عن ذلك الجهد عارضاً
وإما بلغنا للكفاح نهاية
ولكننا كالنبت هيهات تنتهي
ومن عجب أن الجهاد إذا انتهى

كما قال (كنت) ^١ في هداية مراتب
تؤثر حتى في الصخور وفي الغاب
وفي الملح مثل الماء بالدفع والداب
سواء بأكوان تدور، وأعشاب
وإلا فلا فرق، ولا خلف أنساب
تسير كالأعمى الوجود بأحقاب
جمادٍ لحاكانا بقول وإغراب ^٢
رمتها مرام (لإرادة) كذاب
وما نحن إلا كالصخور وأنصاب
ويلقي علينا الغيم أسود جلباب
وفي الأمل الغادي القصي عن الباب
ووهماً، فأملنا بمقبلنا النابي
حسبناه في الأعداء لا بين أصحاب
وإن أصبحت وهماً، جنحنا لإطناب
له دورة ما دام يغري بإخصاب
شرعنا بزيق، واضطربنا كهياب

^١ كان (كنت) - الفيلسوف المشكك - يرى أن الأشياء كما تعرفها تجاربنا مكونة من قوالب ومظاهر بعضها أصيل في الذهن وبعضها خارج الذهن، وأن ما نعرفه هو مزيج من كليهما، وأن ما هو خارج الذهن بتاتاً أو ما يسمى "بالنومينون" تستحيل معرفته مستقلاً، بل لا بد لكي ندركه من أن ينطبع بقوالب الذهن الأصيلة، وهو بهذا الانطباع يتغير عن أصله الأول، فليست لنا إذن معرفة إيجابية، وما نحسبه كذلك وهم وخداع في عرف (كنت). أما شوبنهاور فيوافق على آرائه، ولكنه يخالفه في استحالة معرفة النومينون، إذ يراه في (الإدارة) الكونية المتمثلة فينا وفي كل شيء.

^٢ هذا ظل لتعبير (اسبينوزا) الذي كان يقول إنه لو كان للحجر الذي نلقيه في الهواء شعور لاعتقد أنه يتحرك من تلقاء نفسه، وذلك لجهله (بالإرادة) الكبرى التي تسيّره كما نجهلها نحن في اعتقادنا أننا مخبرون لا مسيرون!

ونحسب أن السأم من حظ (جنة)
ولكن أذكى الناس أكثرهم أسي
يرون (الفناء) الحتم غاية عمرنا
سواء بـماض في عصور توحش
وما (الصفو) إلا خدعة الحس لحظة
وما (الكون) إلا عالم "الصدفة" التي
أولئك قوم بالذكاء تعذبوا
يرون الحياة الموت في كل لحظة
جهنم في الدنيا! فاعجب بجهلنا
فكيف إذن نرضى (التفائل) ديننا
وكيف نعد (النار) معهد حظنا
فقد جاوزت تقدير (دنتي) لما لها
راها (ليوباردي)^١ كذاك، وهكذا
بشعر يذيب الصخر من لذع ناره
فأجدر بنا أن لا نخادع حسنا
وأجدر بنا أن لا نطاوع حيلة^٢
فإن صفاء العيش إفناء بأسها
ونسلم من ذل التطاحن والأذى

وأن الشقاء الصرْفَ خُصَّ (بألـهاب)
وأبلغهم حساً بوجد وأوصاب
برغم حذار من شقاء وأعطاب^١
وفي حاضر زأو بأعلم أنجاب
ونسقط من عليائه مثل أسلاب
تبادلها "الأخطاء" عوناً كأحباب
بعزلتهم ما بين هم ومغتاب
وأن رضانا شبه سخر بأتراب
وما حجت عنا لظاها بحجاب
ونبسم للآلام تغزو كحراب؟^٢
ونعتبر الأقدار فيها كمحراب؟
من الظلم والإجحاف كالمارد الجابي!
حكى عن أذاها ساخراً سخره الرابي
ويشغل فكراً في التغافل كالخابي
فلا خير في بشر بموقف إغصاب
توجهنا للنسل والبؤس والصاب
فنجيا ولسنا في الحياة كأغراب
ونكسب أرواحاً لنا نور أرياب!

^١ الأعطاب: جمع العطب أي الهلاك.

^٢ أي (أذكى الناس) السابق الذكر.

^٣ جمع حارب بمعنى سالب.

^٤ هو شاعر السخط على تعلية الحياة وكان يعجب به شوبنهاور إعجاباً عظيماً.

(٦) - الحقيقة والخيال

شقاء (لشوبنهاور) العيش هكذا
ولكنه يأبى انتحاراً، وعده
وما النفع في إفناء فرد، فإنه
ولكنه في أن نصير جميعنا
وأوحى (لهرتمان) نار غلوه
دعا لفناء النوع لا الفرد وحده
ولكن هذا لا يعد جريمة
وما تركت أثاره من سحابة
ولو كان جرماً لاغتفرناه عندما
فمنه تغذى في الشباب، وكم له
وقام يواسي الناس من بعد يأسهم
وأعلن أن الخلد طوع بنانه
فأراؤه في (الفن) قد كونت على
بحيث أرانا أن (الفن) غاية

وليس كما أحسست جنة مصطفى
رضوخاً إلى حكم (الإرادة) لا الشافي^١
يكون خنوعاً في نهاية إسفاف
سواء بكره للرضوخ وإتلاف
فنادى كما نادى بفلسفة النافي^٢
فأهول به من ثائر جد متلاف
فقد كان كالحلم الغريب لأطياف
تنوب بحر الشمس أو نورها الضافي
نرى مثل (نتشي) شاكراً فضله الكافي^٣
أيام عليه فوق أيدي لأسلاف
فكفر عن يأس لأستاذة الجافي
بما صانه (الفن) من سحر أفواف
جديداً، وساقطنا إلى خلد أطفاف
هي (الخلد)، لا ما شامه الجاهل الغافي

^١ لم يعتبر شوبنهاور الانتحار جريمة كما يعتبرها المجتمع ولكنه عدها على أي حال خطأ أنبياء، إذ أن الانتحار يستبدل التحرر الحقيقي من شقاء الدنيا بتحرر ظاهري فقط، وبذل أن يكون تغلباً على (الإرادة) يصير في الواقع تعزيزاً لها لأن المنتحر لا يتلف سوى مظاهر الحياة الفردية. والمنتحر يتخلى عن الحياة لأنه عاجز عن التخلي عن تأثر (الإرادة).

^٢ هو المفكر المتفلسف (إيوارد فون هارتمان) خليفة شوبنهاور في مناحي تفكيره، وإن لم يوافقه على اعتباره جميع الذات مجرد تخفيف من الآلام. وكان يرى أن الرضى دائماً قصير بينما السخط دائم بدوام الحياة. وأن الألم في العالم يطغى طغياناً على اللذة حتى لدى المعدودين في زمرة السعداء في نظر الدنيا، وأن الراجح أن المستقبل سيزيدنا تعاسة على تعاسة. ولذلك كانت خلاصة حكمه أن نقضي على إرادة الحياة لا بصورة فردية بل بصورة عامة عاملين على إتلاف الوجود.

^٣ اعترف (نتشي) بأن نظراته إلى الحياة تطورت تحت تأثير فلسفة شوبنهاور التي اهتز لها قلبه، وقد عده المثل الأعلى للفيلسوف لأنه لم يقتصر على التفكير بل كان رجل عمل أيضاً، وقد اتجه (نتشي) أخيراً إلى احترام الحياة وتعزيزها ولكن ظل متأثراً بأراء شوبنهاور في الفنون.

يعبر عن (فكر) الوجود - الذي كبا
وما همه التفصيل قدر اهتمامه
كمن ينبذ الأصداف رغم ظهورها
وما (الفن) إلا الجسر ما بين عالم
وما بين دنيا للمظاهر وحدها
سوى "للحجى الفنان" حيث ذكاؤه
يفيض فلا يعطي (الإرادة) طوعه
سوى للحجى الفنان حيث يقوده
فيرسم ما لم يحسن الكون رسمه
تحرر من بطش (الإرادة) هكذا
وفي نظر (الفنان) لا الوقت والورى
فهذي جميعاً تمحي في اعتباره
على (الفن) فرض: أن يكرر مبدعاً
سواء بنقش، أو بنظم وتحفة
فهذي مجالي العرض، و(الفكرة) التي
هي (الخلد)، و(الفنان) ذاك أليفه
إذن فتملي الفن ينقلنا هدى
فيشملنا حظ (السلام)، وإنه

بتعبيره عنه - بقوة كشاف^١
بروح لما يلقى، وبالجوهر الخافي
ويعنى برسم الدر في طي أصداف
من الحق في بر وآخر مخلاف
وأخرى تسامت عن ظهور. وتعطاف
يفيض فيمضي في الوجود بتطواف
ويغدو كمرآة لعالمه الوافي
تخيله السامي إلى خير إشراف
ويبصر ما قد جل عن كل سفساف
فصار جديراً بالهدى دون آلاف!
ولا نسب الدنيا حدود لأوصاف
ويبقى حلال (الفكر) في ملكة الطافي^٢
خلوداً من (الأفكار) في حسن إسراف
من الشعر، أو نحت، وأية عزاف
يعبر عنها فوق نقض وإجحاف
ولكنه الوافي له بين آلاف
من الأسر في يأس لرحمة إنصاف
لحظ بعيد عن مخاوف إرجاف

^١ كان ثوينهاور يعتبر (الفنان) هـ: القادر المعبر عما عجزت الطبيعة عن التعبير الوافي عنه وعما لم تستطع لقان تكوينه. وكان يعتبر الموسيقى هي صورة النفس (الإرادة) أو (الطبيعة) وليست مجرد صورة لأفكار، وعلى ذلك فقوتها أعظم من جميع الفنون الأخرى. وكان يجاري أرسطو في تقديم الشعر على التاريخ.

^٢ الطافي: العالي.

هو النعمة الكبرى التي قد يعدها
وحسبك فعل (العزف) في القلب خافقاً
تترف لموسيقى الوجود نفوسنا
تغذى بطهر، وهي في قوة لها
سواها من الفن الجميل خواطر
ولو لم تكن دنيا لكانت بذاتها
تعبّر عن أسمى الخلود، وخُلدُها
إذا قلت: ما هذي (الطبيعة)؟ جاوبت
شقيقتها أو أنها ذاتها التي
ومنها تعلمنا (الفضيلة) هكذا

(أبيقور) للإنسان غاية أهداف
إذا كان عزف (الفن) في سحر توكاف
كما رف طي الجسم أشوق رفاف
(إرادة) دنيانا بملك وأكناف
ولكنها تسمو عليه بأضعاف
أجلّ من الدنيا، وقبله أحلاف
لنا القبس الزاهي وأجمل إتحاف
نداءك (موسيقى) الخلود بتطواف
تخلت عن الأجسام في كونها الصافي
بحرية من أسر عالمنا الجافي

(٧) - العزاء وتوحد الأضداد

أهبتُ بعدلٍ (للحياة) بحكمها
أهبتُ بها وهي الغنية دائماً
فكنت كطفلٍ لاعِبٍ شاقٍّ أمه
يدافع عن ذكرى أخٍ في غيابه
وما جهلت شيئاً، ولكن تظاهرت
لتعرف أيضاً كيف أدت جهودها
وكيف وفاء الجيل للنابه الذي
وقد كان فيه السقم بعض نبوغه
عظيم بنى (الفن) أسّ دعامة

وكم حكمت قبلاً بغاية أباد
عن النكر، أو عن مثل نصحي وإرشادي
فأصغت إلى تحنانه العاتب الشادي
وإن لم يغب عنها بحب وترداد
بجهل لتزجيني إلى خير إنشادي
إلى رفع أذهانٍ وتطهير أجساد
برغم شذونٍ كان قائد قواد
كما كان فيه انبؤس رائد إسعاد
وَألف دستوراً هو الفاتح الهادي

تغلغل في معنى (الحياة)، فإن يكن
فقد قدر اللب (الجمال) كذاتها
فحنت إلى شرحي (الحياة) وشجعت
كأن لم تكن قد أغضبتها زراية
وقد رفعت في الخلود وسامحت
وأصبح جزءاً من سناها موزعاً
نراه بإبداع (الفنون) جميعها
شدوذ تمنته (الحياة) لغابة
فإن بسمت كان ابتسام دراية
فقلت لها: تكفي شهادة (فجنر)
وحسبك أيضاً أن رسمك عنده
وأن يدعو (الشعر) العزيز ليحتفي
ويخلق أشخاص المآسي معبراً
كذلك صار (الفن) ديناً مقدساً
ولا عجب (فالدين) و (الفن) طالما
وكم كمل (المثال) ما قد نسيته
وقلت لها: هذي (الفضيلة) عنده
تأخ سداه العطف، لا قصد مطلب
وللناس جمعاً في مراغة ذلهم
وفي نزعنا كالطمر^٢ رغبة عيشنا

رماها بعسف أو رآها بإلحاد
بفن، وقد أذكى هوانا كعباد
ببسمتها، والبشرُ منها كإمداد
بها من فتاها، أو مخافة إفساد
عقوقاً، وأغنته عن الصيت والزاد
نراه طليقاً من عذاب وأصفاد
وفي الألق الماضي، وفي الأمل الغادي
من الحسن والإيداع للزمن الصادي
وما كتمت عنا سوى علمها البادي
شفاعة أجداد تُزفُّ لأحفاد
مقيم (بموسيقى الخلود) لإخلاق
(بفكرتك) الحسناء في حسن أفراد
عن (الفن) فيما قد خلقت بتعداد
يقدر لب الروح عن نقد نقاد
على الدهر كانا توأمين بميلاد
عياء، وكان المشق إبداعه البادي^١
تأخ، فتسليمٌ لنفس وأولاد
إلى حيوان هان كالمخلص الفادي
وفي سحق آمالٍ لديهم وأكباد
مهلهة (المآيا)^٣، وفي عيش زهاد

^١ أي البادي كأنما (الحياة) نقلت عنه!

^٢ الطمر: الكساء البالي.

^٣ المآيا: هو التعبير البوذي عن غشاء الغرور أو نقاب الوهم المسدول أمام عيوننا.

بحيث نرانا في اشتغال كما نرى
وما صور (الإلهام) إلا (غريزة)
وحتى (الغرام) البحت بعض خداعها
فأجمل دنيانا تملي جمالها
إلى أن يحين (الموت) في طهر نسكنها
فتصبح دنيانا كأخرى: كلاهما
لذلك كان الناسك الزاهد الدنا
وما كان أرقى من تصوّف ثائرٍ
وقلت لها: خلّي قشور بيانه
نراه سنّى للروح خلف غمامه
ونرصي عظاماً في ثراه، وأعظماً
توحدت الأموات في وحشة البلى
فلا تنهريني إن جعلت عبادتي
ولا تصغريني إن جعلت مناحة
فجازت وفائي في سكون تبسماً
فهل سحّرتنا (لإرادة) هكذا
ونحن - وإن كنا عبيد (إرادة) -
ويوحى لنا، (فالنفس) خلد مردد
يردد ما بين الكواكب نورها
فنحن إذن وحي (الألوهية) دائماً

لنا شغفاً بالزهد في عيشنا العادي
تسيرنا مثل (الإرادة) كالحادي
وما خص كل النوع ظنّ لأحاد
وأجمل أحرانا حياة بلا عاد¹
فنلقاه في شكرٍ كمنقذنا الجادي²
بوحدة سلم دام للحب منقاد
أجلّ وأسمى من عظيم بأجناد
على حيل طوع (الحياة) وأسداد!
ولا تحرمينا ما يغذي لآماد
ونهضمه في مثل سمع لأعواد
تهش له أيضاً، وكانت لحساد!
ونحن كصياد يكيد لصياد!
توحد إحساسي بإحساس أضدادي!
لنوعي في الذكرى فخاراً كأعياد!
شهياً كتأمين، فجئت لإنشادي!
فكنت وكنتم هكذا رهن ميعاد!؟
ملوك، فنوحي في شواسع أبعاد
بخيرٍ وشر، في فناء وإيجاد
قبولاً وعكساً، في أطراد بآباد
نشع بمعنى (للألوهة) وقاد

¹ أي حياة سلام بلا عدو مهاجم، بينما الضد هو شأن الحياة الحاضرة حيث الخصام والتآحر ودائماً مطاوعة لإيحاء (الإرادة).

² الكريم.

وأي إله للشقاء ماله؟!
ويا علماً (للعبقريّة) شاهداً
وقفنا على غبن (الحياة) عتابنا

وأي إله للفناء هو الحادي؟!
تبسم! فنحن اليوم أخلص أشهاد
وزدناك من حب كقدرك مزداد

ولاءان

إن كان للوطن العزيز رعايتي
لا كان إيماني بمصر إذا نفى
وطني كنفسي، فالغلو يحبه
والموطن الأسمى بدنيا ملؤها
لن يبلغ الإنسان أكرم مجده

فلدولة الإنسان عهدٌ ولائي
حبي لها يبري بدين إخائي
- إن طاش - مثل الأثرة العمياء
عطفٌ، وإخلاصٌ، وكرهٌ عداء
حتى يمشي لنده كفداء

المصرية

أنت التي هي مأملي في أمتي
لو كان لي حق التصرف لم أدع
يبني البناء وقد نسوك وما دروا

فإذا انتصفت فكل صعب هيّن
متسلّطاً بعلاك لا يتدين
فكأنهم بعد البناية ما بنوا

صوت الحرية

إلى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا
لمناسبة بيانه الوزاري في مجلس النواب

خَطَبْتَ فَكَانَ الصَّوْتُ مِنْ رُوحٍ (نَشْأَةً)
خطبت فألهبت القلوب التي وعت
كأنك ناجيت الزمان الذي يلي
لمحت أمانى الغيب ثم نشرتها
فهشَّتْ لك الأحلام حيث جمعتها
ومن حفَّه التقديسُ من كل جانب
وقال فقيه القوم: "طاش خياله
بهارج ألفاظ إلى غير غاية
وهيهات أن يرقى إلى مطلب بدا
يقربه وهم الخيال، وإنه
يضيعُ حظ الشعب خلف عناده
فقلت له: "يا جاحداً فضل قائداً!
إذا صاح فينا (مصطفى) كان صوته
يعبر عن جس الضمائر بيننا
ويعلن عن مجد (لمصر) مخلص
كعهد سمى قبله^١ رن صوته
وفيه تجلى روح (سعد) بوثبة
وأعظم ما فيه نبوة فكره

^١ المغفور له مصطفى كامل باشا.

إذا الشعب لم يفقد رجاء بحقه
ومن عاش في الأغلال طوعاً لضعفه
ولسنا ضحايا للعناد، وإنما
فمن شاء أن يلقى مع الذل عيده

وكد فلن يخشى أذى ووعيدا
وظن بها خيراً يموت قعودا
أبيننا إباءً سيداً ومسودا
فذاك، ولسنا من نسام عبيدا!"

رُبَاعِيَّاتُ الْخَيَّامِ

عَنْ

عُمَرِيَّاتِ فَيْتَزْجَرَالْدُ

(١٩٢١)

نَقَلَهَا شِعْراً عَنْ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ

الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ زَكِيَّ أَبُوشَادِي

عمريّات فتزجرالد

للأديب الإنجليزي إدوارد فتزجرالد فضل على الأدب العالمي بإخراجه سنة تسع وخمسين وثمانمائة بعد الألف للميلاد الترجمة الإنجليزية الأولى لرباعيات الشاعر الفارسي الفيلسوف، والمتصوّف الأبيقوري عمر الخيام، والتي نقلها إلى العربية نقلاً بديعاً - ربما جمل به الأصل ذاته - الأديب العربي القدير وديع البستاني في سباعياته التي أخرجها منذ أربعين عاماً، فنبه بنشرها أبناء الضاد إلى دراسة الأدب وتعريبات أخرى. ومن بين هذه الترجمات ما أخرجناه منذ عشرين عاماً معتمدين على ترجمة الزهاوي النثرية عن الفارسية، ثم عنّ لنا أن ننقل عمريّات فتزجرالد عن الإنجليزية، وأسميناها هكذا نظراً لما فيها من تصرف، ونشرنا بالفعل نماذج من هذه الترجمة في المجلد الأول من مجلة (أبولو) الشعرية. لكن توالي الأحداث التي أضاعت ذلك الأثر مع غيره من آثار أدبية وعلمية دعّتنا من جديد إلى إعادة ترجمته التي سنذيعها على دفعات، معتمدين أساسياً على الطبعة الثانية المنقحة التي أصدرها فتزجرالد بعد الطبعة الأولى لرباعياته بتسع سنوات ولو أنه بدّل واختصر فيما بعدها، ومذهبنا في الترجمة رعاية حرمة الأصل، ولو جاء أسلوب الترجمة مركزاً، وهو ما لا يرتضيه من يميلون بطبعهم إلى الأسلوب الفضفاض المهلهل، أو إلى حرية التصرف، بحيث يخرجون على أسلوب المؤلف تعبيراً وخيلاً وفكراً، مكتفين بما يسمّونه "روح" الموضوع، وهذا في نظرنا ليس من الأمانة الأدبية في شيء، إلا إذا اقترن بالتنبيه الوافي إلى وجود الخلاف بين الأصل والترجمة. وعدم الإكتراث لهذه الأمانة قد شجع بالفعل انتحال نُخب من الآداب الأوروبية والأمريكية، والأمثلة المؤسفة لذلك أشهر من أن تعرف وليست مما يشرف أدبنا المعاصر.

لقد ظهرت ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام - أو على الأصح شرحه لها - في أوج العصر الفكتوري، فجمعت ما بين التصوف الشرقي وتفاعيل

الروح الدينية التي كانت مسيطرة في ذلك العصر، وفيها ما فيها من حيرة وشكوك. ولم يظهر من أثر أدبي يقارن بها في ذلك العصر منتظماً رثاء البشرية والتفجع لمصيرها (وإن غلب فيه التأميل الشك) سوى ملحمة الشاعر تنيسون المسماة (الذكرى) وقد نقلها إلى العربية الأستاذ أنيس المقدسي.

ومهما يكن من شيء فهذه الرباعيات مبعث تأمل وعزاء، على الرغم مما تتضمنه من حيرة وشك وواقعية. وهي أبعد ما تكون عن العبث الرخيص والإباحية، وإن توهم فيها ذلك النقاد السطحيون كما توهموا في شعر ابن الفارض، ولا يطعن في قيمتها الأدبية كثرة الدخيل بينها وهو الذي دبجته أقلام أخرى ونسب إلى الخيام لدواغ شتى.

نيويورك في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥١

أحمد زكي أبو شادي

تَيَقُّظًا فَهَذِي الشَّمْسُ مِنْ خَلْفِ رِيْوَةٍ
رَمَتْهَا بَعِيداً عَنْهُ، ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ

إِلَى الشَّرْقِ سَاقَتْ أَنْجَمًا تَصْحَبُ اللَّيْلَ
رَمَتْ قَلْعَةَ السُّلْطَانِ بِالنُّورِ فَاسْتَعْلَى!

تَخَيُّلاً تُسَمِّعِي مَنْ يُنَادِي بِحَانَةِ
"إِذَا مَا أُعِدَّ الْهَيْكَلُ الْآنَ كَامِلاً"

قُبَيْلَ مَمَاتِ الطَّيْفِ مِنْ فَجْرِنَا الْكَائِبِ:
فَكَيْفَ تَوَانِي دُونَهُ الْعَابِدُ الطَّالِبُ؟"

وَعِنْدَ صِيَاكِ السَّيِّدِ صَاحَ الْأُكُلَى أَتَوْا
فَإِنَّكَ تَدْرِي كَيْفَ أَنْ بَقَاءَنَا

وُقُوفاً أَمَامَ الْحَانِ: "افْتَحْ لَنَا! أَسْرِعْ!
قَلِيلٌ، وَإِذْ نَمُضِي فَهَيْهَاتَ أَنْ نَرْجِعَ!"

لَقَدْ بَدَّدَ النَّيْرُوزُ شَوْقًا نَا مَضَى
وَرَا حَةً "مُوسَى" فِي بَيَاضٍ تَرَقَّرَتْ

وَوَدَّ اعْتِزَالًا فِيهِ رُوحٌ مُفَكَّرُ
عَلَى الْغُصْنِ، إِذْ أَنْفَاسُ "عِيسَى" تُعْطَرُ!

مَضَتْ، أَرَمَ، حَقًّا بِكُلِّ وُرُودِهَا
وَلَكِنَّمَا الْيَاقُوتُ مَا زَالَ دَافِقًا

وَجَمَشِيدُ، لَمْ يُعْتَرِ عَلَى كُوبِهِ الْمُغْرِي
مِنْ الرَّاحِ، وَالْجَنَّاتُ فِي مَائِهَا تَجْرِي!

وَأَطْبَقَ "دَاوُدُ" الشُّفَاهُ، وَإِنَّمَا
"هَلْمِّي! هَلْمِّي بِالسُّلَافِ!" فَبُدِّلَتْ

تَغْنَى غِنَاءٍ فَهَلَوِيًّا لَنَا الْبُلْبُلُ:
بِحُمْرَتِهَا مِنْ صُغْرَةٍ وَرَنَةٍ تَحْجَلُ!

هَلُمَّ إِلَى الْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ، مُحْرِقاً
فَذَلِكَ طَيْرُ الْوَقْتِ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ

مَتَابَ شِتَاءٍ فِي لَهَيْبِ رِيحِ
سِوَى لَحْظَةٍ إِذْ طَارَ جَدٌّ سَرِيعِ!

سَوَاءٌ بَدَأَ فِي "نَيْسَبُورٍ" وَ"بَابِلٍ"
فَإِنَّ نَبِيذَ الْعُمْرِ يَقْطُرُ دَائِماً

وَسَيَّانٍ مَرَّ الْكُوبُ أَوْ كَانَ حَالِيَا
وَتَسْقُطُ أَوْرَاقُ الْحَيَاةِ تَوَالِيَا!

ذَكَرْتَ مَعَ الْإِصْبَاحِ تَأْتِي وَرُودُهُ
فَفِي مَطْلَعِ الصَّيْفِ الْحَمْلُ وَرَدَّةٌ

صَدَقْتَ، وَلَكِنْ أَيْنَ وَرْدٌ لَأَمْسِنَا؟
سَيَمْضِي "كَيْقَبَادٌ" وَ"جَمْشِيدٌ" مِنْ هُنَا!

إِلَى حَيْثُ سَارَا دَعُهُمَا ! لَيْسَ شَأْنُنَا
وَدَعْ صَيْحَةَ الْحَرْبِ "رُسْتُمْ" صَاحَهَا

"كَيْقَبَادُ" أَوْ "خُسْرُو"، وَإِنْ عَظُمَا شَأْنَا
و "حَاتِمٌ" إِذْ يَدْعُو إِلَى الْمَطْعَمِ الْأَهْنَا

تَعَالِي مَعِي فِي شُقَّةِ الْعُشْبِ هَذِهِ
وَحَيْثُ تُنُوسِي كُلُّ عَبْدٍ وَسَيِّدٍ

وَقَدْ فَصَلْتَ قَفْرًا عَنِ الزَّرْعِ وَالْعَرْشِ
وَقُولِي سَلَامًا لِلْمَلِكِ عَلَى الْعَرْشِ !

وَيُمْسِي غَنَى خُبْرٌ قَلِيلٌ وَدَوْحَةٌ
تُغْنِي قُرْبِي وَسَطَ قَفْرِ لِنَشُوتِي

تُظِلُّ، وَيِيوَانُ، وَأَنْتِ، مَعَ الرَّاحِ
وَأَوْ لِقْفَرٍ صَارَ جَنَّةً أَفْرَاحِي !

تَلَهَّفَ قَوْمٌ أَعْرَضَتْ عَنْهُمْو الدُّنْيَا
أَلَا فَلْتَدْعُ وَجِدًا بَاتٍ وَخُذْ غِنًى

كَمَا حَنَّ قَوْمٌ فِي فُتُونٍ إِلَى الْآخِرَى
تَرَاهُ، وَدَعْ طَبْلًا بَعِيدًا وَمَا غَنًى!

أَلَيْسَ جُنُونًا أَنْ تَحُوكَ حَيَاتِنَا
عَلَامَ؟ فَمَنْ يَدْرِي الشَّهِيْقَ الَّذِي لَنَا

كَمَا حَاكَ هَذَا الْعَنْكَبُوتُ سَرِيرَهُ
بَلَحْظَتِنَا قَدْ لَا نُعِيدُ زَفِيرَهُ!

تَأْمَلْ نَضِيرَ الْوَرْدِ حَوْلَكَ وَاسْتَمِعْ
إِذَا مَا فَضَخْتَ الْكَثْرَ فَاضَ عَبِيرُهُ

إِلَى وَرَنَوْ فِي ضِحْكِهَا تُعْلِنُ السُّرَّاءَ
تُرَاءُ عَلَى الْبُسْتَانِ يُتْبِعُهُ عِطْرًا

تَسَاوَى الْأُلَى صَافُوا الْغِلَالَ نُضَارًا
فَمَا عَادَ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ أَوْدَعُوا الثَّرَى

وَمَنْ أَمْطَرُوهَا فِي الرِّيحِ نَشَارًا
وَلَا كَانَ بَنْتٌ لِذِي يَتَوَارَى

يَحُولُ رَمَادًا مَأْمَلُ النَّاسِ فِي الدُّنَى
كَتَلَجٍ عَلَى وَجْهِ الصَّحَارَى مُشْعَشَعٍ

وَالْأَفْمِنْ بَعْدَ التَّرْعَرُعِ لِلْفَضِ
تَأَلَّقَ حِينًا ثُمَّ فِي لَحْظَةٍ يَمْضِي!

تَأْمَلُ بِهَذَا الْخَانَ وَهُوَ مُهَدَّمٌ
وَكَيْفَ تَعْلَى حَاكِمٌ بَعْدَ حَاكِمٍ

وَيَابَاهُ صَيْغًا مِنْ نَهَارٍ وَمِنْ لَيْلٍ
وَوَلُّوا جَمِيعًا بَعْدَ أَبْهَةِ الْحَوْلِ

على قصرٍ "جمشيد" المليك وقصفه
ويجري حمارُ الوحشِ غيرَ محاذٍ

ترى السبعَ والحرياءَ ما لهما قيدُ
على رأسٍ "بهرام" ولم يستفق بعدُ!

رأيتُ بقصرٍ ترفعُ الأفقَ عمده
مطوّقةً ناحته وصاحته بشجوها

وحيثُ ملوكُ خاشعينَ تبوكوا
كوككو كوككو، كوككو كوككو!

هلمَّ بكأسٍ يا حبيبي رويّة
تقولُ "غداً"، في حين أني ربّما

لأنسى أسى الماضي ومقبلَ أيامي
ألاقي به الماضي بالآلافِ أعوام!

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْأَحْبَاءِ خُمْرَةً
شَرِبْنَا لِمَا نَخْبَهُمْ، فَتَسَلَّلُوا

تَوَلَّى الزَّمَانُ عَصْرَهَا وَهُوَ دَائِرُ
لِرَاحَتِهِمْ فَرْدًا فَفَرْدًا وَهَاجَرُوا

وَنَحْنُ الْأَلَى نَلْهُو بِقَاعَةِ أَنْسِهِمْ
إِلَى مَضْجَعِ الْأَرْضِ الْعَمِيقِ مَا لَنَا

وَقَدْ رَحَلُوا وَالصَّيْفُ فِي تَوْبِهِ الرَّاهِي
لِنَبْسُطِ مَثْوَى آخِرِينَ وَأَشْبَاهَا!

يُخَيِّلُ لِي فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ قَانِيَا
وَفِي السُّنْبُلِ الْبَرِّيِّ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ

دِمَاءٌ "لِكِسْرَى" حَيْثُ كَانَ دَفِينَا
حُلَى رَأْسِ حَسَنَاءٍ نُثْرِنَ فُنُونَا!

وَهَذَا الْبَهِيحُ الْعُشْبُ حَفًّا بِلُطْفِهِ
تَرْفُقُ حَبِيبِي! رُبَّمَا كَانَ نَبْعُهُ

شِفَاهَا لِنَهْرٍ فَوْقَهَا تَنْكِي حَبًّا
شِفَاهَا حَسَانًا يَمْنَنُ بِالْأَمْسِ وَالْعُشْبِ

تَمْتَعُ بِمَا أَخْرَزْتَ قَبْلَ زَوَالِهِ
وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْثَوِي تُرَاباً وَمَا لَنَا

تُرَاباً تُرَاباً فِي صَمِيمِ تُرَابِ
غَنَاءٍ وَلَا شَادٍ وَبُونِ شَرَابِ

سَوَاءٌ لِمَنْ كَانُوا يُعِدُّونَ زَادَهُمْ
أَهَابَ مَنَارٍ فِي الظُّلَامِ "جَمِيعُكُمْ

لِيَوْمِهِمْ أَوْ مَنْ يُعِدُّونَ لِلْغَدِ
مَجَانِينَ! لَنْ تَلْقَوْا جِزَاءً لِمُهْتَدِي"

وَفِي رَقْدَتِي أَسْمِعْتُ صَوْتًا مَنَادِيًا
وَأَسْمِعْتُ هَمْسًا مِنْ سِوَاهُ بِيَقْظَتِي

مَعَ الصُّبْحِ فَلْتَبَسِمَ لَنَا الْحُلُوءُ الْوَرْنَةُ
سَتَمُضِي كَمَا جَاءَتْ وَتَقْنِي بِلَا عَوْنَةٍ

لَقَدْ سَخَّرْتَ مِنْ أَوْلِيَاءٍ وَقَادُوا
تَرَدُّوْا وَقَدْ سَدَّ التُّرَابُ حُلُوقَهُمْ

نُبُوءَاتُهُمْ عَنْ عَالَمِ النَّاسِ وَالْآخِرَى
وَالْفَاضِلُ ضَاعَتْ وَقَدْ نُثِرَتْ تُّرَا

أَضَعْتُ شَبَابِي فِي التَّرَدُّدِ بَاحِثًا
وَلَكِنِّي مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَفْسِيهِ

بَيَّيْتُ وَلَسِي أَوْ بَيَّيْتُ حَكِيمَ
خَرَجْتُ كَمَا أُدْخِلْتُ غَيْرَ عَلِيمِ

غَرَسْنَا جَمِيعاً بِذُرَّةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي
وَكُلُّ حَصَادِي قَوْلِهَا - جِئْتُ نَحْوَكُمْ

جَهَدْتُ لِأَرْعَاهَا بِمَاءٍ لَكَتِ يَدِي
كَمَاءٍ وَمِثْلَ الرِّيحِ أَمْضِي وَأَغْتَنِي

إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا أَتَيْتُ وَمَا أَذْرِي
كَمَاءٍ، وَمِثْلَ الرِّيحِ فِي الْقَفْرِ هُبُّهَا

لِمَ إِذَا؟ وَمِنْ أَيْنَ؟ بِطَوْعِي أَوْ رُغْمِي
إِلَى أَيْنَ؟ لَا أَذْرِي عَلَى الطُّوعِ وَالرُّغْمِ!

لِمَ إِذَا بِلَا سُؤْلِ جُلِبْتُ إِلَى هُنَا
إِلَى أَيْنَ؟ جَادَتْنَا السَّمَاءُ نَدَامَةً

سَرِيعاً؟ وَمِنْ أَيْنَ لَأَذْهَبَ عَاجِلاً؟
مِنَ الرَّاحِ كَيْ نُنْسِيَ سَقَاهَةَ مَا خَلَا!

صَعِدْتُ مِنَ الْأَرْضِ الْعَمِيقَةِ سَارِيًّا
وَفِي رِحْلَتِي كَمْ عُقْدَةٍ نَلْتُ حُلَّهَا

إِلَى "زُحَلٍ" أَرْقَى عَلَى عَرْشِهِ السَّانِي
وَأُعْجِزْتُ عَنْ حَلِّ لِعُقْدَةِ إِنْسَانٍ

هُنَاكَ وَجَدْتُ الْبَابَ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحٍ
وَدَارَ حَدِيثٍ تَافَهُ حَوْلُنَا مَعًا

هُنَاكَ وَجَدْتُ السُّتْرَ يَحْجُبُ نَظْرَاتِي
وَعَابَ فَلَمْ تُسْتَبَقْ ذَاتُكَ أَوْ ذَاتِي

وَمَا اسْتَطَاعَتْ الْأَرْضُ الْجَوَابَ وَلَا رَوَتْ
وَلَا أَضْحَتْ تِلْكَ السَّمَاءُ فَقَدْ غَدَتْ

بَحَارٌ أَسَتْ مِنْ وَحْشَةٍ لِمُؤْتَمَرٍ
عَلَامَاتُهَا طَيَّ الْجَرِيدَيْنِ تَسْتَوِي!

سَأَلْتُ: "مَا هَذَا الَّذِي مِنْكَ فِي نَفْسِي
وَصِخْتُ لَعَلِّي وَاجِدُ لِهِدَايَتِي

تَحَجَّبَ مِنْ خَلْفِ الْوُجُودِ بِمَا هُمَا؟
ضِيَاءً فَقَالَ الْهَاتِفُ: "الْمُبْصِرُ الْأَعْمَى!"

حَنَوْتُ عَلَى نَغْرِ لِقَارُورَةٍ عَسَى
فَقَالَتْ: "تَمَتَّعْ فِي حَيَاتِكَ شَارِباً

تَسَلَّطْتُ عَنْ سِرِّ نَبْعِ حَيَاتِي
فَهِيَئَاتِ تَلْقَى الْبَعْثَ بَعْدَ مَمَاتٍ!"

يُخَيِّلُ لِي هَذَا الْإِنَاءُ بِقَوَاهِ
وَمِرْشَفُهُ الْمَيْتُ الَّذِي قَدْ لَتَمَّتْهُ

شَرِيدٌ، وَقَبْلًا كَانَ يَحْيَا وَيَشْرَبُ
مِائَاتٍ مِنَ الْقُبُلَاتِ قَدْ كَانَ يَصْحَبُ!

وَأَذْكَرَ أَنِّي كُنْتُ أَبْصَرْتُ صَانِعاً
فَقَالَ لَهُ: رِفْقاً أَخِي وَرَحْمَةً

تَّأَوَّلَ طِيناً جَابِلاً لِإِنَائِهِ
وَتَمَّتْ فِي لَفْظٍ بَغِيرِ أَدَائِهِ!

أَمَّا دَرَجَتْ مِنْ سَالَفِ الدَّهْرِ قِصَّةُ
فَمَنْ مَدَرَ أَوْ لَازِبِ كَانَ دَائِماً

كَهْزِي كَمَا قَدْ مُنَّتُ طُولَ أَرْمَانِ
يَصُبُّ نُهُى الْخَلَاقِ تَكْوِينَ إِنْسَانِ

وَلَمْ نُلْقِ مِنْ أَكْوَابِنَا أَيَّ قَطْرَةٍ
لِتُطْفِئَ ظَمَاءَ بَحْنِنَا عِنْدَ نَاطِرِ

عَلَى الْعُشْبِ مَلْفُوحاً بِغَيْرِ تَسْرُبِ
بَعِيدٍ بَعِيدٍ طَيِّاً أَجْيَالِ تَخْتَبِي!

وَحِينَئِذٍ تَهْفُؤُا رِشْفَةً خَمْرَةً
فَكُنْ مِثْلَهَا يَا ابْنَ الثَّرَى قَبْلَ أَنْ تُرَى

سَمَاوِيَّةٌ تُؤَلِّيَّةٌ تَرْفَعُ الرَّأْسَا
عَلَى الْأَرْضِ مَقْلُوبَا كَمَا تَقْلِبُ الْكَأْسَا

هَلُمَّ إِلَى سَرَوْ تَمْوَجْ حَاضِنَا
فَعَمَّا قَرِيبٍ سَوْفَ تُحْضَنُ ذَائِبَا

عَلَى مُهَلَّةٍ مَحْدُودَةٍ قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ
بَهَا، وَسَتَمْضِي فِي هَوَى أُمْنَا "الْأَرْضِ"

وَأَمَّا انْتَهَتْ كَأْسٌ شَرِبْتَ وَمِرْشَفٌ
تَخَيَّلْ إِذَنْ مَاضِيكَ حَاضِرَكَ الَّذِي

ضَغَطْتَ بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ قَبُولَا
تَرَاهُ، وَأَتِيكَ الْبَعِيدَ مَثِيلَا

وَحِينَ أَخِيرًا عِنْدَ شَاطِئِ جَدُولٍ
وَيَعْرِضُ كَأْسًا فَلْتُبَادِرْ لِشُرْبِهَا

يَرَاكَ مَلَاكُ اللَّيْلِ وَالرَّاحِ حَاضِرًا
بِرُوحِكَ، وَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مُحَانِرًا!

وَلَا تَخْشَ مِنْ هَذَا "الْوُجُودَ" جَهَالَةً
فَكَمْ هَمَرَ السَّاقِي المُخَلَّدُ دَائِبًا

لِنَوْعِكَ أَوْ تَضْئِيعُهُ حِينَمَا انْتَبَى
مَلَائِكِينَ مِنْ تِلْكَ الْفَقَاقِيعِ مِثْلَنَا!

مَتَى مَا رَحَلْنَا وَاعْتَدَى السُّتْرُ حَاجِبًا
فَمَنْ ذَا يُبَالِي مَنْ تَوَلَّى وَمَنْ أَتَى

كَلَيْنَا، وَمَا دَامَ الْوُجُودُ رَهِينًا
وَلَوْ كَحَصَى طَيِّ الْمَحِيطِ رُمِينًا؟

أَلَا لَحْظَةً عِنْدَ الْفَنَاءِ وَقَفَرِهِ
لَقَدْ أَوْشَكَتْ تَمْضِي النُّجُومُ وَأَوْشَكَتْ

أَلَا لَحْظَةً حَيْثُ الْمَعِيشَةُ تَتَّبَعُ
إِلَى عَدَمٍ تَمْضِي الْقَوَافِلُ، فَاسْرِعُوا!

أَتَرْضَى بِبَرَقِ الْعُمُرِ يَذْهَبُ خُلْبًا
وَتَفْصِيلُ بَيْنِ الْحَقِّ وَالزُّورِ شَعْرَةً

بِحَيْثُكَ لُغْزَ الْكَوْنِ؟ أَسْرِعْ إِذَنْ وَجِدْ
فَقُلْ لِي عِلَامَ الْعَيْشِ يَبْقَى وَيَعْتَمِدْ؟

يَقُولُونَ بَيْنَ الزُّورِ وَالْحَقِّ شَعْرَةً
لَعَلَّكَ تَلْقَاهُ فَتَفْغَنِمَ فَاتِحًا

أَجَلْ، وَكَذَا الْمِفْتَاحُ يُخْصِرُ فِي "الْأَلْفِ"
بِهِ الْكَزْنَ، إِذَا تَلَقَّى "السُّودَّ" بِالصُّدْفِ!

تَدْفَقُ مِثْلَ الزَّبَقِ الحُرِّ مُفْلَتاً
تَشَكُّلَ أَسمَاءٍ وَزَالَتِ جَمِيعُهَا

وَإِنْ كَانَ مَخْبُوءَ الوُجُودِ وَمَا تَنْرِي
وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ فِي مَجْدِهِ الحُرِّ

تُقَدِّرُهُ فِي لَحْظَةٍ ثُمَّ بَعْدَهَا
وَدَبَّرَهُ مِنْ نَفْسِهِ بِرِوَايَةٍ

يَغِيبُ وَرَاءَ السُّتْرِ بَيْنَ نُجَاهِ
كَمَا اشْتَرَعَ المَجْرَى لَهَا فَيَرَاهُ

وَلَكِنْ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي اليَوْمِ نَاضِراً
وَأَنْتَ الَّذِي مَا أَنْتَ، كَيْفَ إِذَنْ غَدَاً

بِيَأْسِكَ نَحْوَ الأَرْضِ إِذْ تُغْلِقُ السَّمَاءَ
مَتَى صِرْتَ "لَا شَيْئاً" وَأَصْبَحْتَ مُبْهَمًا؟

مَتَى كُنْتَ حُرّاً مِنْ أَدَى النَّاسِ وَالسَّمَاءِ
وَأَطْلَقَ يَدَا فِي السَّرْدِ بَيْنَ صَفَائِرِ

فَخَلَّ الْغَدَ الْمَعْقُودَ فِي حَلِّ نَفْسِهِ
تَجَلَّتْ عَلَى السَّاقِي الرَّشِيقِ بَأْسُهُ

تَجَنَّبَ ضِيَاعَ الْوَقْتِ فِي السَّعْيِ بَاطِلًا
وَأُولَى بِكَ الْعُنُقُودُ يَثْمِرُ نَشْوَةً

وَحَلَّ نِزَاعاً لَيْسَ يَثْمِرُ لَوْ تَدْرِي
مِنْ التَّمْرِ الْمَفْقُودِ وَالتَّمْرِ الْمُرِّ

أَلَا فَاعْلَمُوا يَا أَصْدِقَائِي بِأَنِّي
فَإِثْرَ طَلَّاقِي الْعَقْلَ مِنْ بَعْدِ عُقْمِهِ

أَقَمْتُ بِبَيْتِي مَقْصَفاً لِرِزْوَانِي
تَزَوَّجْتُ بِنْتَ الْكَرَمِ غَيْرَ مُدَاجٍ

وما "نَعَمْ" أو "لَا" وَإِنْ كُنْتُ قَابِراً
لَتَجْعَلَنِي الْمُنْطِيقَ مِثْلَ بَرَاعَتِي

بِحِثْقِي عَلَى التَّكْيِيفِ إِنْ غَمَضَ الْأَمْرُ
بِإِبْرَالِ شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَمْرُ!

يَقُولُ أَنْاسٌ عَنْ حِسَابِي أَنَّنِي
فَإِنْ كَانَ هَذَا فَامُحْ مَيِّتَ أَمْسِنَا

خَلَقْتُ مِنَ الْعَامِ الْمَلَائِمَ وَالْكَافِي
سَرِيعاً مِنَ التَّقْوِيمِ وَامُحْ الْغَدَ الْخَافِي!

وَفِي هَقْفَتِي فِي مَدْخَلِ الْجَانِ فَاغِراً
وَقَالَ - تَذَوَّقْ مِنْ وِعَاءِ رَأْيْتُهُ

فَمَيِّ لَاحَ فِي لَيْلِي مَلَاكٌ وَأَشْنَبَا حُ
عَلَى مَنْكِبِ زَاوِ فَكَانَ هُوَ الرَّاحُ!

هو الرَّاحُ، مَنْ قَدْ خَطَأَ الْجَمْعَ حَاشِداً
هو الكيمياءُ الوَحِيدُ، بِلَمْحَةٍ

بِمَنْطِقِهِ يَأْتِي نَزَاعَ الطَّوَائِفِ
يُحِيلُ رِصَاصَ الْعَيْشِ تَبْرَأَ إِخَائِفِ!

هو النَّاشِقُ الْجَبَّارُ رُوحَ الْوَهَةِ
يُبَدِّدُ كَالْإِعْصَارِ أَحْزَانَ مُهْجَةٍ

هو السَّيِّدُ الْمَحْمُودُ بِالسَّيْفِ يَضْرِبُ
وَأَوْهَامَهَا الظُّلْمَاءَ أَيَّانَ يُشْرَبُ

إِذَا كَانَ هَذَا مِنْ عَصِيرِ الْوَهَةِ
إِذَا كَانَ نُغْمَى فَلَنْبَارُ لِرُشْفِهِ

فَمَنْذَا الَّذِي يَبْغَاهُ لَوْناً مِنَ الشَّرْكَ؟
وَأِنْ كَانَ شَرّاً كَيْفَ قَدْ جَاءَ لِي وَلَكَ؟

عليَّ جُحُودِي بِلَسَمِ الْعَيْشِ، إِنَّنِي
وَأَشْرَبُ فِي وَهْمِ شَرَابِ مُقَدَّسٍ

لَأَخْشَى حِسَاباً بَعْدَ حِينِ صَوَابِ
لَنْ صَارَ كُوبِي الْهَشُّ بَعْضُ ثُرَابِ!

ولو أنَّ سَالِي الْكَرَمِ وَالْعُصْبَةِ الْأَلَى
شَكَلْتُ إِذْنُ أَنْ قَدْ يَرَوْا ثَمَّ خَالِيَاً

سَلُّوا الْحَبَّ كَانُوا فِي الْجِنَانِ بِمَشْهَدِ
مَكَاناً لَهُمْ حَتَّى وَلَا بَاطِنَ الْيَدِ!

وَأَوْ لَتَذَكِيرٍ بِنَارٍ وَجَنَّةِ
فَهَذَا وَهَذَا الْحَقُّ، لَا حَقَّ غَيْرَهُ

إِذَا كَانَ هَذَا الْعَيْشُ سَوْفَ يَطِيرُ
فَمَا عَادَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ زُهُورُ

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ بَيْنَ الْأَلَى مَضَوْا
فَصَارَ عَلَيْنَا كَيْ تَحْقُقَ مَا جَرَى

أَلَوْفَا إِلَى الظُّلُمَاتِ رَاحُوا وَمَا عَانُوا
لَهُمْ سَيْرُنَا أَوْ بَيْدُنَا مِثْلَمَا بَادُوا؟

وَلَيْسَتْ رُؤْيًى لِلْإِتْقِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ
سِوَى قِصَصٍ لَمَّا أَفَاقُوا رَوَوْا لَهَا

أُولَى الْعِلْمِ قَبْلًا وَالنُّبُوَّةِ أُحْرِقُوا
فَلَمَّا انْتَهَوْا عَادُوا وَفِي نَوْمِهِمْ بَقُوا

إِذَا اسْتَطَاعَ هَذَا الرُّوحُ يَطْرَحُ جَانِباً
أَلَيْسَ حَرَاماً أَوْ مَعِيباً بَقَاؤُهُ

نَفَايَةَ هَذَا التُّرْبِ حِينَ أُطِيرَا
طَوِيلًا سَجِينًا فِي التُّرَابِ أَسِيرَا؟

ولكن هذي لم تكن غير خيمة
وغايته للموت، حتى إذا مضى

يقيم بها السلطان مثل غريب
أعدت لضيء آخر وقريب

بعثت بروحي خلف دنيا خفية
فلما أتاني قال - "نفسي وحدها

ليلفظ حرفاً غاب عني في السما
رأيت السما فيها وشمت جهنماً!"

إذا رغبة نيلت فتلك سماء
فعد لإللام قد نفضناه سابقاً

وإن مهجة ذابت فتلك جحيم
فعمّا قليل عنده سنقيم!

وَلَسْنَا سِوَى رُكْبٍ يَسِيرُ وَكُنَّا
وَقَدْ حَمَلَ الْمَشْكَاةَ وَالشَّمْسُ طِيهَا

خَيَالَاتُ تَمْضِي تَارَةً ثُمَّ تَعْتَدِي
بِمَلْعَبِهِ اللَّيْلُ الْمُدِيرُ لِنَهْتَدِي!

عَلَى لَوْحَةِ الْجُوكَانَ يَلْعَبُ بِالدُّمَى
يُحَرِّكُهَا حِيناً هُنَاكَ وَهَاهُنَا

تَسِيرُ عَلَى لَيْلٍ بَدَا وَنَهَارٍ
وَيُلْقِي بِهَا مَوْتِي بِغَيْرِ سِتَارٍ!

وَبِالْأُكْرِ الْحَيْرَى تَفْتَنُ ضَارِباً
وَشَرْقاً وَغَرْباً مَا دَرَى غَيْرُ لَأَعْبٍ

فَلَا نَعَمْ تَدْرِي، وَلَا لَا بِهَا تَدْرِي
بِمِضْرِبِهِ أَيَّانَ تَجْرِي لِمَا تَجْرِي؟!

يَدُ الْقَدَرِ الْجَارِي لَقَدْ سَطُرَتْ لَنَا
وَهِيَهَاتَ يَكْفِي كُلُّ دَمْعٍ بَذَلْتَهُ

وَمَرَّتْ، وَلَنْ تُثْنَى بِتَقْوَاكَ أَوْ وَعْظِكَ
لِيَمْحُوا لَفْظاً كَانَ سَطُرَ عَنْ حَظِّكَ

أَلَا فَلْتَدْعُ الْفَيْلَسُوفَ حَدِيثُهُ
فَلَيْسَا عَلَى الْحَالَيْنِ إِلَّا كَحَلَقَةِ

وَدَعُ لَطِيبٍ مَا يَقُولُ كَذَاكَ
بِسِلْسِلَةٍ لَا تَسْتَحِيلُ فِكَاكَ!

وَمَا هَذِهِ الطَّاسُ الْمُسَمَّاءُ بِالسَّمَاءِ
لِنَحْيَا وَنَفْنَى، لَا تُطَالِبُ بِعَوْنِهَا

وَقَدْ قُلِبَتْ، إِذْ تَحْتَهَا سَامَنَا الْقَدَرُ
فَقَدْ ضَوَّلَتْ شَأْنًا كَشَأْنِكَ فِي الْقَدَرِ

بِأَوَّلِ طِينٍ كَوْنُوا آخِرَ الْوَرْدِ
وَأَوَّلُ صُبْحٍ لِلْوُجُودِ بِرَقْمِهِ

وَمِنْ آخِرِ الْمَحْصُولِ قَدْ تَثْرُوا الْبَثْرَا
رَوَى عَنْ آخِرِ الْفَجْرِ فِي عَالَمِ الْآخِرَى!

أَعَدَّ لَنَا أَمْسُ الْجُنُونِ بِيَوْمِنَا
فَلِلرَّاحِ هَيَّا! لَسْتُ تَعْرِفُ مَبْدَأُ

وَصَمْتَ غَدٍ وَالنَّضْرَ أَوْ يَأْسَ مُنْقَضُ
وَلَا سَبِيًّا أَوْ غَايَةَ نَحْوَهَا تَمْضِي!

أَلَا خُذْ مَقَالِي - حِينَ مَبْدَأُ كَوْنِنَا
وَفَوْقَ "الثُّرَيَّا" الْفَخْمِ وَ"الشُّتْرِي" رَمَوْا

رَمَوْا فَوْقَ كَثْفِ الشَّمْسِ فِي اللَّهَبِ الْمُوحِي
مُقَدَّرَ حَظِّي مِنْ تُرَابٍ وَمِنْ رُوحِ!

إِذَا مَا أَصَابَ الْكَرْمُ عِرْقاً حَيَالَهُ
وَمِنْ مَعْدِنِي الدَّانِي لِيُشْغَلَ بَارِدٌ

تَعْلُقَ جِسْمِي فَلَيْكَ الْعَابِدُ السَّاحِرُ
لِمِفْتَاحِ بَابِ دُونِهِ صَارِخٌ تَائِرٌ!

وَهَذَا الَّذِي أَذْرِيهِ - سَيَّانٍ وَمُضَّةٌ
لَخَيْرٌ لَنَا فِي الْحَانَ نَخْطِفُ وَمُضَّةٌ

مِنَ النُّورِ حُبّاً أَوْ مِنَ الشُّعْلَةِ الْحَمَرَا
مِنَ الْأَلْقِ الْمَفْقُودِ فِي مَعْبَدٍ فَوْرَا

أَمِنْ عَادِمٍ لِلْحِسِّ لَا شَيْءَ يَغْتَدِي
يُعَذِّبُ لِلصَّفْوِ الْمَحْرَمِ مِثْلَمَا

كَيْانٌ مُحَسٌّ تَائِرٌ يَرْفُضُ الْعَسْفَا؟!
يُعَاقِبُ دَوْماً إِنَّ أَبَى ذَلِكَ الْخَسْفَا!

أَعَنْ خَلْقِهِ الرُّضُوضِ تُزْجِي لَهُ التَّبَرَا
يُحَاكِمُنَا ظُلْمًا لِعَقْدٍ مُلْفَقِ

وَعَنْ رَغْوَةِ هَائِتْ نَرُدُّ لَهُ دَيْنَا
فَلَمْ نَشْتَرِكْ فِيهِ، أَلَا بَيْسَ مَا يُجْنَى!

وَلَوْ لَا شُعُورُ الرُّغْبِ مِنْهُ لَوَجَّهْ
وَأُقْسِمُكُمْ مِنْ صَالِحِ زَارِ حَائَةِ

لَمَّا قُلْتُ إِنَّ الظُّلْمَ كَانَ سَمَاحًا
لِيُشْبِعُهُ رَفْسًا، وَلَيْسَ جُنَاحًا!

أَيَا مَنْ طَرِيقِي فِي شُرُودِي مَلَأْتُهُ
أَتَمَلَّؤُهُ بِالشَّرِّ مِنْكَ مُقَدَّرًا

وَجَارًا، وَمَنْ فِيهِ نَصَبْتَ شِرَاكَا
وَتَنَسَّبُ لِي بَعْدُ السُّقُوطَ لَذَاكَ؟

أَيَا مَنْ بَوَى الْإِنْسَانَ مِنْ طِينَةٍ دَنْتُ
أَلَا فَا مَنَحَ الْإِنْسَانَ عَفْوَكَ إِنْ يَكُنْ

وَلَمْ يَحْرِمِ الْفِرْنُوسَ مِنْ صُحْبَةِ الْحَيَّةِ
مُسِيئاً وَلَوْ لَمْ تُبْقِ عَفْوَكَ أَوْ غِيَّة!

كَمَا قَدْ تَوَارَى تَحْتَ سِثْرِ لِغَابِرٍ
ذَهَبْتُ إِلَى الْخَرَافِ وَحَدِي وَعِنْدَهُ

لَدَى "رَمَضَانَ" الْجَائِعِ الْخَائِفِ الظِّلِّ
مِنَ الطَّيْنِ أَشْكَالٌ تَجْمَعْنَ مِنْ حَوْلِي

وَقَالَ سِوَاءُ - مَا تَجَرَّأَ مَرَّةً
فَكَيْفَ لِمَحْضِ السُّخْطِ يُتْلَفُ صَانِعُ

صَبِيٌّ خَبِيثٌ كَاسِيراً كُوبَ أَنْسِهِ
تَفَنَّنَ مُخْتَاراً - وَعَاءٌ لِنَفْسِهِ؟!

فَمَا نَطَقُوا، لَكِنَّمَا بَعْدَ صَمْتِهِمْ
"لَقَدْ سَخِرُوا مِنِّي لِقُبْحِي فَهَلْ تُرَى

تَلَفُّظَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ ذَاقَ ذَلِكَ
أُمِلَتْ يَدُ الْخَزَافِ فِي رَعْشَةٍ لَهُ؟!"

يَفِيضُ سُؤَالَ مَيِّتٍ مِثْلَ عَائِشٍ
وَفِي مَرَّةٍ أُسْمِعْتُ صَوْتَ تَذَمُّرٍ:

لِمَذَا؟ وَمَازَا؟ فِي شُكُوكِ سُؤَالِ
تُرَى مَنْ هُوَ الْخَزَافُ وَالْخَزَفُ الْبَالِي؟!

فَقَالَ مُجِيبٌ - "إِنَّ قَوْمًا لِسَيِّدٍ
وَقَالُوا لَنَا عَنْ شِدَّةِ لِحْسَانِهِ

غَلِيظٍ بِدُخَانِ الْجَحِيمِ لُثُوا وَجْهَهُ
فَأُفٍّ لَهُمْ! هَيْهَاتَ يَظْلِمُ أَوْ يَسْفَهُ؟"

وقال سِوَاهُ - إِنَّ تَكُنْ طِينَتِي جَفْتُ
فَهِيََا تَقَدَّمْ مِنْ شَرَابِ مُحَبَّبٍ

لِإِغْفَالِهَا وَقْتاً مَرِيداً بِلَا ذِكْرِ
لِمَلَّتِي لَعَلِّي بَعْدُ يَرْجِعُ لِي بِشَرِي!

وَإِذْ حَدَّثْتُ هَذِي الْأَوَانِي حَدِيثَهَا
وَفِي فَرَحَةٍ طَابَتْ تَغَامَزَ جَمْعُهَا

تَبَاعاً رَأَتْ طِفْلاً هِلَالاً نَشَدَتْهُ
وَقَالَتْ - "غَدَا الْخَرَافَ يَهْتِكُ فَنَّهُ"

أَلَا فَلْتُزَوِّدْ بِالسُّلَافِ بَقِيَّةً
وَأَلْقِ بِجِسْمِي طَيِّئِ نَبْتٍ مُنْضَرٍّ

لِعُمْرِي وَغَسِّلْ بِالسُّلَافِ رُفَاتِي
بِمَهْجُورٍ بُسْتَانٍ تَرْدٌ حَيَاتِي!

إِذَا مَا أَتَى هَذَا الرِّبْعُ بِدِفْنِهِ
بَظِلْ لِفُصْنِ مَائِلٍ فَوْقَ حَائِطِ

تَلَاقَى حَبِيبٌ مِنْ قَدِيمٍ بِحُبِّهِ
وَقَدْ نَثَرَ النُّوَارَ فَوْقَ مُحِبِّهِ

وَحِينَئِذٍ حَتَّى رَمَادِي فِي الثَّرَى
بَحِثْ إِذَا مَرَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا

يَكُونُ كَفَخٌ فِي الْهَوَاءِ أَشِيرًا
بِعَقْرِيَّةٍ مِنْهُ يَصِيرُ أُسِيرًا!

لَقَدْ أَغْرَقْتُ مَجْدِي بِكَأْسِ صَغِيرَةٍ
وَكَانَتْ لِفَضْلِي النَّقْصَ فِي أَعْيُنِ الْوَرَى

مَحَبَّتِي الْأَوْثَانَ طُولَ بَقَائِي
فَضَاعَتْ صَبِيَّتِي بَائِعًا بِغَنَاءِ

أَكِيداً أَكِيداً كُنْتُ أَعْلَنْتُ تَوْبَتِي
وَمِنْ بَعْدُ قَدْ وَافَى الرَّبِيعُ وَوَرَدَةُ

وَأَقْسَمْتُ، لَكِنْ هَلْ تُرَى كُنْتُ وَأَعْيَا؟
بِرَاحَتِهِ فَاَنْسَلْ تَوْبِي مُجَافِيَا!

وَمِنْ حَيْثُ أَنَّ الرَّاحَ كَانَتْ أَثِيمَةً
فَوَا عَجَبِي مِنْ مُبْدِلِيهَا بِمَا أَرَى

وَقَدْ سَرَقَتْ مِنِّْي رِدَاءَ وَقَارِي
أَقْلَ غَنَى مِنْهَا لِبَائِعِهَا الشَّارِي!

وَلَكِنْ أَهْأَ لِلرَّبِيعِ الَّذِي مَضَى
كَمَا لَمْ يَعُدْ لِلْعُنْدَلِيْبِ صُدَاحُهُ

مَعَ الْوَرْدِ، إِذْ سِيفَرُ الشَّبَابِ تَوَارَى
وَلَمْ نَذَرِ أَنْيَ جَاءَ قَبْلُ وَسَارَا

أَلَا لَيْتَ صَحْرَاءَ لِمَيْنِ حَبِيبَةٍ
فَيَقْفِرَ مِنْ بَعْدِ الْهُمُودِ كَأَنَّهُ

تَجُودُ عَلَى السَّارِي الْعَلِيلِ بِأَمْحَةٍ
مَدْرِيْسٌ مِنَ الْأَعْشَابِ عَادَ لِوَثْبَةٍ!

وَاهِ لَوْ الدُّنْيَا أُعِيدَتْ لِخَلْقِهَا
لِنَجْعَلَ مَنْ خَطَّ الْحُطُوطَ مُسَجِّلاً

وَقَبْلَ كِتَابِ الْحَظِّ يُخْتَمُ دُونَنَا
بَخِيرِ أَسَامِينَا، وَإِنْ يَأْبَ فَاثْنَا!

لَأَجْدَى إِذَا الدُّنْيَا تَخَلَّى سِجْلُهَا
وَمَنْ ذَلِكَ الْفَيْضِ الْمَتَابِعِ قَطْرَةٌ

عَنِ اسْمِ لِرُوحٍ مُتَعَبٍ سَيِّئِ الْعُمْرِ
عَلَى قَطْرَةٍ فِي الْكَرْبِ مِنْ أَغْصُرٍ تَجْرِي!

وَأَوْ حَبِيبِي لِيَتَّمَا نَتَّامِرُ
وَنَخْلُقْهُ خَلْقًا جَدِيدًا مُهَذَّبًا

مَعَ الْحَظِّ كَيْ هَذَا الْوُجُودَ نُدَمِّرُ
وَأَدْنَى لِمَا تَهْوَى الْقُلُوبُ فَيَعْمُرُ!

وَلَكِنْ تَعَالَ انْظُرْ حَبِيبِي! فَهَا بَدَأَ
بِرَعْشَةٍ يَرْتَو، فَكَمْ بَعْدُ يَا تُرَى

عَلَى الْأُفُقِ هَذَا الْبَدْرُ يَنْظُرُ نَحُونًا
سَيَرْتَو وَلَا يَلْقَى عَلَى الْعُشْبِ أَيَّنَا؟

أطراف الربيع

(سبتمبر ١٩٣٣)

إِهْدَاءُ الدِّيَّوَانِ

إِلَى الرُّوحِ الْجَمِيلِ وَكَمْ إِلَيْهِ
فَلَا يُصْنَفِي لَأَلَامِي وَيَنْسَى
أَعِيشْ بِبِسْمَةِ وَأَعِدَّ زَادِي
حُرِّمْتُ جَمَالَكَ الْمَعْبُودَ حَتَّى
كَأَنَّ الذِّكْرِيَّاتِ بِهِ بَقَايَا
وَصَارَتْ مُهْجَتِي التَّكْلَى بِحُبِّي
وَعَيْتِي خُدْعَةً لِلَّيْلِ تَتَرَى

وَحِينَ تَنْفَسُ الْإِصْبَاحُ شِعْرًا
وَرَدَّدْتَ الصَّبَاحَةَ أَغْنِيَاتٍ
وَطَوَّقَنِي النَّسِيمُ بِكُلِّ عَطْفٍ
وَحَيَّتَنِي الْأَزَاهِرُ وَهِيَ سَكْرَى
وَدَاعَبْتَ الْعَصَافِيرُ اللَّوَاتِي
عَرَفْتُ يَدَ الْأُلُوهَةِ مِنْكَ تُنْضِي
فَحَالَ دُجَايَ أَضْوَاءَ بِشْعَرِي

أَبْتُ مِنَ التَّلَهُّفِ رُوحَ ظَامِي
فَوَادَا حَسْبُهُ بَغْضُ ابْتِسَامِ
أَشَعَّتْهَا وَأَشْرَبُهَا مُدَامِي
غَدَا قَلْبِي حَطَامًا فِي حَطَامِ
مِنَ الْأَشْلَاءِ أَشْتَاتٍ دَوَامِي
كَعَاصِفَةٍ تَرَامَتْ فِي الرِّغَامِ
وَهَذَا الشَّعْرُ أَطْيَافَ الظَّلَامِ

وَتَاهُ الْحُسْنُ بِاللَّحَنِ الْبَدِيعِ
تَمَوْجُ بِنَشْوَةِ الرُّوحِ الْوَدِيعِ
وَجَفَّفَ مَا تَرَقَّرَقَ مِنْ دُمُوعِي
بَخْمَرِ الْحُبِّ فِي أَدَبِ رَفِيعِ
مَرَحَنَ تَأْمَلَاتِي بَلْ خُشُوعِي
ظِلَامَ فَوَادِي الْقَلْقِ الصَّرِيعِ
وَصَارَ الشَّعْرُ أَطْيَافَ الرِّبِيعِ

أَبُو شَادِي

شعر الديوان

تحت الوسادة

خَبَّأتُ أَغْنَانِي الْحُبِّ تَحْتَ وَسَادَةٍ بِسَرِيرِهَا
فَكَأَنَّمَا خَبَّأتُ بِهَا رُوحاً تَحْنُ لِنُورِهَا
وَاسْتَنْشَقْتُ مِنْهَا الْعَبِيرَ وَقَبَّلْتُ مَعْنَاهَا
فَرَأْتُ بِهَا نُورَ الْحَيَاةِ وَحَظُّهَا وَغِنَاهَا
وَمَضَتْ تُدَاعِبُ رُوحَ هَذَا الشَّعْرِ فِي تَحْنَانِهِ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مُلْهُمٌّ مِنْهَا بِسِحْرِ بَيَانِهِ
وَأَطَالَتِ الْإِحْسَانُ وَالْإِلَهَامُ مَنْ شَفَفَتْهَا
وَكَأَنَّمَا قَلْبِي الَّذِي حَمَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا
وَأَحْسَنَتْ اللَّهَبَ الْحَنُونَ يَفِيضُ بَيْنَ سَطُورِهِ
فَإِذَا لَهَيْبُ شَعُورِهَا يَلْقَى لَهَيْبَ شَعُورِهِ
تَتَعَارَفُ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ عَلَى نَوَى بِجَسَدِهَا
وَتَذُوقُ مِلَّةَ الشَّعْرِ طَعْمَ غَرَامِهَا وَهُمُومِهَا
تَلِكُ السَّطُورُ عَوَاطِفِي وَمَشَاعِرِي وَجَنَانِي
فَتَرَفَّقَنِي بِعَزِيزٍ مَا تَحْوِيهِ مِنْ خَفَقَانٍ

شاطئ الأحلام

(خليج استانلي - رمل الاسكندرية)

رَدُّوا شعاعَ الشمسِ حيثُ تُطلُّ
الخالعات من الثياب أجلَّها
من كلِّ لونٍ للأزاهرِ صبغةً
في مَسْرَحِ البحرِ وثَّابٌ به
والموج يعبثُ بالصخور كأنها
(فينوس)^١ تمرح فيه بين مَفَاتِينِ
وَطَنُ الألوهة في الحياة بما وَعَتْ
لا تَسْقِنِي الخمرَ المَعْتَقَةَ الْمُنَى
حين السواعدُ في الشَّهْيِ لِسُمُرَةٍ
الحُسْنُ لم يُعْبَدْ طَهوراً عارياً
واللهو لم يُغْنَمْ بريئاً حالياً
فرحتُ به الأمُّ الطَّبِيعَةُ مثلما
مَرَّأَى حَيَاةَ الشعرِ مِنْ أوزانهِ
ومُنَى مِنَ الأحلامِ ترقصُ حولنا
كُرْمَتٌ، فكلُّ ناهلٍ مِنْ طيبتها

ودعوا الحسان مكانها تحتلُّ
واللابساتِ الحُسْنَ وهو أجلُّ
فيه وإن ملكَ البيانِ الفُلُّ
مثلَ العوادلفِ يَعْتَلِي وَيَزَلُّ
مُهَجٌّ يحاربها الهوى فتَذَلُّ
ويلي (كيوبيد)^٢ العزيز (أبولو)^٣
فلكلِّ رمزٍ للنعيمِ مَحَلُّ
حين العيونُ تشوقنا وتَدُلُّ
أشهى الكؤوسِ نذوقها ونَعِلُّ
بأحبِّ مِنْ هذا الذي يَبْتَلُّ
بأرقِّ مِنْ صَفْوِ عليه نُطَلُّ
لأقَى الوصالِ العاشقُ المَعْتَلُّ
ويعود للإكثارِ فيه مَقْلُّ
ومن الحقيقةِ ما حكاها الظلُّ
وقَسَتْ فَأَيُّ صَدَى هُنَاكَ يُبْلُّ!

^١ إلهة الجمال.

^٢ إلهة الحب.

^٣ إلهة الشعر.

في المعبد

وقفتُ تُناجي (الشمس) حين تجاهلتُ
نطقتُ بروح الشمس واستودحتُ بها
ومن الرموزِ حقائقٌ ودقائقُ
وقفتُ تحنُّ لها الضحايا مثلما
في الهيكلِ المصنَّغي إليها رهبةً
وترى النقوشَ تقمَّصتُ أشكالها
وكأنما العمْدُ التي رفعتُ مَدَى
وإذُ القُدُورُ تَضَمَّختُ أنفاسُها
والشَّمسُ تبسمُ روعةً وتألَّها

هذي حياة النيلِ رِيَّةُ عرشه
وقفتُ تُصَلِّي والصَّفوفُ وراءها
رفعتُ يداً بالزَّهرِ وهو شفيعُها
والحُورُ والولدانُ من أتباعها
وإذا بأخناتون يُنصتُ غارقاً
وهبَ السلامُ إلى القلوبِ مؤاسياً
وتحالفاً^١ والشمسُ فيما أشرقتُ
وكأنما هذي الأشعةُ لم تَزَلْ
نطقتُ بها التُّرَّاتُ لويصنَّغى إلى
والفنُّ ينتظمُ القرونَ فإنه

أنَّ الشَّمسَ بَحْبُها تتلَّلا
معنى ييُوحُ به الإلهُ تعالى
حتى نكاد نرى الأصيلَ مثلاً
حنَّ البُخُورُ تجاهَّها إقبالاً
حتى الظلالُ به وَقَفْنَ ظلالاً
أممٌ تُطِلُّ ولا تُريدُ زوالاً
هذي الفنونُ بزهورها تتعالى
بالحبِّ مِنْ أنفاسِها يتوالى
لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالاً!

ومُنَى (أتون) رشاقةً وجَلالاً
كالدهرِ يجمع نحوها الآمالاً
وتمدَّ أخرى في ابتهاجٍ طالا
حتى الخيالُ لهنَّ ليس خيالاً
في الحُلُمِ يرقب حوله الأجيالاً
ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاً
بهما ضياءُ خالداً وكمالاً
مِنْ ذلك الأَمَسِ العظيمِ مقالاً
ما حُمِّلَتْهُ تفاوُلاً وسؤالاً
روحُ الزمانِ فما يهابُ مُحالاً!

^١ يشير إلى نفر تيتي زوجة عاهل مصر لأخناتون، وهي المرئية في موقف الصلاة والابتهاج.
^٢ لأخناتون ونفر تيتي.

زيوس ويوروبا

(كبيرة الآلهة ونموذج الجمال)

شاقه الحُسْنُ وكم شاقَ الجمالُ
ليس بدعاً مِنْ إلهٍ قادرٍ
أو مُحالاً مِنْ جَمالٍ مُعْجِزٍ
كُلُّ ما في الكونِ بل ما في الخيالِ
أن ينال الدُسْنُ منه الإيْتِهالُ
أن ترى المألوفَ منه كالمُحالِ

خطرتْ بِنْتُ المليكِ السافِرَةِ
والمُروِجُ الخَضِرُ تَزْهُو حَوْلَهَا
وبدا الشَّاطِئُ في رُوحِ الصَّبِيِّ
في رُبَى الشَّاطِئِ تلهو سَاحِرُهُ
بين نُورٍ ومَعانٍ ناضِرَةِ
وأمانِي الحَبِّ فيه طائِرَةُ

ورأها دُمِيَّةُ الفَنِّ (زيوسُ)
فاشَتْهاها وهو أسمى منزلاً
وأبى استهواها إلا على
وغنى الدنيا وأحلامَ الكؤوسِ
وهي أسمى منه في حُسْنِ يسوسِ
صورةً للفنِّ تستهوي النفوسَ

فترأى في خيالِ الحيوانِ
صورةَ الثَّورِ البهيِّ المنظرِ
واكتسى مِنْ لونه الصَّافي حُلِيَّ
الأليفِ الطَّبْعِ والجمُّ الحنانِ
الخفيفِ الظِّلِّ ترضاه الحسانِ
فإذا المَرْجُ بمِراةٍ يُزَانُ!

ودنا مِنْ رَبَّةِ الحَسَنِ التي
في دُعاباتٍ يُحييها بها
أَلْقَتِ الخوفَ وناجتهُ كما
قد تَجَلَّتْ في مَصَفِّ الآلهةِ
كتحيَّاتِ القلوبِ والوالهةِ
داعِبِ الطفلِ الدُّمىِ المستألهِ

وأثتْ بالزَّهرِ إكليلاً له
ثم عقداً شاقها في جِيدِهِ

فازدهى في نشوة الحب كما
وانثنت تركبته في خفة

يزدهى المعتز من تأيده
فأثمت حظته في عيده!

ومضى في اليم يجري سابحاً
وجمالاً عبقرتاً بينما
وتولى يحمل الحسن إلى

غانماً ملكاً فريداً راجحاً
كان هذا الكون يرنو صادقاً
حيث يلقي الحسن عرشاً صالحاً

وتجلى بعد ذا في صورته
وارتضته بعد لأي زوجها
كم كبير بصغير يعتلي

حين (يوروبا) بدت في رتبته
حين عد الكون مرأى زوجته
وصغير بكبير لم يتة!

إيليا وصموئيل

نظر الشيخ نظرة من حنان
نظرة أشبعت بإلهام روح
ربت الساعد القدير قريراً
وترى زرقاة السماء تراعت
نفذت من غضون نافذة البید
وتجلى المصباح بالنور أموا
وبدا في سكونه الأسر اللي
وتخال الأصباغ في ملبس الشید
لكأن الزمان وهو مسن

للفتى الساحر النهى اللوذعي
كالله بوحيه الأزلي
فسرى النبئل في الشعور الفتى
في رضاء من الإله العلي
ت كطيفر من السما قدسي
جأ كموج الحياة في كل شي
ل كمعنى بمهجة الألعى
سخ بياناً من الشعاع السني
مشرق لابنه المليح الصبي

وَكأنَّ الكُتَابَ فِي يَدِهِ النُّشْـ
تَلْمَحُ الحِكمَةَ العميقةَ والفِـ
وتَرى شَعْرَهُ المَهِيبَ نُصُوعاً
مَشْهُدٌ صَاغَهُ الزَّمانُ لِحَيَا
كَانَ لَوْناً مِنْ نَقْشِ أَحْدَاثِهِ الكُبـ

هَتَفَ الوَحْيُ فِي نُهَى الطِّفْلِ إِذْ قَا
فَتَغَذَّى مِنْ رُوحِهِ بِجَمالٍ
وَمَضَى فِي الزَّمانِ يَغْزُو جَريئاً
أُمٌّ أَسْعَدَتْ بِهِ فِي حَيَاةٍ
مِثْلَما أَسْعَدَ البَيانُ بِمَرايٍ

رُبَّ طِفْلٍ رَعَتْهُ أُمٌّ حَنُونٌ
وَتَوَلَّاهُ هادِياً مَنْ تَوَلَّى
وَأَثاروا فِيهِ الرُّجُولَةَ والنَّبـ
صَيَّرَتْهُ الأَقْدارُ مِنْ قَادَةِ الفِـ

رُ لَسَرُ الوُجُودِ مِنْ بَعْدِ طَيِّ
رَ بَوجِهِ مُنَوَّرِ النَفْسِ حَيِّ
كَجَلالِ الحَقِيقَةِ الأَبديِّ
فِي عَصُورِ بَشاعِرٍ وَنَجِيِّ
رَى وَمَعْنَى مِنْ فَتْنَةِ العَبْقَرِيِّ

مَ لِيُصَنِّغِي إِلى الوَلِيِّ الوَفِيِّ
وَتَحُلِّيَ مِنْهُ بِأَبهى الحُلِيِّ
بانيأً مَعْقِلَ الشُّعُورِ الأَبِيِّ
وَمَماتٍ بِرُوحِهِ العُلُويِّ
دائِمِ النَفْعِ بِالجَمالِ السَّريِّ

وَأَبٌّ فِي كَفاحِ عيشٍ شَقِيٍّ
وَحَبِباءَ بِعَظْفِهِ الأَبْـوَيِّ
لَ وَصَدَقَ التَّجَمُّلُ الرُّوحِيَّ
رَ نَبِيأً أَوْ فِي مَقامِ النَّبِيِّ

أفرديت وأدونيس

هَلُمِّي دُمُوعَ الْجَمَالِ هَلُمِّي وَلَا تَكْنُفِي
وَيَا جَذْوَةً فِي أَشْتَعَالِ أَطِيلِي وَلَا تَنْطَفِي
لهيباً بقلبي الوفي!

جئتُ قُرْبَهُ (أفرديتُ) تنووحُ نواحَ المَرُوعِ
بقلبٍ كسيرٍ شتيتُ يسيلُ مسيلَ الدَّمُوعِ
ويُفشي الأسي في الزُّروعِ

عَلَّتْ صرخةُ داويدةَ فهزتُ عَتِي الصَّخُورِ
كأنَّ المنى الفانيه تطوفُ بأهلِ القُبُورِ
وتُحيي الشَّجَى والتُّبورِ

أحبُّهُ دونَ الوردِ وما الحبُّ إلا الخلُودُ
ولكنَّه ما ارتضى حياةَ الغرامِ السَّعيدِ
شغوفاً بوحشٍ يصيدُ

فجئتُ جنونَ الغرامِ إذا القدرُ استنزفه
ولم يبقَ إلا ضرامُ تخادعُ مئلفه
وتمنعه مَخْلَفه

جئتُ قُرْبَهُ عاريهَ وقد غرقتُ طيَّ يأسِ
سوى فضيلةٍ باليه من اليأسِ، فالْيأسُ يُمسي
فناءً لجسمٍ ونفسِ

وأسندتُ الرأسَ ولمْ هي وصاحتُ بسخطِ الغرامِ

فأصغى (أبولو) إليها وأقسم أن لا يُضام

إله يسوس الأنام

وبينا (أدونيس) تدعو وقد أطبقت ناظرَيْها

بصوتٍ من الرُّوح يحدو ويدعو البرايا لـديها

ويُزجي الضحايا إليها

إذا الكونُ ساجٍ سقيمٌ فنال (الألب) الصَّممُ

سوى من (أبولو) الرحيمُ وقد نال منه الألمُ

فكم خصَّها بالنغمُ

فأنبتَ زهرةً هي الأنموُنُ الجميلُ

نشاهدُها حسرةً على ألم يسـتحيلُ

به الحبُّ موتَ العليلُ

ففارقَها في المساءِ مُصرّاً على صيدهِ

وما هابَ موتَ الضياءِ وكم مات في مجدهِ

ولا خاف من لحدِهِ

وغادرَها وهي في تلهُّفٍ ظامئُة

وفيهـا شعورٌ خفي بنشـوتها الخاطئُة

وحسرتها الناشئُة

وما كاد أن يتوارى وإن يتحدَّى الظلامُ

كمن ودَّ يغزو النهارا - وإن فاتته - في اقتحام

ولو غاب بين الغمامِ

إذا بالجوارِ العزیزُ من الجهدِ يلقَى العثارُ

وبالموت طَفَرًا يُجِيرُ - لَرْتُ بَدَا^١ - أَخَذَ ثَارُ

من الفارسِ المستثارِ

فلاقى (أدونيس) حَتْفَهُ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الدَّمَاءِ

ولم يَعْرِفِ الْمَوْتَ رَأْفَةً لِحَسَنِ رَبِيبِ السَّمَاءِ

له في الألبِ الرجاءُ

ورنّتْ لَهُ صَاحِبَةٌ فَنَاحَ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ

وثارتْ لَهُ ثَوْرَةٌ وَأَنَّ الْوَجُودَ السَّلِيلُ

وقد شامَ فَقْدَ الْحَبِيبِ

وطارتْ لَهُ (أفرديت) بلوعتها والهوى

فألفَتْهُ مَيْتًا يَبِيتُ مَبِيتَ الْمُنَى فِي الثَّرَى

وقد كان زينَ الورى

ولكنها في دُهِولٍ عَادَاها الدَّمُ الْمَزْهَرُ

عَذَابٌ وَيَأْسٌ يَطُولُ وَمَوْتُ لَهُ آخِرُ

كذاك الهوى المقفِرُ

فيا لوعَةً للطبيعَةِ بِغُصْنٍ وَمَاءٍ وَصَخِرِ

تراءتْ معاني الفجيعَةِ بهَا فِي سَكُونٍ وَدُغْرِ

وناحتْ بِشَعْرِ وَشَعْرِ

هَلُمِّي دَمَوْعَ الْجَمَالِ هَلُمِّي وَلَا تَكْتَفِي

ويا جَذْوَةً فِي اشْتِعَالِ أَطِيلِي وَلَا تَنْطَفِي

لهيباً بقلبي الوفي!

^١ الرت هو الخنزير البري أو الحلوف (sus scrofa).

ميلاد الربيع

(أبيات مرتجلة في مناسبة)

أَمِنْ العواصف والدموع هذي الملاحه للربيع؟
بدت الأشعة في الظلا ل كما تألقت الدموع
ولدته أيام التقشُّف والتبُّل والخشوع
وأنت به الأيام كالأطراف من حصن منيع
فإذا الصباحُ بآية سحرية عنه يضوع
هذي الأشعة جُسدت في كل حسنٍ تستطيع
ما بين زهرٍ خاشع وسواه معتكف وديع
هذا بحالٍ للصلا وذاك ملتفتٌ سميع
يا عينُ ما النُّبعُ الذي غمرَ الجمالُ به الربيعُ!
جاءت به حورُ الجنان وحازت أن لا يضيع
وضعت في الروض الوضيع فشُرِّفَ الروض الوضيع
فإذا به الكونُ الرفيع لصاحب اللب الرفيع
وتلوح من خلف الأزاهر والمدامع للجميل
روحُ المحبة والدعابة والتجاوب والشَّيع
هي لحية خُطفت من الخلد العصري أو المطيع
ونرى الإله حيالنا في كل إعجازٍ بديع

أحلى التحايا للربيع حياة ما يُوحى الربيع

رسالة الربيع

بسم الربيعُ بزنبقٍ وبوردةٍ
فأجبتُ به بتحيةٍ علويةٍ
ولحنه متهللاً متوثباً
هتفَ الربيعُ فَمَنْ لهجة شاعرٍ
وحلّى من النوارِ الثمها كما
الشاعرُ الفنانُ ترقب روحه
فإذا نفحت فكلُّ ألوانِ الصبى
وتدّون حُسْنُكَ للفنون متوجاً
وإذا بخلت فيا أسى حرمانه

وأطلَّ يهتف من ثغور اليلك^١
وعشقت فيه النورَ من خديك
فرأيتَه عرفَ الجمالَ لديك
بمُنَى الربيع تُصاغ من شفقتك
لثمَ الصباحُ النورَ من عينيك
نجاواك شعراً يستحيل إليك
والحبُّ راقصةٌ تطلّ عليك
بحلّى تفوق جُلّى على نهديك
بل يا أسى للفنِّ بين يديك

عند الجبل الراصد

ساءلت عن ألمي وعن أهاتي
ونظرت من عيني وحي عواطفي
حين السكوت يُظلّنا بجماله
حيثُ التقينا دونَ وعدٍ سابقٍ
فوق انبساط العُشبِ وهو كجنةٍ
فرأيتني أغضي وأنبس بالهوى

أَوْ مَا لَحَظْتَ بِهَا رثاءَ حياتي؟
في عالم الأحلام لا الغايات
ومن السكوت سواحرُ الكلمات
في جيرة الجبلِ الرفيقِ العاتي
صِيفَتْ من الأشواقِ والأثاثِ
والحزنِ في لغةٍ بغير أداءٍ

^١ اليلك: زهر اللعلع.

فوعيت منها ما وعيت، وإنما
ماذا على الظمان إن هو لم يهن
إن شئت أدركت الظماء بروحه
أو شئت ساءلت المعبذب هكذا

أخفقت في حبي لأنني حالمٌ
تجري العوالم في مجال عواطفِي
فوهبت حبي للجمال جميعه
وجعلت شعري نفحة علوية
فإذا الوجود بأسره في مآتم
حتى سمعتك فاتهمت عقيدتي
فسد ألت قلبي عنك وهو بفرحة
فأذاه مضطرب بلوعة حائر

وأخذت صورتك العزيزة مثلما
تثب العواطف من جمال خطوطها
فلثمت ألوان العزاء بوحيتها
وبكيت لكن بالأسى في نشوة

لا تسأليني عن سلام يُرتجى
طوي الكتاب سوى البقية من هوى
للحسن منها ما يشاء فإنما
فإذا غنيت بها خلقت بليلها

غابت معانيها غياب رواتي
حتى ببعض إشارة وسيمات؟!
فأغثته كالطل للزهرات
في روح فلسفة كروح أذاة!

أتملك الأكوان في كلماتي
جري الحياة بمفعم حياة
وهبت من تهب الجمال صلاتي
لإلهة ترعاه بالنفحات
خال من الأرباب والربات
وحلمت بعد فرددت نغماتي
ما بين أحزان وبين شكاة
فصبيت خبرته على خفقاتي!

أخذ النبي هداة من عرفات
وثب العطور من ازدهار نبات
لثم الضرير الطيف في الظلمات
فتلاقت البسمات بالعبرات!

أو عن نعيم تشتهين لذاتي
كبقية الأسحار في الفلوات
للحسن ما استبقيت من صفحاتي
قبساً فصار النور من آياتي!

عذارى الخيال

أَمْتَعِي الشَّعْرَ يَا عَذَارَى الْخِيَالِ
أَيُّ دُنْيَا هَذِي الَّتِي تَتَعَالَى
أَيُّ دُنْيَا هَذِي، وَأَهْرَن دُنْيَا
كَيْفَ يَحْيَا عَلَى ظَمَاءٍ وَيَفْنَى
يَا عَذَارَى الْخِيَالِ أَنْتَنَ أَرْبَابُ
لَيْسَ يَهْوَى الْغُرُورَ إِلَّا صَغِيرُ
كُنْ أَنْتَنَ لِلْفَنُونِ عَزَاءُ
خَلَقَ الْحُسْنَ لِلْفَنُونِ قَرَابَ
كَلَّمَا زُوِّدَتْ أُولَى الْفَنِّ مِنْهَا
حِينَمَا الْحُسْنُ لَا يَزَالُ أُسِيرًا
فَإِذَا الْحُسْنُ ضَائِعٌ لَمْ يُبْلَغْ

يُنْجِبُ الشَّعْرُ كُلَّ غَالٍ وَحَالٍ
فَوْقَ فَنِّ الصَّدَاحِ وَالْمُتَّالِ؟
صَاغَهَا الشَّعْرُ رَوْعَةً لِلْمَحَالِ
أَهْلُهُ حَوْلَ مَنَبَعٍ لِلْجَمَالِ؟
وَلَيْسَ الْأَرْيَابُ أَهْلُ الدَّلَالِ
يَتَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْنَى التَّعَالَى
فِي وَجُودٍ يَسِيرُ سِيرَ الْخَبَالِ
سِينَ وَلَكِنَّهَا لَغَيْرِ الزَّوَالِ
بِجَلَالٍ جَادُوا لَهَا بِجَلَالِ
حِينَمَا الْوَهْمُ سَيِّدٌ لَا يُبَالِي
غَايَةَ الْحُسْنِ وَالْفَنُونِ الْعَوَالِي

يَا عَذَارَى الْخِيَالِ أَمْتَعِينَ وَجِدَا نِي، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هَذَا الْخِيَالِ!

زهر الليمون

خَلَقْتُهُ أَنْفَاسُ الطَّبِيعَةِ نَفْحَةً
وَكَأَنَّهُ لَمْ يَزِدْهُرْ بِيَبَاضِهِ
وَالْعَطَرُ يَعْبِقُ مِنْهُ مِثْلَ عَوَاطِفِي
يَا لِلشَّدَى الْقَدْسِيِّ مِنْهُ، وَهَلْ شَدَى

لِلحَبِّ وَاسْتَوَحَّتْ بِهِ رُوحَيْنَا
إِلَّا لِيُومِيَّ بِالصَّفَاءِ إِلَيْنَا
هِيَهَاتَ تَعْرِفُ فِي التَّخِيلِ مِينَا
إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ عَطْفُكَ دَيْنَا؟

أبدعت بالوصف الجميل لزهريه
أشبعَتْ رُوحِي من شميم عبيرها
حُمِّلَنَ أَشْبَاهَ الغصونِ قصائدًا
فإذا فؤادي في ربيعٍ ناضِرٍ
كم مِن صَغيرٍ للجمالِ رآه مِن

فإذا سَطوركِ كالبراعمِ رَيْنًا
وسليتُ أسطرها الذي استوحين
للزهرِ فابتسمَ الذي حُمِّلَنَ
مِنها ومنك، وقد بكى وتغنى
فَهَمَ الجمالَ مَدَى له فتمنّى!

قلب الشاعر

ساءلت عن حِسِّي أمامَ الشمس في
وعن الذي حَجَبَتْهُ عن دُنْيا الوردِ
وذكرت حُبَّكَ للهِلالِ لأنه
تتأملين سَنَاهُ مثلِ إلهةٍ
تتأملين وتَسألين، فهل درتُ
ما الشمسُ ما القمرُ المطلُّ وما الوردِ
خَلَّى النسيمَ وزهره وطيوره
وتَلَفَّتِي لفؤادي المغمورِ في
نُصْغِي إلى همساته وحَنِينِهِ
وخواطرُ الآتي البعيدِ تراجعتُ
إن العباقرَةَ الذين استأثروا

إشراقه' المتدللِ المتهادي
مِنَ عَالَمِ الأرواحِ والآبادِ
رَمَزُ الطهارةِ والجمالِ الهادي
تتأمل المحظوظَ في العُبادِ
ذكراك أَنَّ الكونَ ملءُ فؤادي؟
والخلقُ جنبٌ تحرقني وودادي؟
وهو اجسَ الأسحارِ والآرادِ
سِحْرٍ يهيمُ به الزمانُ الحادي
حَقَبٌ تعود من القديمِ العادي
لتنالِ أغلى الوحي من إنشادي
بالخلدِ وُحيُ الشاعرِ الوقادِ!

غيرَ الجمالِ هو الخيالُ البادي

ولقد أطيروا مع الخيال فلا أرى

تتصادمُ الأحداثُ والأرواحُ والآما
هذي تصيحُ وهذه تجري على
صُورٍ بلا عَدَ تموجٍ عواطفُ
فأرى الملاحَةَ وخَدها بِسَامَةً
وأطلُ في قلبي فأبصرها كما

لُ كالأطفالِ بين تَنادٍ
لهوٍ بَواديٍّ ثم غيرَ بَوادٍ
منها وتُغرقُ حسرتي وحِداي
فوق العُبابِ على ظلالِ الوادي
لبيَّتِ أنتِ البدرَ وهو ينادي!

الأحلام

أَسْكُرْتُ بِالْأَحْلَامِ هَوَاً وَالْحُلُمِ يُسْكِرُ مِنْ رُوحِكَ
فَإِنْ يَغْنُ الشُّغْرُ مَنَاهُ فَمِنْ جُـرُوحِ كَجُرُوحِكَ
شِعْرُ الحنينِ لِمَنْ يَهْوَاهُ؟

فِي نَشْوَةِ الْبَدْرِ الزَّاهِي وَالْبَدْرُ يَسْكُبُ أَضْوَاءَهُ
رَأَيْتُهُ مِثْلَ إِلَهٍ يَبِيتُ فِي الْحَسَنِ رَجَاءَهُ
وَالْحُسْنُ سَاهٍ أَوْ لَاهٍ

وَالطَّيْرُ فِي صَمْتٍ كَعَلِيلٍ وَالِدَوْحُ فِي لَهْفٍ مَكْبُوتٍ
وَالْبَحْرُ - مَرَأَى كُلِّ جَمِينٍ - أَمْسَى كَتِيهِ فِيهِ يَمُوتُ
هَذَا الضِّيَاءُ لِفَقْرِ خَلِيلٍ

وَكَاثَانِ يَعْزِفُ الْحَائِنَةُ وَدَمْعُهُ يُفْشِي نَجْوَاهُ
وَالْحُزْنُ يَقْطَعُ أَوْزَانَهُ وَكَمْ يَعِدُّ الْحُزْنُ غَنَاهُ
قَلْباً تَشْرَبُ الْوَانَةُ

فَلَحُتْ أَنْتَ بِإِشْفَاقٍ فَكَادَ يُسْقِطُ قِيْثَارَهُ
وَقُلْتُ: دَعْ حُبِّي الْبَاقِي يُزِيلُ دَمْعَكَ أَوْ نَارَهُ
وَإِنْ يَكُنْ لِلْخَلَاقِ

فَجَاءَ يَبْسُومٌ فِي عَطْفٍ وَقَالَ: أَنْتَ تَوَاسِينِ؟
أَنْتِ الصَّغِيرَةُ؟ هَلْ يَكْفِي عَطْفٌ لَدَيْكَ فَتَحْسِينِ
مَنْ بِالْتَعَذُّبِ يَسْتَشْفِي؟!

فَقُلْتُ حِينَ مَدَدْتَ يَدًا تُجَفِّفُ الدَّمْعَ الْحَيَّا:
يَدِي الصَّغِيرَةَ لِي أَجْدَى بَعُطْفِهَا مِمَّنْ يَحْيَا
جُحُودُهَا بِأَسَا وَمَدَى

وَجِئْتُ بِالزَّهْرِ الْحَالِي لِرَأْسِهِ وَالْغَصْنُ يُطْلَلُ
قَطَفَتْهُ كَالْأَمْسَالِ تُظَلُّهُ أَوْ لَسُنُّنْ تُظْلَلُ
إِلَّا خِيَالًا لَخِيَالِ

وَقُلْتُ: هَذَا مِنْ نَفْحِكَ هَذَا الْعَبِيرُ شَذَى لُبِّكَ
إِنْ كَانَ جُرْحِي مِنْ جُرْحِكَ فَمَا عَرَفْتُ أَسَى قَلْبِكَ
وَقَدْ عَرَفْتُ مَدَى نَوْحِكَ

وَهَمَمْتُ أَنْتَ بِعَرَفَانِي وَمَا وَهَمْتُ بِعَرَفَانِكَ
لَسُنُّنْ غَرِرتُ بِمِيزَانِي فَمَا غَرِرتُ بِمِيزَانِكَ
وَقَدْ فَطَنْتُ لِأَحْزَانِكَ

هَذَا الْفَضَاءُ بَدَا مُلْكُكَ هَذَا الطَّبِيعَةُ مِنْ جُنْدِكَ
فَبَاطَرَحْ هُمُومَكَ أَوْ شَكَّكَ فَالْكَوْنُ يُفْتَنُ مِنْ شَدْوِكَ
وَكَمْ يَتَنُّ لَدِي أَنْتُكَ

إني أعيشُ بهذا الكونَ لكن بأحلام الشعرِ
لا عيشةَ لأسىَ ولينَ في الناسِ في وزرٍ يُزري
بكلِّ إجلالٍ للحُسنِ

فلتطرحْ دُنْيَا الذُّناسِ ولتُحْيِ مثلي في الأحلامِ
ما أجملَ الحُلُمَ الآسي مقدَّساً فوق الآلامِ
وثورة الدهرِ القاسي

لو كنتَ تعلم ما حُبِّي وقد تجرَّدَ من جسمي
لَطَرَتَ مُصْطَحِباً قلبي في عالم الصَّفْو المُسمي
إلى روائعِ الحُبِّ

لستُ الذي يَرْضَى الأسْراً وفي فضاء الفنِّ أطيْرُ
مَنْ لم يَعِشْ رُوحاً حراً وإن تحرَّرَ فهو أسيرُ
ما الحُبُّ حُبٌّ للأسرى!

*****□

أسكرتُ بالأحلام هَوَاهُ والحُلُمُ يُسَكِّرُ مِنْ رُوحِكَ
فإنْ يُغْنِ الشُّعْرُ مَنَاهُ فمن جُروحِ كجروحِكَ
شِعْرُ الحنينِ لمن يهواه!

عبادة

إني لأخلصُ للحياة عبادتي وأرى العبادة نشوتي وسعادتي
هلْ غيرُ محرابِ الجمالِ أخصّه بدمي وأنشق من شذاه هدايتي؟
فاح البخورُ فلُحْتَ أنتَ زكيةً بالحسنِ حتى خلتُ أنك غايتي

لَمْ لَا إِخَالٌ وَفِي الْأَنْوْثَةِ بِهِجْتِي
قَدْ طَرَتْ فِي دُنْيَا الْحَيَاةِ وَمَا أَرَى
وَسَخَرْتِ مِنْ دُنْيَا الْحَيَاةِ وَلَا أَرَى
لَا تَسْتَقِرُّ بِغَيْرِهَا نَفْسٌ وَإِنْ
لَا تَدَّعِي أَنِّي الَّذِي لِفَوَادِهِ
لَوْلَا شَعُورِي بِالْجَمَالِ مَنْزَهَا
وَأَرَى التَّنَزُّهَ لِلْجَمَالِ وَلَا عَهْ
وَأَرَاكَ فَاتِنَةَ الْمَشَاعِرِ فِي حُلًى
فَلَمَنْ تَكُونُ عِبَادَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ
بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ الطَّهْوَرِ وَكُلُّ مَا

وَهِيَ الْحَيَاةُ، وَفِي الْحَيَاةِ صِبَابَتِي؟
هَذَا الْخِيَالُ سِوَى مَسَالِكِ مُهْجَتِي
دُنْيَا الْحَيَاةِ سِوَى بَيَانِ مُحَبَّتِي
عَلَقْتُ بِأَقْدَسِ عَالَمٍ أَوْ رَبَّةِ
شَغَفْتُ بِغَيْرِ الْمُسْتَعِزِّ لِعَادَتِي
مَا صُغْتُ مِنْ غَزَلِي الْمَنْزُوعِ أَيْتِي
لِلْفَنِّ حَتَّى يُعْرِفَا بِجَلَالَةِ
مَنْ عِبَقَرِي حَنَانُكَ الْمُتَهَافِتِ!
لِسَنَاءِ (أَفْرُودِيَّتِ) أَيُّ عِبَادَتِي
أَعْنِي جَعَلْتُ عِبَادَتِي وَسَعَادَتِي

زهرة الحب

(تناول الشاعر بطاقة معايدة مزهرة من أنسة أدبية فبعث إليها بهذه الأبيات)

سَلَاماً زَهْرَةَ الْحُبِّ
نَشَرْتَ هَوَايَ فِي عَيْدِ
وَفُحِّتِ شَذَى فَا لِهْمَنِي
شَذَى وَصَدَى لِفَاتِنَةِ
بَعَثْتَ لَهَا تَحِيَّاتِي
تَخَفَّى فِي بُيُوتِ الشُّعْفِ
فَلَمَّا جَاءَ جَنَّتْهَا

سَلَاماً نَضْرَةَ الْوَادِي
وَفِي نَجْوَاكَ أَعْيَادِي
حَنَنِ الْبَلْبَلِ الشَّادِي
تُرْوِي الشَّاعِرَ الصَّادِي
فَوَادِي بَيْنَ إِنْشَادِي
رِوَاهُ الْمُخْتَفِي الْبَادِي
تَجَلَّى الْعَابِدَ الْفَادِي

فَأَلْقَاهَا مُقَدَّسَةً
وَلَكِنْ بَجَلَّتْ مِنْهُ
فَخَصَّ ثَمَّةً بِمَهْجَتِهَا

بِأَطْيَافٍ وَغُبَارٍ
أَغْنَانِي السَّاحِرِ الْحَادِي
وَطَوَّقَ سِرْحَنَهُ الْوَادِي

عودة الطائر^١

(نظمت في حفلة عرس راقصة)

أَرْقَصْ وَعَرِّبْ يَا فَوَّادِي
السَّجَنُ لَا يَرْضَاهُ شَادِي
أَرْقَصْ فَهَذَا لَيْلَةٌ
الْحُبُّ فِيهَا دَوْلَةٌ
مَنْ عَلَّمَ الطَّيْرَ الرُّجُوعَ
مَنْ بَلَّغَ الطَّيْرَ الدَّمُوعَ؟
النُّورُ مَسْكُوبٌ رَشِيقُ
خَمَرٍ مِنَ الظَّرْفِ الرَّقِيقِ
مَنْ صَاغَهَا أَوْ صَبَّهَا
الْجَوُّ مَسْحُورٌ بِهَا
وَاللَّحْنُ... يَا لِلْحَنِ فِي
كَرْسَالَةِ الْقَلْبِ الْوُفَى
قَدْ مَازَجَتْ ضَوْءَ الْقَمَرِ
فَإِذَا الْمَحَبَّةُ وَالسَّامِرُ

حَتَّى وَلَوْ أَفْنَيْتَنِي
غَنَّى كَمَا غَنَّىتَنِي
لَمْ تَحْلُمِ الدُّنْيَا بِهَا
وَالْخُلْدُ مِنْ أَرْبَابِهَا
إِلَّا حَنِينٌ أَسْكَرَكَ؟
هَلْ كَانَ مِنْ دَمْعِي الشَّرَكَ؟!
كَالْصَفْوِ فِي دُنْيَا الْهُمُومِ
قَدْ هَيَّئْتُ خَلْفَ الْغَيُومِ
إِلَّا إِلَهَ الْعَاشِقِينَ؟
وَالنَّاسُ شَبَّهَ الْحَالِمِينَ
هَذَا النَّسِيمِ الْمَضْطَرِبِ
فِيهَا التَّأَلُّمُ وَالطَّرِبُ
فَالضَّوُّ وَاللَّحْنُ سَوَاءُ
فِي كُلِّ أَنْفَاسِ الْهَوَاءِ

^١ انظر قصيدة "الطائر التائه".

والرقصُ لم أشعر به
والحسنُ في تحبيبه
في أي دنيا تنتهي
طُرفٌ من الفن الشهي
تتلقفُ الأجرامُ منـ
في كل نجم يفتتن
أرسلتُ روعي حرة
حتى أراها مرة
فتعبدتُ هذا الجمال
حتى إذا تمّ المحال
أهلاً وأهلاً يا حبيبي
أسير العتابُ مع الرقيب
خذ قبلي أخذ المنى
فيها الحرارة والسنا
جمعتُ صلاتي وابتهالي
وتضمّ ألوان الخيال
والآن أنبت الأسري
يلقاك لقيًا ساحر
يا ليلى طرد السحر
فخطفت من أيدي القدر
طولي إلى الأبد القصي
قد أسلس الحسنُ العصي

إلا معاني للحياة
للرقص علمه لغاه
هذي الأغاني السابحات؟
هيهات يدركها الممات
ها كل معنى طائر
قلب كقلب الشاعر
بين الأغاني والضياء
تحيا حياة الأنبياء
شوقاً إلى معبودها
وهبثه كل وجودها
هذا فؤادي ينتظر
وهزمتُ حُرَّاسَ القدر
من كل أطراف الريح
فيها البشاشة والدُموع
وصفتُ بتعبير الفؤاد
وتجاوب الشوق المعاد
صررت الأسير لشاعر
هيهات تخدع ناظري!
وسببتك أحلامي وحبي
فإذا جمالك رهن قلبي
في روعة لا تنتهي
فأخذت منه تألهي!

الأغاني الصامته

يا مَنْ تُسائلُ عن شِعْري والشعرُ في صَمَمَتي ناطقُ
الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِ الْفَجْرِ تُوحِي بِنُورٍ لِلْعَاشِقِ

والنورُ يُلَمَحُ في السرِّ

كَمْ في الأَثِيرِ نَحِيَّاتُ تشدُّو بَأَنغامِ الحُبِّ
كَمْ في الهَوَاءِ صَبَابَاتُ بين القلوبِ، وَمِنْ قَلْبِي

ملءَ الوجودِ عباداتُ

لا تسأليني عن حُبِّي بل سألني القلبُ الخافقُ
قلبٌ كَقَلْبِكَ لا يُنْبِي إلا بإحساسِي الدافقُ

مِنْ المشاعرِ واللُّبِّ

لا تحرميني أيَّ مُنَى قد تشتهيها لي رُوحِي
ليس الودادُ يُعَدُّ غِنَى أَمَامَ حُبِّ مَكْبُوحِ

ونحو جُرحِ كجروحي

بل سَأَمَحِي قَلْبِي الظَامِي إن بات يرشفُ مِنْ قَلْبِكَ
وإن أتيتُ بِأَلَامِي إلى التَّعْلَةِ مِنْ حُبِّكَ

فصُنَّتْ لي رُوحِي الدامي

مَنْ ذا يَرُدُّ هَوَايَ الحُرَّ متى رأكَ وناجِـاك!
وَمَنْ يَصُدُّ عِبابَ البحرِ عند العِناقِ بِلِقِـاكِ

والشطُّ جَذْلانِ يَفْتَرُّ

ليلة في المعبد

عرفناها على خَطَرٍ
كَأَنَّ غَرَامَنَا فِيهَا
أَبَيَّنَّا كُلَّ وَهَّابٍ
خَلَقْنَا بِأَنْفُسِنَا
طَعْنًا الدَّهْرَ، والدَّهْرُ
أَلَيْسَ الْحُبُّ مَهْمًا لَا
تَلَاقِينَا بِمَعْبَدِنَا
كَأَنَّ قَدْ ضَمَمْنَا الصَّفْ
فَلَمَّا ضَمَمْنَا الْحُبُّ
طَرَحْنَا الْعَقْلَ حِينَ الْقَلْبِ
فَفَاضَ الشُّعْرُ مِنْ لَحْظِي
وَكِدْتُ أَذُوبُ فِي قُبْلَا
أَبَيَّنَّا النُّورَ: فَالْقُبْلَا
وَلَمْ أَحْفَلْ بِصَوْتِ الْوَقْ
فَمِنْ تَغَرٍّ إِلَى تَغَرٍّ
مَنَاهِلُ الْحَيَاةِ وَعَوَتْ
نَعْمَنَا بِاحْتِضَانِ الْحُ
فَلَا هُوَ مُفْلِتٌ مِنَّا
وَيَعْبَثُ ضَا حَكَأ أَبْدَا
فَضَلَّ جَعَلْنَا مَبَانِيهِ

وَهَلْ حُبُّ بَلَا خَطَرٍ؟
هَوَى رُوحَيْنِ فِي شَرَرٍ
وَجِئْنَا نَحْنُ بِالْأَنْسِ
وَجُرْنَا ظُلْمَةً الْيَأْسِ
مَنْ اسْتَهْزَأْنَا حَائِرُ
نَ يَبْقَى الْجَامِحُ الثَّائِرُ؟
وَلَمْ نَحْذَرْ مِنَ الْقَدَرِ
وَطَوَّعَ جَمَالَهَا السُّحْرِي
وَكَمْ لِلْحُبِّ إِعْجَازُ
بُ وَثَّابٌ وَنَهَّازُ
وَمِنْ قَلْبِي وَأَنْفَاسِي
تَ أَشْوَاقِي وَإِينَاسِي
تُ شُعْلَةٌ مُهْجَتِي الْحَرَّى
تَ أَوْ بِهِوَاجِاسِي الْحَيَّرِي
وَمِنْ تَهَرٍّ إِلَى تَغَرٍّ
أَحَبُّ مَنَاهِلِ الشُّعْرِ
بُ نَعْمَةٌ مَنْ تَبَيَّنَاهُ
وَلَا نَحْنُ زَجَرْنَاهُ
كَمَا شَاءَتْ أُمَانِيهِ
وَوَثَّقْنَا مَعَانِيهِ

يُنْـأَوِّلُنِي تَفَنُّنَهَا
فَأَسْـحَرُ مِنْ تَحَايِلِهَا
وَأَعْشِقُ كُلَّ مَا يَبْدُو
مَعَانٍ كُلُّهَا فَوَسْنُ
فَأَنْشَقُهَا وَالْثَمُّهَا
وَالْبَيْتُ حَائِرًا أَبَدًا
فَمَرَّتْ لَيْلَتِي صُورًا
فَجَدَّدَ سِرَّهَا نَفْسِي

وَطَعَمَ الشَّقِيقِ مِنْ فَمِهَا
وَأَسْـكَرُ مِنْ تَأْلُمِهَا
عَلَيْهَا مِنْ مَعَانِيهَا
وَلَكِنْ لَسْتُ أُدْرِيهَا!
وَأَرْشُقُفُهَا وَأَطْوِيهَا
عَلَى شَغَفٍ أَنَا جِيهَا
مِنْ الْإِعْجَازِ لَا تُنْسَى
وَكُنْتُ الْفَاقِدَ النَّفْسَا!

الطائر الحائر

تصدير كتاب قصصي للآنسة جميلة محمد العلايلي

أَهْلًا (جَمِيلَةً) بِالْحَيَاةِ كَمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ
فِيهَا مَعَانٍ تُسْتَطَابُ فَأَيُّهَا مَعْنَاكَ؟
حَلَّلْتُ أَلْوَانَ الْمَحَبَّةِ وَالْجَمَالَ الْآسِرِ
وَشَرَحْتُ قِصَّةَ طَائِرٍ بَيْنَ الْمَفَاتِنِ حَائِرِ
وَوَصَفْتُ أَطْيَافَ التَّنَاجِي وَالْعَذَابِ الْقَاسِي
وَمَظَاهِرَ الْحَرَمَانِ وَالْآلَامِ بَيْنَ النَّاسِ
هَذِي هِيَ الدُّنْيَا كَمَا صَوَّرْتُهَا لِلْغَافِلِ
لَهْفِي عَلَى الزَّهْرِ الْجَمِيلِ مِنَ الْهَجِيرِ الْقَاتِلِ!
لَا يُسْأَلُ الْفَنَّاَنُ عَنْ آرَائِهِ وَرَجَائِهِ

بَلْ يُسْأَلُ الْفَنَّاَنُ عَنْ إِعْجَازِهِ بِأَدَائِهِ
وَأَرَاكَ فَاتِنَةً الْعَوَاطِفَ بِالْخِيَالِ السَّاحِرِ
أَنْفَاسُ شَاعِرَةٍ لَهَا أَنْفَاسُ وَحْيِ الشَّاعِرِ

الزهر الناعس

يا زَهْرُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ	بالعطرِ رُوحاً ما ابْتَعَدُ؟
قَدْ نَمَتَ عَنْ رُوحِي الْحَبِيبُ	مَا النَّوْمُ عَنْ حُبِّي رَشَدُ؟
يا زَهْرُ هَلْ يُغْنِي الْخِيَالُ	عَنْ نَفْحِ عَطْرِ سَاحِرِ؟
يا زَهْرُ هَلْ يَذْرِي الْجَمَالَ	إِلَّا فَوَادُ الشَّاعِرِ؟
فَيْمَ النُّعَاسُ أَيَا حَبِيبِي	وَالْقَلْبُ يَرْقُبُ يَقْظَتَكَ؟
هَلْ صَرْتُ عِنْدَكَ كَالْغَرِيبِ	أَمْ شَاقَ غَيْرِي مُهْجَتَكَ؟
غَيْرِي يَشُكُّكَ ثُمَّ يُلْقِي	بِكَ نَاسِياً حَتَّى الْجَمِيلِ
أَمْ أَنَا فَيْصُونَ شَوْقِي	لَكَ كُلَّ مَعْنَاكَ الْجَمِيلِ
مَا لِي ظَمْنْتُ وَقَدْ سُقِيتُ؟	مَا لِي اِكْتَأَبْتُ بِنَشْوَتِي؟
مَا لِي فَنَيْتُ وَقَدْ حَيَّيْتُ؟	مَا لِي أَخَاصَمُ نِعْمَتِي؟
أَوْ كُلُّ هَذَا مِنْ سُلُوكِ	يَا نَائِماً عَنِّي هَنِيئاً؟
عِطْرٍ وَلَوْنٍ مِنْ حُكُوكِ	لَوْلَاهُمَا مَا كُنْتُ شَيْئاً!

الجمال العريد

الآن يا قلبَ الخَلِي
الحَبُّ يَقْتَحِمُ الحَصَو
حاكى الخَلِيُّ بها الشَّجِيَّ
في مَعْبَدِ الحَرْبِ في
حَرْبِ الغَرَامِ وفي الهِوَا
ثارتُ وقد أخفى السَّكُو
لم أدِر كيف دخلتُ هذا الـ
فكأنني طفلٌ شَرِيـ
حتَّى إذا عاينَتْهُ
يَلْقَى السَّلَامَ مع القَتَا

قالت: حبيبي مرحباً!
ما لي سوى هذه التحيـ
فلثمْتُها ولثمْتُها
وجعلتُ للقلْبِ لَآتٍ أصـ
وكذلك الأرواحُ كالـ
وكذلك الأنفاسُ كاـ
قبلْتُها مِن كُلِّ قَلْبٍ
فإذا التلَهَّفُ في السَّكِيـ
هذا النُّعْمِ أراهُ رأـ
فسيم التَّخَوُّفِ والحيَا

الآن تَلَقَّى المُعْجَزَةُ
نَ بروحِهِ المتحفُّزَةُ
كلاهما مستسـ
أجوائِهِ لا تـ
عواصِفٌ كترقُّ بي
نُ هُبُوبَهَا وتَهـ
معبَدَ الحُرِّ الكـ
دُ أرشدهُ يَدُ النُّعْمِ
كنتُ الشَّهيدَ بساحه
لِ وَيَشْتَفِي بجراحِهِ!

أهلاً وأهلاً يا حبيبي!
مِنَ حبيبٍ للحبيبِ
وضَمَمْتُها ضَمَّ المَرْوَعِ
دَاءَ التَّحِيَّةِ والوَلُوعِ
أجسام تظمأ أو تجوع
أحافظ تنطقُ بالدموعِ
بي في إبتسام المضطربِ
سنة والتَّحَسُّرُ في الطُّرْبِ
ي العَيْنِ لكذبي أخافُ
ة جميعها روعُ أطافُ؟

خُذْ يَا فَوَّادِي - لَا تَخَفْ -
 عَمْرٌ جَدِيدٌ يَا فَوَّادِي
 قَبْلَتْهَا فَلْتَمَّتْ أَحْسَنَ
 وَضَعَتْهَا فَضَمَّتْ أَغْنَى
 لَا الرُّوحُ تَشْبَعُ، لَا، وَلَا
 نَهَمٌ عَلَى نَهَمٍ وَجُو
 حَتَّى إِذَا سَقَطَ الرَّدَا
 هَرَعَ الْهَوَى لِلْحَسَنِ يَحْ

مَا هَذِهِ الْأَضْوَاءُ وَالْـ
 أَكْذَا الْمَصُورُ مِنْ سَمَا
 مَا لِلتَّهْيُّبِ مَالِئًا
 شَأْنُ الْمَعَابِدِ تَجْمَعُ الـ
 فَتَبَسَّيْتُ وَتَنَهَّيْتُ
 وَاسْتَسْلَمْتُ وَتَمَنَّعْتُ
 فَرَكَعْتُ عَنْ بُعْدٍ أَحْيِي
 مِنْ كُلِّ إِحْسَاسٍ تَفْـ
 وَنَظَرْتُ ثُمَّ نَظَرْتُ لِلـ
 فَرَأَيْتُ مَا مَعْنَى الْحَيَاةِ
 وَرَكَعْتُ عَنْ قُرْبٍ لَأَنْـ
 فَرَأَيْتُهَا مُلِئْتُ بِأَحْسَنِ
 أَرْنُو إِلَيْهَا ثُمَّ أَرْ

مَا شِئْتُ مِنْ هَذَا الْحَيَاةِ
 دِي مَا تَجَوَّدُ بِهِ الشَّفَاةُ
 لَامِي وَأَطْيَافَ الرِّبْعِ
 عَلَى النُّورِ مِنْ رَبِّ وَدِيْعِ
 قَلْبِي بِخَفَقِ يَتَّقِدْ
 لَا يَمَلُّ وَلَا يُحَدِّدْ
 وَقَدْ يُرَادُ سَقُوطُهُ
 مِي مُلْكِهِ وَيَحُوطُهُ

أَلْوَانُ مِنْ رَبِّي الْكَرِيمِ
 الْفَنُّ يَبْتَدِعُ النَّعِيمِ
 لُبِّي وَقَلْبِي لَا يَهَابُ
 شَيْخَ الرِّزِينَ إِلَى الشَّيْبَابِ
 بِالنُّورِ وَالنَّارِ مَعَا
 حَتَّى دَنَا مَا امْتَنَعَا
 (أَفْرَدِيَّتْ) السَّاحِرْدِ
 يَخُضُّ بِهِ عَيُونِي الشَّاعِرْدِ
 جَسْمُ الْبَدِيعِ الْمُسْتَحْيِ
 فَمَا الْحَيَاةُ بِكُلِّ حَيٍّ
 تَوَحِّي الْعَيُونَ النَّاعِسَاتِ
 لَامِ الْغَرَامِ التَّائِهَاتِ
 نَوَاطِفًا أَسْرَارَهَا

وَتَنَالُ جِسْمِي رَعِشَةً
رُوحَانٍ قَدْ خُلِقَا كَمَا
يَتَمَازَجَانِ تَهَاوُتًا
فِي كُلِّ حَالٍ كَيْفَمَا أَعَدَّ
فَإِذَا هُمَا افْتَرَقَا فَمَا

وَكَأَنَّ جِسْمِي اشْتَارَهَا
خُلِقَ الضَّيَاءُ مَعَ الْحَرَارَةِ
وَكِلَاهُمَا قَدْ نَالَ ثَارَهُ
تَنَقَّأَ يَنَالَانِ الْخُلُودُ
هَذَا الْوَجُودُ مِنَ الْوَجُودِ!

خُذْ يَا فَوَادِي مَا اشْتَهَيْتُ
الآنَ فِي قَفْصِ الْغُرَا
هُوَ مَعْبُودٌ لَمْ يَدْرُهُ
فِيهِ الْفَتُونَ مَعَ الْفَنَى
دُنْيَا مِنَ الشَّغَفِ الطَّالِي
قَدْ بَاتَ يَحْرُسُهَا الزَّمَا
لَمْ أَرْضَ مَرَحَمَةً لَهَا
وَعَصَارَةُ الرُّوحِ الْحَبِي
أَنَهَكْتُهَا إِنَّهَا كُتُو
هَذَا مَنَاجَاةُ الْجَسُو
فَإِذَا الْجَمَالَ مُعْرِضٌ
وَإِذَاهُ مَبْتَسِمٌ لَهَا
وَالنُّورُ تَضَطَّرِبُ الظُّلَا
كَقَوَامِهَا السَّاجِي عَلَى
فَسَأَلْتُهَا الْغُفْرَانَ وَالْ—
لَكِنَّهَا كَانَتْ بَدَنُ—

تَ مَنْ الْجَمَالَ الشَّارِدِ
مَ بَدَا خِيَالُ الصَّائِدِ
إِلَّا الْهُوَاةُ الْمُلهَمُونَ
وَنَ، وَحَبَّذَا هَذَا الْفُنُونُ
قِ وَمِنْ جُنُونِ الْعَابِدِينَ
نُ وَقَدْ وَفَى لِلْعَاشِقِينَ
أَبْدَأَ فَفِي الْعُنْفِ الْحَنَانُ
بِ يَجْلُّهَا هَذَا الْهَوَانُ
فِي تَبَيُّنٍ فِي الصَّالَاةِ
مَ حَكَتْ مَنَاجَاةَ الْإِلَهِ
وَأَنَا الْمَحِبُّ الْجَانِي
لَاقِيَاهُ مِنْ إِيْمَانِي
لُ بِهِ اضْطَرَابُ الْعَاشِقِ
هَذَا الْفَرَّاشُ الْخَافِقِ
أَضْوَاءُ تَضْحَكُ مِنْ سَوَالِي
يَا لِلْوَصَالِ وَالْخِيَالِ

فَتَنَّهُدَّتْ وَاللَّيْلُ يَدُ
وَلِحَاضَهَا كَالنَّجْمِ تَنُ
فَإِذَا الْغَرِيبُ^١ يَنَالُ مَلُ
وَإِذَا الْقَرِيبُ^٢ غَدَا الْغُ
وَإِذَا الْمَلَا حَقَّةً وَالْغُرَا
وَإِذَا الْوَجُودُ بِأُسْرِهِ

نَوَ كَالْغَرِيبِ الزَّائِرِ
ظَرَ فِي شُعُورِ الْحَائِرِ
عَبْنًا وَمَعْبَدَنَا مَعَا
رِيبَ وَمَا وَعَى مَا قَدْ وَعَى
مُ خِيَالُ قَلْبِي الشَّاعِرِ
عَبَثُ الْإِلَهِ السَّاحِرِ!

خلف الطبيعة

يَا مَنْ تُفْتَش عَنْ جَمَالِ وُجُودِهَا
فِي وَحْيِ عَيْنِكَ الْجَمَالُ لَشَاعِرِ
حَدَّثْتُ عَنْ قَلْبِي حَدِيثَ غَرَامِهِ
مَنْ ذَا أَبَاحَ لَكَ الْوَصُولَ لِسِرِّهِ
النَّشْوَةَ الْكُبْرَى عَرَفْتَ نَعِيمَهَا
فَدَعَى التَّأْمُلَ فِي هَوَايَ وَحَسْرَتِي
لَكَأَنِّي اسْتَوْدَعْتُ حَسْرَةَ خَالِقِي
فَلَوَاعِجُ الْقَلْقِ الدَّفِينِ تَحْفَنِي
وَأَطَارِحُ الْخَلِاقِ شَعَرَ عَوَاطِفِي
صُورَ الْوُجُودِ الْبَاسِمَاتِ قِصَائِدًا

خَلْفَ الْغُرُوبِ وَفِي الْجَدِيدِ الْمُشْرِقِ
قَلْبِي وَفِي تَفَكِيرِكَ الْمَتَأَلِّقِ
فِي شِبْهِ أَحْلَامٍ وَشِبْهِ أَمَانِ
فَعَلِمْتُ مَا يَحْوِيهِ مِنْ حَفَقَانِ؟
فِي كُلِّ مَدْسُوسٍ وَكُلِّ خِيَالِي
فَمَدَاهُمَا أَنْأَى مِنَ الْأَجْيَالِ
وَهَوَاهُ حِينَ بَنَى الْوُجُودَ فَقَصَّرَا
فَأَرَى الْحَيَاةَ تَسَامِيًا وَتَعَثُّرًا!
فَيَبِثُّنِي أَشْعَارَهُ وَخِيَالَهُ
وَالْبَاكِاتِ مَأْنَا وَمَالَهُ

^١ الليل.

^٢ الشاعر.

فَرِحْتُ^١ كَفَرَحَةِ طِفْلَتِي بِأُبُوتِي
مَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي: فُلُو فَقْدَ الْوَرَى
مَا ذَلِكَ الْقَلْقُ الْمَسَاوِرُ مَهْجَنِي
هُوَ فِي صَمِيمِ مَشَاعِرِي مَتَغْلَغَلٌ
إِنْ تَبَحَّثِي خَلْفَ الْغُرُوبِ فَخَلَفَهُ
دُنْيَا احْتَوَتْهَا مَهْجَتِي، وَلَرَبِّمَا
دُنْيَا تَمْلِكُهَا الْجَمَالُ بِكُلِّ مَا
فِيهَا الْعَوَاصِفُ، وَالْعَوَاصِفُ مَا لَهَا

وَبَكَتُ كَمَا بَكَتُ الطِّفْلُ لَلْهُوَى
هَذَا الْوُجُودَ فَقَدْ هَوَى رَبُّ الْوَرَى!
أَتَرَاهُ إِلَّا لَوْعَةً لِلْخَالِقِ؟
وَبُرُوحِهِ أَحْيَا بِقَلْبِي الْخَافِقِ
مَا خَلَفَ نَفْسِي مِنْ جَوَى وَحْنَانٍ
نَمَّتْ عَنْ الْأَرْبَابِ وَالْأَكْوَانِ
يَعْنِي الْجَمَالَ وَأَنْتَ مِنْ مَعْنَاهُ
أَمْنٌ وَقَدْ يُبْكِيهِ مَا أَرْضَاهُ

حارسة الفن

(مهداة إلى السيدة المهدبة زينات إمام فهمي زوجة الصديق العزيز حسن الجداوي)

مَنَابِعَ الْفَنِّ كَمْ نَاجَاكَ فَنَّا
وَزُعْتَ، لَمْ يَحْظَ مَفْتُونٌ وَلَوْ أَمْلَأُ
حَتَّى امْتَلَأْتَ لِمَنْ رَاعَتْكَ حَارِسَةٌ
جُمِعَتْ فِي ظِلِّهَا الْمُدُودُ حَالِيَةً
قَدْ كِدْتُ أَفْقَدُ إِيْمَانِي فَأَرْجَعُنِي

وَكَمْ بَخَلْتِ وَكَمْ أَفْنَاهُ حَرْمَانُ
فِي الْحُلْمِ مِنْكَ بِحَظٍّ فِيهِ غُنْيَانُ
لِلْفَنِّ فَابْتَعْتَ الْفَنَّا إِيْحْسَانُ
وَقَلَّمَا جَمَعْتَ نَجْوَاكَ أَرْمَانُ
مِنْهَا إِلَى الرَّشْدِ إِيْحْسَانُ وَإِيْمَانُ

أَهْلًا بَجَنَّةِ دُنْيَا أَنْتَ (زَيْنَتُهَا)
مَحْضَتُهُ الْوَدَّ عَمْرًا وَهُوَ يُكْسِبُنِي

وَصَاحِبِهِ هُوَ فِيهَا الْآنَ جَنَّا
بُودُو مَا اشْتَهَى فَنٌّ وَفَنَّا

^١ صور الوجود.

أرخصتُ كلَّ عزيزٍ في محبته
ما خفتُ يوماً على نجواه من زمني

فمثله بعزیز النفس يزدانُ
فأنت دُنیا له بل أنت أكوَانُ

لما رأيتُك في الآمالِ حاكمةً
وأنت في حسنك العلوي ظافرةً
زوجٌ وفي مملك من محبته
وطفلة كربيع الحب في مَرَحٍ
عرفتُ كيف تصون الفن حارسةً

وحولك الحبُّ ألحان وألوانُ
بكل ما يشتهي في الخلد إنسانُ
ومرباً بجمال الصفوف ثمانُ
ووجهها بمعاني النور ضحيانُ
وأين يروني حنين الروح ظمانُ

معابد الحب

معابد الحب إنني الهائم الصَّادي
لم تَلَقَ روحي صفيّاً تستضيء به
لقيتها وكأني ما لقيتُ سوى
جعلتُ كلَّ صلاتي في عبادتها

أهيمُ ما بين أباد وأباد
إلا صفة أحلامي وإنشادي
حلم من الوهم لا خاف ولا بار
وإن تنهت صلاتي بين عبَّاد

معابد الحب روحي لا حدود لها
وحدتُ كلَّ مناجاتي وإن شيرتُ
فسامحيني على دين أهيم به
وما ضحية روحي عند ساحته

في كل ركنٍ عزيز منك إيماني
على الجمال بأزمان وأزمان
وهيئي لي رجاء عند ديّاني
الآ تباريح وجداني وألحاني!

معابد الحب ما للحب مضطهداً

وما لأربابه ليسوا بأرباب!؟

تَحَجَّبُوا وَهَمُّ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
عُلُوبِيَّةٌ أَنْتَ كَالْجَنَّاتِ قَدْ خُبِئَتْ
نَمْشِي إِلَيْهَا عَلَى الْأَسْيَافِ قَاطِعَةً

* * * * *

مَعَابِدَ الْحُبِّ مَا لِي كُلَّمَا ظَفَرْتُ
مَا لِي أَرَى الْحُلْمَ يُوحِي يَقْظَتِي فَإِذَا
مَا لِي أَبْشُرُ بِالْحُبِّ الَّذِي خُلِقْتُ
مَا لِلْمَعَابِدِ تَأْبَانِي فَهَلْ حُسِبَتْ

وَحَادَرُوا مِنْ زَمَانٍ جَدَّ هَيَّابٍ
لَكِنَّهَا بَيْنَ نِيرَانٍ وَإِرْهَابٍ
وَنَشْتَفِي بِمَزِيَجِ الشَّهْدِ وَالصَّابِ!

رُوحِي بِحَظٍّ أَرَى صُبْحِي مِنَ الظُّلْمِ؟
بِيقْظَتِي مِنْ مَعَانِي الْيَأْسِ فِي الْحُلْمِ؟
لَهُ الْحَيَاةُ فَلَا أَجْنِي سِوَى الْمَيِّ؟
رُوحِي لَدَيْكَ كَمَنْبُوزٍ وَمَتَّهِمٍ؟!

الفنان

أَمَاناً أَيُّهَا الْحُبُّ
أَتَيْتُ إِلَيْكَ مَشْتَفِياً
أَتَيْتُ وَحَوْلِي الدُّنْيَا
بِیَوْمٍ كُلُّهُ لَهَبٌ
حَنَانُكَ أَيُّهَا الدَّاعِي
فَرَرْتُ وَحَوْلِي الدُّنْيَا
فَرَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ سِرْجِنِي
وَهَذَا الدَّهْرُ يَتْبَعُنِي
أَذْنُوبِي أَنَّنِي تَبَعٌ
وَأَنَّ الْخَلْقَ مُذْ جَحَدُوا

سَلَاماً أَيُّهَا الْآسِي!
فَرَاراً مِنْ أَذَى النَّاسِ
تَصْيحُ بِلَفْظِهَا النَّارِ
كَأَنِّي مَطْمَحُ النَّارِ
فَأَنْتَ مَلِيكَ أَنْفَاسِي
تَحَارَبُ كُلُّ إِحْسَاسِي
فَرَارَ الْمَذْنِبِ الثَّائِرِ
بِجَيْشِ حَانَقِ زَاخِرِ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ النَّاهِي
كَفَاتُوا رَحْمَةً لِلَّهِ؟!

أماناً أيها الثاوي
 فما للناس من دينٍ
 خلت ونأت عن الرقباء
 ولكن ملؤها قلق
 فما لخواطري الحيرى
 وما لي أشهد الأحلا
 أماناً هذه روحي
 خلقت منى سماوات

دلفت إلى سماء الحُب
 وقد صار الهجيرُ به
 دلفت إلى مفاتنِها
 وهل يغصني أسيرُ الفن
 وما كادت مناي تـرى
 إذا بمنى وأيّ منى
 يموج الجوُّ بالألحان
 ويعبق من شذى (نيس)
 فما للجوِّ مثل النفس
 وما للحبِّ ذابت فيه
 وما لي قد طرختُ الهمَّ
 تُذيبُ حرارةُ الحبِّ

تأمل أيها القلبُ

بهيكلك المنى ديني
 وإن عاذك للدين
 بل عن روحها الطُّرُق
 وروحي ملؤها قلق
 تروم اليوم تُغري بي؟
 مَ كالأيام تُغري بي؟
 وجسمي طوع ما تُرضى
 فجُزتُ بمهجتي الأرضاً!

فهي بمعبدي الضَّاحي
 نسيمُ الرُّوح والراح
 وكم عُدَّتْ مُحَرَّمَةً
 لحظاً باح أو شَفَّة
 رِحابِ الحُسنِ تـرمقني
 تـواتيني وتعشـقني
 وهو الصامتُ الناطقُ
 (إن) مثل الطائش العاشقُ
 س إيمانٌ وأحلامُ؟
 ه ألامٌ وآلامُ؟
 والهمُّ يُنـادي بي؟
 تُلوجُ الهمُّ في لين!

تأمل! هذه الدنيا!

مفاتيها قد اجتمعت
صلاتك ما لها حد
تساوى الحر والعبد
تأمل أيها الطائش!
لماذا أنت تضرر بني

وكادت تخدع الأخرى!
فصل وناج من تهوى
إذا عبدا الهوى معني!
تأمل! لا تخف غبتنا
وقد أعطيتك الدنيا؟

ولما أقبلت وببت
بأي لغى أحبيها
تصادمت العواطف والـ
فطوق حسنها الغالي
أهذا الحسن في كنفني
منحت الآن يا شغفي
كأنني حينما عانقـ
تركت معالم الدنيا
وقد أدري ولا أدري
سناها نعمة الدنيا
أحقاً نلت ما في الخلـ
فيما لنعيمي الوافي
يدي! يدي! لا تدعاً
سماء الحب صافية
ومن عرف (اللب) كما
أبى كل الإياء فرا

معاني الحب من نفسي
من الاحلام والحس؟
معاني من مشاعرها
عزيزاً شوق شاعرها
وكلني عبده الطائع؟
فتون الخالق الرائع!
توها بغرامي الدافق
ونال مشاعري الخالق
سناها في ذراعي
هواها يُبدع الحيّا
سر من معني وإحساس
وإن شردت في الناس!
خلود سعادتي يمضي
ونائية عن الأرض
عرفت وذاق نعماه
قرب رب قد تولاها!

تَرَفُّقُ أَيُّهَا الطَّائِعُ!
 نَائِبُتَ فَلَمْ أَكُنْ أَشْفَى
 أَهْذِي غَايَةَ الْحُبِّ
 وَفِي الْإِحْسَانِ تَطْيِيبُ
 نَعِيمِي كُلِّهِ حَرَقُ
 فَسَلَمِي يُضْمَرُ الْحَرْبَا
 فَمَا لِي لَمْ أَعِشْ غِرًّا
 فَالْقَى الْحُبَّ مَبْتَسِمًا

لَقَدْ أَخْضَعْتَنِي عَطْفًا!
 وَعُدَّتْ فَلَمْ أَعُدْ أَشْفَى!
 ففِي الْحَرَمَانِ تَعْدِيبُ
 فَتَعْدِيبُ فَتَطْيِيبُ!
 وَنَارِي كُلُّهَا نُعْمَى
 وَحَرْبِي تَضْمَرُ السَّلَامَا
 غِيًّا أَقْتُلُ الْفَكْرَا
 وَأَدْفَنُ مَهْجَتِي الْحَيْرَى!

رَأَتْ حُزْنِي وَأَحْلَامِي
 فَرَدَّتْ كُلَّ أَلَامِي
 وَكُنَّا قَدْ هَزَمْنَا الْحَرْ
 فَلَمْ نَلْبَسْ سِوَى الْأَشْوَا
 وَنَمْنَا نَوْمَةَ الْحُبِّ
 بِجَسَمِ كُلِّهِ عَبَقُ
 أَشْمُ عَبِيرِهَا الْفَنَّا
 وَأَشْرَبُ هَذِهِ الْأَلْوَا
 وَأَصْفَحَ عَنْ أَسَى الْمَاضِي
 فَهَذِي نِعْمَةُ الْمَاضِي
 أَطْلِي يَا حَيَاةَ الرُّو
 شَرَابِي مِنْكَ أَضْوَاءُ
 أَطْلِي وَانْظُرِي شَغْفِي

وَهَذَا الصَّفْوُ يَشْمَلُنِي
 بِبَسْمَةِ رُوحِهَا الْفَنِّي
 وَالْحَرْ يُعَادِينَا
 قِي فالأَشْوَاقُ تُغْنِينَا!
 وَعَطَّرُ الْحُبَّ فَيَّاحُ
 وَدُوحُ دُونِهَا السَّرَاحُ
 نَ فِي سُكْرِ يَحِيرْنِي
 نَ مِنْ نُورٍ يُدَاعِبُنِي
 وَإِنْ ضَحَّى مَسَرَّاتِي
 أَتَيْتُ فِي نِعْمَةِ الْآتِي
 حَ فِي عَيْنِي تَحْيِينِي
 وَقُوتِي أَنْ تَنَاجِينِي
 تَرَى مَعْنَى عِبَادَاتِي

عبادات خُصِمْتُ بها
ولكن أين نُظِرْتُها
يُظَلِّلُها حنانُ الحبِّ
وغابت هذه النظرا
وأسستوحي معانيها
وأسمع دَقَّةَ القلب
فيدرك نَهْدُها طربي
فلَمَّا نلتُ معناها
جعلتُ الشعرَ مَبْنَاهَا

وفي عيني مِرَاتِي
وقد هامت بأحلام؟
من ملكوته السَّامِي
تُخلف الغيب في الربِّ
كأنني ناظرٌ ربِّي!
لأعرف سرَّه بدمي
ويخفق ساكراً بفمي
ونالت كلُّ ما أعني
وعانق فنَّها فنِّي!

السكوت

ما للسكوت طيب عنـ
كالفجر للنهر الجميـ
ما بال ثورة نفسك الظـ
أتعبت راحتك العزيـ
وأظللُ أعشقُ شعرك الـ
وبناتُ وحيك لن أملـ
شِعْرٌ تُغْنِيهِ الحـرو
وتُردُّدُ المَهْجُ الرقيـ

ذلك؟ هل سكوتك من صلاتك؟
لِإِذَا تَبَسَّمتَ عن صفاتك
مأى بصمتك لم تُواتك
زفةً بالتحديث عن حياتك
غريدَ عشقي لطف ذاتك
حديثهنَّ بمعجزاتك
فُكُنْ بَيْنَ مُغْنِيَاتِك
قوةً لحنهنَّ بمسكراتك

فَعَلَامَ حَرَمَانِي وَفِي الْـ
رُوحِ كَرُوحِكَ لَنْ تَجِفَّ
وَالْفَنُّ خَصَمٌ لِلْقَنَاءِ
إِرْحَلْ وَدَعْنَا يَا سَكُو

حَرَمَانٍ قَسْوَةٌ كُلُّ فَاتِكِ
لَهَا مَنَاهِلُ أَغْنِيَاتِكَ
عَةِ وَالسَّمَاحَةُ مِنْ لِدَاتِكَ
تُ فَلَيْسَ فَنِّي مِنْ هَوَاتِكَ!

الأحدب

(مشهد من الأسطورة المكسيكية "الحنطة الثائرة")

فِي قَدِيمِ الْآبَارِ غَرَّدَتْ الْأَرْضُ بِلَحْنِ الْمَحَبَّةِ الْقَدْسِيِّ
لَمْ يَكُنْ أَهْلُهَا سِوَى كُلِّ مُحْبُوبٍ سَعِيدٍ وَكُلِّ قَلْبٍ وَفِي
فَاسْتَوَى الْأَحْدَبُ الْخَبِيثُ عَلَى الْعَرْشِ كَنِيْبًا بِمُلْكِهِ السُّفْلِيِّ
حَائِرًا لَا يَرَى سَبِيلًا إِلَى الثَّأْرِ مِنَ النَّاسِ وَالْوُجُودِ الْهَنِيِّ

اسْتَوَى الْأَحْدَبُ الْمَرْوُوعُ كَالْقَرْدِ وَأَوْفَى بِرُوحِهِ إِبْلِيسُ
فَوْقَ صَخْرٍ كَقَلْبِهِ، اخْضَرَ كَالْمَاءِ إِذَا نَالَهُ النَّبَاتُ الْحَبِيسُ
مَشْهُدٌ لِلتَّنَاقُضِ الْجَمِّ مِنْ فَنٍّ عَجِيبٍ فِيهِ النَّفِيسُ الْخَسِيسُ
وَتَرَأَى الْأَصْبَاغُ فِي جَوْهِ الْقَاسِي كَمَا يُجْتَلَى النُّحَاسُ الرَّسِيسُ^١

أَيُّ دُنْيَا هَذِي مِنَ الصَّخْرِ وَالْمَعْدَنِ وَالطَّحْلِبِ الَّذِي سَاءَ لُونَا؟!
أَيُّ مَرَأَى هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْفَنَّانَ يَهْوَى وَيَكْرَهُ الْفَنَّ عَيْنًا؟!
أَيُّ سُوءٍ يُطَلَّ مِنْ هَذِهِ اللُّوْحَةِ لِلْفَنِّ إِنْ تَمَثَّلَ مَعْنَى؟!

^١ الرئيس: الأثري الصدي.

أَيُّ رَمَزٍ وَأَيُّ نُطْقٍ وَافْصَاحٍ وَهَوْلٍ وَوَحْشَةٍ تَتَجَنَّى؟!

جَلَسَ الْأَحْدَبُ الْمَرْوُّعُ حَيْرَانَ وَمِنْ حَوْلِهِ الطُّيُورُ الْكُوَاسِرُ
فِي نِظَامِ الْحُرَاسِ حَوْلَ زَعِيمٍ وَجْهَهُ صُورَةُ الرَّدَى وَالْمَخَاطِرُ
وَتَرَاءَى الطُّيُورُ أَنْفُسَهَا نُوناً مِنَ الشَّرِّ سَاكِناً وَهُوَ طَائِرُ
فِي سِوَاكِ الْجِلْبَابِ وَالْمِعْطَفِ الْأَبْيَضِ كَاللَّيْلِ مُقْجِماً نُورَ ثَائِرُ

مَشْهَدٌ دَاعِبْتُهُ رُوحٌ مِنَ السَّحْرِ فَأَوْحَى بِرُوحِهِ الْأَثَرِيَّ
وَتَجَلَّى الْبَخُورُ فِيهِ ضَحَايَا فِي دُخَانٍ يُصَاغُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ
وَعَجِيبُ النُّفُوشِ وَالنَّحْتِ فِي الصَّخْرِ تَهَاوِيلُ لِلزَّمَانِ الْعَتِيَّ
هُوَ مَرَأًى أَحَارٌ مِنْ نَظَرَتِي فِيهِ.. أَفِيهِ غِبَاوَةُ الْعَبْقَرِيِّ؟!

صَاحَ: يَا عَبْدُ! خُذْ إِلَيَّ ظَاهِرَ الْأَرْضِ حَرِيصاً رُسُلَنَا أَوْفِيَاءَ
خُذْ لَهَا ذَلِكَ (التَّحَاسُدَ) وَ(الْأَثَرَةَ) وَ(الْمَكْرَ) وَ(الدَّنَا) وَ(الرِّيَاءَ)!"
قَالَ هَذَا لَهُ وَقَدْ رَكَعَ الْعَبْدُ وَلَاءً وَالطَّيْرُ أَصْغَى وَلَاءَ
وَهُوَ فِي فَرَحَةٍ بِمَا بَثَّ فِي الْأَرْضِ مِنَ الرُّسُلِ كَيْ تُعَانِيَ الشَّقَاءَ!

بين المروج

(عبادة الحزن)

وَتُطِلُّ فِي غَيْبِي وَفِي أَحْلَامِي
خَمِراً مِنَ الْأَنْغَامِ وَالْآلَامِ

جَلَسْتُ تَفَكَّرُ فِي خِيَالِ غَرَامِي
وَتَعَبْتُ مِنْ شَعْرِي وَوَحْيِ صَبَابَتِي

فتَهْزُهَا مِثْلِي وَتُسْكِرُهَا كَمَا
تَاهَتْ بِدُنْيَا الْحُبِّ، فَهِيَ غَنِيَّةٌ
وَتَخَيَّلْتُني عَاطِفًا وَمَوَاسِيًا
حَتَّى إِذَا مَا قَدْ ذَكَرْتُ شِقَاوَتِي
وَعِرَامِي الْمَاضِي الَّذِي كَفَّنْتُهُ
غَلَبَتْ عَلَيَّ مِنَ الشَّجُونِ عَوَاصِفٌ
وَالْتَعَبْتُ حَتَّى لَمْ أَرَدْ تَحِيَّةً
فَتَوَهَّمْتُ أَنِّي نَسِيتُ وَدَادَهَا
وَالْحُبُّ يَعْلَمُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ
أَحْيَا بِأَشْجَانٍ تُمِيدُ رَوَاسِيًا
فَإِذَا فَرَرْتُ إِلَى الضِّيَاءِ هَنِيهَةً
وَعَرَفْتُ عَنْ طِيبِ المَرْوَجِ وَإِنْ تَكُنْ
وَسَكَنْتُ لِلنَّفْسِ الْحَزِينَةِ جَاثِيًا
فَأَبُّ كَأْسِ الْحَزَنِ وَحْدِي صَامِتًا
وَأَصِوْنُ عَنْهَا الْحَزْنَ، إِنَّ شُبُوبَهُ

بِالْفَنِّ تَسْكُرُ رِيشَةَ الرِّسَامِ
بِالْحُبِّ، حِينَ سَقَامُهَا كَسَقَامِي
أَحْنُو بِكَأْسِ هَوًى وَكَأْسِ مُدَامٍ
وَمَنَاحَةَ المَفْقُودِ مِنْ أَيَّامِي
بِدَمِي وَأُودِعَ فِي فُؤَادِي الدَّمَامِي
فَسَقَطْتُ فِي كَنْفِ المَرْوَجِ أَمَامِي
مِنْهَا وَكَانَ سَلَامُهَا لِسَلَامِي
أَوْ أَنَّ شَعْرِي غَيْرُ رُوحِ هِيَامِي
وَعَوَاصِفٍ مِنْ قَسْوَةِ الأَيَّامِ
وَتُمِيتُ كُلَّ رَجَائِي البَسَامِ
أَجْفَلْتُ ثُمَّ قَصَدْتُ كَهْفَ ظَلَامِي
فَنَّا مِنَ الإِبْدَاعِ وَالْإِلْهَامِ
قَلَقًا أَفْتَشُ عَالَمِي المِتْرَامِي
وَالصَّمْتُ بَعْضُ عِبَادَةِ المِتْسَامِي
حَرَقِي، وَإِنْ رُكُودَ لِحْطَامِي!

مَدَامُ بَتْرِفَلَايِ

(نظمها الشاعر ارتجالاً على إثر إحدى مشاهداته لهذه الأوبرا الملشجية)

دَمْعِي (مَدَامُ بَتْرِفَلَايِ) دَمِي (مَدَامُ بَتْرِفَلَايِ)
خُلِقَا لِمِثْلِ عَذَابِكَ القَاسِي وَمَا لُهُمَا سِوَايِ!

أَبْصَرْتُ مَصْرَعَكَ الْمَكْرَرَ كَالْمَأْسَى فِي نُهَائِي
حِينَأُتْصَوَّرُ فِي الْحُبُورِ، وَكُلُّ مَا فِيهِ أَسَائِي
وَتَشَامُ فِي السَّقَمِ الْمَبْرَحِ مُسْتَسِيرًا فِي حَشَائِي
يَا حُلُوةَ الرُّوحِ الْحَبِيبِ شَجِيُّ ذِكْرَاكَ غَنَائِي
مَا لِي أَرْوْمُكَ فِي الْمَشَاهِدِ وَالْعَوَاطِفِ مُقْلَتَائِي
وَتُعَبُّ رُوحِي مِنْ عَذَابِكَ مَا يَنْوُءُ بِهِ حَجَائِي
أَكْذَا الْغِنَى لِلنَّفْسِ الْآلَمِي؟! أَهَذَا مُبْتَغَائِي؟!
أَعَذَابُ رُوحِي طَهْرُهَا الْمَبْقَى عَلَيْهَا أَمْ فَنَائِي؟!
أَفْدِيكَ لِلذِّكْرِ فَهَذَا شَعْرُ تَقْطِيعِي فِدَائِي!
يَا لِلسَّذَاجَةِ وَالْحَنَانِ تَبَدُّدًا كَشَذَى هَوَائِي
يَا لِلضَّحِيَّةِ لِلْحَيَاةِ نِدَاؤُهَا أَبَدًا نِدَائِي
خَدَعْتُكَ أَطْيَافُ الرَّبِيعِ وَكَمْ حَسَبْتُ بِهَا نِدَائِي
وَالْحُبُّ يَلْعَبُ مَارِحًا مَرَحَ الصَّبَابَةِ فِي بُكَائِي
وَالطَّيْرُ يَبْنِي عُشَّهُ كِبْنَاءٍ وَهَمِّي فِي صِيبَائِي
وَالْغَيْبُ يُخْفِي سِرَّهُ كَالْبَشْرِ إِنْ أَخْفَى عِدَائِي
خَدَعْتُكَ فِي شَتَّى مَرَايِيهَا وَكَمْ خَدَعْتُ رَجَائِي
فَفَقَدْتُ كُلَّ مُؤَمِّلٍ وَلَفَظْتُ رُوحَكَ فِي مُنَائِي
فَإِذَا الضَّحِيَّةُ مُنْتَهَاكَ وَالضَّحِيَّةُ مُنْتَهَائِي!

البأس الساحر

أنا لا أخادع أمتي بنصيحتي
من ذا يُسخر مهجتي وعواطفِي
وطني العزيز بكيتُ حظك حينما
تخذوا التنابدَ ديدناً وتفرّقوا
وتقاذفوا تُهمَ الهوانِ كأنّما
من مُبلِّغٍ أحداثهم وشيوخهم
تمضون أنتم كالضحايا بينما
لـ ولا تنابذكم لأذعن بأسه
والآن يا وطني الذليلَ الأفتى
يَقْضِي على هذا التنابدِ ضارباً
فيعيد مجدك وهو مجدُهُم، فما
إنّا بعصرٍ للتعاونِ وحده

ما كنتُ مأجوراً ولستُ بأجرٍ
لهَوَاهُ أو يلهو بروح الشاعر؟
خَذَلَ البنونَ مُنَاكَ خَذَلَ الفاجرِ
جَرَحَى التخاذلِ تحت جيشِ ظافرٍ
غنموا إذا اقتسموا هوانَ الخاسرِ
أنّ التناحرَ مَأْرَبٌ للنّاحرِ؟!
هو ساخرٌ منكم وأعجبُ ساخرٍ!
لكموا، فإنّ الحزمَ أبلغُ ساحرٍ
جَمَّ البطولةَ مستقلَّ الخاطرِ
بعواملِ التفريقِ ضَرْبَةً قاتِرةٍ
غيرُ القويِّ يُعيدُ حظَّ العاثرِ
حين التعاونِ قاهرٌ للقاهرِ

سماسرة الهوان

مالي وأطيافُ الربيع تشوقني
فيجيء حتى في الربيع كأنّه
وطني! نُكِبْتَ بكلِّ غرٍّ نافخٍ
يتظاهرون وأنت وحدك غارمٌ

أشجى كما يُشجى الغمامُ بموطني
صُورُ الحدادِ لمحزنٍ ولحزنٍ؟!
في شُعلةِ الحقدِ المدمرِ لا يني
وهُمُ الجنّاةُ وإن عُردت المجتني

كُلُّ يَحْقَرِ نِدَهَ وَكَأَنَّمَا
فَإِذَا التَّعَاوُنُ سُبَّةً وَجَرِيرَةً
لَوْلَا سَمَاسِرَةُ الْهَوَانِ لَمَا غَدَا

الْمَجْدُ أَنْ يُوْذِيَ أَخَاهُ بِمَطْعَنِ
وَإِذَا التَّنَابُذُ مِثْلُ دَاءٍ مُزْمِنٍ
هَذَا الْهَوَانُ يَنَالُ عِزَّةَ مُوَطْنِي

هداة الصيف

مَا بَالُ هَذَا الصَّيْفِ يَهْدَأُ عِنْدَهُ
وَأَنَا الَّذِي إِحْسَاسُهُ مَتَوْتِبٌ
أَيْنَ الْهَدْوِ لَشَاعِرٍ أَحْلَامُهُ
فِيَتَابِعُ الْأَجْرَامَ فِي حَرَكَاتِهَا
عَرَفَ الْجَلِيلَ مَعَ الْحَقِيرِ فَلَمْ يَزَلْ
فَتَرَاهُ يَلْقَى الصَّيْفَ مِثْلَ رَبِيعِهِ
يَا نَبْعَ وَحْيٍ كُلُّهُ طُرْفُ الْهَوَى
حَاشَاهُ! هَذَا النَّبْعُ إِيْمَانٌ بِلَا

قَلْقُ الْعَوَاطِفِ بَلْ تَنَامُ هَنِيئًا
فَإِذَا تَبَاطَأَ لَا تَرَاهُ بَطِيئًا؟!
قَدْ طَوَّقَتْ هَذَا الْوُجُودَ مِرَارًا
وَيَصَاحِبُ الْأَنْدَاءَ وَالْأَزْهَارَ؟!
يَسْتَوْعِبُ الدُّنْيَا الْمُنَوَّعَةَ الصُّوَرُ
فَفَوَّادِهِ لِحْظُ الْجَمَالِ وَإِنْ سُتِرَ؟
هَلْ جَفَّ هَذَا النَّبْعُ إِثْرَ الصَّيْفِ؟
حَدٌّ، وَصَمْتُكَ فِيهِ مَعْنَى الْعُطْفِ!

الدنيا المريضة

يَا لَيْتَ طَوْعَ يَدِي الشِّفَاءَ فَإِنَّمَا
أَلْمِي لَهُمْ فِي فَوَادِكُ ثَائِرٍ
أَتَنَاوَلُ الْحَسَرَاتِ كَأْسَ مُدَامَتِي
وَأُودَّ لَوْ أَنِّي أَصُونُكَ عَنْ أَسَى

أَوَّلَى بِإِسْعَارِ الْجَمَالِ الطَّبِّ
أَلَمْ الضَّعِيفِ سَلَا دُعَاهُ الرَّبِّ
وَالْحَظُّ يَخْطُو عَاشِرًا وَيَدْبُ
دُنْيَايَ، فَهِيَ دُنَى أَبَاهَا الْحُبِّ

لو أنها قدرت شعورك هيأت
روحك كله لطف النهى
لا أن يعذب في عواطفه بما
لك في السعادة ما تخيل صب
أولى به ما يشتهي محب
يلقاه من دنيا جفاها الطب!

الناسي

نسيت وجدي وكم أنسيت يا قاسي
يا راحلاً عائداً مرضاه كالآسي
ما بال قلبي هو المنسي في الناس؟
زعمت أنني الذي يسلك في بُعدك
كيف السلو وروحي من جنى شهرك
فقد شرحت معاني الحب في عهدك؟
يا من غدا حسنة للشعر والشاعر
حسن من النور يغزو فنه الزاخر
فإن روحك كالإلهام للساحر!

الإعصار العاتية

(بعث الشاعر اللبناني المجدد إلياس قنصل بمخطوط شعرة إلى صاحب هذا الديوان
لكتابه مقدمة له فارسل إليه التحية الآتية بعد اطلاعه على ذلك الشعر)

أَلْخَلْدِ يَا ابْنَ عَزِيزِ الْخِيَالِ	تَطُوفُ عَلَى الْقَمَمِ الْعَالِيَةِ؟
جَدِيرٌ بِشَعْرِكَ وَحَيُّ الْجَمَالِ	بَأَوْصَافِكَ الْحُرَّةَ الْآيِيَةِ
وَمَا فِيهِ مِنْ ثَوْرَةٍ لِلْمُحَالِ	وَمِنْ وَثْبٍ إِعْصَارِكَ الْعَاتِيَةِ
لَنْ جَمَحْتَ فَجَمُوحُ الْمَعَالِي	وَأِنْ هَدَأْتُ فَاَلْمُنَى الرَّاضِيَةِ
غَنَاءٌ يَفِيضُ بِسِحْرِ اللَّيَالِي	وَفَلَسَفَةِ الْأَنْجَمِ الرَّائِيَةِ
فَمَنْ كَانَ يُنْشِدُهُ لَا يُبَالِي	بَدُنِيَا الْوَرَى وَالْمُنَى الْفَانِيَةِ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا عَزِيزٌ ابْتِهَالِ	وَرُوحاً مِنْ الشُّعْلَةِ الْبَاقِيَةِ

المعبد المعتزل

(جلسة مسائية في متحف فني للتصوير وقد اجتمعت فيه أضواء فنية ساحرة)

وَمَعْبَدٍ مِنْ مَغَانِي الْخُلْدِ مَعْتَزِلِ	قَدْ أَطْلَعَ الْفَنُّ فِيهِ كُلَّ إِعْجَازِ
الضُّوءِ فِيهِ أُمَانِيٌّ مَنْوَعَةٌ	مِنْ كُلِّ لَوْنٍ خَفِيَ الرُّوحُ نَهَازِ
جَلَسْتُ فِيهِ وَحَوْلِي مِنْ نَمَاذِجِهِ	رُوحُ الطَّبِيعَةِ فِي تَعْبِيرِهَا الْغَالِي
تَمَثَّلَتْ صُوراً هِيَهَاتَ يَجْحَدُهَا	حَتَّى الْخَلْقِ فَمَا فِي الْفَنِّ مِنْ خَالِي
سِحْرٌ مِنَ الْقَبَسِ الْعَالِي تَطُوفُ بِهِ	مِنْ مُهْجَةِ الْخَالِقِ الْوَهَّابِ أَشْعَارُ
كَأَنَّهُ جَالِسٌ يُصْغِي وَيُرْسِمُ مَا	فِيهِ الْحَيَاةُ وَفِيهِ الْمَوْتُ وَالثَّارُ
هَلْ هَذِهِ صِبْغَةُ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	جَادَتْ لَنَا بِجَمَالِ الْكَوْنِ شَفَافَا؟

هذي الطبيعةُ جَاءَتْنا مَجْمَعَةً
وحيثما قَدَّسَتْ أرواحُنَا مُثَلًّا
وقد لثَمْنَا يدَ الرحمنِ ناقِشَةً

وجاذبَتْنا تهاوِيلًا وأطْيافًا
منها عبدنا الذي نَاجَى أمانينا
هذي الحياةُ خُلُودًا شاقًّا أو دينًا

قصيدتي الكبرى

أَنْ لَا أَلُومَ الْغَافِلِينَ إِذَا أَبَوْا
هَلْ يُدْرِكُونَ قَصِيدَةَ لِعَوَاطِفِي
أَحْيَا لَغِيرِي وَالدَّقَائِقُ مِلْؤُهَا
فَقَصِيدَتِي الْكُبْرَى حَيَاتِي كُلِّهَا
سَتُعِيشُ رُوحِي فِي جَدِيدٍ دَائِمٍ
وَمَنْ اسْتَطَابَ لَهُ الْوُجُودُ بَقَاءَهُ
هِيَ هَاتِ يَأْبَهُ لِلصَّغِيرِ إِذَا أَبَى
إِنْ يَأْتَفِرَّ الْعِبَادُ حَنْ لِهَجَّتِي
أَوْ لَمْ يُصِيبْ نَغَمَ الصُّخُورِ فَحَسْبُهُ

شَعْرِي، وَعَابُوا رَوْعَتِي وَرُؤَاتِي
وَهُمُ الَّذِينَ أَبَوْا قَصِيدَ حَيَاتِي؟
نَغَمِي وَمِلْءُ دُمُوعِهَا أَبْيَاتِي
وَأَقْلَهَا شَعْرِي وَوَهْمُ عُدَاتِي
لِلشَّعْرِ ثُمَّ تَعِيشُ بَعْدَ مَمَاتِي
صُورًا مِنَ الشَّعْرِ الْأَبْيِّ الْعَاتِي
جَدَوَاهُ فِي الْمَاضِي وَوَحْيُ الْآتِي
- لَخُلُوصِهَا - الْمَعْبُودُ فِي صَلَوَاتِي
سَمِعَ مِنَ الْأَرْبَابِ وَالرَّبَّاتِ!

أَمْنَا الْأَرْضُ

أَمَّا ه! إِنَّ لَدَيْكَ صَفْوَ حَنِينِي
أَلْقَاكَ فِي كَنَفِ السُّكُونِ عِبَادَةً
وَأَرْوَحُ أَعْشَقُ كُلَّ مَا أَنْجَبْتَهُ

وَالَيْكَ مَرْجِعُ فَرَحَتِي وَأُنِينِي
وَأَقْبَلُ التُّرْبَ الَّذِي يُحْيِينِي
فَجَمِيعُهُ شَعْرٌ إِزَاءَ حَنِينِي

ما النحلُ، ما هذي الدواجنُ كلها
شِعْرٌ تُجاوبه عواطفُ مهجتي
وأرى الألوهةَ فيه بين توئبٍ
والناسُ تعجب من توزُّعِ خاطري
أماه! مؤيِّلُ كُلِّ لبِّ شاعرٍ

والغرسُ إلا الشعرُ ملءَ رنيني
وأنا المدينُ له بأجمل دين
وتطاييرٍ ووداعةٍ وسكونٍ
وهو الموحدُ فيك غيرُ غبين
نجوالك، فهي مفاتني وفنوني

اليَدُ البَخِيلَةُ

لمستُ كأسَ الهوى، لكن وقد لمستُ
يا حُبُّ أيُّ نشيدٍ أنتَ تطلبه
هاتِ الرحيقَ وخُذْ مني مرَّحةً
لا أكذب الله؟ إني لن أعيشَ سُدًى
بل أوثر العيشَ في دنياي محتملاً
أين الملاحه تُرضيني مناهلها
أين الجمالُ بلا صدٍّ ولا كَلَفٍ
هيهات! هيهات! ما للفنِّ منتصفٌ

يدي الهوى غابَ عن نجواي مذعوراً
وأنت تبخل بالإيحاءِ مسروراً؟
من الخلود تَبَّتْ اللحنَ والنُّورا
حتى أرى في الجنانِ الخمرَ والحُورا
أذى لها إن غنمتُ الحبَّ موفوراً
فتغنم الفنَّ إلهاماً وتصويراً؟
يبادل الفنَّ تحريراً وتقديراً؟
وكم يعيش جليلُ الفنِّ مقبوراً

الدموع

ما للدموع ترفاً من عينيك
فيم البكاء؟ وفي الحياة جميعها

وثير قلباً كم يحنُّ إليك؟
تجري الدموعُ ندًى بدمع ربيعها؟

أَحَنَنْتَ لِلدَّمْعِ الَّذِي هُوَ سَاجِدٌ
أَمْ قَدْ عَطَفْتَ عَلَى فَوَادِي الثَّائِرِ
قَلْبٌ يُلَوِّحُ كَأَنَّهُ فِي أُنْسِهِ
وَيَرَى الْجَمَالَ مَرْتَلًا وَمُغَرِّدًا
وَهُوَ الَّذِي حَرَمُوهُ حِظَّ عِبَادَةٍ
فَإِذَا نَأَيْتَ فَإِنَّ رُوحَ وَدَاعِي
وَيَرَفَ حَوْلَكَ مِنْ فَوَادِي الْبَاكِي

فِي الْكَوْنِ، فِي الْأَجْوَاءِ وَالْأَمْوَاجِ؟
- وَهُوَ الْوَدِيعُ - عَلَى الْوُجُودِ الْجَائِرِ؟
وَهُوَ الْمَحْجُبُ مَأْتَمًا فِي عُرْسِهِ
مَتَعَبِدًا وَمَنْهَاهُ أَنْ يَتَعَبَّدَا
وَتَوَهَّمُوهُ بِنِعْمَةٍ وَسَعَادَةٍ
خَافَ عَنِ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ
كَالْعَطْرِ بَعْدَ الزَّهْرِ وَالْأَشْوَالِ

الطبيب

وَدَّعْتَ عَاصِمَةَ الْمَعْرِزِ، فَهَلْ تُرَى
وَحَسِبْتَ أَنَّ لِي الْعِزَاءَ بِمَا أُرَى
وَكَأَنَّ بَدْرَ الْقَمِّ أَمِنَ وَحَدَّهُ
فَرَأَيْتَهُ فِي حَالٍ مَمْتَقِعٍ لَهُ
لُونِي، وَقَدْ شَاهَدْتُ مَصْرَعَ نِعْمَتِي
وَالْجَوْ فِي قَيْظٍ تَأَجَّجَ مِثْلَمَا
وَتَكَادَ أَنْفَاسِي تُرَدُّ وَإِنْ يَكُنْ
وَأَرَى الطَّبِيعَةَ كُلَّهَا فِي حَسْرَةٍ
أَوَّاهٍ مِنْ ظَمَأٍ عَلَى ظَمَأٍ، وَكَمْ
أَشْبَعْتُ سَخْرِيَةَ الْحَيَاةِ وَكَيْدَهَا
فَعُدْتُ شَاعِرَهَا الطَّبِيبَ وَإِنْ أَكُنْ

وَدَّعْتَ غَيْرَ تَلْهَفِي وَوَجِيبِي؟!
حَوْلِي مِنَ التَّشْوِيقِ وَالتَّحْبِيبِ
بِأَسَايَ أَوْ بِهَوَايَ أَوْ بِنَحْيِي
مِنْ صُفْرَةِ الْإِشْفَاقِ وَالتَّعْذِيبِ
عُمْرًا مِنَ التَّشْرِيدِ وَالتَّغْرِيبِ
تَتَأَجَّجُ الْآلَامُ مَلَاءَ غَرِيبِ
جَسْمِي بِنَبْضِ الْحَيَاةِ عَجِيبِ
وَكَأَنَّمَا رِيَعْتُ لِنَائِي حَبِيبِي
يَلْقَى قَرِيبَ الرِّيِّ غَيْرَ قَرِيبِ
وَجَزَيْتَهَا بِنَشِيدِ كُلِّ أَدِيبِ
بِأَسَايَ مُحْرُومًا عِزَاءَ طَبِيبِ!

الغروب الثائر

ما للغروب يُثور بالأنواء من قلبي الحزين؟!
ما للدماء تكاثفت كال موج والغيب السفين؟!
أين الضحايا قد تراءى الأفق يعكس روحها؟!
هيهات! غد ذهبت وإن أبقى الزمان جروحها
يا ثورة عند الغروب لمحت فيك فؤادي
هذي دمائي استنزفت وعلى السماء حدادي
كم في السماء شعور هذي الأرض في ماضي القرون
كم تعكس الأقدار في صفحاتها صور الجنون:
صور العواطف وهي قتلى من جنون الحادثات
ويكاد هذا الأفق يصرخ من تصارييف الممات
هذي رؤى الأصباغ كالصّيحان للقتلى ترؤغ
ما الحشر يوم الحشر أروع من شجأها للمرؤغ
صور تُعذب خاطري والأمس كنت نعمته
الآن بعدك قهر نفسي صار صفوي ثورته؟
يا خاطري ثر دائماً أو لا تثر فالحب فأت
بعد الوداع لأي حُلُم أنت تُنشد للحياة
ليست ثمالة كأسِي الحسرى كخمر العاشقين
جمعت مرارات من الذكرى ومن تبع الأنين
من ظن أنني مُسعد في نشوتي فهو الضرير
ضحكى كقهقهة القناني وهي تُذبح للخمور!

وَأَغْلَطَ الْأَيَّامَ فِي وَهْمِي بِأَنِّي مُنْعَمٌ
فَإِذَا مَنَاهِلُ خَاطِرِي يَا خَاطِرِي تَتَضَرَّمُ
وَالآنَ فَاشْرَبْ مِنْ رُؤْيَى هَذَا الْغُرُوبِ الثَّائِرِ
اشْرَبْ دِمَاءَكَ فِي السَّمَاءِ بِنَظَرَةٍ لِلشَّاعِرِ
إِشْرَبْ دِمَاءَكَ أَوْ رِثَاءَكَ فِي مَمَاتٍ لَنْ يَهْوَنَ
مَوْتُ التَّوَزُّعِ وَالتَّأَلُّمِ فِي الْعَوَاصِفِ وَالْجُنُونِ!

ساعة التوديع

لَكِنْ بَخَلْتُ بِأَنْ يُرَاقَ شُعُورِي
هَرَبْتُ هُرُوبَ الْعَاشِقِ الْمُقْهَرِ
مَا افْتَرَّ عَنْكَ مِنَ الْمُنَى وَالنُّورِ
وَالْبَعَثِ لِلْمَحْرُومِ وَالْمَقْبُورِ
وَكَأَنَّنِي أَرْنُو بِلَمَحِ دَهْوَرِ
يَخْفَى وَيَبْدُو مِنْ خِلَالِ سَطْوَرِ
بِالْفَنِّ ثُمَّ يَجُودُ فِي تَعْبِيرِي
فَأَنَا إِلَى الْإِحْسَانِ جَدُّ فَقِيرِ
عَدُّ وَقَدْ فَلَنْتُ مِنَ التَّصَوِيرِ
مَا ذَلِكَ إِلَّا هَامٌ لِلْمَسْحُورِ؟
مَتَمَلِّكَاءَ لَبِّي وَوَحْيِ ضَمِيرِي
مَا بَيْنَ الْأَمِّ وَبَيْنَ سُرُورِ

وَأَتَى الْوِدَاعُ فَمَا بَخَلْتُ بِمَدْمَعِي
فَحَبَسْتُ كُلَّ عَوَاطِفِي إِلَّا الَّتِي
وَأَخَذْتُ أَنْظُرَ ثُمَّ أَنْظُرَ وَاعِيَا
رُوحُ كَرُوحِكَ أَشْبَعَتْ رُوحَ الْعَلَى
أَتَأَمَّلُ اللَّحْظَاتِ فِي أَسْرَارِهَا
كَمْ فِيكَ مِنْ سِرٍّ عَمِيٍّ ثَائِرِ
أَلْقَاهُ بِالْإِمْعَانِ وَهُوَ يَجُودُ لِي
أَلْقَاهُ لَقِيَا طَالِبِ إِحْسَانِهِ
وَأُطِلُّ مِنْ عَيْنِكَ فِي حَقَبِ بِلَا
مَا هَذِهِ الْأَحْلَامُ؟ مَا هَذِي الْمُنَى؟
هَذَا جَمَالُ النَّفْسِ فِي اسْتِعْلَائِهَا
فَأُظِلُّ أَرْنُو ثُمَّ أَرْنُو حَائِرَا

وكأَنَّنِي أَلْقَى الْأُلُوهَةَ سَمْحَةً
وكأَنَّنِي وَأَنَا أَطِيلُ تَأْمُلِي
وَأَصُونُ كَنْزاً مِنْ حَنَانِكَ نَادِراً
وَكَأَنُّ مَدْخَرَ الْعَوَاطِفِ ثُرُوتِي
وكأَنَّمَا الْقَمَرُ الْمُطِلُّ مُسَجَّلٌ
فَالْتَاغَ مِنْ قَلْقِي الدَّخْنِ وَحُسْرَتِي
فَبَدَا مَزِجاً مِنْ ضِيَاءٍ مُحْزِنٍ

فَتُنِيرُ نَهْجاً كَانَ غَيْرَ مُنِيرٍ
أَتَنَاوَلُ الْإِيدَاعَ مِنْ تَفْكِيرِي
لِيَرِدَ فِقْرَ الْبَائِسِ الْمَهْجُورِ
لِلشَّعْرِ لَا لِئُهَيَّاءِ بَلْ لِعُصُورِ
غُثْمِي وَخُسْرِي فِي رَضَى وَفُتُورِ
وَأَفْتَرَّ عَنْ نَوْرِ لِبَعْضِ حُبُورِي
كَفَوَادِيِ الْمُتَوَثِّبِ الْمَغْمُورِ

ما سَاعَةُ التَّوْدِيْعِ إِلَّا سَاعَةُ
لِلْمَوْتِ مَهْمَا أُعْقِبَتْ بِنُشُورِ

نُورٌ وَلَهَبٌ

يَا مَعْبِداً لِلْحَبِّ لَا أَلْقَاكَ
إِنَّا كَلَانَا لِلْفَنَاءِ وَمَا لَنَا
هَذَا فَنَاءُ الْخُلْدِ إِلَّا أَنَّهُ
فَإِذَا مَنَحْتَ فَأَنْتَ خَلَّاقُ الْهَوَى

إِلَّا كَمَا يَلْقَى الشَّعَاعُ حِمَاكَ
مَثْوًى نَغِيبُ بَظْلِهِ الْإَكَا
قَدْ يُسْتَطَابُ تَحَرُّراً وَشِرَاكَا
وَإِذَا حَرَمْتَ فَمَا قَتَلْتَ هَوَاكَ

يَمَمْتُ رُكْنَكَ فِي تَلْهَفٍ بَائِسٍ
خُلِقْتُ لِمَرَاكِ الشَّهْيِ حَيَاتِهِ
إِنْ كَانَ يَطْمَعُ فِيكَ فَهُوَ كَخُلْسَةٍ
لَيْسَتْ نَعِيماً رَغْمَ كُلِّ تَسْنَعُمٍ

قَلْبِي وَمَا أَوْلَاهُ بِالْإِسْعَادِ
فَإِذَا بِهِ الْمَحْرُومُ كُلُّ وَدَادِ
لِلْحِظِّ بَيْنَ مَصَائِبِ وَجْدَادِ
فِيهَا، وَلَيْسَتْ غَيْرَ طَعْنٍ فَوَادِي

إِنِّي خُلِقْتُ لَكِي أَعِيشَ كَخَالِقِي
لِلْفَنِّ فِي عَيْشٍ حَلِيفٍ نَقَاءِ

عِيشٌ أَوْحَدَ فِيهِ كُلَّ صَبَابَتِي
فَفَقَدْتُ مَنْ أَهْوَى وَإِنْ أَدْرَكْتُهَا
وَحَيِّيتُ أَلْتَمَسَ النِّعِيمَ حَيَالُهَا

وَلَى زَمَانُكَ يَا فَوَادُ فَلَا تُطِلْ
تَرْنُو إِلَى صُورِ الْجَمَالِ لَعَلَّهَا
وَتُحِيلَ كُلَّ تَنْعَمٍ تَحْظَى بِهِ
وَتَظِلَّ أَنْتَ بِحَسْرَةٍ لَا تَنْتَهِي

وَلَى زَمَانُكَ يَا فَوَادُ وَمَا أَرَى
مَهْمَا مَرَحْتَ فَمَا كُفَيْتَ سَعَادَةً
أَيْنَ الَّتِي هِيَ غِيْنَةٌ لِمَحَبَّتِي
هِيَهَاتَ! حُبِّي لَا يُحَدُّ وَمَا أَرَى

تَشْكُو عِتَابِي؟ كَيْفَ تَشْكُو حِينَمَا
أَيْنَ الْأَلِيفُ وَنَفْسُهُ لَكَ شُعْلَةٌ
أَيْنَ الَّتِي تَلْقَاكَ لُقْيَا سَاحِرٍ
أَيْنَ التَّجَاوُبُ فِي الْحَيَاةِ؟ فَمَا أَرَى

وَعِبَادَتِي وَتَعَشَّقِي وَرَجَائِي
وَلِرَبِّ وَصَلَ فِيهِ رُوحُ جَفَاءٍ
فَأَرَى النِّعِيمَ مَصُورًا لَشِقَائِي

هَذَا الْحَنِينَ إِلَى خَيَالِ شَبَابِي
تَشْفِيكَ مِنْ حَرَقٍ وَمِنْ أَوْصَابِ
صُورًا مِنَ الْفَنِّ الْعَزِيزِ الْآبِي
ظَمًا عَلَى ظَمًا وَطَوَّلُ عَذَابِ

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عِزَاءٌ يُشْتَرَى
وَهَوَاكُ يَسْمُو فَوْقَ أَحْلَامِ الْوَرَى
رُوحًا وَجَسْمًا فِي السَّمَاءِ وَفِي الثَّرَى؟
كَفَوًا لَهُ مَهْمَا سَعَيْتُ لِأَنْ أَرَى

الْأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْ هَوَاكَ بَلِ السَّمَاءُ؟
وَكَيْانُهُ لَكَ جَنَّةٌ تَرْوِي الظَّمَا؟
مُسْتَوْعِبٌ لِهَوَاكَ كَيْفَ تَجَسَّمَا؟
إِلَّا الْغَرَامَ مُفَرَّجًا وَمَضَرَّمَا!

إمراة الأبد

وامرأة الحياة

وأنا أسيحُ بعالمِ الوجدانِ
ومزجتُ من ألوانها ألواني
وتخذتها ألقاً وكنز معاني
تحيا، وأعطيتُ الذي أعطاني
والفنُّ ملءُ تبادلِ الفنانِ

هيهات أن أنسى الحياةَ وسيرها
إني اندمجتُ بكلِّ ما تُوحى بهِ
وجعلتُ شعري مسبحاً لخيالها
فرسمتها صوراً تكاد بروحها
متبادلين مباهجاً ونفائساً

للمرأة الخدين في الإحسانِ
في صورة الإحسانِ والحرمانِ
وتعيشُ مفصحةً عن الديانِ
وشعورها قَبَسٌ من الرَّحْمَنِ
دنيا التجاوبِ عِزَّةُ الإنسانِ
حين الفنونُ تخصصُها بحنانِ

أعزِزة الأحلام لا تتخيلى
المرأة الدنيا بحالٍ واحدٍ
أخذتُ عن الأبدِ القصي الوهةَ
بنيتُ الحياةَ وأمُّها، فكياؤها
هيهات تحيا للتبئل حينما
إلا التَّبئلُ للفنونِ وأهلها

بمعابد الحبِّ الذي واساني
وأنا أعْبُ بصفوها أحزاني
وأصوغ من آلامها ألحاني
ونقائضَ الإيمانِ والكفرانِ
وجنَى الخلودِ وعثرةُ فقدانِ

لا تحسبيني في التَّعبُدِ مُسْرِفاً
أو أن في هذي العبادة ضلَّةً
إني أعذبُ مهجتي بنعيمها
وأرى الحياةَ بها كما ألقى الردى
وإذا بها طُهرُ الحياةِ وإثمها

للخلدِ مُصْغِرةً هوى الأبدانِ
أو يستقلُّ النورُ دونَ كيانِ

يا مَنهلاً للروح لا تتطلعي
هيهات تحيا الروحُ دونَ كيانها

هذا الوجودُ بأسره متجاوبٌ
ما كان لامرأة الخلود خلودها
أو كان لامرأة الحياة فناؤها
مَنْ فاتها هيهات يخلد دونها

كتمازج المحسوسِ بالروحاني
إلا كما عرفَ الخلودَ الفاني
ما دامَ في الإنسانِ روحٌ بانٍ
إنَّ الحياةَ وضدُّها سيَّانٍ

كأس الشاعر

ما هذه الكأسُ وفيها الخيالُ
قد صار لي الكونُ بما يزدهي
لا تسقني الخمرَ ودعني لما
ما أعذبَ النورَ شرابَ الهدى
كلاهما حُسْنٌ لنفسِي التي
دعني إلى حلمي، فما غيرُهُ
يَسْتَوْعِبُ العالَمَ في نظرتي

يَظْفُو على الكونِ بوحى الجمالِ
كأسي، وفي كأسِي وخمري المُحَالِ
في الكونِ من روعةِ هذا الخيالِ
وأروعَ الليلِ شرابَ الضَّلالِ
لا تَحْصُرُ الحُسْنَ بمعنى الكمالِ
يَشْفِي فؤادي من هُمومِ الليالِ
ونظرتي فيها أَحَبُّ ابتِهالِ

طائر الطبيعة

(رأه الشاعر في صورة حسناء ذات جناحين محلقة في السماء على ثغرها بسمَةٌ
هادئة وفي عينيها فكرٌ عميقٌ والطيرُ حولها تائمةً)

إلى أيِّ مَبْدَأٍ وأيِّ انْتِهَاءٍ
تحومين فوق بُرُوجِ السماءِ

تطيرينَ فاتحةً قَاهِرَةً
وتَطْوِينَ أنجَمَهَا السَّاحِرَةَ!؟

تَطِيرِينَ فِي بَسْمَةٍ فَاتِنَةٍ
كَأَنَّكَ رَبُّهُ الْأَمْنَةُ
وَيَبْدُو بِعَيْنِكَ سِرُّ الْأُلُوهَةِ
فَمَعْنَاكَ أَسْمَى الْمَعَانِي النَّزِيهِةِ
تَطِيرِينَ وَالطَّيْرُ عَانَ يَتِيَهُ
يَتِيَهُ، وَكَمْ فِي الطَّيُورِ النَّبِيَةِ
فَمَنْ أَنْتَ يَا طَائِرًا لِلطَّبِيعَةِ
فَيَسْبَحُ فَوْقَ الطَّبَاقِ الْمُنِيعَةِ

لَدَيْكَ وَفِي بَسْمَةٍ لِلْوَجُودِ
تَطُوفُ وَتُحْيِي فَقِيدَ الْوَعُودِ
فَيَجْتَذِبُ الطَّيْرَ شَتَّى إِلَيْهِ
وَمَرَاكَ أَحْلَى الْمَرَائِي لَدَيْهِ
حَوَالِيكَ، وَهُوَ شَرُودٌ قَرِيرٌ
يَتِيَهُ بِنُورِ كَتِيهِ الضَّرِيرِ
يَحْلُقُ فَوْقَ النُّهَى وَالْجَمَادِ
مَنْ الْكَوْنِ ثُمَّ يَسُوسُ الْعِبَادَ؟!

الشروق الهادي

أَشْرَقَ الصُّبْحُ فِي هَدْوٍ عَمِيقٍ
أَيُّ جَمْعٍ مِنَ الْأَسَاطِيرِ وَالسَّحْرِ
هَـ حُورٌ تَمَحَّى وَأُخْرَى تَرَاءَى
وَالْعَصَافِيرُ هَاتِفَاتٌ بِالْحَبَا
فِي نَشِيدٍ مِنَ الْخَفَوَاتِ حَبِيبٍ
أَمَّمْ أَرْسَلْتُ دُعَاءَ مُجَابَا
مُتَلَّتْ فِي الطَّيُورِ وَالزَّهْرِ وَالنَّبِّ
وَجَمِيعِ الَّذِي تَرَاهُ وَمَا قَدْ
أَمَّمْ كُلَّهَا، وَمِنْهَا خَفِيٌّ
أَنْشَدَتْ كُلُّهَا بِصَمْتٍ رَهِيْبٍ
أَنْشَدَتْ دَعْوَةَ الصَّبَاحِ فَلَبِي

كَهْدْوٍ الْحَبِيبِ بَعْدَ الْوَصَالِ
رِيْزْفُ الْخِيَالِ تَلُوَ الْخِيَالِ؟!
فِي انْبِثَاقِ الضِّيَاءِ بَيْنَ الظَّلَالِ
نِي هَتَافَ الْخَشُوعِ نَحْوَ الْجَمَالِ
كَحَنَنِ الْوَلِيدِ أَوْ كَالِدَلَالِ
وَلِكُلِّ لُغَى وَرُوحٍ ابْتِهَالِ
عَتِ وَفِي الْمَاءِ وَالْحَصَى وَالرَّمَالِ
حَجَبَتْهُ سَتَائِرُ الْأَجِيَالِ
فِي انْطِلَاقِ بَجْوَةِ الْمُتَعَالِي
أَوْ بِنُطْقِ كَالصَّمْتِ حَيَّ الْجَلَالِ
ذَلِكَ الصُّبْحُ مِنْ إِسَارِ اللَّيَالِي

وَأَتَى هَائِباً تَوَسَّلَ بِالشَّمْسِ
وَحَشَعْنَا جَمِيعُنَا فِي نُهَانَا

كَمْ هُدُوءٌ تَمُوجُ فِيهِ وَتَطْفَى

بِسِ حِمَاهِ فَأَشْرَقَتْ فِي اخْتِيَالِ
كَخَشُوعِ الْفَنِّانِ نَحْوِ "الْمَثَالِ"

ثَوْرَةٌ لِلْيَقِينِ أَوْ لِلضَّلَالِ!

وعى الرسام

أَبَاؤُنَا لِي أُمُّ لُحْتٍ لِلرَّسَّامِ
الْبَدْرُ أَرْسَلَ لِلتَّحِيَّةِ نُورَهُ
فَدَعَى لِشَعْرِي أَنْ يِنَالِكَ مَرَّةً
لِغَةِ الْفَنُونِ تَوَحَّدَتْ أُنَّى بَدَتْ
لِغَةُ الْأُلُوهَةِ أَفْصَحَتْ وَتَنَاوَبَتْ

أَلْقَاكَ خَلْفَ الْبَدْرِ شَبَهَ مُطَلَّةٍ
فَإِذَا تَعَبْتَ بَعَثْتَ أَطْيَافَ الْهَوَى
رُسُلُ الْجَمَالِ، وَكُلُّ فَاتِنَةٍ لَهَا
يُسْرَيْنَ بِي نَحْوَ الْخُلُودِ، وَمَا أَرَى

أَنْفَقْتُ عُمْرِي أَرْقَبُ الْقَمَرِ الَّذِي
وَأَرَاهُ مَوْفُورَ الْحَنِينِ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّ أُمِّي الْأَرْضَ أَبْقَتْهُ الْهُدَى
فَإِذَا الضِّيَاءُ وَرَمَزُهُ وَرَوَاؤُهُ
سَكَنْتُ بِأَمْوَاجِ الضِّيَاءِ وَدَاعِبْتُ

حُورِيَّةَ الْأَوْهَامِ وَالْأَحْلَامِ؟
وَالنُّورُ مِنْهُ عَوَاطِفُ كَهَيَامِي
بِالْوَصْفِ فِي مَلَكُوتِكَ الْمُتَسَامِي
بِتَنْوُوعِ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْغَامِ
لُبَّ الْحَيَاةِ بِنَفْحَةِ الْإِلَهَامِ

وَأَرَاكَ بَيْنَ تَهَافُتٍ وَتَسَامِي
يَرْقِصُنَ فِي هَذَا الضِّيَاءِ أُمَامِي
نَغْمٌ وَإِيمَاءٌ وَعَذْبُ كَلَامِ
لِلخُلْدِ مِنْ نَهْجٍ سَوَى أَحْلَامِي

يَفْتَرُّ عَنْ إِحْسَانِهِ الْبَسَّامِ
أَهْلِي وَأَصْرَتِي وَنَبْعُ غَرَامِي
لَاخٍ ضَرِيرٍ أَوْ أَخٍ مَتَعَامِي
بَنْتُ الطَّبِيعَةِ فِي الْخِيَالِ السَّامِي
فِي اللَّيْلِ وَحْيَ الشَّاعِرِ الرَّسَّامِ

الزهرتان

فِي بَيْئَةِ الْحُسْنِ وَجَوْ الْغَرَامِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى لِقَلْبِي الْمَلَامِ
الزَّهْرَةُ الْكُبْرَى لَهَا مَا لَهَا
وَالزَّهْرَةُ الصُّغْرَى لَهَا مِثْلُهَا
يَا تَوَّامِي حُسْنِ أَنَا عَبْدُهُ
قَلْبٌ كَقَلْبِي قَدْ طَغَى وَجَدُهُ
مَا أَجْمَلَ الْحُبَّ بَعِيشِ الْجُنُونِ
يَا مَطْلَعَ الْوَحْيِ وَمَجَازِي الْفَنُونِ

نَشَأْتُ يَا زَهْرَةَ حُبِّي الْقَدِيمِ^١
إِنْ رَامَ قَلْبِي مِنْ جَنَّاكَ النَّعِيمِ؟
مِنْ قَلْبِي الْحَيِّ بِنَبْضِ الشَّبَابِ
مَا حُمِّلَ الْقَلْبُ لَهَا مِنْ عَذَابِ
هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا مَدَى سِحْرِهِ
هِيَ هَاتِ أَنْ يَعْقَلَ مِنْ زَجْرِهِ
وَأَعْجَبَ الْحُبَّ بِأَمْسِي وَيَوْمِي
يَا حُسْنُ، لَا تُسْرِفْ بِسِحْرِي وَلَوْمِي

إلى أفرديت

لَبَّيْكَ قَدْ يُخْلَدُ الْمَعْبُودَ فَنَّا
وَلَوْ عَدَدْنَا حَيَاةَ الْحَسَنِ زَائِلَةً
دُنْيَا كَأُخْرَى اسْتَطَابَتْ أَنْ تَخَادَعَنَا
إِلَّا جَلَالَةَ إِيْمَانٍ أَقْدَمُهَا
هَذَا جَمَالُكَ يَبْدُو كَالرَّبِيعِ حُلًى
مَجْدَدٌ دَائِمًا فِي كُلِّ فَاتِنَةٍ
رُوحُ الْأُلُوْهَةِ إِلَّا أَنْ مُبْدِعَهَا

كَلَاهُمَا خَالِقُ الْخُلْدِ دِيَّانُ
فَلَيْسَ يَرْضَى فَنَاءَ الْحَسَنِ فَنَّا
كَمَا يَخَادَعُنَا كَفَرٌ وَإِيْمَانُ
فِي مَذْبَحٍ بِضَحَايَا الْحُبِّ يَزْدَانُ
بِالسَّحْرِ وَالنُّورِ أَخَاذٌ وَجْذَلَانُ
وَكَمْ يُجَدِّدُ بِالْإِلْهَامِ فَنَّا
هَذَا الْغَرَامُ الَّذِي يُخْفِيهِ إِنْسَانُ

^١ يناجي الزهرة الصغرى ربيبة الزهرة الكبرى.

لولا حنين لأرواح مُعَذِّبَة

ما كان في ملكوت الحب أكوانُ

يا ربة الحب مشبوباً لعارفه
عيشي له منبعاً ما عاش يقصده
فيم التمتع والدنيا على سفر؟
ألقي الشُّفوفَ وحييه معانقة
ما أصغر الحسن مأسوراً ومحتجباً
إن الجمال بلا عطفٍ يجود به
كل الحرام حلالاً للفنون، فما
فإن أصيبت بحرمانٍ يعذبها

ومشرب الصفوان الفن ظمانُ
فتملاً الدهر من ريبك ألحانُ
وما التحجبُ حين الفن لهفانُ؟
فتصبغ الكون بالإلهام ألوانُ
وأعظم الحسن حين الحسن إحسانُ
كمهمَلِ النظم إيقاعاً وأوزانُ
غير الفنون لها في الدهر سلطانُ
نال الجمال من الحرمانِ حرمانُ

نسيم الصباح

أيرفَ عندك من نسيم صباحي
فإذا تعثر أو لمحت غيابه
لم لا أنوح وإن يكن في عزلي
إني الفتى الباكي الطروب وما نرى
ولو استطعت حجت عن ربي الذي
عانيت في عمري الشجاً أضعاف ما
ورسمته صور التفاؤل مشبهاً
إلي العتاب؟ إذن فمن أولى بما

إلا عبير صبابتي ومراحلي؟
فلأنه العاني لفرط نواحي
صمتاً يجل مداه عن أفصاحي؟
قلب مجال تألني وجراحي
عانيت في الأحزان والأفراح
غنيت في غزلي وملء مراحلي
رسمي اللهب بنوره الوضاح
أهديه من رُوحِي إلى الأرواح؟

أَلَيْ الْعِتَابُ وَلَمْ أَعِشْ إِلَّا كَمَا
إِنِّي الْأَسِيرُ وَإِنْ عُدْتُ مُحَرَّرًا
أَعْطَيْتُهُ مَا قَدْ أَخَذْتُ وَزِدْتُهُ
فَعَرَفْتُهُ رَمَزَ الْعُقُوقِ، وَلَمْ أَجِدْ
وَحْيِيَّتُ فِي زَهْوِ الضَّعِيَةِ قُدِّمَتْ

هَذَا حَيَاتِي كُلُّهَا تَعَبٌ عَلَى
أَبْكِي وَأَضْحَكُ غَيْرَ أَنِّي لَا أُرَى
وَكَأَنَّنِي جَاوَزْتُ خُلُجَانَ الرَّدَى
وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنَّنِي فِي نَشْوَتِي
لَمْ أَدْرِ إِنْ كَانَ الشِّفَاءُ أَوْ الرَّدَى
أَلَهُوً وَأَدَابٌ مَازِحاً وَمَجَاهِداً
وَالْيَمُّ يُطَبِّقُ شَاطِئِهِ عَلَيَّ فِي

عَاشَ الشُّعَاعُ لَزَهْرَةٍ وَنُفَاحٍ؟
فِي عَالَمٍ حَالَفَتْ دُونَ فَلَاحٍ
مَا شَاءَ مِنْ إِبْدَاعِي الْمُنَاحِ
صَفَوُا يُتَاحُ وَكَانَ غَيْرَ مُتَاحٍ
لِلرَّبِّ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ!

تَعَبٍ، وَأَتَرَاحُ عَلَى أَتَرَاحٍ
إِلَّا الضَّحُوكَ بِنَشْوَةِ الْمَلَّاحِ
بَسَفِينَتِي فَنَعَمْتُ بِالْأَقْدَاحِ
فِي قَبْضَةِ الْجَرَاحِ وَالسَّفَّاحِ
بِيَدَيْهِ أَوْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ رَاحِي!
فِي ثَوْرَةِ السَّبَّاقِ وَالسَّيَّاحِ
مَرَحِي، وَتِلْكَ نَهَايَةُ الْمَرَّاحِ

السجين

سَأَلْتُكَ صَفْحاً عَنْ هُمُومِي فَإِنِّي
لِنِّ مَرَحَتُ نَفْسِي قَلِيلاً فَإِنَّهَا
وَمَا اللَّيْلُ إِلَّا مَحْبَسِي، وَتَطْلُعِي
إِلَى عَالَمٍ لَا تَشْعُرُ الرُّوحُ عِنْدَهُ
وَمَا أَفْسَحَ الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَضِيقْ بِهَا

أَعِيشُ بِسَجْنٍ لَا نَوَافِذَ فِيهِ
تَحْسُ بَلِيلٌ لِلْمَرَّاحِ كَرِيهِ
إِلَى عَالَمٍ نَائِي الْحُدُودِ نَزِيهِ
بِحَرْبِ خَصِيمٍ أَوْ بِجَرَمٍ سَفِيهِ
سُلُوكاً وَمَنْ يَلْقَى الرَّجَاءَ كَتِيهِ

ولكنني في عالمي كمقيّد
وما خلقت رُوحِي لدنيا كهذه
ولو أطلّقت منها لما شارفت سوى

وإن جُلّت فيه مُطلقاً كبنِيهِ
وإن عابَ هذا الكونَ لؤمَ ذَوِيهِ
فناءً، فهل كان الرجاءُ يَليهِ؟!

نشيد الألم

دَعِينِي أُغْنِي نَشِيدَ الْأَلَمِ
رَأَيْتُ التَّفَاوُلَ نَبَتَ التَّشَا
دَعِينِي أَبْنُوكَ رَاحَ الْحَيَاةِ
فَلَا تَعْزُفِي عَنْ شَرَابِي الْمُرِيرِ
عُصَارَةُ رُوحِي أَغَانِي الْعَذَابِ
أَغَانٍ حَلَّتْ بِمَعَانِي الشَّبَابِ
وإن مَرِحْتَ مِرَّةً لَمْ تَكُنْ
أَعِيشُ بِدُنْيَا الْخِيَالِ الْفَسِيحِ
وَأَعشَقُ أَسْمَى مَعَانِي السُّمُوِّ
فَأَلْبَسْتُ فِي عَالَمِي طَائِرًا
حَيَاةَ التَّنَاقُضِ فِي الْجَوْحُولِي
وَأَرْسَمُهَا صُورَةً لِلْجَمَالِ

فَكَمْ مِلءَ الْأَمْنَا مِنْ نَعَمٍ
وَمِنْ حَيْنِ الْوَجُودِ وَلِيدُ الْعَدَمِ
وَهَلْ رَاحَهَا غَيْرُ رَاحِ الْأَلَمِ؟
فَحَسْبِي التَّعَالِي بِهِ وَالشَّمَمِ
بِشَعْرِي، وَكَمْ فِي الْبَكَاءِ ابْتِسَمِ
وَمَضَّتْ بِكُلِّ مَعَانِي الْهَرَمِ
مِرَاحَ الْهَوَى بِلِ مِرَاحِ السَّقَمِ
كَأَنِّي الَّذِي بِالْخِيَالِ اعْتَصَمِ
فَمَهْمَا سَمَوْتُ سَبَانِي الْحُلُمِ
حَلِيفَ الرَّجَاءِ حَلِيفَ النَّدَمِ
فَأَجْعَلُهَا وَخْدَةً تُغْتَنَمِ
وَكَمْ فِي الْجَمَالِ النَّدَى وَالضَّرَمِ!

راهب الدير

(تطلع الشاعر إلى السماء من شرفة منزله فلمح راهباً تجاهه في مثل وقفته)

لحُثُّه رانياً شطرَ السماء كما
لحُثُّه وأنا في الأسرِ أعبطُ
نُعْمَى التَّجَرُّدِ مَنْ لِي أَنْ أُلَوِّدَ بِهَا
فَكَمْ بِهَا مِنْ أَمَانٍ لَامَرِيٍّ فُطِنٍ؟
سَنِمْتُ كُلَّ غُرُورٍ أَسْتَعِزُّ بِهِ
وَاشْتَقْتُ مَا يَشْتَهِي الصَّوْفِيُّ مِنْ زَمَنِي

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ! هَذِي وَقَفْتِي حَزْناً
وَأَنْتَ تَرْقُبُ مِثْلِي عَالِماً عَجَباً
أَرْنُو إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ حَيْرَاناً
إِنِّي لِأَحْمِلُ أَعْبَاءَ مُنَوَّعَةٍ
شَتَّانَ بَيْنَ مَدَى اللَّحْظَيْنِ شَتَّاناً
فَهَلْ تَحْمَلْتِ مِثْلِي لِلشَّجَا أَلْماً
وَأَحْمَلُ الْهَمَّ كَفَرَاناً وَإِيمَاناً
وَهَلْ تَعَذَّبْتَ مِنْ أَتْرَاحِ دُنْيَانَا؟

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ! حَوْلِي لِلْحَيَاةِ مُنَى
وَزَهْدُهَا وَأَنَا الْقَاسِي عَلَى أَمَلِي
وَكَمْ حَيَالِي مِنَ اللَّذَاتِ أَلْوَانُ
وَصَادِرُ كُلِّ رَجَائِي فِي الْحَيَاةِ غَنَى
وَكَمْ يُمِيتُ وَيُحْيِي الْحِظُّ فَنَّانُ
فَلَا أَعِيشُ سِوَى مَعْنَى يُحِبُّ كَمَا
عَنِ الْحَيَاةِ تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي الْأُفُقِ؟
يَعِيشُ فِي حُلُمِ الْجَنَّاتِ (رِضْوَانُ)

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ! نَبِئْنِي: أَلَا خَبَرُ
أَلَا سَبِيلٌ إِلَى زُهْدٍ تُصَاحِبُهُ؟
عَنِ الْحَيَاةِ تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي الْأُفُقِ؟
مَا لِي أَرَاكَ قَرِيرَا كُلِّهِ وَهَجُ
أَلَا سَبِيلٌ إِلَى زُهْدٍ تُصَاحِبُهُ؟
فَهَلْ كَلَانَا - وَهَذِي الشَّمْسُ غَارِبَةٌ
أَنَا، وَأَنَا مَرْوَعاً بِأَلْغِ الْحَرَقِ؟
مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تُشْجِي مِنَ الشَّفَقِ؟

حزن الفجر

يا فجرُ تنبِسُ فيكَ أنفاسُ تُنمِّيها الحياةُ
ما بالها هَمَدَتْ هُمُودَ الطفلِ في أسرِ الجنّاهِ؟!
أنتَ الجَزينُ وما وُلِدْتَ وإنْ لمُحَنّاكَ الوليدُ
كم مَأْمَلٍ فيكَ القريبُ وكُلُّهُ أَمَلٌ بَعِيدُ
أنتَ الجديدُ وأنتَ كَشَّافُ السعادةِ للسعيدِ
حينَ الشَّقِيّ يَراكَ مَهْزِلَةً مِنَ القَدَرِ العَنِيدِ
يا فَجْرُ ما هَذي التَهاليلُ المَنوَعَةُ الحِسانُ؟
أتراكَ مَنْ خَطَفَ الحياةَ لَنا على رَغمِ الزَّمانِ؟!
يا رَيمًا أنتَ الكَريمُ بِها لِقَلْبٍ يَرتَجيكَ
قَلْبٌ يَداعِبُهُ الأَليفُ كَما يَؤانِسُهُ الشَّريكُ
فَتَلَقَّ مِنَ هَذي العِصافيرِ المَغرُودَةِ الصَّلاةُ
فلَعَلَّها أَدْرَى بِمَعْنَى فيكَ أَهدَثَها الحياةُ
وَتَلَقَّ مِنَ تَلكَ المَظَاهِرِ للوَجُودِ تَحِيَّةُ
ما دُمْتَ تُكسِبُها التَّجَدُّدَ نَفْحَةً علَويَّةُ
أَمّا فَوادِي فَهِوَ في حُزْنٍ وتَبريحٍ دَفينِ
فَيرى بُزُوعَكَ كالأَسَى في النّارِ والشَّدَوِ الأَينِ!

الذكريات

أنساك والماضي البعيدُ أمامي
مَرَّتْ كَتَائِبُهُ أَمَامَ نَوَاطِرِي
صُورُ الطُفُولَةِ وَالشَّبَابِ كَأَنَّهَا
صُورٌ بِأَلْوَانِ الْحَنِينِ تَجَسَّدَتْ
فَعَرَفْتُهَا بِاللَّوْنِ حِيناً، وَالشَّذَى
وَحَيِّتُ بَيْنَ جُمُوعِهَا مَتَنظِّراً
هِيَ هَاتِ أَنْكَرَهَا وَقَلْبِي بَيْنَهَا
فَإِذَا احْتَجَبَتْ فَأَنْتَ مِلْءُ عَوَالِي
وَإِذَا لَقَيْتُكَ كُنْتَ أَنْتَ لَهْجَتِي
وَالنَّاسُ تَعْجَبُ مِنْ تَأَلُّقِ نَاطِرِي
وَكَأَنِّي أَلْقَى الْإِلَهَ فَأَغْتَدِي

جَيْشٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَحْلَامِ؟
مِنْ كُلِّ مُكْتَتَبٍ وَمِنْ بَسَامِ
صُورِ الْخَيَالَةِ مِنْ خِلَالِ ظِلَامِ
وَخَلَّتْ مِنَ الْإِغْرَابِ وَالْإِبْهَامِ
حِيناً، وَبَيْنَ تَسْمَعٍ وَكَلَامِ
شَتَّى الْعُهُودِ وَأَعْجَبَ الْأَيَّامِ
فِي بَيْئَةٍ مِنْ نَشْوَةٍ وَغَرَامِ
وَإِذَا نَأَيْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ أَمَامِي
فَوْقَ الْوُجُودِ بِرُوحِكَ الْمَتَسَامِي
وَسَنَّاكَ مَبْعَثُ نُورِهِ الْبَسَامِ
رُوحاً سَمَا فَوْقَ الْخِيَالِ السَّامِي!

بلوتو ورسفون

(في هذه القطعة مثال معتدل من النظم الحر الجامع بين الشعر القصصي وشعر التصوير)

كَمْ عَذَّبْتُ (بلوتو)^١ حَيَاةَ الشُّرُودِ
قَدْ خَصَّهُ الْمَوْتُ، وَفِي مُلْكِهِ
لَمْ تَرْضَهِ زَوْجاً وَلَا أَمْنَتْ

عَنْ عَالَمِ الْحَيِّ وَحُسْنِ الْوُجُودِ
قَدْ عَاشَ فِي الْيَأْسِ الْإِلَهَ الْوَحِيدُ
بِمُلْكِهِ الضَّافِي بَنَاتُ الْأُلُوهَةِ

^١ Cinema Pictures - مشاهد السينما.

^٢ إله عالم الموت.

عِيشْ كَمُوتِ كُلَّهُ مُظْلِمٌ
كَمَا سَاءَ الْأَرْبَابُ أَنْصَافُهُ
فَلَمْ يَنْلُ غَيْرَ غُرُوفِ الْمُنَى
وَهَكَذَا قَضَى حَيَاةَ الْأَبَدِ
لَا يَعْرِفُ الْعُطْفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
حَتَّى إِذَا الْيَأْسُ تَمَادَى بِهِ
أَرَادَ أَنْ يَغْزُورَ رِبَاتَهُ

هَذِي (بِمِثْرَا) ^١ أَتَبَّتْ زَهْرَهَا
وَأَنْضَجَتْ مَا شَاقَهَا نُورُهُ
فَرَاخَتْ الْإِبْنَةَ فِي فَرْحَةٍ
الْفَرْحَةُ تُسَمَّى نَفُوسَ الْوَرَى
وَشَامَهَا (بِلُوتُو) فَشَامَ الْمُنَى
قَدْ يُسْرِفُ الْحَرْمَانُ، لَكِنَّهُ
وَبَيْنَمَا الزَّهْرُ لَدَى (بِرْسْفُون)
وَيَنْعَمُ مَنْ لَمَسَهَا مِثْلَمَا
وَتَهَوَّى الْحَشَائِشُ مَشْنِئاً عَلَيْهَا
وَيَحْتَضِنُ الْمَاءُ أَطْيَافَهَا
وَتُلْقِي عَلَيْهَا الْغُصُونُ الظَّلَالَ
وَبَيْنَا تُغْنِي أَغَانِي الْجَمَالِ

وَحَسْرَةً مَلَأَ الْحَيَاةَ الْكَرْيَهَةَ
وَسَاءَ الرِّبَّاتِ إِسْعَادُهُ
عَنْهُ، كَأَنَّ الرَّدَى صَادَهُ
فِي عَزْلَةٍ بَلْ ظُلْمَةٍ لِلْعَدَمِ
إِلَّا صَدَى الْمَوْتِ وَنَوْحُ الْأَلَمِ
وَأَظْلَمَ الْكَوْنُ جَمِيعاً لَهُ
وَيَخْطِفُ الْحِظُّ كَمَنْ نَالَهُ!

فِي الْمَرْجِ مُذْ هَامَتْ بِهِ (بِرْسْفُون)
مَنْ مُثْمِرٍ يَبْسُرُ لِلنَّاطِرِينَ
تَقْطِفُ مِنْ زَهْرٍ وَمِنْ فَكَاهَةٍ
فَكَيْفَ إِنْ طَارَتْ بِهِ الْآلِهَةُ؟
فِي أَخْذِهَا أَخَذَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
إِذْ يُسْرِفُ فِي مَنَعِهِ قَدْ يَجِيزُ
يُحْيِي سَنَاها وَيَحْيَا لَهَا
تُنَاجِي الْجَدَاوِلُ إِقْبَالَهَا
فَمَا كَانَ ذَلِكَ إِذْ لَاحَهَا
بِرْفَقٍ إِذَا الْحَرُّ قَدْ نَالَهَا
حَوَانِي بِالْحَبِّ فِي نَوْمِهَا
مِيَاهُ الْجَدَاوِلِ مَلَأَ الطَّرَبَ

وَكُلُّ الْوُجُودِ قَرِيرٌ بِهَا كَمَا نَعَمْتُ بِجَمَالِ الْوُجُودِ

^١ دِمْتَرَا: إلهة الأرض، وبرسفون: ابنة ديمترا الجميلة.

رأها (بلوتو) فتاق إلى اغتنام التي يشتهيها شريكه
فليس لملك جمال يحب إذا حرم الملك عطف المليكة

أهاب (بلوتو) بذاك الثرى
فأفزعها أن بدأ عندها
وهبهات يجدي صياح لها
وفي الأرض غار بها وانتهى
وكان الربيع حليف الدوام
فلما مضت ونأت (برسفون)
فناحت (دمترا) التي استصرخت
ولكن (بلوتو) أخيراً وفى
تزور بها الأرض في نشوة
فتبتهج الأرض من زور
وتكسبها من حياة الربيع
ففي الأرض غيبتها غيبة
فيطغى الشتاء ويحيا الورى
إلى أن يحين الظهور الجديد

فشق وأقبل في مركبه
وأن الأسار غدا حظها
ففي لحظة مسرعاً نالها
إلى ملكه فازدهت كوكبه!
على الأرض لا ينتهي نضرة
تجلى الشتاء وراح الربيع
لإنصافها كل رب سميع
إلى أمها فترة كل عام
فتلقى (دمترا) وتلقى الزهور
لها وتغنى نشيد السلام
رواء يغيب بباقي الشهور
لأنس الربيع الصبي الجمال
بذكرى الربيع الحبيب الخيال
فيأتي الربيع ويمضي الجليد!

الأرض تفتت لها خضرة
كأنه نثر أغاني المنى
وإذ تعلى (برسون) الرئى
يروعها (بلوتو) بوثب له
كصفرة الحلة تلقى لها

بالزهر في موج جميل نضير
من بعد تجوال لها بالاثير
لتجمع الزهر لإكليلها
من باطن الأرض لتذليلها
من صبرة الخوف ولون الألم

مَرُوعَةً تَعْجِزُ عَنْ وَقْفَةٍ
فَكَانَتْ بِلَفْتَتِهَا حَايِرَةً
وَمَا رَحِمَ الْقَدْرُ الْمُسْتَعِزُّ
وَنَارَ الْجَوَادَانِ - مِنْ ثَوْرَةٍ
فَقَدْ أَلْفَا ظُلْمَةَ الْمَمَاتِ
وَلَكِنْ (بِلَوْتُو) بِيَأْسٍ لَهُ
وَيَرْنُو إِلَيْهَا بِسِحْرِ الْعَتِيَّ
وَمَا لِحَةِ الْفَنِّ فِي صُورَةٍ
بِأَهْوَنَ مِنْ دَهْشَةِ اللَّتِي

كَمَا فَاتَهَا جَمْعُ رَشِيقِ الزَّهَرِ
تَحَدَّتْ وَخَافَتْ وَتُوبَ الْقَدَرُ
وَلَا هَابَ أَمْرًا إِذَا مَا اقْتَحَمَ
لِهَذَا الضِّيَاءِ - بِبَحْرِ الضِّيَاءِ
وَلَيْلُ الْمَمَاتِ بِحُورِ الْفَنَاءِ
يَصْدَقُ بِقَبْضَتِهِ الثَّائِرِينَ
وَيَخْطِفُهَا - بِبَيْدٍ مِنْ حَدِيدٍ
تَتَّوَرُّ عَلَى دَهْشَةِ النَّاضِرِينَ
أَدَا لَتَ نِظَامِ الرِّبِيعِ الْفَرِيدِ

وَصَارَتْ عِزَاءَ الْمَمَاتِ الْوَحِيدِ!

الشعرة البيضاء

مَا هَذِهِ الشَّعْرَةُ الْبَيْضَاءُ مُشْرِقَةً
لَعَلَّهَا مِنْ غَرَامِي أُشْعِلَتْ حَرَقًا
كَمْ يَحْجِبُ الشَّعْرُ مَا وَزَعَتْ مِنْ قَبْلِ
هَذِي الْحُلُوكَةِ تُخْفِي طَيْهَا فِتْنًا
لَا تَنْهَرِينِي! فَإِنِّي حِينَ أَنْظَرَهَا
كَمْ مِنْ تَحْرِقٍ قَلْبِي فِي تَأَلُّقِهَا

مِنْ شَعْرِكَ الْفَاحِمِ الْمُخْفِي لِأَشْوَاقِي!
ثُمَّ اسْتَحَالَتْ ضِيَاءً بَعْدَ إِحْرَاقِي!
عَلَيْهِ كَالْإِسْطِي الْمُنْجَمِ الْغَالِي
مِنْ الْجَمَالِ وَتَحْوِي شِعْرَ أَمَالِي
أَرَا قَبْلُ الْحَبِّ أَلْوَانًا بِمَعْنَاهَا
وَمِنْ تَلَهُّفِ رُوحِي فِي تَنَائِيهَا!

أركتوروس

(استغلَّ علماء مرصد هرفارد شعاع النجم أركتوروس - السماك الرامح - في توليد تيار كهربائي أداروا به زراً خاصاً متصلاً بأسلاك الإضاءة في معرض شيكاغو الكبير سنة ١٩٣٢ فضاءت مصابيحُه وانطلقت صفارته وكان ذلك بمثابة إعلان لافتتاح ذلك المعرض العالمي)

(أركتوروسُ) قد جعلوا شعاعَكَ شبهَ مفتاحٍ
فأعلنَ فتحَ معرضِهِم وأشعل كلَّ مصباحٍ
ودوى الجوُّ بالتَّصفيرِ إيذاناً بمعجزةٍ
وكم من مُعجزةٍ أضحى كمألوفٍ بلا ثقةٍ
فقدنَا مُعجزةَ الأبعادِ والأزمانِ في الدنيا
وأوشكنا نرى الإقدام والتجوالَ في الأخرى
علامَ نحنُ للدنيا ونُبدع في مناحيها
إذا كان المالُ لنا مالَ الموتِ يطويها؟
سَتَفْنِي الشَّمسُ والأرضُ وما احتويا وما وهبا
فما مَعْنَى تَعَشُّقِنَا خراباً بات مقترباً؟
(أركتوروسُ) هذا ضوُّكَ الهادي يناديني
فما دارُ الورى سكني ولا دينُ الورى يريني
علامَ أصوغ أشعاري بألفاظٍ وأنغامٍ
إذا كانت ستهوي في فناءٍ مثلَ أيامي؟
فدعني مُرسِلاً شِعري إليك بنظرتي الحسرى
لعلك في طويلِ الدهرِ تنقذ مهجتي الحيرى
فتحيًا فيك أضواءٌ وأحلاماً وأشعاراً
إذا كان الخلودُ النارَ فلاعبدُ بك النَّارَ!

الفراش الهائم

أحسننت في الإبداع والتصد وير
خُلِقْتُ بمثلِ عواطفي فحياتها
أحنو عليها طائراً في نورها
فيها من الأوضاع كلُّ محبِّ
جُمِعَتْ بريشتك التي خَضَعَتْ لها
أهلاً بها وبرمزها وبكلِّ ما

فأنا الفراشُ أهيمُ حولُ زُهورِ
قَلَقٌ وحرمانٌ وحُلُمٌ ضريرِ
والنورُ كنزُ عواطفي وشعوري
وبها من الألوانِ كلُّ نضيرِ
أصبأُ هذا العالمَ المسحورِ
حملته من وحي ومن تصويرِ

وشكوت من صمتي كأنَّ الصمتَ لي
رُحمالك! إني في العذابِ مخلدٌ
قلبٌ كقلبي لا يضيقُ بعالمِ
إياك أن تتصوَّريه سوى المدى
همي كبحرٍ للفناء، فغارقٌ

صمتٌ، وهل صمتي سوى تعييري؟
فدعي العتابَ فما عرفتِ ضميري
رحب، أيصغر من هموم صغيرِ؟
مِنْ رَحْمَةٍ وهوى أَجَلَ طُهورِ
فيه جميعُ تهافتي وحبُّوري!

عقابك

أيُّ لونٍ من العقابِ عقابٌ
لهفَ نَفْسِي تعافُ خطُّك! إني
أو! لو تُدرकिन مَعْنَى ولأني
أو! لو تُعرفين مَغْزَى سكوتي
لحظَّاتِ الوجودِ يحملن مِنِّي

يَتَرَأَى على جَهَامَةٍ سُخْطُكُ
مِنْ وفائي أبى الجُودَ بَخْطُكُ
في زمانٍ ولأوه كالْعُقُوقِ
وفُؤادي يسنُّ كالْمَصْعُوقِ
أيُّ سُخْطٍ على الوجودِ الأثيمِ

ثائراتٌ بحرقتي، وهي بعضٌ
قبلَ خَلْقِ الحياةِ كانت حياتي
أَبَدِيٌّ هَمِّي، وهل كان هَمِّي
أنا أحياء ما بين ألفِ حُسُوبٍ
حَسَدُونِي لِحَبِّهِمْ، وأنا الحا
ليتنني قد حَيَّيتُ كالراهبِ النَّا
ليتنني ما وُجِدْتُ حتَّى خَيَّالاً
كم أَعَانِي وكم أَسَامِحُ عَمْرِي
قد عَرَفْتُ الإِحْسَانَ أَجْمَلَ أَحْلا

مِنْ مَأْسِي فَوَادِي المَكْلُومِ
شُعْلَةٌ الهَمِّ فانتَهتُ للحياةِ
غَيْرَ هَمِّ العِظَائِمِ البَاقِيَاتِ!
هُم كَأَهْلِي لو يُدْرِكُونَ ونَفْسِي
نِي عَلَيْهِمِ والمُسْتَهْيِنُ بَأْنَسِي!
نِي عَنِ الخَلْقِ فِي كُهُوفِ الجِبَالِ
فِي وَجُودٍ وَجُودُهُ كَالخيَالِ
وَابْتِسَامِي عَلَى بَكَائِي شَهِيدُ
مِي، وَلَكِنِّي بِحُفْحُفِي شَهِيدُ

الحياة الكونية

أَرِثِي بَنِي الإِنْسَانِ حِينَ رِثَاؤِهِمْ
هَذِي الحَيَاةُ هِيَ البَقَاءُ، وَغَيْرُهَا
الأَرْضُ إِنْ ضَاقَتْ بِهَا أَوْ لَمْ تَدُمْ
لَيْسَتْ حَيَاةُ النَّاسِ إِلَّا مَظْهَرًا
إِنَّ المَحِيطَ أَبٌ لَنَا، وَمَدَاهُ فِي
نَمُضِي إِلَى حُضْنِ المَحِيطِ إِذَا غَدَا

وَهُمْ، وَحِينَ مَدَامَعِي بِسَمَاتٍ
عَرَضٌ، وَهَلْ عَرَضُ الحَيَاةِ حَيَاةٌ؟
خُطِفْتُ إِلَى الأَجْرَامِ دُونَ تَوَانِي
وَالرُّوحُ فَوْقَ مَظَاهِرِ الإِنْسَانِ
هَذَا الوجودِ، وَلَيْسَ فِي دُنْيَا الوجودِ
عَيْشُ الثَّرَى بَدَدًا أَوْ اندَثَرِ الثَّرَى

ألحان الخلود

هل هذه الألحانُ تنقلُ مُهجتي
ما لي نسيْتُ جميعَ ما هو مائلٌ
لغةَ الحياةِ تجرَّدتُ وتنزَّهتُ
مِنْ أيِّ نَبْعٍ تَسْتَقِي أمواجها؟
كم مِنْ غناءٍ ما لَهُ نَبْضٌ، وكمْ
لا تعجبُني لِلهَفْتِي، فعواطفِي
هذي مَعاني الخلدِ وزَّعها الهوى
هيهاتَ تَفْنَى أو يَنالُ خُلودَها
هيهاتَ يدركها سوى الأربابِ مِنْ
العاشقينَ مَعانِياً لا تنتهي

فوقَ الأثيرِ إلى عُلَى الأرواحِ؟
حولي، وحتى حسرتي وجراحي؟
عن مسمعِ الأهواءِ والأبدانِ
ولأَيِّ سَمْعٍ تنتهي كأغاني؟
لَحْنٍ تَجَرَّدَ عن وُجودِ باقٍ
حَيُّ الغناءِ بقلبي الخفاقِ
للخالدينَ بعالمِ الإحسانِ
فانِ، وإن أَبقتَ حياةَ الفاني
أهلِ الفنونِ المعجزينَ فنونا
الفائضينَ رجاحةً وجُنونا!

روحي

بعثتُ اللحنَ في شعري لنفسي
فما للكونِ مَسِئَماً لَشَدْوِي
أهذا وهمٌ مجنونٍ بريءٍ
وهل في كلِّ جارحةٍ بنفسي
أرى رُوحِي تعافُ حُدودَ جسمي
تغلغلَ نورُها في الكونِ طُراً

وخَلَّتْ به العزاءُ من الحياةِ
وما لنجومِهِ متلفَّطاتٍ؟!
أم الكونُ استقلَّ به فؤادي؟
صدَّاه؟ وهل كذاك هواه صادي؟
وتأبى فُسحةَ الدنيا حُدوداً
ونال صَفاءُها هذا الوُجوداً

قسوة الحب

أقسو عليك؟ نَعَمْ هَوَايَ الْقَاسِي
مُسْتَوْعِباً دُخَرَ الْحَيَاةِ، فَإِنَّمَا
فِي كُلِّ مَا خَطَفْتُهُ عَيْنِي أَوْ فَمِي
وَمَفَاتِنُ شَتَّى أَعِيشُ لِأَجْلِهَا
فَتَسَامَحِي فِي نَظَرَتِي وَتَهَافُتِي
وَدَعِي احْتِضَانِي لِلْأُلُوهَةِ مِثْلَمَا
لَمْ تَسْأَمِي مِنْهُ وَكَمْ فِي لَتْمِهِ
فَعَلَامَ أُشْكِي مِنْ تَهَافُتِ مُهْجَتِي
مَنْ ذَا يَرَاكَ وَلَا يُوَدُّ لِرُوحِهِ

فِي هَذِهِ النَّظَرَاتِ وَالْأَنْفَاسِ
أَشْرَقْتَ أَنْتَ بِمَتْعَةِ الْإِحْسَاسِ
كَنَزٌ مِنَ التَّعْبِيرِ وَالْإِنْسَاسِ
وَبِهَا انْتَقَمْتُ مِنَ الْوُجُودِ الْقَاسِي
وَقَسَاوَتِي، فَالصَّبُّ غَيْرُ النَّاسِ
يَهْفُو عَلَى نَهْدِيكَ زَهْرُ الْآسِ
أَوْ رَشْفِهِ الْأَضْوَاءَ رَشْفَ الْكَاسِ!
وَإِذَا قَسَوْتُ فَهَلْ سِوَاكَ الْآسِي
هَذَا الْفَنَاءُ بِرُوحِكَ الْحَسَّاسِ؟

الأحياء

غَرَانِيقُ لَمْ تَنْطِقْ وَلَا هِيَ أَوْمَاتُ
فَنَاحِبَتُهَا حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِهَا
فَلَيْسَ بِنَحْتِ مُشْرِقٍ مَا شَهِدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَحْيَاءُ بِالْفَنِّ حِينَمَا

وَلَكِنْ أَطْلَّ الْفَنُّ مِنْهَا لِمَنْ سَمَا
ذَوِيهَا وَمَنْ قَدْ صَاغَهَا أَوْ تَوَهَّمَا
وَقَدْ شِمْتُ فِيهَا الرُّوحَ وَاللَّحْمَ وَالْدَّمَ
إِلَيْهَا انْتَمَى الْفَانُونَ وَالْخَالِدُ انْتَمَى

الجاذبية

تمضى نماذجُ كلِّ حُسْنٍ رائعٍ
وأنا الذي وحدي أرى الحرمانَ لي
مُثلٌ من الأصنامِ تَمْضِي، كُلُّها
ولئنْ فُتِنْتُ بها ففتنةٌ عازِفةٌ
هذي المعاني للحسانِ حبيبةٌ
لم ألقَ غيرَكَ عارفاً أسرارها
عَيْنَاكَ أَشْعَلَتَا الغرامَ وفيهما
وعلى محياكَ الحبيبِ سِماحةٌ
الجاذبيةُ منك أَشْهَى نِعْمَةٍ
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ للجمالِ كأنه

والنَّاسُ بَيْنَ تَلَفُتٍ وَحُبُورٍ
ما دامَ غيرَكَ مُسْتَمَدًّا النُّورِ
حُسْنٌ، وَلَكِنْ لَا تَنَالُ فَوَادِي
مَتَصَوِّفٍ، مَتَنَوِّعِ الْإِنْشَادِ
لكنها ليست معاني رُوحِي
ومواسيَا ومُداوِيَا لجُروحِي
نَبْعُ الحَنَوِّ مُلْطَفًا أَشْجَانِي
ومَفَاتِنُ الإِحْسَانِ لِلدِّيَانِ
فِي ثَغْرِكَ الوَضَاءُ بِالبَسَمَاتِ
خَرِبٌ، فَمَا يَعْدُو جَمَالَ مَمَاتِ!

ثورة يبغاء

البيئة الطائشة

الْبَبْغَاءُ تَتُورُ ضِدِّي؟ يَا لَهَا
بَاعَدْتُهَا جُهْدِي، فَإِنَّ مَقَالَهَا
يَا بَبْغَاءُ تَرْفُقِي! لَا تُسْرِفِي!
سَيَانِ مَذْحُكٍ أَوْ قِلَاكِ فَجَنَّبِي
مَا كَانَ رَأْيِكَ بِالَّذِي أَعْنَى بِهِ
لَكِنْ صَوْتِكَ فِي كَابَةِ وَقْعِهِ

مِنْ غِرَّةٍ فَأَنَا الَّذِي أَخْشَاهَا
كَمَقَالَةِ السُّوءِ لَا أَرْضَاهَا
هَلْ تَسْمَعِينَ وَتَفْقَهُينَ مَقَالِي؟
صَوْتًا كَصَوْتِكَ أَنْ يَنَالَ خِيَالِي
لَسْتُ الَّذِي يَهْمُو إِلَى الْأَبْوَاقِ
قَلَقٌ، فَمَا حَظِي مِنَ الْإِقْلَاقِ!؟

أَكْرُ الضِيَاءِ

يا للوليد الصُّبْحُ تُطْفَأُ حرُّه
ما بالها اختُطِفَتْ أو انطفأت كما
هل كان أوَّلَى منه بالأنسِ الذي
أَكْرُ الضياءِ أَحَبُّ للطفلِ الذي
قد غاب هذا الليلُ حين تدحرجتُ
يا للصباح من الأمومة! إنها
وئى سريعاً في كهولةِ حالمٍ
فيغيب في أَكْرِ الضياءِ كأنه

هذي المصابيحُ التي تتلالا
خُبِئَتْ عيونُ الساحراتِ مُحالاً!^١
مَنَحْتَهُ في كهفِ الإلهِ تعالى؟
يَلْقَى الغدَاءَ أشعةً وخيالاً
وهوتُ بموجٍ للضياءِ تَوَالِي
رَبَّتَهُ في حُضْنِ الفناءِ فزالا
وهو الوليدُ وما عَدَا الأطفالا^١
طيفُ أَلَمٍ بنا وردَّ سُؤالاً!

الحراس

(رأى الشاعر أشجاراً حائطة روضاً لحمايته حينما هي عرضة للتلف من عصف الرياح)

ما لي أراك وَقَفْتَ في صَمْتٍ على مرِّ السنين؟
هل أنت حارسةٌ على هذا الجمالِ مِنَ الزمان؟
تَمْضِي السنينُ وأنتِ في هذا التَّفَرُّسِ، لا يَكِينُ
لا تعرفينَ النومَ، لا، بل لا سَلامَ ولا أَمَاناً!

غَرَسُوكَ حائطَ رَوْضِهِمْ، فالروضُ ملُتَفَتٌ إليك
ناجاكِ مِلءَ الثُّورِ ثم دعاكِ قِي جُنْحِ الظلامِ

^١ ولم يتجاوز سن الطفولة.

فإِذَاكَ مَوْتٌ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ جَائِمَةٌ لَدَيْكَ
مِنْ كُلِّ زَهْرٍ حَظُّهُ مَرَاكَ حَتَّى لَا يُضَامَ!

وَبَقِيتِ أَنْتِ أَسِيرَةٌ لِلْأَرْضِ تَحْمِينِ النَّبَاتِ
مِنْ كُلِّ عَصْفَرٍ لِلرِّيحِ وَكُلِّ سَهْمٍ لِلضِّيَاءِ
وَتُعْرَضِينَ جَمَالَكَ الْمَأْمُولَ فِي وَجْهِ الْمَمَاتِ
يَا لِلضَّحِيَةِ! هَكَذَا الدُّنْيَا تَهَاوِيْلُ الْفَنَاءِ!

المنصورة

(زار الشاعر مدينة المنصورة بعد غيبة أعوام طويلة فآلمته هذه الخواطر)

أراك كالحُلْمِ فِي الْخِيَالِ	مَدِينَةَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ
كَأَنْنِي سَاكِنُ الْجِبَالِ	عَشْرُونَ عَامًا كَانَتْ حَجَابًا
سَوَى رَجَاءٍ مِنَ الْمَحَالِ	فَلَا زَمَانٌ وَلَا رَجَاءٌ
فِي عَالَمِ الْيَأْسِ وَالْخَبَالِ	وَالآنَ أَلْقَاكَ بَعْدَ نَفْثِي
أَتَيْتُ فِي مَوْعِدِ الْوَصَالِ!	أَلْقَاكَ بِسَّامَةِ كَأَنِّي

لِلْعَصْرِ وَالْأَعْصُرِ الْخَوَالِي	يَا دُمِيَّةَ النِّيلِ! فَيْكَ سِحْرٌ
كَأَنَّهَا نَظْرَةٌ ابْتِهَالِ	لَمْ تَسْأَلِي نَظْرَةً إِلَيْهِ
بِمَائِهِ السُّكْرِ الزَّلَالِ	مَرَّتْ عَصُورٌ وَأَنْبَتَ سَكْرِي
عَلَى اصْطِدَامٍ وَفِي اقْتِتَالِ	وَمَوْجُهُ مَائِلٌ لَدَيْكَ
بِالْحُبِّ فِيهَا وَبِالْجَمَالِ	وَأَنْتِ مَنْصُورَةٌ تَسَامَتِ
وَحَسْنُهَا عَبْدُهُ الْمُوَالِي!	فَالنِّيلُ عَبْدٌ لَهَا حَبِيبٌ

مدينة الفن! خبريني
مدينة النور! أي نور
كم متحفر فيك من عيون
والشمس عند الأصيل حيرى
وتلثم الماء في لبيب
وتخضب الأفق بالأماني
فتطلع العين الحبور صرفاً
من كل ظمآنة لديها
مجددات لنا الأماني
فكم خطاب بلا حديث
وكم حروب بلا قتال
جزائر النيل^١ شاهدات
والشاطئ المستعز زهواً
وكل نور في الماء يجري
عواطف هن شاخصات
النبات والناس والمغاني^٢
ومستطاب النسيم يسري
عواطف هن فائنات
فكل شيء أراه حي
والجو فيه من المعاني

كم شاعر فيك لم يُقال؟
بلا انتهاء ولا انتقال؟
ومن خدود ومن جلال
على ننين وفي اشتعال
كأنه حسرة الزوال
قتيلة الحرب الليالي
شموس حُسن بلا مثال
مناهل الفن والكمال
بلا خضوع ولا تعالي
وكم عطاء بلا سؤال
وكم سلام بلا امتثال
وكم ثبات بلا ثبات
بكل نبت عليه غالي
وإن حسبناه في الظلال
ممثلات بكل حالي
وموج ماء على دلال
كنشوة الحب في خيالي
بلا خدود ولا مجال
وإن تولى فالتوالي
ما يغمر الروح بالنوال!

^١ إشارة إلى الجزر التي تظهر في النيل أمام المنصورة عند انخفاض مستوى النهر.
^٢ المنازل.

يا دُمِيَّةَ النِّيلِ! مَنْ مُعِيدِي
كَمْ مِنْ "مِثَالٍ" لَدَيْكَ يَوْحِي

لِسَاعَةٍ فِيكَ وَابْتِهَالِي؟
لِلشَّاعِرِ النَّادِرِ الْمِثَالِ!

العناق

لَمْ أُنْسَ رَعِشَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْتَمَلْ
قَدْ كُنْتُ كَالطَّيْرِ الْحَبِيسِ مُبْلَلًا
تَتَنَفَّسِينَ بِلَهْفَةٍ، وَكَأَنَّ مَا
يَا لِلْأُنُوثَةِ فِي انْطِلَاقِ جَمَالِهَا
أَفَلْتُ خَادِعَةً، وَمَا أَفَلْتُ مِنْ
وَالطَّيْرِ تُعْجَبُ مِنْ خَدَاعِكَ حِينَمَا
النَّاسُ تَهْرَبُ مِنْ نَوَازِعِهِ كَمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَيَاةَ وَسِرَّهَا
وَالدَّهْرُ يَضْحَكُ مِنْ غِبَاوَتِهِمْ وَقَدْ
هِيَ هَاتِ! مَهْزَلَةُ الْحَيَاةِ ضَنِينَةٌ
مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ زَادِهَا وَرَحِيقِهَا

مَلَأَ الْعِنَاقِ وَفِي انْبِثَاقِ النُّورِ
بَنَدَى عَلَى فَجْرِ مِنَ الْبُلُورِ
تَتَنَفَّسِينَ عَوَاطِفِي وَشُعُورِي
رُوحًا أَضِنُّ بِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ
شَغْفِي، وَقَدْ أَفَلْتُ كَالْعَصْفُورِ
الْحُبُّ بَعَثَ الْعَالَمَ الْمَقْبُورِ
يَتَهَارِبُونَ مِنَ الْجَنَى الْمَسْحُورِ
عَبُّوا، فَمَا فِي الْحُبِّ غَيْرُ طَهُورِ
ظَنُّوا نَعِيمَ الْحُبِّ لِلتَّعْمِيرِ
إِلَّا بِكُلِّ خَدِيعَةٍ وَغُرُورِ
سَيَمُوتُ فِي الْحَرَمَانِ مَوْتَ ضَرِيرِ

الفاكهة المحرّمة

أَيُّهَا الطِّفْلُ! يَا فَوَّادِي! تَمَهَّلْ!
تَعْشَقُ الحُسْنَ حِينَما الحُسْنُ أَلَوَا
أَلْبُلُوبَ مَنْ الجَمَالَ تَرَأَتْ
كَيْفَ لَمْ تَذَرِ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ
هَكَذَا الحُسْنَ مِثْلُ فَاكْهَةِ الجَنَّةِ
هَكَذَا الحُسْنَ أَيُّهَا الطِّفْلُ مَسْجُودٌ
هَكَذَا شَرْعَةُ الأَنَامِ، وَكُلُّ

قَدْ تَمَادَيْتَ فِي الَّذِي قَدْ هَوَيْتَا
نَ، فَيَا مُسْرِفًا بِمَا قَدْ عَشَقْتَا!
كَيْفَ تَهْوَى جَمِيعَ مَا قَدْ رَأَيْتَا؟
وَسَوَاءٌ رَضِيَّتَهُ أَمْ أَبَيْتَا؟
يَغْوِي، وَخَاسِرٌ إِنْ غَوَيْتَا!
نَ، وَفِي سَجْنِهِ يَحَاكِي المِيتَا!
خَادِعٌ نَفْسَهُ حَيَاةً وَمَوْتَا!

صلاة الصبح

غَرْدِي يَا طَيُورُ، إِنَّ صَلَاتِي لِإِلَهِي مِنْ نَفْسٍ يَنْبُوعُ لَحْنِكَ!
أَسْتَبِينُ الأَلْحَانَ كَالْجَدُولِ الْجَارِي، فَهَلْ كَانَ فِي صَلَاةٍ بِفَنِّكَ؟!
مَا أَحَبُّ الْجَمَالَ فِي وَقْفَتِي هَذِي أَمَامَ الأَغْصَانِ وَالْفَجْرِ رَانِي
كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الخَالِقِ حُسْنٌ مُنَوَّعُ الإِحْسَانِ
مَا أَحَبُّ الشُّرُوقَ وَالشَّمْسُ مَا زَالَتْ كَنَعْسَانَةٍ تَعَاْفُ الصَّبَّاحُ
ثُمَّ تَرْمِي نِقَابَهَا فِي شُعَاعٍ وَتَسْتَطِيبُ المِرَاحُ
فَإِذَا بِالْوُجُودِ يَرْنُو إِلَيْهَا فِي اغْتِبَاطٍ كَمَا رَنَتْ لِلْوُجُودِ
وَإِذَا بِالنَّفُوسِ تَخْشَعُ لِلْخَالِقِ مِنْ وَحْيِ نَوْرِهِ المَمْدُودِ

البيت

(على لسان تلميذ)

بَيْتِي، وهل بَيْتِي سوى جَنْتِي؟	فكلُّ ما فيه عزيزٌ حبيبٌ
يَحْنُو، وكم يَحْنُو على مُهْجَتِي	وكلُّ ما فيه عَطوفٌ رَقِيبٌ
مِنْ زَهْرِهِ الباسم، مِنْ عُشْبِهِ	مِنْ مائه العاثرِ فوق الحَصَى
مِنْ طَيْرِهِ العابثِ في وَثْبِهِ	مِنْ كلبِهِ اللاعبِ مثلَ القَطَا
مِنْ كُلِّ نُورٍ أو ظِلَالٍ بِهِ	وكلُّ صَوْتٍ أو سَكوتٍ عميقُ
أستقبلُ الترحيبَ مِنْ حُبِّهِ	والمُحُ الحُبُّ يَشُقُّ الطَّرِيقُ
وأسمعُ أقدامي لها كالصَّدى	مِنْ سَقْفِهِ أو من جدارٍ تحايا
فكلُّ ما حَوْلِي صديقٌ إذا	عبستُ لم يَعْبَسْ وناجى رِضايا!

الصديقان

(على لسان تلميذ)

أولُ الأصدقاءِ في هذه الأرضِ وأبقاهمُ بخيري وسُقْمِي
والدُّ منجِبٌ وأمٌّ إليها وإليه ملاذُّ رُوحِي وجسْمِي
كيف أنسياهما وكيف تراني مُنْكَراً للولاءِ أو للجميلِ؟
أنا قلباهما، وهذي حياتي لهما، وهي للرجاءِ النبيلِ
جاحدُ الوالدينِ ما كان إلا جاحداً ربّه وجاحداً نَفْسَهُ
طائعُ الوالدينِ ما كان إلا عارفاً نَفْسَهُ ومُتَّبِعَ أنْسِهِ

ذكري حافظ إبراهيم

(لمناسبة مرور عام على وفاته)

الذكرُ ذكركَ يا أديبَ النيلِ
يا مُخلِداً للضادِّ في أشعاره
فَنَشْتُ عَنْ قَبْرِ حَنْتَ لِرُكْنِهِ
وَأَقْبَلَ الْحَجَرَ الَّذِي حَرَسَ الْعُلَى
وَأَجَدَدَ الْعَهْدَ الَّذِي أَزَكَبْتَهُ
فَعَيَّيْتُ حِينَ الْمَوْتِ يَنْظُرُ حَائِراً
وَرَجَعْتُ وَالْحَزْنَ الدَّفِينَ يَمْضُنِي
وَأَكَادَ أَفْقَدُ كُلَّ إِيْمَانِي بِمَا
قَدْ عَشْتُ مَحْبُوباً وَمَجْهُولاً كَمَا
فِي بَيْتَةِ أَمْسَى الدَّخِيلُ أَصِيلُهَا

يا شاعراً غَرِداً بِكُلِّ نَبِيلِ
مَجْداً مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّجْمِيلِ
حَتَّى أُبْجَلَ فِيهِ شَعْرَ الْجِيلِ
مَا كَانَ أَجْدَرَ مِنْهُ بِالتَّقْيِيلِ
بِدَمِي لِحَرَمَةِ مَوْطِنِي الْمَغْلُولِ
مَنِّي، وَمِنْ أَلَمِي، وَمِنْ تَأْهِيلِي
وَيُنَالُ مِنْ جَلْدِي وَمِنْ تَعْلِيلِي
فِي النَّاسِ مِنْ خَيْرٍ عَرَفْتُ جَزِيلِ
قَدْ مُتَّ مِثْلَ الْفَاتِحِ الْمَجْهُولِ
وَعَدَا الْأَصِيلُ بِهَا أَذْلَ دَخِيلِ

يا أَوْحَدَ الْفَصْحَاءِ فِي تَبْيَانِهِ
قَدْ كُنْتَ تُفَتِّنُ بِالْجَمَالِ وَهَذَا أَنَا
وَطَنُ الْعَبَاقِرَةِ الَّذِينَ تَفَنَّنُوا
لَمْ يَجْهَدُوا، وَلَيْسَ يَجْهَدُ (حَافِظاً)
أَبْنَاؤُهُمْ مِلَّةَ الزَّمَانِ تَوْبُخاً
ذَكَرُوا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّمَا
وَدُّوكَ حَلِيَّةَ ثَغَرِهِمْ، فَلَطَالَمَا

خُذْ مِنْ رِثَاءِ الْحَبِّ كُلِّ جَلِيلِ
أَرْتِيكَ فِي بِلَدٍ عَشِيقَتْ جَمِيلِ
فَتَأْلَهُوا بِالسَّحْرِ وَالتَّنْزِيلِ
مَنْ عَبَّ يَوْماً مِنْ رَحِيقِ (النَّيْلِ)
وَالْفَرْدُ مِنْهُمْ فِي مَقَامِ قَبِيلِ
يَنْسَاكَ أَهْلُ الْبَغْيِ وَالتَّضْلِيلِ
حَفَلُوا بِشَعْرِكَ قَبْلَ كُلِّ نَزِيلِ

نَمْ يَا أَخَا الْبُؤْسَاءِ نَوْمَةً هَانِيً
نَفْسٌ كَنَفْسِكَ لَنْ تَرَى النُّعْمَى لَهَا
زُمَرٌ بِأَذْهَانِ الْقَطَا وَشُخُوصُهُمْ
لَفَظُوا حَقُوقَ النَّابِغِينَ وَإِنْ بَكُوا
يَبْكُونَ مِنْ فَرَطِ الذَّهُولِ وَلِيَتَّهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ وَفَاءَهُمْ
حَتَّى إِذَا ثَابُوا إِلَى أَحْلَامِهِمْ

لِللَّهِ أَعْوَامٌ مَضَتْ لَمْ أَنْسَاهَا
وَمَا أَقِفُ لَكَ عُلْمُتَنَا أَنْ نَرَى
يَا لَيْتَ دَرَسَكَ لَمْ يَغِبْ فِي أُمَةٍ
تَنْسَى عِظَاتِ الدَّهْرِ وَهِيَ شَوَاخِصٌ
وَالدَّهْرُ خَيْرٌ مُؤَدَّبٍ، فَإِذَا شَكَ
مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ

أَبْنَاءُ مِصْرَ: بَنَاؤُهَا وَرَجَاؤُهَا
هَرَعُوا لَذِكْرِكَ، فَلْتَطَبَّ بِوَفَائِهِمْ

فَالظِّلُّ بَيْنَ النَّاسِ غَيْرُ ظَلِيلٍ
فِي بَيْئَةِ التَّهْرِيجِ وَالتَّدْجِيلِ
مَنْ كُلِّ ضَخْمٍ فِي تَخْطَرِ فِيلٍ
يَوْمَ الرِّحِيلِ، وَكَمْ بَكُوا لِرَحِيلِ
لَبِثُوا عَلَى نَدَمٍ وَفَرَطٍ ذَهُولِ
بَعْقُولِهِمْ، لَوْ أَنَّهُمْ لَعَقُولِ
تَرَكُوا النُّبُوغَ يَمُوتُ مَوْتَ ذَلِيلِ

يَوْمًا، فَأَنْسُكَ رَاحُ كُلِّ خَلِيلٍ
مَعْنَى الْحَيَاةِ فَكُنْتَ خَيْرَ رَسُولٍ
ظُمَايَ إِلَى التَّكْرَارِ وَالتَّفْصِيلِ
وَتَحْنٌ لِلْأَوْهَامِ وَالتَّخْيِيلِ
مَنْ فَسَخَطُ الدَّهْرِ غَيْرُ ضَيْلِ
وَهُوَ السَّلِيمُ يَعِيشُ عِيشَ عَلِيلِ

وَضِيَاؤُهَا فِي فَجْرِهَا الْمَأْمُولِ
رُوحًا، وَغِبَّ كَكُنُوزِ وَادِي النِّيلِ!

الشمس الغريقة

أَرَى الشَّمْسَ قَدْ سَقَطَتْ فِي الْعُبَابِ
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَهَبُ الْمُسْتَنَارِ

فَمَا بِأَلْهَا الْآنَ لَا تَنْطَفِئِي؟
عَلَى الْمَاءِ مِنْ وَقْدِ رُوحِ خَفِي؟

أَفِي الْمَاءِ نَجْوَى فَوَادِي الْحَزِينِ
وَأَيُّ لَظَى فِي صَمِيمِ الْمِيَاهِ

وَقَفْنَا عَلَى الْيَمِّ عِنْدَ الْغُرُوبِ
فَأَسْمَعْنَا الْمَاءَ صَوْتَ الشَّجِيِّ
وَقَدْ عَثَرْتُ فِي خِيوطِ الضِّيَاءِ
فَأَشْعَلْتُ الْبَحْرَ مِنْ سَحَرِهَا

وَفِي لَحْظَةٍ غَابَ ذَاكَ اللَّهَبِ
فِيَا عَجَباً لَصُرُوفِ الْقَدَرِ
فَمَا هُوَ فَإِنْ نَرَاهُ خَلَدُ
وَقَدْ جَنَحْتُ مُهْجَتِي لِلطَّرَبِ

وَحَانَ الْوِدَاعُ وَكَمْ فِي الْوِدَاعِ
فَلَا حَتَّ لِفَاتِنَتِي عَابِرَةٌ
وَقَدْ رَأَتْ الشَّمْسُ مَرَأَى الْفَنَاءِ
فَرِيَعَتْ لِمَصْرَعِنَا الْآدَمِيِّ

يُنَاجِي الشِّفَاءَ فَمَا يَشْتَفِي؟
سِوَى الْحَبِّ يَغْزُو وَلَا يَكْتَفِي؟!

وَكَمْ فِي الْغُرُوبِ أَسَى لِلْقُلُوبِ
وَرَفَّ عَلَى الثُّورِ رُوحُ الْكَنْيَبِ
فَتَاةَ السَّمَاءِ بِمَوْجٍ عَجِيبِ
وَمَا سَحَرُهَا غَيْرَ رُوحِ الْأَدِيبِ!

وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ لَا يَغِيبُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْءٌ عَجِيبُ
وَمَا هُوَ بَاقٍ بِسِحْرِ يَذُوبُ
كَأَنَّ السُّرُورَ وَلِيْدُ الْكَنْيَبِ!

بِمَاءٍ تُرَاقُ وَعُمْرٌ يُضَاعُ
عَلَى خَدَّهَا كَلْظَى فِي شُعَاعِ
وَقَدْ غَرِنْتُ وَهِيَ رَبُّ يُطَاعُ
وَهَذِي الْأُلُوهَةُ تَلْقَى الصُّرَاعُ!

جسر الأحلام

عَبَرْتُ عَلَيْكَ يَا جِسْرَ الْأَمَانِي
فَجَزْتُ إِلَى مَدَى حُلْمٍ عَمِيقِ
وَلَكِنْ مِنْ صَمِيمِي مُسْتَمَدٌّ

وَيَا جِسْرَ التَّخْيِيلِ فِي غَرَامِي
وَمَا حُلْمِي كَأَحْلَامِ الْأَنَامِ
وَمِنْ خَلْفِ الْمَرَائِي وَالْمَرَامِي

وَمَنْ يَظْفَرُ بِهَذَا الْحُلْمِ أَوَّلَى

بِهِ مَرَحُ التَّفَاوُلِ وَالتَّسَامِي

وَأَلْفَنَّا التَّجَاوُبُ فِي الْأَمَانِي
كَلَانَا نَفْسُهُ الْحَيْرَى بِحَرْبِ
تَسَاقِيَتِنَا الْهَوَى صِرْفاً وَكَانَتْ
وَمَنْ لَا بُدَّ يَرْتَشِفُ الْمَنَايَا
فَلَمَّا أَدْرَكَتْ حُلْمِي وَرُوحِي
أَبَتْ أَنْ نَغْتَدِي فِي الدَّهْرِ وَهْمَاً

وَجَمَعْنَا التَّبَسُّمُ لِلْسِقَامِ
وَبَعْضُ الْحَرْبِ مِنْ رُوحِ السَّلَامِ
تَهَابُ الْكَأْسِ مِنْ هَذَا الْمَدَامِ
أَيَخْشَى الْكَأْسِ مِنْ رَاحِ الْغَرَامِ؟
وَأَنَّ الْحِظَّ نَهَبَ لِقَتْسَامِ
مِنَ الْأَوْهَامِ أَوْ بَعْضِ الْحَطَامِ

المومياء

أَسِيرٌ وَكَمْ أَرَى فِي النَّاسِ حَوْلِي
كَأَنَّ السَّحَرَ جَدَّدَهُ وَلَكِنْ
فَأُبْصِرُ فِيهِ صُورَةَ أَدَمِي
فَهَلْ رَحَلَ الْوَرَى مِنْ مِصْرَ حَتَّى
وَلَكِنْ الْفَنَاءُ يُطِلُّ مِنْهُمْ

أَسِيرًا حَالُهُ كَالْمُومِيَاءِ!
يَلُوحُ بِهِ التَّعَمُّقُ فِي الْفَنَاءِ
وَمَا أَلْقَى بِهِ مَعْنَى الرَّجَاءِ
رَأَيْنَا الْمَيِّتَ يَرْجِعُ لِلْوَفَاءِ؟
وَأَهْلُ الْأَمْسِ مِنْ أَهْلِ الْبَقَاءِ!

صورة

أَمِنْ صَمِيمِ الْهَوَى أَمْ رُوحِ دَيَّانٍ
يَا صُورَةَ مِنْ مَعَانٍ كُلِّهَا طُرْفُ
إِنِّي فَقِيرٌ إِلَى الْأَمَالِ أُرْشَفُهَا

هَذَا الْخِيَالُ الَّذِي وَافَى وَحْيَانِي؟
أَهْلًا بَعَطْفَ حَبِيبٍ مِنْكَ وَاسَانِي
مِنْ صَمْتِكَ الْعَنْبِ أَوْ مِنْ ظِلِّكَ الْهَانِي

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِأَغَارِيدِ أَرْثَلِهَا هَذَا الْجَمَالُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَلْحَانِي!

بعثتَ رسمَكَ في وشي الصَّبَا نَضِيراً
ما كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَشْبَعْتَنِي قُبْلاً
أَوْ كَانَ ضَرْكَ لَوْ بَادَلْتَنِي صُوراً
كَانَتْ أَحَبَّ إِلَى نَفْسِي وَإِنْ ظَمِئْتُ
وَاهِأْ عَلَيْنَا وَرَاحُ الْحُبِّ دَانِيَةً
لَا يَنْضُرُ الْحُبُّ إِلَّا مِنْ مِبَادِلَةٍ
وَاللَّصْبَا فِي الْمَعَانِي جَمُّ أَلْوَانِ
فَإِنَّهَا صُورٌ مِنْ رُوحِكَ الْهَانِي؟
مِنَ الْحَنِينِ فَخْمَرُ الْحُبِّ إِيْمَانِي؟
مِنَ الْخِيَالِ وَإِنْ نَاجَاهُ وَجْدَانِي
فَنَكْتَفِي بِشَذَى الْحُبِّ رُوحَانِي
فَالْحُبُّ نَشْوَةٌ أَرْوَاحٍ وَأَبْدَانِ

تنأحر الأضداد

كم أَمَلًا الدُّنْيَا ثَنَاءً أَوْ رِضًى
وَأَنَا الَّذِي أَحْيَا الزَّمَانَ شَقَاوَةً
أَحْيَا بِكُلِّ دَقِيقَةٍ تَمْضِي كَمَا
غَنَيْتُ أَضْعَافَ الَّذِي أُعْطِيتُهُ
كَمْ مِنْ هُمُومٍ قَدْ طَرَحْتُ تَوَجُّعِي
وَوَجَلْتُ مِنْ بَنَى الْقَلِيلِ كَأَنَّمَا
أَنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ لَكِنَّمَا
عَنْ لَحْظَةٍ لِلْأُنْسِ وَالْإِسْعَارِ
فَأَعُودُ أَغْفِرُ شَقَوَتِي وَجِدَادِي
أَهْبُ الْحَيَاةَ رَجَاءَهَا بِفَوَادِي
حَتَّى حُسِبْتُ الْمُسْعَدَ الْمُتَهَادِي
مِنْهَا وَطَوَّلَ تَحْرِقِي وَسُهِادِي
عَصَفُ الرِّيحِ يَطِيبُ لِلْأَطْوَادِ
قَتَلَ الْجَمَالَ تَنَاحَرُ الْأَضْدَادِ

في المنفى

نَعَمْ مَنْفَايَ أَشْعَارِي
أَعِيشُ بِهَا عَلَى حِدَّةٍ
وَمَلَقَى النُّورِ وَالنَّارِ
وَنَفِيسِي عِيشُ أَحْرَارِ

حياة ما لها أمدٌ
أسجل كل ما حولي
حزيناً، ساخطاً، مَرِحاً
أعيش بكل معنى العيـ
كأنني مُذْ وَلِدْتُ حَيـ
أبادل ما حواه الكو
فلا هو دأني أبداً
وإن عبـد الجمال به
وَمَنْ يحيى بهذا النَّفـ
ولم يعبأ بتمجيد
يعيش لغيره أبداً
فهذي نفسي الكبرى
تتأعت في مجاهلها
ولم تسفر لقارئها
وَمَنْ يحيى حياة العُشـ

على سفرٍ وأخطارٍ
وأخلق حلم أقدارٍ
عتياً، غير جبارٍ
ش حين أنا به الزاري
ست في يقظاته قهـارٍ
نُ إحيائي وأنظاري
ولا أنا عبده الجاري
فؤادي شـبه مختارٍ
ي لم يحفل بأوطارٍ
وإن يعبأ بإيثارٍ
وإن لم يحظ بالغارٍ
إذا أرضاك إصغاري
ومنفاها بأشعاري
إذا لم يقبل القاري
سب لم يظفر بأغواري!

جَوَّالِقَاء

أودّ ألقاك لكن ملء عاطفة
أيام كان الهوى ديناً يُدانُ به
لا تسألني شاعراً إلا عواطفه

بلا حُدود وفي ماضٍ من الحقب
في الجدِّ والدأب أو في اللّهُو واللعب
فإنها هي ذخري وهي مُنتَهبي

أودُّ ألقاك، لكن حين أنظرُ لا
دعي جنانك للأيام تغبده
أودُّ ألقاك في سُكرٍ وفي لهوٍ
فنشتفي بالهوى مما يُعذبنا
أودُّ ألقاك والأقدارُ غافلة
فلا أراك على خوفٍ ولا حذرٍ
بل كلُّ ما فيك أشواقٌ موجَّبةٌ

ألقى بعينيك إلا الحبَّ ينعمُ بي
وناولينني فؤاداً عاشقاً أدبي
وفي تطلُّعِ طفلٍ أو مراحِ صبي
من الحياة، وكم في البرِّ من لهبٍ
وأنت وثابةٌ كالخمرِ والحبِّ
ولا أراك على يأسٍ ولا غضبٍ
وكلُّ ما فيك ألوانٌ من الطربِ

الوداع الدائم

للعقل أن يُعنى بروعةِ ذهنك
أمّا أنا فأراك سرّاً غامضاً
لا تحسبيني سوف أسأمُ بعدما
ما كان مثلي من يحقق ريه
سأعيش أرتشفُ الجمالَ مُنوعاً
فأظلّ حين تذوّقي جدواك لي
لهفي على الأيام تمضي بينما
لو أننا ندري جعلنا عُمرنا

والفن أن يُعنى بقوةِ فنك
أهواه مصبوبَ المنى من دنك
أستافُ روحك في وصالٍ طالاً
وصلّ، ولو جعلَ الحياةَ وصالاً
- إن شئت - منك حقيقةً وخيالاً
ألقاك حلماً واقعاً ومُحالاً
ننسى المخبأ من ردى الأيام
عُمرَ الوداع فكان عُمرَ غرام

ساعة الأحياء

الآن أرفعُ للجمالِ صلاتي
وأقبلُ النورَ الذي في لثمه
مُرِّي! تَعَالِي يَا نَمَازَجَ وَحْيِهِ
سِيرِي على شطِّ الخليج^١ فعنده
سِيرِي موزعةً على أنفاسِنَا
مِنْ جِسْمِكَ المَمْوُجِ الخَفَاقِ مِنْ
أَرْنُو فَيُسْكَرْنِي تَمْوُجُ ضَوْئِهِ
وَتَرْتَبُّ الرُّوحَ الجميلِ كَأَنَّمَا
وَأودَّ أَرَسْمُهُ فيُعْجِزُ لَوْنُهُ
تَتَجَرَّدِينَ وَمَا التَّجَرُّدُ ضِلَّةٌ
مَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِيهِ لَمْسُكَ عَنْ هَوَى
أَوَّلَسْتَ أَلْهَةَ الفَنُونِ جميعها
وَالْبَحْرُ حُضْنٌ للطبيعةِ عندما
سِيرِي بِنَاتِ الْبَحْرِ! أَنْتِ فَنُونُهُ
وَتَخْطُرِي وتمهَّلِي في ساعةٍ

وأذوقُ أَحْلَى الحُلُمِ ملءَ حياتي
هذا الجمالَ يُطِيلُ مِنْ قُبَلَاتِي
في لَوْنِكَ الخَمْرِيِّ بالنفحاتِ!
حَجُّ الجمالِ يَنْوِبُ عَنْ عِرْفَاتِ
مَا شِئْتُ مِنْ رُوحٍ وَمِنْ آيَاتِ
حُسْنٍ، وَمِنْ حُبٍّ، وَمِنْ لَذَاتِ
وَتَمْوُجُ التَّعْبِيرِ فِي الْخَطَرَاتِ
أَلْقَاهُ أَلْوَاناً تُنِيرُ صِلَاتِي
لَوْنِي، وَيُفْحَمُ صَمْتُهُ كَلِمَاتِي
فَكَفَاكَ أَنْ تُحْيِيَ الجمالَ بِذَاتِي
إِلَّا هَوَى الْفَنِّ الجميلِ الْعَاتِي
حِينَ الْقُلُوبُ لَدَيْكَ كَالْمَرَاةِ
ضَمَّتْكَ فِي شَفَفٍ وَفِي بَسَمَاتِ
وَوَرِثْتَ مِنْهُ لَنَا أَحَبَّ صِفَاتِ
هِيَ نِعْمَةُ الْأَحْيَاءِ فِي السَّاعَاتِ

^١ خليج استانلي بالإسكندرية.

المغيب

الشمسُ يَخطفها المغيبُ وقرصُها
فكأنه قلبُ المحبِّ إذا ذوى
خطفَ المغيبُ حياتها بحياته
إنَّ الأنوثةَ حين تمنح رُوحها
هاتي وقد حان الوداعُ ذخيرتي
فإذا لثمتُك كان غنمي كلَّ ما

في روعةِ والنورِ فيه يرفُ
عند الفراقِ فرفاً وهو يجفُ
فغدا المساءُ محملاً أسراراً
للخاطفين تُضاعفُ الأعماراً
مِنْ رُوحك الدِّفاقِ بالإحسانِ
أودعتُ من حُسنٍ ومن ألحانِ!

حدائق بابل

حدائقُ بابلٍ قد عُدتْ فينا
نُسِختْ فصرتْ أكشاك الغواني
يَطوفُ بكِ الجمالُ على فنونٍ
غوانٍ للفتون مجرّداتُ
أبين السّترِ إلّا حيث أمسي
ومِنْ عَجَبٍ يُنلن على امتثالٍ
فنجنني كلَّ معنىٍ بابليٍّ

كما عاد الهوى آلافَ ضِعْفٍ
على بحرٍ وجُرّتْ أحبُّ قصفٍ
من الأوصافِ تُعجز كلَّ وصفٍ
تصونُ الفنَّ في رَشْفٍ وقطفٍ
من الإغواءِ يُبدي حين يُخفي
مُنَى النظراتِ في مَنحٍ وخطفٍ
بلطفٍ حين يغمرنا بعنفٍ!

الأمواج

(عند خليج استانلي)

دُنِيَا الْغَرَامِ وَمَسْرَحَ الْأَحْلَامِ
الْعَامُ مَرَّ وَهَذَا أَنَا فِي عَوْدَتِي
خُبِّرْتُ فَاخْتَرْتُ الْمِيَاهَ مَثَابَةً
وَجَعَلْتُ مَوْجَ الْبَحْرِ مَرْكَبَكَ الَّذِي
الْمَاءُ أَوْلَى بِالْجَمَالِ فَطَهَّرَهُ
أَلْقَيْتُ عِنْدَ هَدِيرِهِ وَنَثِيرِهِ
وَجَلَسْتُ عِنْدَ الشَّطِّ أَجْمَعُ غَانِمًا
مِنْ كُلِّ جِسْمٍ فِيهِ مَا يَهْبُ الصَّبَا
فِي ضَجَّةٍ قُدْسِيَّةٍ، وَصَبَابَةٍ
صُورُ التَّهَافُتِ وَالتَّبَاعُدِ وَالرُّضَى
الشَّمْسُ تَنْهَبُ مِنْ بَدِيعِ رَوَائِهَا
وَالْعَيْنُ تَنْبِهَ مِنْ بَدِيعِ رَوَائِهَا
أَهْلًا عَذَارَى الْبَحْرِ! هَلْ غَيْرِي الَّذِي
خَلَّى فَوَادِي الْمُسْتَطَبِّ وَخَاطِرِي
يَسْتَوْحِيَانِ مِنَ الظَّلَالِ مَنَاعِمًا
أَبَدِيَّةً مَا أَخْفَيْتُهُ، وَكَأَنَّ مَا
فَالآنَ يَسْجُدُ لِلْجَمَالِ حَفِيَّةً
وَأُطِيلُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْكَ كَأَنِّي
وَالْحَسَنُ إِنْ رُزِقَ الْحَنَانَ فَإِنَّهُ

مُرِّي بِأَطْيَافِ الْجَمَالِ أُمَامِي!
مَا زِلْتُ فِي شَغْفِي وَفِي أَحْلَامِي
لِلْحُسْنِ وَاخْتَرْتُ الشَّبَابَ الظَّامِي
يَرْقَى وَيَهْبِطُ فِي حُبُورِ غَرَامِي
يَفْتَرُّ بِالْإِشْعَاعِ وَالْإِلْهَامِ
سَقَمِي فَبَدَّدَ لَوْعَتِي وَسَقَامِي
حَظًّا تَنْزَهُ عَنْ أَذَى وَمَلَامِ
لِلْكُونِ مِنْ مَلَكُوتِهِ الْبَسَّامِ
عُلُويَّةً، وَتَعَثُّرٍ وَتَسَامِي
وَالْهَجَرِ فِي حَرْبٍ وَفِي اسْتِسْلَامِ
كَالْبَحْرِ فِي مَنْثُورِهِ الْمَتْرَامِي
مَا لَا يَمُرُّ بِخَاطِرِ الرِّسَامِ
يَدْرِيكَ فِي صُورٍ وَفِي أَنْغَامٍ!
يَتَنَاقَشَانِ بِلَهْفَةٍ وَأَوَامِ
وَمِنْ اضْطِجَاعِكَ جَنَّةَ النُّوَامِ
أَبَدِيَّةً كَالْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ
وَيَعُودُ يُفَتِّنُ ذَلِكَ الْمُتَعَامِي
أَخْشَى الظَّلَامَ مَتَى لَقِيتُ ظَلَامِي
يَرْعَى الْقُلُوبَ رِعَايَةَ الْإِيْتَامِ!

وداع البحر

(قالها الشاعر قبيل الشروق من مرتفع فندق وندسور وهو يغادر الإسكندرية)

وداعاً أيها البحرُ الجميلُ
سبقتُ الشمسَ في مَرَاكِ حتى
أودعُ هذه الأمواجَ تحوي
وهذا الجوَّ مريداً ولكنْ
وهذا القوسَ من صخرٍ وسداً^١
وما تحكي القواربُ وهي حيرى
فكم في الليل يُشغلها التناجي
وأسرَابُ المفاتنِ للغواني
نحيبها وكم فيها نحيبي
نظَلْ نحوم حول السحرِ فيها
ونُقْهَرُ بالخيالِ وبالأمانِ
وداعاً أيها البحر الموالي
وداعاً! هذه اللحظاتُ تمضي
وهل يقف الزمانُ لأجل حُبٍ
وداعاً! إنني أمضي لذلي
وما ذلِّي لنفسي، إنَّ ذلِّي
جفتني الأربعون^٢ وقد رأتني
أجود، وكم أجودُ بكلِّ نفسي

فإن المكثَّ ليس له سبيلُ
يفوت الشمسَ ما بثَّ العليلُ
سطوراً كلُّها شعرٌ جميلُ
يُطلِّ وراءه الخلقُ النبيلُ
كحُضْنِ للمدينةِ يستطيلُ
لما تروى النجومُ وما تقولُ
متى سَفرْتُ ويُرقصها الهديلُ
وكلُّ عندها مُلكٌ جليلُ
معاني لا تُتَّالُ ولا تُنيلُ
وبعضُ السحرِ ليس له مثيلُ
على ظمأٍ كما يظما القليلُ
إذا هجر المحبُّ لك الخليلُ!
سراعاً والغناءُ بها عويلُ
وإنَّ صَحبَ الغرامِ المستحيلُ؟
مطيعاً، والذليلُ هو الذليلُ
لقومي، فالمحبُّ لهم دخیلُ
أجود لينعم الوطنُ البخيلُ
فُتْجَحَدُ لي الضحيةُ والجميلُ

^١ شارع الكرنيش.

^٢ ما مر من عمر الشاعر.

ويمرحُ في الذي أُسديه غرُّ
بلادُ حُبُّها بدمي أصيلٌ
وليس بحُجةٍ إنصافُ فردٍ
أفرُّ من الجمالِ ومنه رُوحِي
إلى حيثُ العذابُ يحزُّ قلبي
وداعاً أيها البحرُ الموافي!

ويطعنني المغرُّ والثقلُ
وإن يُخذلُ بها الحرُّ الأصيلُ
وفردٍ حين يُضطهدُ القبيلُ
إلى حيثُ الكفاحُ هو الزميلُ
فأحتملُ العذابَ ولا أميلُ
ووالهفي وقد حان الرحيلُ!

على الشاطئين

(شاطئُ الجمالِ وشاطئُ الخيالِ)

أزِفَ البينُ يا نجيَّةَ رُوحِي
جَنَّةُ الحُسْنِ تلكَ عزَّزَها اللهُ
وسواها من روعةِ الفنِّ صارتُ
جَنَّتَا السَّحَرِ أنتِ يا مَنْ إليها
خضعَ البحرُ والعواطفُ للخلـ
وأنا الملهمُ الذي ضَمَكُ الآ
كلُّ جُزءٍ مِنِّي حياةٌ تسامتُ
لم أقبلَهما بغيرِ حنانٍ
ألفُ قلبٍ وألفُ عينٍ لمثلي

و "مثالي" ويا جَنَى الجَنَّتَيْنِ
تعالَتْ عن كلِّ عَيْبٍ وشَيْنِ
في غِنَى عن مديحِ ربِّ وزَيْنِ!
يتناهى فَنِّي ويحمَدُ دَيْنِي
قِي، وكلُّ يراكِ في نشوتينِ
نَ لِيَبْقَى لَدَيْكَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِ!
وتناهتْ إِلَيْكَ في السَّاعِدَيْنِ
دافقٍ مِنْ صميمِ قلبي وعَيْنِي
في وداعٍ يَنالُ مِنْ نَعْمَتَيْنِ!

وتيقَّظتُ من جُنُونِي وأحلا
ولقيتُ الوداعَ في حسرةِ الهجـ

مي، فكان الجنونُ في الشاطئينِ!
ر وناري في لُجَّةٍ من لُجَيْنِ!

تباريح

بحسبي أن أرى الماضي خصيمي
وكيف يُعَدُّ مَيِّتاً وهو حيٌّ
هو أجسُ نفسي الحسرى أمامي
صدى الأمسِ البعيد فأيُّ صوتٍ
حنيني للذي ولّى وأمسى
حبيبي وهو في آنٍ خصيمي
فكيف تلومني والأمسُ ذاتي
وإن صُغْتُ الرثاءَ له فإنّي
وليس المرءُ إلا من زمانٍ
فنفنى بالتدرُّج بين صدقٍ
وكم من هاتفٍ حولي لماضٍ
دَعَوُهُ "الشعر" وهو صميمُ نفسي
فكم من ميّتٍ من صفوِ عمري
أسأله فيهرب من سؤالي
غريبان استطابا للتّناجي
وقد كانا شقيقين، ولكن
لقد أصبحتُ لا شيءَ سوى ما
وبين الأمسِ والغد كلُّ حيٍّ

وإن يكُ قد تَصَرَّمَ مِنْ وَجودي
أحسُّ به كطيفٍ في الوجود؟
وإن أكُ عاجزاً عن صِدْقٍ وَصْفٍ
لذاك الأهمسِ كان؟ وأيُّ قِصْفٍ؟
حبيبي وهو جزءٌ من كياني
فكم من لوعةٍ فيه أعاني
فإن أحببْتُها أحببتُ أمسي
لأرثي بعضَ نفسي عند نفسي؟
وأحداثُ الزمانِ إلى الفناءِ
ووفهم في الحنين وفي الرجاءِ
بأسرارِ العواطفِ والخيالِ
تناجيني بمقبرة الليالي!
يُطلُّ عليّ بالأحلامِ دوماً
وإن أكُ مثله أظمأ ويظمأ
ظلامَ الليل والأشخاصُ تخفَى
هو الزمنُ الذي لم يُبقِ إلّفاً
يُمثِّله حنينٌ أو رجاءُ
سيفنى حين يبتسمُ الفناء!

بكائي الصامت

أثرُ الفجیعةِ فی حَشَايَ وحُرقتي
وأشدُّ ما لاقى التَّفَجُّعَ مُفْعَمٌ
يا ليتني كنتُ الذي بذلَ الأسي
فأقولُ قولَةَ هاني، مهما يكنُ
نزفَ البكاءِ دموعَ عَيْنِكَ فاستعزُ
مَنْ ذا يُغیركَ عَيْنَهُ تبكي بها؟!

دمعٌ يجفُّ فقد أَبَتْهُ النَّارُ
بالحزنِ ليس لعينه استعبارُ
من دَمْعِهِ ما صاغتِ الأشعارُ
متفجَّعاً فلدى الدموعِ الثَّارُ¹:
عيناً لغيركَ دمعُها مدرارُ
أرأيتَ عيناً للبكاءِ تَعَارُ؟!

بلادي

بلادي! بلادي! أنتِ في كلِّ حالةٍ
حرامٌ رجاءُ المنطقِ الصدقِ صادقاً
يُحاربُ فيكَ الفضلُ والنُّبلُ بينما
طُبِعَتْ عَلَى الحُبِّ الذي قد بذلته
فجوزيتُ بالأيلامِ من كلِّ عاثرٍ
كأنَّ الجميعَ استوثقوا مِنْ محبتي
وما أنا في نفسي لأطمحَ مَرَّةً
ولكن طُمُوحِي للديارِ التي لهُ
ولا بأسَ لي إلا ضميري ومبدئي
وأكبرُ ذنبي همةٌ ما تراجعَتُ

بلادي، وإن لم تَعْبئي برغائبي
لديكَ، حرامٌ يا بلادَ العجائبِ!
يُجَدُّ فيكَ النقصُ مِنْ كلِّ جانبٍ
لمجدِكَ حينَ الحبِّ غايةُ خائبٍ
أغثتُ، وبالحُرمانِ مِنْ كلِّ صاحبٍ
وغالوا ببأسي مُذْ تغالتِ مَطالبي
لأكثرَ مِنْ عيشي بعزلةٍ راهبٍ
حنيني، وإن باتتِ ديارَ المصائبِ
ولا مجدَ لي إلا خلوصَ مواهبي
فلن يُرهبَ الإيمانُ أقسى العواقبِ!

¹ البيتان التاليان للعباس بن طلحة.

النفوس المريضة

(من رسالة)

وَنَفْسِي الَّتِي تَهْوَى حَيَاةً بَعِيدَةً
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى الشَّهْمَ فِي الْوَرَى
شُغِلْنَا بِأَمْرَاضِ الْجَسُومِ وَعِنْدَنَا
لَقَدْ قَالَ فِيهَا شَاعِرُ الدَّهْرِ حُكْمَهُ
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَى
عَنِ الْحَقِّ وَالْآلَامِ وَالْكِدِ وَالْعِدَى
طَعِيناً لِمَنْ أَعْطَى الْحَيَاةَ لَهُمْ فِدَى
نَفُوسٌ بِأَمْرَاضٍ تَجَاوَزَتْ الْمَدَى
فَرَدَّدَهُ الدَّهْرُ الْحَكِيمُ وَأَيَّدَا:^١
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
مُضِرُّ كَوْضَعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

يوم الوداع

يَوْمَ الْوَدَاعِ أَرَاكَ يَوْمَ وَدَاعِي
جَلَسًا وَمَائِدَةَ الْغَرَامِ تَقَدَّسَتْ
وَهَوَى عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ مِثْلَمَا
ضَمَّ الْيَدَ الْمَعْبُودَةَ الضَّمَّ الَّذِي
إِنْ كَانَ أَخْفَى فِي الْخُشُوعِ جَبِينَهُ
فَالدَّهْرُ رَوَّعَهُ الْمَصَابُ وَإِنْ يَكُنْ
وَأَشَاحَتْ الْوَجْهَ الْحَزِينَ كَأَنَّمَا
قَدْ دُقَّ نَاقُوسُ الْوَدَاعِ فَوَدَّعَتْ
قَدَرٌ يَسُودُ، وَكَمْ يُرَى لَغْبَائِهِ
لِلْحُبِّ وَالْأَحْلَامِ وَالْأَطْمَاعِ
بِالزَّهْرِ وَالْأَثْمَارِ وَالْإِشْعَاعِ
يَهْوِي الْيَتِيمُ عَلَى الْحَنَانِ الدَّاعِي
فِيهِ الْفَجِيعَةُ أَوْ شُعُورُ النَّاعِي
وَالْحَزَنُ يَقْتُلُهُ بِقَسْوَةِ وَاعِي
الْمُذْنِبِ الْبَاغِي الْخَوْنِ السَّاعِي
رَغَمَ السَّكُونِ تَتَوَدَّدُ لِلْإِزْمَاعِ
بِالصَّمْتِ يَخْجَلُ مِنْهُ يَوْمُ وَدَاعِ
يَأْبَى الْجَنُوحَ بِرَحْمَةِ الْمُتَاعِ

^١ البيان التاليان للمتنبي.

وَالْفَنُّ خُلِدَ حُكْمُهُ فِي صِمْتِهِ
مَأْسَاةُ هَذَا الْكَوْنِ أَوْلَى أَنْ تُرَى
حَتَّى يَنَالَ الثَّارَ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى
حَتَّى يَعِيشَ أُولُو الضَّحِيَّةِ عِنْدَهُ

كَالْمَوْتِ يُرْسِلُهُ وَرَاءَ قَلَاعِ
فِي الْفَنِّ بَيْنَ الْخُلْدِ وَالْإِبْدَاعِ
دُنْيَا الْجَنُونِ وَمَسْرَحِ الْأَوْجَاعِ
شُهَدَاءَ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

مصر الحية

عَيْنَاكَ مَا اكْتَحَلَا وَمَا عَرَفَا السَّوَادَا السَّاحِرَا
إِلَّا وَفِي مَرَاهِمَا خَصْبٌ يُغْذِي الشَّاعِرَا
يَا بِنْتَ مَضَرَ أَنَا الْمَدِينُ إِلَيْكَ بِالْحَبِّ الْمَقِيمُ
وَعَشَقْتُ سُمْرَتَكَ الَّتِي تُشْتَقُّ مِنْ وَطَنِي الْوَسِيمُ
أَنَا عَالِمِي فِي شُعُورِي، فِي جَنَانِي، فِي الْغَرَامِ
لَكِنِّي أَلْقَاكَ أَسْمَى مَا يُحَبُّ وَمَا يُرَامُ
قَدْ سَاءَ حَوْلِي كُلُّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ مَوْتِي الْحَيَاةُ
جُئْتُ وَأَشْبَاحُ وَأَطْيَافُ الْعُتَاةِ مِنَ الْجَنَاهُ
وَمَهَازِلُ لِلصَّبَاغَرِينَ، الطَّاعَنِينَ الْمُنْقِذِينَ
الْعَلَابَثِينَ الْأَثْمِينَ إِلَى الْأَبْوَةِ وَالْبَنِينَ
يَا بِنْتَ مَوْطَنِي الْحَبِيبِ وَرَمَزَهُ لِلْأَوْفِيَاءِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ لِلْمَحَبَّةِ وَالطَّهَارَةِ وَالرَّجَاءِ

العيون الحزينة

شَغِلَ الصَّحَابُ بِهَا: فَمِنْ مُتَهَلِّلٍ
أَمَّا أَنَا فَجَعَلْتُ أَرْقَبُ لِحَظَهَا
أَرْنُو بِرُوحٍ لَيْسَ يُشْبِعُهَا غِنَى
نَهْمُ الْمَلَاخَةِ فِي تَعَمُّقِ رَمْزِهَا
هَذَا مَجَالِي فِي الْحَيَاةِ فَخَلَّنِي
عَلِّي أَرَاهَا فِي جَلَالَةِ حُزْنِهَا

وَرَأْتُ فَتَاتِي نَظَرْتِي طَالَتْ كَمَا
فَتَبَسَّامَتْ وَتَعَجَّبَتْ وَتَأَمَّلَتْ
وَرَأْتُ دَفِينِ الْحُزَنِ يَمْلَأُ مُهْجَتِي

فَرِحَ، وَمِنْ دَنَفٍ يَذُلُّ لَدَيْهَا
وَالْحُزْنُ يَمْسَحُ هَادئاً جَفْنَيْهَا
مِنْ نَضْرَةِ عُيْدَتٍ عَلَى حَالِهَا
نَهْمُ خُصِصْتُ بِهِ فَقَادَ إِلَيْهَا
أَرْنُو إِلَى سِحْرِ يُطْلُ عَلَيْهَا
أَلْقَا تَبَسَّمَ عَنْ جَنَى شَفَتَيْهَا!

طَالَ التَّلَهُّبُ فِي لَظَى خَدَّيْهَا
عَيْنِي كَأَنِّي سَاوَرْتُ عَيْنَيْهَا
فَاسْتَوْعَبْتُ لِحَظِي فِي لِحَظِهَا!

الغد

قَالَتْ: سَيَجْمَعُنَا وَيُسْعِدُنَا غَدٌ
فَأَجَبْتُهَا: أَنَا لَا أَشْكُ وَإِنَّمَا
مَا كُنْتُ مَنْ يَخْشَى الْغَرِيبَ، وَذَا غَدٌ
لَكِنَّمَا طَبَّعُ الْغَرِيبِ تَرَدُّدٌ
هَاتِي أَقْلَ الْجُودِ فِي يَوْمِي أَعْشُ

أَتَشْكُ فِيمَا قَدْ يُعَدُّ لَنَا الْغَدُ؟
أُنْأَى الْفُرُوضِ مُجَانِبٌ يَتَوَدَّدُ
هَذَا الْغَرِيبُ، وَقَدْ يَسُرُّ فَيُحَمَّدُ
فَمَنْ الرِّجَاحَةُ أَنَّنِي أَتَرَدَّدُ
غَرْدًا، وَخَلِّي مَا يَجُودُ بِهِ الْغَدُ!

التحية

تُهْدِي الْأَزَاهِرُ فِي الْمَرْجِ تَحِيَّةً
وَالطِّفْلُ تُفْرِحُهُ الْمَثِيلَةُ مِثْلَمَا
وَقَفَا بِرُوحٍ لِلتَّأَلُّفِ حُرَّةً
لَا يُدْرِكُكَانِ سِوَى التَّعَاطُفِ جَامِعاً
فَإِذَا الْحَيَاءُ يَنَالُ مِنْهَا، وَهُوَ لَا
عَجَبٌ نِوَامِيسُ الْحَيَاةِ، فَإِنَّهَا

لِتَحِيَّةٍ عِنْدَ انْبِثَاقِ حَيَاتِهَا
تَتَبَسَّمُ الْأَزْهَارُ عَنْ أَخَوَاتِهَا
يَتَبَادَلَانِ تَعَجُّباً وَوَدَاداً
لَهُمَا، وَلَا يَتَخَيَّلَانِ مُرَاداً
يَفْتَرِّ يَرْفَعُ زَهْرَةً لِرِضَاهَا
حَتَّى الطُّفُولَةُ لَقْنَتْ مَعْنَاهَا!

جنون

خَاصَمْتُ رُوحاً حَبِيباً
وَمَا رَعَيْتَ جَمَالاً
هَلْ كَانَ شِعْرِي سِوَى مَا
فَتَأَلَّفَ الْفَنُّ مِنْهُ
هَلْ الْجَدَاوِلُ أَشْهَى
حَتَّى تَعَافَ خُضَمَاءُ
هَلْ نَغْمَةُ الْعُودِ أَحْلَى
حَتَّى تَرَى مَلَأَ شِعْرِي

يَسُوحُ بِالشَّعْرِ سَاحاً
مِنْ الْجَمَالِ اسْتَوْحَى
وَعَيْتُهُ عَنْ وَجْهِ
رَوَائِعِ النَّشِيدِ
مِنْ الْبُحْرِ وَانْقَى
يَعَافُ حَصْرَ رَأْيِ
مِنْ مَوْكِبِ السُّمُوفِ
مَظَاهِرَ الْجُنُونِ؟

لَكِنْ حَرَامٌ سِوَالِي
وَمَنْ يَعِدُّ حَيَاتِي

مَنْ لَا يُطِيقُ سِوَالِي
شَبِيهَةً بِالْمَمَاتِ!

محاكمة إله

حَفُّوا بِهِ مِنْ شِعَابِ الْكَوْنِ وَاقْتَسَمُوا
جَمِيعَهُمْ قَدْ رَأَوْهُ سَادَ عَالَمُهُمْ
حَلَّ التَّنَاقُضُ مَا فِيهِ وَإِنْ ظَهَرَتْ
قُوَى تَضِيعُ بِلَا مَعْنَى وَلَا سَبَبٍ
جَاءُوا إِلَيْهِ بِرَحْبٍ لَا وَجُودَ بِهِ
وَسَاءَ لَوْهَ لَمَّا لَا يَمُوتُ فَكُمْ
وَكَمْ يَطِيبُ لَهُمْ تَدْبِيرُ عَالَمِهِمْ
غِيَمَ التَّحَكُّمِ فِيهِمْ بَعْدَ أَنْ بَلَّغُوا
فَهْلَ لَهُ أَنْ يُولِيَ فِي الْفَضَاءِ كَمَا
يَمْضِي بِلَا رَجْعَةٍ مِيتًا بِلَا أَثَرٍ
وَعِنْدَهَا تَنْتَهِي الْأَوْهَامُ قَاطِبَةً
وَمَا يُخَافُ ظُلَامٌ مِنْ تَبَدُّدِهِ
فَقَالَ خَالِقُهُمْ: قَدْ لُحْتُ فِي طَرَبٍ
لَكِي أَرَى ثَوْرَةَ الْأَقْرَامِ فِي زَمَنِ
أَنَا الْحَيَاةُ فَهَلْ تَرْجُونَ مِيتَتَهَا
وَتَعْشَقُونَ فَنَاءً لِلنَّظَامِ وَمَا
لَوْلَا عَنَائَتُكُمْ بِالْهَدْمِ مَا وُجِدَتْ
لَوْلَا الْأَنَانِيَةُ الْعَظْمَى لَمَا عُرِفَتْ
فِيَا ضِعَافُ أَفِيقُوا! لَمْ يَزَلْ بِكُمْ
أَنْتُمْ بَنُوهُ فَإِنْ سَوَّيْتُمْ يَسُوْ أَبَدًا

حَسَابَهُ عَنْ مَدَى الْمَشْهُورِ مِنْ خَبَلٍ!
بِلَا رَجَاءٍ وَأَحْيَا الْكَوْنَ فِي عَجَلٍ!
قُوَى التَّنَاقُضِ فِي شَيْءٍ مِنَ النُّظْمِ
وَكَمْ يُقَالُ لِمَعْنَى جَلٍّ فِي الْعِظَمِ!
كَأَنَّهُ عَائِلٌ قَدْ خَانَ أَوْلَادَهُ
يَسُوءُهُمْ جُلٌّ مَا قَدْ شَاءَ إِيجَادَهُ؟
مِنْ دُونِهِ بَعْدَ أَنْ شَاخَتْ مَرَامِيهِ
سِنَّ الرِّشَادِ، وَمَاذَا بَاتَ يُخْفِيهِ؟
وَلْتُمْ لَهُمْ فِي طَوِيلِ الدَّهْرِ أَحْلَامُ؟
وَعِنْدَهَا لَا يُرَى ظُلْمٌ وَظُلَامُ!
وَيَنْتَهِي كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ زُورٍ!
فَالْكَوْنُ يَشْكُو عُبَابَ النَّارِ وَالنُّورِ!
وَمَا أُبَيْتُ لَكُمْ إِسْرَاءَكُمْ حَوْلِي
يَضِيعُ فِيهِ عَظِيمُ الْحَوْلِ وَالطَّوْلِ!
وَتَحْسِبُونَ جَمَالَ الْكَوْنِ فِي الْعَدَمِ؟
تَخْشَوْنَ مِنْ عَجْزِكُمْ فِي الرُّوحِ وَالْهَمِّ؟
هَذَا الرِّزَايَا الَّتِي تَشْكُونُ شِدَّتَهَا
هَذَا الْخَلِيقَةُ لِلْأَلَامِ حِدَّتَهَا
مِنَ الْغُرُورِ مَثَارُ الْيَأْسِ فِي الْكَوْنِ
فَالْكَوْنُ دَرَأَتْكُمْ فِي خَلْقِهِ الْفَنِيِّ

لو أنكم قد بلغت ما تخيلتم
وكنتمو شبه أرباب فقر بكم

من الرشار لأحببتم على نفسي
إلي ما قد ملكتم من غنى الشمس!

وحيثما أيقظتني طفلي وأبت
رأيها أبدعت في خلق عالمها

إلا التفاتي لما أحييت من اللعب
وعقلها فاق عقلي واعتلى أدبي!

سباق الأموات

لم يبق إلا أن يكفن بعضنا
ماذا يرجى بعد أن طعن الهوى
تحدثون عن العظام والعلى
رمم تئوج بالبطولة حينما
أسفي ويا أسفي على ثهم لهم!
الدهر يمضي فاتحاً وجميعهم
هل للزعامة غير قوة حيلة
كيف الزعامة تستحيل مظاهراً
الكل في فرح بنكبة جاره
تمضي السنون كأنها هي لم تكن
وطني الحبيب ألا مهيب ناصح
إن النداء يهز صخراً جامداً
ضاعت مرافقنا وكل مؤمل
نحيا أسارى للخيال كأنما

بعضاً وأن تتسابق الأموات
روح الإخاء وسادت الشهوات!
أين العظام والعلى بصغار؟
هي صورة للموت أو للعار!
لهفي ويا لهفي على أحلامهم!
بجمودهم وعناهم وملامهم!
لخلاص شعب فرقة عوادي؟
لتنازل الأفرار والقوار؟
والكل في شغف بخلق أذاة
من عمرنا، ونعيش عيش ممات
يحيي أخوتنا غداة ينادي؟
ما بالنا في الروح دون جمار؟
لما كنا الممدود تحت الشمس
شطط الخيال جلالة للنفس!

وَالآنَ يَا أَبْنَاءَ هَذَا الْوَادِي
الْحَامِلِينَ أَمَانَةَ الْأَجْدَادِ
وَتُبَدِّدُونَ تَنَافُسَ الْأَحْقَارِ؟

الْأَسْرِينَ عَوَاطِفِي وَفَوَادِي
هَلْ تَقْدِرُونَ نَصِيحَتِي وَوَدَادِي
إِنَّ الزَّمَانَ لَكُمْ لِبِالْمِرْصَادِ!

الناقمون

الناقمون؟ نَعَمْ! لَكُمْ أَنْ تَنْقُمُوا
ذَنْبِي وَجُودِي فِي مَجَاهِلِ بَيْتِ
مَهْدَتُ مِنْ هَذَا الْمَجَاهِلِ مِثْلَمَا
فَرُجِمْتُ بِالْحَسَدِ الْعَنِيفِ كَأَنِّي
أَسْفَأُ عَلَى وَقْتِ أَضَعْتُ وَلَا أَسَى!
مَنْ ذَاقَ مَهْزَلَةَ الْحَيَاةِ فَإِنَّهُ
يُعْطَى وَيَأْبَى أَنْ يُدَانَ وَإِنْ يَكُنْ
وَبِكُلِّ أَنْ صَدْمَةً لَشُعُورِهِ

كَمْ يَفْقِدُ الْمُتَعَلِّمِينَ مُعَلِّمُ!
صَحْرَاءَ جَا حِدَةٍ تُضِلُّ وَتُسْقِمُ
عَلَّمْتُكُمْ بِالْأَمْسِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فِيمَا أَجُودُ بِهِ أَنَالُ وَأَغْنِمُ!
مَهْمَا شَكُوتُ فَلَسْتُ مَنْ يَتَنَدَّمُ
يُعْطَى وَيَسْخَرُ مِنْ تَجَاهِلِ مَنْ عَمُوا
يُنْسَى لَهُ الْفَضْلُ الرَّجِيحُ وَيُرْجَمُ
وَبِكُلِّ يَوْمٍ لِلْعَوَاطِفِ مَآثِمُ!

الاندماج

خَمَرٌ مِنَ الْأَضْوَاءِ تُسْكَبُ حُرَّةً
غَسَلْتُ بِهَا أَعْضَاءَهَا فَاسْتَمْتَعْتُ
وَتَشَبَّعْتُ مِنْهَا بِأَرْوَاحِ سُمُرَةٍ

وَالْخَمَرُ أَطَهَرُهَا بِنُورِ الشَّمْسِ
بِسَلَافِهَا لِلْجِسْمِ بِلِ وَالنَّفْسِ
وَكَأَنَّهَا شَمْسَانِ تَحْتَ الشَّمْسِ!

النظرات

أهي الغنى لك؟ ما لجسمك يَنْتَشِي
ولم استبخت رقادك الحرّ الذي
البحر لم يترك مصُوناً غالياً
سَاءَ الجمال، فبات كلُّ مُجَرِّدٍ
يا للطبيعة لا يُردُّ حنائها
قَضَتِ الحضارة بالتهيب بينما
والآن تمتزج العواطف حُرَّةً
وتُبادِلُ النظرات وهي نفوسنا

بتتابع النظرات واللّهفات
لا يُستباح بأعجب الحائات؟!
كلاً، ولم يحقر تجرُّد حال
للحبّ تمثال الجمال الغالي
فوق الرمال وقد أُتيح مجاله
أبت الطبيعة أن يسود خياله
وأسيرة والفقير والأحسان
ويُبادل الإيمان والكفران!

الكنز المعروض

مَنْ ذا تُسَوِّلُ نَفْسُهُ في نَشْوَةٍ
مَنْ يستطيع وإنَّ تَجَرَّأً أن يُرى
حَرَسَتْكَ أمواجُ المياهِ بوثيها
فأَسْرَبَتْهم وجذبتهم وتركتهم

لفؤادِهِ أن يَسْتَطِيعَكَ مُنْعَةً؟
لك لاثماً مهما تَخَيَّلَ لثمة؟
وزئيرها وحمالك روعُ الناسِ
في حيرة لمواقع الحُرَّاسِ!

اليتيم

أَلْقَاكَ في صَمْتِي الحَزِينِ وإِنَّمَا
أَلْقَاكَ في بَشَرِ الحَنَانِ بِمُهْجَةٍ

قلبي هو البكاء والبسَامُ
تَهْتَاجُهَا الأتراح والآلامُ

العِيدُ كُلُّ دَقِيقَةٍ وَثَّابَةٍ
وَالْيَتَمُّ كُلُّ دَقِيقَةٍ قَدْ فَاتَهَا
شَغْلَتُكَ عَنْ قَلْبِي الَّذِي لَمْ يُنْسِهِ
طَلَبَ الْجَمَالَ لِرُوحِهِ وَلِفَنِّهِ
فَكَأَنَّمَا هَذِي أَحْيَاةٌ بِأَسْرِهَا
وَكَأَنَّمَا شَعْرِي - الَّذِي أَشْدُو بِهِ

ذَاكَ الصَّبِيِّ شَرَابُهُ الْأَحْلَامُ
دُنْيَا الْهَمُومِ الْحَبِّ كَيْفَ يُضَامُ
أَنَا وَخَدْيِي الْبُكَاءُ وَالْبَسَامُ!

الشَّيْبُ أَشْعَلَ عَارِضِيٍّ وَلَمْ أَزَلْ
كُنَّا نَخَافُ مِنَ الرَّقِيبِ فَعَلَّمْتُ
وَحْيِيَّتُ مِثْلَكَ كَالْيَتِيمِ، وَإِنَّمَا

حَمَامُ الشَّمْسِ

لِلشَّمْسِ إِلَّا لَمَحَةٌ الْحُرُومِ
سَقَطَتْ خَوَاطِرُ عَاشِقٍ مَحْمُومِ
فِي الْغُرْفَةِ الظُّلُمَاءِ كَالْأَحْزَانِ
كَالْمَاءِ يَنْهَلُهُ فَمُ الظُّمآنِ
هَذِي الْأَشْعَةُ وَهِيَ تَرشُّفُ حُسْنَهَا
وَيَنَالُ هَذَا الْجِسْمُ ثَمَّةَ فَنِّهَا
فِيهَا تَدِينُ بِرُوحِهَا لِلشَّمْسِ
إِنَّ الْعَوَاطِفَ مِنْ شُعَاعِ النَّفْسِ!

وَقَفْتُ أَمَامَ الشَّمْسِ لَكِنْ لَمْ تَدْعُ
سَقَطَتْ أَشْعَتُهَا عَلَيْهَا مِثْلَمَا
نَفَذْتُ إِلَيْهَا مِنْ تَسَامُحٍ كُوَّةِ
النُّورِ يَنْهَلُهُ السَّوَادُ بِلَهْفَةٍ
وَقَفْتُ تُنَاوِبُ حُسْنَهَا مَا أَحْسَنْتُ
فَيَنَالُ نُورُ الشَّمْسِ رُوعَةً فَنِّهِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي، فَكَمْ مِنْ ذَرَّةٍ
وَالشَّمْسُ كَمْ فِيهَا عَوَاطِفُ أَنْفَسِ

¹ أي أن هذا الشعر صورتها هي وليست الأنغام صورة شعره.

الظمأ

في كل روضٍ للجمالِ مؤمِّلٍ
تستنشقُ الحُلُو العبيرَ كأنها
فتعود أظماً ما تكونُ وإنْ جَنَّتْ
فكأنَّها - أنَّى استطاب حنيئُها
فتسيرُ في هَذي ودونَ هدايةٍ
نَقْلُ فؤادك حيث شئتَ من الهوى

رُوحِي تُرفرفُ للمُحِبِّ وللخلي
تستنشقُ العُمَرَ الجديدَ لمجتلي
نِعْماً من الإحسانِ والتجديدِ لي
صُورَ العزاءِ - تَشِيمُ أولَ منزلٍ
تشدو بشعر (حبيب) شدو تَجْمُلُ^١!
ما الحُبُّ إلا للحبيبِ الأول!

الطائر الميت

يا لوعةَ الوجهِ الصَّبِيحِ الوسيمِ
جاءته كالأمِّ الحنونِ الرؤومِ
في لَهْفَةٍ يا طفَلتي عاتيةً
لمستهِ خائفةً عانِيَةً
أينَ الحبيبُ الشَّدوُ مِنْ رُوحِهِ
فيذهبُ الحزنُ لَدَى وَقْعِهِ
إِنْ تَحْزَنِي يا طفَلتي فالأسى
لم يُفَقِدِ الطيرُ ولكنْ مَضَى
لا تَحْزَنِي أو فاحْزَنِي بعدما
فالموتُ كالعيشِ إذا ما انتمى

للطائرِ الملقَى على ظهْرِه
لكنها جاءتْ إلى قَبْرِه!
وقفتْ أم في حيرةٍ أم ذُهلٍ
راجيةً لكنْ مِنَ المستحيلِ
وصَدْحَةٌ منه تناجي الحياة؟
كأنما الطيرُ رسولُ الإله!
لا شيءَ في جنبِ الخَسارِ الأليمِ
في فَقْدِهِ رُوحٌ لفنٍّ عظيمِ
قد خانك الدهرُ بموتِ الصديقِ
لفنٍّ، فالفنُّ عزيزٌ طليق!

^١ البيت التالي لأبي تمام، واسمُه حبيب بن أوس الطائي.

لو كنت لي

لو كنت لي لرفعتُ كلَّ نظيمي
وجعلتُ مجلسك الشهيَّ عبادةً
أمّا وحظي منك خطفُ أشعةٍ
فدعي فؤادي يَسْتَطِبُّ بوهمه
فيزيد إيماناً بنعمتك التي

لو تُدركين تَهْفِي كنفجعي
لرثيت لي ورأيت حالَ مودحٍ

لك، واتخذتُك نشؤتي ونديمي
تُخَصُّ بالقربانِ والتكريمِ
أمّا وقُربي منك قربُ غريمِ
بين المنوعِ مِنْ خيالِ نعيمِ
ولتْ وأعقبها شُبُوبُ جحيمي!

أخفيه في صمتٍ عرفتُ أليمِ
خدعوه قبلَ الموتِ بالتنعيمِ!

في الحمام

سارتُ تجاهَ الماءِ وهو كائنه
غلبته ظلمةُ حظّه حتى تُرى
سارتُ على مهلٍ وملءِ رشاقةٍ
سارتُ وكلُّ تَخَطُّرٍ منها حوى
لم لا تُحَجَّبُ وهي سِحْرُ أُلُوْهةٍ؟
مَرَأى عليه مِنَ الطهارةِ هالةٌ
سبحانَ ربّي شاعراً ومُصَوِّراً
قد صوّرَ الإنسانَ من نفحاته
مَنْ كان يَشْهَدُ ذلكَ الحسنَ الذي
في غيرِ روعةٍ مَنْ يَدِينُ لحسنه

دُنْيا تدنّ إلى الضياءِ حنيئاً
فيه فيغمر بالضياءِ فُنُوناً!
ولكلِّ جزءٍ لهجةٌ وشُعورُ
شِعْراً يعبرُ عنه هذا النُّورُ
لِمَ لا تبينُ وكلُّها إلهامُ؟
ومنى تُراقُ حياها الأحلامُ
ما حازَ ريشته البديعةَ حاكي
صُوراً من الأربابِ والأُملاكِ
يختالُ في ملكوته الفنّانُ
بالروحِ منه فليس بالإنسانِ!

الأصفار

نَأْبَى مِنَ الْحَيَّوانِ رَمَزَ هِرَانِهِ
مَا هَذِهِ الْأَصْفَارُ أَوْ مَا شَأْنُهَا؟
أَتُنَى اتَّجَهْنَا لَا نَرَى إِلَّا أَدْنَى
صُورَ الشُّرُورِ تَحَجَّبَتْ بِتَسْوُلٍ
لِمَ لَا يُحَرِّمُ؟ بَلْ لِمَ إِذَا لَا نَرَى
لَمْ لَا يُخَصُّ الْعَجْزُ بِالْحَرَمَانِ
حَتَّى نَرَى الْإِنْسَانَ فِي عَلَيَّائِهِ
عَجَبًا! أَنْتَسَى جَنْسَنَا وَحَقُوقَهُ
الْأَرْضُ قَدْ مَلِئَتْ أَحَبُّ شَبَابِهَا
حَتَّى أَكَادُ أَحْسَنَ أَنْ فَجَاحِهَا
وَعَدَتْ حَرَامًا لِلنَّبُوغِ، وَمَرْتَعَاً

وَنُطِيقُ رَمَزَ الذِّلِّ فِي الْإِنْسَانِ!
مَا ذَلِكَ الْإِصْفَارُ لِلْأَدْيَانِ؟
بِتَبَدُّلِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
وَتَنَاسُلِ الْإِجْرَامِ شَرُّ هَوَانِ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ صَوْلَةَ الدِّيَانِ؟
وَيُبَاحُ لِلْمُوْهَوْبِ وَالْفَنَانِ
رَبًّا مِنَ الْأَرْبَابِ لَيْسَ بِفَانِ؟
وَتَسُوقُ فَضْلَ الْعِلْمِ لِلْحَيَّوانِ؟
بِمَسَاوِيِّ الْحَشَرَاتِ وَالْدِيدَانِ
فَقَدْتُ بِشَاشَةِ حُسْنِهَا الْفَتَانِ
لِلْعَاجِزِينَ، وَوَصْمَةَ الْإِنْسَانِ!

سبحة الفقيه

وَمُسَبِّحٌ لِلَّهِ يَبْأَى رَبِّيهِ
فِي كُلِّ لَفْظٍ يُسْتَعَادُّ شَهَادُهُ
كَمْ مِنْ فَقِيهِ فِي ثِيَابِ مَنْزَرِهِ
تَجْرِي أُنَامُلُهُ عَلَى خِرَزَاتِهِ

هَذَا التَّقَرُّبُ مِنْهُ فِي تَسْبِيحِهِ
عَنْ إِثْمِهِ وَالصَّوْتُ صَوْتُ جَرِيحِهِ
وَيُطْلُ مِنْ عَيْنَيْهِ رُوحٌ أَثِيمٌ
جَرَى اللَّئَامُ عَلَى حَسَابِ كَرِيمٍ

¹ يدين الشاعر باليوجينية أي إصلاح النسل الإنساني بتعقيم المعتوهين والمجرمين وأشباههم وتتمية العبقرية الوراثية ومنح العباقرة من الجنسين حقوقاً تناسلية خاصة.

وَتَلُوْحُ سُبْحَتِهِ كَثْعَبَانِ بِلَا
مَنْ ذَا رَأَى الثَّعْبَانِ سُبْحَةَ عَابِدٍ

رُوحِ سَوَى رُوحِ الْفَقِيهِ الْعَاتِي
وَرَأَى الصَّلَاةَ مَصَابَ كُلِّ صَلَاةٍ؟

الحياة

هَذِي الْحَيَاةُ عَلَى الْحَيَاةِ تُطْلُ
تَرْنُو إِلَى إِحْيَائِهَا بِتَبَسُّمٍ
عَرَضَتْ مُحَاسِنُهَا عَلَى أَلْحَانِهَا
وَأَبَى وَفَاءُ الْفَنِّ إِلَّا قَبْسَةً
أَلَقَ مِنَ الْأَسْحَارِ عِذَّ مُجَسِّدًا
تَجِدُ الْحَيَاةَ تَحْنُ مِنْ أَثْنَائِهِ
جُبِلَتْ بِرَاحَةِ عِبْقَرِيٍّ مُفَرِّدٍ
وَكَأَنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ لَا تَنْتَهِي
هَذِي الْحَيَاةُ لِمَنْ يَرُومُ بَيَانَهَا
وَإِذَا عَرَفْتَ غِنَاهُ كَانَ لَكَ الْغِنَى

وَتَشَاقُّ مِنْ أَضْوَائِهَا فَتَعِلُ
وَمِنْ التَّبَسُّمِ نُورُهَا وَالظِّلُّ
فَتَصُدُّ مَا تُوحِي بِهِ وَتَزِلُ
مِنْهَا فَيُعْرِفُ فَنُّهَا وَيُجَلُّ
فِي كُلِّ جِزْءٍ مَا حَكَاهُ الْكُلُّ
شَطْرَ الْحَيَاةِ، وَمَا تَقُولُ أَجَلُ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مُكْثَرٌ وَمُقِلُّ
حِينَ الْمَفَاتِينُ تَنْتَهِي وَتُمَلُّ
فَإِذَا عَبَثَتْ بِهِ فَسَوْفَ تَخِلُّ
أَوْ لَا فَفَقَّرُكَ أَنْتَ حِينَ تَذِلُّ

صوم غاندي

تَصُومُ مَكْفَرًا عَنْ إِثْمِ دُنْيَا
أَبَتْ إِلَّا الْجَنُونَ بِكُلِّ عَصْرِ
تَسِيرُ عَلَى هُدًى وَبِغَيْرِ هَدًى

يَسِيرُ بِهَا الْقَوِيُّ عَلَى الضَّعِيفِ
فَمَا أَدْنَى السَّخِيفِ إِلَى الْحَصِيفِ
كَمَا سَرَتْ الْعَوَاصِفُ فِي الْخَرِيفِ

وما برحت تقسم ساكنيها
لذن عاش الجميع ضيوف موت

صفوفاً للخصيم وللأليف
وبئس الجود من هذا المضيف!

أراك ألوهة الإنسان لاحت
وقفت مجرداً عن كل مجر
وكان الناس عبيداً لحرب
وعلمت الأنام وأنت تشقى
وأحييت الضمائر وهي قنلى

وقد سحوق الغرور هدى الألف
سوى مجد الإياء على الحتوف
فحقرت العتي من السيوف
معاني الحب واليأس الشريف
فأسعد كل منبوذ أسيف

مسيح العصر روحك روح رب
تذوق الموت ألواناً وتحيًا
ولو عقلوا لعاشوا في إخاء
إذن لغدت فتوحهم ولنبل

كريم أو أب حان عفيف
ليرضى الناس بالألم المخيف
وهاموا بالتسامي لا الوقوف
وعاشوا في جنى الخلد الوري

أتيت إلى الوري من قبل يوم
وذنب المصلحين إذا عددنا

يقدس كل ما تغنى ويوفي
لهم ذنباً مناصرة الضعيف

النظر الجريء

لا ترهبي نظري الجريء
هو نشوة الحب الطهو
روحي تطل عليك من
وتعجب من هذا الحنان

هو لن يسيء ولو أسيء
روثبة الروح المضىء
ه وتجتلي القدس الوضيء
شراب كوثرها الهنيء

هُوَ خُلْسَةٌ مِنْ نَعْمَةٍ
خُطِفَتْ مِنَ الْقَدْرِ الْعَتِيّ
فَعَلَامَ نَخْشَاهَا وَمَا

عُلُوبَةٍ لَيْسَتْ تَفِيّ
لَدَى ظِلَالٍ مِنْ هُدُوءٍ
فِيهَا سِوَى السُّكْرِ الْبَرِيِّ؟

الناس

أَسِيرُ فَلَا أَرَى فِي النَّاسِ نَاساً
إِذَا كَثُرَ الزَّحَامُ وَخَفَتْ مِنْهَا
شُخُوصٌ لَا يُصَانِعُهَا سِوَى مَنْ
وَمَا يُجِدِي لَهَا أَبَداً مَلامٌ
لَقَدْ سَادَ الطَّغَامُ الدَّهْرَ حَتَّى
فَدَعَنِي لَا أَحَاذِرُ أَوْ أَبَالِي
لَقَدْ قَتَلُوا كِرَامَ النَّاسِ قَتْلًا
وَدَعَنِي فِي إِبَائِي فَهُوَ عِنْدِي

وَلَكِنِّي أَرَى صُوراً أَمَامِي
فَأَقْوَاهَا ضَعِيفٌ فِي الزَّحَامِ
يَذُلُّ عَنِ الشَّخُوصِ مِنَ الْأَنَامِ
فَمَا هِيَ فِي الْيَقِينِ وَلَا الْمَلامِ
حَسْبُنَا الْمَجْدُ مِنْ فَضْلِ الطَّغَامِ
بِأَوْشَابِ الْمَنَافِكِ وَاللَّئَامِ
فَحَسْبِي إِنْ أُمِتَ مَوْتُ الْكَرَامِ
أَجَلٌ مِنْ انتِقَامِكَ وَانتِقَامِي

التحرر

حَيَاتِي لَمْ تَكُنْ يَوْماً بِعُمْرِي
أَنَا ابْنُ هَوَايَ ثُمَّ أَنَا ابْنُ فِكْرِي
أَعِيشُ بِكُلِّ عَصْرِ عِبْقَرِي
وَفِي نَفْسِي حُرُوبٌ لَيْسَ تَفْنَى

وَلَكِنْ بِالتَّصَوُّفِ وَالْمَعَانِي
وَلَسْتُ أَعِيشُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
تَأَلَّقَ فِي الشُّعُورِ وَفِي الْبَيَانِ
حُرُوبٌ لِلْسُّمُوِّ وَاللَّهْوَانِ

كَأَنِّي لَسْتُ فَرْدًا فِي صِفَاتِي
لِئِنْ حُرِّرْتُ مِنْ إِرْهَاقِ نَفْسِي

وَلَكِنِّي جُمُوعٌ فِي كَيْلَانِي
لِنَفْسِي هَانَ عِنْدِي مَا أُعَانِي

الرموز

دَعَوْهَا الْغَانِيَاتُ ذَوَاتِ دَلٍّ
وَقَلْبِي لَا يَرَى إِلَّا رُمُوزًا
فَلَسْتُ بِمَنْ يَرَى جِسْمًا وَنَفْسًا
فَأَجْهَدُ خَاطِرِي فِيمَا أَرَاهُ
وَلَوْ أَنِّي وَهَبْتُ عَيْنُونَ دُنْيَا
لَمَا بُلَّغْتُ مَعْنَى كُلِّ حَيٍّ

كَمَا نُعِثَتْ بَايَاتُ الْحَسَانِ
حَجَبْنَ فَنُونَ أَلْوَانِ الْمَعَانِي
وَلَكِنِّي أَرَى صُورَ الْبَيَانِ
وَلَكِنْ كَيْفَ تُسْعِفُ مَقْلَتَانِ؟
وَجُرْتُ مَدَى التَّوْتُبِ وَالْحَنَانِ
وَلَمْ يَعُدْ الرُّمُوزُ بِهَا افْتِتَانِي!

البسمة الحزينة

لَمَّا رَأَيْتُكَ وَالْمَاسِي ظَلَّلْتُ
أَرْسَلْتُ رُوحِي فِي قَرَارِكَ نَاضِرًا
حَتَّى ابْتَسَمْتَ فَمَا عَجِبْتُ لِبَسْمَةٍ
إِلَّا لِبَسْمَتِكَ الْحَزِينَةِ، إِنَّهَا
مِثْلُ الْأَشْعَةِ أُرْسِلَتْ أَمَاجُهَا
هَلْ عِنْدَ بَسْمَتِكَ الْحَزِينَةِ مِنْ مُنَى
لَهْفِي عَلَيْهَا لَا تَعِيشُ، فَإِنَّمَا

عَيْنَيْكَ وَالْوَجْدُ الْعَمِيقُ يَبُوحُ
لِحَظِيكَ فَاغْتَقَلْتُ لَدَيْكَ الرُّوحُ
تَسْبِي كَمَا قَدْ حُرِّرْتُ وَجَدَانِي
خُلِقْتُ مِنَ الْأَفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ
بَيْنَ الْغُيُومِ فَكُنْ رُسُلَ رَجَاءٍ
إِلَّا مُنَى الْإِصْبَاحِ وَالْإِنْدَاءِ؟
لِلصُّبْحِ عَمْرٌ مِنْ خِيَالِ الْفَجْرِ

يَمْضِي إِلَى الْبَحْرِ الْخَضَمُ فَلَا يُرَى
إِذَا سَأَلْتُكَ تَبْسِمِينَ هَنِيهَةً
مَعْنَاكَ مِنْ لُبِّ الْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا
لَا تَضْحَكِي ضَحْكَ الْمَدَامَةِ إِنْ رَأَتْ
بَلْ فَابْسِمِي بِهِوَكَ أَنْتِ حَزِينَةٌ
هَذَا نِمَازِجُ كُلِّ حُسْنٍ سَاحِرٍ
مِنْ كُلِّ قَاهِرَةِ الْجَمَالِ كَأَنَّهَا
يَخْطُرُنَ وَالشَّمْسُ الْمُطْلَةُ تَنْتَشِي
وَلِكُلِّ فَاتِنَةٍ شَوَاهِدُ فِتْنَةٍ
أَرْنُو إِلَيْهَا بَيْنَ لُبِّ حَائِرٍ
وَأَرَاكَ أَنْتِ بِبِسْمَةِ الْحَزَنِ الَّتِي

مِنْهُ سَوَى دَمْعِ بَعِينِ الزَّهْرِ
أُخْرَى، فَاسْتَجْلِي بِهَا مَعْنَاكَ؟
مَعْنَاكَ أَبْعَدُ مِنْ مَدَى إِدْرَاكِ
لَهْفِ الَّذِينَ يَحْطُمُونَ إِسَارَهَا
لَنَرَى ضِيَاءَ النَّفْسِ يَصْحَبُ نَارَهَا!
يَخْطُرْنَ بَيْنَ رَوَائِعِ الْأَلْوَانِ
أَبْدًا تَحَدَّتْ قُدْرَةُ الْفَنِّانِ
بِمَوَاكِبِ الْأَشْوَاقِ وَالْإِغْرَاءِ
جَلَّتْ عَنِ التَّكَرَّارِ عِنْدَ الرَّائِي
نَهُمُ وَبَيْنَ تَعْطُّشٍ لِفَوَادِي
تُسَبِّحِي فَأَوْثُرُ أَنْ أَفِيكَ وَدَادِي

منازل النيل

مَنَازِلَ النَّيْلِ! مَنْ أَعْطَى الْغَرِيبَ مَدَى
أَنَا ابْنُ مِصْرَ، أَنَا الْبَاكِي لِلْوَعْتِهَا
أَنَا الَّذِي أَتَنَاسَى مَا أَنْوَّ بِهِ
فَإِنْ أَفْرَاحَهَا لَيْسَتْ سِوَى فَرْحِي

هَذَا الْعُهُودُ فَأَحْيَاهُ وَأَفْنَانِي؟
أَنَا الْمَخْلُودُ نَجَواهَا بِأَلْحَانِي
لَكِي أَعْبَرُ عَنْهَا مِلَّةً أَحْزَانِي
وَإِنْ أَشْجَانَهَا هَمِّي وَأَشْجَانِي

فَكُلُّنَا قَائِدٌ فِي قَيْدِهِ عَانٍ
أَوْ أَنْ أَحْدَاثُهُ أَحْدَاثُ بَهْتَانٍ
وَهُمْ بِبَلَا خَطَةِ تُرْجَى وَمِيدَانٍ؟

مَنَازِلَ النَّيْلِ! هَذَا حَالُنَا عَجَبٌ
كَأَنَّمَا عِظَةُ التَّارِيخِ مَا عُرِفَتْ
فِيمَ الْجَنُودِ وَفِيمَ الْقَائِدُونَ لَهُمْ

نستعرض الجيش والنيران صارخة

ونحن نُشعلُ نيراناً بنيران!

مَنَازِلَ النِيلِ! ما لي حائراً وجلاً
هذا الشروقُ يحييني فأهجره
وهذه نُخبُ الأزهارِ باسمه
والنيلُ... والنيلُ يجري كله ترحُّ

أنا الشجاعُ، وما لي طيَّ أكفانٍ؟
وذا الغروبُ غريبٌ حين ناداني
كما عهدتُ ولكن دونَ إيمانٍ
كأنَّ أتراحه من نبع وجداني

مَنَازِلَ النِيلِ! هذي جنةُ أنفٍ
كيف العبيدُ لسكناها وما خلقتُ
أين البطولةُ غنيماً بها زمناً
حتى تعيدَ جلالاً بات منصرماً

فكيف تُتركُ خلواً دونَ جنانٍ؟
يوماً لمسكنٍ أنجاسٍ وعُبدانٍ؟
ولا نزال نغني ملءَ أزمانٍ
فلن يقومَ جلالٌ بعده ثانٍ؟

مَنَازِلَ النِيلِ! كم أنسٍ وكم غزلٍ
ما بالها اليومَ والأحداثُ صاحبةُ
أكاد أحرقُ يأساً كلَّ ما جمعتُ
كأنَّ صحراءَ عيشي أشعلتُ أسفي

نظمتُ فيك وكم راح وريحانٍ
أعافها وأعافُ الآنَ ديواني؟!
صحائفُ الشعرِ من شذوي وأوزاني
فصرتُ أبغضُ أطياري وبُستاني!

مَنَازِلَ النِيلِ! ما غنيتُ في طربي
كلِّي عيونٌ وأذانٌ وعيتُ بها
وما رسمتُ جمالاً كنتُ صادفةُ
فما لأروع شعري بات يُؤلّني

إلا وحسبك صدّاحٌ لأذاني
جمالُك الصفوُ في عزفٍ وألوانٍ
عنه، ولا خنتُ يوماً عهدَ أوطاني
كأنما هو من إحياءِ شيطانٍ؟!

مَنَازِلَ النِيلِ! كم في الناسِ ذي ظمأٍ
وكم شكاةٌ على طرسٍ وفي صدحفرٍ

يكفيه ريٌّ فيمسي غيرَ ظمانٍ
تُثلى وتُنسى كما يُنسى الجديدانِ

وكم حَوَانِثَ يَمْضِي الْخَائِضُونَ بِهَا
أَمَّا أَنَا فَحَيَاتِي كُلُّهَا ظَمًا

كَأَنَّهُمَا لَمْ تَقُمْ يَوْمًا بِأَذْهَانِ
وَإِنْ نُسِيتُ فَمَا أَحْيَا لِنَسِيَانِ

مَنَازِلَ النَّيْلِ! يَجْرِي النَّيْلُ مَتَّجَهَا
إِلَّا هَوَايَ لَأَرْضٍ رَوْحَهَا بَدَمِي
رَثِيئَتُهَا وَكَأَنِّي قَدْ رَثَيْتُ بِهَا
لَوْ أَنَّنَا أُمَّةَ الْأَحْرَارِ مَا خُذَلْتُ

إِلَى الْخِضَمِّ وَيَجْرِي الْعَالَمُ الْفَانِي
وَجُوهًا بِمَعَانِي الْحَبِّ أَحْيَانِي
نَفْسِي وَأَهْلِي وَأَحْبَابِي وَخِلَانِي
رُوحٌ تَتَّوَرَّعُ عَلَى ظَلَمٍ وَأَوْثَانِ

ذَكَرَى شَوْقِي

عَادَ الْخَرِيفُ فَلَحَّ وَأَنْتَ بَعِيدُ
لَيْسَ الرَّبِيعُ وَإِنْ نَأَى بِمُغَيِّبِ
أَمْعَلَمِ الْأَطْيَارِ مِنْ إِنْشَادِهِ
وَمَجْدَدِ الْأَعْمَارِ فِي الْحَانِهِ
إِنْ كَانَ غَيْبُهُ الْمَحِيطُ فَمَاؤُهُ

فِي الذِّكْرِ، فَالذِّكْرُ الْمُؤْتَلُ عِيدُ
إِنَّ الْخَرِيفَ يُبِيدُهُ وَيُعِيدُ
لِلطَّيْرِ بِاسْمِكَ فِي الْحَيَاةِ نَشِيدُ
فَنُ كَفَنِكَ طَبْعَهُ التَّخْلِيدُ
هَذَا الْغَمَامُ يَزِيدُهُ التَّجْدِيدُ

يَا شَاعِرَ التَّصْوِيرِ، يَا لَحْنَ الْأَسَى
أَبْكَيْتَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ رَاثِيًا
إِنْ كَانَ يُعْجِزُنِي الرِّثَاءُ فَهِيَ أَنَا
بِالْأَمْسِ شِعْرُكَ رَنْ يَرِثُنِي حَافِظًا
فَإِذَا بِحَفْلِ الْأَمْسِ^١ يَرْجِعُ بَاكِيًا

وَالْحِظُّ، عَمْرُكَ نَشْوَةٌ وَقَصِيدُ
مَنْ ذَا الَّذِي يَرِثُكَ حِينَ يُجِيدُ؟
بِهَوَى النَّبَوَّةِ لَا أزال أَجِيدُ
وَالدَّهْرُ مُسْتَمِعٌ إِلَيْكَ شَهِيدُ
وَإِذَا بِكَاءِ الْيَوْمِ فِيكَ فَرِيدُ

^١ إشارة إلى حفلة التآبين التي أقامت لها (جماعة الأدب المصري) في الإسكندرية.

شوقي! سألت الدهر عنك فلم يجب
أترك ملء عوالم مجوبة
هيهات يدري للخلود حقيقة
شابته صاحبك الزمان تعمقاً

غريد هذا العصر! كم بوجوده
هذي الممالك في التراب سمعة
وروى الطبيعة لا تهش لحالم
وتلال (طيبة) في الردى مشبوبة
من ذا الذي عند انكارك لا يرى
لم يذهب العام الحزين ببعضه
ما كل يوم شاعر الدنيا التي
إن مات مات بكل لب شاعر
وإذا سلاك الناس لم تسأل العلى

دنيا الحقيقة قد بكت دنيا الهوى
كلتاهما في الرزء بعدك شاعراً
وأجل رزء للجمال، فروحه
الحب فيه موائد لا تنتهي
وكان موسيقى الحياة جميعها
لفظ يسيل وفي جناه حلاوة
كالجدول الجاري أو البحر الذي
وجميعه صور الجمال، فليس في

ما كان مثلك لو يغيب يبيد
عنه وعنا، أم غلاك وحيد؟
فان، وما يدري السمو عبيد
ومدى، فوحيك رائع ومديد

مُصغ، فأين البلب الغريد؟
والنيل سير الوحي فيه ويبد
أو لا تبين، وفاتها التمجيد
فكان فنك فاقداً وفقيد
وجلاً، وهذا الخطب فيك شديد؟
لو كان في الذكر الحزين سعيد
تفديه لو يرضى الفداء وجود
أمل أحق بمثله التريد
من كان ينشد باسمها ويشيد

والحسن وانصرمت منى وعهود
بها يفي عليها ويجود
بجمال شعرك خافق مشهود
والحسن فيه مؤلة معبود
ما يبدع التصوير والتوليد
حيناً، وحيناً ثورة ووعيد
يدوي، وأنا شعلة ورعود
صور الجمال مقيّد محدود

في ذمة التاريخ رقدتْكَ التي هي يقظة حين الأنام رُقودُ
ما مات مَنْ وهبَ الجمالَ حياته إنَّ الجمالَ ألوهةٌ وخلودُ

التنابد

أبناءً موطني الذليلِ بخلفكم إنَّ التنابدَ خلفه استسلامُ
فكُرتُ في أقوالنا وجهارنا فإذا جهودُ القائلينَ كلامُ
ولَّى الشبابُ وكم طفرتُ بروحه وأتى المَشْيِبُ وكلُّه آلامُ
اللهُ يصفحُ عن حماسةٍ مهجتي إنَّ الحماسةَ كلها أوهامُ
إنَّ الشجاعةَ للحقيقةِ وحدها غيرُ الحماسةِ خلفها الأحلامُ
ذهبَ التحزُّبُ بالبلاءِ وأهلها إنَّ التحزُّبَ غالباً هدامُ
وبدا التضامنُ باسطاً يدهُ لنا والرُّشدُ يصحبه، فكيف نُضامُ؟

الغبن

وطني! أهونُ عليكَ حينَ دقائقي وقِفْ عليكَ؟ أَللوفاءُ أهونُ؟
جاوزتُ هذي الأربعينَ كأنني منذ انتبهتُ مُسَخَّرٌ مغبونُ!
خاصمتُ نومي، واستبحتُ مواهبي لعلاكٍ في زمنٍ يسودُ الدُّونُ
وطني! أمثلي ليس يُنصفُ مرةً أمَّ أنَّ إنصافَ الأبَيِّ جُنُونُ؟
أَظِلُّ أشقى هكذا في محدَّتَي حين الجحودُ بشقوتي مَفْتُونُ؟
مَنْ يُبلِّغُ الأحرارَ أنَّي عبدُهُمْ لكنَّ قلبي طيِّعٌ ومَصُونُ
هيهات لي مجدٌ سوى مجدٍ لهم فإذا حجابي محاربٌ مدفونُ!

الجمال الإنساني

يَنْبِضُ الكونُ بالجمالِ ولكنْ
في جمالِ الإنسانِ للشَّاعرِ الـ
كيفُ أغضبي عن وصفه وهو كلُّ
كم جمالٍ حيالنا لا نراهُ
فَنانٍ مَعْنَى يُطِلُّ مِنْهُ الإلهُ
حينما الجزءُ كلُّ حُسْنٍ سِوَاهُ؟!

لعبة ابنتي

(أبيات ارتجالية)

أنتِ يا لُعبَةَ ابنتي	ذاتُ رُوحٍ وخَفْـةٍ
أنتِ عندي عَزِيزَةٌ	وهي عندي عَزِيزَتِي
أنتِ مَتَّلَتْ طَبْعَهَا	في صَفاءِ المَحَبَّةِ
هَرَّةٌ أَنْتِ، إِنَّمَا	أنتِ لي غَيْرُ هَرَّةٍ
إِنَّ عَيْنَيْكَ فِيهِمَا	سِرٌّ لُبٌّ وَفُطْنَةٌ
أَتَرَى حُرَّتَ سِخْرَها	كم لدى الحُبِّ آيَةٌ
كم تَوَسَّدَتْ جَنْبَهَا	في فَرَّاشٍ بِنَعْمَةٍ
كم تَمَلَّيْتَ رُوحَهَا	في حَنانٍ وَرَحْمَةٍ
كم تَشَاكَيْتُما على	نَظَرَةٍ بَعْدَ نَظَرَةٍ
كم تصاخَبْتُما على	كُلِّ يُسْرٍ وَشِدَّةٍ
فإذا أَنْتِ رَمَزُها	رُبَّ رَمِيزٍ بِدُمَيَّةٍ!

سكن الهواء

أُنَابِي الْأَرْضَ وَهِيَ أَبُّ وَأُمُّ
وَنَعْشِقُ أَنْ نَطِيرَ بِهَا كَأَنَّا
تَنَفَّسْنَا الْهَوَاءَ بِهَا شَهِيًّا
وَنَكْتَسِحُ الْفَضَاءَ بِأَسْدُودٍ
وَنَعْرِضُ تَحْتَنَا الدُّنْيَا كَأَنَّا
مَشَاهِدُ كُلِّهَا لَعَبِّ تَرَاعَتْ
وَبَعْضُ الْوُحْمِ إِنْقَادًا لِرُوحِ
فَنَغْبِطُ كُلَّ سَكَّانِ الْهَوَاءِ
دَنُونًا مِنْ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ؟
نَقِيًّا أَمْ يَلْبُوثُ بِالرِّيَاءِ
وَكَمْ فِي الْأَرْضِ سَدٌّ لِلْغِبَاءِ
خَلَقْنَاهَا لِسُجْنِ الْأَدْنِيَاءِ
نَطِيرُ، وَكُلُّهَا وَهْمٌ لِرَائِي
تَفَرُّ مِنْ الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ

البقية

أَرَعَى بَقِيَّةَ أَعْوَامِي كَأَنَّ بِهَا
قَدْ شَوَّهْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ جَانِيَةً
وَمَرَّقَتَنِي الْمَآسِي فِي مَعَارِكِهَا
لَكِنْ بَكَيْتُ عَلَى قَوْمٍ وَفَيْتُ لَهُمْ
مَا أَصْغَرَ الشَّعْبَ إِنْ هَانَ الصَّدِيقُ بِهِ
وَأَحْقَرَ النَّاسَ فِي خِزْيٍ وَمَا شَعُرُوا
بَقِيَّةً مِنْ جَرِيحِ الْحَرْبِ تُحْيِيهِ
فَمَا بَقَايَايَ إِلَّا مِنْ عَوَادِيهِ
فَمَا رَثَيْتُ لِعَمْرِي حِينَ أَبْكِيهِ
فَكَافَأُونِي بِتَعْذِيرٍ وَتَسْفِيهِ
وَسَادَ فِيهِ لُئِيمٌ مِنْ أَعَادِيهِ
كَأَنَّمَا الْخِزْيُ مِنْ أَوْهَامٍ مَعْتَوَاهُ!

السفهاء

وَلَوْ حَرَّصَ السُّوَّاسُ لِلنَّاسِ دَائِمًا
لَمَا نَدِمْتُ هَذَا الْبَسِيطَةَ مَرَّةً
عَلَى نَسْلِهِمْ وَاسْتَبَعَدُوا كُلَّ جَارِمٍ
عَلَى كَرَمٍ بَلْ أَشْرَقَتْ بِالْمَكَارِمِ

وَكُنَّا نَرَى الْإِنْسَانَ أَشْرَفَ عَامِلٍ
تَأَلَّقَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَحْيُ الْوَهَةِ
وَمَا قَالَ يَوْمًا مُحْسِنٌ غُدَّ مُجْرِمًا
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وَأَصْلَحَ مَخْلُوقٍ وَأَنْبَلَ رَاحِمٍ
وَمَا وَحِيَّهَا إِلَّا رَدَى كُلُّ ظَالِمٍ
عَلَى فَضْلِهِ بَيْنَ الْأَذَى وَالْمَغَارِمِ^١
وَبِالنَّاسِ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ نَادِمٍ

حنين الشجرة

تَهْتَزُّ أَفْرُعُهَا وَيُنْتَثِرُ زَهْرُهَا
فَيُرَى التَّهَافُتُ ثُمَّ فِي أَوْرَاقِهَا
وَالزَّهْرُ تَنْثَرُهُ تَحِيَّةٌ قَلْبِهَا
وَكَذَاكَ حَالِي فِي إِسَارٍ دَائِمٍ
وَتَعِيشُ فِي خَصْبٍ، وَلَكْنِي أَنَا

وَكَأَنَّمَا حَمَلَ النَّسِيمُ حَبِيبًا
وَعُصُونَهَا مَتَابَعًا وَعَجِيبًا
فَالزَّهْرُ أَصْدَقُ مَنْ يَسُوسُ قُلُوبًا
فَأَزِفُ شَعْرِي زَهْرَةً وَنَسِيبًا
فِي الْجَدْبِ أَلْقَى الْأَسْرَ وَالتَّعْذِيبَا!

المطية

يُرِيدُونَ مَنَّا أَنْ نَكُونَ مَطِيَّةً
فِيَا هَوْلَ يَوْمٍ يَغْتَدِي فِيهِ مُذْعِنًا
عَلَى أَيِّ وَهْمٍ ذَلِكَ الْخُلْفُ دَائِمًا
سَبِيلَكُمْو تَدْوِيخُهُمْ بِصَلَابَةٍ
سَبِيلَكُمْو أَنْ يَيَاسُوا مِنْ خُصُومَةٍ

تُسَاقُ وَإِلَّا أَنْ تُسَاوِمَ فِي الْحَقِّ
إِلَى الرِّقِّ مَنْ قَدْ ثَارَ قَبْلًا عَلَى الرِّقِّ
وَهَلْ يَعْرِفُ الْخَصْمُ الْحَقُوقَ لِمَنْشَقِّ؟
بَنَاهَا التَّآخِي لَا الْعِنَادُ مَعَ الْحُمُقِ
وَأَنْ تَهْزِمُوهُمْ بِالْمَتَانَةِ فِي الْخُلُقِ

^١ البيت التالي للمتبي.

دعونا من النُصحِ السخيفِ لخصمكم
لقد حكمَ الدنيا العريضة حِذْقُهُ
وهل مِنْ سلاحٍ في صرامةٍ قطعهُ
إذا جهلوا رُوحَ التآخي مُنزَهاً

فكم هو أدرى بالقساوة والرفقِ
فهل مثله يحتاج منكم إلى الحِذْقِ؟
أحدٌ من الإيمان بالحق والصدقِ؟
عن اليأسِ كان الرقُّ أجدى من العتقِ!

الفدائية

لمن الفداء؟ لمصر؟ وهي هي التي
لأعزَّ أهلي؟ حين طاب لجمعهم
لأحبِّ صحبي؟ حين أكثرهم أبى
ضَيَّعْتُ عُمري فادياً أو رائداً
ومِنَ العجائب لا أزال أحسنُ في

لَطَمْتُ وساءتْ هَمَّتي وكفاحي؟
لُومِي، كَأني مِنْ ضحايا الراحِ؟
إلاَّ التفلسفَ في أذى ومزاحِ!
فرجعتُ فوقَ محطَّمِ الألواحِ
غَرَّقني حنينُ الرائدِ الملاحِ!

دُنيا الإِساعة، ليس تعرفُ مرةً
تُشقيهِ، وهو كأنه عبدٌ لها
فيظلَ في أبديةٍ من سجنهِ

أَنْ تَسْتَغْلَ مواهبَ المُنّاحِ
وتردُّه بسلاسلِ الأتراحِ
رغمَ الفِداءِ لمجرمٍ ووقاحِ!

لا تُضْحِكُوني بالمديحِ فإِنّني
بل فأنعتُوني بالجنونِ لأنّني
ونسيتُ أَني سابقُ زمني، وما

متعنُّرٌ خَجلاً على أمداحي
أمننتُ بالأخلاقِ والأرواحِ
زمني بدنيا اللؤمِ والأشباحِ!

لأعبات التنس

يا جاريات في الهواء وطائرات في الهواء
والضَّاربات اللَّاعبات لنا على أكر الضياء
وكأنَّها بعضُ النجوم الواثبات من السماء
أنتنَّ ما تهبُّ الرشاقة والملاحاة والرجاء
لأولي الرجاء من المعاني المانحات لنا البقاء
فالفنُّ ينبض بالعواطف والتَّحرُّر في العطاء
نحيا بألوانٍ تُناجيها لديه بلا انتهاء
بين التوثُّب والتَّحفظ والشَّجاعة والوفاء
أنتنَّ ثورةً حسنكنَّ على تقاليد الرياء
فيكنَّ من رُوح (الألب) حرارةً للأوفياء
تُوحى لنا معنى النضارة والتحرُّر والإياء

فتياتٍ مصرَّ لم الخمول من الصباح إلى المساء
مثل الروابي النائمت على الحقول بلا ارتواء؟!
لا خير في موت الحياة يُصاغ في رَسْم الحياء!

قطي ممش

رأيتُه يبكي وكم من أنينٍ له، ثم كم من مُواءٍ حزينٍ
فقلتُ يا (ممش) فيم البكاء وقد كنت بالأمس ذاك اللعين؟!

فَأَذْهَلَهُ مِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ
أَلَيْسَتْ "مِثَالاً" لَهُ فِي الْجَمَالِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ أَبَى أَنْ يُجِيبَ
وَأَيُّ أَسَى بَعْدَ رَوْعِ الْأَسَى
فَأَشْعِرْتُ مِنْهُ بَأَنَّ الْجَمَالَ
وَمَا هَانَ فِي قَدْرِهِ عِنْدَنَا
يَكَادُ يَعِيشُ الْوَرَى لِلْخِيَالِ
وَمَا نَسَبُ النَّاسِ غَيْرَ الضَّلَالِ

لَدُنْ تَكْلَ الْقَطْطَةِ الْغَالِيَةِ
وَزَوْجَتِهِ الْحَلَوَةِ الْغَانِيَةِ؟
سُؤَالِي بِغَيْرِ سَكُوتٍ الْأَسَى
إِذَا قَيَّدَ اللُّسُنَ وَالْأَنْفُسَا؟
لَنَا رَيْبًا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ
تَمَثُّلُهُ فِي الْمُنَى حَادَّةً
إِذَا عَاشَ غَيْرُ الْوَرَى لِلْحَقِيقَةِ
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَحْبَبُوا بَرِيقَةَ!

مَاتَمُ الدُّنْيَا

عَيَّيْتُ بِمَاتَمِ الدُّنْيَا فَإِنِّي
أَتَيْنَاهَا ضُيُوفًا ثُمَّ جَادَتْ
فَإِنَّ الْمَوْتَ غَايَتُهَا وَعُقْبَى
فَدَعَنِي مُنْصَرِفًا دَعَنِي أَنْجَا
لَأَقْطِفَ مِنْ أَزَاهِرِهَا شَمِيمِي
أَشْهَدُ هَذِهِ الْجَنَّاتِ حَوْلِي
وَأَخْتَرَعُ الْجَمَالَ نَعِيمَ نَفْسِي
لِمَنْ هَذَا "النَّمَاذَجُ" فِي سُفُورِ
أَلَيْسَتْ لِلْفُنُونِ خُلُقْنُ حَتَّى
فَكَيْفَ أَفَوْتُهَا تَفْنَى فَنَائِي

لَقِيتُ بِهَا الْمَمَاتَ عَلَى التَّوَالِي
لَنَا بِالْمَوْتِ مِنْ دُونِ السُّؤَالِ
هَدَايَاهَا إِلَى ضَعْفٍ وَآلِ
مَفَاتِيحُهَا إِذْنُ قَبْلَ ارْتِحَالِي
فَتَلَكُ أَحَبُّ مِنْ زَهْرِ الْخِيَالِ
وَأَحْلَمُ بِالْخِيَالِ وَبِالْحَالِ؟
غَدَاً، وَأَنَا الْمَوْطِنُ فِي الْجَمَالِ؟
بِقُرْبِي، وَالْجَنَى الْغَالِي حِيَالِي؟
تُخَلِّدُ فِي الضَّيَاءِ وَفِي الظَّلَالِ؟
وَأَحْرَمُهَا دُعَائِي وَابْتِهَالِي؟

وكبف أعيش مرتقباً ممّاتي
إذا نال الجمال الصفو قلبي

كأنّ الحبّ لم يخطر ببالي؟
فحتى الموت يرضاه احتمالي؟

في بور سعيد

أهلاً عروس البحر، لم يظفر بها
تتلفت الدنيا إليك بموضع
إني رسول الشعر جئت ممثلاً
تحيين أنت نقيّة وعزيزة
في البحر أم في البر أم في الجو قد

بحر، ولا أرض، ولا أجواء
فذ كما تتلفت الجوزاء
لبنيه، مذن غنى بك الشعراء
والسفن شتى في حماك إماء
راعتك أحلام لها ورجاء

الصيف جاء فكنت من أطياره
هذي الشراك لمهجتي منصوبة
أهلاً شراك الحب! كل مليحة
متلن فتنة (أفرديت)، وهكذا
من نال هذا الأسر من شهدائه

وأيت يزجيني إليك حنين
وأنا قريّر عندها وغبين
أهفو إلى نظراتها وأدين
يُهدي الجمال عن الجمال أمين
فله الحياة، ومن عداه دفين!

يا ساعة عند الغروب كأنها
ما بال هذي الشمس تُرسل وجدها
ما بال هذا الموج يخفق هكذا
ما بال هذا الحسن يبعث شوقه
ما بال هذا الجو أشبع روحه

خُطفت من الأحلام والأجيال
فوق اللهب على المياه حيالي؟
خفق الحياة توثبت لزوال؟
فوق الرمال إلى نهى ورمال؟
بالخوف والآلام والآمال؟

السُّفْنُ تَبْدُو مِنْ قَنَاتِكَ مِثْلَمَا
حُمِّلْنَ بِالْأَرْزَاقِ مِثْلَ مَدَائِنِ
وَكَاثِنَهَا لُغَبُ الزَّمَانِ يَسُوقُهَا
شَابُ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ بِطُفُولَةٍ
وَالنَّاسُ إِنْ خُدِعُوا بِهِ فَلَأَنَّهُ

هَذَا الْمَسَاءُ يُظَنُّنَا بِوَلَائِهِ
لِلْفَيْلِسُوفِ بِهِ مَجَالُ رَوَائِعِ
وَالنَّاحِتِ الرِّسَامِ يَقْبِسُ فَنَّهُ
وَالشَّاعِرِ الْمَوْهُوبِ يَسْأَلُ غَامِضاً
وَالنَّاقِشِ الْوَاعِي بِرُوحِ مُلْحَنِ

هَذَا كِتَابٌ لِلطَّبِيعَةِ مَا لَهُ
كُلُّ أَمْرٍ يَلْقَى بِهِ إِيَّاهُ
شَتَّى الْعَوَاطِفِ وَالشُّعُورِ حَيَالُهُ
إِنْ شِئْتَ كُنْتَ أَمَامَهُ فِي غَفْلَةٍ
أَوْ شِئْتَ صَافَحْتَ الْإِلَهَ مُحَدَّثاً

تَبْدُو الرِّجَاءُ لَتَائِهِ الصَّحْرَاءُ
وَبَسْمَنْ بِالْأَحْلَامِ وَالْأَضْوَاءُ
وَيُشَاقُّ مِنْ جَوَلَاتِهَا بِالْمَاءِ!
وَيَظِلُّ طِفْلُ الْوَهْمِ وَالْأَهْوَاءِ
قَدْ يَمْرُجُ السَّرَّاءُ بِالضَّرَّاءِ

وَالجَوْ فِيهِ مِنَ الْوَلَاءِ صَلَاةُ
فَلِكُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ وَحَيَاةُ
مَا تُضْمِرُ الْخَطَرَاتُ وَالنَّظَرَاتُ
فَتَجِيبُهُ الْأَسْرَارُ وَالْآيَاتُ
يَرْتُو فِيوَحِي النُّورُ وَالْأَصْوَاتُ!

عُمْرٌ سَوَى مَا شَاءَهُ الْفَنَّانُ
وَلَكُمْ تَنْوَعٌ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ
وَكَذَلِكَ الْأَثْوَابُ وَالْأَلْوَانُ
لَا أَنْتَ مَوْهُوبٌ وَلَا إِنْسَانُ
وَقَرَأْتَ مَا أَوْحَى بِهِ الدِّيَانُ!

هداة الشاعر

مَا بِالْ سُخْطِي يَسْتَحِيلُ مَحَبَّةُ
مَا بِالْ أَطْيَافِ الرِّبِيعِ تَحَوَّلَتْ

كَالنَّارِ سَاعَةً تَسْتَحِيلُ ضِيَاءُ؟
شَجْنًا وَبَادَتْ نَشْوَةٌ وَصَفَاءُ؟

ما بالُ عُمري لوعةً لا تنتهي
وأعيشُ في دنيا التفاؤلِ ناسياً
أكذا يعيش الملهَمونَ، وهكذا

فأجاملُ الأيامَ والأرزاءَ
دُنيا تفيضُ قساوةً وعداءً؟
يُخَيِّ الزمانُ المجدَ والشهداء!

عيد الوطن الاقتصادي

ضُمُّوا الصُّفوفَ مواكباً ونشيداً
الناضينَ بحبِّهم لبلادهم
والتأثرين على مهانة قومهم
نَفَضُوا السُّبَاتَ وأشعلوا إقدامهم
يتدفقون حماسةً علويةً
مصرُ القديمة باركت أحلامهم
يمشون في مثلِ الأشعة حلبةً
يمشون من جوف الظلام هدايةً
ويجدِّدون لنا موثيق العلى
عرفوا جلاله عصرهم فتشَبَّثُوا
عرفوا الصناعة للسيادة منعةً
فرعونُ في هذي المواكب ماثلاً
جَدَّبَتْهُ أطيافُ البطولة حينما
إنَّ البطولة في شجاعة مُصلح
هذا جلال المهرجان بنايةً

ودعُوا الشباب يزينُ هذا العيدا
والرافعين لواءها المعقوداً
الوارثين عن الجدود خُلُوداً
وأَتُوا كما يأتي الصباحُ جديداً
ومن الحماسة ما يكون سديداً
واستعذبَتْهم نشوة وقصيдаً
ونفاسةً وصراحةً ووجوداً
ويهيئون لنا الغد المنشوداً
من بعد أن صارت هوى مفقوداً
بأصولها، وتسابقوا تشبيداً
فأبوا لمصر الذلَّ والتقييداً
فَرِحَ، ولكن لا يسوق عبيداً
أقصاهُ جُبْنُ السابقين مديداً
فدً، وليست غضبةً ووعيدا
جمعت طريفاً للعلى وتليداً

يحيَا الزمانُ على تراثِ بُناته
ما قامت الدُّولاتُ باسمِ مَفاخرِ
ما أَكثَرَ الهدَّامَ مِلاءَ ربوعنا
ما أعظمَ العبءَ الذي في حَمَلِه
فتقدِّموا زينَ الشبابِ! تقدِّموا!
وزِنُوا الكرامةَ بالوفاءِ لأهلنا
ليس ابنُ مصرَ وليس رافعُ مجدها

فإذا مضى البانون عاش فقيداً
درستُ إذا لم تصحبَ التجديداً
وأقلُّ فينا النفعُ والتأييداً
يَعْيَا البنونَ الحاملونَ قيوداً
لكم الزعامةُ في الصلاحِ رشيداً
الصانعينَ الباذلينَ جهوداً
إلا المجدُّ إرثُها المعبوداً

النسيم المأسور

أغضبتَ يا هذا النسيمُ؟ أصحَّتْ مِنْ
أترى جُرِحتَ مِنْ الكفاحِ خلالها
لهفي عليك تئنُّ أنَّةَ موجعٍ
إنَّ الجميلَ عليه غُرمُ جَمالِه

ألم، وقد حُوصِرْتَ في الأشجارِ؟!
أنتَ الطليقُ - أصرتَ رهنَ إَسارِ؟!
يا مؤنسَ العُشَّاقِ والسُّمَّارِ!
حتى الغرامُ يَنالُه بالثَّارِ!

كلبي الرقيب

(هَنُجُو)! أَطَلَّتْ تَأْمُلَاتِكَ راصداً
أتراكَ كالفلكيَّ يَرصُدُ عالِماً
ذهبَ الوفاءُ، فكلُّ ما تُعْنَى به
لم يَبْقَ مِنْ قِيمِ الحِياةِ وأهلها

مِنْ شُرْفَةٍ حركاتِ هذي النَّاسِ
أم أنتَ بينَ مخاوفٍ للياسِ؟!
عَبَثٌ وإحساسٌ بلا إحساسِ
شيءٌ لذهنِ الكاشفِ الحَسَّاسِ

لا ترصدنَّ كبيرَها وصغيرَها
قد لوَّثوا دُنْياَ الجمالِ وأفسدتْ

فالكلُّ أوهامٌ بغيرِ أساسٍ
أنفاسُهُم ما شاقَّ من أنفاسِ

زهر الشتاء

(الود المكذوب)

ليست تحياتُك الحسناءُ منبئةً
كالزهرِ فوقَ أديمِ الأرضِ منبسطةً

عمّا تكنُ لنفسِي من تحياتٍ
لكنه في ثلوجٍ لا حراراتِ

وحي البحر

عن أيِّ معنىٍ من مَبَاهِجِ نفسه
ترنو إليه بلهفةٍ وبنشوةٍ
أترى نحنَ إلى أوائلِ عيشِنَا
أم أنَّه سيفرُ الحياةَ وموْجُهه
كتبَ الإلهُ عليه من آياته

رمزَ الإلهُ لنا بهذا البحرِ؟
ظمأى، كنورِ النجمِ قُربَ الفجرِ
بالبحرِ في أقصى عُصورِ الدهرِ؟
إحياؤها بالنظمِ أو بالنتْرِ؟
سُوراً، ونحنُ بجلِّها لا ندري!

الخليج

عبثاً تحاول للتفاهمِ مسألكاً
سنعيش أبعدَ ما نكونُ لأننا

هذا الخليجُ مُباعِدٌ ما بيننا
في الرُّوحِ أبعدُ ما نكونُ وفي المنى

ما دمتَ لا تجد المشاعرَ تلتقي
أسَفِي على هذا الفقيرِ بروحه
أتخالُ أنني بعد هذا أرتجي
شِءَ عَرِي لنفسي، ثُمَّ بَعْدُ لمن له

فمن التوهُمُ أن يَرى الفقرُ الغنى
يأبى الغنى ويذمُّ روحَ مَنْ اغتنى
حُبُّ الذي يَجِدُ التَّسَامِي مَطْعَنًا
نَفْسِي، وليس بما يُباعُ ويُقْتَنَى

الأصداء

أرى كلَّ شيءٍ حيالي مثالاً
وهل هذه غيرُ أصداءٍ كونٍ
وقد يتجسَّم هذا الصَّدَى
وكم في الأثيرِ حديثُ الزمانِ
تُذاذرها عند صيد الغناء
ويا ربما ملؤها في اصطدامِ
نِداءِ الألوهة والمرسلين
وأنظرُ حَوَلي وجُوداً عجيباً
فما لي أحملُ نفسي الأسَى
إذا لم أكنُ غيرَ صوتِ الخيالِ
وفيمَ البكاءِ على عالمي

فأين الأصلُ لهذا المثالِ؟
خَفِيُّ أراه بعينِ الخيالِ؟
كما يتلاشى ببحرِ المُحَالِ
وأصدائه في مديدِ انتقالِ
ونحسبُها دونَّه في الجمالِ
جلالُ الخلودِ ووَهْنُ الزوالِ
تموجُ بها، ونداءُ الضلالِ
ولكنه الوهمُ في كلِّ حالِ
وأعباءُ جيلٍ يعافُ الجلالِ
ورجعِ الصَّدَى من قديمِ الليالِ؟
إذا لم يكن غيرَ بعضِ الظلالِ؟

^١ إشارة إلى الطفيليات الجوية التي تسمعها بالراديو.

طلاقة الفن

إِنْ شِئْتَ خُذْ مَا أَبَاحَ الْفَنُّ مِنْ صُورِي
هِيَهَاتَ لِي أَنْ أَصَوِّغَ الْفَنَّ زَخْرَفَةً
هِيَهَاتَ أَتْرَكُ وَقَعَ الْفَنُّ فِي خَلْدِي
إِنِّي أَصَبُّ شَعُورِي كَيْفَ أَعْرِفُهُ
مَا كَانَ لِي نَقْضُ شَيْءٍ مِنْ طَبِيعَتِهِ
شَعْرِي أَغَارِيدُ نَفْسِي كَيْفَ أَعْرِفُهَا

أَوْ لَا فَدَعُهَا فَإِنِّي النَّاqشُ الدَّارِي
فَإِنَّ هَذَا غُرُورُ الْوَاهِمِ الزَّارِي
وَأَسْتَعِضُ بِأَنْغَامٍ وَأَزْهَارِ
مِثْلِي الْآتِيٍّ وَمِثْلَ الْجَدُولِ الْجَارِي
مَا فِي الطَّبِيعَةِ لَوْ أَنْصَفْتَ مِنْ عَارِ
أَوْ لَا فَلَيْسَتْ أَغَارِيدِي وَأَشْعَارِي!

الإله المتنكر

هَذِي الْأُلُوهَةُ أَشْرَقَتْ وَتَنَكَّرَتْ
فَإِذَا عَبْدَنَاهَا فَلَمْ نَعْبُدْ سِوَى
مَا لِي وَأَوْهَامِ الشُّرُوحِ وَعِنْدَهَا
وَالْمَرْءُ يَعْرِفُ عَيْشَهُ مِنْ لُبِّهِ
حَتَّى الْإِلَهِ يَرَى التَّنَكُّرَ وَاجِبَةً
عَافُوا الصَّرَاحَةَ وَاسْتَبَاحُوا قَدْرَهَا

فَبَدَتْ لَنَا فِي صُورَةٍ (الْحَسَنَاءِ)
رَبُّ الْحَيَاةِ بِرَمْزِهِ الْمَتَرَائِي
قَلْبِي يَحْسُ بِجَانِبِيَّةِ رَبِّهِ
فِي حِينٍ يَعْرِفُ أَصْلَهُ مِنْ قَلْبِهِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَامَ النَّاسِ!
فَكَأَنَّمَا عَاشُوا بِلاَ إِحْسَاسِ!

العطر المستتر

لَمْ يَكْفِنِي نَظْرِي إِلَيْكَ وَلَا مَدَى
بَلْ طَابَ لِي أَنِّي أَشْمُكَ مِثْلَمَا

لَمْسِي جَمَالَكَ فِي فَتُونِ غَرَامِي
يَقْضِي تَلْهُفُ نَشُوتِي وَهِيَامِي

تَتَعَجَّبِينَ وَتَضْحَكِينَ، وَإِنَّمَا
أَهْوَاهُ مِنْ إِشْرَاقِ جِسْمِكَ سَاحِرًا
جِسْمٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ لُطْفِ النَّدَى
وَيَبْتُ مِنْ أَثْنَائِهِ عَبَقَ الْهَوَى
قَالُوا: جُنُونُ الْحُبِّ أَتْلَفَ لُبَّهُ!
ذَمُّوا عِبَادَاتِ الْجِسْمِ وَمَا دَرَوْا
دُنْيَا تُنَادِي أَهْلَهَا أَنْ يَنْعَمُوا
وَيُؤْمَلُونَ مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمَهُم

قَلْبِي الْعَلِيمُ بِعَطْرِكَ النَّمَامِ
لُبِّي وَسُلْطَانًا عَلَى أَحْلَامِي
أَلْقَا، وَمِنْ نَبْضِ الصَّبَا إِلْهَامِي
لِلْمُتَهَمِينَ بِنُورِهِ انْبِسَامِ
إِنَّ الْجَنُونَ تَغَافِلُ الْمُتَعَامِي
أَنَّ الْجِسْمَ مَنَازِلُ الْإِلْهَامِ
فَيَقُولُ غَافِلُهُمْ: نَعِيمٌ حَرَامِ!
فَإِذَا الْجَنَانُ مَسَارِحُ الْأَوْهَامِ!

الشعاع الخافي

أَمِنْتَ أَمْ لَمْ تُؤْمِنِي بِوَفَائِي
أَهْوَالُ قُرْبِي فِي الظَّلَامِ، أُنَيْسَةٌ
لَمْ يَذَرِهِ أَهْلُ الظَّلَامِ وَإِنْ يَكُنْ
خَافِي شُعَاعِكَ لَيْسَ يَخْفَى وَحْيُهُ
جَعَلُوا الْأَشْعَةَ فِي الظُّهُورِ مَرَاتِبًا
إِنْ كَانَ مِنْهَا ظَاهِرٌ وَمَحْجَبٌ
إِنِّي رَسُولُ الْعَاشِقِينَ، فَكَيْفَ لَا
وَأَنَا الَّذِي عَرَفَ الْجَمَالَ حَلَاوَةً
فَدَعَيْتُهُ تَهَافَّتَ نَاضِرِي بِنَشْوَةٍ
عَلَيَّ أَنْالُ نَخِيرَةٍ أَحْبَابُ بِهَا

لِي مِنْ حَنَانِكَ أَنْتَ نُورُ رَجَائِي
كَالْفَجْرِ بَيْنَ الصَّبْحِ وَالظُّلُمَاءِ
مَتَأَلَّقًا لِلشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ
عَنْ نَظَرْتِي وَتَلَهَّفِي وَدُعَائِي
إِلَّا لَدَيْكَ فَكُلُّهَا مُتَرَائِي
لِلنَّاسِ فَهِيَ عَلَى السَّوَاءِ إِزَائِي
أَخْتَصُّ بِالْتَّمِيزِ وَالْإِيحَاءِ
وَرُؤْيَى وَالْوَانَا مِنْ الْأَضْوَاءِ؟
مِنْ حُسْنِكَ الْمَتَسَتِّرِ الْوَضَاءِ
مِنْ هَذِهِ النَّفَحَاتِ لِلْأَحْيَاءِ!

أغاني أبي شادي

مختارة من دواوين

الشاعر ومؤلفاته

الجزء الأول - ١٩٣٣

اللهيب المقدس

قد رشفنا منى الحياة بثغرٍ
تتلاقى الشِّفاهُ وهي ظمَاءُ
وتُطِيلُ اللَّقَاءُ وهي سَوَاوِ
مَنْ يَلُومُ الْأَسِيرَ إِذْ يَغْنَمُ اللَّحْدَ
لَحْظَةً كُلَّهَا جُنُونٌ، وَلَكِنْ
وارتوينَا مِنَ اللَّهِيْبِ الْمَقْدَّسِ
ثُمَّ تَظْلِمَا عَلَيَّ ارْتَوَاءً وَتَنْعَسُ
عَنْ حَيَاةٍ بَوَجْدِهَا تَتَنَفَّسُ
ظِلَّةً لِلْعَيْشِ حِينَمَا الْعَيْشُ أُسْلَسَ
كَمْ جُنُونٍ مِنَ الرَّجَاةِ أَنْفَسُ!

قُبُلَاتٌ نَظَمْتُهَا لِلْأَغْنَانِي
لَمْ أَجِدْ مِسْمَعًا بِهَا الْيَوْمَ أَوْلَى
مِنْ جَنَى تُغْرِهَا قَبَسَتْ نَظِيمِي
رَبِّ شَدُوْبِهَا أَطَالَ حَيَاتِي
رُبَّ سِحْرِ لَسَحَرِهَا يَتَلَمَّسُ
غَيْرَ سَمْعٍ الَّتِي لَهَا الْقَلْبُ يَنْبَسُ
وَمِنْ الثُّورِ مُبَدَّعُ اللَّحْنِ يَقْبَسُ
فَحَيَاتِي مِنَ اللَّهِيْبِ الْمَقْدَّسِ

فجر العاشق

أَيْهَذَا الْفَجْرُ كَنْ رَمَزَ الْوَفَاءُ
طَالَ لَيْلِي، وَكَذَا طَالَ الشَّقَاءُ
إِنْنِي أَمْشِي عَلَى خَيْطِ الْأَمَلِ
قَطْعُهُ يُنْهِِي الْأَمَانِي وَالْأَجَلَ
وَبَقَائِي هَكَذَا رَغَمَ الْحَيْلِ
لِفَوَادِ الْعَاشِقِ الْبَاكِي الْحَزِينِ
فَابْتَسِمْ يَا فَجْرُ بِالنُّورِ الْأَمِينِ
فَفِي اضْطِرَابِ
وَشِيْءٍ بَابِي
فَفِي عَذَابِ

حالة أقسى مراراً من قضاء
فابتسم يا فجر برّاً بالرجاء
يهدم الأحلام هدماً للفناء
طالباً نأجاك عشقُ الأتقياء
إبتسم برّاً بطهري وشبابي!

الوحي

ما كنتُ مَنْ عَرَفَ الهوى لولاك
ما كنتُ إِلَّا للجمال، ولم أجِدْ
أَوْ عشتُ إِلَّا مِنْ نعيمِ هَوَاكَ
حُسْنًا إِلَيْهِ عبادتي إِلَّا
لا تحذري منِّي السُّلُوفُ فإنني
وأذوق كأسَ الموتِ دونَ غضاضةٍ
في راحتَيْكَ، ورحمتي عَيْنَاكَ!
لا تجزعي خوفَ الفراقِ فمهجتي

الطيب والزهر

كتابك العذبُ يا رُوحِي وريحاني
وناشدَ الشعرَ مِنْ قلبي فهالك هوى
وفي فحْبًا غرامي حينَ حيَّاني
يا قِبْلَةَ الشعرِ يا شمسِي وديواني
رحلتُ عنكَ رَحِيلَ الطيبِ عن زَهْرٍ
يُودِي بِهِ الْبُعْدُ لولا حُبُّكَ الداني
فكنتُ كالزَّهْرِ برّاً والنسيمِ رَضَى
وكنتُ كالشمسِ في حُسْنٍ وإحسانٍ
أهلاً بمكتوبك البسَامُ يُنْعِشُنِي
وفيضِ نوركِ إسعاداً للإنساني
في كلِّ لفظٍ معاني الأنسِ ضاحكةٌ
وكلُّ معنى دليلُ الصَّبْرِ للعاني

يا قلب

ثِقْ بِالْحَيَاةِ وَلَا تَخْفُقْ عَلَى عَجَلٍ
أَنْفَقْتُ فِيكَ دُمُوعاً كَمْ بَرَرْتَ بِهَا
ثِقْ يَا حَلِيفَ الْهَوَى بِالْحَبِّ أَيْنَ مَضَى
ثِقْ يَا وَفِيّاً تَغْذِي شِعْرَهُ طَرِياً
فِي كُلِّ دَقَّةٍ لَحْنٍ مِنْكَ عَاصِفَةٌ
تَرْفُ كَالطَّيْرِ مَذْبُوحاً وَفِي قَفْصٍ
يَا كَارِهِ الْعَيْشِ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ وَجَلٍ
هَلْ بَعْدَ عَهْدِ النَّوَى تُدْنِي لَهُ أَجْلِي؟
وَعِشْ لَهُ فِي خُفُوقِ الرِّفْقِ وَالْغَزْلِ
بِذِكْرِهَا، فَعَدَا يَبْكِي وَلَمْ يَزَلِ
وَكُلَّ خَفَقٍ لَكَ الْقَتَالُ مِنْ زَجَلِ
أَوْ كَالرَّضِيعِ هَفَا شَوْقاً إِلَى قُبُلِ

خمرة الحب

هَاتِي الْكَؤُوسَ الْحَالِيَاتِ بِمَا ادَّخَرْنَ مِنَ الْحَبَابِ
يَرَوِينَ عَنْ إِبْرِيْقِهِنَّ رَوَايَةَ الصَّفْوِ الْمُجَابِ
وَيَفْخُنَ بِالْعَبْقِ الشَّهِيٍّ مِنَ النِّعِيمِ بِلَا حِسَابِ
فَتَنَالِ مِنْهُنَّ الْنفُوسُ عِزَاءَهَا السَّمْعَ الْوَدُودَ
مَنْ عَالَمٍ كَمْ يَسْتَهِنُ
بِالْحُبِّ وَالْوَجْدِ الدَّفِينِ!

هَاتِي وَهَاتِي رَقِصَةَ الْحُبِّ الَّذِي نَحْيَا بِهِ
فِيَنَالِ كُلُّ مَشْوُوقٍ مَنَّا سُلَافَةَ قَلْبِهِ
وَيُثَابَ فِي صَلَوَاتِهِ حَمْداً إِلَى أَرْبَابِهِ
فَالْحُبُّ لَوْلَا رُوحُهُ مَا شَاقَقْنَا أَبَداً وَجُودَ

خَيْرُ لَنَا طَوْلُ الْأَنِينِ

مِنْ فَقْدِهِ لِلْعَالَمِينَ

عُدْ أَيُّهَا السَّاقِي بِإِكْسِيرِ الْحَيَاةِ إِلَى النُّفُوسِ

تَسْقِي السَّعَادَةَ وَالْغَرَامَ بِبِشْرِ هَاتِيكَ الْكَؤُوسِ

فَتَنِيرَ أَلْبَاباً بِمَا وَرَّعْتَ مِنْ نَوْرِ الشَّمْسِ

هِيَ هَاتِ ثُوفِي حَقَّ مَا تُسَدِّيه مِنْ أَنْسٍ يَجُودُ

بِلَذَاذَةِ الْعَاشِقِينَ

الشَّارِبِينَ الْخَاشِعِينَ

ابتهال

حِ غَدِّينِي بِأَلْحَانِكَ

وَنُورِي نُورُ بُسْتَانِكَ

وَحَيِّينِي بِأَجْفَانِكَ

لَوْ بَلَّ عُمْرِي بِتَحَنُّنِكَ

تَعَالِي يَا حَيَاةَ الرُّوْ

فَقُرْبِي مِنْكَ بَعَثْ لِي

تَعَالِي قَبْلِي تَغْثِرِي

فَمَا أَغْنَى بَغِيرِ هَوَا

تَعَالِي يَا حَيَاةَ الرُّوْحِ

تَعَالِي قَبْلِي تَغْثِرِي!

الحلم الصادق

هاتي لي العودَ وغني واسمعي شجوي وأنـي
تطرحي الأحزانَ عني فأؤدي صـلواتي

قالت الحسناء: سمعاً يا حياتي هـاك طوعاً
من سلاف الحب نوعاً يا حياتي! يا حياتي!

ثم غنّيتني اعتذاراً رنّحتُ منه الهزاراً
وأحبّبتني جهّاراً يـا له من حُبِّ عاتٍ!

ترسل الصوتَ شجياً يملأ القلب دويّاً
ليته عاش خليّاً ليتـه الباقي لآتٍ

ثم كفّت عن عذابي بأغاريـد الشـباب
وتممادت في دُعـاب بالـحـاظِ الفاتنات

وبحلو الشعر عطفاً وجمالِ الشـهدِ قطفـاً
لستُ إن حاولتُ وصفـاً بالغـا أحلى الصفات

إيـهـ يا يـومَ تقضـى في نعيم كيف ترضى
لفؤادي العودَ أرضاً كيف ترضى لي مماتي؟!

كأس شمبان

حياتي هاتي الراح من ثغرك الضاحي
ولا تكتفي باللثم يا نفح زهرة
ولا تستعيسي عن سنالك بخمرة
سوى خمرة وضاعة إن نفحتها
أشيري إلى (الشمبان) ترقص صباة
غيور، نفور، صاعد، هابط معاً
من اللهب البسام يروي مذابه
يكرمها التفاح تكريم عاشق
ولو كانت الأرواح سكرى بغيرها

وخصي بها الأزهار أجمل أقداح
لقلبي فما تغني السلاف عن الصاح
فما يسكر الأرواح مسكر أشباح
بسحرك شاقق قبل عاشقها اللآحي
وتنثر سني الدر هزة مسماح
على وهج الإصباح أكرم سباح
غرامي ويطفئ من شجوني وأتراحي
فتهدي إلى الأرواح قبلة تفاح
لأنعشها شوق إلى هذه الراح!

الكروان الرسول

بالله يا كروان
بلغ حبيبي الآن
لم يبق غير الروح
من لي سنواه أبوح

تكفيك أشـجـاني!
أنـي لـه الفـاني
في قلـبي المـجـروح
مهما تناسـلاني؟

بالله يا كروان

تكفيك أشـجـاني!

يا صاحبي الفئان

لا زال لي فئك

نَجْوَى هَوَى وَحَنَانُ	مَا شَابَهُ مَثُوكُ
تَسْتَقْبِلُ الْإِلَهَامُ	مِنْ وَجْهِهِ الْبَسَامُ
وَالشَّرِيعَ وَالْأَنْغَامُ	مِنْ فَيْضِ وَجْدَانِي

بِاللَّهِ يَا كَرِوَانُ	تَكْفِيكَ أَشْجَانِي!
-------------------------	-----------------------

قَدْ مَسَرَّتِ الْأَعْوَامُ	سَأَكْرَى بِسَآلَمِي
وَالْقَلْبُ فِيهِ ضِرَامُ	تُذَكِّي بِأَحْلَامِي
وَلَوْ عَتَى بِالْبَعَادُ	تُذِيبُ حَتَّى الْجَمَادُ
فَكُلُّ عِشْيِي نَفَادُ	لَوْلَا الْهَوَى الْبَانِي

بِاللَّهِ يَا كَرِوَانُ	تَكْفِيكَ أَشْجَانِي!
-------------------------	-----------------------

إحسان تحتضر

يَا حَيَاتِي أَيُّ قَلْبٍ لِي هَلَكُ	مَاتَ مَوْتَيْنِ بِنَارٍ وَحَلَكُ
يَا غَرَامِي عَنْ غَرَامٍ ضَائِعٍ	فَاتَنِي الْحِظَّانُ مُلْكُ وَمَلَكُ
لَيْتَنِي مَا جِئْتُ فِي الدُّنْيَا، وَيَا	لَيْتَهَا رَدَّتْ تَصَارِيفَ الْفَلَكَ
قَتَلْتَنِي نَكْبَةً قَدْ أَسْلَفْتُ	قِسْوَةً أَوْحَتْ إِلَى مَنْ قَتَلَكَ!

يا إلهي

يا حياة الروح يا روح الحياة - يا إلهي
كم يُعاني الصَّبُّ في ذكرى مُناه - غيرَ لاه
غارقاً في نار وجُدٍ لـن تـزول
وهموم وشـجون لـن تحـول
قبل صوب الغيث من فتان برّك!
يسأل الأزهار في سُكر الصَّبّاح - عن سلامك
حاسباً فيها بطاقات وراح - من غرامك
حَمَلَتْهَا عَنْ نَسِيمٍ لِي عَلِيلُ
وضياء من محيّاك الجميل
لم يُوفِّقْ سَعْيُهُ مَنْ فَرطَ سحره
فتجيبُ بحنانٍ وخفوق - من نُزوعك
مثل وَحْيِ الشمسِ في وقت الشروق - أو طلوعك:
"لستُ مَنْ يُعْطِيكَ مَنْ مُلْكِي الْجَزِيلُ
في حياتي، فهـي مـعبـودي البـخيـل!"
فارحمي، حتّى الضحايا بين زهرِك!
إصْفَحِي يَا مَهْجَتِي، يَا نارَ خُلُدي - يا جناني!
واسمحي بالبرِّ يا أنسي ووَجْدِي - يا بياني!
كلُّ لَفْظٍ مِنْكَ لِلنَّعْمِ دليـلُ
كلُّ سَطْرٍ مِنْهُ الشُّعْرُ الجليـلُ
ومعانٍ للهِوى مِنْ حُلُوِّ ثَغْرِك!

من مغاني الهوى

جَدُّا لِي الصَّبَا فِيمَا الْبُعْدُ يُنْسِي	مِنْ مَغَانِي الْهَوَى وَمِنْ مَهْدِ أَنْسِي
وَادَّعَى أَنَّهُ الْوَفِيُّ الْمُؤْسِي	وَانْتَهَرَا جَانِباً تَصْدَى لِحُرْحِي
فَثَرَاهَا مَلَاذُ رُوحِي وَحَسِّي	وَاسْمَحَا لِي بِقَبْلَةٍ مِنْ ثَرَاهَا
حَسِبْتُه الْأَطْيَارُ أَنْغَامَ (قَيْسِ)	وَإِذْكَرَانِي بِمَرْغَصٍ مِنْ نَظِيمِ
عَشَقْتُهَا الْأَزْهَارُ مِنْ وَجْهِ شَمْسِي	وَإِبْعَثَا وَالنَّسِيمَ لِي بِسَمَاتِ
طَرَحْتُنِي الْآتَوَى فَلَمْ تَبْقِ كَأْسِي!	كَمْ نَهَلْتُ الْحَيَاةَ مِنْهَا وَلَكِنْ

المهجة الحزينة

أَخْفَفَ مِنْ حَظِّهَا الْعَابِسِ	خَلَوْتُ إِلَى مَهْجَتِي فِي الظَّلَامِ
فَمَا الْأَنْسُ فِي الْبَيْنِ عَنْ مَوْئِسِي	فَقَالَتْ: حَرَامٌ، حَرَامٌ، حَرَامٌ!
إِذَا احْتَجَبَتْ زِينَةُ الْمَجْلِسِ؟	وَهَلْ طَابَ لِلْعَاشِقِينَ الْمُدَامِ

فَبِاللَّهِ دَعْنِي لِدَمْعِي الْحَزِينِ

فَقَدْ شَاءَ رَبِّي لِمَثَلِي الْأَنْيْنِ

وَكُنْ رَاحِماً، إِنْ لَوْمِي عَذَابُ

أَعْلَمَهَا حَكْمَةَ الصَّابِرِ	وَحَاوَلْتُ جُهْدِي بَغِيرِ انْتِفَاعِ
مِنْ الْعَذْرِ مَا لَمْ يَزَلْ أَسْرِي	فَقَالَتْ - وَمَا قَوْلَهَا مَا يُذَاعُ
عَنِ الصَّفْوِ فِي الْأَمْسِ وَالْحَاضِرِ	كَأَنَّ الْوَفَاءَ لَهَا الْإِمْتِنَاعُ

إِلَى أَنْ يَحِينَ اللَّقَاءُ الضَّنِينِ

إلى أن يعود الغرامُ الدَّفِينُ
إلى البعث من برّها المستطاب!

القيشارة المتعبة

يَسْتَصْرِخُ الدُّنْيَا أُنْيُئُهُ	يَا لِّلْمَحِبِّ هَوَاهُ دِيئُهُ
كَأَنَّ أَعْدِيَّهَا جُنُوءُهُ	وَيَذُوقُ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ
وَكَمْ يَدُقُّ بِهِ حَنِيئُهُ	لَا يَسْتَقِرُّ لَهْ الْفَوَادُ
وَقَلَّمَ مَا يَبْدُو رَنِيئُهُ	دَوْمًا عَلَى نَغَمِ الْبِكَاءِ
فَلَيْتَ يَسْمَعُهَا ضَرْنِيئُهُ	قَيْشَارَةُ الْحَسَنِ الْخَنِينِ
وَكَمْ تَزُرِّقُهَا سَرْنِيئُهُ	لَا تَسْتَرِيحُ مَدَى السَّنِينِ

اللهيب المقدس

إِسْمَعِي ثُمَّ اسْمَعِي يَا كُلَّ دَوْلَاتِ الْجَمَالِ
مَا عَزَّ مِنْ شَيْعِرٍ وَمِنْ سِجَرٍ هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالِ
هَآ صَدْحَةُ الْبَلْبَلِ تَمْضِي خَجَلًا مِنْ فَنِّهَا
هَآ رَوْعَةُ الْأَلْحَانِ وَالْأَنْغَامِ أَسَى حُسْنِهَا
اسْتَوْسِرَتْ ثُمَّ اسْتَعَادَتْ بُرْهَةً وَثَبَّتْهَا
لَكِنَّ تَعُودَ لِلَّتِي دَامَتْ لَهَا رَبَّتْهَا
اللَّهُ فِي هَذَا الْبَيَانِ الْفَاتِنِ الْمَرْدِ

الله في (هاروت) يَغْنُو للجمال السيد
 اللابس التيجان من أشهى حلبي العالم
 المانح الأكوان من ثغر له حيا فمي
 لم أدر في صفو وشجو وابتسام وبكاء
 ما مر من ليلة عمر هي والعمر سواء
 بل كيف لم أترك حياتي في شذا أتباعها؟!
 بل كيف أغرتني على قتلى لدى توديعها؟!

لو ذاق....

لو ذاق ثغرك ثغري	لصُفْتُ وصُفَكَ أيه
أو ضَمَّ صدرك صدري	لزدت عشقي الهداية
يا قُرَّة العين مهلاً	لا تُسْرِفني في الغوايه
إن تُشعلني فَرطاً وجُدي	فاستعجلي الوصل غايه
يا مَنْ رَمَيْت فؤادي	أَتَقْنَتِ فَنَّ الرَّمَايه
لا تتركيني جريحاً	لا تُرهِقني للنهائيه
بعضُ العناقِ حلال	بعضُ الدلالِ جنائيه

الوصل الدائم

أحسبون فراقني عنك محتملاً	وفي الأثير حنين من مُحْيَاك؟!
وفي الهواء نثير الطيب من نفس	فما تنفست إلا لاثماً فاك؟!

فليس لي طلبٌ إلّا! إلّا!
تَفْنَى الحياةُ بترُّبٍ فيه ذكراك!

فأينما كنتَ يا رُوحِي ويا أُملي
ولو غدوتُ تراباً ما فَنيتُ فما

نفسٌ تذوبُ

فإنَّ أطيِّبها مستجمَعٌ عندَكَ
وفَتَّ طيفاً يعانِي وحْدَه بُعْدَكَ
أنتَ الكريمُ فسامح في الهوى عَبْدَكَ
وإنَّ رُوحِي بروحِي تشتري ودَّكَ
أو شئتَ ضيَّعتَ صَباً يرتجي ردَّكَ

نفسٌ تذوبُ إذا لم تَجْتذبْ صدَّكَ
أسرتَ صَفْوَ حنيني وامتلكتَ دمي
يا مُثَلِّفاً بالجفا قلباً يسيلُ وفاءً
كلِّي فِداءَ جمالِ زِنْتُهُ فَعَلَا
إن شئتَ ألبستني أنساً وعافيةً

سكرة الوصل

بعدَ الفراقِ بربٍّ منك أغنمُهُ
تنشَّفُ الشمسُ زهراً دمعُهُ دُمُهُ
وأشفقُ الحبِّ بالهجرانِ أظلمُهُ
منْ فيك، لو أنَّ يومَ الوصلِ مائمهُ

روحِي! حياتي! ألا يومٌ يعودُ لنا
فيمسحُ الدمعَ من خدِّي سنالكِ كما
فأقتلُ الحبَّ أهنأه لطالبه
يومٌ! نعم! كلَّ ما يرجو ومُسكرةٌ

لحظة أنسي

فما وَفَيْتَ ونابَ الدمعُ للباكي
واليومَ أولى به حظِّي... فرحماك!

خطبتُ لحظةَ أنسٍ منْ مُحياكِ
كم أسعفَ العينَ في أعوامِ محنتها

حُجِبَتْ كَالشَّمْسِ لَمْ يَرْضَ الْغَمَامُ لَهَا
وَأَشْعَلَ النَّارَ فِي قَلْبِي، فَأَيْنَ - مَتَى
مَشَيْتُ كَالْتَائِهِ الْمَسْحُورَ مِلْتَمَساً
فَطُفْتُ فِي رُوعَةٍ أَنَا وَفِي شَغَفٍ
فَأَكْمَلِي حَجِّي الْبُرُورَ سَامِحَةً
وَأَسْمَعِي قَلْبِي الْغَرِيدَ مِنْ قَبْلِ

بِرّاً، فَأَمْطَرَ دَمْعَ الصَّاعِرِ الشَّاكِي
يَا (زَيْن) تُطْفِئُ هَذِي النَّارَ يُمْنَاكَ؟
مَنْكَ الشِّفَاءَ فَأَدْنَانِي لِمَغْنَاكَ!
حَجّاً، وَإِنْ لَمْ أذُقْ فِي نَعْمَةٍ فَالْوَ
بِالْوَصْلِ فِي مُحْفَلٍ لِلْحَبِّ ضَحَّاكَ
تُهْدِي الْحَيَاةَ فَيَبْقَى الشَّاعِرَ الْحَاكِي

أَمْسُ وَالْيَوْمُ

إِيهِ يَا رَحْمَةً نَفْسٍ لَمْ تَكُنْ
تَسْأَلِينَ الْيَوْمَ عَنْ حَالِ الْهَوَى
سَأَلْتِي قَبْلِي حَنَاناً طَالَمَا
سَأَلْتِي الْقَلْبَ الَّذِي أَتَعَبْتَهُ
سَأَلْتِي الْحَسْنَ الَّذِي أَنْهَكْتَهُ
فَجَوَابٌ مِنْكَ أَوْلَى بِرُّهُ

فِي هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ نَظَرِيكَ
إِنَّ مَا أَهْوَاهُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ
خَبَّرْتَنِي عَنْهُ حُلُوقِي شَفَتِيكَ
فِي خُفُوقٍ مِثْلَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ
بَيْنَ تَقْبِيلٍ وَهَضْرِي جَانِبَيْكَ
بِمُعْنَى لَمْ يَزَلْ يَحْنُو عَلَيْكَ!

رَفِيقَةُ صَبَايَ

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الزَّكِيَّةِ عِنْدِي
أَشْتَهِي لَثْمَهَا وَأَخْشَى عَلَيْهَا
يَا نَدِيمِي إِذَا تَنَحَّيَ نَدِيمِي

طَالَمَا خَفَّفْتُ أَنْيُنِي وَوَجْدِي
مِنْ زَفِيرِي فَحِيلَتِي الْبُعْدُ جُهْدِي
وَنَعِيمِي وَيَا حَلِيفَةَ سُهْدِي

كُلُّ أَنْسِ أَسْدِيتهِ لَفَوَّادِي
حَكَمَ الدَّهْرُ بِالفِرَاقِ عَلَيْنَا
كَيْفَ يَرْجُو السُّلُوَ قَلْبٌ وَفِيَّ
كَانَ وَعْدَ اللِّحَاطِ وَالتَّغْرِ وَالْأَنْدِ
كَانَ صَمْتًا وَكَانَ نُطْقًا شَهِيًّا
لَا تَقُولِي مَا كَانَ ذَلِكَ عَهْدًا

سَوْفَ يَبْقَى وَلَيْسَ مَا كُنْتُ أَسْدِي
وَقَضَى الْحُبُّ أَنْ أُجَنَّ بِبُعْدِي
أَنْتَ لَقَنْتَهُ الْغَرَامَ بِوَعْدِهِ
سِ وَجَذِبَ أَضَاعَ لَبِّي وَرَشْدِي
بَيَّانٌ يُجَلُّ عَنْ أَيْ نَقْدِ
فَفَوَّادِي الْخَفُوقُ يَرْضَى التَّحْدِي!

الذكر والنسيان

يَا مَنْ بَخَلْتَ بِلَفْظٍ مِنْكَ يُسَعِدُنِي
لَا رَالِذِي خَلَقَ الدُّنْيَا وَأَبْدَعَهَا
إِنْ تَحْسَبِي خَطَرَاتِ الذِّكْرِ تَوَلَّنِي
وَرَبَّ أَلَامَ نَفْسٍ كُلُّهَا جَذَلْ
وَذَكْرِيَّاتِ حَسَانٍ لَا زَوَالَ لَهَا
دَعِي أَنَا مَلِكُ الْحُسْنَاءِ تُنْصِفْنِي
وَإِنْ أَرَدْتَ بَيَانًا يَسْتَعِينُ بِهِ

أَتَحْسَبِينَ طَوِيلَ الصَّمْتِ يُثْسِنِي؟
وَمَلِكَ الْحُسْنِ قَبْلَ الْعَقْلِ وَالْدِينِ!
فَأَيُّ وَهْمٍ مِنَ النِّسْيَانِ يَهْنِيَنِي
وَرَبَّ وَجَدَ إِذَا أَشْجَى يُوَاسِينِي
كَأَنَّهَا مِنْ صَمِيمِ الرُّوحِ تُحْيِينِي
وَلَا تَضْنِي فَهَذَا الْبَخْلُ يُضْنِينِي
هَذَا الْجَمَالُ عَلَى قَلْبِي فَنَاجِينِي!

أنت....

أَنْفَقْتُ فِيكَ عِبَادَتِي وَسَعَادَتِي
وَعَرَفْتُ فِيكَ لِدَاذَتِي وَتَأْوُهُ

إِنْفَاقَ إِيْمَانٍ بِجُودِ إِلَهِي
سَيَانَ حِظِّ فَوَّادِي الْأَوَاهِ

وعشقتك العشق الذي لا ينتهي
فلي (الطبيعة) قدوة بسجودها
وأنا ابنها الوافي يُجلك مثلها
هل أنت إلا الحسنُ قامَ مُجسِّماً
ويقود أحلام الأنام قريرة

دِينُ فُتْنَتُ بِهِ وَلَسْتُ أَبَاهِي
لَسْنَاكَ قَبْلَ خَوَاطِرٍ وَجِبَاهِ
وَيَرَاكَ رَمَزَ جَمَالِهَا الْمُتَنَاهِي
لَيْسُودَ بَيْنَ عَوَاطِفٍ وَشِفَاهِ
لَأَعِزَّ مَا يُسَدِّيه صُنْعُ اللَّهِ؟!

يا خفة الروح

يا خفة الروح التي عذبت
لا تُشفقي أو فاشفقي! إنني
كم يرحم قلبي النسيم الذي
وأنت في ضن وفي خشية
إن تحفظي ثوبك من لهو

في وثبة منها خفوق الفؤاد
أستأهل الرحمة قبل الجمار
يعبتُني ثوبك عبث الوداد
كالحارس الكنز الكثير السهاد!
هل صُنْتَ لي قلباً لهد يُقاد؟!

أمتع الأتس

تُسألني عن أمتع الأتس لذة
تنازلت طوعاً عن وعود بجنة
جمال وتحنان وتيه ورقة
تَفَنَّنْتُ فيها عن غرام وسكرة
وما الحور والولدان في معرض الهوى

وما الأتس حقاً غير إيناس غانية!
لساعة صفو منك بالحب غالية!
وعطف وإحياء لأحلى أمانية
وأنعشت رُوحِي من قطوفك دانية
وأنت منال اللذة المتناهيّة؟!

ففي كلِّ جزءٍ منك حُسْنٌ يشوقني
وفي كلِّ لفظٍ خَفَّةٌ أو رَشَاقَةٌ
وفي غُنْجِكَ الوَثَابِ أَحْكَامُ ثَوْرَةٍ
وحقِّكَ كم جَدَّدْتَ بالوصلِ مهجتي

وفي كلِّ مرأىٍ فائناتٌ موالية
تجددٌ من أحلامِي المتفانية
تهزُّ شجِيَّ القلبِ من كلِّ ناحية
نعيمًا، وكم أضحتُ بِبُعْدِكَ فانية!

ليلة صيف

وليلةٌ من ليالي الصَّيفِ باسمِ
قد خلونَا إلى الأحلامِ تجمَعُنَا
ولا عَذُولٌ غَيُورٌ لا يسامحنا
إلاَّ الجمالُ الذي فاتتْهُ فاتنتي
غَنَّتْ على وَقَعِ قلبي أيَّ أغنيةٍ
وقد تَشَتَّتْ دلالاً في ترنمِها
في كلِّ نظرةٍ رَفُوقِ خمرةٍ كَرُمَتْ
فقلتُ: "رُحْمَاكَ لا تخشي مُغازلة
غَنِّي على العودِ يا شمسي ويا قمرِي
تُسَابِقُ الصَّوْتُ أوتارَ مُرْثَحةٍ
كلاهُمَا طَوْعُ إلهامٍ بررتَ به
أصغِي إليه قليلاً ربما نطقْتُ
وكلُّ خَفَقِ نَشِيدٍ للغرامِ قضَى
فَقَبَّلْتُ مَوْضِعاً رَفَّ الفؤادُ به
كأنَّما رُوِّعَتْ مِنْ نارِهِ فَبَكَتْ

بأنجمٍ سطعتُ في الأفقِ ترعانا
وللغرامِ ينادينا ويرضانا
ولا رقيبٌ يُوَاذِنُنَا وينهاننا
فنَلُتُ منه وقد فاتتْهُ سلطاننا!
أهدتُ إلى الأملِ البَسَامَ رِيحانا!
فكان تمثيلُها الفَتَّانُ فَنَّا!
وكلُّ لفظٍ يُحْيِي الرُّوحَ إحسانا!
فقد قتلتَ بـمَاضِي الخوفِ إنسانا!
فأنتَ طَبٌّ له إن ماتَ سَكرانا!
والقلبُ غيرانُ يخشى منه غيرانا!
لولا أَنَا مِلْكُ الحَسَناءِ ما كانا!
شِغافُهُ بالهوى العاصِيكَ كِتْمَانا!
فيكَ الشَّهيدُ وما أطفأتِ نيرانا!"
وبللتِ بدموعٍ منه أَشْجَانا!
والظلمُ يُولُمُ مُشَقَى الناسِ أحياناً!

فلم أَفُقْ في احترَاقِي من معانِقَةٍ إلا أسيرَ الهوى المحسودَ عَصيانا!
والحريرِ على صدري مداعِبَةٌ والتَّغَرُّ يلثمُ عاري الحسنِ حيرانا!

اذكريني

أذكريني يا حياتي كُلِّما شِمتَ في الإصباحِ مَرَّكَ الوسيمِ
واذكريني يا مَدَى سُؤْلِي بما يَتَّبِعُ الإصباحَ مِنْ بِرِّ النسيمِ
واذكريني يا غرامي عند ما يشكرُ الناسُ نَدَى الربِّ الكريمِ
واذكريني كيفما شئتَ فما غيرُ ذَكَراكَ غِذاءٌ لي يُديمِ

أذكريني يا مَنى قلبي، اذكريني!

أذكريني في أغاريد الطيورِ كم تغنَّتْ من حنيني وبشعري
واذكريني في تحيَّات الزهورِ فهي معنى من بياني قبلَ زهرِ
واذكريني في سُويِّعاتِ الحبورِ فهي قسطن، ولي بالذكر أجري
واذكريني في ظلامٍ قبلَ نورِ كم سهرتُ الليلَ مَفْدِيًّا لفجرِ!

أذكريني يا مَنى قلبي، اذكريني!

أذكريني أينما لاحَ الجمالُ مُشرَّباً لسموٍّ مِنْ جمالِكَ
واذكريني كلما رام الوصالُ كلُّ حُسنٍ يَشْتَهِي نجوى سؤالكِ
واذكريني كلما يقضي الجلالُ بضحايا قد تفانتُ في جلالِكَ
واذكريني كلما شاء الحالُ موكبُ العشاقِ من عانٍ وهالكِ

أذكريني يا مَنى قلبي، اذكريني!

أذكريني عند ما تُزهِى السماءُ
واذكريني حينما يَفْذى الرجاءُ
واذكريني كلما نال الشفاءُ
واذكريني كلما صحَّ الوفاءُ
بنجومٍ أو ببدرٍ قد تَحَلَّى
في رجوعِ الأنسِ من ماضٍ تَوَلَّى
منك عانٍ في شقاءٍ قد تَوَلَّى
في زمانٍ لم يجدْ للصدقِ أهلاً
أذكريني يا مُنى قلبي، اذكريني!

أذكريني كلما راعَ الغروبُ
واذكريني كلما أذكى القلوبُ
واذكريني عندما تبدو الغيوبُ
فإذا الباكي به مثلَ الطُروبِ
بجبالٍ بين نيرانٍ سَحِيقَةٍ
لَفَحُها والأعينَ الحسرى الغريقَ
في ظلامِ الليلِ حَيْرَى كالحقيقَةِ
خشيةً إلَّايَ يا نفسِي الرَشِيقَ
طالما لم أنسَ برأ... فاذكريني!

غروب وذكري

قالت: "حبيبي كم ودَّدْتُك جالساً
في البحرِ تسبحُ بُرْهَةً وتغيبُ في
فأجبتُ: "يا سؤلي وهل يشجني الهوى
شِسان: شمسٌ قد تغيبُ وأختُها
مَنْ كان قَرَبَكَ ليس يشغله سوى
فتبسَّمي وتعطِّفي وتكرِّمي
ودعي ابتسامك من حنانك غُنيَّةً
فتبسَّمتُ سُكْرَيْنِ لي وتأوَّهتُ
قربي ومَرَأى الشَّمسِ عندَ مَغيِبِ
شَفَقٍ كحالِ الشَّوقِ عندَ غَريبِ
هذا الوداعُ وأنتِ سؤْلُ حبيبِ؟!
تبقى لرحمةِ عاشقٍ وأديبِ
هذا الجمالِ يرقُّ في تعذيبي!
ما شئتِ يا حظي وكلَّ نصيبي
للقلبِ عن نورٍ وطبِّ طيبِ!
فأجاب من قلبي وفيَّ نحبي

قالت: "نسيتَ الوعدَ هل يبكي السنَى
أيسوغُ دَمْعُكَ في ضياءِ محبَّتِي
قُلْتُ: "اعذريني يا حياتي ربُّما
فلَكم بكى بالطلِّ زَهْرُ صَاحِبِ
ولربِّ دَمْعٍ مِنْ شَعْرِي لم يكن
فلقد ذكرتُ غروبَ أَمْسِي عندما
فذكرتُ حالَ البحرِ حيثُ وصفتهِ

إِنْ صَحَّ وَصَفُكَ في مجالِ نسيبِ
أَمْ كانَ حظُّ الحُبِّ حظَّ كُئيبٍ؟!
أبكتُ تحيةً مُسْعِدٍ ومجيبِ
للشمسِ، يا شمسي وسرَّ وجيبي!
إلا كرمزِ البحرِ وهو مُذِيبِ!
ودَّعتُ حُلامِي وداعَ جَنِيبِ
والشَّمْسُ تغربُ فيه بينَ لهيبِ!"

النعمتان

نظرة وابتسامة
(أنشودة إلى حسناء أدبية)

نَبَّأْنِي نَبَّأْنِي
إِنَّمَا تُغْنِي حَنِينِي
قِصَّةَ (الدنيا) العجيبِ
نَظْرَةَ الرُّوحِ الأديبِ

لَا تَبْـوَحِي بِكـَلَامٍ
وَمَلَامٍ أَلـَلَامٍ
إِنْ فِي عَيْدِكَ شـَعْرًا
مِنْ مُحِبٍّ رَدَّ عُذْرًا

أَنْظُرِي يَا نـُورَ عَيْنِي
كَمْ مَعَانٍ غِـبْنَ عَنِّي
أَنْظُرِي يَا نـُورَ نَفْسِي!
قَبْلَ أَنْ أَسْدِيتَ أُنْسِي!

وَابْـسَمِي (كَالشَّمْسِ) لَمَّا
فَانْتَشَى قَلْبٌ وَهَمًّا
كَوْنَتَ هـِذِي الحِيَاةَ!
وَتَلَقَّتْهَا الشُّفَاةُ

أَنْتِ (أُخْرَى) فِي ابْتِسَامٍ!
وَمَحْيَاكَ السَّلَامُ!

مَنْ أَغَارِيْدُ الْوَجُودِ!
مَنْ مَحْيَاكَ الْوُدُودِ!

نِعْمَةٌ (الدُّنْيَا) بِنَظَرِهِ
تُعْطِنِي (الْأُخْرَى) كَزَهْرِهِ!

أَنْتِ (دُنْيَا) فِي شُعَاعٍ
كَيْفَ أَبْقَى فِي التِّيَاعِ

فَابْسِرْمي وَاحْكِي نَشِيداً
وَامْنَحِي عَيْداً سَعِيداً

لَقِّنِيْنِي يَا نَعِيمِي
وَانْشُرِي لَطْفَ الرَّحِيمِ

صور وأنغام

قَلْبِي الْمَشُوقُ لِفَتْنَةِ الْإِلْهَامِ
فَإِذَا الْحُنُوءُ بَثْغَرَهَا الْبَسَامُ
بِبِدَائِعِ النَّقَّاشِ وَالرَّسَّامِ
بِمَنْوَعِ الْفَتَّانِ مِنْ أَنْغَامِ!
ثُمَّ اسْتَزَادَ هُدًى فَكَانَ إِمَامِي!
وَشَرِبْتُ بِاللَّحْظِ الْأَسِيرَ مُدَامِي!
تُهْدِي إِلَى طَرْفِ الْمَرْوَجِ سَلَامِي!

أَمْتَعْتُ مِنْ فَجْرِ (الرَّبِيعِ) الْهَامِي
وَرَنَوْتُ لِلْأَمِّ (الطَّبِيعَةِ) بِاسْمَاً
رَفَعْتُ نِقَابَ اللَّيْلِ عَنْهَا وَازْهَتْ
وَبَدَتْ تُغَرِّدُ لِلْخَوَاطِرِ وَالنُّهَى
الطَّيْرُ كَانَ مُؤَذِّنًا بِصَلَاتِهَا
فَتَلَوْتُ مِنْ قَلْبِي الْقَرِيرَ عِبَادَتِي
وَحْتَمْتُ مَقْبُولَ الصَّلَاةِ بِنَظَرَةٍ

الشفاء

(وصف أغنية الحبيبة في عيادة عاشقها المريض)

رَدَدِي أَحْلَى الْأَمَانِي رَدَدِي
أَنْتِ رَاحَ النَّفْسِ فِي أَحْلَامِهَا
طَالَ سَهْدِي بَيْنَ حُلُمٍ زَائِلٍ
حُسْنُكَ الْإِعْجَازُ، فَلْيَنْفِرِ الْأَذَى
أَرْجِعِينِي لَوْجُودِي... لَا أَرَى
نَظْرَةَ الْبَرِّ لِرُوحِي وَقَعُهَا
رَدَدِي أَبْهَى الْمَنَى فِي نَعْمَةٍ
يَسْتَهْيِهَا (الْعُودُ) أَيْضاً مِثْلَمَا
زُرْتَنِي يَا مَهْجَتِي عَائِدَةً
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِعْرَاضَهُ
وَلِهَذَا السُّقْمُ شُكْرِي، إِنَّهُ
وَوَفِيَّ رَدَّ لِي رُوحَ الْهَوَى
فَابْسِمِي يَا نَعْمَتِي أَسِيَّةً
لَيْسَتْ الْأَلْحَانُ مِنْ حَنْجَرَةٍ
تُنَصِّرُ الدُّنْيَا لَهَا كَاسِبَةً
وَتَقِينِي مِنْ شِفَاءٍ قَبْلَ مَا

وَأَنْهَرِي يَا نُورَ عَيْنِي كَمَدِي!
فَلتَكُونِي رَحْمَةً لِلْجَسَدِ
يَبْعَثُ السَّلْوَى وَنَارَ الْجَدِّ
عَنْ وَفِيَّ بَاتَ كَالْمُفْتَقِرِ
غَيْرَ هَذَا السَّحَرِ فَيْكَ مُوجِدِي؟
وَقَعُ أَنْدَاءٍ عَلَى زَهْرِ صَدِي!
يَسْتَهْيِهَا (صَادِحُ) الْغَصْنِ النَّدِي
يَسْتَهْيِ سُقْمِي وَسَمْعِي عُودِي!
وَفَوَّادِي الْمُرْتَجَى لَمْ يَعُدْ!
وَلَهُ الْعُذْرُ وَلَوْ الْحَسَدُ!
لَخَلِيلٍ حَارِسٍ مُعْتَقَدِي
شَائِعاً فِي النَّفْسِ الْمُرَدَّدِ!
وَأَمْنَحِي طَبَّ (الْهَزَارِ) الْغَرْدِ
بَلْ حَيَاةً عُمُرُهَا كَالْأَبَدِ
مِثْلَ كَسْبِي مِنْ مَعَانِي الرِّغْدِ
أَشْتَفِي مِنْ فَضْلِ طَبِّ فِي يَدِي!

رحماك

ذابَ الفؤادُ أَسَىٰ بنارِ هوائِ
قَبْلَ الفناءِ بلحْظِكَ الفَتَّاكِ
أَيُّنَ السَّوَالِ عَلَى يَدِ السَّفَّاكِ
قَبْلَ المَمَاتِ، فَهَلْ يُرَدُّ فَتَّاكِ؟
هي لَفْظَةُ الرُّوحِ الشَّجِيِّ الشَّاكِي
غَيْرَ الودَاعِ وَلَوْ دَعَتْ شَفَتَاكِ!
فَيَكُونُ خَاتِمَةَ اللَّهيبِ الدَّاكِي
يَأْبَىٰ إِبَاءً أَنْ يُقْبَلَ فَالْكِي
وَسَنَّاكَ يَأْمُرُ أَنْ يَمُوتَ فِدَاكَ

رُحْمَاكِ! كُلُّ ضَرَاعَتِي: رُحْمَاكِ!
وَيَظَلُّ يَطْمَعُ فِي حَنَانِكَ مَرَّةً
إِنْ كَانَ إِثْمُ الحُبِّ فَرَطَ وَفَائِهِ
المَجْرَمُ المَحْرُومُ يُسَالُّ عَنْ مُنَى
نَادِيهِ يَا أَمَلِي يُجِبُّكَ بِلَفْظَةِ
لَا تَحْسَبِي رَمَقًا بِهِ يَقْوَىٰ عَلَيْهِ
مَحْضُ السَّوَالِ إِذَا أَجَبْتَ عَزَاؤُهُ
رَفَقًا بِحُسْنِكَ لَوْ أَطَاقَ مَوَدَّعًا
فَلِظَاهُ يُحْرِقُ كُلَّ غَضٍّ يَانِعٍ

توبة الحب

وَإِنْ نَسِيتُ فَمَا أَتَسَىٰ تَنَاسِيكَ
حُلُمُ الودَاعِ وَأَبْكَانِي تَجَافِيكَ
فَخَفَقَهُ نَوْرَانُ كَمْ يُنَاجِيكَ!
يُخْفِيهِ إِلَّا عَلَى نَعْمَى ثَرَاعِيكَ!
لَدَيْكَ يَدْفَعُ عَنِّي مِنْ تَجَنُّيكَ!
حَقِّي المِضَاعُ، فَهَلْ يَرْتَدُّ رَاجِيكَ؟
بِأَنِّي لَسْتُ مَنْ يَهْوَى لَمَى فَيْكَ!
حَتَّى العِزَاءُ تَخْلَى مِنْ تَخْلِيكَ

يُجَدِّدُ العُمْرُ ذِكْرِي لَوَعَتِي فَيْكَ
وَدَّعْتُ حُبِّي وَأَحْلَامِي فِعَاوِدَنِي
وَزُلْزَلَ القَلْبُ مِنْ ذِكْرِي مُورِّقَةٍ
رَفَتًا بَعَانَ قَضَى الْأَعْوَامِ فِي جَزَعٍ
لَعَلَّ نُورًا كَانَسَ طَابَ مَوْرِدُهُ
وَفِي تَجَنُّيكَ يَا صَفْوِي وَيَا شَجَنِي
أَهْوَاكِ حَتَّى وَإِنْ أَقْسَمْتُ فِي أَلْمِي
أَعْيِدُ اليَوْمَ فِي حُزْنِي هَلَا أَمَلٍ

وَأَيُّ ذِكْرِي لِمِلَادِي تُحَبِّبُنِي
إِلَّا شُعُورِي بِأَنِّي حِينَ أَبْذُلُهَا
كَمْ تُبَتُّ مِنْ شَجَنِي الْقَاضِي عَلَى نِعْمِي
فَصِرْتُ مَا بَيْنَ أَلَامٍ مَكْتَمَةٍ
وَبَيْنَ أَلَامٍ شَوْقٍ مَا أَبَحْتُ بِهَا
وَتَوْبَةَ الْحَبِّ إِعْلَانٌ لِتَوَرَّتِهِ

فِي الْعَيْشِ، وَالْعَيْشُ مُسَاةُ الْهَوَى فَيْكِ؟
أَغْدُو الضَّحِيَّةَ وَالتَّعْذِيبُ يُرْضِيكَ
أَغْدُو الضَّحِيَّةَ وَالتَّعْذِيبُ يُرْضِيكَ
تَحِرُّ قَلْبِي، وَهَذَا الْقَلْبُ يَفْدِيكَ
إِلَّا ائْتِنَاساً بِشَوْقٍ كَمْ يُؤَاتِيكَ
إِنَّ الْفَوَادَ إِذَا أَخْفَاهُ يُنْبِيكَ!

غناء الحياة

غَنَيْتِ أَحْلَامِي عَلَى مِسْمَعِي
مَا أَعَذَبَ الصَّوْتِ وَأَحْلَى الْهَوَى
وَيَحْفُقُ الْقَلْبُ عَلَى نَشْوَةٍ
وَتَسْكُبُ الْعَيْنُ نَدَى دَمْعَةٍ
أُصْغِي وَأُصْغِي فِي افْتِتَانٍ بِلَا
وَأَنْتِ فِي بَرٍّ بِلَا مُنْتَهَى
كَفَرْتُ عَنْ مَاضِي شُجُونِي، فَيَا
غَنِّي وَغَنِّي يَا حَيَاتِي فَمَا
وَأَسْرُفِي أَنْتِ بِتَجْدِيدِهِ
مَا صَدَمَةُ الْهَجْرِ وَإِنْ عُولَجْتُ
لَا بَدَّ مِنْ جُرْحٍ دَفِينٍ، وَكَمْ
أَخْفِيهِ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ عَالَمٍ
وَأَوْدِعُ الشُّعْرَ قَلِيلَ الْأَسَى

فَأَصْبَحَ الْحُلُمُ عِيَاناً مَعِي!
يَنْصَبُّ فِي الرُّوحِ وَفِي مِسْمَعِي!
كَأَنَّمَا فِي الْعُمُرِ لَمْ يَجْزَعْ
عَلَى الْخَدِّ مِنْ جَامِهَا الْمُثْرَعِ
حَدٌّ وَلَا أَرْضَى مَدَى مَطْمَعِي!
وَقَلْبِي الرَّاقِصُ لَمْ يَقْنَعْ!
أَشْجَانِي الْحَيْرَى كَفَى وَاخْضَعِي!
يُغْنِي سِوَى مَنْ سَحَرَكَ الْمَوَدَّعِ
فَإِنَّهُ فِي الصَّفْوِ كَالْمَوْجَعِ!
تُشْفَى عَلَى الْعُمُرِ وَإِنْ تُبْدَعِي
يَهْتَاجُنِي الْجُرْحُ فَلَا أَدْعِي
وَأُغْرِقُ الْحَسْرَةَ فِي مَدْمَعِي!
وَالْجَانِبُ الْأَكْبَرُ فِي أَضْلَعِي!

جنتي

الشَّاعِرُ السَّاحِرُ مَنْ أَسْكِرَهُ؟
عَيْنَاكَ يَا رُوحِي وَيَا نِعْمَتِي
فِي طَلْعَةِ أَحْيَتْ نُهَى الْمُجْتَلِي
فِي ظِلِّهَا كَانَتْ عِبَادَاتُهُ
مِرْأَتُهُ أَنْتَ وَوَجْدَانُهُ
بُوحِي لَهُ! بُوحِي! وَلَا تُنْكَرِي
قَوْلِي لَهُ: شَوْقَكَ فِي كَثْمِهِ

مَا سَكِرَةُ الشَّاعِرِ غَيْرَ الْهَوَى
مَثَلَتْهُ أَنْتَ فَأَغْنَيْتِهِ
يَلْقَاكَ أَنْغَاماً وَنُوراً كَمَا
الرَّوْضُ وَالطَّيْرُ بِأَفْنَانِهِ
وَالْبَحْرُ إِذْ يَهْدُرُ فِي رَقَّةٍ
وَالشَّهْدُ إِذْ يُقَطِّفُ فِي رَحْمَةٍ
وَالْقَطَرُ إِذْ يَسْقُطُ فِي خَفَّةٍ
وَالْحَظُّ مِنْ بَعْدِ غِيَابِهِ
وَالشَّمْسُ فِي لُطْفِ الرَّبِّيعِ الَّذِي
وَالنَّاسُ وَالدُّنْيَا بِمَا أَبْدَعُوا
وَالْعَالَمُ التَّالِي بِإِنْعَامِهِ
مَا جَمَعُهَا سِوَى سِوَى ذَرَّةٍ

يَا جَنَّةَ الْحُبِّ وَيَا خُلْدَهُ

مَنْ عَلَّمَ الشَّاعِرَ هَذَا الشَّرَّه؟
عَيْنَاكَ إِلَهَامُ الَّذِي صَوَّرَهُ
كَالْجَنَّةِ الْمُزْهَرَةِ الْمُقْمَرَةِ
فِي نُورِهَا أَفْشَى الَّذِي أَضْمَرَهُ
وَحَمَرَهُ الْحُبُّ الَّذِي أَسْكِرَهُ
أَسْرَارَ مَا حَاوَلَ أَنْ يَسْتَرَهُ
لَنْ يَخْدَعَ الْحُبُّ وَلَا مَصْدَرَهُ!

الْخَالِقُ الْحَيُّ الَّذِي نَوَّرَهُ
عَنْ أَجْمَلِ الْكَوْنِ الَّذِي قَدَّرَهُ!
يَلْقَاكَ آيَاتُ هُدًى سَطْرَهُ
وَالْجَدُّولُ الْمُفْشِي لَنَا مِرْزَهَرَهُ
وَالدُّرُّ فِي مَوْجٍ لَهُ طَهَّرَهُ
مِنْ طَيِّبَةِ النَّحْلِ الَّذِي عَطَّرَهُ
قَدْ تَنَعَّشَ النَّبْتُ وَمَا زَهَّرَهُ
وَالْخَضْبُ فِي أَرْضٍ بَدَتْ مُقْفَرَهُ
قَدْ كَرَّمَ الشَّمْسُ بِمَا اسْتَحْضَرَهُ
مِنْ بَهْجَةِ الْخُلْدِ لِمَنْ لَمْ يَرَهُ
مِنْ بَعْدِ حَرَمَانِ الْمُنَى الْمُدْبِرَهُ
مِنْ حُسْنِكَ الْمَفْرَدِ كَالْجَوْهَرَهُ

لَا تَحْرِمِي الْعَاشِقَ مِنْ مَغْفَرِهِ!

سَدَّتْنِي فِي عَذَابِي

حَسَّ دَتْنِي فِي عَذَابِي وَخَلَّتْ فِيهِ نَعِيمِي
فَهَلْ رَحِمْتَ شَبَابِي مِنْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ؟

أَيُّ الْحَيَاةِ الْهَيِّئَةِ إِذَا خَلَّتْ مِنْ حَبِيبِي؟
فَكُلُّ أُنْسٍ الْبَرِّئَةِ يَقْضِي عَلَيْهِ لَهْيِي!

مَا الْحِظُّ إِلَّا تَنَاجٍ مَا بَيْنَ قَلْبَيْنِ حَبَّاءِ
فَالْكُوزُ لَهْفَانُ دَائٍ إِذَا بَكَى الْقَلْبُ قَلْبًا!

رُوحِي تُعَانِي وَتَشْقَى وَأَنْتَ تُلْهُو وَبُظْنُ!
أَمُوتُ وَجُدًا وَحَرْقًا فَهَلْ تَسْمَعْتَ أُنْسِي؟

إِرْحَمْ وَأَشْفِقْ عَلَيَّ أَعْذُرْ وَسَامِحْ شَبَابِي!
فَكُلُّ جَاهٍ لَدَيَّ لَمْ يُنْجِنِي مِنْ عَذَابِي!

لَوْ كَانَ

لَوْ كَانَ قَلْبِي أَشْتَفَى كَانَ الْغَمُّ بَيْنَ
لَكِنَّهُ مَا اكْتَفَى رَغْمَ الْأَنْهَى!

نَاجِيًا فِي بُعْدِهِ رَهْنُ الْعَذَابِ
نَجْوَاكَ فِي سُوءِهِ أَحْلَى الثَّوَابِ!

تِيهِي وَصُدِّي كِهْ
رُوحِي إِلَيْكَ انْتَمَى

يَهْـوَى الْجُمُـالُ
حَتَّى الْخِيَالُ!

دَوْمًا بِفِكْرِي وَزَكْرِي
نَبْضِي وَأَنْفَاسُ شِعْرِي

وَالْحُبُّ لَيْسَ
لَوْ تَعْلَمِينَ

أَشْكُو وَقَلْبِي الشَّكُورُ
أَبْكِي وَمِنْكَ الشُّعُورُ

فِي أَسْرِهِ
فِي شِعْرِهِ

تِيهِي إِذْنٌ فِي الْبَعَادِ
عَيْشِي حَايِفُ الْجَهَادِ

أَوْ فِـرَاقِ رَحْمِي
كَالْمُغْدَمِ

وَأَنْتَ لِي نِعْمَةٌ
وَتَرْكُهُ نِقْمَةٌ

مَهْمَا شَقِيتُ
مَهْمَا غَنِيتُ

لَوْ كَانَ قَلْبِي اشْتَفَى
لَكُنْتُ مَا اكْتَفَى

كَأَنَّ الْغَمَّ بَيْنَ
رَغَمِ الْأَنْهَامِ

الطائر التائه

أَيُّهَا الطَّائِرُ عَنْ وَكْرِي الْحَبِيبِ
أَنَا فِي بُعْدِكَ فِي سُكْرِ وَتِيهِ
تُظْلِمُ الدُّنْيَا لِعَيْنِي حِينَ عَيْنِي
وَتَرَى فِي بُعْدِكَ اللَّذَاتِ وَهَمَّاهُ

أَيُّهَا التَّائِهُ فِي لَيْلِ الْغَرِيبِ
شَدَّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ قَلْبِي السَّفْهِهِ
تَخْطِفُ الْأَضْوَاءَ مِنْ لَوْنٍ وَلَوْنٍ
بَعْدَمَا كَانَتْ تَرَى الْأَوْهَامَ نُعْمَى

أَيُّ سِحْرٍ يَا حَبِيبِي حَالِ حَسِّي
أَسْأَلُ الْغَفْرَانَ! مَا نَفْسِي إِذَا مَا
أَيُّهَا الطَّائِرُ مَنْ لِي بِدَلِيلِ
أَنَا لَنْ أُنْسَاكَ مَهْمَا غَبَّتْ عَنِّي
طُفْتُ بِالرُّوحِ بِدُنْيَايَ جَمِيعَا
أَيُّ دَاجٍ غَبَّتْ فِيهِ يَا حَبِيبِي
حِينَمَا لَمْ تَغْلُقْ الدُّنْيَا لِعَشْقِي
كَيْفَ حُجِّبَتْ لِحَسِّي وَخِيَالِي
أَتَرَى أَبْدَعْتَ دُنْيَا مِنْ خِيَالِكَ
هَكَذَا الْأَرْبَابُ عُشَّاقُ الْخَفَاءِ
نَاجِزٌ لِي لَحْظَةً أَحْيَا بِهَا
أَوْ فِرَاقُ مَهْجَتِي بَيْنَ اشْتِعَالِ

فَنَسِيتُ الْكَوْنَ بَلْ قَلْبِي وَنَفْسِي!
أَصْبَحَ الْكَوْنَ شَتَاءً وَظَلَامَا!
يَنْقُلُ الرُّوحَ إِلَى الرُّوحِ الْجَمِيلِ؟
تَوَأْمِي بَلْ مُلْتَقَى دِينِي وَفَنِّي
فَإِذَا بِي عُدْتُ مَكْلُومًا حَرِيْعَا
غَابَ عَنِ الْفَرِيقِ وَرَقِيبِ
حِينَمَا لَمْ تُحْجَبِ الْأُخْرَى لَشَوْقِي!
وَأَنَا الطَّائِرُ فِي دُنْيَا الْمَحَالِ؟
سَاكِنًا فِيهَا ضَنِينًا بِجَمَالِكَ!
وَالْبِرَايَا فِي دُعَاءٍ وَشَقَاءِ
كُلُّ نَفْسٍ بِضِعَّةٍ مِنْ رَبِّهَا!
وَهِيَ تَفْنَى فِي تَضَاعِيفِ اللَّيَالِي!

عطر الحب

مَلَأَ النَّسِيمُ الْجَوَّ غَيْرَ مُحَاسِبِ
فَاسْتَنْشَقْتُهُ حَبِيبَتِي وَتَنَفَّسْتُ
وَرَنْتُ إِلَيَّ بِسُكْرَةٍ مِنْ عَرَفِهِ
جَادَ (الرَّبِيعُ) فَكَانَ مِنْ مَعْنَاهُ أَنْ
وَاسْتَنْشَقْتُ أَرْجَ النَّسِيمِ بِلَذَّةٍ
فَلْتَمُّتُهَا شُكْرًا عَلَى إِسْدَائِهَا
فَإِذَا (الطَّبِيعَةُ) تَزْدَهِي بِغَرَامِنَا

بَنَوَافِحَ النَّارِ نُجٍ وَهُوَ طَبِيبِي
بِالْحُبِّ فِي لَطْفٍ يَضْوَعُ وَطِيبِ
فَسُكْرَتُ مَنْ عَرَفِينَ سُكْرَ حَبِيبِ
أَحْيَتْ عَوَارِفَهَا رِبِيعَ أَدِيبِ
فَاسْتَمْتَعْتُ بِشَذَا لَهَا كُنْسِييِ
رُوحًا وَنُورًا وَبُرَّءَ كُنْيبِ
وَتَرِيقَ عِطْرِ الْحُبِّ دُونَ حَسِيبِ

لقاء

(الشاعر والحب)

أعدتْ خُفوقَ القلبِ مِنْ بَعْدِ حَرَمَانِ
وَكُنْتُ هَجَرْتُ الحَبَّ مِنْ بَعْدِ غُصَّةٍ
تَجَنَّبْتُهُ فِي كُلِّ حَسَنَاءٍ رَاوَدْتُ
تَلَقَّى نُزُوعِي مِثْلَ نَاءٍ بَعُودَةٍ
وَقَدْ شَبَّتُ مِنْ حُزْنِي وَفِي الحَبِّ يَوْمُهُ
فَلَمَّا التَقِينَا فِي لِقَائِكَ لَمْ أُطِقْ
لِمَنْ غَيْرِهِ عُمْرِي وَكُلُّ نَخَائِرِي
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الوَفَاءُ بِحَسَنَتِهَا
لَتَبْذُلَ أَنَا شَيْدَ الجَمَالِ وَبَعْدَهَا
عَنِّي قَدْرٍ مَنَحَ الحَبُّ أَبَدَ فَنَّهُ
قَدِمْتُ قَدُومَ الحِظِّ بَعْدَ زَوَالِهِ
فِيَا جَنَّةَ المَحْرُومِ رُحْمَاكَ بَعْدَ مَا
ذَرَيْتَنِي أَمْتَعُ فِي وَصَالِكَ مَهْجَتِي
أَخْلَدُ فِي فَنِي جَمَالِكَ مِثْلَمَا

فَبَدَّدْتُ أَشْجَانِي، وَجَدَّدْتُ أَشْجَانِي
تَوَالَتْ، فَلَمَّا فُتُّهُ عَادَ يَلْقَانِي
فَوَادِي، فَلَمَّا لَحْتُ أَنْتَ تَلْقَانِي
إِلَى الوَطَنِ الغَالِي وَلِلْأَمَلِ الحَانِي
كَعَامٍ، وَحَسْبِي فِي التَّفَرُّقِ عَامَانِ
سُلُوءًا، وَهَلْ كَانَ السُّلُوءُ بِإِمْكَانِي؟
وَهَلْ كَانَ غَيْرُ الحَبِّ رَحْمَةً فَنَّانٍ؟
إِذَا شَاءَتِ الدُّنْيَا رَوَائِعَ إِحْسَانِي
لَتَنْشُدُ كَمَا تَهْوَى بِدَائِعِ إِتْقَانِي
وَهَلْ كَانَ غَيْرُ الحَبِّ مُلْهَمَ وَجْدَانِي؟
وَكَالْجَنَّةِ الفِيحَاءِ أَثْنَاءَ نِيرَانِي
تَعَذِّبْتُ فِي الْآلَامِ أَضْعَافَ حَرَمَانِي
فَيَنْصَفُ مِنِّي القَلْبُ وَالفَنُّ فِي أَنْ
أَبُتُّ جَمَالَ الفَنِّ فِي وَصْفِكَ السَّانِي

المساء

عُودِي إِلَى ظِلِّ المَسَاءِ فَنَلْتَقِي
إِلَّا الهَلَالَ وَأَنْجَمًا حَنَّتْ لَهُ

رُوحَيْنِ لِلدُّنْيَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَتُخَالُ بَيْنَ حَبِيبِهِ وَحَبِيبِ

نمشي على أرضٍ من الأحلام لم
وتخصنا الأطيّار والأشجار والـ
فأبئك النجوى من القلب الذي
وأسير لا ندري إلامَ مسيرنا
في حين نمتلك الوجودَ بأسره

تُبسّطُ لغير الحسن والتشبيب
أزهاراً بالتغريد والتطيب
كالطفل لا يسلو مع التأنيب
ونلوح بين غريبة وغريب
ونسود دونَ مُسائلٍ وحسب!

باقة السلام

جاءت وفي يديها العريزة باقةً
فأجبتُ دونَ سؤالها: أيّ مهجتي!
لا أن تكونَ له الشّفيعةُ عند مَنْ
تكفيكَ عطفةُ نظرةٍ يدري بها
أقبلتُ مُذنبَةً وأنتِ مليكةُ
هاتي شفاعتكِ السّنيةَ باقةً
خطّافةُ الأبصارِ في استعلائها
فأمّتعُ الوجدانَ مُتعةً عابرةً
يا باقةَ الحسنِ النّضيرِ بعطفِها

بَسَمَتْ فكانت للسلامِ شعاراً
حُسنٌ كحسَنِكَ يأمُرُ الأزهاراً
يَهْوَكَ حتى إن قَسَوَتْ جهاراً
كُنْهَ النّعيمِ فيجتليه مِراراً
فازدَدَتْ بالتّوبِ الجميلِ فخاراً!
مِنْ وَجنتَيْكَ وفِيكَ تُطفئُ ناراً
وبيرّها لي تُذهلُ الأبصاراً
وأشْمُ حينَ أَشِيمُها أسراراً
مَنْ شَمَّ زَهْرَكَ أَشَدَّ الأشعاراً!

عشق النظرة الأولى

كالنّورِ في فَجْرِ العليلِ اليائسِ
يا نَظْرةَ ما كنتُ أحلمُ قبلُها

مَرَّاكَ بينَ تهافتي ووساوسي
أنَّ الغرامَ يردُّ بؤسَ البائسِ

غلبتْ جَمِيعَ مَشَاعِرِي وَعَوَاطِفِي
فَتَخَلَّفَ الضَّدَّانِ: نَشْوَةُ ظَافِرٍ
فَكَأَنَّمَا قَلْبِي الَّذِي رَاعَيْتُهُ
لَكِنْ أَبَتْهُ فَعَادَ يَرْقُبُ عَوْدَهَا

وَتَمَلَّكَتْ لُبِّي بِصَوْلَةِ سَائِسِ
فَرِحَ وَأُخْرِى فِي لَذَاذَةِ يَائِسِ
خَطَفْتُهُ فَاتَيْتَنِي بِغَفْلَةِ حَارِسِ!
مِثْلَ الْجَرِيحِ صَبَا لِعَظْفِرِ الْفَارِسِ!

الجريح المنسي

جَرَحْتُ بِلَحْظِكَ الْفَتَّانَ
وَكَيْفَ لِمِثْلِهِ السُّلُوانُ
يُنَادِي: أَوْ يَا قَلْبِي
كَذَلِكَ شَيْمَةُ الْحُبِّ
قَضَيْتُ بِحُرْقَتِي عُمَرِي
وِغَايَةَ مُشْتَتَهَى أَجْرِي
فَشَرِبْتُ بِنَارِ أَحْزَانِي
وَنَحَسْتُ لَطَوِيلِ نَسْيَانِي
فِي مَا مَعْبُودِ أَحْلَامِي
أَطِيلِي كُلَّ أَلَامِي

فَوَادِ الْعَاشِقِ الْفَانِي
وَعِنْدَكَ عُمُرُهُ الثَّانِي؟
وَيَا بَى غَيْرِكَ الْآسِي
عِبَادَةُ حُسْنِكَ النَّاسِي!
عَلَى الْأَلَامِ فِي ذِكْرِكَ
لِقَاءُ الطَّيْفِ فِي فِكْرِكَ!
وَلَمْ تَرْحَمْ مَنِّي سِنِّي
بِجُرْحِ نَائِلِ مَنِّي
وَلَيْتَ الْحُلْمَ مِنْ حُلْمِكَ
إِذَا مَا كُنَّ فِي عِلْمِكَ!

الشك

أَكَادُ مَتَى أَلْقَاكَ وَالصَّفْوُ غَالِبِي
وَمَا كَانَ وَجْدِي غَيْرَ فَرَطِ سَعَادَتِي

أَشْكُ بِصَفْوِي رَغْمَ حُبِّكَ بَلْ أَبْكِي
وَيَا رُبَّمَا كَانَ الْيَقِينُ مِنَ الشَّكِّ

تعوّدتُ صابَ العيش حتى وجدّته
فأصبحتُ في صفوي أنوح بمهجتي

حياتي وإن أنستُ حُلُوَ المنى منك
وإن لم أنحُ ناحَ السرور فأستبكي!

دنيائي

يا وجهها إنَّ فيك الحسنَ مشتعلًا
يا ثغرها إنَّ فيك النورَ مؤتلقًا
يا شعرها إنَّ فيك الموجَ مضطربًا
يا صدرها إنَّ فيك الوعدَ منتهيًا
يا صوتها إنَّ فيك الوحيَ منبثقًا
روائعُ هي لي الدنيا بأكملها

واللطفَ ممتثلاً والحبَّ مجتمعا
والعشقَ محترقا والسحرَ مطلقا
والليلَ محتجبا والصبحَ ممتنعا
والعطفَ مزدهيا والبرَّ متسعا
والشعرَ مندققا والفرنَّ مبتدعا
ولن أقيس بها خلدا وما جمعا!

قبلة البرتقال

عشقتُ عصيرَ البرتقال فذهبتُ
ومصصتُ أخرى بعد أن جادت بها
حتى إذا لم تبقَ منها نفحةٌ
جادتُ عليَّ بقبلةٍ معسولةٍ
فغنمتُ خمرَ البرتقالِ بثغرها

بعصيره الناريِّ من شففتيها
فاستفتُ حُلُوَ غرامها بيديها
وظللتُ كالظمانِ عادٍ إليها
جمعتُ شهْيَ الخمرِ من حلويها
وغنمتُ خمرَ الحبِّ من شففتيها!

أنساك؟!

ما زلت لي أحلى المنى
يا مهجتي لا تجزعي
أنساك؟ هل ينساك مَنْ
ما كان حُبِّي هيئناً
هل نعمة الدنيا سوى
إن يغبنم العذال تشـ
فالقلب يابى حكمهم
دُيَاهم وديننا الهوا

بل أنت لي فوق المنى!
يا مهجتي انت أنا!
لولاك لم يدر السنا؟
إن كان صبري بيننا
ذكراك ذكرأ يجتنئى؟
—ريدي وراحوا بيننا
والحبُّ سلطان لنا
ن ونحنُ أسيادُ الدُّنا!

غناء العاشق

هل في الحياة سوى رضاك حياتي؟
أملِي ويأسي! حسرتي وسعادتي!
حسبي استماعك لي وحسبي لذة
هذا الغناء وما به من لوعة
فإذا استمعت إليـه صُنتُ لمهجتي
وإذا أبيت سوى العزوف أضعتها
والناسُ تحلمُ بالجنان ووعدـها
وأحبُّ هذي النارَ لولكِ لذة

أو في الممات إذا أردت مماتي؟
لو تأذنين نعمتُ في حسراتي
قُربي إليك ولو على أناتي
روحي مقسَّمة على نغماتي
عُمرأ بما تُسدين من إنصات
بطريـدة الأنغام والآهات
وأنا حليفُ النار في جنَّاتي
فيها، وأحسبُ حُرقتي كحياتي!

بعد الصيف

إضحكي يا رمالاً مِنْ هدير المياه
غاب ملك الخيال وتجلّى سواه

ذاك بحر الدموع مِنْ بكاء الزمان
فهو دوماً مرّوع مِنْ مآل الهوان

كلّ حسن بناء بيدئهِ يزول
ومراراً رثاء وأطال العويل

إضحكي يا رمالاً مِنْ فُتُونِي العظيم
أنا عبد الجمال الضرير الحكيم

جئت أرجو لـديك فتنة اللاعبات
فحنّوِي إليـك هو للغانيات

أين أعشاشُهنَّ الغوالي الحسان؟
أين لهنَّ ولهنَّ قد حوى الافتنان؟

سامحيني إذا ما عُدْتُ عودَ اليتيم
أتنزّي سُقّاماً بعد موت النسيم

سامحي طول مكثي والتفاتي إليك
تلك رُوحِي ببحت عن نعيم لـديك

حيثما قد مرحت
ثم غبن ورحت

ونقش الثرى
بعد أسرى الورى

ويعود الأسارى
في ولوع الحيارى

يسألون الرمال
عن خطوط الجمال

مثلها لن يصنع
ذاك شرع بديع

رغم غدر السحاب
خالداً في كتاب

يقرأ الملهمون
عل شرع الجنون

في شعوري بيانة
فأق شرع الرزانة!

وردتي

وتمايلت نحوي فكدت أبوسها
فأبيت بخفة طائر متدل
فأبيت تحفتها وإن أعزتها
فتجاهلت وتساءلت وتمايلت
حتى اصطلحنا واتفقنا راضياً
فلمست وجنتها بزهرتها، وما
فتفتحت وشممتها ولثمتها

شغفاً وأنشق ورده في خدّها
ورمت إلي يتيمة من وردها
وسألتها منحي رضى من ودّها
فغنمت غنم وصالها من صدّها
عن قبلة من وردها في بعدّها
أحلى الجنى من خدّها في ردّها!
أو لم تك الخمران نفحة خدّها؟

العذاب المنشود

وقالوا: تَعَذِّبُ في هواها! فإنَّما
فقلتُ: حرامٌ أيُّها الناس! إنَّني
ومَن لي سواها يَجْعَلُ الكَوْنُ بهجةً؟
إذا هي لاحتْ صارتْ الأرضُ جنةً
كأنَّ جمالَ الكَوْنِ طوعَ لحسنِها
فإن هي بانتْ أَوْحَشَ الكَوْنُ بَعْدَها
وإن هي عادتْ أَفْغَمَ الكَوْنُ خاطري
ولاحَ اللَّبِّي كُلُّ شَيْءٍ قِصائِداً

تُجيدُ بِشَعْرِ إن بَرَاكَ هواها!
أرى الشَّعْرَ يَدْعُو الشَّعْرَ حينَ أراها!
ومَن مُلْهِمِي الآياتِ فيه سواها
وإن هي غابتْ لا أَطيقُ لَظاها
وفي حُسْنِها كُلُّ الجِمالِ تناهي
كأنَّا عَدِمنا في الوجودِ إلها!
نظيماً، وأسْقايني الحياةَ سناها!
مَن الشَّعْرَ حَيَّتْ حُسْنُها ومُناها!

سامحي نظرتي

سامحي نظرتي إلى ساعديكَ
كُلُّ نورٍ للشَّمْسِ قد ضاعَ إلاَّ
خُضْباً بالبَهِيّ مِمن شَفَقَ الشَّم
فتَأَسَّستْ عَمَّا تَبَدَّدَ منها
ويَمَلُّ الضَّيَاءُ مِمن وهَجَ الشَّم

فافتتَنانِ العيونَ عَذْبٌ لَدَيْكَ
كَنَزَ نورِ صانتهِ في ساعديكَ
سِ ومن سُمْرَةٍ حَكَتْ ناظريكَ
بجمالِ يَفِيضُ سِحْراً عَلَيْكَ
س وما خَفَّ شَوْقُ رانٍ إِلَيْكَ!

الزهر القتل

(وصف الزهر الذابل طني كتاب الحبيبة)

أجريت للزهر القتل دموعي
قبلته وشممته وضممته
أرسلته طي الكتاب فمات في
أودي الفراق به، وقد كفنته
فوددت لو أني القتل مكانه
لم يبق منه سوى تحيتك التي
وكانما هي فيه روح دائم
واعتر في الظرف العزيز كأنه
وكانما الأحلام قد زفت له لي

شكراً معذبتني وألف ضراعة
من صفو وجداني ونبع عواطفني
أنسييتني بالأنس حولك وافراً
وأنا أئن بغربتي في حسرة
حتى ذكرت شقاوتي فبعثت لي
من ذا الذي جعل الضحية سلوة

وأثرت من قلبي وفي ولوعي
وحنيته مثلي حنين رجوع
كنف الجمال الحاكم المتبوع
برسالة الحب المثير نزوعي
بيديك... لا أرضى رجاء شفيق
فاحت كما فاحت جنان ربيع
رغم الذبول، فمات غير جزوع!
ملك بتابوت السننا المطبوع!
من سالف الأجيال لا الاسبوع!

لجمالك الجاني الضمين خضوعي!
من كل إحساسي ومن مجموعي
من منظر صاح ومن مسموع
وتعاسة الحرور والمفجوع
هذا العزاء لقلبي المصدوع
إلاك، والإرضاء نثر دموعي!

شم النسيم

(إلى الحبيب الهاجر)

أَمَلًا (بشَمِّ النَّسِيمِ)
كَأَنَّمَا هُوَ رُوحٌ
فَفَاحَ مِنْهَا (الرَّيِّعُ)
وَرَفَّ قَلْبِي سُورُوا
أَوْ إِنَّمَا بَعَثْتُهُ
وَجُدْتَ أَنْتَ بِعُطْفِرٍ
وَأَوْقِدُوا النَّارَ فِيهِ
حَتَّى الْإِلَهَ (بِتَاحٍ)
يَوْمٌ بِهِ تَبَاهَى
تَسْتَقْبِلُ الصَّفْوَةَ حَبَّاءَ
وَمَا تَبَاشِيرُ عِيْدِي
إِلَّا حَنَانٌ فَوَادِي
عِيْدُ الْأَنْبَاءِ (مِصْرَ)
وَعِيْدُ قَلْبِي الْمَرْجِي
فَكُلْ (شَمِّ نَسِيمِ)
لَمْ أَسْأَلْ أُنْسَكَ فِيهِ

يَطِيَّبُ فِي زَكْرَاكُ
نَشَأَ رَتْهَا مِنْ هَوَاكُ!
وَجُدَّ الْكَوْنُ طُورًا
كَأَنَّمَا حَالُ زَهْرًا
زَكْرِي صُعود (المسيح)
أَحْيِي الشَّهيدَ الْجَرِيحُ!
و (الْفَجْرُ يَرْنُو لِنَارِي)
رَأَى بِهَا أَشْعَارِي!
مَوَاكِيبُ الشُّبَّانِ
فِي النَّهْرِ وَالْبَسِطَانِ
وَعَرِسُ هَذَا (الرَّيِّعِ)
إِلَى سِنَاكَ الْبَدِيعُ!
مُؤَصَّلٌ فِي قُرُونِ
مَنْ خَصَّنِي بِالْفَتُونِ!
وَأَنْتَ تَقْطِفُ السَّنَا
هِيَهَاتَ أُنْسُكَ يُنْسِي

خمر الطبيعة

أَنْصَفْتُ... ما خمرُ (الطبيعة) إِنْ جَدْتُ
هَاتِيهِ يَرْوِي غُلَّةَ الصَّبِّ الَّذِي
وَأَنَا الْجَرِيحُ، وَالْجَرِيحُ إِذَا هَوَى
ضَمَمَنِي إِلَى هَذَا النَّمِيرِ وَقَدْ جَرَى
ظَمًا الصَّرِيعُ، وَقَدْ تَمَثَّلَ حُبُّهُ

إِلَّاكَ حِينَ الْمَاءِ بَيْنَ يَدَيْكَ!
يُحْيِيهِ لَنْتُمُ الْحَبِّ فِي كَفِّكَ
حَقٌّ مِنَ الْإِشْفَاقِ رِيمَ لَدَيْكَ
لَحْنُ الْغَدِيرِ بِمَا يَطِيبُ إِلَيْكَ
فِي الْمَاءِ، فَاسْتَجَلِي بِهِ شَفَتَيْكَ!

فَتَبَسَّمتُ وَأَبْتُ!... وَلَكِنْ قَبَّلْتُ
فَافَقْتُ مِنْ حُلْمِي الشَّهْيِ مَقْبَلًا
لَمْ أَنْرِ أَيُّهُمَا الْأَحَبُّ: أَيْقَظَةٌ
فَكَلَاهُمَا حُلْمُ الْجِنَانِ، فَحَقَّقِي

تَغْرِي كَشْهَرٍ بَثَّ عِطْرَ لَيْلِكَ
خَدَّيْكَ، ثُمَّ مُدَاعِبًا عَيْنَيْكَ!
أَمْ ذَلِكَ الْحُلْمُ الْمُطْلُ عَلَيْكَ؟
وَعَدَ الْجِنَانِ، فَمَهَجَتِي بِيَدَيْكَ!

قيثاري

قَدْ حَطَمَ الدَّهْرُ قَيْثَارِي فَمَا تَرَكْتُ
فِيَا فَوَادِي تَشَجَّعَ وَلْتَذِبْ نَعْمًا
عِشْتُ الْمُرْجَى لِفِنْ فَلْتَمْتُ مَثَلًا
وَرَبِمَا آهَةٌ أَرْسَلَتْهَا وَلَهَا
يَا خَافَقًا بِمَعَانٍ كُلُّهَا شَجَنٌ
فِيمَ التَّكْتُمُ وَالْأَيَّامُ قَدْ نَفَدَتْ

أَحْدَاثُهُ غَيْرَ فَرْدٍ بَيْنَ أَوْتَارِي
فِيهِ الْوِدَاعُ لَدُنْيَا الْحَرْبِ وَالتَّارِ
لِلْفَنِّ مَا دَمْتُ فِي الْحَالِينَ قَيْثَارِي
تَفَرَّدْتُ بِحَيَاةٍ بَيْنَ أَشْعَارِي
هُوْنٌ عَلَيْكَ وَبُخْ حُرًّا بِأَسْرَارِي
وَمَا بَقَايَاكَ إِلَّا بَعْضُ أَثَارِ؟

¹ الليلك: Lilac: هو الزهر المعروف بين العامة بالعلی.

كَأَنَّ صَدْرِي غَدَا لِحْدَاً أَضْمَنَهُ
يَنَاشِدُ الْفَنُّ مَا أَحْسَسْتَ مِنْ تَلْفَرٍ
فَنُحْ إِذْنُ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجَلٍ
مَهْمَا تَأَلَّمَ وَالْأَلَامُ تُنْطَقُهُ

ذَكَرَى السَّنِينَ وَأَحْلَامِي وَأَوْطَارِي!
فَالْفَنُّ نَزِيرٌ رَحِيمٌ، غَيْرُ صَبَّارٍ
لَكِنْ نَوَاحٍ جَرِيحٍ خَلْفَ أُسْوَارٍ
تَلْقَاهُ يُزْرِي بِأَصْفَادِهِ وَأَحْجَارٍ

الصدى

يَا مَنْ إِلَيْهَا حَنِينِي
وَمَنْ نَأَتْ وَهِيَ تَذْرِي
أَصْـبَحْتُ مِثْلَ طَرِيدٍ
أَوْ كَالصَّدَى مِنْ غَنَاءٍ
أَوْ كَالْحَبِّابِ لَخْمِرٍ
أَوْ كَالشَّاذِي فِي نَسِيمٍ
كَمْ نَأَيْتُ عَطْفًا وَحُبًّا
وَمِ أَذَقْتُ غَيْرَ وَجْدِي
مَا لِلصَّدَى مِنْ وَجُودٍ
إِذَا نَأَيْتُ فَنَذَاتِي

وَمَنْ لَدَيْهَا حَيَاتِي
وَلَسْتُ أَدْرِي شَكَاةِي!
مَشَرْتُ فِي الْفَلَاةِ
حَيَاتُهُ كَالْمَمَاتِ
يَضْمَعُ بَيْنَ السُّقَاةِ
وَالزَّهْرُ غَيْرُ مَوَاتِي
مِنْ الْهُوَاةِ الرُّوَاةِ
وَمِنْ حَرَمَانِ ذَاتِي
إِلَّا كَاشِفَاكِ عَنَاتِ
وَهُمَّ وَوَهُمَّ حَيَاتِي

متعة العذاب

بَدَّدْتُ أَهَاتِي وَنَثَرْتُ دُمُوعِي
وَصَدَفْتُ عَنْ قَلْقِ النَّسِيمِ لِلْوَعْتِي

وَرَضَيْتُ نَارَ فَوَادِي الْمَفْجُوعِ
وَعَنِ الرِّيَاضِ تَشَبَّثْتُ بِرَجُوعِي

وعن المباهج في الطبيعة كلها
واشتقتُ تعذبي كأنَّ تَبْتُلي
خَلِّي صدودكٍ يستطيل فإنما
قد مضَّه الحرمانُ إلاَّ شعلةُ
فيذوب في الشعرِ الحزينِ فؤاده
فيعيش بالوجد الأليم كأنما
الحسنُ إنَّ فات الحياةُ فإثره
ما قيمةُ الذكرى؟ وهل يُغني المني
أصبحتُ أسترضي العذابَ كأنني
أفنى يسامرني الشقاء ولم أجد

حين الطبيعة روعتي وخشوعي
هذا العذابُ وللشقاء نُزوعي
أحيا حياةَ مكفَّرٍ مفزوعٍ
تُذكي لهيبَ الشاعرِ المطبوعِ
ويضوعُ بين تحرقٍ وولوعٍ
هذا العناءُ له دواءُ الجوعِ
ظَلَمٌ، وما المطبوعُ كالمصنوعِ
عن شمسها نورٌ كنوع شُموعٍ؟
أخشى وصالك بعد طول نجوعي
غيرَ الشقاءِ مجفياً لدموعي!

العائدة

يا صورةَ عادت فؤادي العليلُ
مَنْ مُبلِّغُ الحسنِ - وفي بُعدهِ
يا هاجراً - يحسب في هجره
هذا دوائي من جناك الذي
ما لي سواه، فالهوى نفحةُ
هل يجمع الفنُّ بإعجازه
أرسلت لي الظلَّ فمن لي غداً
لا حُرقةُ النارِ بهجري، وكم

هل يخدع الطبُّ ويأبى الجميلُ؟
ناري - حلالٌ له أن ينيلُ؟
طبِّي ونفعي - قد عداك الدليلُ
حرَّمته حتى غدا المستحيلُ
للروح، لا صورةُ وجه جميلٍ
ما أنت من فن عزيز نبيلٍ
بالخلد من عطفك، فهو الظليلُ؟
تستصغر النارُ بقلبي العليلُ!

تساءلين؟

تساءلين متى يكون وداعنا؟
لا تظهرى ألم الحزينة للنوى
ماذا أبحت؟ وما الذي ظفرت به
فضل عليّ، ولم أصنه فإنه
غَنِمَ الَّذِينَ تَرَنَّمُوا بِتَأْوِهِ

تساءلين؟.. أما اكتفيت بأني
أبكي جنوحَ الحظ عني دائماً
علّمته هذا القلب جانباً
وكأنما الحرمانُ خصب عواطفي

تساءلين؟.. فأي أنسٍ فاتنٍ
اغويت أحلامي وغبت قريرةً
وغنمت تسليمي بلا شرط ولا
ومدحتني مدحاً رضيت نقيضه
وتركتني المهزوم والمحروم والـ
وبخلت حتى بالعناق لعلي
وزعمت أنك لي! فما أقساه لي
وقضى دالك أن أغص بقبلة

تساءلين متى يكون وداعنا؟

أترحّبين إذن بيوم وداعي؟!
ودعي الشجون لقلبي الملتاع
روحي بقربك غير خطف شعاع؟
قد سار في شعري ونفح يراعي
وبقيت في شجني وفي أوجاعي!

أبكي وأضحك في خيال الناعي؟!
والحظ يبسم لي بغير قناع
والسخر من حرقى ومن أطماعي
وكأنما الآلام من إبداعي!

أسديت مشفقةً على إشعاعي؟
ورجعت أبيّة وراء قلاع!
قيد وما قدرت ثبل دفاعي!
لو صان لي قلباً رهين ضياع!
مكلوم في أرق وفي استسماع
أمضي الضحية في سرور الواعي
عطفاً وما أحلاه في الأسماع!
وأنا الشجاع فكنت غير شجاع!

أترحّبين إذن بيوم وداعي؟!

عاصفة الربيع

ضَنَنْتِ الشَّمْسُ بِأَلْوَانِ الرَّبِيعِ
عَصَفَ الْجَوُّ بِلَفْحٍ مِنْ ضِرَامِ
أَتْرَاهُ مِنْ زَفِيرٍ وَأَنْبَيْنِ
وَيَعُودُ الْجَوُّ أَصْفَى مَا يَكُونُ
ضَنَنْتِ الشَّمْسُ وَكَمْ ضَنَنْتُ وَضَنَنْتُ
ضَنَنْتِ الشَّمْسُ وَكَمْ لِلشَّمْسِ بُخْلُ
وَكَذَاكَ الْحُسْنُ فِي الْبُخْلِ عَجِيبُ
مَنْ ثَرَى يَرَعَى هَوَاهَا وَمُنَاهَا
أَكْذَا فِي الثُّورِ يَغْشَانَا الظَّلَامُ
أَيُّ مَعْنَى لِرَبِيعٍ فِيهِ نَشْقَى
يَا حَيَاتِي كَيْفَ تَرْضَيْنِ الْبَعَادُ
أَعْرِفْتِ الْهَجْرَ مِنْ هَذَا (الطَّبِيعَةِ)
إِسْمِي يَا رَبَّتِي يَبْسِمُ وَجُودُ
مَا زَفِيرُ النَّارِ فِي هَذَا الْجَنَانِ
إِنَّهَا سُخْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِقَلْبِي
أَقْبَلِي فَالطَّيْرُ نَادَى إِلْفَهُ
وَتَخَلَّى عَنْ مَاسِيهِ الْيَتِيمُ
وَاسْتَعَدَّ الْكَوْنُ لِلْعُرْسِ الْجَدِيدِ
أَوْ مِمَّا يَصْنَدُ الْمَهْجُورَ أَوْ
نِيْلَاقِي الصَّيْفِ إِبَّانَ الرَّبِيعِ
وَإِذَا الْإِعْصَارُ أَدْنَى مَا يُلَاقِي

أَمْ كَبَا الثُّورُ كَحَظِّي بِدُمُوعِي؟
وَعَجَاجُ كَشَقَائِي فِي غَرَامِي
سَوْفَ يَمْضِي كَعَذَابِ الْعَاشِقِينَ
كَصَفَاءِ الْحَبِّ مِنْ بَعْدِ الْجَنُونِ؟!
حِينَمَا أَنْفَاسِي الْحَيْرَى تَمُنَّتْ
بَيْنَمَا يَسْتَبْعِدُ الْحَرْمَانُ عَقْلُ
حِينَمَا الْحُسْنُ غِذَاءٌ لِلْقُلُوبِ
وَهِيَ تَفْنَى فِي تَنَاسِي مَنْ بَرَاهَا؟!
وَنُعَانِي فِي حِمَى الطَّبِّ السَّقَامُ
وَنَذُوقُ الْحَبِّ إِرْهَاقاً وَرِقّاً؟
فِي أَوَانِ الْحَبِّ حَتَّى لِلْجَمَادِ؟!
أَمْ تَلَقَّتْ عَنْكَ مَا أَضَحَتْ مُزِيعَهُ؟!
كُلُّ مَا فِيهِ جُحُودٌ فِي جُحُودِ
وَبِهَا الْإِحْسَانُ مِنْ طَبْعِ الْحِسَانِ؟!
بَعْدَ مَا عَذَّبْتَهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّي
ثُمَّ أَلْقَى كُلُّ عَانٍ خَوْفَهُ
وَتَبَنَّاهُ ضِيَاءً وَنَسِيمُ
فَإِذَا بِالْعُرْسِ مَأْسَاةَ الْوَحِيدِ
بَيْنَمَا الدَّهْرُ بِسُخْرِ مُتَنَاهٍ
وَيُعَادَى حِينَمَا عَزَّ الشَّفِيعُ
وَإِذَا الْإِظْلَامُ عَنْوَانُ الْفِرَاقِ!

دُميتي

دُمِيَّةُ الطِّفْلِ وَمَعْبُودَ الْكَبِيرِ وَمَلَاذِي كُلِّ مَا خَانَ الزَّمَانُ
كَيْفَ بَدَدْتَ مَنَى الْقَلْبِ الْكَسِيرِ بَعْدَمَا أَسْقَيْتَهُ حُلُوهَ الْأَمَانِ؟

أَوْ مِنْ دُنْيَا مَشَى فِيهَا الْعُقُوقُ وَتَجَنَّى فِي تَصَارُيفِ الْجَمَالِ
أَصْبَحَ الْخَصْمُ بِهَا مِثْلَ الشَّقِيقِ وَغَدَا الْحَسُوسُ فِيهَا كَالْخِيَالِ!

كَنْتُ لِي الدُّنْيَا وَأَخْرَايَ مَعَا لَمْ تَعُدْ دُنْيَا وَلَا أُخْرَى لَدَيَّ
كَلَّمَا الذِّكْرَى أَهَاجَتْ مَدْمَعَا أَحْرَقَ الدَّمْعُ وَنَارِي شَفْتَيَّ!

أَوْ مِنْ ظَلَمَ الْهَوَى لِلتَّابِعِيَّةِ عُوقِبُوا مِنْهُ وَمِنْ أَعْدَائِهِ
شُرِّدُوا فِي الدَّهْرِ تَشْرِيدَ السَّفِيَّةِ وَتَسَلَّى الْحُبُّ فِي غُلُوءَائِهِ!

قَبِلْتِي فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَفِي أَيِّ مَثْوَى وَزَمَانٍ لَصَلَاتِي!
ضَلَّ مَنْ يَحْسِبُ إِيمَانِي الْخَفِي هُوَ مَا أَبْدِيهِ مِنْ سَلْوَى حَيَاتِي

لَمْ يَعُدْ لِحَظِّي يُوَافِي مِسْمَعِي لَا وَلَا قَلْبِي يُوَافِي خَاطِرِي
نَضَبَ النَّبْعِ فَأَقْصَى مَطْمَعِي رَحْمَةُ الْمَوْتِ وَقَبْرُ الشَّاعِرِ!

المثال

أَتَتْ فِي وِفَاءِ الْجَمَالِ النَّبِيلُ
تُحْيِي الْعَلِيلُ
بِلَحْظِ كَحِيلُ
وَتَغْرِ جَمِيلُ
وَعَطْفِ الْخَلِيلَةِ نَحْوِ الْخَلِيلُ

بِرَغْمِ الزَّمَانِ

وَلَكِنَهَا أَقْسَمْتُ أَنْ تَدُومَ
كَزْهِرٍ كَتُومَ
لِعَطْرِ نَوْوَمَ
فَطَالِ الْوُجُومَ
وَعَادَتِ تَبَدُّدُ هَذَا الْغَيُومَ

بِنُورِ الْأَمَانِ

دَعَتْنِي لِأَعْلَنَ عَنْ سِرِّ فَنِّي
بِشِعْرِ التَّغْنِي
وَحُلِّ وَ التَّمْنِي
وَمَا نَمَّ عَنِّي
مَنْ الْحَبِّ فِي كُلِّ نَظْمٍ أَغْنَى

كشعر (ابن هاني)

وَشَجَّعَهَا مِنْ هَوَايَ ابْتِسَامِي

ونجوى غرامى

فزادت هيامى

بعذب الكلام

وجادت برأى كنف المدام

لصب يعانى

دعتنى لأرسمها فى نظيمى

بروح وسيم

ولفظ سليم

ووصف كريم

وقالت: "سأجعل هذا نديمى

وأى افتتـانى!"

فهزئت فؤادى بلحن جديد

ومعنى فريد

لقلبي العميد

فكان السعيد

وقلت لها: "يا إلهى الوحيد

وأشهى جنانى!"

"أينصف، حسنك وحي الخيال

وأنت (المثال)

وأنت الجلال

وأنت الجمال

ألا فانزعي الثوبَ قبلَ الدلالِ

فيحيا افتناني!

فأزعجَها من غرامي سؤالي

كأني المغالي

برسم الجمالِ

العزیز المنالِ

أليس المصوّر في مثلِ حالي

بصير المعاني؟!

وعادتُ إلى البشرِ بشرِ الحبيبِ

بجسمٍ رطيبٍ

فلاح الأديبِ

وراح الأريبِ

فقبَلْتُ (فينوس) شعراً يطيبُ

كوقع المثاني!

الحنين

هدأة الليل جَرَحَتْ لي فؤاداً كلما التامَ تَصَبَّأهُ الخيالُ
كان لا يعرف في الدنيا حداداً لا، ولا يعرف معنى للمُحَالِ

كان يَسْتوحِك ألوانَ التَّنَاجي كيف أصبحت له ضوضاء همٍّ

وضحايا الحب من صدقٍ ووهم!

يلمح النار بأفقٍ فيك داج

ويغنيهِ على قلبي النسيمُ
لفؤادٍ يُحرمُ الحسنَ الرَّحِيمُ

أين شِعْرُ كان من قلبي يُعْنِي
مات كالضوء فلا مَبْنَى ومعْنَى

حَلَقْتُ فيها وجافتنِي وعادتُ
ليتها في هجري القاسي تمادت!

يخطف الذكرى خيالي من سماءٍ
فيرى الذكرى فؤاداً في دماءٍ

أمرضين

أُحجِّبين؟ فمن للحسنِ يُعلِّئُهُ
وينشر (الحبَّ) جذاباً تَفْتُنُّهُ
عيناى صفواً سوى عينيك يفتنه
دنياه إلا بحرمانٍ يجننه
كما يطوفُ حيال السكر مدمنه!
ويُحرم القلبُ إلا ما يؤبِّئنه!
وزاد سُقم فؤادي حين يحزنه
وأَيُّ نبتٍ زكا والليل يدفنه؟
فصحَّةُ العاشق الولهان تغبنه
للبعث في الحب: إعجازاً يكونه!
والدهر يحسده جهلاً ويطعنه!
ويدرك الشوق في نفسي فيعلنه

أُمرضين؟ فهل لا يخجل المرضُ
ومن يداوي هموم الناس في نظري
حُجبت يا مهجتي عمَّن وفى فأبتُ
ورحتُ أشوقَ مُشتاقٍ فما سَمحتُ
أطوف حولك في بيتٍ سُجنت به
فلا أفوز بكأسٍ من مرَّحةٍ
وأما على زمنٍ في البعد ضاع سدى
من يستطيع افتقاد الشمس غائبة؟
ولو بروحي وهبتُ الروحَ مغتبطاً
عودي! تعافى وحييَّني أَعُدْ مثلاً
أنا العليلُ شبيه الميت من جزعي
وليس غيرك يدري بي فيرحمني

يا سلوة الروح

يا سلوة الروح هل للروح من أمل	إن غبت عنها بأخراها ودنياها!
لم تحمد العيش إلا حينما عرفت	فيك الألوهة فاستافت حمياها!
فإن نأيت فما هذا الخلود لها	شيء، وإن عدت عاد الخلد يرعاها
ولن تموت إذا أثرت جيرتها	فإن رحلت فخلي الكون ينعاها!
عودي تعد رحمة لله سابعة	ونضرة نعمت بالحب أسراها
عودي فما حرقه الذكرى بأسية	وأي سلوى لروح أنت ذكراها!

التقديس

أنى رأيتك رف القلب من شغف	وحاصر الحسن في تقديسك الأمل
جسم من النور تنبت الحياة به	ومنه للناس ألواناً وتشتعل
لو كان لي حظ تقبيل لما قنعت	روحي بما ألف العباد أو أملوا
وكنت أغزوه تقبيلاً وأنهكه	رشفاً كما يتمادى الطائش التمل
حتى أراه طعيناً كله وبه	من الغرام جراح كلها قبل
هذا هو الحب تقديساً لعارفه	هذا هو الفن يستهوى ويحتمل!

أغاني الصيف

عودي أغاني الصيف واستبقي الهوى	في بث آمالٍ وبعث أديب
مضت الشهور عليه يرقب عودة	لحنان (أفروديت) بعد مغيب

غسلتُ بِياسمةِ الأشعةِ جسمَها
وتخطرتُ بينَ الأزاهرِ شُعةً
فالجوُّ فاضَ حرارةً وتأنُّفاً
وَإذا النسيمُ سُكونُهُ من رهبةِ
أنى مشيتُ - وفي الرياضِ عيرُها -
رقصتُ أمامي في الظلالِ ونورُها
والناسُ تشكو الصيفَ وهو لمهجتي
فإذا الطبيعةُ فيه بين سذاجةِ
لبستُ أفانينَ النّثارِ وإنما
بسّطتُ بساطَ الحبِّ بين رعايةِ
فوهبتها قلبي الذي ما عابها
واستمرأ الدنيا لأجل نوالِها
عودي أغاني الصيفِ واستبقي الهوى

وتعطرتُ بتغزلي ونسيمي
للحسن وهي تلجُ في تعذيبي
والزهرُ في ظمأ كقلبِ حبيب
وَإذا مَجالُ الحبِّ جدُّ رهيب
ومحبّتي ودالُّها ووجيبي -
أطيافُها بمشوّقٍ وعجيب
عيدٌ من الأعياد غيرُ مريب
معسولةٍ وسعادةٍ لكئيب
شفّت ولم تبخل مع التحجيب
وأبتُ قيودَ الأسرِ رغم رقيب
يوماً ودان لها بأكرم طيب
في حاليّ الهجران والتقريب
في بثِّ أُمالٍ وبعثِ أديب

عيد الربيع

الآن يهتَفُ بالنشيدِ غرامي
ويُقَبَّلُ الأرضَ التي جادتْ له
نجمتُ حشائشُها بوشي ربيعها
مِن كلِّ ما تهبُّ الحياةُ لسائلٍ
فاح الأريجُ فأنيّ قلبٍ لم يثب؟

ويرفُ في حُلِّل من الأنغام
بالحسن فتاناً وبالإلهام
وزهت براعمُها بنورِ سلام
عطفَ الجمالِ وكلُّ لبٍّ ظامي
وبدا الشّعاغُ فمن ترى المتعامي؟

(فينوس) مرّت كالبحير فأنجبت
هذي مفاتئها بكلّ صباحة
مرّت بموكبها فلم تترك سوى
دعني أثب وثب الصغير مناجياً
عيداً له الأرواح تسكب حبّها

هذا الربيع وملّكه المتسامي
طُبعت على الأرواح والأفهام
حُلم الخلود سما عن الأحلام
ما حفّني، وأجزّ صلاة غرامي
ويفيض بالإحسان كلّ مقام

هفوة

ولما تلاقينا وصارحتّها المنى
مضيتُ كَأني أملك الكونَ مُفرداً
وَأَن أوانُ الوعدِ فاحتلتُ صاحياً
فأعلنتُ الأقدارُ أَني غباوةٌ
فواللهي للحظّ تُفنيه هفوةٌ
جرى الدمعُ من عينيّ قبل تلهفي
ولم أرضِ عذرَ الدهرِ حتّى عرفتها
فلما بلغتُ الحظّ من محضِ وعدّها
تبدّدَ حلمي بين هفوةٍ خاطري

وجادت على حُبّي بوعدٍ مؤكّد
وَأَن صفرتُ كَفّي وَأَن عطّلتُ يدي
سعيداً وقلبي في رجاءٍ مردّد
ضللتُ مكانَ الوعدِ بل وقتَ موعدِي
وواحرّقي للنارِ في موعدِ ندي!
سروراً فحال الدمعُ حسرةً موجد
كأني ضمنتُ السعدَ في اليومِ والغدِ
وأملّكُ من دهري الذي لم أعود
وهفوةٌ دهري مثل رُوحِي المبدّر!

الرسول

بشراك يا قلب! هذا خطؤها فاعِدْ
لا تشك من هجرها من بعد ما عطف
وذاك إنشاؤها يا عين فابتهجي
لا تذكرى الدمع في شكواك باكية
وتلك أفاظها الفيحاء عابقة
فاستمتعي يا حواس النفس راضية
وافرحتي بعد يأس بالغ وأسى
فعدت للجنة الغناء في أملِي

نشيد خفقك في حب وفي طرب
من يغنم الخمر لم يسأل عن الحبيب
بكل حسن طريف نافع أدبي
من ظلمة بعد نور غير مغترب
للشم واللثم في تشويقها العجيب!
بما تمنيت بعد الوجد والوصب
شعرت أني به أصلى على لهب
فكيف بي حين ألقى الحسن في طربي؟!

غزلي

يا بهجة لفؤادي ملء حسرتي
تعود الحزن حتى صار يطربه
مرت سنون وقد مرت، وما برحت
ما أعذب الألم الحي ليالينا
فما اشتيت جمالاً لا أراك به
نيف وعشرون عاماً منذ أن عرفت
ولا يزال نشيدي فيك يا أملِي
يتلو غرامي بشعري عاشق غزل
وأخر ليس تكفيه حرارته

من لي سواك على نعماء يؤتمن؟
ما دام منك له في حزنه الشجن
روحي سناك، فقلبي فيك مرثن
بالذكر، لا البعد يحوها ولا الزمن!
فكل حسن به إبداعك الحسن
روحي بانك لي دين ولي وطن
فالصب رغم هوان الحب لا يهن
يظن أن نعيم الحب لي ثمن
كأنما لم تثر في طيه الإحن

وشاعرٌ مشفقٌ يدري - كما عرفت
وكلهم ليس يدري - رغمَ فطنته -
فلا (كثيرُ) ولا نجوى (جميل) ولا
عبادتي أنتِ أنواعُ مَظاهرها
وسوف أمضى لقبري لا أبوح بها
ويعرف الحبُّ في قبري رفات هوى

عواطفِي - شعرٌ من عانوا ومن غبنوا!
ما يضمّر اللفظ بل ما يفضح العَلَنُ!
شِعْرُ المحبة طراً فيه ما أزنُ!
وكم معانٍ لها قد فاتها الفطنُ!
إلا لخلّين: هذا الطيرُ والفننُ!
حين الرفاتُ نظيمٌ صانه الكفنُ!

القيثارة في المساء

"أعدّ ذلك اللحنَ الذي قد بعثتهُ
أعدّ! إن تكرار العذابِ لذانةُ
أعدّ وتفنن جارحاً ثم أسياً
حنانٌ يردّ الرُّوحَ واللبُّ حالمٌ
أعدّ يا نديمي مرجعاً سالف الهوى

كسهم إلى قلب يخاف عليه
كتوديع مَنْ أهوى على شفّتيه
لك النغمُ المحيي القتيل لديه
بل الروحُ هذا اللحنُ رقٌّ إليه
ليرقص هذا القلب بين يديه!"

فرجعَ الحانَ الشباب وأنسه
ومال على أوتاره ميلَ قلبه
إلى أن غدا في العازف (الحبُّ) ماثلاً
فكانت كصوفي تنهى عبادةً

بعزف به عزَّ الغرام وتاها
فذابَ على أوتاره وتنهَى
إلى أن سما حسناً فكان إليها
إليه، وناجته فقبّل فاهاً!

هبيني قبله

هبيني قبله أحيًا زمانًا
إذا التقت الشفاه بها تلاقى
وندت لي رجاء الحب حتى
وأقبس نارها نوراً لقلبي
نأيت فما عرفت الأفس أنساً
وأنظر للملاحاة في دموع
عشتك في الوصال وفي التجافي
فمن لي أن أراك، ولو بعمرى
فأغنم منك عيشي من جديد
وحين أعود للدنيا سعيداً
على نغم من القبلات أحلى
فما قتل الغرام سوى عزاء

بنفحتها... أليس العمر منك؟
بأسرار الألوهة من لدنك
رشفت بها رجاء الخلد عنك
وأنهل لطفها ديني وشكي
وكان الزهر لما بنت شوكي
بوجدان اليتيم بكى فيبكي
فطاب لي التنعّم والتشكي
أراك، لبرهة تحيي لديك
بتغري الباسم الحاني عليك
أودعها قريراً في يديك
من النسيمات في لثم اللّيك^١
وما سفك الهوى روي بسفك!

^١ اللّيك: هو الليلع أو الليلق أو الليلج بالفارسية.

فوق العباب

الطبعة الأولى

(يناير ١٩٣٥)

أحمد زكي أبو شادي

إهداء الديوان

إلى مَنْشَأِ الدُّنْيَا إلى مُنْتَهَى الْوَرَى
تَبَعَّثَرُ مِنْ حُلْمِ الْعُلَى مَا تَبَعَّثَرَا
وَفِي إِثْرِهَا الْفَكْرُ الْجَرِيءُ تَعَثَّرَا
مَلَائِينَ مِنْ بَحْرِ السَّنِينَ الَّذِي جَرَى^١
وَجَدَّدَهُ أَضْعَافَ أَضْعَافٍ مَا نَرَى
وَأَنْشَرُهَا شِعْرًا صَرِيحًا وَمُضْمَرًا
تَنُورُ فَتَارَ الْمَوْجُ حَتَّى تَنْتَرَا!

أبو شادي

إلى الْغَائِبِ الْمَحْجُوبِ مِنْ عَالَمِ التَّرَى
إلى ذَلِكَ الطَّلَقِ الْفَضَاءِ الَّذِي بِهِ
إلى هَذِهِ الْأَجْرَامِ تَمْضَى سَرِيعَةً
إلى هَذِهِ الْأَنْوَارِ جَازَتْ سَفِينُهَا
إلى كُلِّ مَا صَانَ الْوُجُودَ وَهَدَّاهُ
إلى الْحَبِّ رُوحَ الْكَوْنِ أَهْدِي عِبَادَتِي
بَعَثْتُ بِهِ فَوْقَ الْعُبَابِ عَوَاطِفًا

^١ إشارة إلى ظاهرة امتداد الكون بسرعة عظيمة.

العام الجديد

(عام الأزمات)

فَتَى الدَّهْرُ فِي أَيِّ وَهْمٍ وُلِدَتْ
وَمَا لِي أَرَاكَ لَقِيطاً عَلِيلاً
شَرِيداً عَلَى مَتْنِ هَذَا الْعُبَابِ
يُضِجُ لَطَلَعَتِهِ الْعَالَمُونَ
أَتُنْسَبُ أَنْتَ لِهَذَا الزَّمَانِ
فَلَا مَرْحَباً بِكَ يَا ابْنَ الضَّلَالِ!
كَأَنَّ الْإِلَهَ الْحَكِيمَ الْقَدِيرَ
فَنَحْنُ نَعِيشُ بِغَيْرِ الزَّمَانِ
وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ فَوْضَى الْحَيَاةِ

وَقَدْ مَاتَ أَهْلُوكَ لَمَّا وُلِدْتَ؟
فَلَا الْأَهْلُ تَلْقَى وَلَمْ تَلْقَ بَيْتاً
وَكَمْ فَوْقَهُ يَلْفِظُ الدَّهْرُ مَوْتِي!
كَأَنَّ بِهَا مِنْ أَذَى الدَّهْرِ مَوْتاً
وَقَدْ شَمِلَ الْبُؤْسُ حَيّاً وَمَيِّتاً؟
لَقَدْ جِئْنَا الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَاتِي
أَبَى أَنْ تُعَدَّ حَيَاةَ فَمُتَّ
لِذَلِكَ لَا يُسْمَعُ الْحَقُّ صَوْتاً
نَفُوسٌ تَرَى الْعِيشَ وَهَمّاً وَتُبْتَا!

فوق العباب

غَنِّي الصَّبَابَةَ وَالْأَلَمَ
مَا زِلْتُ عُمْرِي كُلَّهُ
وَأَنَا الْقَصِيُّ مِنَ النِّشِيءِ
نَغْمُ الْخُلُودِ مِنَ الْأَلْوِ
تَتَبَسَّـمِينَ بِهِ وَلَا
لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى غِنَا
هُوَ صَوْتُ خَلَاقِ الْحَيَاةِ

فَهَمَّا النِّهَايَةُ لِلنَّغْمِ
حَيْرَانٌ أَصْغَى فِي الظُّلُمِ
يَدٍ، عَلَى هَوًى، وَعَلَى نَهْمِ
هَةِ فَوْقَ تَفَرُّكِ يَبْتَسِمِ
نَلْقَاهُ إِلَّا كَالْحُلُمِ
بَلْ يَعْفَ عَنِ الْكَلِمِ
وَكَنُورِهِ فَوْقَ السُّدُمِ

باللحم أسمعُهِ وألـ
وكأنني الأعشى الأصمُّ
إلا خـ واطرهنَّ أبـ
صوتٌ يطوفُ على العُبا
إلا كإنيـاسِ الحيـا
يا طالما أنا بالخيا
وأخوضُ أمواجَ العُبا
وأرى الرموزَ عليه أسـ
فأحلّ من الغارِها
فإذا السلامُ بها الوغى

حظه جمالاً يزدحمُ
فلا ضياءَ ولا نغمُ
هى من جمالٍ يستتمُ
بـ فلا يقرُّ ولا يلـمُ
لـ لمن تداوى بالآلمُ
لـ مغامرٌ أو معتصمُ
بـ وهنٌ دنيا تلتطمُ
فارَّ الوجوه المسـتجمُ
عبّرَ الحوادثَ والأُممُ
وبها الحوادثُ ترتطمُ

بنات البحر

(من خواطر يوم مطير)

الجو تملؤه الغيومُ، وإنما
حتى تعودَ لها البرودةُ منعةُ
فتفنى للبحرِ المشوقِ أبوةُ
فعلامُ تشكون الشتاءَ وما جنى؟

للصيفِ جندٌ فرقوا ذراتها
جمعتُ سبايا الصيفِ من أشـتاتِها
لرجوعها، فغيابُها كمـاتِها
أيلامُ حينَ حيائه بـحياتِها؟

عُودي بنات البحر في أمواجه!
عُودي! فقد أحيا الشتاءُ وعونهُ
عُودي وسيري في العُبابِ جديدةُ

كم نال ظلمُ الضيفِ من لذاتِها!
فعداته في الصيفِ عينُ عـداتِها
ثم ارجعي للسُحبِ بين بُناتِها

تجري رواني السُّحْبُ في مِرَاتِهَا
لن تُغنمَ اللذاتُ بعد فَوَاتِهَا
فالعيشُ في التنويعِ مِنْ حَالَتِهَا

وتدْفُقِي مَطَرًا طغى وجداولاً
وتمتَّعِي بجديدِ عُمُرِ ثَائِرٍ
وارْضِيْ بَدْنِيَا لَا تَدُومُ بِحَالَةٍ

إلى صدقي باشا

بين الأنامِ مودُّعاً وحميماً
والعقلُ زَلُّهُ تُضَيِّعُ زعيمَا
أنسيتَ مَنْ جعلوا العظيمَ عظيماً
مِنْ رُوحِ هذا الشعبِ راحِ ذميماً
هذا التناحرُ جانياً وأليماً
هَدَفٌ، فما نَلَقَى النعيمَ نعيمَا!

أمودَّعَ الحُكْمَ العريضِ ولم يجدْ
خدعوكَ رَغَمَ سياسةِ غَلَابَةٍ
قُبِرَتْ مواهبُكَ العظيمةُ مثلما
والحُكْمُ ما لم يستمدَّ جَلَالَهُ
لهفي على وطني تضيقُ قواه في
حتى كَأَنَّا للشقاوةِ دائماً

غِبْ يَا ربيع

طَوِي الغَرَامُ كما طَوَيْتُ هَوَاكَ
ألقاه ألاماً كما ألقاك؟
في عُزْلَتِي أَتَأَمَّلُ الأشْوَاكَ
إني أَحَسَّ الجَدْبَ حين أراكا
عن كُلِّ ما تُهْدِي ولا تَرْضَاكَ
لن الدلالُ تحايلاً وشِراكَ؟

غِبْ يَا ربيعُ فَلَستُ مَنْ يَهْوَاكَ!
لِمَنْ العُطُورُ وكلُّ عطرٍ سَابِغٍ
عُدَّ لِلَّذِينَ تَعشَّقُونَ وُخِّلَنِي
أَوْ صِرَ إِزَاءَ الهجرِ جَدْباً شَامِلاً
الشاعرُ المكلومُ تُصَدِّفُ عَيْنُهُ
لِمَنْ العبيرُ وكلُّ أنغامِ الهوى؟

هذي الشباكُ الفاتناتُ مخايلُ
أعددتُ مجلى نعمتي، ونأى كمن

للوهمُ مذ ناجى الحبيبُ سواكا
جافى، فجُنَّ الحبُّ حين رآكا!

غِبْ يا ربيعُ! كفى بمهزلةِ الهوى
أبكيتَ في هذا الندى؟ أبكيتَ في الـ
أنا وحدي الباكي الشجيُّ بعزلتي
ضاعَ التجاوبُ بيننا، وكأئنا
يا خالقاً أُمَمَ الجمالِ وجاهلاً
فرقتَ بيني والتي بفتونها
مضتِ المنى، ومضتْ معاني طيبها

أجدُ النعيمَ مناحةً وهلاكاً
قطرُ المضاع؟ لأنت من يتباكى!
ولو أن حولي عالمٌ وشباكا
خَصْمَانِ، أو أني جمعتُ عداكا
مَنْ يستقلُّ بها وليس يُحاكي
أدركتُ في ماضي المنى معناكا
ومضيتُ أنتَ، وقد سمعتُ خطاكا!

هتاف الربيع

(أملأها صاحب الديوان على صديقه الفنان شعبان زكي)

هتَفَ الربيعُ فما يكون نشيدهُ
أتراه سخريةً لسالفِ عهدنا؟
حتى الجمادُ يرفُّ في حللٍ له
ونفوسنا كالصخر ليس يسوسه
صلدتُ من الجبروتِ حتى أصبحتُ

والظلمُ يعبثُ حوله ويبيدهُ؟
أو عهدنا الحالي، فنحن عبيدهُ؟
والنبتُ يرقصُ وشيهُ وجديدهُ
نغمٌ، وليس له بعيدٌ عيدهُ
كالوهم في الضعف المديدِ مديدهُ!

غَنِّي عصافيرَ الربيع، وإنما
غَنِّي ولا تتلفتي لنفوسنا
وهبَتْ له والظلمُ زكَّانا فما

كلُّ امرئٍ منَّا الأصمُّ شريدهُ
فالفقرُ حاكمنا ونحن جنودهُ
يُجدي الفقيرُ من الربيعِ وجودهُ

دُنْيا الفنون هو الربيعُ، وحالُّنا
دَيسَتْ كرامتُنا ومات رجاؤنا
هيهات! والنفْسُ العليَّةُ جَدْبَةٌ
هيهات إنْ لم تنتفضْ لحياتها
والشعبُ لم يَقْتُلْهُ مِنْ ظُلامِهِ

دُنْيا الهوان، وللِهوانِ شهودُهُ
أترى يكون من الربيعِ مُعيدُهُ؟
إن الربيعَ ربيعُها تجديدهُ
وتتَرُ على مَوْتِ تُشَدُّ قيودُهُ
إلا التهيُّبُ، فالكفاحُ خلودُهُ!

خطيب مصر

(نظمت لمناسبة الخطبة الاجتماعية الرائعة التي ألقاها الوطني الكبير السيد مكرم
عبيد في افتتاح نادي المحامين بالقاهرة)

خطيبَ (الوفد) أنتَ خطيبُ مصرَ
بودِّي لو أصوِّتُكَ عن جهارٍ
وأن ألقاك مُصلِحَ مصر فيما
سئمتُ مِنَ السياسةِ فهي جُرمٌ
خطبتَ فكنتَ أَحْكَمَ مَنْ تنادى
تُحاربُ عثرةَ الأخلاقِ فينا
لعمري ذاك أجدى من جهودٍ

وشاعرها المَبجَّلُ والمُفدَّى
تسوءُ به السياسةُ مَنْ تصدَّى
نداؤك فيه يُنقِذُ مَنْ تَرَدَّى
على الأخلاقِ تُبقي الحُرَّ عبداً
بمكرمةٍ وأشرفَ مَنْ تعَدَّى
وتهتِفُ بالذي تلقاه أهدى
تُطيحُ بها السياسةُ مَنْ تحدَّى

إلى الشاكين

شكوتُ كما تشكون مِنْ زُعمائنا
فهلأ شَكُونَا مِنْ تَهَاوُنِ أُمّةٍ!
أُيُنْتَقَدُ الْقُوَادُ وَالْجُنْدُ مُحْجَمٌ
عَرَفْتُ الرِّجَالَ الرَّائِدِينَ مَكَارِمًا
إِذَا خُبِلَ (الوفدُ) المِثْلُ أُمّةً
فَكُونُوا جَمِيعاً وَحِدَةً أَيَّ وَحِدَةٍ
وقد كثروا لكن مآثرهم قلتُ
وهل هي خافتُ في المِعارِكِ أمْ مَلَّتْ؟
عن الحَرْبِ؟ أمْ هَذَا مَوَازِينَا اخْتَلَتْ؟
فإِنْ لُمْتُهُمْ فَالْعَيْبُ مِنْ بَيِّنَةٍ ضَلَّتْ
فلا عَجَبٌ فِي أُمّةٍ بَعْدَهُ اعْتَلَّتْ
وإِلَّا فذوقوا الويلَ مِنْ وَحِدَةٍ وَلَّتْ!

غمرة الموت

فوقَ هذا العبابِ، في ظِلْمَةِ اللَّيْلِ
لم يَزِدْنِي الضِّيَاءُ مِنْ طَلْعَةِ الْبَدْرِ
فكَأَنَّ الضِّيَاءَ أَرْوَاحُ مَوْتِي
وَإِذَا بِالضِّيَاءِ مَيِّتٌ، وَحَسْبِي
لِ، أَقْضَى الْحَيَاةَ لَهْفَانِ حَائِرُ
رِ سَوَى ثَوْرَةٍ عَلَى كُلِّ ثَائِرُ
جُمِعْتُ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ الْمَقَابِرِ
أَنْ أَرَى الْمَوْتَ غَامِراً كُلَّ غَامِرٍ!

يا حَيَاتِي! أَيَهْزَأُ الْقَدْرُ الْعَا
أَمْ تَرَى أَنْتِ وَحْدَكَ الْحَسْرَةَ النَّشْءُ
ضَحَكَ النَّاسُ مِنْ شِعْوَري وَقَالُوا
بَيْنَمَا مِنْ صَمِيمٍ دُنْيَايَ شِعْري
تِي بِكُلِّ الْقَوَى وَكُلِّ الْمَصَائِرِ
وَيُ فَتَفْنِينَ دَائِماً فِي الْمَخَاطِرِ؟!
إِنَّمَا هَذِهِ هَوَاجِسُ شَاعِرٍ
وَلَكُمْ صَلَّلْتُ حَكِيماً وَسَاحِرٍ!

قصة الدنيا

لِمَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَهَذِي الْمَغَانِمُ؟
إِذَا أَقْبَلْتَ دُنْيَاكَ لَا تَغْتَرَّرْ بِهَا
أَتَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَجِدَّ خَلْقَهَا
خُذِ الْعُدَّةَ الْكُبْرَى لَهَا غَيْرَ وَاهِمٍ
لَقَدْ مُزِجَ الشَّرُّ الَّذِي أَنْتَ تَتَّقِي
وَلَوْ فُصِّلَا مَا كَانَ دِينَ وَلَا دُنَى
وَقَدْ جُمِعَا كَالْكَهْرِبَاءِ: فَسَالِبٌ
إِذَا افْتَرَقَا مَاتَا، فَدُنْيَاكَ عَيْشُهَا
وَأَيْنَ وَأَيْنَ الصَّيْرِ فِي مَخْلُصًا
وَأَيْنَ جَهْدُ الْكِيمِيَاءِ فَإِنَّا
لَقَدْ حَيَّرَ الْأَلْبَابَ كُنْهُ وَجُودِنَا

أَلْخَيْرِ؟ إِنَّ الْخَيْرَ فِي النَّاسِ غَارِمٌ
وَإِنْ ظَلَمْتَ لَمْ يَبْقَ غَيْرَكَ ظَالِمٌ
وَتَحْلُمُ؟ إِنَّ الشَّرَّ مَا أَنْتَ حَالِمٌ
فَلَيْسَ غَبِينًا غَيْرُ مَنْ هُوَ وَاهِمٌ
مَعَ الْخَيْرِ، حَتَّى حَارَ حَبْرٌ وَعَالِمٌ
فَبَيْنَهُمَا مَوْجُ الْوَرَى مُتَلَاظِمٌ
مَطِيعٌ، وَعَاتٍ مُوجِبُ الطَّبَعِ رَاغِمٌ
حَيَاتُهُمَا، وَالْعَدْلُ كَالظَّلْمِ هَائِمٌ
فَيُغْنِمُ إِبْرِيْزُ وَيُطْرَحُ غَاشِمٌ^١
نَعِيشُ بِجَوْ خَيْرِهِ الْحَضُّ جَارِمٌ!
كَمَا حَارَ فِي تَفْكِيرِهِ الرِّثْ نَائِمٌ!

رغوة العصور

١- الأصل للشاعر الإنجليزي اللورد بيرون

Between two worlds life hovers like a star,
Twixt night and morn, upon the horizon's verge.
How little do we know that which we are!

^١ الغاشم: المعدن الخام.

How less what we may be! The eternal scourge
Of time and tide rolls on, bears afar
Our bubbles; as the old burst, new emerge;
Lash'd from the foam of ages....

٢- الترجمة المرسلة لصاحب الديوان

ما بين دُنْيا ودُنْيا وبين صبحٍ وليلٍ	نرى الحياةَ كنجمٍ في حافةِ الأفقِ رفاً
ما أصغرَ العلمَ منا بمن نكون وجوداً	وأصغرَ العلمَ عنه بما سنمضي إليه!
المدُّ والجزرُ يمضي والدهرُ في جيشانٍ	وقد حُمِلنا بعيداً في موجهِ كالزَّبْدِ
وكلما انهدَّ فإن منها تجلَّى سِوَاهُ	مُجَدِّداً وَمَسْوطاً في رغوّةٍ للعصور!

رسالة الشاعر

مرحباً بالنشيد بعد النشيد	في معانٍ من الزمانِ المديد
ومعانٍ تُزَفُّ للزَّمنِ الآ	تي... ألسنا له جُدودَ الجدودِ؟
هاتِ يا صاحبي أغانيك ألوا	ناً فإننا بحاجةٍ للمزيد
هاتِ من كلِّ لوعةٍ وغرامٍ	خمرةً عَطَّرَتْ بورِدَ الخدودِ
إنما نحنُ في قيودٍ وفقيرٍ	لشعورٍ يفكنا من قيودِ
لسريّ الأشعار من كلِّ نايٍ	وأغاني فردوسِنا المفقودِ
نحن نحيا وليس فينا الذي يحُ	ياً قريراً كبعضِ هذا الوجودِ
جمعتنا الآلامُ دونَ حُدودِ	وسُجَّناً بعالمٍ ذي حُدودِ
فالتفتنا كما تلفتتِ الدُّنْ	يا إلى الشاعرِ النبيِّ الشهيدِ

ليس إله يفهم النور
وابتسام الأشجان في نظرة الفج
وأنين الغروب في الشفق الدا
واختلاج الآلام في كل شيء
صور حولنا لصفو وبث
فإذا الشعر من يترجم عنها
وإذا الشاعر الذي يحسن الفن حري بمجدنا المنشود

والظل ومعناها بماضي العهود
وإن كان في شعور الوليد
مي وإن لاح رائعا من بعيد
فاتن من جماله المعبود
في حنو خال مثل الصدود
عازفا للورى أمانى الخلود
وإذا الشاعر الذي يحسن الفن حري بمجدنا المنشود

رجوع الكروان

(نظمها الشاعر في السحر وقد أيقظه غناء الكروان الشجي)

أتعود بعد الشيب يا كرواني؟
هيهات! لم تبق السنون لعاشق
كنت الرسول^١ إلى جميل حنانها
وتسمعت أذني إليك فلم تفز
والآن بعد كهولتي في عزلتي
وتلح إلحاح المبشر بالهوى
أملأ بمنقذي الحبيب! وهل درى
لم يبق للقلب المذاب بقية
إلا حياة الذكريات وكلها

أتري الكهولة كالشباب الثاني؟
مثلي سوى الأصداء من ألحاني
فمضيت ثم مضت بكل حنان
أبدأ بغير صدى بعيد عان!
تأتي برجع نشيدها الفرحان
فالحب فوق منازل الأديان!
أنى على الإنقاذ جد معان؟
تحيا وقد ألقيت في النيران
أشجان ذي حرق على أشجان

^١ أنظر أنشودة "الكروان الرسول" في ديوان (زينب).

قَدْ جِئْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَوَانِ وَإِنْ أَبِي
وَكَأَنَّمَا الْحُبُّ النَّقْيَ حَيَاثُهُ
رَدَّدُ إِذَنْ وَحْيَ الْغَرَامِ مَدَاجِلًا
كَانَتْ تَفَرَّدَ لِي وَكَانَ نَشِيدُهَا
تَمْشِي الطَّبِيعَةُ فِي خِلَالِ حُرُوفِهِ
فَأَعِدْ لَوْجَدَانِي وَقَدْ أَيْقَظَتْهُ

زُهْدِي، وَعَقَّ تَجْمُلِي تَحْنَانِي
أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْأَزْمَانِ
حَيًّا كَشَدُو شَبَابِهَا الْفَتَّانِ
جَمَّ الْعُطُورِ مِنْوَعُ الْأَلْوَانِ
بِمَشَاعِرٍ وَمَشَاهِدٍ وَمَعَانِي
تِلْكَ الْحَيَاةُ تُعِدُّ شَبَابِي الثَّانِي!

إِلَى الزَّعِيمِ الْكَبِيرِ

(حيا بها الشاعر دولة مصطفى النحاس باشا)

خَبِرْتُ زَعَامَاتِ الْبِلَادِ فَلَمْ أَجِدْ
تَصَوُّنَ إِخَاءِ الشَّعْبِ رَغَمَ تَنَابُؤِ
وَإِنِّي الَّذِي يُشْجِيهِ وَالْخَطْبُ دَاهِمٌ
كَأَنَا خُصُومٌ لَا تَأْلَفَ بَيْنَنَا
وَلَكِنْ دَمِي يَهْدِيهِ وَاللَّيْلُ قَاتِمٌ
سَكَنًا إِلَى نَجْوَاهُ فِي حَيْرَةِ الْأَسَى
وَكَمْ قَدْ سَأَلْنَا الْحَاكِمِينَ انْتِصَافَهُمْ
سَأَلْنَاهُمُو بِاسْمِ الْمُوَدَّةِ تَارَةً
وَبِاسْمِ أَمَانِي الْعِلْمِ وَالْعَصْرِ نِيرٌ
وَاسْمِ صِدَاقَاتِ الْأُبُوَّةِ وَالْعُلَى

سِرَاكَ عَلَى دِينِ الْوَفَاءِ يَقِيمُ
وَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِلْبِلَادِ زَعِيمُ
تَفَرَّقُ أَحْزَابُ تَظَلُّ تَهْمُ
مَدَى الدَّهْرِ أَوْ أَنَّ الْفَلَاحَ خَصِيمُ
وَفَاؤُكَ: فَهُوَ النُّورُ، وَهُوَ عَمِيمُ
إِذَا مَا تَجَنَّى بَاطِشٌ وَلِئِيمُ
فَمَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْصَفٌ وَحَكِيمُ
وَبِاسْمِ جَلَالِ الْحُكْمِ وَهُوَ عَظِيمُ
وَمَا الْعِلْمُ لِلْعَصْرِ الْمُنِيرِ غَرِيمُ
بِعَهْدِ كَرِيمٍ مَا سَلَاهُ كَرِيمُ

^١ يشير الشاعر بصفة خاصة إلى ظلامته التي بثها إلى دولة صديقي باشا.

فما لمحو من زفرة الحق شُعلةً
ودالت حكومات وما زلت حاكماً
يتيم، يتيم - حينما الحكم ما له
فبجّلتُ فيك الثُّبل... يا ما أقله
وقدّستُ فيك الحبّ للشعب بينما
وردّدتُ أمداحي وإن كُنْ نعمةً
ولكنما رين الإياء سجيّتي

وعشنا وعاشوا والظلام بهيمُ
وأنت قصي عنه وهو يتيمُ
نصيرٌ من الشعب الأبى - عديمُ
بدنيا جناها مجرمٌ ووخيمُ
تجنّى عليه فاسقٌ ولئيمُ
عليّ بعهد ليس فيه رحيمُ
وإني على رين الإياء أقيمُ

النافذة المغلقة

(منقولة عن الأغنية الإيطالية الشهيرة وقد ترجمها نثرأ

لصاحب الديوان الأديب محمد أمين حسّونة)

إنحوني أيّها الخلانُ عُذراً
ليس لي ذنبٌ، فكم قد ملأْتُها
إنّها الآن إلى الشارع تمضي
هي تفنى دون إشراقكِ إن لم
لَمْ تَنْفَتحي مِنْ بَعْدِ غَلْقِ
وَجَدُ قَلْبِي المُشْعَلِ المَجْنُونِ سُكْراً
بَلْغِيهَا أَنَّنِي عَبْدُ هَوَاهَا
إِنْ تَشَاءُ خَدْعِي فلي بعد يدُ
أَصْدِقَائِي وَأَعْرَائِي! وداعاً
فمحالٌ مرةً أُخْرَى نَتَلِي

ليس لي ذنبٌ بَغْلِقِ النافذة
بغرامِي أغنياتي الآخذة!
وهي مِنْ غَيْرِكِ تَفْنَى يا جميلة
تَسْمَعِينِي لَيْلَةَ الحُبِّ الظَلِيلَةِ
أيُّهَا النافذة المخْفِيُ فِيهَا
مِنْ غَرَامِي فِي هُمُومٍ يَشْتَهِيهَا؟
أَنَّنِي مَا زَلْتُ نَشْوَانَ مَحَبِّا
لَا نَتَقَامِي لَمْ تَهَبْ حُسْنًا وَحُبًّا
بعد ما قد ماتت الأوتارُ كسراً
عَرَفُهَا مَذ طَارَ ذَاكَ الحَسَنُ طَيْراً

أتركوني ها هنا في عزلي!
رافعاً صوتي قوياً داوياً
قطعت قلبي بوحشيتها
بغنائي لك أنت المنتهى
نور قلبي!.... نار حبي!

ودعوني أنشدُ اللحن الأخير
وهو كالموت لمعبودي الحقيراً!
فاسمحي نافذة الحب اسمحي لي
إن يدُم روح شبابي لي مُنيلي
نور قلبي!.... نار حبي!

موسيقى المعاني

عجبت لمن ترتج من رنين
ولا عجب، فكم لب أصم
وهذا الكون أنظمة تناهت
تحف بنا مواكب ساحرات
يخال وجوده صمتاً عميقاً
وما الحركات والسكنات إلا
وما تلك الشמוש وما إليها
قبسنا من ملاحظتها وصغنا
وصيرنا القريض عباب كون
يُصافح أعماق الأعماق وحيأ
ويندمج النشيد به كيأناً
فإن يدركه مسمع عبقرى
وإن لم يلق غير سماع قوم
فغايتة الضياع، وإن تولى

ويجهل أين موسيقى المعاني
وليس الفن حيلة ترجمان
هواتفها بأنظمة الأغاني
وكم متخلف في المهرجان
وأن وجوده في الأسر عاني
أناشيد منوعة البيان
سوى الأصداء من شعر الزمان
عواطفنا كأنجمها الحسان
يعج وموجه كالدهر باني
ويصعد بالعواطف والجنان
وكم بين المظاهر والكيان
تبين فيه روعة الافتتان
نفوسهم هو هوان في هوان
ليخلد في الطلاقة كالأماني!

الربّات الراقصات

يحيين أبناء (رع)

رَقَصْنَ، ورقصةُ الربّاتِ معنًى
تَتَنَّنِ انسياباً واجتذاباً
وغنّين الحياةَ جديداً لحنٍ
وقد ركع الإلهُ (خنوم) عبداً
تراهُ شبيهةً مذهولٍ قريراً
ونافضةً بمزمارٍ عجيبٍ
فَتُخْلَقُ منه موسيقى خيالٍ
لبسُنَ من الثيابِ فنونَ وهمٍ
شُكُولُ اللونِ كالشفقِ المرجّى
وأمواجُ الحياةِ بهنّ نشوى
سريعاتُ التجاوبِ للأغاني
وهذي العُمدُ والأصباغُ فيها
وهذي الأرضُ مَلَمْسُها خِداً
تتكرّ حسنُهنّ، وكم إليه
وهبن (رعاً) قداسَتهنّ لما

مِنَ الإلهامِ يجهله التمنّي
فأنطقنَ التجاذبَ والتّئنّي
فصيرنَ الحياةَ جديداً لحنٍ
يطبّلُ والجمالُ له يُغني
على ظنّ يداعبه وظنّ
يبذلُّ عجائبَ الوترِ المرنّ
وأخرى للخوالج قبلَ أذنٍ
فكلُّ جسمها أحلامٌ فنّ
وكم علّقَ الرجاءُ ببعضِ لونٍ
كأمواجِ الصّباحِ المطمئنّ
وفتنتهنّ تجعله الثّائني
تُشارفها بروحٍ قبلَ عينٍ
كلمسِ الحبِّ أو لمسِ التجنّي
تتكرّ مثلهنّ بكلِّ حسنٍ
سحرنَ بنيه بالرقصِ المغني!

المسرح الأكبر

(إلى الصديق الشاعر خليل شوب صدى رثائه لبنية عزيزة لديه)

أخـي في الحـبِّ والأدب
عـزاءً لـيس يُنصـفـني
وهـذا القـلبُ يـضـربـني
قـرأتُ سـطـوركَ اللـهـفـي
أنا أـلحـاني عـلى وـلـدي
أنا البـاكـي عـلى زـمـنٍ

مـصـابـكُ لـستَ تـحـمـلـه
فـكـم مـن شـاعـرٍ - مـثـلي
يـرـى الأـرزاءَ راقـصـة
وإـتـقى الدـهـرَ كـالجـبـا
خـليـلُك يا (خـلـيـل) بـما

هـي الدـنـيا عـدالتـها
تـعزـزنا وتـقـهـرنـا
وتـزرعـنا وتـحـصـدنا
كـأنَّ الفـنَّ خـدعـتـها
فـنـحـنُ شـخـوصُ مـسـرحـها
مـلايـينُ الشـخـوصِ بـه
فـما حـيُّ بـمـشـهـوٍ

عـزاءً مـن أبٍ لأب
فـما شـعـري ومـا أدـبي
كـمـوج سـاخـطٍ لـجـبٍ
فـوالهـفي! وواحـرـبـي!
حـنـوُكُ أنـتَ في كـُـرـبٍ
مـأسـيـه مـن اللـعـبـ!

وحيـداً خـائـضَ اللـهـبِ
بـنـارٍ - جـدُّ مـلتـهـبِ
عـلى الأيـام كـالحـبِ
رِـبـا الأـرزاءِ في طـرـبِ
تـعـانـيـه، فـما بـك بـي!

فـنـونُ اللـؤـمِ والكـذبِ
وتـدفعـنا إلى العـطـبِ
بـلا مـعـنـى ولا سـبـبِ
بـما تـجـنـي، فـلـم تـعـبِ!
وكم مـن مـشـهـدٍ عـجـبِ!
تـساووا في مـدـى الحـقـبِ
ومـا مـيتٌ بـمـحتـجـبِ!

سفينة الشمس

(نظمها الشاعر بمناسبة زيارته صحبة الأستاذ سليم حسن وأعضاء "الجمع المصري للثقافة العلمية" سفينة الشمس المقدسة في جيرة الهرم الرابع بالجيزة)

سفينة الشمس قد أخفيت في الظلم
نسبت للعالم السفلي ناقلة
في كل ليل تعاني الشمس ميتة
حتى تعود إلى الدنيا مجددة
كما اختفى القدر المعبود في القدم
شمس الغروب على بحر من العدم
أو شبه ميتة ما جل من ألم
مع الصباح كمولود من الحلم

حتى الشمس لها الأعداء قد رصدوا
تجتاز فيك من الويلات أظلمها
وما تزال، وكل الناس أمثلة
حسابها فتعاني من حسابهم
كما يعاني الوري بالموت والهرم
منها، وما اختلفوا عن سالف الأمم

سفينة الشمس قد جئنا على لهف
نحس فيك بانوار محجبة
وذلك البحر - بحر الموت - مضطرب
أشيمه بشعور لست أعرفه
والرمل كال موج زخار ومحتدم
على سكون كأن السخر يشمله
والدهر يسبح فيه بين منتظم
كأنما هو يلقي بالرداء على
فتشهد العالم السفلي محتشداً
وأرقب الأمس في أقصى مصارعه
إليك قبل وفود الشمس في الظلم
كما نحس بألوان من الألم
لا يستقر كجند جدد منهزم
كأنه ليس من حس ولا كلم
وإن بدا غير زخار ومحتدم
وحاله حال صخاب ومبتسم
للحادثات وجمع غير منتظم
وجهي ويوقظ وجداني من الصمم
حولي بمختلف الأسياخ والخدم
مجدداً والغد المنظور عن أمم

والموجُ يَهْمِسُ بالأحداثِ أجسَعها
قد عَمُرَتْ وهي أشلاءٌ مبعثرةٌ
كأنما الخوفُ في الأنهارِ حنَّطُها
تجري حيالي وأخشى مِنْ مشاهدِها
والماءُ كالوهمِ لا شيءٌ، وأعجبه
لولا رعايةُ (هاتور) لأحرقنا

وكلُّها بين مغرورٍ ومنحطمٍ
كما تعمَّرُ أشلاءٌ من الرَّمَمِ
فلم تَمُتْ رغمَ هذا الموتِ من قدمٍ
وكلُّها كالضحايا خُضِبَتْ بدمٍ
رذائهُ كشرارٍ جِدُّ مضطرمٍ
وكم لهاتورٍ مِنْ برٍّ ومِنْ نَعَمٍ!

سفينةُ الشمسِ نمضي الآن في أسفَرٍ
يَبْدُ عُمْرُكَ عُمْرَ الشمسِ، دائرةٌ

على فراقك بعدَ العطفِ والكرمِ
كأنَّ عُمْرُكَ عُمْرُ الخلقِ كلِّهمِ!

ضحية الكهرمان

(شاهد صاحب الديوان ذبابة من نوع منقرض في حجر من الكهرمان)

يا بنتَ آلافِ السنينِ سَجِينَةُ
هي عَثْرَةٌ لَكَ في مَسِيلِ خادِعٍ
فحفظتِ تُحْفَةَ جَوْهرٍ لم تُعْتَقِي
وبقيتِ ماثلةً بنوعِكَ بيننا
وحييتِ مَبْتَةَ كتحفَةِ عالمٍ
بلغَ المحيطُ الدهرُ عالمَ نوعِنَا

مَضَتْ القرونُ وما عرفتِ فكاكا
حتى تَجَمَّدَ الحياةُ شِراكا
وتخذتِ فيه عَزِيزَةً مَأْواك
فكأنما يحيا على مَرَاك
حَيٌّ، ونحن نعيش كالأمواتِ
ولسوف يَجْمَدُ بَعْدُ دونَ حياةٍ!

أهلاً أبو قردان

أهلاً (أبو قردان)	يا منقذ الفلاح!
كلاكما قد هان	واستمرأ الأتراح
إن قـدـرـوك الآن	لم يعرفوا قـدـره
لم يفهموا الإنسان	إن يفهموا غيره
تعيش بين الحقول	مستأصلاً للضرر
بناقر لا يحول	وناظر من شرر
وقد لبست البياض	في صورة الناسك
وتارة مثل قاض	يقضي على الهالك
تتابع الحرثا	وتلقط الديدان
وترفض النكثا	بالعهد للإنسان
تلوح كالوسنان	والحالم العابد
لكنك اليقظان	والباحث الساجد
في صفرة البرتقال	رجلاك والمنقار
كلاهما في جمال	نراه أبهى شعار
شعارنا للنصار	شعارنا للغنى
والريش ريش النهار	لوصار طيراً لنا!
عش يا صديقاً يكد	دليلنا في الحياه
يرجوك عان وعبد	فأنت برؤ الإله!

مناحة الفن

(رثاء المثلّال محمود مختار)

روائع الفن! مات الفن والاعيد
أنت اليتيم والأعمام^١ شأنهمو
مات الذي روح مصر في تفننه
الجاعل الصخر حياً في أنامله
والخالق المثل الأعلى وإن خُبئت
والمبدع الحُسن أعضاء وأنسجة^٢
رزء له يخرس الإفصاح من وله
أنا الطليق بأصفا^٣.... فواعجبا!
إن التجاوب إشراك وإن بُعدت
لئن رثيت فشعري من مناهله
ما بال شعري وما بالي بلا أمل
كأنما في صحارى الدهر غيبته^٤
واحسرتاه! فقد ضاعت بضيعة^٥
وقد تعثر أحجانا وأحصفنا
وليس كل غنانا عند حسرتنا
كأنما روحه أرواحنا، فمضت
والهفة الأدب العالي بملهمه!

وماتت اليوم في الجو الأناشيد^١
شأن اليتيم، فلا عون ولا عيد
حتى تجلّت بنجواه الجلاميد
وتبضه بشعور الفن مشهود
رموزه، وكأن الكشف تبديد
تشيف، فهي معان وهي تجسيد
فعاد ينطقه حب وتمجيد
وكم شجاني تحرير وتصفيد!
أسبابه.... ليس في التبديد تبديد
والشعر كالنحت إحساس وتخليد
كأنما التهمت تأملنا البيد!^٢
كما تحجب مكنوز ومعبود
من ذلك السر آيات وتشيد
كالأدعياء، فما التسديد تسديد
إلا الخصاصة، والتفنيد توكيد
دنيا من الفن، فالموجود مفقود!
مضى الجمال، فهل تُغني الأغريد!^٣

^١ إشارة إلى الربيع.

^٢ إشارة إلى الفنانين الآخرين.

^٣ أي الأمل.

^٤ الفقيد المرثي.

أَيَقْتُلُ الدَّرَنُ^١ الْعَاتِي مَجْدَدَنَا
لَمَنْ تَعِيشُ (عُرُوسُ النِيلِ)^٢ بَعْدَ أَبِي
تَرَى الرِّشَاقَةَ فِيهَا كُلَّهَا حَزَنٌ
مِثَالُ (مِصْرَ) بِمَعْنَاهَا وَرُوعَتِهَا

مَشِيتُ فِي الْمَوَكِبِ الْمَصْدُوعِ مُنْصَدِعاً
وَالنَّعْشُ كَالْهَيْكَلِ الْمَرْفُوعِ حَفَّ بِهِ
سِرُّنَا وَلِسْنَا عَدِيداً بَيْنَمَا طَفَحَتْ
كَأَنَّنَا نَحْنُ (مِصْرُ) رَغَمَ غَيْبَتِهَا
أَسَى سِيَشْمَلُ (وَادِي النِيلِ) أَجْمَعُهُ
أَسَى وَلَا كَالْأَسَى، فَالْفَنُّ مِيتَتُهُ

يَا مُرْعِشَ الْحَجَرِ الْبَسَامِ فِي صُورٍ
وَأَسْرَ النَّظْرَةِ الْعَجَلَى بِلَا أَمَدٍ
أَيْنَ الَّتِي زِدَّتْهَا وَحِيَاءً وَتَكْرِمَةً
وَكَيْفَ لَمْ يَنْتَظِمَنَّ النَّاسَ فِي حَرْقٍ
و (الرَّمْسِيَوْمُ) كَأَرْمَاسٍ بِهَا دُفِنَتْ
أَيْنَ الَّتِي قَدَّهَا الْمَشُوقُ ثَوْرَتُهُ
وَنَهْدُهَا ذَلِكَ الْوُثَّابُ مِنْ حَجَرٍ
أَحْرَى الْأَنَامِ بِأَحْزَانٍ وَتَعْزِيَةٍ

بِالْفَنِّ، وَالْفَنُّ إِحْيَاءٌ وَتَجْدِيدٌ؟
الْعِيشُ مِنْ بَعْدِهِ ذُلٌّ وَتَشْرِيدٌ
تَوَدُّ لَوْ يَفْتَدِيهِ الْحَسَنُ وَالْجُودُ
فَالْيَوْمُ لِلْأَمْسِ مِرَاةٌ وَتَرْدِيدٌ

وَقَلْبُ (نَهْضَةِ مِصْرٍ) مِنْهُ مَفْوُودٌ
مِنْ الْمُنَاجِينَ إِيْمَانٌ وَتَأْيِيدٌ
نَفُوسُنَا بِأَسَى يَعْدُوهُ تَحْدِيدٌ
أَوْ أَنَّنَا لِلْأَسَى الصَّخَابِ تَمْهِيدٌ
وَقَدْ أَنَاخَتْ بِهِ أَيَّامُهُ السُّودُ
أَقْسَى مِنَ الْمَوْتِ، لَوْ فِي الْمَوْتِ مَحْمُودٌ!

مِنْ الْأَنْوِثَةِ!... هَذَا الصَّخْرُ مَصْوودٌ!
الْمَوْتُ كَالنَّاسِ مَأْسُورٌ وَمَجْدُودٌ!
وَكَيْفَ لَمْ تَزْدَحْمَ فِي الْمَأْتَمِ الْغَيْدُ؟
وَتِلْكَ (طَبِيبَةٌ) أَحْزَانٌ وَتَسْهِيدُ؟
خَوَاطِرُ لَكَ خَافَتْهَا الْمَوَاعِيدُ؟
فِي فَنِّكَ الْحَيِّ إِثْرَاءٌ وَتَعْيِيدُ؟
وَجِيدُهَا صَخْرُكَ الْفَتَانُ لَا الْجِيدُ؟
مَنَا، فَهَلْ رَدَّهَا أَوْ صَدَّهَا الْعِيدُ^٣

^١ مرض الفَقِيد سبع سنوات بالدرن (السلال) حتى قضى عليه في ألام مبرحة.

^٢ أشهر تماثيل مختار، وقد اشترته الحكومة الفرنسية ووضعت في متحف قصر التويليري بباريس.

^٣ دفن الفقيد في اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى، ولم تشترك بنات مصر في جنازته مع أن مختاراً وقف فنه على تمجيد المرأة المصرية.

لو تحمل النعش زكّاهَا وقدّسَهَا
مُتَّ الشَّهيدَ لمغزَاهَا وفتنتَهَا
ولو رُفِعَتْ شهيداً فوقَ هَامَتَهَا
رُوحٌ كروحِكَ غلاباً ومنهزمأً
وهو الحريُّ بمجدِ الحبِّ إن عطَلَتْ

كأنما هو تكريسٌ وتعميدُ
وذاك حبُّك تُغنيهِ الأسانيدُ
فمن سِوَى الفَنِّ جَبَّارٌ وصنديدُ؟
هو الكميُّ، وَمَنْ عادَاهُ رعيْدُ
دُنْيَا الأَنَامِ وخانتَهُ التقاليدُ

داء البيئة

مبَاهجَ النَّيلِ ما للنَّيلِ مضطرباً
نظرْتُهُ بفؤَادٍ كُلُّهُ حَرَقُ
لم يبقَ لي مِنْ حَيَاةٍ كُلُّهَا ظمأً
ولا مِنْ الحُلُمِ إِلَّا ما يورِّقني

كأنما هو في الصحراءِ كالآلِ!
فزاد حرقَةً قَلْبٍ ثائرٍ بالِ
إِلَّا أعاصيرُ أَلَمِي وأهوالي
ولا مِنْ الحُسْنِ إِلَّا روعةُ البَالِ!

أَسِيرٌ وحدي بِأثقالِ مروعةٍ
أنا الشريدُ ونفسي كُلُّها شَمَمٌ
لا أَسْتَطِيعُ فكاكاً مِنْ مَطالِبِهَا
لكنما حَظُّهَا في حَظِّ بَيْتِهَا

وليس يُدركُ غيري كُنْهُ أثْقالي
وعزّةٌ بينَ تشريدي وأحمالي
وما مَطالِبُهَا في حَظِّهَا العَالِي
ومجدُ أُمَّتِهَا المأمولِ والحَالِي

وجاحِدٌ طالما أُولِيَّتْهُ ثِقَتي
فليس ثَمّةٌ أَغْلَى لامرئٍ فَطِنِ
لم أَلَقَ مِنْهُ سِوَى هجوي مكافأةٍ
أبا الجحود! وكم تُغني أبوتَهُ

ولا أقولُ جهادي الجَمُّ أو مالي
منها، وما كُلُّ غالٍ دونَهَا غالٍ
أو التَطاولِ في أوهامِ مختالٍ
عن عَمِّهِ الأحمقِ الممرورِ والخالِ!

يا سائلَ الناسِ إنصافاً وغائبَهُمْ
عُدْ للذين تغذَّيتُمْ سواسيةً
كم تصخبون وكم تشكون بيئتكم
كدنا نسامحُ دنيانا فقد خُدرتْ
أنتم أساتيدُها الشاكون ضلَّلتُها
ويا لآلامنا اللهي! فقد وئدتْ

وناصحَ الناسِ وهو المفسدُ القالي!
بالغدرِ في غنيةٍ عن كل دجالٍ
يا ويحها بيئةُ منكم بإِذلالٍ!
فيكم، وقد وُضِعَتْ منكم بأغلالٍ!
فيا لدنياً تُعاني خُبثَ ضلَّالٍ!
مِنْ غَدْرِ أُمثالكم أَمالُ أجيالٍ!

عيد الحياة

(شم النسيم)

عيدَ الحياة! أَمَنكَ بعضُ حياتي
الكونُ يَنبضُ بالشعورِ وها أرى
والميتُ يُنَعَّثُ في جديرٍ معجبٍ
فرحُ الطبيعةِ فيه فرحةُ خالقٍ
رقصوا جميعاً في تحرُّرِ نعمةٍ
وتمتَّلوا البَيْضَ المحلَّى رمزهم
حاكتْ بشائرهُ التغرُّلَ بينما
عيدٌ لمصر، ومصرُ في إعجازها
طبعتْ صباحتها الشعوبَ بما اشتتهتْ
فنسيمها عيدُ الربيع، ويومُه

في بيئةٍ خُلِقَتْ مِنَ الأمواتِ؟
فرحَ الوجودِ بمبدعِ الآياتِ
فكأنما الماضي البعيدُ الآتي!
بينيه، لا فرحُ الزمانِ العاتي
حتى الجمادُ له حبورٌ ذاتي
لهوى الحياةِ وغايةُ اللذاتِ
سبقَ الهوى فجرى إلى الغاياتِ!
أُمُّ العجائبِ في عجيبِ صفاتِ
في الحبِّ والأعيانِ والخطراتِ
يومَ الحياةِ لعالمٍ أشتاتِ!

اليومَ يُخَصِّبُ كُلَّ مَعْنَى حافلٍ
وتُبَّتْ في الأحياءِ نشوةُ عيشهم

بالشعرِ خصبَ الجذبِ والفلواتِ
ونرى المواتِ يَلُوحُ غيرَ مواتِ

ونرى الطبيعة بين لهو طفولة
ونرى الحياة تقوم بين تجارب
الميت منها لا يموت وإنما
وشعرت وحدي أنني في عزلي
والميت ليس له شعور بينما

جذلي وبين أنوثه الخطوات
شئى ولكن كلها حياة
يهب الحياة سواء عند ممات
عن وصل من أهوى فقدت حياتي
أقصى الممات جس بالأموات!

الهدد في القرية

(نكريات ريفية)

مرحباً بالهدد الوافي الأبر
عد كل الناس أتباعاً له
جاعني منه رسول كل
حائماً حولي، وفي ترحيبه
جمع الأصباغ في زينتيه
ثم ولّى مُنبئاً رفقته
لابسو التيجان أبهى زينة
عن (سليمان) لهم حكمتهم
وأبوا تيجان تبر مرهق

ملاً القرية حسناً وخطراً!
غير أهل الشعر أو أهل الصور!
في شعاع الشمس نور ما استقر
من نهي الشمس ومن معنى المطر
من حلى القوس^١ ومن وحي السحر
فإذا هم ملء فكري والنظر
من نضار هو أضغات البشر
حينما عافوا الغرور المحتقر^٢
فإذا التيجان ريش وشعر!

بين آداب غوال وصور

مرحباً بالفن في أعلامه

^١ قوس قزح.

^٢ إشارة إلى قصة الهدد وسيدنا سليمان.

كُلُّ فَرِيدٍ مِنْكُمْ مُهْجَتُهُ
تُنْفِقُونَ الْعُمْرَ فِي الْبَحْثِ، فَكُمْ
دَائِمِي التَّنْقِيبِ حَتَّى جِلْسَةً
كُلُّ مَا حَوْلَكُمْ فِيهِ وَطَرُ
صُورَةُ الْفَنِّانِ فِي أَخْلَاقِهِ

مَرْحَباً يَا هُدَيْ! حَسْبِي إِذَا
نَحْنُ صَنَوَانِ بِرُوحٍ وَدَمٍ
غَيْرِ أَنِّي رَهْنُ جِسْمٍ أَسْرٍ
وَأَنَا الْبَاكِي عَلَى عُمْرٍ مَضَى
لَكَ دِينَ أَوْحَدِي خَالِدٌ

وَحُلَاهُ مِنْ ضِيَاءٍ وَزَهْرٍ
تَشْتَكِي مِنْكُمْ حَقُولٌ وَحَجَرٌ
لَكُمْ فِي الشَّمْسِ مَا فِيهَا مَقَرٌ
بَيْنَمَا لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ وَطَرُ
كَلِمَا نَالَ أَمَانِيهِ نَفَرُ

زُرْتُ هَذَا الرِّيفَ مَرَّكَ الْأَبْرَ
وَحَنَّانٍ وَأَمَانٍ وَزَكَرُ
بَيْنَمَا أَنْتَ عَزِيزٌ مَا أُسِرُ
بَيْنَمَا تَضْحَكُ مِنْ مَعْنَى الْعُمْرِ!
حِينَمَا الْمُؤْمِنُ مَنَّا قَدْ كَفَرُ!

إلى زينب

وَدَّعْتَنِي تَوْدِيعَ حُلْمٍ خَاطِفٍ
مَنْ حَدَّثَ الْقَلْبَ الْغَيُورَ فَإِنَّهُ
لَمْ أَدْرِ مِنْ أَرْقِي وَلَوْعَةٍ وَحَشْتِي
يَا غُرْبَتِي وَأَنَا الْمَقِيمُ بِمَوْتِلِ
وَدَّعْتَنِي فِي غَيْرِ تَوْدِيعٍ سِوَى
فَلَعَلَّ صَوْتِكَ كَانَ مَلَأَ أَشْعَةً
قَبْلَتْهَا وَشَمَمَتْهَا فَكَأَنَّهَا

وَرَحَلْتُ - لِلْبَلَدِ الْجَمِيلِ - رِوَاءَ
ضَرْبِ الضَّلُوعِ تَطْلُعاً وَإِبَاءَ؟
مَعْنَى إِلَى أَنْ فَسَّرَ الْأَنْبَاءَ
كَالسَّجْنِ أَلْفُتْهُ تَزِيدُ جَفَاءَ!
وَهُمْ يَرُدُّهُ الصَّدِيقُ عِزَاءَ
لَطْفَتْ فَرَدَّهَا الصَّبَاحُ ضِيَاءَ!
نَجْوَى الْجَمَالِ لَخَاطِرِي تَتَرَاءَى!

يا حظَّ شاطئ (أفرديت) ^١ بفتنة
وقفَ الزمانُ على الرَّمالِ مُشارفاً
كتبَ الحوادثُ في الرمالِ وقائعاً
وقتلتما أغلى المنى ونشرتما
وجرى الهوى فوقَ القلوب كما جرى
مرأى هو الهولُ الحبيب، ومن يعيش

ناري! وريحاني! وأنسَ شبيبتي
مضت السنونُ الجانياتُ كأنها
لم أشكها إلا وقلبي عبدها
عيناك لم أذق السلاف سواهما
ما الهم؟ ما الهجرُ المبرحُ إن أعشُ
عوَدْتُ أشجانَ الصموتِ ومهجتي
كم مرةً ألقاك فيها لم أبحُ
ألقاك والحُبُّ الدفينُ معذبِي
وأغصُ بالحالينِ غصّةَ شاعرٍ
ونثورُ حسنك بالحنانِ جوارحاً
فإذا رحلتَ الآنَ جدَّ بخيلةٍ
لا شيء بعد الهجرِ نار جهنم

طبيبي ربوعَ الرَّمَل! طيبي وانعمي!

تَهَبُ الخلودَ وتُلهمُ الشعراءَ
عينيك وهو يحذرُ الأحياءَ
وكتبت أحداثَ الغرامِ سواءَ
لهباً تناول أنفساً وسماءَ
فوقَ العُبابِ فجيعةً ودماءَ
في غيره لم يعرف الشهداء!

وكهولتي! مَنْ لي سِوَاكَ رجاء؟
لحاتُ أخيلةٍ تُطيبُ جلاءَ
يَسْتَعذِبُ الحرمانَ والإشقاءَ
فَحَيِّتُ في سكري صباحَ مساءَ
لهما، كما شاء الغرامُ وشاء؟
كالبحرِ يحجبُ صمته الأنواءُ
بالوجد وهو يحزُّ قلبي داءَ
رغمَ اللقاءِ فلا أراه لقاءَ
قد لوّنوا بأساءه نعماءَ
وخوالجاً فأخالها بخلاءَ
فلتحشدُ الدنيا لي الأعداءَ
فالهرجُ أقسى شُعلةً وقضاء!

وتنفّسي منها الهوى أنداء!

^١ شاطئ الإسكندرية.

لطفْتُ كنوّارَ الربيعِ نضارةً
جمعتُ ملاحظتها الفصولَ صباحةً
حتى تكاد تطيبُ قسوةَ هجرها
وكأنما الدنيا ترفُّ بأسرها
طبيبي ربوعَ الرملِ واستوحي بها
وتأهبي للعاشقين بنشوة

أهفو إليك وكم أذوبُ حياءَ
وأنا البعيدُ أتابعُ الأصدقاءَ
يُشجّي القريرَ ويقتلُ السراءَ
لفؤادٍ مبكيٍّ يعافُ بكاءَ
متبسّماً متقطّعاً أشلاءَ
حظاً وأبلغُ في المماتِ نداءَ
في مسمعي اللهفةَ الخرساءَ
وأذيبها بين الصخورِ غناءَ!

مضتُ السنونُ وكنْتُ طفلاً لاهياً
وأقمتُ في الرَّمْلِ العزيزِ قريرةً
والآنَ عادَ الدهرُ عودةً ساخرٍ
فإذا غناءُ الطفلِ عادَ مناحةً
يستقبلُ الأتراحَ في أغلالهِ
وكأنَّ (أوزيريس) أوفرُ في الردى
والبحرُ يسكبُ نائياً تهداره
فأعيدُها بين الغيومِ تألقاً

مصر هبة النيل

(استيحاء اللوحة الفنية الرائعة للسثال المصري أدوار زكي خليل، وقد مثلت مصر بشكل جبّار جميل متناسق الأعضاء مفتول العضلات وهو خارج من بين أمواج النيل الذي ينساب إلى اليسار بين المعابد والآثار التي تقابله عند دخوله إلى مصر عند معبد أبي سمبل وتظل تزين ضفافه من طيبة والكرنك إلى أبي الهول وأهرام الجيزة، هذا عن مصر الفرعونية، أما عن مصر الحديثة فقد خصص لها الركن الأعلى إلى اليمين

من لوحته فمئذ زراعة القطن والريّ والقوافل والصناعات القروية الوطنية والسواقي وغيرها. وهناك زهرتان تزيّنان اللوحة إحداهما زهرة اللوتس رمز مصر الفرعونية، والأخرى زهرة القطن رمز ثروة مصر الزراعية الحديثة).

يا سُورَةَ الفنِّ في منحوتِ آثارِ
ما أروغَ (النيلَ) جَبَّاراً وطلعتُهُ
أو أنها رُوحُ (مصرِ) لا يُعادرُها
لاحَتْ بجلِسةٍ معتزٍّ بدولتهِ
ينسابُ في دعةٍ، لكنها دعةٌ
والماءُ يَنْصبُ كالتاريخِ منبسِطاً
تَفِيضُ أمواجهُ جِياشةً أبداً
بين المعابدِ والآثارِ زاخرةً
لدى (أبي سمبلٍ) مَسْنُودُ ساعدها
وتلك أعضاؤها أعضاء مملكةِ
ما بين (طيبة) ناجتِنا روائعُها
وبين (بلهيب) و (الأهرام) رافعةٌ
شَتَّى المفاتيحِ تُشجينا وتُلهمنا
مختارةً من عصورٍ للعلی غبرتُ
فيها الحياةُ دواماً جِداً كامنةً
تَأَلَّقَتْ رَغَمَ أَسْتارٍ وأَسْتارِ
وأشرقَتْ مصرُ بالريفِ السعيدِ بها
هذي صناعاته، هذي سوائمه
عاشتْ مِنَ الزمانِ الخالي تُحدثنا

كَرُمَتْ لُفنِ معبوداً وللدَّارِ
كروحه أَيْةٌ مِنْ رَوْعِ جَبَّارِ
بأسٍ، وقد بَسَقَتْ من ماءٍ الجاري
في سؤددٍ مِنْ عنايةٍ وأقدارِ
فيها سماحةٌ غلابٍ وقَهَّارِ
للقارئِ ويُشجِي الشاعرَ القاري
بالفتحِ لا شُعْناً أنضاء أسفارِ
يا طالما عُبِدَتْ في ظِلِّ آثارِ
ورأسُها بين أزهارٍ وأزهارِ
غناء ما بين جناتٍ وأمصارِ
و(الكرنك) الفخْمُ في وحيٍ وإضمارِ
رُؤوسِها أَخَذَتْ الدهرَ بالثارِ
وكلُّها في المعاني أي أبكارِ
وكلُّ عصرٍ لمصرَ شِبْهُ مختارِ
كالنارِ في النورِ أو كالنورِ في النارِ
وطَهَّرَتْ رَغَمَ أوزارٍ وأوزارِ
فالرَّيفُ كالنيلِ حُرٌّ وابنُ أحرارِ
جميعُها شِبْهُ أُلُفٍّ وسُمارِ
عن الخلودِ لأحياءٍ وأشعارِ

عاشتْ فَأَنْضَرَتْ الْقَطْنَ الَّذِي غُرِسَتْ
كَأَنَّمَا الْقَطْنُ يَنْمُو قَبْلَ ثُرْبَتِهِ
وَاللُّوْثُسُ الْخَالِدُ الْمَحْبُوبُ زَامِلُهُ
وَكَيْ تَرَى (مِصْرُ) فِي مَرَأَيْهِمَا صُوراً
وَكَيْ تَرَى وَحْدَةَ التَّارِيخِ مَائِلَةً

يَا (مِصْرُ) يَا هِبَةَ (النَّيْلِ) الْقَرِيرِ بِهَا
خُلِقْتَ مِنْ مَائِهِ الْمَعْسُولِ حَالِيَةً
كَأَنَّمَا الْجَنَّةُ الْمَوْعُودُ نِعْمَتُهَا
فَكُنْتَ أُمَّ جَنَّاتِ الْخَلْدِ فِي طَرْفِ

(مِصْرُ الْحَيْثُوثِ) كَالْأَضْوَاءِ لِلْسَّارِي
بِالذِّكْرِ مِنْ مُهَجِّ صَيْنَتْ عَنْ الْعَارِ
كَيْمَا تُجْمَعُ أَصَالٌ بِأَسْحَارِ
لِلْمَجْدِ مَا بَيْنَ أَحْلَامٍ وَأَوْطَارِ
وَوَحْدَةِ الْفَنِّ فِي نَبْتٍ وَأَحْجَارِ!

كَمَا تَقْرُبُهُ فِي جُودِهِ الْبَارِي!
مَعشُوقَةٌ بَيْنَ صَوَاغٍ وَعُطَارِ
سَبَقَتْهَا أَنْتِ لِلْعُبَّارِ لَا الشَّارِي
وَ(النَّيْلُ) خَيْرَ أَبِي نَاهٍ وَأُمَّارِ!

الْبِنَاءُ الْأَعْظَمُ

فِي عَصْرِكَ الذَّهَبِيِّ مَنْ لِي أَنْ أَرَى
لَمْ تَأَلُ سَعِيّاً فِي سَبِيلِ كَمَالِهَا
لَا خَيْرَ فِي الْجُهِدِ الْعَظِيمِ إِذَا انْتَهَى
دَبَّ الشَّقَاقُ بِهَا، وَكَمْ مِنْ مَنَعَةٍ
كَالطَّوْرِ أَوْ كَالصَّرْحِ فِي تَصْدِيعِهِ

مَنْ لِي وَقَدْ بَلَغَ الشَّقَاقُ صَمِيمَنَا
فِي وَحْدَةٍ قُدْسِيَّةٍ عَلْوِيَّةٍ
مَنْ لِي وَمَنْ لِلشَّعْبِ غَيْرَ، قَائِداً

(مِصْرُ) الْعَزِيزَةِ قُوَّةً وَبِنَاءً؟
حَتَّى سَمَتْ فَتَصَدَّعَتْ أَجْزَاءُ
بِالْهَدْمِ أَوْ لَمْ يُنْصَفْ الْبِنَاءُ
جَعَلَ الشَّقَاقُ إِبَاءَهَا اسْتِخْذَاءً
مَعْنَى الْفَنَاءِ وَإِنْ سَمَا وَأَفَاءُ!

بِالْمَنْصَفِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ
لَا أَنْ تُبْعَثَرَ هَكَذَا أَشْلَاءُ؟
أَعْلَى وَإِنْ لَمْ يَعْدَمْ الزَّعْمَاءُ

حتى نرى الصَّدْعَ المروَّعَ منعةً ونرى الكرامة تصحب الكرماء؟

مولاي! كم مِنْ مَادِحٍ لَكَ حينما
فاقبل رجائي فهو أنبلُ غايةٍ
واسمِعْ لصوتِ الشعبِ من فمِ شاعرٍ
واسلم لمصر مؤلفاً وموحّداً
أنتَ الغنيُّ عن المديحِ علاءَ
عن كلِّ مَدْحٍ لا يبيثُ رجاءَ
يأبى رياءَ المادحين إباءَ
أبناءها حتى يُروا أباءَ

في ضاحية المطرية

دعاني الفجرُ دعوةً مستقلَّ
فقمْتُ ملبياً، وكانَ نفسي
أطوفُ على الحقولِ كأنَّ فيها
فأنهبُها ولم ألمسْ خبيئاً
وأنظرُ للنخيلِ بوجدٍ عانٍ
وأرسلُ في الفضاءِ الطرفَ يجري
أفتشُ عن سعادته وألقى
وأخطفُ سرَّه مِنْ كلِّ لونٍ
كأني حيثُ سرتُ وحيثُ أبقى
ولما فاض نورُ الشمسِ حوْلي
تغلغلَ في الضمائرِ والخفايا
ترى الذرَّاتِ ترقصُ فيه حيرى
مشاهدُ للحياة، وكلُّ مَرأى
بما أحياءُ مِنْ صُورِ المعاني
له سِـبقتُ بأجنحةِ الأمانِ!
كنوزاً خُبئتُ عن كلِّ رانٍ
ويجني اللُّحْظُ ما تَخشى الـيدانِ!
كأنَّ ظلاله إنقأذُ عانٍ
وراءَ الطَّيرِ سبَّاقِ الرَّهَّانِ
مِنْ الأصداءِ أفصحَ ترجمانٍ
من الحبِّ المنزَّه عن مكانٍ
تنفَّسه شعوري أو جناني
رأيتُ النورَ لا يثنيه ثانٍ
تغلغله بآبارِ الزمانِ!
كرقصِ الموتِ في بحرِ الطعانِ!
مشاهدُ للفناءِ والتَّفْاني

روائعها هي الحبُّ المُضَفَّى
تمرُّ مصارعُ الأحياءِ بيننا
مأفٌ للتأملِ يا حياتي!
ولو أني وقد حكمتُ عقلي
طُبِعْتُ على الكفاحِ كأنَّ سَلْمَى
وأُحِبِّتُ (الطبيعة) فهي أُمِّي
يُمَجِّدها وقد نثرت لشعري
تَعَفُّ يَدَايَ عن لُحْسِ وَأَبَى
جواهرُ للحياةِ فكلُّ زهرٍ
فكيف وهذه الطرقاتُ شتَّى
عوالمُ تسكنُ التربَ المسجَى
وترضَى باصطبغِ الماءِ حتى
وقد ضحكتُ لأخيلتي سماءُ
ورفَّ الطحلبُ الثاوي قريراً
قد احتقرته أنظارُ البرايا
وجمَّعَ عنده الأصباغُ شتَّى
كأنَّ من الربيعِ حُلَى تناهتْ

وملءَ الحبُّ أقسى الموتِ داني
تري الأمواتُ تُبْعَثُ في ثوانٍ!
وأهلاً بالغباءِ وبالجبانِ!
أبى عقلي السعادةَ في الهوانِ
كفاحي للعظائمِ غيرَ واني
يُمَجِّدها الهوى قبلَ اللسانِ
أزاهرُ قد حكمتُ قُبَلَ الغواني
على قدميَّ منثورَ الجمَانِ
يضمُّ من الحياةِ غنى البيانِ
جداولُ مِن أزاهرِها الحسانِ؟
لها من بعدِ صُحبتِها الأغاني¹
إخالَ الماءِ فاضَ بلا أوانٍ²!
بدمعِ اللُهوِ مِن سُحبِ تراني!
على ماءٍ يحنُّ له حناني
وحيتَّه الفنونُ على احتضانِ
تمنَّتها أفرارِزُ الجنانِ
فما تلقى المهينَ على امتهانِ!

¹ أغاني الطير وأهل السمر.

² تشكُّل الطرق المغطاة بالزهر حتى تخال عن بعد كأنها جداول ماء.

زَمْجُ الْمَطَرِ

(من مشاهد النيل)

يا زَمْجَ الْمَاءِ عَبْرَ (النَّيْلِ) مَطْلَبُهُ
حَاكَتْ جَنَاحِيكَ فَوْقَ الْمَاءِ أَشْرَعَةً
لِمَ انْتَقَالَكَ فِي هَمٍّ وَفِي تَعَبٍ؟
تَطِيرُ كَالسَّائِحِ الْحَزُونِ غَايَتُهُ
كَأَنَّمَا الْأَفْقُ فِيهِ مِنْ مَفَاتِنِهِ
تَطِيرُ... يَا قَلَمًا أَرْضُ تَهَشُّ لَهَا
كَأَنَّا أَنْتَ رُوحُ (النَّيْلِ) طَائِرَةٌ
نَلْقَى مَعَانِيَهُ فِي الْمَاءِ زَاخِرَةٌ
تَمْضِي بِلَا وَجَلٍ وَالْمَاءُ مَبْتَسِمٌ
لِلْمَاءِ أَحْلَامُهُ الْعَظْمَى كَأَنَّهُ لَهُ
وَأَنْتَ هَلْ لَكَ عِنْدَ التَّيِّهِ أُخِيلَةٌ
تَهْنِيكَ مِنْ نَغَمِ الْمَلَّاحِ أَدْعِيَةٌ
وَأَنْتَ كَالشَّاعِرِ اللَّهْفَانِ فِي قَلْقٍ
مَلَكْتُمَا الْآنَ طَرَفِي حِينَمَا هَمَسْتُ
دَنَا الْمَسَاءُ وَمَا أَصْفَاهُ مِنْ زَمَنِ
دَنَا الْمَسَاءُ وَمَا أَغْنَى ثَلَاثَتُنَا^١

فِي حَيْنٍ مَطْلَبُهُ أَنْأَى عَنِ الْمَاءِ
بِيضَاءٍ عَنْ طَرْفٍ فِي الْأَفْقِ بِيضَاءٍ
وَمِنْ حَمَى أَيْ قُطْرٍ أَنْتَ رَحَّالٌ؟
فَوْقَ الظُّنُونِ، وَلَا صَحْبٌ وَلَا آلُ
مَا صَارُ يَغْنِيكَ عَنْ أَرْضٍ وَعَنْ نَاسٍ
وَشَائِقٌ بَيْنَ وَجْدَانٍ وَإِحْسَاسٍ
تَطُوفُ مِنْ عَالَمِ الْمَجْهُولِ وَالسَّحْرِ
وَنَحْنُ أَجْهَلُ مَنْ يَلْقَى وَمَنْ يَذْرى!
فَهَلْ تَضِيعُ كَمَا يَمْضِي هَوَى الْمَاءِ؟
فِي الْبَحْرِ حَظَّيْنِ مِنْ مَوْتٍ وَإِحْيَاءٍ!
أَجْدَى عَلَيْكَ مِنْ اسْتِقْرَارِكَ الْهَانِي
أَمْ تَحْسَبُ الرُّورِقَ الْمُرْجِيَهُ كَالْعَانِي؟!
لَا يَنْتَهِي، وَكَذَاكَ (النَّيْلُ) فِي قَلْقٍ
نَسَائِمُ الْحَبِّ بِالْمَحْجُوبِ فِي الْأَفْقِ!
لِلْحُورِ فِي الْمَاءِ وَالْأَجْوَاءِ فِي سِحْرِ
بِالشَّعْرِ فِي عَالَمٍ قَدْ فَاضَ بِالشَّعْرِ!

^١ هو ما يسميه الإنجليز white winged tern.

^٢ يعني الشارع نفسه والطارر والنيل.

في السباق

يا للملاحاة في السّبا قِ وللتطلّع في السّباقِ
 مِنْ كُلِّ زِيٍّ خِلْتُهُ الفَنُّ الْمُفَصَّلُ للعناقِ
 ما بين زركشة وألوانٍ وأفوافٍ ورقاقِ
 تُغزى بأنظار الرّفا قِ وقد تعرّض على الرّفاقِ
 وتُرى السّواعد كالنّهو من الأناقة في وثاقِ
 مثل الأسيرة، وهي تآ سرُّ باششتياقٍ واششتياقِ
 دُنيا الطّراوة والتّجمُّلِ في ائتلافٍ وائتلاقِ
 دُنيا من الثّرف العجيب كأنه أحلام ساقِ
 تُسقى على نظرات مفتوحة بتأميلٍ مُراقِ
 وتعيش للوهم الحبيب ووهماً كالحقّ باقِ
 وكأنهنّ مُعرّبات حنين هُنَّ على اتّساقِ
 حتّى الرّجالُ تحوّلوا بالوهم بين فنونٍ راقِ
 فإذا الخشونة لا تبين، فإنّ تبين فعلى نفاقِ
 وإذا الجمالُ مُؤمّرٌ وإذا الخلافُ من الوفاقِ
 وإذا السّباقُ أحبُّ للفتانِ في تلك المراقِ
 تجري العواطف فيه جري الخيل في جهدٍ مطاقِ
 متتابعاً متواصلاً بين انسيابٍ واصطفاقِ
 حتّى إذا ختم السّبا قُ ذهين للكأس الدفاقِ
 ولبثت في روح السّبا ق... ألسن من خيل السباقِ!

تسبيحة

فِي طَيِّ وَجْدَانِي إِلَهِي شَامِلًا رُوحِي كُلَّهُ
لَمْ أَدْرِهِ إِلَّا بِنَجْوَايَ وَنَفْسِي الْمُسْتَقْلَةِ^١
مَا قِيمَةُ الدُّنْيَا وَمَا الْآخِرَىٰ وَفِي الْإِلَهَامِ مِلَّةٌ
حَسْبِي ضَمِيرِي فَهُوَ مِنْهُ، بِالْغَا أَسْمَىٰ مُحَلَّةٌ
مَا عُمْرُهُ^٢ عُمْرِي وَلَكِنْ عُمْرُ أَبَايَ مُطْلَأَةٌ
بَلْ عُمْرُ غَايَاتِ الْخُلُودِ السَّرْمَدِيِّ كَمَنْ أَظْلَمُ^٣
مَا الْكَوْنُ إِلَّا بَعْضُ إِحْسَاسِي وَلَيْسَ الْكَوْنُ أَصْلَةً
وَأَنَا الْغَنِيُّ عَنِ الْمُبَاحِثِ، وَالْغَنِيُّ عَنِ الْأَدْلَةِ
فَمَنْ الصَّمِيمُ إِلَى الصَّمِيمِ نَدَاءُ نَفْسِي وَالْجِبْلَةُ
لَمْ أَفْنِ إِلَّا فِي وُجُودِ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ مِثْلَهُ
مَا أَعْجَبَ التَّشْكِيلَ فِي الدُّنْيَا فَيَنْسَى الْمَرْءُ شَكْلَهُ!
فَصَمِيمُهُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ لَا يَدْرِكُ أَهْلَهُ!
وَضَمِيرُهُ الْأَزْلُ الْمَقِيمُ إِذَا أَبَاحَ الْمَوْتُ عَقْلَهُ
وَالْحَبُّ مِنْ رُوحِ الْأُلُوهَةِ وَالْمَنْيَةُ أَنْ تَمْلَأَهُ!

^١ المستقلة عن كيانه الإنساني.

^٢ عمر الضمير.

^٣ يريد الخالق الذي يرعاه.

أبولو ودفني

(دفني هي الحرية الحسنة التي أحبها أبولو إله الشعر،
وقد تبعهما فلما أدركهما استحالت إلى شجرة الغار)

أبولو:

يا حياة الفنون! يا حسن! مهلاً!
ها أنا عبدك الذي يُنشدُ الشُّعْرُ
أنا لهفان يا جمال، ولكن
لا تخف يا جمال! لست سوى الحا
كيف تخشى تهافتي؟ كيف تأبا
كل إعجابي الذي أنت تخشأ
قد يراها الجهال معنى سقيماً
كم أباحوا الحرام باسم حلال
لا تصخ يا جمال (دفني) إليهم
هي دنيا النفاق يا حسن لا تر
عابداً فيك عبقرية العظ
تدعي لهفتي إباحة الجا
كل شوقي إليك يا حسن أَلحا
كل شوقي إليك معنى من الفن عزيز، ومن جنى النحل أحلى
ليس فيه خشونة أو ضلال
قاطفاً منك للوجود نعيماً

لست للصّد يا مُملِك أهلاً
ر معانيك، فامنح الشعر وصلاً
لهفتي كالصلاة مغزى وأصلاً
ني على سيرك المصون المَعْلَى
ني حبيباً؟ وهل ترى الصّد سهلاً؟
ه وروحي عواطف تتملأ
ومن الغبن أن تطاوع جهلاً
وأباحوا عجائب الظلم عدلاً
أو تذّر هذه العواطف قتلى
ضى عن الفن مخلصاً مستقلاً
مى، ومستوحياً سناها الأجلأ
ني وتنسى لها خداعاً وختلاً
ن وأنت الخلود نوراً وظلاً
كل شوقي إليك معنى من الفن عزيز، ومن جنى النحل أحلى
بل هو (الدُّوق) ما بنى الكون قبلاً
في نشيد من القداسة يتلى

دَفْنِي:

لَا تَنْلُنِي إِلَّا لَتَتَوَيَّجَكَ الْفَخْرُ
نَحْنُ لِلْفَنِّ، غَيْرَ أَنَّا نُعَادِي
نَحْنُ فِي عَالَمِ الْحَيَاةِ غَرِيبَا

حَمِّ، وَدَعْنِي أَحُولُ كَالْغَارِ شَكْلًا!
كَعَدَوَيْنِ أَشْبَعَا الْفَنَّ قَتْلًا
نِ، فَيَا بَيْتَ أَهْلِهَا الْيَوْمَ أَهْلًا!

الذروة

ضَجَرِي زَلَّتِي وَزُهْدِي مَرَبًّا
يَا إِلَهِي! دُنْيَايَ حُسْنٌ بِلَا حَدٍّ، إِذَا مَا عَرَفْتُ حُسْنَكَ مَلَجًّا
كَمْ نَقَدْنَا وَنَحْنُ فِي الْجَهْلِ حَيْرَى
مَا انْدَمَجْنَا وَمَا انْطَوَيْنَا عَلَى الرُّوْ
حُسْنُكَ الْحَرُّ مِثْلُ لِنَفُوسٍ
فِي انْسِجَامٍ يَسْتَشْرِفُ الْحُبَّ فِي الْكُوْ
مَا صَلَاتِي إِلَّا خَشُوعِي لِنَجْوَا
مُسْتَمِدًّا مِنْ عَقْلِي الْبَاطِنِ الْعِلْمُ
نَبْعُ الْهَامِكِ الَّذِي يَتْنَاهَى
فَإِذَا بِي مِنْ رُوحِكَ الْخَالِدِ السَّامِيِّ قَرِيبٌ وَمِنْ فَيُوضِّحُكَ أَمْلًا
عَرَفْتُ عِنْدَهَا مِثَالِي نَفْسِي
وَحَيَاةَ الْآبَادِ حَتَّى كَأَنِّي

وَهْدِي أُرْتَجِيهِ أَوْ أَتَفِيًّا
لَا نَرَى الْحَقَّ وَهُوَ أَسْنَى وَأَضْوَأُ
ح، فَلَمْ نُذْرِكِ الْخُلُودَ الْمُهِيًّا
قَدْ تَنَامَتْ إِلَيْكَ نَشْوَى لَتَهْدَأُ
نِ عَمِيمًا وَنَابِضًا يَتَلَأَلُ
كَ وَإِفْنَاءُ زُلَّةٍ تَتَهَيَّأُ
حَمِّ بِمَا فِي الْوُجُودِ عُقْبَى وَمَنْشَأُ
لِحَاطِطِ الْأُلُوهَةِ الْمُسْتَمِرِّ
وَمِثَالِ الْإِنْسَانِ رُوحًا وَمَبْدَأُ
ذُرْوَةِ الْكَوْنِ مُشْرِفًا أَتَبَوَّأُ!

ربيع الأدب

(ألقيت في حفلة تكريم الدكتور زكي مبارك بمسرح الممبىر بالقاهرة)

يوم الأحد ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٤

شدا أدبُ الربيع بكلِّ لحنٍ
فهل لي أن أساهم في نشيدٍ
لقد جمع الودادُ لنا قلوباً
تشرَّبهُ الحبيبُ من الحبيبِ
يُزَفُّ إلى العصاميِّ الأديبِ؟
كما جُمِعَ الربيعُ من القلوبِ!

أخي في حبِّكَ الأدبَ المُعلَّى
لها عَبَقُ الأصالةِ وهي بكرٌ
تحدَّثنا ملاحظتها وسادتُ
تُنافحُ عن محاسنها وتأبى
يجاذبها جمالُ الرِّيفِ طوراً
وأنأ روعةُ الأسفارِ فيما
وحيناً آيةُ العُصُرِ الخوالي
مفاتنُ للفنونِ، وكلُّ فنٍّ
وكم خَلَفَ التَّبَسُّمُ من عناءٍ
جهودٌ كلها قريبانُ مجرٍ
كأنك قد كتبتَ دماءَ قلبٍ
فمن هذا الذي يُغْضِي جفاءً
ومَنْ ينسى كفاحك يا أباي
ومصرُ تنوءُ بالجهلِ المسجّي
جهودُك أنت تُغني عن خطيبٍ
حصانٌ لا تخافُ من الرقيبِ
برُوحٍ من تكبرها الأريبِ
معاندةُ المكابرِ والحسيبِ
وكم في الريفِ من حُسْنٍ وطيبِ
يزينُهُ التغرُّبُ للغريبِ
يلوحُ بها البعيدُ مع القريبِ
يساغُ كأنَّه حلَّوُ النَّسيبِ
وخَلَفَ اللُّهُو من ألمِ صبيبِ
ونعمَ المجدُّ بالجُهدِ الخضيبِ
فلنتَ بما بذلتَ هوى قلوبِ
لما أبعدتَ من أثرِ حبيبٍ؟
لمصرِ بذلك اليومِ العصيبِ
لها، وتنوءُ بالظلمِ العجيبِ؟

^١ إشارة إلى جهوده في الثورة المصرية سنة ١٩١٩م.

كفاحُكَ للتَّنَوُّرِ في عذابِ
فزكَّتِكَ المِعارِكُ وهي كُثُرٌ
وحَسَبُ الجِيلِ أنكَ مِن بَنِيهِ
كائنًا إذْ نَكَّرُمُ فيكَ، فَضلاً
فَعِشْ رَجُلَ المَآثِرِ في زَمَانٍ
فمِثْلِكَ مَن يُعزِّينَا ويُحيي

كفاحُكَ للتَحَرُّرِ في لَهيبِ!
وحَسَبُ الفَتْحِ تَزْكِيَةُ الخُطوبِ
لنمدَحَه على رَغَمِ الدُّنُوبِ
نَكَّرُمُ منجِباً الرَجُلَ النَجِيبِ
مَريضٍ عَقَّ إحسانَ الطَّيِّبِ
خَصِيبَ الفضلِ في الوادي الخَصِيبِ

أوزريس والتابوت

كَأَنَّ (سِتَ) الخُؤُونَ وقد تَمَنَّى
زَعِيمٌ مِنْهُ قد عُرِفَ التَّجَنِّي
وَأَنَّ العَدَلَ في الدُّنْيَا طَريْدٌ
وَأَنَّ الكَوْنَ يملؤُهُ ضَبَابٌ

مَمَاتَ أَخِيهِ رَغَمَ حَمَى الألوهة
أَصِيلاً في الألوهة والأَنَامِ
طَريْدٌ في حَمَى الدِّمَمِ النَزِيهَةِ
فَضَلَ الخَلْقُ في مِثْلِ الرُّحَامِ

وهاموا في اصطدام واصطدام!

أَعَدَّ لَهُ مُخَادَعَةً عَجِيباً
وَقَالَ: وَهَبْتُه لِمَن اصْطَفَاهُ
فَخَوَدِعَ (أوزريس) مِنْ احتِفَاءٍ
وَأَلْقَوْهُ بِمَجْرَى (النيلِ) غَدْرًا

هُوَ التَّابُوتُ في مَلْهَى لَدِيهِ
إِذَا مَا لَاعَمَ التَّابُوتُ حَجْمَهُ
وَعِنْدَ رُقَادِهِ قَفَلُوا عَلَيْهِ^٢
فَمَاتَ، وَقَدَّسَ التِّيَّارُ جِسْمَهُ

وَقَدَّسَ مَاوُهُ فَهُوَ وَخِصْمُهُ!

^١ الجيل.

^٢ أرجعوا عليه الغطاء.

تَأْمَلُهُ الْمَعْرَزَ وَالْمُضْحَى
وَهَاتِيكَ الْمَرَاوِحُ وَالْجَوَارِي
وَنَاطِرَةَ النُّجُومِ وَكُلَّ رَسْمٍ
بِرَهْبَةٍ لِحِظَةٍ كَالْحِظِّ حَيْرَى

وَدُنْيَا الْمَجْدِ تَخْدَعُهُ خِدَاعَا
وَهَاتِيكَ الْكُؤُوسُ وَحَامِلُوهَا
يُطِلُّ عَلَيْهِ أَوْ يَثْبُتُ ابْتِدَاعَا
وَيَأْبَى أَنْ يُحَرَّرَ خَالِقُوهَا
فَقَدْ خَلَقَ (الْمَاتَ) بِهَا ذُؤُوهَا!

الكون الهاتف

(مهذاة إلى أديب الطبيعة الصديق مصطفى عبد اللطيف السحرتي)

سَمَاعَا! فَهَذَا الْكَوْنُ بِالْحَبِّ هَاتِفُ
سَمَاعَا! سَمَاعَا! وَانْفُضِ الْهَمَّ وَالشَّجْبَى
وَجَمِّعْ بِهِذَا اللَّحْنَ نَفْسًا شَتِيَّةً

وَكَمْ فِيهِ مَسْحُورٌ أَسِيرٌ وَطَائِفُ
وَعُمْرًا مَضَى، فَالْهَمُّ كَالْعَمْرِ زَائِفُ
وَجَدُّ وَجَازِفُ، فَالْحَيَاةُ تُجَازِفُ!

يَمَامَةٌ صُبْحِي الْمُسْتَعَزُّ بِنُورِهِ
كَذَا فَلْيَكُنْ شَدْوُ الْغَرَامِ مَرْجَعَا
فَعَنْ أَيِّ دَهْرٍ سَالَفٍ فِيكَ حُرْقَةٌ
سَمِعْتُكَ حَتَّى كَانَ لَحْنُكَ كَالْبَصْدَى
أَتَى وَالرَّبِيعَ الْطِفْلَ حَتَّى كَأَنَّمَا
فَجَاءَ لَنَا كَاللَّحْنِ سَحْرًا وَرُوعَةً
تَقْدَسُ حَتَّى مَا أَكَادَ أَظْنُوهُ
وَأُنْسِيَتْ نَفْسِي فِي انْدِمَاجِي بِنُورِهِ

كَلَانَا مُصَيِّغٌ لِلتَّحِيَةِ عَارِفُ
مَدِيدًا كَمَا يَشْكُو الْمَحَبَّةَ تَالِفُ
وَأَيُّ غَرَامٍ غَائِبٌ عَنْكَ عَازِفُ؟
مِنْ الزَّمَنِ الْمَفْقُودِ أَحْيَاةُ خَاطِفُ!
تَغْدَى بِهِ وَهُوَ الْجَنِينُ الْمَشَارِفُ^١
فَمَهْمَا نَصِفْهُ لَا يَفِرُّ الْوَصْفَ وَاصِفُ
أَمَامِي، وَحَتَّى مَا تَحْسَاهُ رَاشِفُ
وَأَطْيَافُهُ، وَالنُّورُ كَالطِّيفِ وَاجِفُ

^١ الربيع.

لقد ملكتها رعشةً من حُبورها وماج بها جوٌّ من الحبِّ عاصفُ
فأغمضتُ عيني في دُهلٍ ونشوة كأني بهذا الحلم راضٍ وأسفُ!

ويا ملعباً تآبى العصافيرُ غيرهُ وكلُّ بأسرارِ الطبيعةِ عازفُ
أعندك للهْفانٍ سلوى جديدةٌ؟ فعندك تُرجى بل تُنالُ العوارفُ
سواء تقمّصتَ الحياةَ التي خلّت أم الزمنَ الآتي وفيه الطرائفُ
فإنك للآبارِ أشجى رُموزها وخلفَ أغانيها قرونٌ هواتفُ
وأغمضُ عيني والأزاهرُ شعلةً أمامي كأني قبلَ صيفي صائفُ
فأستروحُ اللذاتِ في غمضةِ المنى وألقى فصولَ العام فيما أشارفُ!

أيزيس والطفل الأمير

(مأٌ غدر سيت set باخيه أوزيريس Osiris ودفنه حياً في التابوت أمر بالقاء التابوت في النيل فحملة التيار إلى أن بلغ شاطئ ببلوس Byblos فاستوعبه جذع شجرة. وقد أعجب ملك ذلك القطر بتلك الشجرة الرائعة الجمال فقطعها واتخذ من جذعها عموداً من أعمدة قصره، وهكذا بقي تابوت أوزيريس وشردت باحثة عن تابوته إلى أن بلغت ببلوس، وثمة استراحت إلى جانب نافورة. فرأتها وصيفات الملكة وتحدثن إليها، فكلمتهن بلطفٍ ساحرٍ وعطرنهن أنفاسها، حتى إذا عُدنَ إلى الملكة دهشت لما فاح من عطرهن العجيب، فحدثنها عن هذه الحسناء الغريبة التي وفدت على المدينة. وقد أدّى هذا بالملكة إلى دعوتها إلى قصرها حيث اختيرت مربية لأحد الأطفال الأمراء، وكان هذا الطفل يتغذى بمجرد مص إصبعها نظراً لقوتها الإلهية الخارقة.... وفي الأبيات الآتية تصوير للموقف المرسوم في اللوحة الملونة من ريشة إفلين بول (Evelyn Paul).

هل تَرَى (إيزيس) والطفل الأميرُ
حملثه وهو في اطمئنانه
نشوة الصُّبح على هندامها
يَلْمَحُ الحزنُ على وجنتها
والجوارى رانياتٍ حولها
ومعاني الملك في ألوانها
كلُّ لونٍ رائعٍ من ملبسٍ
كلُّ عطرٍ ذائعٍ إلهامه
وقفتُ في حسرةٍ من غربةٍ
في حنانٍ لاذعٍ إن شابه
قدمت (بيلوس) تبغي زوجها
وارتضتُ في القصر تغدو مرضعاً
تُرضعُ الرحمة من إصبعها
وتُضحِّي في ارتقابٍ وأسى
وكانَّ العبدُ إذ يرنو إلى
صورة اللوعة في عصرٍ له

في حماها كشذا الزَّهرِ النضير؟
كقرارِ الحبِّ في طُهرِ الضميرِ
وانكسارُ النورِ في القلبِ الكسيرِ
لمحة الأسرِ على وجه الأسيرِ
كزهورٍ في صلاةٍ حول نُورِ
زاهياتٍ وأفوايحُ العطورِ
ونقوشٍ هو لونٌ من شعورِ
شائعٍ كالفنِّ في رسمِ القديرِ
غربة التشريد والتكلِ الخطيرِ
ذلك الحزنُ فنورٌ من سكيرِ
في خفي النعش بالقصر الكبيرِ
تُرضعُ الرحمة للطفل الأميرِ
وتذيقُ الحبَّ في الوجد الطهورِ
تضحيات الشمس عن قتلى الدهورِ
نورها كالليل في الحلم الأخيرِ
حرمة الفنِّ ومראה العصور!

إلى ناجي الشاعر

(تحية لمناسبة صدور ديوانه " وراء الغمام ")

وفي بدءِ خلق الكون شاعره الأسمى
ونلمحُ فيه روحَ آياته العظمى

تغنَّى بهذا الشعرِ قبلَ وجودنا
فصرنا نرى فيه نشيدَ ألوهةٍ

مفاتنُ سِحْرِ العَبْقَرِيَّةِ بَعْضُهَا
حَبِيبَةُ قَلْبِي: كُلَّمَا ذَاقَ ظَامِئاً
يَرَى أَنَّهُ مَعْنَى سَوَى مَا أَحْسَهُ
كَأَنِّي يَتِيمٌ إِنْ حُرِمْتُكَ شَاعِراً
كَأَنِّي غَرِيبٌ فِي وَجُودٍ مَعَذِّبٍ
عَوَاطِفُ تُزْرِئُ بِالزَّمَانِ، وَعُمْرُهَا
لَيْنٌ عُدَّ حُبِّي مِنْ جَنُونٍ وَنَشْوَةٍ

فَمَاذَا وَرَاءَ الْعَبْقَرِيَّةِ لَا يُسَمَّى؟
سُلَافَتُهَا يَسْتَصْغِرُ الرُّوحَ وَالْجِسْمَا
وَلَكِنَّهُ مَعْنَى شَأْيِ الْحَدْسِ وَالْفَهْمَا
وَفِي صُحْبَتِي إِيَّاكَ لَا أَعْرِفُ الْيُتِمَا
وَعِنْدَكَ أَلْقَى عَالَمَ الْحُبِّ وَالنَّعْمَى
هُوَ الْكُونُ: لَا نَدْرِي لَغَايَتَهُ عِلْمَا
فَلَلْفَنُ حُمَّى لَنْ تُقَاسَ بِهَا الْحُمَّى!

عبد الجمال

مَا لِي وَلِلْأَحْلَامِ مَا لِي
عَبْدُ الْجَمَالِ وَمَا أَرَى
فَكَأَنَّنِي رَهْنُ الْقُرُوءِ
مَتْلَاهُ مَتَطْلَعُ
أَتَصِيدُ الْخَطَرَاتِ مِنْ
وَفُؤَادِي الظَّمَانُ يَخُـ
يَهْفُو إِلَى خَافِي الْجَمَالِ
فَكَأَنَّهُ طَيْرٌ حَبِيبُ—
وَطَنُ الْجَمَالِ بِلا حَدٍ
فِيرَاهُ بِالطَّبْعِ الْأَصْبَحِ—
حَتَّى لَتَبْكِيهِ الْمَنَا

وَأَنَا الْمَعَذِّبُ بِالْخِيَالِ؟!
عَبْدٌ سَوَى عَبْدِ الْجَمَالِ
نِ الزَّاخِرَاتِ بِكُلِّ غَالِ
بَيْنَ التَّوَجُّسِ وَالسُّؤَالِ
دُنْيَا الْغُرَائِبِ وَالْمَحَالِ
فَقُ بِالْحَنِينِ وَبِالضَّلَالِ
مِنْ الْأَشْعَةِ وَالظَّلَالِ
سَّ حَنٌّ لِلْوَطَنِ الْمَوَالِي
لَوْ فِي نَمَازِجِهِ الْغَوَالِي
لَوْ وَحَيْثُ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِ
زَلٌّ مِنْ عَنَاءٍ وَالْمَعَالِي

جَابَ الْوَجُودَ بِأَسْرِهِ بَيْنَ افْتَتَانٍ وَابْتِهَالٍ
وَكُنَّ كُلُّ جَمَالِهِ وَهُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ خَالٍ
أَوْ أَنَّ رُوحَ الدَّلَا لِيَضِيعَ فِي نَعْمِ الدَّلَالِ
فَإِذَا الْمَتَّعُ كَالْمَعْدِ بِوَالْوَصَالِ كَلًّا وَصَالٍ!

إيزيس تغادر ببلوس

(كانت أيزيس تُرَضِّعُ بِاصْبِعِهَا الطِّفْلَ الْأَمِيرَ أَثْنَاءَ قِيَامِهَا بِتَرْبِيَتِهِ بِالْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ فِي بَبْلُوسَ. وَكَانَ مِنْ عَادَتِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ - حِينَهَا يَذْهَبُ الْجَمِيعُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ - أَنْ تَجْمَلَ كُنْثَى الْخَشَبِ وَتَشْعَلَ النَّيْرَانَ ثُمَّ تُلْقِي بِالطِّفْلِ وَسَطَهَا وَإِذَا ذَاكَ تَتَحَوَّلُ أَيْزِيسُ إِلَى سَنُونُو وَتَزْقُزِقُ فِي لَوْعَةٍ رَائِيَةٍ زَوْجَهَا الْفَقِيدَ... وَقد نَقَلْتُ وَصِيفَاتُ الْمَلِكَةِ إِلَيْهَا إِشَاعَاتُ هَذِهِ الْوَقَائِعِ الْغَرِيبَةِ، فَصُمِّمْتُ الْمَلِكَةَ عَلَى مِرَاقَبَةِ مَرْبِيَةِ ابْنِهَا لَتَرَى مَبْلَغَ هَذِهِ الْإِشَاعَاتِ مِنَ الصَّحَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ اخْتِبَاتُ الْمَلِكَةِ فِي الْبَهْمِ الْكَبِيرِ حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ جَاءَتْ أَيْزِيسُ وَالطِّفْلَ الْأَمِيرَ وَفَعَلَتْ أَيْزِيسُ مَا تُقْلُ لِلْمَلِكَةِ، وَحِينَئِذٍ هَرَعَتْ الْمَلِكَةُ إِلَى الطِّفْلِ صَارِخَةً وَأَنْقَذَتْهُ مِنَ اللَّهْيَبِ... فَمَا كَانَ مِنْ أَيْزِيسَ إِلَّا أَنْ وَبَّخَتْهَا بِعَنْفٍ قَائِلَةً لَهَا إِنَّهَا بِصَنْعِهَا هَذَا قَدْ حَرَمَتْ طِفْلَهَا الْأَمِيرَ حَظَّ الْخُلُودِ! وَثُمَّ أَعْلَنْتُ أَيْزِيسُ عَنْ شَخْصِيَّتِهَا وَتَمَنَّتْ عَلَى الْمَلِكَةِ أَنْ تَعْطِيَهَا الْعَمُودَ الشَّجَرِيَّ الْحَاوِي تَابُوتَ زَوْجِهَا وَجَثْمَانَهُ فِي الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ، فَاجْبَيْتُ أَيْزِيسَ إِلَى طَلِبِهَا وَاسْتَخْرَجْتُ هَذَا التَّابُوتَ وَعَادْتُ بِهِ إِلَى مِصْرَ. وَبَقِيَ الْعَمُودُ الشَّجَرِيُّ الَّذِي كَانَ يَحْتَوِيهِ مَقْدَسًا فِي بَبْلُوسَ. وَاللُّوحَةُ الْفَنِّيَّةُ تَمَثِّلُهَا فِي بَدْءِ عَوْدَتِهَا إِلَى مِصْرَ).

فِي وِفَاءِ الْحُبِّ وَالْحُزَنِ الْجَمِيلِ أَشْرَقَتْ (أَيْزِيسُ) كَالْبَدْرِ الْعَلِيلِ
وَعَلَيْهَا الشَّفَفُ فِي ظُلُمَتِهِ ظَلَمَةُ الْأَحْزَانِ لِلْحُبِّ الْقَتِيلِ
نَزَلْتُ بِاسْطِطَّةٍ سَاعَدَهَا بِسَطَةِ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ

وكانَّ الجسرَ إذْ يحملُها
نزلتْ والمركبُ الرّاني لها
يحملُ التّابوتَ قد كلَّله
كلّها تهفو إليها مثلما
وكانَّ اللّوتسَ الصّبّارَ مَنْ

بعدَ طولِ اليأسِ جسرُ المستحيلِ
عاشقٌ يَسْتَلْهُمُ الحُسْنَ النّيلِ
زهرُ اللّوتسِ في حرْصِ البخيلِ
قد هفتُ في نشوةِ الفجرِ البليلِ
يحملُ التّابوتَ في صبرٍ طويلٍ!

وقَفَ الجنْدُ وفي طلعتهم
حيّرتهم روعةٌ مِنْ حُسْنِها
وتراءى صَدْرُها العريانُ في
مَشْهدِ اللّوعةِ والحُبِّ كما
جمعَ الموتُ وفياً - بعد ما
كم قلوبٍ خفقت في خَفَقِها
وشَجى للبحرِ في أمواجهِ
أَصْرَخُ اللّوعةُ في كلِّ الذي

أُسْرَةُ المَلِكِ يُحيُّون سَنّاها
خَفِضَتْ إذْ رَفَعَتْ تلكَ الجباها
صورةَ الرّحمةِ غَدّاها أساها
يَتراءى الوجْدُ والحُبُّ إلّاها
غدرَ الموتِ - هواهُ وهواها
ودُمُوعٍ لم تكن دمعَ سِواها
وكانَّ البحرَ أشْجاءَ شَجاها
حولها، لكنّما الصمتُ صَدّاها!

على قبر الممثل مختار

(ألقيت في اجتماع الفنانين على قبره يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٤)

مختار! يا ابنَ الفنِّ، والفنِّ
هل خانّه أم خانك الزمنُ
جنّنا نحجُّ إليك في لَهْفٍ

حَيٍّ على الآباءِ خَلّاقُ
فلقيت حتفك بين مَنْ لاقوا؟
نحن الذين نعيشُ للفنِّ

جئنا وكلُّ غيرٍ معترفٍ
أيضاً هذا القبرُ معجزةٌ
حاشا! فأنت تعيش أخيلةً
في عالم نحن خلقناه
الكونُ رمزٌ أنت معناه
يا قبرُ لست سوى الشهيد على
يا ملجأً يثبُ الغريقُ إلى
بحرُ الفناء هو الذي نحيا
أمواجهُ أحداثُ مَنْ نشقى
أويت جثماناً الذي خطرِ
كم أنت ذا عَبرٍ لمعتبرِ
غرقاً كما غرقت عواطفنا
ما الناس؟ كم منهم متالفنا
يا قبرُ! قد أودعت مَفخرةً
ما مات مَنْ نلقاه مَائرةً
مختاراً! هذي الأرضُ حافلةٌ
أممٌ على أممٍ مقاتلةٌ
جئنا إلى مَثوى رُفاتك، لا
مثل الأثير تعيش منتقلاً
يا ليت بين الجمع فاتنةٌ
قد كنت في دُنياك عاطفةً

بالموت أو بالناس والزمن!
للعبقريّة بين أرماس؟
في عالم الإيداع لا الناس
بالحب والإيمان والذهن
لا شيء غيرُ العالم الفني!
دُنيا الأسى، دنيا العداوات
مأواه من أحياء أموات!
فيه بأجسام من العدم
بخداعهم، والموت في الألم
غاب الضحية بين مَنْ جهلوا
لكن تولى العقل والأمل!
في هذه الأمواج والتيه
في كل حرمان وتسفيه!
لكنّها بعض من الكل
في هذه الأنوار والظلمة!
إن كان جسمك مات مغبوناً
فيها، فساوى الحي مدفوناً
مَثواك أنت فلسفت محدوداً
صُوراً، وتحيا الدهر مشهوداً
لتصوغ فيك الشعر والحبّ
وخلقت قلباً عاشقاً قلباً

تلك النماذج كلها فتن
ما بالنا قد صدنا شجن
خلدتها أضعاف ما خلدت
يا ليتها وافدت هنا وشدت
مختار! هذا الصخر نشهده
بناحتاً ما بات يعبده

وتفنن لليحة الوادي
عنها، وأين جمالها الهادي؟
بجمالها، يا ليتها تدري!
شعراً لها، لا اليأس في شعري!
صوراً من الإعجاز في المعنى
شانك، مثلك ليس من يفنى!

لذة الهدوء

لم أذرهما في حياتي لذة أبداً
أعارك الدهر من يوم ولدت به
حتى الطفولة أعداء أحاربها
أنا الكدود المعاني غير متهم
سخرت من بيتي والعزم يحفزني
وقد تمرست بالآفات أرضخها
حتى تركت خصيمي يائساً وجلاً
أوتيت من قوة في النفس غالبية
وقد صبرت على الأحداث مضطلعاً
أقولها قولة في الحق صائبة
مهما صنعتما فما الأحداث بالغة

كأنما في هدوئي غاية الأجل!
فلمست أذكر إلا الجهد في عملي
من السقام وحتى الوهم في أمني
إلا لدى رجل ما كان بالرجل!
فوق الصعاب إزاء المطلب الجلل
بالصبر والحزم لا بالختل والحيل
من همّة إن شكت لم تشك من وجل
ما صغر الدهر في لهوي وفي جدلي
بالخطب، حتى كأن الخطب يسيم لي!
لمن يظنون في جهل وفي خبل:
مني وما صدمات الغدر من شغلي

¹ يشير إلى اعتلال صحته الطويل في طفولته.

وإنَّ لي ثَقَّةً شَمَاءَ صَارِمَةً
فليس يَخْضِدُ مِن عِزِّمِي، وَلَا تَلْفِي
فإنَّ رُوحِي مَعْنَى لَا حُدُودَ لَهُ
ويترك اليأسَ فيمن أحكموا تَلْفِي

بغايَتي من حَيَاةِ النَّفْعِ لَا العِلَلِ
وليس يَبْلِيهِ مَوْتِي لو هَوَايَ بُلِي
يَغْزُو السَّحَابَ وَيَعْدُو قِمَّةَ الجَبَلِ
وقد خَلَعْتُ عَلَيْهِم رَحْمَةَ البَطْلِ!

الوحدة

وَحْدَةٌ تَفْجَعُ النُّفُوسَ الحَزِينَةَ
لَمْ تُطِقْهَا فَوْسَدَتْ رَأْسَهَا العَا
وبَكَتْ والبُكَاءُ هَذَا دَمَاءُ
وارْتَمَتْ دُونَ مَلْبَسٍ غَيْرِهِمْ
رَقَدَتْ فِي شَجَى وَلَيْسَتْ تُبَالِي
مِثْلَ مَا بَعَثَتْ رِسَائِلَ حُبِّ
كُلِّهَا ذِكْرِيَّاتُ مَاضٍ عَزِيزٍ
وَالضِّيَاءُ الَّذِي يَفِيضُ عَلَيْهَا
وَالجَمَالُ الَّذِي يُعَانِي غَيْبِنَا
هُوَ يَشْقَى لَنَا، وَأَنْفُسُنَا اللُّهُ
نَتَمَلَّأُهُ فِي الحَيَاةِ وَفِي الرُّسُ
لَسْتُ أَنَا نَطَارِدُ الوَحْدَةَ الكُبْرَى
كُلُّ نَفْسٍ تَطِيبُ فِي لَوْعَةِ الحُسْرِ

حَيْثُ يَبْقَى الحَزِينُ يَرَعَى حَنِينَهُ
نِي وَأَخْفَتْ عَيُونُهَا المَسْكِينَةَ
لجراحِ المَنَى الغَوَالِي الثَّخِينَةَ
يَجْعَلُ النَفْسَ عِنْدَهُ كَالسَّجِينَةَ
رَاحَةَ الجِسْمِ أَوْ تُبَالِي أُنِينَهُ
بُعْثَرَتْ قُرْبَهَا الدُّمُوعُ الثَّمِينَةَ
قَتَلَتْهَا يَدُ الشُّجُونِ الدَّفِينَةَ
كَضِيَاءِ المَمَاتِ جَمُّ السَّكِينَةَ
هُوَ كَفَّارَةٌ لِدُنْيَا غَيْبِنَهُ
فِي بِمَا قَدْ جَنَّتْ عَلَيْهِ رَهِينَهُ
مَ، كَأَنَّا نَسْنُ صِدْقًا أُنِينَهُ
رَى وَنُقْصِي عَنِ الهمومِ جَبِينَهُ
مِنْ فليستُ إِنْ عَلِيهِ أُمِينَهُ!

كُلُّ هُمْ يَهُونُ فِي الدَّهْرِ إِلَّا
وَحْدَةٌ تَسْحَقُ الأَمَانِي الكَمِينَةَ

وَأَمْضُ الشَّجَى عَذَابُ دَفِينٍ
وَأَشَقُّ الْأَسَى أَسَى الْفَنِّ وَالـ

لِلْجَمَالِ الَّذِي نُقَدِّسُ رَيْنَهُ
فَنَّا فِي لَوْعَةِ الْمَعَانِي الْمُهِينَةِ!

الجنة الأرضية

جَنَّةٌ لِلْخِيَالِ فِي كَنْفِ الدَّوِّ
فَوْقَ دُنْيَا الْقُبُورِ تَزْخُرُ بِالْوَحْدِ
شَخَّصَ الْمَلْهُمُونَ نَحْوَ ذُرَاهَا
وَالسَّرَابُ الرِّقْرَاقُ يُزْجِي إِلَيْهَا
سُجِّتْ بِالْمَلَائِكِ الزُّهْرِ وَالزُّهْرِ
خَلَقْتَهَا الْأَوْهَامُ لَكِنَّا عَاشَتْ عَلَى الدَّهْرِ، وَهُوَ قَدْ عَاشَ مَيِّتًا!

جَنَّةٌ تَمَلَأُ الْأَنْوْثَةَ مَعْنَا
سَكَنْتُ فِي الْجَمَالِ وَالنَّاسُ صَرَعَا
فِي نَظِيمٍ مِنَ النَّمَاذِجِ حَالِ
وَتِيَابِ نَقِيَّةٍ مِنْ بِيَاضِ
وَجُسُومِ رَشِيقَةٍ فِي حَنَانِ
جَنَّةٌ كُلُّهَا عَجِيبٌ وَلَكِنْ

هَا فَيَبْدُو النِّعِيمُ ذَاكَ الْمَعْنَى
هَا، وَعَادَتْ لَهُمْ ثَوَابًا وَفَنَّا
كَمَعِينٍ غَمَرٍ يَشُوقُ الْعَيْنَا
وَكَأَنَّ الضِّيَاءَ فِيهَا اسْتَكْنَا
كَالْأَمَانِيِّ إِذَا تَحَرَّرْنَ عَنَّا
كُلُّ مَا أَبْدَعْتُهُ عَنَّا وَمَنَّا¹

¹ إشارة إلى أنها لم تخرج من أخیلتها عن مألوف الحياة ولم تتعد الأوهاء الأرضية.

الحسن المشتعل

إذا اشتعلَ الحُسْنُ أَرَدَى الحياةَ
كما عاشَ في ناره (المشتري)
وفي الأرضِ من قبلِ خَلْقِ الأنامِ
نَحُومٌ عليه فنُفِئِي الرَّجاءَ
ولم تُغْتَنَمْ مِنْهُ آثَارُهُ
وعاشتُ تُناجيه أقمارُهُ
جمالٌ تُحاربنا نارهُ
ويحيا الجمالُ وأشعارُهُ!

منطقة الخطر

حبيبُ إلينا عِقَابُ الجمالِ
ولو أننا قد لقيْنَا المماتَ
تُبَعِّثُ أُنْفُودَهُ حَوْلَهُ
تموتُ ولكنَّها لا تموتُ
ففي قَرْبِهِ يُسْتَطَابُ الخطرُ^١
فبعضُ المماتِ مماتُ القمرِ
كما بُعِثَرَ الحُبُّ ملءَ الشررِ
فإنَّ الجمالَ ضَمِينُ العُمُرِ!

عمر الأرض

ثلاثةُ آلافِ الملايين^٢ لم تكن
لقد كان مِنْ قَبْلِ الثرى فيك ماثلاً
ولم يَرْضَ إلا أن يكونَ محرراً
فما زال حتى جانبَ الشمسِ مُعلناً
بعمرك بل يا أرضُ عُمُرُكَ وجداني
وقد جاء مِنْ كَوْنِ كَأَصْلِكَ نُوراني
عن الشمسِ في معنى كحسبك فتَّانٍ
وُجُودُكَ في رَسْمِ كَرَسْمِكَ فتَّانٍ
تَغْنِيَّتُ في هذا الفضاءِ لكيوان^٣

^١ إشارة إلى الظاهرة الفلكية المعروفة التي أثبتتها العلامة روش حول الشمس والأجرام السماوية.

^٢ يقدر عمر الأرض نتيجة التحليل العلمي للصخور بنحو ثلاثة آلاف مليون سنة.

^٣ كيوان: زحل الذي يعد والمشتري أكبر السيارات حجماً وبهاء.

الإشعاع

وما زلتُ رَغَمَ الشَّيْبِ بِالْحَبِّ خَافِقًا
ينوءُ مِنَ الإِشْعَاعِ لِلْحُسْنِ مِثْلَمَا
وَكَمْ ضَغْطُ الإِشْعَاعِ^٢ ضَغْطُ مَسَوِّبٍ
فَكَيْفَ أَلْوَمُ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ بَضْعَةٌ
فؤادي، وهل لي أن أَلْوَمَ فؤادي؟
ينوءُ بِسِرٍّ لِلْمَلَا حَةَ عَادِي^١
وَأَسْرَفَ حَتَّى فِي حَيَاةِ جَمَارٍ
مِنَ الْحُسْنِ، أَوْ أُنْسَى وَجُودَ فؤادي؟

النظام الشمسي

أَيُّ شَمْسٍ تِلْكَ الَّتِي هَدَّتْ الشَّمَّ
هَرَبَتْ بَعْدَ جُرْمِهَا فَإِذَا الْجُرْ
بِيئَةُ الشَّمْسِ جَدَّةُ الْخَلْقِ فِي الْمَدِّ
وَسِوَاهَا مِنْ نَسْلِهَا وَهِيَ كَالشَّمِّ
قُسِّمَتْ لِلْجَمَالِ تَقْسِيمَ إِنْصَا
سَ فَأَحْيَتْ شَمْسِينَ فِي مَعْنَيْنِ^٢؟
مُ حَيَاةً تَمُوجُ فِي بَيَّتَيْنِ:
شَأْ فِي نُورِهَا النَّضَارِي اللَّجِينِي
سِ وَإِنْ أَطْفَأْتُ عَلَى غَيْرِ غَبِنِ
فَرَوْحُسْنٍ مَنُوعٍ مَطْمَئِنِّ

أَيُّ شَمْسٍ تِلْكَ الَّتِي هَدَّتْ الشَّمَّ
غَيْرَ رُوحٍ عَزِيزَةٍ كُنْتَهَا أَنْ
نُدرَةً لِلْوُجُودِ هَذَا وَإِعْجَابَا
كُلِّ سَيَّارَةٍ مِنَ الشَّمْسِ أَحْلَا
غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ الْفَقِيرَةَ أَغْنَا
فَجَعَلْتَ الْحَيَاةَ مَعْنَى جَدِيدًا
سَ فَأَحْيَتْ شَمْسِينَ فِي مَعْنَيْنِ
تَ، وَإِكُنْ رَجَعْتَ إِلَهَامَ فَنٍّ؟
زُ إِلَهٍ بِكُونِنَا مُفْتَنِّ
مُ جَمَالٍ بِقَلْبِهَا مَسْتَكْنُ
هَا وَقَدْ عُدَّتْ بَعْدَ طَوْلِ التَّمْنَى
وَجَعَلْتَ الْوُجُودَ هَذَا الْمُغْنَى!

^١ عادي: معندي.
^٢ يشير إلى رأي الأستاذ رس جن عن قوة الإشعاع وضغطه العظيم وأثر ذلك في الفلكيات.
^٣ في هذه الأبيات تصوير شعري مجمل لنظرية جينز في تكوين النظام الشمسي.

الطاووس

فِدَى لِعَيْنَيْكَ مَا تَهَوَّاهُ عَيْنَانِ
فِدَى لَصَدْرِكَ مَلَأَ الْعَيْنُ زُرْقَتَهُ
فِدَى لَرِيشِكَ مَا فِي الزَّهْرِ مِنْ مُلْحٍ
فِدَى لِقُنْرُوعَةٍ زَانَتْكَ فِتْنَتُهَا
فِدَى لِرَعْشَتِكَ الْخِلَابِ مَنْظَرُهَا
فِدَى لِمَا أَنْتَ بِاسْمِ الْفَنِّ تَعْلِنَا

يَا جَائِلًا مَارِحًا لَكِنْ عَلَى شَمَمٍ
وَفِي رَشَاقَةٍ فَنَّا نِ عَلَى قَلْقٍ
تَعَالِ! إِنِّي أَنَا الرَّاجِيكَ فِي شَغْفٍ
فِيكَ الْهَوَى جَائِشٌ وَالذَّيْلُ مُنْتَفِضٌ
وَفَاخِرُ الرِّيشِ كَنْزٌ لَا تُنَافِسُهُ
وَالشَّمْسُ بَيْنَ تَعَلَّاتٍ تُغَارِلُهُ
وَأَنْتَ تَخْتَالُ دَوَّارًا وَتُعْجِزَا
تَعَالِ! يَا جَامِعَا دُنْيَا مُنَوَّعَةٍ
تَعَالِ أَنْتَ إِلَى صَدْرِي! فَإِنَّ بِهِ
إِلَى الطَّبِيعَةِ فِي مَا أَنْتَ تَحْجُبُهُ
كَأَنَّمَا كُلُّ مَا تُبْدِيهِ مِنْ عَجَبٍ
إِنَّ رَعَايَاكَ! أَهْلُ الْفَنِّ مُذْ خُلِقُوا
وَمَهْجَتِي مَهْجَةُ الْفَنَّا نِ إِنْ شَخَّصْتُ

مِنْ الْمَلَا حَةِ فِي ذَا الْعَالَمِ الْفَانِي
وَحَيُّ السَّمَاءِ بِأَصْبَاغٍ وَأَلْوَانِ
عِنْدَ الرِّبِيعِ وَمَا فِي نَقْشِ فَنَّا نِ
مَا لِلْمَفَاتِنِ فِي تَرْصِيعِ تِجَانِ
مِنْ رَعْشَةِ الْحَوْرِ أَحْلَامِي وَإِيمَانِي
مِنْ عَالَمِ الزَّهْوِ فِي ذَيْلٍ وَأُردَانِ!

وَعِزَّةٌ قَلَّمَا تُلْفَى لِإِنْسَانِ
جَمُّ التَّعَابِيرِ فِي مُحْشُودِ إِتْقَانِ
بِمَا تَمَثَّلَهُ مِنْ رُوحِ هَيْمَانِ
وَالنُّورُ يَسْقُطُ مِنْهُ فَوْقَ بُسْتَانِ
كَنْوَزُ (كَسْرِي) وَلَا دُنْيَا (سَلِيمَانِ)
وَضَوْؤُهَا بَيْنَ حَيْرَانٍ وَنَشْوَانِ
فِي نُبْلِكَ الْفَذُّ عَنْ وَصْفٍ وَقُرْبَانِ
مِنْ كُلِّ مَعْنَى غَرِيبِ السَّحَرِ مُحْسانِ
إِلَى الْفَنُونِ حَنَانًا فَوْقَ تَحْنَانِي
وَأَنْتَ تُعْلِنُهُ فِي غَيْرِ إِعْلَانِ
شَتَّى الرُّمُوزِ بَدَتْ مِنْ عَالَمِ ثَانِي
لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَهُ مَعْنَى لِأَوْطَانِ
إِلَيْكَ تَشْخِصُ إِلَى إِحْسَانِ دِيَانِ

عبد الله الأنصاري

(رثاء أستاذ من أساتذتي الذين غذوني بحب الأدب العربي وقد تلوتها على قبره في يوم الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٤ م).

أيها الراحلُ عَنَّا في غِنَى
نحن أهلكَ جميعاً، كلُّنا
لم نودَّع فيكَ إنساناً مضى
أنا بعضُ منك في إلهامه
أنتَ ممَّن أظمأوني أدباً
متعة الروح التي قد أمنتُ
فوق موجِ الدهرِ تمضي باحثاً
إن يخنك الدهرُ والناسُ معاً
كنتَ مَعْنَى للتسامي ذائعاً
كم تتبَّعنا مراميكَ التي
علمتنا الفنَّ حبّاً وغِنَى
وجعلنا الأرضَ أسمى منزلاً
وعرفنا "الدُّوق" شعراً صافياً
إيه أستاذي الذي قدَّسَتْهُ
عِلمَ الله فؤادي ثاكلُ
ونظيمي ليس إلا حرقِي
مَنْ مُعِيدِي لزمانٍ كنتَ لي
مُعجِباً تزهُو بما أنظمه
وأنا تلميذك الوافي الذي

عن وداع، وقفة تُرضي الوداعا
يعرف الحزنَ دفيناً ومُشاعا
بل دفناً العِلمَ والفنَّ الصَّناعا
فلتدعني أنظم الحزنَ ابتداعا
بينما الذاسُ يردُّون الخداعا
بك لا مُتعة مَنْ يُرضي السَّماعا
مثل مَنْ وَلُوا وَمَنْ جَاءُوا تباعا
فلقد ريعُوا وتأبى أن تُراعا
كالأثيرِ الحرِّ ملءَ الكونِ ذاعا
ألهمتنا المجدَ خلقاً واتباعا
فاقتبسنا الفنَّ روحاً وشعاعا
وأبيننا أن نراها تتداعى
كم ترنحنا به ساعاً فساعا
قدرَ ما أُرهِقني النُّغيُ التِّباعا
رُبَّ ثكلٍ لم يكن إلا التماعا
رُبَّ نُورٍ كان للنارِ قناعا
فيه عمّاً وأخاً برّاً وباعا
وتراعي منه لحناً لا يُراعى
يجمع الحسنَ الذي تاه وضاعا؟

مَنْ مُعِيدِي؟ أَوْ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى!
فَتَلَقَيْنَا عَلَى قَبْرِكَ فِي
وَتَعَثَرْتُ بِشَجْوٍ لَمْ يَكُنْ
فَأَنَا الْآنَ بِكُلِّي لَوْعَةً
وَأَنَا الرَّاثِيكَ أَرْتِي مُهْجَتِي
وَأَنَا الْبَاكِيكَ أَبْكِي صَادِقًا

هَيَّأتْ لِي الْآنَ وَالْمَوْتَ اجْتِمَاعًا
مَأْتَمٌ ضَاقَ عَنِ الْحَزَنِ اتْسَاعًا
فِي اثْرَانٍ غَيْرِ مَا كَانَ انْدِفَاعًا
تَسْكَبُ الشَّعْرَ دِمَاعًا وَدِمَاعًا
وَزَمَانًا كُنْتَ لِي الْخَلَّ الْمُطَاعًا
هَذِهِ الدُّنْيَا كَمَا أَبْكِي الْيَرَاعَا!

في المحكمة الشرعية

يَا لَيْتَنِي فِي فَضُولِي لَمْ أُطْعُ قَدَمِي!
إِنْ أُنْسَى لَنْ أُنْسَ سَوْقًا لَا تُبَاعُ بِهَا
حَيْثُ النِّسَاءُ ضَحَايَا فِي جَوَانِبِهَا
حَيْثُ السَّمَّاسَةُ الْمَرْهُوبُ جَانِبُهُمْ
يُضَاعِفُونَ مِنَ الْوِيلَاتِ أَسْقَمَهَا
فِي كُلِّ رَكْنٍ صِرَاحٌ لَا مِثِيلَ لَهُ
وَكُلُّ طِفْلٍ يَتِيمٍ دُونَ مَيْتَمَةٍ
وَاللِّدْبَابُ الْأَعْيَبُ مُنَوَّعَةٌ
وَالْخَبْرُ غَطُّهُ دُونَ الْأَدَمِ أَتْرِبَةُ
وَالْمَرْضَعَاتُ بِأَثْدَاءٍ مَجْعَدَةٌ
دَارُ الْعَوِيلِ وَدَارُ الْمَشْجِيَاتِ، وَمَا
مِمَّنْ يَطَالِبُنَ بِالْقُوَّةِ الضَّئِيلِ وَمَا

يَا لَيْتَنِي! كَمْ أَعَانِي الْآنَ مِنْ أَلَمٍ
غَيْرِ الْكَرَامَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالذُّمِّ
وَفِي مَسَالِكِهَا فِي ذِلَّةِ الرِّمَمِ
مَا بَيْنَ بَائِسَةٍ تُدْمَى وَمُتَّهِمٍ
وَيُؤْجَرُونَ عَلَى الْوِيلَاتِ وَالسَّقَمِ
وَفِي الْقِرَابِ عَزِيزُ الْوَعْدِ وَالْقَسَمِ
لَكِنَّهُ فِي شِقَاءٍ صَوْرَةُ الْيَتَمِ
عَلَيْهِ لَا يَنْتَهِي مِنْهَا إِلَى سَاءٍ
كَأَنَّمَا هِيَ الْوَانُ مِنَ الْأَدَمِ
مِنْ سَوْرَةِ الْجُوعِ وَالْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ
أَقْسَى الْعَوِيلِ بَدَارِ الْعَدْلِ فِي الظُّلَمِ
يَنْلَنَ إِلَّا عُنُوفَ اللَّوْمِ وَالنُّهْمِ

يَلْحَنَ أَشْبَاهَ أَشْبَاحٍ مَكْفَنَةٍ
وَيَنْتَهِنَ إِلَى ظُلْمٍ عَلَى ظُلْمٍ

وَكُلُّ رَانٍ إِلَى أَكْفَانِهِنَّ عَمِي
يَا أُمَّةً لَمْ تَزَلْ مِنْ أَعْرِقِ الْأُمَمِ

الهواجس

تُدَاعِبُنَا الْهَوَاجِسُ كُلَّ حِينٍ
خَفَايَا النَّفْسِ أَغْرَبُ فِي خَفَاءٍ
تَحْكُمُ فِي الْجُسُومِ وَهْنٌ أَسْرَى
وَتِلْكَ هَوَاجِسُ الْأَحْلَامِ فِينَا

لَقَدْ عَابُوا خِيَالَ الشَّعْرِ حَتَّى
فَهَلْ عَلِمُوا نُفُوسَ ذَوِيهِ قَبْلًا
وَهَلْ فَهَمُوا خَوَاطِرَهُمْ بَعْدَ
وَمَلَّ عَرَفُوا أَمَانِيَهُمْ وَفِيهَا
غَدَا هَذَا الْخِيَالُ الْحُرُّ رُوحًا
فَالْهَمَّ كُلَّ ذَهْنٍ عِبْقَرِيٌّ
وَلَوْلَا ذَلِكَ الْإِلَهَامُ مَاتَتْ
فَمَا كَانَ الْخِيَالُ سِوَى سَبِيلٍ
يَمْهَدُ لَابْتِدَاعٍ وَابْتِدَاعٍ
وَيَكْشِفُ عَنْ خَفَايَا الْكَوْنِ حَتَّى

تَمَادَى فِي الْمَلَامَةِ كُلُّ نَاعِي
وَهْنٌ مَعَ النُّجُومِ عَلَى انْدِفَاعٍ
تَوَلَّتْهَا الْأَشْعَةُ بِالرِّضَاعِ
أَوَاهِلُ ذَلِكَ الرَّحْبِ الْمَضَاعِ^١
كَرُوحِ الْكَوْنِ وَالْحَقُّ الْمَشَاعِ
وَمَرْقُ مَا تَكَاثَفَ مِنْ قِنَاعِ
عِزَائِمٍ لِلْحَيَاةِ بِلَا انْتِفَاعِ
إِلَى الْفَنِّ السَّمَائِيِّ الصَّنَاعِ
وَلَيْسَ خَدَاعُهُ مِثْلَ الْخَدَاعِ
لَتُظْهَرَ لِلْعِيَانِ وَلِلْسَّمَاعِ!

^١ الهرمون هو الإفراز الداخلي للغدة السجينة أي الصماء مثل الغدة الدرقية والغدة النخامية والهرمونات عظيمة الأثر في تنظيم حياة الإنسان.

^٢ الرحب المضاع: الفضاء الكوني الشاسع الخاوي بطبيعته.

وراء الغمام

(ألقاها الممثل الفنان إبراهيم الجزار في حفلة تكريم الدكتور إبراهيم ناجي
يوم الجمعة ١٥ يونيو سنة ١٩٢٤ بمناسبة صدور ديوانه "وراء الغمام")

ناجي! تناجيك الحياةُ بسرّها
ما سرّها إلاّ الجمال مع الهوى
يا شاعر اللّهفات فُجّر دمعها
ما كنت إلاّ للحياة مجارياً
ناجي! يعيبُ الشّانئون وما أرى
مَلأت عواطفك الوجود فأطلعت
دانت بدين الحبّ وهو الهنا
فوهبتَ للدنيا الحزينة ما اشتّعت
يا أسّي القلب الجريح بجرحه
كم في دموعك قوّة علوية
كم في أنينك غصبة قدسية
أيعيبُ شعرك حاسدُ بأصالة
هيهات! والدنيا تفيضُ محبة
هيهات! ما هذي الأزاهر كلها
ما هذه الأجرامُ في دورانها
ما كلُّ ما في عيشنا وخيالنا
وأراك أنتَ رسوله وحبّيبه
جمعتَ مواهبك المواهب مثلما
فبدتَ لأحلام الكبير كبيرد

فتبوحُ أنت بسرّها أشعاراً
فتلاقيا فيما نظمت وثاراً
وزفيره حتى تدفق ناراً
فإذا بشعرك كالحياة يجارى
إلاّ السموّ بما نظمت شعاراً
أصداؤها الأضواء والأزهاراً
لولاها لاصطدمَ الوجود وباراً
بيد العزاء وما اشتّيت مراراً
ومطهراً بدموعه الأطهاراً
نبع الحياة بها يفيضُ مثاراً
تحمي الخيار وتزعج الأشراراً
وسواك يمدحُ إن أعاد معاراً
وصدىّ لحبك ساحراً جبّاراً
إلاّ الغرامُ مصوراً أنواراً
إلاّ الغرامُ الخالق السحّاراً
إله منتظماً لنا قهّاراً
تستأسرُ الأفلاك والأطيّاراً
جمع الوجود بروحه الأدهاراً
وبدتَ لأحلام الصغير صيغارا

ناجي! همومك كالغمام تراكمت
فبعثت شعرك كالسهام رشيقة
وجذبتنا جذب الحبيب حبيبه
وتناسيا الدنيا وما في أهلها
ظنوا الجنون بنا وليس سواهمو
إننا لنكبر فيك أنفس ما نعي

وسناك من خلف الغمام تواري
والبرق يلمع إثرها مدرارا
فتناجيا وتساقيا الأشعارا
من عابثين وماكرين حيارى
أهل الجنون، فإن أبوا فسكارى!
في الكون حين تفوتنا إكبارا

قران الزعيم

(تهنئة ودية أرسلها صاحب الديوان يوم ١٢ يونيه سنة ١٩٢٤)

إلى الزعيم الأكبر صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا)

تهنئتك الزعامة في قران
وحسبي حين أزجي تهنئاتي
عرفت له المكارم في زمان
فعاش مبرأ من كل ذام
تهاوى الحاكمون وأنت باق
لمصر تعيش مفدياً تُفدي
وكم في مصر من علم عليم
تناسى الشعب حين بقيت فرداً
ففرحت به بعزسك في وفاء
مدحتك قبل^١ ثم أعيد مدحي

وكم من فرحة حول الزعيم
هوأي يزف للعم الحميم
عريق اللؤم داس على الكريم
إذا الدنيا تغنت بالذميم
على شرف بمنهجك الحكيم
عظائمها بإيثار العظيم
وليس على الشدائد بالعليم
تراعيه بإيمان الرحيم
كسكر الروض بالطل العميم
بأنفاس من الود الصميم

^١ أنظر (مختارات وحي العام).

وقد وزن الرجال حجابي حتى
فلست بمن يُجرّح لي شعورٌ
وعندك من ألوف النحل عني

غدا حُكمي يُقدّسه غريمي
ولا حُكمٌ لإيماني السَّليم
صديّ حيٌّ لتكريم الرّعيم

أحلام الظلام

ولما حان توديعي ولاحت
تحفّ بنا الرياح اللّواتي
ويجبنا السكونُ بلا حجاب
وقفتُ كوقفَةِ الدُّنيا إذا ما
وما هي غيرُ لحظةٍ مستعزّ
ويجري الثُّورُ في لونٍ عجيبٍ
فنسكر في صُموتِ اليأسِ حتى
ويغلبها الحياءُ وفيه معنًى
فأرقبُها على لهفٍ كائني
وأشربُ حسرتي الكبرى دواءً
وهل غيرُ العذابِ شفاءٌ روحي
وقفنا لحظةً هي كلُّ عيشي
ففرّقنا الزمانُ بلا وداعٍ
كأنّ تناسي التوديعِ أولى

على النورِ الموشى بالظلام
تترفّ من ابتسامٍ لابتسامٍ
ويفضحنا الحنينُ على احتشامٍ
أطاح بها السَّلامُ إلى الحمامِ
ولكنّ قلبُبه دام ودام
على وجنتنا جرّي المدامِ
كأنّ اليأسَ من سُكر الغرامِ
حفّي بالتّواضعِ والتّسامي
أطبّبُ بالسَّهامِ من السَّهامِ
وإن كان الدواءُ من الضّرامِ
أنا العاني بلا أملٍ أمامي
وموتي في السَّلامِ بلا سلامِ
سوى اللّهفاتِ أشربها هيامي
بدنياً لهمّ يا دنيا الأنام!

¹ إشارة إلى اشتغال دولته بتربية النحل، وهو عضو برابطة مملكة النحل.

الأشعة الكونية

(مهدة إلى الصديق فؤاد صروف محرر المقتطف وصاحب كتاب فتوحات العلم الحديث)

مِرْ أَيْنَ مَصْدَرُكَ الْكَرِيمُ الْبَانِي
مِنْ أَيْنَ طَاقَتُكَ الَّتِي لَا تَنْتَهِي؟
أَتُرَى الْحَقَائِقُ كَالرُّمُوزِ فَلَيْسَ فِي
أَمِنَ الْخَوَاءِ أَتَيْتَ مَنْحَ عُنَاصِرِ
أَمْ مِنْ فَنَاءِ الْأَيْدُرُجِينَ مُحَوَّلًا
أَمْ مِنْ صَمِيمِ الشَّمْسِ بِنْتَ كَهَارِبِ
وَتُحِيطُ بِالْأَرْضِ الْحَنُونِ كَانَهَا
وَفَدَتْ مِنْ الْأُمِّ الَّتِي فِي بُعْدِهَا
أَعْجَزْتَ آيَاتِ الْأَشْعَةِ قُوَّةً
وَطَفَقْتَ جَائِلَةً كَرُوحِ حُرَّةٍ
ذُخِرَ الْمَلَائِكِينَ السَّنِينَ وَرُبَّمَا

مِرْ أَيْنَ مَصْدَرُكَ الْكَرِيمُ الْبَانِي
مِنْ نَفْحِ خَلْقِ الْحَيَاةِ فَرُوحِهِ
لَيْسَتْ رَحَابُ الْكَوْنِ غَيْرَ رَحَابِهِ
جَعَلَ التَّفَجُّرَ مَبْدَأَ لَفَنُونِهِ
فَإِذَا انْبِثَاقُ الْكَوْنِ يَوْمٌ أَوَّلُ
وَإِذَا نِظَامُ الشَّمْسِ يَوْمٌ ثَالِثُ
وَإِذَا الْحَيَاةُ قَصِيدَةٌ عَلَوِيَّةٌ
وَإِذَا خِيَالُ الشَّعْرِ يُلْهِمُ وَحْدَهُ
وَإِذَا الْعِزَاءُ لَنَا وَجُودُكَ بَيْنَمَا

يَا مَأْمَلِ الْأَحْيَاءِ وَالْإِنْسَانِ؟
رُوحَ الْحَيَاةِ وَشُعْلَةَ الْإِيمَانِ
وَالْكَوْنُ غَيْرَ فُتُونِهِ الْفَنَّانِ
كَتَفَجَّرَ الْأَطْيَافُ بِالْأَلْوَانِ
وَإِذَا الْمَجْرَّةُ مِنْهُ يَوْمٌ ثَانِي
خَلَقْتُهُ صَدْفَةً سَاحِرٍ فَنَّانِ
مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْأَوْزَانِ
مَعْنَاكَ بَلْ مَعْنَى الْخُلُودِ السَّانِي
لَوْلَاكَ لَمْ تُغْنِ الْوُجُودَ أُمَانِي!

وحي الصحراء

(١) (مهداة إلى الدكتور أبو شادي محرر أبولو)

شِعري تَأَلَّقُ للطبيب الشادي
إِنَّ الينابيعَ التي فاضت بما
قد ألهمتُ روعي العزيز من المنى
وطفقتُ حيرى - والمعاني جمّة -
فإذا إله الشعر يهبط هاتفاً:
ووجدتُ في الصحراء رجَعَ مشاعري
والرملُ منبسطٌ إلى أن يلتقي
والشمسُ تبكي لوعةً وكأنها
والأرضُ تشجي والنسائمُ حلوةً
وتقول: يا مَنْ بالجديد ترنموا
والآن والأفقُ البعيدُ قد انبرى
أرسلتُ مِنْ قلبي تحيةً مَنْ رأتُ
وتصوّفتُ في عالمٍ لا ينتهي

فنشيدهُ مجدٌ له إنشادي
أشجاه مِنْ شعرٍ يذيب فؤادي
فأبيتُ إلا أن أطيعَ عنادي
فيمن أسأله زمامَ قيادي
هياً إلى السحر الجميل الشادي!
بغموضها، وَمِنْ الغموض البادي
بالأفقِ بين تهللٍ وتهادي
محزونةً لفراق هذا الوادي
تهدي السلامَ لرائح ولغار
هلاً ذكرتم لي قديم ودادي؟
يرنو إليّ بقسوة النُّقار
هذي الطبيعة عِزّة الزُّهار
حتى على الآبار والآبار!

حكمت ش...

(الآنسة حكمت شبارة)

(٢) (مهداة إلى الآنسة الشاعرة حكمت شبارة)

إلى العزيزة (حكمت ش...)
الفنُّ عند غيّر غبين
أهديتُ لي وحي الصحراء

أهدي تحيةً إعجابي
فالفنُّ حليّة أرباب
وهو الحياة لأحلامي

يَظْمَأُ بِنَجْوَاهِ الشُّعْرَاءُ
دُنْيَا مِنَ الْفَنِّ الْفَنَّانُ
تَسْتَأْسِرُ الْحَرَّ الْفَنَّانُ
دُنْيَا تَقْلُبُهَا يُدَوِّحِي
جَرِيحُهَا غَيْرُ جَرِيحِ
رَسْمَتِهَا لِي لِرُعَاةِ
وَالْأَرْضُ بَيْنَ سَعَادَاتِ
وَفُتْنِي يَا مَنْ بَهَرَتْ
دُنْيَا التَّصَوُّفِ مَا سَحَرَتْ
أَمَّا أَنَا فَعَلَى فَقْرِي
مَنْ لِي بِرُوحِكَ فِي شِعْرِي

وَبِهِ ارْتَوَى رُوحِي الظَّامِي
بَيْنَ الْعَبُوسَةِ وَالْبَشِيرِ
بِالسُّحْرِ فِي أَثَرِ السُّحْرِ
لِلشُّعْرِ أَلْوَانًا شَتَّى
وَمِثْلُهَا غَيْرُ الْمَوْتَى!
مِنْ ذَلِكَ الشَّفَقِ الْمَخْضُوبِ
مِنْهَا وَبَيْنَ دَمَاءِ قُلُوبِ
بَشِيرِهَا الْحَيِّ الْوَضَاءِ
إِلَّا خِيَالَكَ وَالصَّحْرَاءِ
بَاقٍ وَهِيَ عَجْزِي أَمْضِي
حَتَّى أَبِينَ عَنِ الْأَرْضِ؟!

الجواهر المكنحة

(وحي دراسة عن الحشرات والطيور الزاهية)

أَغْنَيْتَ هَذَا الْجَوْ مِثْلَ الْعِبَادِ
أَغْنَيْتَهُ بِالطَّيْشِ قَبْلَ الرَّشَادِ
مَا هَذِهِ الْأَصْبَاغُ يَا طَائِرَاتُ؟
هَلْ تِلْكَ أَحْلَامُ الْمَنَى الْمَائِلَاتُ
أَشْبَاهُ زَهْرٍ أَوْ ثَمَارٍ تُرَامُ
أَوْحَى (كَيُوبِيدُ) بِهَا، فَالْغَرَامُ

مِنْ كُلِّ لَوْنٍ عَسْجَدِي مُنِيرُ
فِي عَالَمِ الْحَبِّ الشَّرُودِ الْغَرِيرُ
يَا رَاشِفَاتِ الشَّهْدِ! يَا سَاحِرَاتِ!
لِلْحَسِّ، أَمْ تِلْكَ رَمُوزُ الْحَيَاةِ؟
مَا اخْتَرْتِهِ مِنْ كُلِّ رَسْمٍ حَبِيبُ
نَلْقَاهُ فِي كُلِّ مِثَالٍ عَجِيبُ

نلقاه هَرْمُونُ^١ الجمالِ البديعِ
قد جاوزَ الوهمَ بما يستطيعُ
جواهرُ الحبِّ، ومِنْ رُوحِهِ
فَتَنَفَّحُ الْفَنَّاَنَ مِنْ نَفْحِهِ

في ذروةِ المجدِ لهذا (الربيعِ)
وأشعلَ الجوَّ بسحرٍ مَنيعِ
تَطِيرُ في الجوِّ عزاءُ الفقيرِ
وتُطَلِّقُ الْفَنَّ الْعَزِيزَ الْأَسِيرَ!

بلوطو

(السيار التاسع الذي ننبا به الأستاذ برسفال لول الأميركي بحسابه الدقيق

وكشف عنه كلید تمبو سنة ١٩٢٠)

يا شقيقاً لأرضينا كيف أنت؟
أبعدتكَ الأقدارُ في خَلْقِها الدُّنْ
خَفَتِ الضَّوْءُ والحرارةُ إِلَّا
قَدَّرَ الْعِلْمُ وَحْيَهَا قَبْلَ عَيْنِ
أَمُّكَ الشَّمْسُ لَمْ تَزَلْ تَبْعَثُ النُّ
وكفاها الحنانُ في ذلك البُعْدِ
لا أليسَ لَدَيْكَ إِلَّا شَرِيدٌ:
قد عرفناكَ، غيرَ أَنَّكَ فِي الْبُعْدِ -

خَبَأَتْكَ الشَّجُونُ حِينَ اخْتَبَأَتْ^٢
يا، ولكنْ عن شَوْقِها^٣ ما بَعْدَتْ
لحاةِ الحنينِ لَمَّا لُمِحَتْ
تَكْشِفُ الْغَائِبَ الْمَحْجَبَ ثُبَّتَا
وَرَوَّانَ صَارَ أَغْلَبُ النُّورِ مَيَّتَا
دَلِيلًا عَلَى وفاءٍ تَأْتِي
قَمَرٌ يَأْسُ رَأْيَ الْبُؤْسِ شَتَّى
دُ غَرِيبٌ، وَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ أَنْتَ

^١ الهرمون (بفتح الهاء): الانسجام الموسيقي.

^٢ يبعد بلوطو عن الشمس بنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أي بنحو ٤٢٠٠ مليون ميل. وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها إلا جزء من ألفي جزء مما يصلنا منهما - (راجع لأمثال هذه الشروح الفلكية كتاب "فتوحات العلم الحديث" لفؤاد صروف وكتابي The Mysterious Universe و The Universe Around Us للسير جيمز وأمثالها من التصانيف العلمية المبسطة).

^٣ شوق الدنيا - بريد نظامنا الشمسي.

لَيْتَ شعري: أنحن في الوهم لا ند
أم تُرى أنت في شجونِ جسامِ

ري وأنت الهنيءُ بُعداً وصمماً
تبعثُ النُّورَ لوعةً ثمَّ موتاً!

ما وراء المجرة

عوالمُ لا تُحصى ولا هي تُعرَفُ
تناهتُ تناهتُ في الفضاءِ إلى مَدَى
فما قنصتُها بؤرةَ العلمِ مرةً
رأى مِنْ وراءِ الكونِ آياتٍ غيره
رأى النُّورَ أصداءَ الحياةِ وصوتها
مجاميعُ آلافِ النُّجومِ تبعثرتُ
بدتْ شبهَ فوضى وهي شتَّى نظامها
نمتُ في ملايينِ السنينِ التي خلتُ
نمتُ ونمتُ بين اتِّساعِ حُدوده
كانَ اتِّساعُ الكونِ فقاعةً نمتُ
ونخشى مماتِ الشَّمْسِ والشَّمْسُ في غنى
ونَسبُها في وقفةٍ وهي لم تزلْ
تدورُ كما دارتِ شمسٌ عديدةً
تقاسمتِ السُّدُمُ العديدةُ حظها
تَشَتَّتَ هذا الكونُ حتى فضاؤه

ويا ربِّما المجهولُ منها المَعْرِفُ
يُقصِّرُ عنه العالمُ المتلفُ
وإنْ لم يَفْتُها الشاعرُ المتصوِّفُ
بلحظٍ مِنَ النُّورِ الإلهيِّ يَخطفُ
وَمِنْ رُوحِهِ الجَذابِ للروحِ يرشفُ
وهيئاتِ عَيْنِ الشعرِ عنهنَّ تطرفُ
ولكنْ من الأكوانِ ما ليسَ يوصَفُ
من الغازِ كالأنواءِ تنمو فتعصفُ
حُدودُ من الوهمِ الذي لا يُكَيَّفُ
ولكنها مهما نمتُ ليس تتلفُ
عن الخوفِ كم تُعْطِي و تَتَخَوَّفُ
على نشوةِ الجوالِ بالبحثِ تَكلفُ^١
يجاذبها مِنْ عالمِ الغيبِ مُلحفُ
وفي أسرها تزكو وتزهو وتَلطفُ
وَمِنْ خلفِهِ عقلٌ دقيقٌ ومُنصفُ

^١ المرجح أن الشمس تتحرك حول مركز "النظام المجري" بسرعة مائتي ميل في الثانية، ويستغرق إتمامها لدورة كاملة حوله مائتي مليون سنة.

كَأَنَّ رَحَابَ الْكَوْنِ وَجْدَانُ شَاعِرٍ
وَفِيهَا "كُوْنَتَاتٌ"^١ الْحَيَاةِ أَجْنَةً
وَلَكِنَّمَا لِلشُّعْرِ مِنْ لِبَنَاتِهَا
تَخِيلُهَا جَمْعاً، وَأَبْدَعَ غَيْرَهَا

فَكُلُّ فُضَاءٍ فِيهِ حَيٌّ مَثْقُفٌ
وَفِيهَا مِنَ الذَّرَّاتِ مَا لَا يُؤْلَفُ
عَوَالِمُ بِاللَّحْنِ السَّمَائِيِّ تَعْرِفُ
وَمَا زَالَ فِي إِبداعِهِ الْحَرُّ يُسْرِفُ!

وحي الراديو

سَمِعْنَاكَ سَمْعَ الْجَانِ فِي صَوْتِ أَمٍ
تَعَدَّدَتْ الْأَوْقَاتُ وَالْوَقْتُ وَاحِدٌ
وَصُغِّرَتْ الْأَرْضُ الَّتِي طَالَمَا أَبَتْ
لِقَا، جُبَّتْهَا فِي طَرْفَةِ الْعَيْنِ^٢ فَاتِحاً
فَمَنْ أَيِّ دُنْيَا قَدْ أَتَى ذَلِكَ الصَّدَى
أَوْحَى غُبَارِ الْكَوْنِ مَا أَنْتَ مُعْلِنٌ
أَمْ الزَّمَنُ الْمَاضِي يُرَدِّدُ نَفْسَهُ
مُحَالٌ مُحَالٌ ضَيْعَةُ الرُّوحِ وَالْحِجَا
وَمَا ذَلِكَ الصَّوْتُ الْجَدِيدُ بِمَعْجَزٍ
قَدْ اكْتَضَ هَذَا الْجَوْ مِنْ كُلِّ شَارِبٍ
كَأَنَّ أَحَادِيثَ الْخَلِيقَةِ مَا وَعَى
يُذْأَفُ عَلَيْهَا مِنْ تَبْدُلِ عَالِمٍ
كَمَا يَشْتَهِي الْفَنَانُ كُلَّ مَلِيحَةٍ

وَقَدْ صَارَتْ الْأَحْفَادُ شَيْعَةً جَانِ
وَكَمْ مِنْ فَمٍ يَحْكِي بِأَلْفِ لِسَانٍ
عَلَى النَّاسِ إِسْرَاءً بِكُلِّ زَمَانٍ
وَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ بِيضُوعِ ثَوَانٍ
وَهَلْ هُوَ وَالْإِنْسَانُ يَلْتَقِيَانِ؟
وَإِنْ كَانَ لَمْ يُقَرَّنْ بِأَيِّ بَيَانٍ؟
وَأَصْدَاءُ مَوْتَاهُ لَوَعِظَ زَمَانِي؟
لَقَدْ سَكْنَا الْأَمْوَاجَ مِثْلَ مَعَانِي
إِلَى جَنْبِ مَا لَمْ يَسْتَبْنُهُ جَنَانِي
وَمِنْ كُلِّ دَانٍ وَهُوَ لَيْسَ بِدَانٍ
فِيحْجِبُهَا عَنَّا حِجَابُ غَوَانِي
دُنْيَى، وَيَأْبَى مَسَّهَا بِهَوَانٍ
تُصَانُ لِأَهْلِ الْفَنِّ أَيَّ صِيَانٍ

^١ هي مقادير الطاقة حسب نظرية بلانك.

^٢ تدور الإشارة اللاسلكية حول الكرة الأرضية في ١/٧ ثانية فقط.

فليس سواهم يفهم الحسَنَ فكرةً
أصَحَّنَا إلى نجواكَ غَرَقَى خَواطِرٍ
وَمِنْ خَلْفِهَا أَمْوَاجُ أُخْرَى تَكَاثَفَتْ
ولولاكَ خَلْنَا الصِّمْتَ يَغْمُرُ جَوْنَا
ولكنما الألبابُ شَتَّى كَانَتْهَا

ويعبده في رحمةٍ وحنانٍ
وأَمواجُهَا تَطْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
تَكَاثَفَ مَنْسِيٌّ مِنَ الحَدَثَانِ
وقد بُثَّ فِيهِ الصَّوْتُ بَثٌّ دُخَانٍ
مَسَامِعُ شَتَّى الحِسِّ والهِيمَانِ

مخلب الطاووس

فِي عِرَّةٍ مَحْسُودَةٍ مُتَبَخِّثِرًا
طُبِعَتْ جَلَالَتُهُ بِلُطْفِ جَمَالِهِ
فكَأَنَّمَا هُوَ أَنْتَ لَوْلَا أَنَّهُ
نَهْوَى أَنَا مَلِكُ الرَّشِيقَةِ بَيْنَمَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الدَّمَاءُ خِضَابُهَا

يَمْشِي كَمَا يَمْشِي الْغَرَامُ الْمُلْهَمُ
وَحَمَاهُ مِخْلَبُهُ الْقَوِيُّ الْمُرْغَمُ
مَا بَاتَ يَقْطُرُ مِنْ مَخَالِبِهِ الدَّمُ
نَخَشَى أَظَافِرَهَا^٢ الَّتِي لَا تَرْحَمُ
فَخِضَابُهَا يَفْتُونَهَا يَتَضَرَّمُ!

الأثمار

يَا شَمْسُ! لَا تَأْسَيْ عَلَى نُورٍ مَضَى
مَلَأَ الوجودَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْ جُلَّةِ
سَكَنَ المِشَاعِرِ والعَوَاطِفِ وانتهى

النُّورُ مَعْبُودٌ بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لَا تَرَاهُ كَعَهْدِهِ الْعَيْنَانِ
لِقَرَارَةِ الوجودَانِ والإِيمَانِ

^١ راجع قصيدة "صائد الغنم".

^٢ إشارة إلى عادة صبغ الأظافر باللون الأحمر، وقد تفشت بين الغانيات.

واستمتعتُ صُورَ الحياةِ بِشَمِّهِ
ما كانت الأثمارُ غيرَ مثاله
فبأيِّ موشورٍ وأية حيلة
تتموِّجُ الأصباغُ في قسَماتها
وأذوقُها فأذوقُ طَعْمَ أشعةٍ
وأجربُ الفنَّ السماويَّ الذي
كلُّ الشاعرِ وحدةٌ لخواطري
فلي الحياةُ تضاعفتُ بفنونها
وأعيشُها صُوراً بكلِّ جوارحي
وأذوقُ مِنْ هذي الثَّمارِ مصدقاً
ولقد أطيروا إليكَ فوقَ خواطري
وأعيشُ في نورٍ شعاعاً صافياً

ويطعمُهِ ويلونُهِ الفنَّانُ
أو كانت الأثمارُ غيرَ معانٍ
جمعتُ فتونَ ضيائكُ الفنَّانِ؟
كتموِّجِ البُلُورِ بالألوانِ
خُلقتُ حلاوتُها لكلِّ زمانٍ
جعلَ الحياةَ حليفةَ الدَّورانِ
متبادلاتُ الحسِّ والعرفانِ
وبعمقِها ويلطفُها النُّورانِ
فكأنَّني أحيَا بكونِ ثَانٍ
وكأنَّها رُسُلٌ إلى وجداني
وأعْبُ مِنْ ينبوعِ المحسانِ
وأعودُ في نورٍ وفي نيرانِ!

المريخ ينتظر!

صدفناً عن (القمرِ) المرتجِي
وهل كان إلّا ابنناً في الوجورِ
فما بالُ (مريخنا) العبقريِّ
وكم وهم العلماءُ الكبارُ
لقد أصبحَ العِلْمُ شِعْرَ الخيالِ
لقد مُزجَا بالعجيبِ المحالِ

زيارتنا في سهامِ تطير
يسيرُ مع الأرضِ أنَّى تسيرُ؟
يُنابِي؟ أم السَّمْعُ ضَلَّ النداءُ؟
كما وهمتُ لغةَ الكهرباءِ
كما أصْبَحَ الشُّعْرُ نَفْحَ العُلُومِ
وقد سَبَحَا في مَجَالِ النجومِ!

¹ أنظر قصيدة "عرس الأصيل" بديوان (الشفق الباكي).
² راجع مقطوعة "اشتراك الشاعر" بديوان (أنين ورنين).

الصوفي

مُعْنُ الْفِكْرِ يُشْبِهُ الدَّهْرَ فِي النَّظَرِ
حِينَ تَلْمِيزُهُ مُصَيِّخٌ إِلَى النَّجْدِ
مُعْنُ الْفِكْرِ، مَشْرِقُ الْوَجْهِ مِنْ ظُلْمٍ
وَمُشِيرٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَهِيَ الْـ
وَكَأَنَّ الْكُتَابَ تَحْمِلُ سِرًّا
قَالَ مَا قَالَ، وَهُوَ يُعْنِ إِمْعَانًا
وَفَتْاهُ الصَّغِيرُ يَتَّبِعُ بِالْخَا
جَمَعَ الْحُبُّ لِلْحَقِيقَةِ رُوحِيَّةً
وَكَأَنَّ الْفَتَى بِمَلْبَسِهِ الْأَبْـ
وَكَأَنَّ التَّائُمْلَ الصَّادِقَ السَّـ
وَكَأَنَّ الْإِلَهَ فِي هَذِهِ اللَّحْـ
نَشَرَ الْحُبُّ لِلْأُلُوهَةِ نُورًا
وَكَأَنَّ الْإِيجَازَ أَبْلَغُ فِي الْوَصْفِ

رَّةً لِلْعَالَمِ الصَّبِيِّ الْجَدِيدِ
وَيَ بِرُوحٍ مِنَ الْفُتُونِ الْفَرِيدِ
سَمَةِ لَيْلٍ لِعَالَمٍ مَفْقُودِ
فَرْدٌ لِلْبَاحِثِ الْحَصِيفِ الْعَنِيدِ
هُ رُمُوزٌ لَا مَبْحَثٌ لِلْوُجُودِ
نَا كَمَنْ نَالَ رُؤْيَا الْمَعْبُودِ
طَرِ حُلُمًا إِلَى الْكَمَالِ الْبَعِيدِ
نِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خِلَافٍ شَدِيدِ
يَضُ فِي حَالَةِ التَّجَلِّيِ السَّعِيدِ
حَرَّ قَرَبَانٍ قَلْبُهُ الْغَرِيبِ
ظَلَّةً فِي مَظْهَرِ التَّنَاجِيِ الْمَجِيدِ
وِظْلَالًا فَوَاتِنًا لِلْقَصِيدِ
فِي، وَوَحْيُ الْأَصْبَاغِ وَحْيُ النَشِيدِ

البداية والنهاية

مِنْ صَمِيمِ الضِّيَاءِ، مِنْ وَهَجِ النُّو
شَحْنَةُ الْكُهْرِبَاءِ فِي عَالَمِ الدَّرَا
كُلُّ شَيْءٍ لَوْلَاهُ مَا كَانَ شَيْئًا

رِ، وَمِنْ كُهْرِبَائِهِ قَدْ خُلِقْنَا
تَسْرُ الْحَيَاةِ مَبْنَى وَمَعْنَى
فَالضِّيَاءُ الضِّيَاءُ لُبُّ الْوُجُودِ

لَبَنَاتُ الْوُجُودِ مِنْهُ، وَفِيهِ
رَتَقًا^١ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَلَكِنْ
فَإِذَا النُّورُ وَاضِحًا وَخَفِيًّا
لَمْ يَزَلْ غَايَةً لِكُلِّ نَظَامٍ
صُورٌ مَا لَهَا انْتِهَاءٌ، وَلِلنُّورِ
فَاعْذَرُوا الشَّاعِرَ الَّذِي قَدَّسَ النُّورَ
أَيُّ شَيْءٍ سِوَاهُ نَمَّ عَنِ الْخَا
فَمِنْ النُّورِ قَدْ بَدَأْنَا، وَلِلنُّورِ
كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ نُورٌ بِأَمْوَا

يَتَنَاهَى الْفَقِيدُ كَالْمَوْلُودِ
وَزَعَتْ بَعْدُ فِي الْوَفْرِ الشَّمَائِلُ
لَمْ يَزَلْ سِرُّهَا بَبَاقٍ وَزَائِلُ
مِثْلَ مَا كَانَ لِلْحَيَاةِ الْبَدَايَةُ
رِ مَعَانِي بَدَايَةٍ فِي النِّهَايَةِ
رَ إِذَا مَا رَأَاهُ وَحِيًّا مُقَدَّسُ
لِقَى فِي مِثْلِ لُطْفِهِ أَوْ تَلَمَّسُ؟
رِ سَنَمُضِي كَمَا بَدَأْنَا شُعَاعًا
جِ تَنَاهَتْ دَقَائِقًا وَابْتَدَاعًا

السيد

لِرُوحِي فِي عِزَّةِ الْمُسْتَقِلِّ
تَخَلَّصَ مِنْ شَهْوَةٍ كَمْ تُلْجُ
وَمَتَّعَنِي بَيْنَمَا صَانَنِي
نَمَا عَشْتُ عَبْدًا لِهَذِي الْحَيَاةِ
وَكَيْفَ وَقَلْبِي مِنْ قَلْبِهَا
تَوَحَّدَ رُوحِي بِكُلِّ الْوُجُودِ
لَئِنْ تُرْتُ مِنْ أَلَمِي الْمُسْتَبِدِّ
وَإِنْ لَمْ أَثُرْ فَهُوَ طَبْعُ الْعَنِيدِ

حَيَاةً سَمَتْ فَوْقَ جِسْمِي وَعَقْلِي
وَمِنْ خَطَرَاتِ الْخِيَالِ الْمُنْزِلُ
مِنْ الْقَهْرِ: قَهْرِ الْغُرُورِ الْمُضِلُّ
وَمَا عَفَّتْهَا بَيْنَ زُهْدٍ وَشُغْلٍ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي بِمِرْأَى وَشَكْلٍ؟
فَرُوحِي مِنْهُ وَفِي الرُّوحِ أَصْلِي
فَكَمْ ثَارَ خُلُقُ (الطَّبِيعَةِ) قَبْلِي
أَعْدُ افْتِنَاتِ الْمَقَادِيرِ هَزْلِي

^١ رَتَقًا: كتلة منسدة.

وفي مُهجتي رحمةً لن تغيبَ
شملتُ بها جهلَ أهلِ الزَّمانِ

كعفوِ الحليمِ لخصمٍ وخِلْ
فرغمِ التباينِ هُمُ بعضُ أهلي

بيت الأمة

طالتُ على الحَصْرِ السَّنونُ
زُرْنَاكَ في تقديسِنا
أُنْصَدُ عَنْكَ وَأَنْتَ أَنْـ
وَيُبَاحُ مَا أَوْلَى بِهِ الْهَدُ
يَا (مَصْرُ) يَا أُمَّ الْعِظَا
تُورِي بوجهِ الظُّلَمِ! تُـ
(انْ رَاجِبُ) الدِّينِ الْمُقَدَّسُ
لَا خَيْرَ فِي أَحْلَامِهِمْ
لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا الْمَرَا
يَا بئسَ عَهْدُ كُلِّ مَا
كَمْ حُرْقَةٍ فِي طَيِّ قَلـ
مَا زِلْتُ أَطْلِقُهَا وَأَنْـ
لَمْ أَسْتَطِعْ كِتْمَانَهَا
مَا كُنْتُ بِالْجَانِي عَلَى
لَا بَدَّ لِلشَّعْرِ الْأَبْيِ

وَالْحَصْرُ فِي شَرْفِ يَهُونُ
هِيَهَاتَ تَمْنَعُهُ الْعِيُونُ^١
تَ مَبَاءَةُ الشَّرْفِ الْمَصُونُ؟
مُ الْمَدْمَرُ وَالْمُتُونُ؟
نَمْ! أَيْنَ مَا يُرْضِي (أَمُونُ)؟
رِي! وَلَيْكُنْ ثَارُ الْقُرُونِ
(انْ رَاجِبُ) الدِّينِ الْمُقَدَّسُ
إِنْ كُنَّ أَحْلَامُ السُّكُونِ
حَ تَسُفُ أَوْ دُنْيَا الْبَطُونِ
فِيهِ جُنُونٌ فِي جُنُونِ
بِي مِنْ مُعَانَاةِ الشَّجُونِ
فَتْهَا كَمَا تَذْوِي الْحَصُونِ
إِنْ أَسْتَطِعْ غَمْضَ الْجَفُونِ
وَطَنِي وَإِنْ زَعَمَ الْخَوُونِ
مِنْ الْقَسَاوَةِ فِي اللَّحُونِ

^١ العيون: الجواسيس.

لا بدَّ مِنْ تَقْرِيعِ جِي—
نَسِي الكرامَةِ وانتَشَى

لِ مُغْفِلٍ عَظَمَ الشُّؤُنُ
بَيْنَ السِّفَاسِفِ والمَجُونِ

يَا (بَيْتُ) إِنْ طَالَ الحِصَا
لَا شَيْءَ حَوْلَكَ مَا يَسُ—
إِنْ كَانَ دَيْتُكَ بَاقِيَاً
مَنْ ذَا يُوفِي (سَعْدَ) مَا

رُسَلِمْتَ مِنْ ذُلٍّ وَهُونٍ
رُّ، وَخَيْرُهُ شَرُّ الظُّنُونِ
فَلَقَدْ تَرَكَمْتَ السِّدْيُونِ
حَمَلْتَهُ لِلْخَلْدِ السُّنُونِ؟

أم مصر

(الخطاب موجه إلى صاحبة العصمة صفية هانم زغلول)

عَانَيْتِ مَا عَانَيْتِ مِنْ إِيلَامِ
يَا أُمَّ مِصْرَ وَيَا صَفِيَّةَ سَعْدِهَا
تَكْفِيكَ غَضَبَةُ (مِصْطَفَى) أَوْ (مَكْرَمِ)
هِيَهَاتَ تَقْبَلُ لِلْهُوَادَةِ نَاعِبَاً
إِنَّ الْأُخُوءَ مِلَّةٌ مَحْبُوبَةٌ
أَسْفِي! تُفَرِّقُنَا الْهُوَاجِسُ هَكَذَا
يَنْسُونَ مَاضِيَ الذِّكْرِيَّاتِ وَمَا بَنَى
أَوْ لَا، فَمَا مَعْنَى الشَّقَاقِ وَقَدْ جَنَّتْ
يَا بَيْسَتْ الْأَحْزَابُ! بَيْسَتْ أَيْنَمَا

حِينَ الرِّجَالُ ضَحَايَا الْإِسْتِسْلَامِ^١
مَنْ ذَا سَوَاكَ أَحَقُّ بِالْإِقْدَامِ؟
صَوْتَا لِمِصْرَ، فَمِصْرُ تَارٍ نَامِي
مَهْمَا تَذُقُ حَرْباً بِكُلِّ خِصَامِ
أُتْسِي لِلْوَطَنِ الْجَرِيحِ الدَّامِي؟
فِي زَهْوٍ مَخْدُوعٍ وَطِيْشٍ غِلَامِ
(سَعْدُ) عَلَى كَتْفَيْهِ لِلْأَيَّامِ
مِصْرُ الْأَذَى بِتَعَدُّ الْأَحْزَامِ؟
وُجِدَتْ بِشَعْبٍ ذَاقَ حُكْمَ لِنَامِ!

^١ يشهد إلى حركة الانشقاق الأخيرة في الوفد.

^٢ حرباً: هلاكاً وويلاً.

هيهات يُنقذه سوى إقدامه
ولديك متبّعها السّليم، وحسبنا

ورجائه وإبائه البسّام
أن نستقي من ذلك الإلهام

ضريح سعد

(وهو الضريح الذي أبت حكومة صدقي باشا أن يخصص لجثمان سعد الطاهر)

مررتُ على الضريح فهاج دمعِي
أحْظُ المومِياءِ أَجْلُ قَدْرًا
مررتُ على الضريح وكلُّ نفسي
على نُوبِ الخصوماتِ اللواتي
مررتُ على الضريح كأنّ سمعي
كأنّ غداً تقدّم فيه يومي

فهل سكنتُ مشاعره الضريحا؟
و (سعد) أنقذ الوطنَ الجريحا؟!
شجونٌ في شجونٍ في شجونٍ
أبحنَ كرامةَ الوطنِ الغبينِ
تلقَى منه تبشيراً وحُبّاً
فبشّرَ مُهجةً حَسْرَى وقلْباً!

في الميدان

(الخطاب موجّه إلى صاحب الدولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا)

(يا مصطفى)! عِشْ رَمَزَ شعبكَ أَيْباً
في الغَرْبِ ما كان التحزُّبُ ضَلَّةً
فالوفدُ؟ ليس سوى تجسُّمِ فكرةٍ
رُوحٌ مِنَ الشَّمَمِ العظيمِ مَخْلُداً
يسمو على الأحزابِ في إيمانهِ
إنْ خانَه المتنتطعون فحسبُه

رَغَمَ الأذى وتألَّبِ الأحزابِ
وبمصر تلمحُه بكلِّ خرابِ
عليّ من الأجدادِ والأحقابِ
بيدِ القرونِ لعزّةٍ وصَوَابِ
بالحقِّ يرفعُه على الأربابِ
مثلي يبجلُّه وليس يُحابي

وأنا الذي يلبي الهواة قلبه
لم أنس لوم عداك في جبروتهم
لم أنس سيئهم وإن هو عاتباً
ضحيت أنصافي وقد بلغ المدى
ضحيت في لذّة موصولة
ضحيت وكان كل خسارتي
وبقيت في همّي العميق بنعمة

في الحق، ليس خصومه بصحابي
وأنا رهين البطش والإرهاب
وضع الصداقة موضع الأنساب
ظلمي وصرت مشارفاً لخرابي
لما أمض الظالمين جوابي^١
غنم، فإن سماءهم لثرابي
وعددت في الحرمان كل طلابي

المجاهد الكبير

(الخطاب موجّه إلى الوطني الكبير السيد مكرم عبيد)

ضحكوا على لقب "المجاهد"، ليتهم
كم ضيّعوا أمل البلاد بلؤمهم
باعوا نفائسها وعابوا عاملاً
ووفى لسعد ثم أزر مصطفى
أولئك الناعين، عزّة شعبنا
غنّتك ألوية السياسة بينما

ضحكوا على أحلامهم وغرورهم!
كم ضيّعوا خيراتها بشرورهم
صان النفائس هازئاً بكبيرهم
بوفائه الباقي على تقديرهم
والمنطق الشادين شعر حبورهم
حرم الشدّة من ابتداع أميرهم^٢

^١ أنظر قصيدة "الزعامة" الموجّه إلى دولة صدقي باشا.

^٢ يشير إلى استياء صدقي باشا من دفاعه عن الوفديين مما أدى إلى إهماله شكواه بالرغم من الصداقة العالية العائلية.

^٣ إشارة إلى قدرته البيانية العظيمة وروحه الشعرية الممتازة.

المكنسة

(قالها الشاعر في ثورة ياس، والخطاب فيها موجه إلى الوطني النزيه
محمود فهمي بك وكيل وزارة الأشغال)

لم تبق مكنسة في الأرض صالحة
لقد يئست، وليس اليأس من خلقي
هذي الوزارات صارت كلها بُوراً
تغلغت في صميم الحكم هادمة
لقد خبرت الرزايا من محامدها
وصار إحسان ظني كله جزعاً
لكي تطهر (مصر) من أعاديها
إن الفساد عميم في نواحيها
من الخبائث تُرديها وتُريدها
مثل الجراثيم تُعديه فتُعديها
وقد سئمت المآسي من ملاهيها
مما يجرح سمعي من مخازيها

يا منصف الحكم في طهر وفي شمم
لو كان مثلك متبوعاً لما عُدمت
لكن بلينا بأقوام زعانفة
فأفسدوا الحكم إفساداً وإن ذهب
لا خير في الحكمون الشعب يسند
مثالك الشَّهم من يُرجى لراجيها
وسائل الحكم ما يسمو ببيانها
صاروا الأعالى وقد كانوا أدانيها
وزارة وأتت أخرى تُعاديها
ولا بخير يُرجى من أعاديها

التضحيات

قومي جموع التضحيات وحدتي
لولا اعتلال (النيل) من أحزابه
عشنا إلى زمن نرى ساداته
رُدِّي الجبان إلى ظلام وجوده
عدد السنين لجاهل وطفيلي!
لم تغل صيحة فاسقٍ معتل
في غير منزلةٍ وغير محل
وكفى من الصدق المنزو حولي

عُمُرُ أَبَحْتُ لِمَوْطَنِي وَلَأُمَّتِي
لَمْ أَرْجُ يَوْمًا أَنْ أَكْفَأَ بِلِ مَدَى

بِالْبَذْلِ لَا يَنْفَكُ شَاهِدَ عَدْلٍ
حَظِّي ذِيوعُ النُّورِ فَيَمُنْ حَوْلِي

لو كنتُ...

لو كنتُ مِنْ أَهْلِ التَّحَرُّبِ صَلَّةً
لَمْ أُعْطَ إِلَّا بَعْضَ حَقِّي بَيْنَمَا
مُسِيخُ الذِّكَاةِ فَبَاتَ كُلُّ مُسَوِّرٍ
وَيَعِيشُ مِثْلِي فِي كِفَاحٍ دَائِمٍ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ كَلًّا مَادِحِي
يُنْسِ السِّيَاسَةَ لَا تُنَاصِرُ عَالِمًا

لَغَنِمْتُ أَضْعَافَ الَّذِي أَعْطَوْنِي
خُلِقْتُ حَقُوقٌ لِلْخَسِيسِ الدُّونِ
بِذَكَائِهِ رَمَزًا لِكُلِّ جَنُونٍ
مَا بَيْنَ حُسَّارٍ وَبَيْنَ عِيُونٍ^١
وَأَنَا الْغَبِينُ لَهُمْ وَأَيُّ غَبِينٍ!
وَتَهَشُّ لِلْجَانِي وَلِلْمَأْفُونِ!

أَنْتِي يَحِينُ لِمَصْرَ عَهْدُ رَجَائِهَا
وَمَتَى نَكُونُ بَوَّاحَةً وَبِعِزَّةٍ
وَمَتَى يَكُونُ الْعِلْمُ حُرًّا سَيِّدًا
وَمَتَى يُصَانُ لِمِثْلِ جَهْدِي حَقُّهُ
لو كنتُ مَنْ يَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِهِ
حَسْبِي إِذْنُ أَنْتِي أَقَاسِمُ أُمَّتِي

لَا عَهْدُ أَحْزَابٍ وَعَهْدُ دِيُونٍ؟
فَنُعِزُّ تَاجَ (مِنَا) وَرَمَزَ (أُمُونٍ)؟
لَا ضُيُوعَ أَضْغَانٍ وَعَبْدَ بَطُونٍ؟
مِنْ كُلِّ مُغْتَصِبٍ وَكُلِّ خَوُونٍ؟
لَنَعْمَتُ لَكِنْ فِي ظِلَالِ الْهُونِ
هَٰذَا الشَّرُورَ بِحَظِّي الْمَغْبُونِ!

^١ عيون: جواسيس.

بأس الشعب

هو الشَّعْبُ رَبُّ البَاسِ في كُلِّ حالةٍ
مُحالٌ أَنْ يَسودَ خَصِيمُهُ
سَيُنصِفُهُ^١ مَرُّ الزَّمانِ فَإِنَّهُ^٢
وليس العَتِيُّ الرَّأْيِيُّ للنَّصْرِ كافِلاً
لَقَد راح (محمود^٣) و(صدقي^٤) كَمَن مَضَوْا
ولم يبقِ إِلَّا الشَّعْبُ رَغْمَ وداعةٍ
فوا أسفي كم من ذكاءٍ مضيعٍ

ولو حَكَمَ الشَّعْبَ الوديعَ عَظِيمُ
وإنَّ هُوَ فَدٌّ حازمٌ وحَكِيمُ
خَبِيرٌ بأهواءِ الحياةِ عَليمُ
إذا الحَقُّ للرَّأْيِ العَتِيِّ خَصِيمُ
مع الظلمِ، فالظلمُ السَّخيفُ قديمُ
وعُدَمُ، وما الشَّعْبُ الأَبْيُّ عديمُ
وكم من ذكيٍّ في الضلالِ يهيمُ!

غدر الرحيل

(قيلت في الموقف الوطني المشرف الذي وقفه القاضي عبد السلام ذهني بك)

عفاءً على دارٍ على أهلها تَجَنِّي
بني وطني! هذي حميَّةٌ واحدٍ
أتَنسونَ ماضي سَخَطِكم أو إباءكم
لقد ثار في وجه "العدالة" عندما
وقد حرَّموا للفردِ رِقاً وحلَّلوا
بني وطني! ثوروا على الضَّيِّمِ مثمَّما

إذا بات أهلُ الدارِ يرضون بالغبنِ
فأين إباءُ الشعبِ يهدمُ أو يبني؟
وكلِّكمو (سعدٌ) وكلِّكمو (ذهني)
راها مثالَ الظُّلمِ في كلِّ ما تَجَنِّي
أذى الشعبِ في رِقٍّ من الزُّورِ والمَنِّ
أبيتُم إباءً سالفَ الضَّيِّمِ والهَوْنِ^٤

^١ أي الشعب.

^٢ أي الزمان.

^٣ محمد محمود باشا وإسماعيل صدقي باشا.

^٤ الهون (بفتح الهاء وسكون الواو): الاستسلام.

شُغِلْتُمْ بِأَنْوَاعِ الْخِلَافِ الَّتِي جَنَتْ
فَلَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفْ خِلَافاً وَلَا أَدَى
وَلَوْ قَدْ شُغِلْتُمْ بِالَّذِي هُوَ كَائِدٌ
لَسَادَ الْإِخَاءُ السَّمْحُ بَيْنَ صَفُوفِكُمْ

وَأَنْسَيْتُمْ غَدَرَ الدَّخِيلِ بَعْدَ دَيْنٍ^١
وَلَوْلَاهُ لَمْ تُرْهَقْ مِنَ الْحُكْمِ وَالذِّينِ
عَنِ الْكَيْسِ مِنْ حِزْبٍ لآخر مُفْتَنٌ
وَبَلَّغْتُمْ مَكَانَ الشَّمْسِ لَا مَنْزَلَ الْغَيْبِ

في مكتبتي

(نكب صاحب الديوان بضياح الكثير من المؤلفات المستعارة من مكتبته)

أَصْدِقَائِي^٢ لَكُمْ كَمَا لِيَ عُذْرٌ
هَذِهِ هَذِهِ مَجَالِسُهَا مَا
كَتَبِي أَنْتَ بَعْضُ نَفْسِي فَمَا كَا
مَا كِتَابٌ يَنْوِبُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا زَمِيلٌ يَنْوِبُ عَنْ زُمَلَاءِ
كُلِّ سِفَرٍ شَخْصِيَّةٌ لَا يُحَاكِ
كُلِّ سِفَرٍ مِنْ بَعْدِ صُحْبَةِ نَفْسِي
مَا سَمِيٌّ لَهُ وَمَا تَوَامٌّ يُر
إِنَّ فَقْدِي يُحِسُّهُ الشَّاعِرُ الْحَرُّ

فِي بُكَاءِ الْفَقِيرِ مِنْ أَصْدِقَائِي
رَتَّ خِلَاءٍ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الرُّوَاءِ
نَ اخْتِيَارِي إِيَّاكَ إِلَّا رَجَائِي
إِلَّا زَمِيلٌ يَنْوِبُ عَنْ زُمَلَاءِ
هِيَ تَمَاماً تَشَابُهُ الْأَسْمَاءِ
هُوَ مِنْهَا جُزْءٌ مِنَ الْأَجْزَاءِ
ضِي شُعُورِي وَمَا يُلَبِّي نِدَائِي
وَإِنْ غَابَ عَنْ هَوَى الْجَبْنَاءِ

أَصْدِقَائِي وَجَوْهَكُمْ لَائِمَاتِي
كَلَّمَا زُرْتَكُمْ تَأَلَّمْتُ حَتَّى
بَعْضَ عُذْرٍ وَبَعْضَ صَفْحٍ إِذَا كَا
قَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ دُرُوسِ حَيَاتِي

فِي سُكُوتِ الْقَضَاةِ قَبْلَ الْقَضَاءِ
خَلَّيْتُكُمْ كَالْغِلَاطِ مِنْ أَعْدَائِي
نَ أَجَلَ الذُّنُوبِ عِنْدِي حَيَاتِي
كَيْفَ مَاتَ الْحَيَاءُ فِي الْأَحْيَاءِ!

^١ عهد سعد باشا وعهد النحاس باشا.
^٢ الخطاب موجه إلى كتبه.

الزَّارِعُونَ

(من قصيدة "القرية المهجورة" للشاعر الأيرلندي أوليفر جولد سميث)

وَيُلْ لِّأَرْضٍ هَوَتْ	فَرِيسَةً لِّلسَّقَامِ
حَيْثُ الْغِنَى قَدْ نَمَا	حَيْثُ الرِّجَالُ الْحَطَامُ
يَا رَبُّمَا يُزْدَهَى	أَوْ يُمَحِّقُ الْأَعْيَانُ
فَنَفْخَةً خَلَقَهُمْ ^١	كَخَلَقَهُمْ كُلَّ أَنْ
لَكُنَّمَا الزَّارِعُونَ	فَخَرُّ الْبَلَاءِ الْجِلَادُ
إِنْ هُدُمُوا مَرَّةً	فَمَا لَهُمْ مِنْ مَّعَادٍ!

ديانا وأكتيون

(كانت ديانا معدودة في الأساطير الرومانية إلهة الحرب والقنص والقمر، كما كانت تُعدُّ مهيمنة على الولادة. وكان كاهنها عبداً أبقاً لا ينال منصبه هذا إلا بمحاربة سلفه في ذلك المنصب محاربةً فرديةً وجهاً لوجه. وكانت ديانا تُمَجَّد في عيدها في مساء الثالث عشر من أغسطس إذ يكون بدرُ الصيف متجلياً وإن استعمل عبادها المشاعل في حفلاتهم، وكان الحوامل يستعنَّ ببركتها ويبتهلن لها. وكان يُؤذَن للعبيد في عيدها - الثالث عشر من أغسطس - بالراحة إشارة إلى منزلتها في الحرب ورعاية لكاهنها.

أمَّا عن قصة ديانا وأكتيون فتتلخَّص في أنَّ من عادة الرِّبة ديانا بعد انتهاء رحلتها الليلية في مركبتها القمرية أن تأخذ قوسها وسهامها وتذهب في صُحبة حوريَّاتها لصيد الحيوانات الأبدية في الغابة، وحدث في عصر يوم من أيام الصيف بعد أن تعبت ديانا وصاحباتها من مطاردة الصيد أن لجأن إلى إحدى البَرَكَ

^١ يريد نفخة من صاحب الحيوان.

الجبليّة الهادئة التي كثيراً ما اتّجهن إليها للاستنقاغ. وكانت المياه الشّبيمة تتَمَوَّجُ داعيةً لهنّ، فلم يستطعن إلا تلبيتها بنزع ثياب الصيد القصيرة وغسل أعضائهنّ الحارة. ولكن لسوء حظهنّ لم يكنّ وحدهنّ حينئذ في تلك الجهة، إذ إن المصادفة قضت بوجود أكتيون الصياد الذي كان يطارد الوعل منذ الفجر، وقد أحسّ بالظمأ والتعب فاتّجه هو أيضاً إلى تلك البركة الجبليّة المشهورة. وبينما كان يقترب إلى تلك البقعة المألوفة حُيِّلَ إلى أكتيون أنّه سمع جلجلة ضحكات فضيّة، فأخذ يتسلّل نحوها بحذر شديد مُفسِحاً بلطف ما بين الشّجيرات التي تعترضه، فإذا به يرى مدهوشاً ديانا وصواحبها. وفي تلك اللحظة كانت ديانا قد التفتت لتتحقّق من سبب الحفيف الذي يسمعه أذنّها المدريّة المرفهة، فإذا بها أمام نظرة الإعجاب والدهشة من ذلك الصياد الشاب! وحينئذٍ أخرسها الحنق لرؤية بشرٍ لها على هذه الصورة، فألقت بحفنة من الماء في وجه أكتيون مُهيبةً به في تحدّيها أن يذهب ويُعلن - إذا استطاع - أنه قد رأى ديانا عريانة!... وما كادت قطرات الماء المتلألئة تلمس وجهه حتى قفل لينفذ أمرها، فإذا به يجد أنه قد استحال إلى أيلٍ ولم يبق من شخصه السابق سوى شعوره التّعس بهذا التحوّل!... وبينما هو في وقفة اليأس والرعب سمع أصوات كلابه، فازداد رعباً على رعب وحاول الخلاص منها فإذا به يقع فريستها وإذا بها تقضي عليه بعد أن تحوّل إلى صورة أيلٍ ولم يَعدْ في صورة صاحبها^١.

يا شهيدَ (الجمال) يا سيّد الصيّد	د ستحيا الفريد في الشّهداء!
ما أبى أن تراه، لكنّه خا	ف قصُورَ الجمال في عينِ رائِي
حرّمت رؤية (الجمال) على غي	ر ذويه من أهلِ دُنيا الفنون
فذهبت الضحية التي إن تُعدّ بع	دُ ففي قنّة الوري والجنون!

^١ أنظر كتاب (أساطير اليونان ورومة) تأليف جوربر، وأمثاله من المؤلفات.

تُنْفِقُ اللَّيْلَ عِنْدَ زورِقِهَا الْفُضِّي^١ فِي رَحْلَةٍ (ديانا) الْجَمِيلَةِ
فَإِذَا مَا أَتَى الصَّبَاحُ تَوَلَّتْ^٢
بَيْنَ أَتْرَابِهَا الْغَوَانِي اللَّوَاتِي
سَائِرَاتٍ يَجْذِبُهَا سَاحِرَاتُ
لَمْ يَنْلِهَنَّ فِي الطَّبِيعَةِ حَيٍّ
غَيْرَ طَيِّفٍ يَنْبُثُ فِي النُّورِ وَالظَّلِّ عَجِيبٍ مِنْ رُوحٍ فَنٌّ وَشَاعِرٌ
وَتَوَلَّى مَرَّةً بَعْدَ صَيْدٍ
فَنَزَعَنَّ الثِّيَابَ فِي غَيْرِ خَوْفٍ
وَتَمَتَّعَنَّ فِي هَدْوٍ وَقَدْ نَا
فَإِذَا الْبَرَكَةُ الَّتِي جَمَعَتْهُنَّ
غَيْرَ أَنَّ الْأَقْدَارَ فِي هَذِهِ اللَّحْظِ
فَلَقَدْ سَارَ (أَكْتِيونُ) إِلَيْهِنَّ
سَارَ نَحْوَ الْمِيَاهِ وَالظَّمَأِ الطَّاءِ
حَاسِباً نَفْسَهُ الْوَحِيدَ وَمَا كَانَتْ
عِنْدَهَا رَأْيٌ لِلصَّدَى ضَحِكَاتٍ
فَمَنْعَى شَطَرَهَا عَلَى حَذَرِ الصَّا
مُفْسِحاً بَيْنَ ذَلِكَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ
فَإِذَا بِالْحَفِيفِ مُسْتَرْعِياً سَمٌّ
مَرَنْتُ أُذُنَهَا، وَقَدْ جَسَمَ الصَّوُّ
أَفْسَدَ الرَّاحَةَ الَّتِي نَشَدَتْهَا

صَيْدَهَا بَيْنَ بَاسِقَاتِ ظِلِيلَةٍ
تَحْرُسُ الْحَسْنَ مِنْ شُرُورِ الْحَيَاةِ
فِي تَجَنُّ عَلَى الْمُنَى وَافْتِتَاتِ
بَلْ وَجَانِبِنَ كُلِّ طَيِّفٍ وَخَاطِرُ
نَحْوِ إِحْدَى الْجَدَاوِلِ الْجَبَلِيَّةِ
يَتَبَرَّدَنَّ بِالْمِيَاهِ الْحَفِيَّةِ
لِ عَنَاءِ الطَّرَادِ مِنْهِنَّ قَبْلًا
فُتُونٌ عَلَى فُتُونٍ تَجَلَّى
ظِلَّةِ خَانَتِ هَدْوَهُنَّ الْحَبِيبِ
وَمَا كَانَ عِنْدَهَا بِالرَّقِيبِ
غَمٍّ مُلِحٍّ يَسْوِقُهُ كَالشَّرِيدِ
نَ، وَيَا لَيْتَهُ الشَّرِيدُ الْوَحِيدُ
كَأَغَانِي الْأَضْوَاءِ شَتَّى الْبَيَانِ
نَدٍ فِي فَرْطِ خَفَّةٍ وَاتِّزَانِ
فَعَنْهَجاً فَتَارَ مِنْهُ الْحَفِيفُ
عَ (ديانا) كَوَقَعَ رِيحُ عَصُوفٍ
تَنْفُورٌ مِنَ الْغَرِيبِ الدَّخِيلِ
وَرَأَى جَسَمَهَا الْعَزِيزَ الْبَلِيلَ

^١ القمر.

^٢ تولت: لزمت.

فأبت أن ينال ذلك إنسا
 أين هذا من ذلك الصائد الفج
 أدهشته في هذه اللحظة الفث
 بينما أغضبت (ديانا) وقد ريد
 فرمت ملء راحتها من الما
 "سِرْ-إن استطعت واخبر الناس عني!"
 حال كالأيل الذي لفظته
 وأتته كلابه وهو في الرو

ن إذا لم يكن بروح الألوهة
 ولو كان ذا أمان نزيهه؟
 غنة بالمشهد العجيب العجيب
 عت مع صاحبات المستريب
 عليه بلعنة وتحدي:
 فإذا (أكتيون) ممسوخ صيد!
 رحمة الكون للأسى والعذاب
 ع فأمسى غنيمته للكلاب!

يا شيهد (الجمال) يا سيد الصي
 ما أبى أن تراه لكته خا
 حرمت رؤية (الجمال) على غي
 فذهبت الضحية التي إن تعد بع

د ستحيا الفريد في الشهداء!
 ف قصور الجمال في عين رائي
 ر ذويه من أهل دنيا الفنون
 د ففي فتنة الورى والجنون!

شعر النجوم

شعر الكواكب والنجوم
 جعلت صائفها القرو
 نشرت على هذا الفضاء
 فإذا النظيم من الأشعة
 ويسطر الوحي الفري

شعر تنوء به الفهوم
 ن من السديم إلى السديم
 براحة الأزل القديم
 ينقب الليل البهيم
 د من الكواكب والنجوم

وَيُفْسِرُ المَوْشُورُ مَعَهُ
إِلَّا خُوطِرَ لَمْ تَنْزِلْ
مَلَأَتْ نَوَازِعُهَا الطُّيُورُ
الرَّائِيَّاتُ مُنَى الحَيَاةِ
كَمْ حَارِلَتْ^١ فَتَحَ النُّجُومُ
كَمْ فِي الفَضَاءِ مَنَاحَةٌ
قَتَلَى الأَشْعَّةُ كَالْكُورِ
وَالْكُورُ تَمْلُؤُهُ العُورُ
فَأَحْسُهَا نَبْضُ الأَشْعُرِ
وَأَجْسُهَا وَأَشْمُهَا
فَأَرَى بِهَا جُرْحَ الزَّمَا
وَأَرَى الضَّحَايَا بَيْنَهَا
الْجَاعِلِ المَوْتَ الحَيَاةَ
وَالْكُورُ يَتَسَّعُ أَتْسَا
وَسَبِيلُهُ الرُّشْدُ القَوِي-

نَاها وَمَغْزَاهَا السَّلِيمُ
وَقَفَا عَلَى الشَّعْرِ الحَمِيمِ
فَ، وَكُلُّهَا شَجَنُ أَلِيمِ
ةِ البَاكِياتِ خُطَى النِّعَمِ
مَ فَكَانَ مَصْرَعُهَا الوَخِيمُ
وَالْمَوْتُ أَخَذًا مُقِيمُ
كَبِ والنُّجُومُ بِلَا رَحِيمِ
طِفُ وَهُوَ فِي قَلْقِ الْيَتِيمِ
ةِ فِي تَأَلُّقِهَا العَلِيمِ
بِمَشَاعِرِ الدُّنْيَا الرُّؤُومِ
نِ وَطَعْنَةُ الدَّهْرِ الأَثِيمِ
لِجَلَالَةِ الرَّبِّ الحَكِيمِ
فَمَا الرَّمِيمُ بِهَا الرَّمِيمِ
عَ الْبَرِّ وَالْخُلُقِ الحَلِيمِ^٢
مُ وَحَظُّهُ المَجْدُ القَوِيمُ

القرَدُ والسَّمَكَةُ

أَمْشَبَّهَا بِالْقَرْدِ مَنْ هَوْرِيَّةُ
فَالْقَرْدُ جَلَّ مِثَالُهُ وَوَفَاؤُهُ

فَضْلًا، أَيْتُ لِمِثْلِكَ التَّشْبِيهَا
عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْخَوْنُ شَبِيهَا!

^١ أي الحياة.

^٢ إشارة إلى ظاهرة التمدد الكوني.

أَعْلَمْتَ أَنَّكَ مِثْلُ أَسْمَاكِ لَهَا
فَإِذَا سَمَتْ مَاتَتْ كَأَنَّ هَوَانَهَا

قَاعُ الْمَحِيطِ مَبَاءَةٌ وَحَيَاةُ
عَيْشٍ، وَغَايَاتِ السُّمُومَاتِ!

تكرير الفاجر

وَنَادَى مُنَادٍ "كْرُمُوا الْعِلْمَ، كْرُمُوا!
وَمَا كَانَ إِلَّا فَاجِرًا أَيْ فَاجِر
لِقَاءِ جَاءَ فِيهِ وَاصِفًا لَوْمْ نَفْسِهِ
عَجَزْنَا عَنِ التَّصْوِيرِ تَلْقَاءَ مُعْجَزٍ
عَجَزْنَا وَرَحَبْنَا بَطْعِنٍ وَخَسَّةٍ
وَأَضْحَكْنَا مَنْ خُوِدَعُوا فِي مَدِيحِهِ
وَلَمْ أَرْ جَمْعًا مِثْلَ هَذَا إِذَا التَّقَى
كَذَا جَرَتْ الدُّنْيَا فَنُونَ مَهَازِلٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي وَسْعِهِ حَبَسُ نَفْسِهِ

فَذَلِكَ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ زَعِيمٌ
وَحَسْبُكَ مِنْهُ فِي الْفَجْرِ نَظِيمٌ
وَوَصْفُ لُئِيمٍ مَا يَقُولُ لُئِيمٌ
لَمَرَاتِهِ فِيمَا يَرَى وَيَرُومُ
فَأَنَا بَعْدَ يَزْدَرِيهِ كَرِيمٌ
وَكَمْ يَخْدَعُ الْحُرَّ الْبَرِيءَ أَثِيمٌ
تَشَابَهَ فِيهِ عَاقِلٌ وَبَهِيمٌ
وَأَغْلَبَهَا لِلْهَازِلِينَ سَقِيمٌ
غَنِيًّا وَلَا قَى النَّاسِ فَهُوَ غَرِيمٌ

طرطوف

(مهذاة إلى نقيب الدجالين)

(طرطوف) يَا دَجَّالَ (مصر) الْعَبْقَرِيَّ بَلَا جَدَالَ
مَنْ لِي بِمُلَيِّرِ الْعَظِيمِ مُصَوِّرًا فَيْكَ الضَّلَالُ؟

¹ تعيش بعض الأسماك الدنينة في قاع المحيط ويقتلها الانتقال إلى أعلى، وكذلك حال بعض الأدميين إذا عاونهم المحسنون المصلحون على التسامي في المجتمع.

² وصف الفاجر نفسه بمنظومته الشاملة "الفاجر في المرأة".

إِنَّ تَرْحَمَ الدِّينَ الْبَرِيَّ فَعِنْدَكَ الْأَدَبُ السُّتَارُ
 يَا فَاقِدَ الْأَدَبِ الصَّحِيحِ وَتَأْخُذُ الْأَدَبِ الشُّعَارُ
 خَادَعْتَنَا زَمَنًا كَمَا خَادَعْتَ أَعْلَامَ الرُّجَالِ
 فَكَأَنَّكَ الشَّيْطَانُ فِي خُتْلٍ إِلَى أَقْصَى الْمَحَالِ
 مَنْ ذَا نَلُومُ وَكَلْنَا ذَاكَ الْمَغْفُلَ وَالسَّافِيَةَ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَضْحَى مِثْلُكَ صُورَةَ الْبَطْلِ النَّزِيَّةِ؟
 لَوْلَا مَحَبَّةُ أَرْضِ (مِصْرَ) وَنِيلِهَا الشَّيْخِ الْكَرِيمِ
 لَعَدَدْتُ هِجْرَتِي الْبَعِيدَةَ مِنْ نَهَايَاتِ النِّعَمِ
 أَفْسَدْتَ يَا (طَرطُوفُ) دُنْيَا النَّاهِلِينَ مِنَ الْأَدَبِ
 حَتَّى كَانَ السُّمُّ فِي هَذَا الْمَعِينِ لِمَنْ شَرِبَ!

فِي الطَّرِيقِ الْحَزِينِ

(نظمها صاحب الديوان وهو يجتاز قرية المطرية القديمة)

يا طريقي الحزين! عَرَجَ عَلَى الْغَرِّ فِي صَمِيمِ الْحَقُولِ سِرْبِي وَخُذْنِي فِي جَوَارِ الْمِيَاهِ تَجْرِي فَتُرَوِّي فِي جَوَارِ النَّبَاتِ يَخْفِقُ مِنْ خَفٍّ فِي جَوَارِ الْأَنْبَسِ مِنْ طَيْرِهَا الْأَبِ فِي جَوَارِ الْأَعْشَابِ يَلْمُسُهَا الْمَا فِي جَوَارِ النُّوَارِ قَبْلَهُ النَّخْ	سِوَيْ سِرِّ بَيْنَهُ بَرُوحِي وَحِسِّي مِنْ جَوْدٍ وَهَبْهُ كُلَّ يَأْسِي قَبْلَ رِيِّ الْغُرَاسِ قَلْبِي وَنَفْسِي قِي وَيُفْضِي بِهِمْ مِثْلَ هَمْسِي بِيضُ جَسِّ الثَّرَى حَرِيصاً كَجَسِّي بَرْفَقٍ وَالنُّورُ فِي شَبِّهِ لَمْسِي لُبْشُوقِ الْمَدْلَى الْمُتَحَسِّي
---	--

^١ يشير إلى أبي قردان.

في جوارِ الأحلام في خُضْرَةِ الأَرَضِ

ضِ وقد أَيْنَعْتُ¹ بغيرِ غَرْسٍ وغَرْسٍ!

يا طريقي الحزين! ما عالمُ النّاسِ
أنا بعضٌ من الوجودِ الذي يَأْ
مِنْ أغاني الضياءِ، مِنْ طُهرِهِ السّامِ
مِنْ نجومِ السّماءِ والأرضِ أحلا
مِنْ معانٍ خَفِيَّةٍ نَشُوتِي الكَبْرِ
أسمعُ الصمتَ كالأغاني التي تُذْ
قد حواها² كما حَوَى مِنْ قُرُونٍ
أَقْتَنِيهَا بِنَشْوَقةٍ ثُمَّ لا أَرُ
مِنْ جمالِ الألوهةِ المتناهي

سِ لمثلي، فليس مثلي بأنسي!
بَيّ وجُوداً على فسادٍ ورِجْسِ
حرٍ، مِنْ خَمَرِهِ كِيَانِي وَأُنْسِي
مي وَمِنْ رُوحِها المشعشعِ كَأْسِي
رِي وَمِنْ مُقْبَلِي البعيدِ وأُمْسِي
هَلْ في الجُودِ دونَ سَمْعٍ وحِسٍ
خَلْجاتِ النفوسِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ
ضَى سِوى كُلِّ مُستَعزٍّ وقُدْسِي
في جمالِ الأثيرِ يُضْحِي وَيُمْسِي

يا طريقي الحزين! إني غريب
ربّما قَدَّرَ الثرى ثُمَّ إحْسا
ربّما الذكرياتُ رَفَّتْ عليه
نَجْنِي مِنْ تَعَثُّري بَيْنَ أَشْباحِ
نَجْنِي! إِنَّ في الطّبيعةِ نَجْوا
في حِماها الفَنّانُ يُسمِعُهُ الخا
في حِماها يَعِيشُ للشّاعرِ الحُبُّ
في حِماها أُنَامُ والعشبُ وجدا
وَأُناجِي حتّى الجنادِبَ في زَهْ

والغريبُ الغريبُ رَهْنٌ لَتَعَسِ
سِي إذا ما أَباهُ أبناءُ جِنْسِي
كَرْفيفِ النَّدَى الشَّفِيقِ المؤسّي
وَمِنْ نُقْلَتِي لِرَمْسٍ ورَمْسِ
يَ ففِيها لُبِّي وشِعْري وطَرْسِي
لِقُ ما كانَ في خَفاءٍ ولُبْسِ
فُتُوناً مِنْ كُلِّ نَجْمٍ وشَمْسِ
نِي وقلبي زَمِيلُ (عَبّادِ شَمْسِ)
وِ، وفي نَشْوَقةٍ أَوْسَدُ رَأْسِي

¹ أي الأحلام.

² أي الجو.

والرَّغَامَ الَّذِي يُحْجَبُ عَنْ غِيهِ
رَقَدَتِي عِنْدَهَا كَسُكْرَةِ فَرْحَا
بَيْنَمَا الْعَالَمُ الْمُؤَصَّلُ فِي الْغَدُ

سَرِي قُرُوناً عَزِيزَةً رَهْنُ حَبْسِ
نَ بَدْنِيَا تَخْتَالُ فِي صَفْوِ عُرْسِ
رِ قَرِيرٌ بِكُلِّ جَانٍ وَجَبْسِ!

الزعماء

عَفَواً لِقَسَوَتِي الَّتِي لَا أَبْتَغِي
نَزَمَ الرِّجَالِ لَهَا الْمَكَانَةَ فِي الْعُلَى
وَإِذَا الْأَمَانَةُ لَمْ تَسُدْ فَجَمِيعُ مَا
أَغْفَلْتُ كُلَّ مُسَوِّرٍ لَمْ يَقْتَرِنُ
وَجَعَلْتُ إِكْبَارِي لِمَنْ تَقْدِيسُهُ

مِنْهَا سِوَى الْغَايَاتِ مِنْ إِحْسَانِكُمْ
وَيَزِيدُهَا قَدْرًا مَدَى إِيْمَانِكُمْ
حَكَتِ الْمَوَاهِبُ سَخْرِيَّاتُ زَمَانِكُمْ
حَظُّ لَهْ بِالْحَظِّ فِي أَوْطَانِكُمْ
لِلشَّعْبِ مَيِّزَ شَأْنِهِ عَنْ شَأْنِكُمْ

مصر المنتجة

(أهديت إلى دولة النحاس باشا بمناسبة عنايته بالنهضة الاقتصادية)

شِعْرِي! لَكَ الْإِنْصَافُ غَيْرَ مُرَائِي
أَهْدِي الثَّنَاءَ إِلَى مُمَثِّلِ أُمَّةٍ
بَلَّغَتْ مُنْزَاهَتُهُ النِّزَاهَةَ كُلَّهَا
وَبَحَلِمِهِ حِينَ السِّيَاسَةِ مَا لَهَا
(المصطفى) الْمَعْتَزُ مِنْ إِخْلَاصِهِ
عَبَثًا تُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ لِمِثْلِهِ
وَكَفَاهُ رَمَزُ طَهَارَةٍ قَدْسِيَّةٍ

فَاهْدِ الدُّنْيَاءَ وَكُنْ أَحَبَّ ثَنَاءٍ
بِالْخُلُقِ قَبْلَ مَكَانَةِ وَنْدَاءٍ
حَتَّى يُعَابَ بِخُلُقِهِ الْوَضَاءُ
إِلَّا الدُّهَاءُ، وَلَمْ يَكُنْ لِدُهَاءٍ
بَيْنَ الْوَرَى فِي الصَّحْبِ وَالْأَعْدَاءِ
خُلُقُ الدُّهَاءِ وَمَنْهَجُ الْوُءَاءِ
هِيَ قَدْوَةٌ لِلشَّعْبِ وَالزُّعْمَاءِ

كم مِنْ زَعِيمٍ غَيْرُهُ مُتَعَثِّرٌ بِذَكَائِهِ الْمُتَذَبِذِبِ الْأَهْوَاءِ
وكفاهُ فخرًا صِدْقُهُ ووفاءهُ في بيئَةٍ لم تَكُ تَرثُ بوفاءِ
إنَّ لِيَمٍ كانَ اللُّؤْمُ رمزَ محبةٍ وتطلُّعٍ في المحنةِ السَّوْداءِ

أَحَسَنْتَ يَا مَنْ لَا يُرَدُّ نِداؤُهُ في ذلك التَّشْجِيعِ وَالإِنْشَاءِ
هَلْ (مَصْرُ) إِلَّا أَهْلُهَا وَنَتَاجُهَا وتراثُها ومَكَارِمُ الْأَنْبَاءِ
فابنِ العِظائِمِ بِالْفِعَالِ مَوْفِقًا تَرَفَّعَ لَاتِيهَا أَجَلٌ بِنَاءِ

رثاء شيخ العروبة

أحمد زكي باشا (نشرت يوم وفاته)

أيها الموتُ لَقَدْ هُنَّا خِداعًا قد خَطَفْتَ النِّبْلَ وَالْفَنَّ الصَّنَاعَا
ما مَلَكْنَا مِنْهُ حَتَّى مَوْفِقًا لوداعٍ.... كَيْفَ حَرَمْتَ الْوِدَاعَا؟!

بانيَ الجامعِ^١ لَا يَرْضَى لَهُ ما ارْتَضَى النَّاسُ جَمالًا وَابْتِداعًا
أَنْتَما مَجْدانِ حَيْثُ اجْتَمَعَا غَمْرًا النَّاسَ سَلامًا وَشُعاعًا
رَقْدَةُ الْخُلْدِ الَّتِي تَرَقِدُهَا لَمْ يَنْلِهَا النَّاسُ مِنْ قَبْلُ سِراعا^٢
نَلَتْهَا فِي خَطْبِوَةٍ لَكْنِهَا خُطْوَةُ الْجَبَّارِ فَتْحًا وَانْدِفاعًا
خَلَفَهَا الْأَجْيَالُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أدبٍ حَيٍّ وَمَجْدٍ ما تَدَاعَى
ذِكْرِياتٌ كُنْتَ حَامِي عِزِّهَا فَرَأَيْنَاهَا وَقَدْ كَانَتْ سَماعًا

^١ إشارة إلى الجامع الفني الذي بناه الفقيد ودفن فيه وكان يتفنن في زخرفته وإنشائه.

^٢ إشارة إلى وفاته السريعة على أثر مرضه الذي لم يمهله غير يوم واحد.

مَنْ لَهَا الْيَوْمَ سِوَى ذَكَرِكَ فِي
كَنتَ تُسْتَفْتَى فَتُفْتَى دَائِماً
تُنَحِّتُ الدُّنْيَا لِمَا تُفْضِي بِهِ
رِيْعَتُ الْآنَ وَلَكِنْ رِوْعَةً
إِنَّمَا الْعُرْبُ لِسَانُ أَيْدٍ
شَيْخُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَازِبٍ
مَا أَقَلَّ النَّاسَ فِي رُؤَادِهِمْ

فِي وَفَائِي أَنْ أَفِي الْعِلْمَ الْمُضَاعَا
كَشْعَاعِ الشَّمْسِ جَوَّاباً مُشَاعَا
قَبْلَ أَنْ أَرْضِيَ حُزْنِي وَالْإِرَاعَا
تُفْحَمُ الدَّهْرُ كَمَا تَمْحُو الدَّمَاعَا

يَا سَمِيَّ وَصَدِيقِي! لَيْتَ لِي
لَيْتَ لِي قَدْرَ وَفَائِي قُدْرَةً
عَلَّنِي أَرْضِي الْعَالِي رَائِيَا
إِنَّمَا أَثَارُكَ الْحَسَنَى الَّتِي

الشعر والوطن

عَزِيزَ الشَّعْرِ لِلْوَطَنِ الْغَبِيْنِ
وَوَادَ الشَّعْرِ لِلْغُرُضِ الْمَهِيْنِ
نِفَاقَ الشَّعْرِ لِلْأَحْزَابِ مَبْدَا
بِهِ، إِذْ لَنْ يَكُونَ الذُّلُّ مَجْدَا
زَعِيمٍ يَنْصَحُ الْحُرَّ الرَّعِيْمَا
وَلَا يَخْشَى صَدِيقاً أَوْ خَصِيْمَا؟

تَنَادَى النَّاظِمُونَ بِمَا دَعَاؤُهُ
وَلَمْ يَكْ غَيْرَ تَلْفِيْقٍ سَقِيْمٍ
إِذَا طَغَتْ السِّيَاسَةُ وَاسْتَحَلَّتْ
فَ لَا كُنَّا وَلَا كَانَ افْتِتَانُ
وَهَلْ شِعْرٌ بِلَا قَلْبٍ أَبْيُ
يَقُولُ الْحَقُّ مَوْفُوراً عَزِيْزاً

^١ وتراعى: أي الذكريات.

لَكُمْ عَنَّفْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ، حُبًّا
فَعَشْتُ أَنَا الْوَفِيُّ لَخَيْرِ شَعْبِي

بِمِصْرٍ، وَإِنْ أُسِيتُ لِمَحْضِ حُبِّي
وَإِنْ خَلَّ الْوَرَى، وَلَعَهْدِ قَلْبِي

عام الباذنجان!

(من مشاهد الريف الأليمة)

يَا مَنْ تُجَفَّفُ بِأَذْنَانِهَا جَزْعًا
أَصْبَحْتَ يَا بِنْتَ مِصْرٍ جَدًّا مُجْدِبَةً
وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِي إِذَاءٍ مُضْطَهَرٍ
هَوَى رِجَالِ اثْنَا فِي مَا يَدْنُسُهُمْ
وَصِرْتَ سَائِمَةً تُرْعَى، وَرُبَّمَا
هَذَا كَسَاؤُكَ أَسْمَالًا مَمْرَقَةً
وَذَا نَهَارُكَ مِثْلُ اللَّيْلِ فِي عَمِهِ
وَتِلْكَ أَسْرَتُكَ الْمَهْدُومُ هَيْكِلُهَا
فَأَيْنَ أَيْنَ بَنُو مِصْرٍ الْأَلَى مَدَحُوا
نَامُوا وَخَلُّوا غَنَى الْفَلَاحِ مَسْغَبَةً

لِلْعَيْشِ... مَا حَظُّ هَذَا الْعَيْشِ فِي الذُّلِّ؟
وَجَدَّ مُحْرُومَةً مَا طَالَ مِنْ ظِلٍّ
وَلَيْسَ يُنْفَقُ فِي تَطْيِيبِ مَعْتَلٍّ
وَحِمْلُوكَ الَّذِي قَاسَيْتَ مِنْ حِمْلٍ
عَانَيْتَ فِي الْبُؤْسِ مَا فَاتَتْهُ مِنْ ذُلٍّ
كَأَنَّمَا رُشِقَتْ وَالْحِظُّ بِالنَّبْلِ
وَمَا الْحَيَاةُ وَهَذَا النُّورُ كَاللَّيْلِ؟
كَأَنَّمَا غُذِّيتَ بِالصَّبَابِ وَالْخَلِّ!
جَهُودَكَ الْيَوْمَ فِي إِرْهَاقِكَ الْكَلِيِّ؟
فَضِيعُوه وَضَاعُوا فِي مَدَى الذُّلِّ!

القواد والجند

أَمَّتِي! كَمْ تُشْبِعُ الْقَوَادَ لَوْمًا
كَلْذَا الْمَذْنِبُ! كَمْ نَرْسَلُ ذَمًّا
أَصْلِحُوا الْقَوَادَ نَقْدًا أَصْلَحُوا

بَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى الذُّلِّ نِيَامُ!
وَكَأَنَّا أَبْرِيَاءُ دُونَ ذَامُ!
إِنَّمَا لَا تُسْرِفُوا فِي لَوْمِهِمْ

ربما يَفْلَحُ مَنْ لَا يَفْلَحُ
أَو! كَمْ يَعشِقُ قَلْبِي وَحْدَةً
لو عقلنا ما عرفنا شِدَّةَ
أُمَّتِي! إِنَّا جميعاً إخوة
كيف لَا تَدْفَعُ (مِحْصِراً) نخوة

لو تجنَّبْتُمْ دواعي هَدمِهِمْ
تُرجِعُ الوادي إلى عِزَّةِ أُمسٍ
هي كالميتة في أعماقِ يأسٍ
وغريبُ الناسِ فينا الجبناءُ
تخطفُ المجدَ وتُحيي الشهداء!؟

لوعة الغروب

(في بورسعيد)

تَوَلَّى النهارُ بلا مُنْقَرِ
وجازفتُ الشمسُ قبلَ الغرو
فما صدمَ الماءَ حتى هوى
وغابتُ كما غابَ سِرُّ الضميرِ
وما البحرُ إِلَّا خُضَمُ الحياةِ
لقد جُمِعَا في الخفاءِ العميقِ
ونَمَ السحابُ الحزينُ الشريدُ
ولم يحملِ الأفقُ من صبغةِ
أُجَسُّ بِهِ نفحةً من جمالِ
قد اتَّفَقَا في اجتذابِ العيونِ
وكانا صلاةَ ضحايا الغروبِ
تجدُّها رَحْمَةً في السَّماءِ
ويَفْرَحُ في موتها العاشقون

حبيبٍ ولا مَأْمَلٍ يُنتَظَرُ
بِـبَـأخِرٍ إشعاعِها المدَّخَرُ
وما عائقُ الموجِ حتى احتضرُ
فما كاد يُدرِكُ حتى استقرُ
وما الشمسُ إِلَّا رسولُ القدرِ
وإن لُمِحَا في مَجَالِ النظرِ
عن الوجدِ في ساعةٍ من ضَجَرِ
سوى لوعةٍ لفؤادٍ شَعَرَ
مَرُوعٍ على لفحةٍ من شَرَرِ
كما اختلفا في فُنُونِ الصُّورِ
وبين ضحاياهِ دهرٌ عَبَرُ
وإن خَفِيتُ عن شُعورِ البشرِ
كأنَّ النهارَ حبيبٌ غَدَرُ

فماتت أشعته المحسنات
وأنشدت وحدي رثاء الجمال

وإن بعثت في ضياء القمر
وقد غرق الناس بين السمر

ملاك أم شيطان؟!

(الرسم للفنان الفرنسي ماناسيه)

الجمالُ الجمالُ في هذه الدُّنْـ
لسبت إلا رموزه لعيونٍ
في مثال الهدوء جلستك الحسـ
جمعت حولك الطيوف فكانت
كلُّ لونٍ له معانٍ بقاقٍ
أين أين الشيطان من ذلك الحُسـ
ما نزعنا الستار إلا وفاءً
منك نستافُ نشوة الفنِّ الوا
يا لآي الإبداع في ذلك الجسـ
هو شعرٌ ومن جناه تداعى
كلُّ جزءٍ له نشيدٌ حبیبٌ
جمعت كلها فكن عجيبيـ

يا هو الخالق الصريح المحبُّ
لحبت فيك نُوره يتوَّلبُ
بناءً لكنَّها شعورٌ تلهبُ
كاجتماع الطيوف من حول كوكبٍ
كمعانٍ إلى السماوات تُسبُ
من ومنه الحياة في الكون تُسكبُ؟
حينما الفنُّ للجمال تعصَّبُ
نأ ومن نبعك المقدسٍ نشربُ
ثم فمته الإيحاء للشعرِ يُطلبُ
صُورٌ للخلود لا تتذبذبُ
في هتافٍ وفي خُفوتٍ مُحَبَّبُ
قد حواه تصوُّفٌ فيك أعجبُ!

ذاك حلُمُ الجمالِ نشوان لا يدُ
عصَّبَ الرأسَ في جلاله سحرٍ
وإذا الشَّعرُ في تموجٍ مأسو

ري نفوساً بحلمه تتعدَّبُ
لا يُداني، وفي تحدٍّ مؤدَّبُ
وفي رقصة الطروب المعدَّبُ

وَإِذَا وَجْهُكَ الْحَيِّ أَفَانِي—
وَتَرَأَى نَهْدَكَ كَالْحَارِسِي حُسْنُ
وَهُمَا فِتْنَةٌ مِنَ النَّسَقِ الزَّا
لَمْ يَزِدْنِي تَأْمُلِي فَيْكَ إِلَّا
أَنْعَشْتُ خَاطِرِي وَقَدْ ذَابَ شِعْرًا

نُ مِنَ الظُّفْرِ وَالرَّجَاءِ الْمَخِيبُ
نَكَ فِي رَوْعَةٍ تَشْوِقُ وَتُرْهَبُ
هِيَ بِإِعْجَازِهِ الْعَتِي الْمُهْدَبُ
صُورًا مِنْ عِبَادَةٍ لَا تُخَيِّبُ
فِي حَنَانٍ وَالِدَهُرٍ بِالنَّاسِ يَصْخَبُ!

الطاووس الأبيض

أَنْتَ فِي الْحُسْنِ مُضْمَرُ اللَّوْنِ وَالْحِلِ
إِنْ يَعْْبُكَ الَّذِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بَعْدَ

يَةِ كَالنُّورِ يُضْمَرُ الْأَلْوَانَا
دُ فَيَكْفِي اجْتِذَاكَ الْفَنَائَا

وحي البحيرة

(نظمها الشاعر في الصباح الباكر في عودته بالقطار من بور سعيد)

وقد ملح عن بعد قوارب الصيد في بحيرة المنزلة)

هَذِي الْأَهْلَةُ^١ مَا لَهَا مَذْعُورَةٌ
جُمِعَتْ وَعَزَّزَهَا السَّحَابُ كَأَنَّمَا
وَإِذَا الْمِيَاهُ مَلَاعِبٌ جَنِّيَّةٌ
وَإِذَا الْمَشَاهِدُ فِي تَحَوُّلٍ سَكْرَةٍ
كَالْعَالَمِ الْمَجْهُولِ نَخْطَفُ حِلْمًا

فَتَلُوحُ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ حَيَارَى؟!
تَخْشَى إِذَا اشْتَعَلَ النَّهَارُ النَّارَا
شَتَّى وَأَعْشَابُ الْمِيَاهِ عَذَارَى
مَنَا، وَنَلْمَحُهَا كَذَاكَ سُكَارَى
بَعْضَ الْحُظُوظِ وَعِنْدَهَا يَتَوَارَى!

^١ إشارة إلى مرأى القوارب عن بعد.

يَثْبُ الخيالُ بنا إلى أكنافها
ويعودُ مدحوراً، فإنَّ رموزَها
إن يدرها أحدُ فطيرٍ شاعرٍ
يقتاتُ بالألوانِ قبلَ غذائه
يقضي الليالي عابداً متبتلاً
وينوح للغرقى، فكم من نجمةٍ
علقتُ به الثاراتُ حتى أنه
وكذاك قلبي طارَ حولَ خيالها
يجري القطارُ ولا أحسُّ به كما
وكأنَّه مرأى الفناءِ محبباً
تتناوبُ الخطراتُ ملءَ تناقضٍ
تجري وتنتظمُ الوجودَ بأسره
هي مسرحٌ تخذُ الخفاءَ جماله
فجمعتهُا بيدِ الأثيرِ ضراعةً

ويثورُ في شَغَفٍ يظلُّ مثاراً
شأتُ الخيالَ وفاتتُ الأسراراً
قد أفحمَ الشعراءَ والأطياراً
مُتَعاً وتشربُ روحه الأنواراً
يدعو النجومَ ويسألُ الأسحاراً
خُدرتُ وقد غرقتُ، ويطلبُ ثاراً
ليعيشُ في عُمرٍ يراه مُعاراً
قلقاً يُراودُ حُسنَها السَّحَّاراً
أحسستُ بالصمتِ البعيدِ جهاراً
بسكونه، وكأنَّه ما ثاراً
لُبِّي كما تتناوبُ الأدهاراً
وترى البحيرةَ كنيةً وشعاراً
فطناً وأرسلَ رغوهُ الأشعاراً
للحسنِ حينَ الموجِ أنْ مراراً!

على حافة التربة

(في ضاحية المطرية)

أمتعتُ بالماءِ المهفُفِ ناظري
وكأنما هي في الحياةِ أصيلةٌ
سحرٌ تكفُّلَ موجِّهٍ بوجوده
ورشيقةُ الحشراتِ تلعبُ حوله

وبه الظلالُ عن الغصونِ تشفُّ
والأصلُ ظلٌّ في الهواءِ يَرفُّ
وقد احتواه وما احتواه الطرفُ
وتطيرُ وهي من الحبورِ تخفُّ

دنیا خیالِ والحقیقةُ عندها
سكنَ الغرامُ بها فكلُّ مليحةٍ
مِنْ كُلِّ نَبْتٍ لَا يَجُلُّ وَإِنَّمَا
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بَزِيٍّ بِعَوَضَةٍ
مِنْ كُلِّ غَائِصَةٍ يُحَارِبُ عَيْشَهَا
الْفَقْرُ يَشْمَلُهَا جَمِيعاً بَيْنَمَا
وَنُحْسٌ نَحْنُ بِفَقْرِنَا وَخُشُوعِنَا

ما يُلهم الوهمُ الحبيبُ ويصفو
بحبيبِها تَعْتَرِزُ أَوْ تَلْتَفُ
الْفَنُّ مَجْدُهُ وَيَأْبَى الْعُرْفُ
وحياتها دنيا عداها^١ الوصفُ
عِلْمٌ، وَيَنْصَرُّهَا الْجَمَالُ فَتَطْفُو
الْفَنُّ يَكْسِبُهَا غِنًى فَتَعْرِفُ
فَنظْلُ نَنْهَبُ حُسْنَهَا وَنَسْفُ!

القلادة المحسودة

يا ليتني الجعرانُ في الجيدِ
مترنحاً مِنْ لُطْفِهَا الْغَالِي
مُتَسَلِّسلاً وَالْقَيْدُ لِي نَعَمُ
قَدْ صَبِغَ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ حَجَرٍ
وَأَنَا الْمَصُوغُ عَوَاطِفاً كَرُمْتُ
فَأَنَامَ فِي حُلْمٍ عَلَى حُلْمٍ

متوثباً في كلِّ تنهيدٍ
واللطفُ تَشْرِيدِي وَتَبْدِيدِي
فَالْحُسْنُ تَنْعِيمِي وَتَقْيِيدِي
وَكِلَاهُمَا الْفَتْنَانُ لِلْغَيْدِ
أَتَرَى أَنَا لِرَعَايَةِ الْجِيدِ؟
مَتَيْقِظاً فِي كُلِّ تَنْهِيدٍ!

^١ عداها: لم يدركها.

التعاون

(ألقيت في حفلة تكريم رجل التعاون والقلم الصديق الأديب محمد عبد الغفور

يوم أول يوليه سنة ١٩٢٤ بمدينة زفتى، وقد أقامها ممثلو الجمعيات التعاونية

والأدباء في منطقته)

أَمَحَرَّرَ الْفَلَاحَ مِنْ أَغْلَالِهِ
ذَوَّقْتَهُ مَعْنَى التَّعَاوُنِ بِإِذْلًا
كَمْ مِنْ لَيَالٍ قَدْ سَهَرْتَ لِنَفْعِهِ
كَالنَّيْلِ يُعْطَى الْخَصْبَ رَغْمَ رُسُوبِهِ
الآن يُنْشِدُكَ الْوَفَاءَ جَمِيلًا
فَاقْبَلْ تَعَاوُنَ حُبِّهِ مَبْذُولًا
حَتَّى مَرَضْتَ وَمَا مَرَضْتَ بِخِيَلَا
وَكِفَاكَ أَنْ تُرْضِيَ أَبَاكَ (النَّيْلَا)!

(زفتى)! يَفَارِقُكَ الْأَبْيُّ بِرُوحِهِ
الْغَرْسُ قَبْلَ رَاحَتِهِ بِنَضْرُوقِ
وَالْجَوُّ فِي خَطَرَاتِهِ أَنْفَاسُهُ
الْمُنْقِذُ الْفَلَاحَ يَعْرِفُ أَصْلَهُ
إِلَّا عَلَيْكَ مُسَاءً لَا وَسْوَولا
وَالْمَاءُ أَشْبَعَ سَعْيَهُ تَقْبِيلًا
تُوحِي لِأَنْفَاسِ الْعَفَاةِ جَلِيلًا
هَذَا الثَّرَى وَذَوِيهِ جِيلًا جِيلًا
أَلْقَا، وَكِي يَهَبُ السَّلَامَ ظَلِيلًا
فَيُظِلُّ يَدَاكَ كِي يَزِيدَ شُعَاعَهُ

(عبد الغفور) وَأَنْتَ جَمُّ مَوَاهِبِ
جَاءَتْ تُكْرِمُكَ الْمَآثِرُ حُرَّةٌ
وَكَأَنَّ عُمُرَكَ نَفْحَةً عَلْوِيَّةً
فَأَثَارَ خَاطِرِي الْكَلِيلَ، وَمَنْ يَنْلُ
وَبَعَثْتُ شِعْرِي كَالصَّبِيِّ لِأَهْلِهِ
يَا مَا أَقَلَّ النَّاسَ مِثْلَكَ قُدُوةً
كَرُمْتَ فَمَا تَتَطَلَّبُ التَّبْجِيلَا
قَبْلَ الْوُفُودِ، وَتِلْكَ أْبْلَغُ قِيلَا
لِلشُّعْرِ فِي زَمَنِ نَرَاهُ عَلِيلَا
وَحَيًّا كَوَحْيِكَ لَنْ يَكُونَ كَلِيلَا
فَرِحًا يَعَانِقُ رَاحِلًا وَخَلِيلَا
وَمُودِّعِيكَ الْأَوْفِيَاءَ مَثِيلَا!

الحقول

(خواطر السفر)

أَهْلًا سَرِيَّاتِ الْحَقُولِ! أَعُودُ فِي
وَيَطِيرُ بِي هَذَا الْبَخَارُ كَأَنَّمَا
مَا بَالُهُ يَطْوِي الْفِرَاسِخَ بَيْنَمَا
بَعَثَ الرَّجَاءَ بِكُلِّ زَهْرٍ فَاقِعٍ
وَالْجَدُولُ الْجَارِي يَصُونُ ثَرَاءَهُ
وَالْفَالِحُونَ الزَّارِعُونَ حَيَالَهُ
وَقَفُوا وَقُوفَ الذَّلِّ عِنْدَ نَضَارِهِ
فِي أُمَّةٍ هُمْ مَجْدُهَا لَوْ أَنَّهَا
سَادَ الطِّغَامُ بِهَا وَهَانَ عَزِيزُهَا
وَالشَّعْبُ مَا لَمْ يَسْتَعِزَّ بِذَاتِهِ

شَغْفِي، وَيَأْبَى لِي الْقَطَارُ لِقَاءَ!
يَخْشَى عَلَيَّ الْفِتْنَةَ الْعَمِيَاءَ!
هَذَا ابْتِسَامُكَ كَالشَّمُوسِ أَضَاءَ؟
لِلْقَطْنِ وَضَاءٌ غِنَى وَرَجَاءُ
أَوْ يَسْتَحِيلُ إِذَا رَوَاهُ ثَرَاءُ
أَمْرَاءُ لَوْ لَمْ يَبْلُغُوا الْأَجْرَاءُ
يَتَبَادَلُونَ الْحَسْرَةَ الْخَرَسَاءُ
رَشَدَتْ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهَا الْجِبْنَاءُ
وَسَمَا الْبِنَاءُ وَخَانَتْ الْبِنَاءُ
بَاتَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ فِيهِ سَوَاءُ

الأشجار الشريفة

(صورة سريعة)

وَقَفْتُ مُشَرَّدَةً إِزَاءَ (النَّيْلِ)
لَكِنِّهَا تَلْقَى الْهَجِيرَ عَذَابَهَا
وَقَفْتُ مُشَرَّدَةً كَصُورَةِ أَهْلِهَا
وَعَوِيلُهَا لَفَحُ الْهَجِيرِ، وَذُلُّهَا

و(النَّيْلِ) فِي جَدْوَاهُ غَيْرُ بَخِيلِ
وَالْمَاءُ لَا يَرُوي ظَمَاءَ ذَلِيلِ
مُتَفَرِّقِينَ عَلَى أَسَى وَعَوِيلِ
ظِلٌّ مِنَ الْأَغْصَانِ غَيْرُ ظَلِيلِ

فرحة الألوان

(من مشهد فتاة ريفية ذات ملابس زاهية الألوان)

سـيرى بفرحة لونك الزاهى إذا افتقد السـرور	لم يبق للريف الجمى
لـ سوى الأشعة لا الشعور	سـيرى فـألوان الثيا
بـ غرورها أشهى الغرور	وإذا حكى لون الدما
ءـ فأى قلب لا يثور؟!	هـذى كنوز الحيا
ةـ وأهلها أهل القبور	لم يبق من سلوى لهم
إلا التـوهّم فى النشـور!	

الأرز الطاش

(من إحياء السفر من نافذة القطار)

الأرز ما ج على الحقول	فكأنه قلق الملول
مترنحاً مترنحاً	وكأنما الماء الشمول
فى خضرة مصفرة	فاللون شمس لا تحول
ونضارة ذهبية	جمعت لتشر فى الأصيل
يروى ويروى وهو لا	يروى من الظمأ المهول
ظمأ الحياة إلى الحياة	وليس من ظمأ الحقول
متصوفاً وهو الجمى	لـ بكل مجهول جميل
متلهفاً متضارباً	متطلعاً للمستحيل
والأرض تأبى طيشه	وترده ردّ البخيل!

بنات الشفق

(نظمت عند شاطئ استانلي)

لبسنَ الجمالَ جمالَ الشَّفَقِ	ووزَّعْنَ أحلامَه في الغسقِ
وسِرْنَ على خطراتِ النسيمِ	فأفعمنَّه بالهوى والعَبَقِ
عرايا تصوِّفنَ بينَ الفنونِ	وأشعلنَّها في النُّهى والحدِّقِ
تخطَّرنَ في صُورٍ مِن حنانٍ	تشرَّبها الموجُ بعدَ الأفقِ
وأرسلنَ في كلِّ قلبٍ حياةً	وهذي حياةٌ تحاكي الغرقِ
تَشَبعتُ مِن سحرِها العبقريِّ	وأكذبُبه في فتونٍ صدقِ
فأنشَقُ أنفاسَ هذه الحياءِ	ويملاً رُوحِي هذا الألقِ
وأعبدُ أعضائهنَّ الغوالي	كأنِّي أعبدُ ربَّ الفَلَقِ
تموَّجُنَ في روعةٍ للجمالِ	وفي لَهفةٍ للأُماني أدقِ
وفي سُمرَةٍ من معاني الخُمورِ	وفي حُمرةٍ من معاني الشَّفَقِ
وفي جرأةٍ للجمالِ العزيزِ	كأنَّا نقدُّسُهُ مِن فَرَقِ
تَواعَمَ في كلِّ أجزاءِه	وإنَّ ثارَ بينَ الوريِّ وافترقِ
نتابعُهُ بعميقِ الخشوعِ	ونغنمُ منه الهوى والأرقِ
ونعبدُهُ في حنينٍ يثورُ	وفي شعيرِ قلبٍ شَجِيٍّ خَفَقِ
وفي لثماتِ لنا في احتجابِ	تَراءى النسيمُ بها أو نطقِ
فيا مَعبدَ البحرِ عِشْ للجمالِ	وعِشْ للغرامِ وصُنْ مَنْ عَشِيقِ!

الراقصة بيا

(سونيئة)

يا (ببا) يا (ببا) يا فتن الصُّبا
يا مُتَّعَ الهوى يا نُخِبَ المنى
نهايةُ الغنى سناك لا الغنى
يا رقصه حوت ما عالم أبى
للعنة الصُّبا!

إلى ناقد الجمال

(مهداة إلى الصديق الأديب حسن بهجت)

يا ناقدَ الحسنِ الأصيلِ وما له
أمنتُ بالذوقِ الذي أبدعته
هاتِ الحديثَ عن الجمالِ فإنني
وصِفُ العيونِ لنا وما حَبَّبْته
وصِفُ الجوارحِ كُلِّها في قُدرةٍ
وصِفُ الخوالجِ والعواطفِ والمنى
وجميعَ ما تختارُه وتُعزِّه
صِفْ ناقدًا ومحلًّا فلربما
رَدُّ لأحكامٍ ولا لغرامٍ
من خالصِ الإلهامِ للإلهامِ
لحديثك الفنيَّ أشوقُ ظامي
من كلِّ معنى فاتك بسَّامٍ
وصِفِ الهوى والخالقِ الرسَّامِ
واليأسَ في الرقصاتِ والأنغامِ
ونماذجِ الأشواقِ والأحلامِ
أشبعْتَ بالأوصافِ كلَّ غرامٍ!

قصائد الحقول

مُبْدَعَاتُ فِيهَا الرُّوْيُ مِنَ الْمَا
وَالنَّبَاتُ السَّرِيُّ وَالنَّاسُ وَالْحَرُّ
أَتَمَلِّي الَّذِي تَمَثَّلَ فِيهَا
لَيْتَ شِعْرِي: أَتِلُكَ مِنْ مُهْجَةِ الْإِنْدُ
ذَاكَ شِعْرُ الْحَيَاةِ الْفَاطِظَةِ الْخَلْدُ
وَهُوَ بَعْضُ مَنْ عَالَمٍ كُلُّ مَا فَيَدُ

تَلَالَا عَلَى الْحَفَا فِي الْحَسَانِ
تُ وَشَتَّى الْحَيَاةِ بَعْضُ الْمَعَانِي
كَتَمَلِّي الْفَنَّا لِلْفَنَّا
سَانِ شَاقَتْ أُمُّ مُهْجَةِ الدِّيَّانِ؟!
قُ وَأَحْدَاثُهُ فَنُونُ الْبَيَانِ
هُ أَنَا شَيْدُ شَاعِرِ فَنَّا!

تصوّف الطبيعة

تَصَوَّفَتْ فِي فصولِ الْعَامِ أَجْمَعِهَا
غَفِي الرَّبِيعِ مَعَانٍ مِنْ تَيَقُّظِهَا
وَيَجْمَعُ الصَّيْفُ أَلْوَانًا تُعَذِّبُهَا
حِينَ الْخَرِيفُ صَلَاةً كُلُّهَا لَهْفُ
بَيْنَا الشِّتَاءُ صِيَامٌ، فِي تَجَرُّدِهِ

حَتَّى الرَّبِيعِ وَحَتَّى الصَّيْفِ أَرْضَاهَا
وَمِنْ مُنَاجَاةٍ مَنْ بِالْحَبِّ نَاجَاهَا
مِنْ التَّحَرُّقِ فِي تَرْدِيدِ نَجْوَاهَا
وَكُلُّهَا شَغْفٌ مَا كَانَ لَوْلَاهَا
أَبْهَى التَّصَوُّفِ، أَسْمَاهَا وَأَغْنَاهَا!

كُلُّ الْفصولِ جَمَالٌ فِي تَصَوُّفِهَا
رَأَيْتُهَا مِثْلَ (سَافُو) فِي مَلَاَحَتِهَا
فِي زَهْوِهَا الْحُلُوِّ أَوْ فِي لَفْحِ غَضَبَتِهَا
هِيَ الْجَمَالُ بِأَلْوَانٍ مَنُوعَةٍ

لَوْ أَنَّ قَدْ عَرَفْنَا بَعْضَ مَعْنَاهَا
يَبُوحُ بِالشُّعْرِ لِلْأَحْيَاءِ مَرَّهَا
أَوْ عِنْدَ ثَوْرَتِهَا أَوْ عِنْدَ سُكْنَاهَا
وَحَسْبُنَا مِنْ مَجَالِيهِ مَحْيَاهَا!

المرآة العميقة

(كثيراً ما يقف الشاعر في الصباح الباكر عند ترعة المطرية ينتظر السيارة بينما يقرأ
في الماء أمثال هذه المعاني)

أرِشَةُ الماء هذي	عواطفٌ للغدير؟
وحُضْرَةُ الماء هذي	رمزٌ لروحٍ قدير؟
تُقيم فيه المرآتي	حُلًى لغير انتهاء
غنى لرائٍ ورائي	في الأرضِ أو في السماء!
قد مَسَّها الحبُّ حتى	صَفَتْ صفاءَ الحنينِ
فلمستُ أعرفُ نعتاً	لها يحاكي حنيني
قرأتُ فيها المعاني	من السماءِ تُطْلُ
وكلُّ معنىٍّ أمامي	يجلُّ عمًّا يجلُّ
لكن أحسُّ بروحي	فيها المرآتي الخفية
كأنما الماءُ يُوحى	رسالةَ العبقريِّه
ما ذا تَحْجِبُ فيه	وطبْعُه أن يبوح؟
حتى على عاشقيه	يُخفي شعورَ الصريح
يا ماءُ كم فيك معنى	شأى المعاني العميقة
أحسُّه وهو يخفى	كما تُحسُّ الحقيقة

ذكري ميت غمر

إن أنس ليلة (Bella Vesta¹) حينما
هيهات أنسى رحلتي وتمعني
سرنا إزاء الماء نطوي جسره
فنصون في أسما عننا نسأله
والليل كالصب الكثوم فسره
وكلاهما متمازج متماثل
سرنا ووحي الليل يشملنا هدى
وطويل أشعة الزوارق بينما
والماء في الرياح ملء سكونه
تخذ الحقول جواره ندماءه
ونرى مصابيح الزوارق حالها
المالكون حيالها في فرحة
حتى أتينا (ميت غمر)، دليلنا
دنيا عواطفها انتظمن حدائقاً
وحنيئة القصباء تحسب عندها
والنيل في روع التقى نسيمه
ولقد جلست إلى صباحة رفقة
فبكل لفظ من محبتهم غنى
حتى نسيت الوقت كيف أعدّه

لاقى الصباح الليل بين يدينا
في الليل عندك لا أبالي الأتينا!
والماء في عجب يسائل عنا!
ونمر نخطف منه معنى معنى!
بار وخاف: في دجى وشعاع
إلا على الفنان والإبداع
ووساوس الغرس الحفي الراني
هزّت من النسمات والألحان
قلق وعطف في سمات الشاعر
وتخذّته رمزاً لرب قاهر
حال الطفولة في التوثب نورها
بشعورها وغناؤهم تصويرها
نسماتها وعبيرها وضياؤها
وترف في صحف المياه سماؤها
همساً ونمخ في المخابئ (موسى)
وكأنما أسرى النسائم (عيسى)
جعلوا المساء منوراً ماثورا
كالنور، والإيناس بزّ النورا
بعض الوجود ونحن لا نرضاه؟

¹ بلافتا - من ملاهي الإسكندرية.

² الرياح التوفيقى، وقد صحبه الشاعر بالسيارة ليلا من بنها إلى ميت غمر.

ربطَ الهوى بين القلوب فكلُّ ما
وأتى النَّهارُ وكم حَمَّتهُ أطايبُ
والنيلُ يدعوننا فنَقْبَلُ جُوده
فرحتُ بنا فرَحَ الكريمِ بضَيْفه
وكأنَّه شِعْرُ الحنانِ مرحباً

عادى الهوى ننسَاهُ أو نأباهُ
غَنَّى بها المجدافُ والملاحُ
وكأنَّما أمواجهُ أفراحُ
وتألقَ الزبدُ الوضيءُ عليها
وكأنَّما كنا نحجُّ إليها!

في حمى الهدير

(جلسة في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

ها هنا في حمى الهديرُ
نُطْلِقُ الشُّعْرَ والشُّعُورُ

ووثبة الموج ثائراً
ونجعل الروضَ شاعراً!

ها هنا والعشبُ جَمُّ الظلالِ
فلا نرى إلا معاني الجمالِ
والنيلُ يجري في ابتهاجٍ عجيبِ
يجري كما يجري الشُّرُودُ الغريبِ
بَعَثَرُ الموجِ وسرَّ سَيْرِ ماءٍ
ما أروعَ الحمرةَ مثلَ الدِّماءِ
يا راوياً تهديرُهُ ما رَوَى
إنَّ يُحْجِزُ الماءُ ففِيكَ انطوَى
يا نيلُ حرٌّ أنتَ مهما سَعَوْا
تفيضُ بالحبِّ لمن قد رَعَوْا

نسائل الربوةَ عن حُلْمِها
تهفو مِن الأرضِ إلى أمِّها
ورعشةُ النورِ على صدره
في سَكْرَةِ الجاري إلى قبره
يا نيلُ! لكنْ قفْ بروحِ الحبيبِ
في هذه اللهفةِ بين القلوبِ
مِن سيرةِ الناسِ وسَيْرِ العصورِ
من هذه الأسرارِ وحيِّ الأثيرِ
في حِجْزِكَ اليومَ فأنْتَ الأبى
عهدَكَ الحرةَ فيضُ العَتِي

وهذه الأشجار مثلي لها
وهذه الخُضرة في سَمْعِها
رَوَيْتَها بالصوت أو بالمتى
والراحلُ الماضي-كمن قد مضى-

ووثبة الموج ثائراً
ونجعل الروض شاعراً!

ها هنا في حمى الهديرِ
نُطْلِقُ الشُّعْرَ والشُّعُورَ

السنوبر الكاذب

(في حديقة دهتورة عند قناطر زفتى)

كلُّ الحنانِ لديَّ لو حادثني
أتراك أنتَ مثيلهم في فهمهم؟
تهواه أنتَ من الملاحه قد سما
في ذوقها جازتْ مَدَى الفنَّانِ؟
مثلي وللغرسِ المهْفَهْفَه لفتة
فانظر إلى الشجرِ الصديقِ الحاني!

عُدْ يا غرابُ إليَّ! عُدْ! لا تَخْشَنِي!
هذا السنوبرُ كاذبٌ في وَهْمِهِمْ
أخْشَيْتَنِي وخَشِيَّتُهُ أمْ أَنْ ما
وأنا القنوعُ وأمةُ الغربانِ
عُدْ يا غرابُ! فالسنوبرِ دعوة
فإذا أبيتَ صداقةَ الإنسانِ

زفتى في الماء

(لمحة من شاطئ ميت غمر)

والضَّوءُ فوقَ حنانهِ مبهوتُ
وسواه في الماءِ العَتِي يموتُ

أَلَقْتُ على (النيل) المُغازِلِ ضَوْعَها
لكنَّما يحيا على تَحَنُّنِهِ

وتلوحُ أخيلةُ الضياءِ غرائباً
و(النيلُ) حيٌّ كائنٌ فشراؤه
أرسلتُ أحلامي إليه سوائلاً

فيهنَّ (أوزيريسُ) والتابوتُ
في الذكرياتِ وفي الأشعةِ قوتُ
فرجعتُ لي شعراً عليه حييتُ!

رثاء هند نبرج

(توفي زعيم الأمة الألمانية وقائدها الأعلى في الثاني من أغسطس سنة ١٩٢٤)

يا شهيداً في (تنبرج) أناءٌ
عشتَ للشعبِ ومِتَ المرتجى
ليس مَنْ يمضي شهيداً في الوغى
ليس مَنْ يحفظ حقَّ الأقوياءِ
نَمْ هنيئاً أيها الشيخُ الذي
نَمْ هنيئاً! ذاك حقُّ نلتَه
واسعَ الحيلةِ منقضّاً بها
نَمْ هنيئاً إن يك الموتُ وغى
نَمْ بثربٍ ناضِرٍ قدسنتَه
كلُّ شبرٍ منه ذكرٌ رائعٌ
ضمختَه عِزَّةٌ روحيةٌ
شرفُ الأوطانِ جيشاً مُزِيداً
حينما حاصرتَ جيشاً مُزِيداً

هكذا المجدُ ووحيُ الشهداءِ!
بازلِ النَّفْسِ شُعاعاً ومضاً
فوقَ مَنْ يمضي شهيداً في البناءِ
مثلَ مَنْ يُرجعُ حقَّ الضعفاءِ
جَدَدَ الشعبِ شباباً ودماءً
بالخطرِ النَّصْرِ بدءاً وانتهاءً
فإذا الباغي هباءٌ في هباءٍ
فخلودُ الذكرِ حربٌ للفناءِ
بالضحايا البُسلاءِ السُّعداءِ
ومعانٍ مِنْ تَفانٍ وفداءٍ
ودماءٍ فذرُّها فوقَ الدِّماءِ
واباءُ الضَّيِّمِ في يومِ الإباءِ
بين نارينِ لأجنارٍ وماءٍ

^١ أفاء: رجع، وتبرج هي القرية التي دفن فيها الفقيد والتي كانت أصل شهرته إذ تركز فيها القتال بين الروس والألمان في بروسيا الشرقية.

حينما غطى البحيرات اللظى
والعدو الضخم في مصيده
لم يجد في الأرض أدنى مهرب
وهوى في الأسر لا عن ضلة
إنما صادته من أحلامه
قوة الإخلاص في تضحية
قوة تعريفها أسمى مدى

يا دفيناً في (تنبرج) أفاء
بطل الحرب جريئاً فاتحاً
والأجل الشئهم في كسرته
شامخ الرأس يفدي تاجه
يا عظيم الخلق سلماً ووغى
لم يغال الشغب في تكرمة
كيف والنفس التي بددتها
نعشك الهادي ما أشبهه
حاطه من كل ذكر أثر
دائم الرهبة من شخصك في
دائم الروعة في تقديسه

يا دفيناً في (تنبرج) أفاء

وترأى شعلة نفس الهواء
فاتت اليأس ولم تغد الرجاء
وتناعت عنه أسباب السماء
أو غباء، وهو في أسر الذكاء
قوة فوق القوى والأقوياء
عند ما أحرق بالشعب البلاء
من تعاريف التفاني والفداء!

هكذا المجد ووحي الشهداء!
يملاً الرغب لذكراه الفضاء
يجعل التسليم كالفتح سواء
ويصون الشغب صون الأمان
وعديم المثل في يوم الوفاء
أو بقربان لحب ووفاء
هي أسمى من بروج وبناء؟
بسكون الدهر من بعد القضاء
ناطق قبل البرايا بالثناء
حرم الخلد ومحراب البقاء
وكان الحب هالات الضياء!

هكذا المجد ووحي الشهداء!

لَكَ فِي الْمَوْتِ الَّذِي كُنْتَ تَشَاءُ
وَلَكَ الْمَجْدُ الَّذِي أَطْلَعْتَهُ
مُعْجَزُ الْقَرْنِ الَّذِي لَمْ يَحْتَفَلْ
جَنَّتُهُ الْمُنْقَذُ مِنْ أَدَوَائِهِ
أَو! مَنْ لِي أَنْ أَرَى فِي وَطَنِي
نَحْنُ صَرَعَى مَاتُمْ فِي مَاتُمْ
بَيْنَمَا شَعْبُكَ فِي لَوْعَتِهِ
مَا زَعِيمٌ أَنْجَبْتُهُ أُمَّةً
إِيهِ (هِنْد نَبْرَجُ)! هَذِي غَايَةٌ:

مِنْ وَفَاءٍ، وَلَكَ الْحَيُّ النَّدَاءُ
لِشُعُوبِ الْأَرْضِ نُوراً يُسْتَضَاءُ
أَهْلُهُ إِلَّا بِبَطْشِ أَوْ رِيَاءِ
بِالْعَظِيمِ الْخُلُقِ حَيُّ الْكَبْرِيَاءِ
هَذِهِ الْعِزَّةُ فِي يَوْمِ الْعِزَاءِ
حَرَمَ الْبَدَلُ بِهِ حَتَّى الْبُكَاءِ
رَافِعُ الْهَامَةِ مُحْسُودُ اللَّوَاءِ
مِثْلَ مَنْ أَنْجَبَ فِيهَا الزُّعْمَاءِ
عَظَمُ الْمَوْتِ وَوَحْيُ الْعِظْمَاءِ!

الواز وأبيلارد*

Héloise & Abélard

(قصة الحب الخالد)

كان (أبيلارد) من أشهر فلاسفة المسيحية في القرن الثاني عشر للميلاد وبلغ مركز أسقف كنيسة (نوتردام دي باري) في شبابه بفضل معارفه وذكائه الخارق كما كان معلماً محبوباً ساحراً، فانتُخب معلماً للآنسة الحسناء (إلواز) قريبة الأسقف (فُلبيير) ومن ثمة بدأ الحبُّ ينشأ بين (أبيلارد) و (إلواز) حتى بلغ غاية العشق والشهوة، ففُصِّلَ بينهما ونال (أبيلارد) من التَّعْدِي الوحشيِّ عليه ما ناله بإغراء (فُلبيير).. وأخيراً صار (أبيلارد) راهباً كما ترهَّبَتْ (إلواز) وعانى (أبيلارد) الكثير من الاضطهاد ومات سقيماً، وعاشت (إلواز) بعده سنين في عذاب الحبِّ

* تجد تفاصيل هذه القصة في كتاب (Personality) تأليف ماجوري بارستو جرينبي، ص ١٣٤.

الغبين. وبعد وفاتهما بزمانٍ جمع الأبرارُ رفاتهما برأً بذكرهما في مدفنٍ واحدٍ،
وهما الآن مدفونان بمقابر (بير لاشيز) بباريس.

أَيُّ مَعْنَى مِنَ الْجَمَالِ أَيُّ مَعْنَى مِنَ الْهَوَى
لَمْ يَخَافَا مِنَ الْمُحَالِ حِينَ خَافَا مِنَ النَّوَى
فِي نَعِيمٍ مِنَ الْأَلَمِ
وَحَيَاةٍ مِنَ الْعَدَمِ؟!

نَشَدَا جَوْهَرَ الْحَيَاةِ فَإِذَا الْحُبُّ صَائِتُهُ
نَشَدَاهُ بَلَا انْتِبَاهِ حِينَ نَادَتْ مَفَاتِيحُهُ
نَافِذَاتِ إِلَى الصَّامِتِ
دَافِقَاتِ مِنَ السَّغَمِ!

مَا رَعَى الْحُبُّ فِيلَسُوفَ إِنَّ لِلْحُبِّ رِيَاءَهُ
لَا وَلَا الْعَالَمَ السَّخِيفَ وَهُوَ يُرْضِي جُنُونَهُ
بَلْ دَعَا الْحُبُّ عَابِدِيهِ
دَعْوَةَ الْخَالِقِ النَّزِيهِ

قَدْ هَوَى الْأَسْقَفُ الْعَظِيمَ فَتَسَامَى وَقَدْ هَوَى
إِيَّاهُ (إِلَوازُ)! هَلْ غَرِيمَ مُرْشِدُ خَلٍّ مَا ارْعَوَى
وَضَلَالُ الْهَوَى هُدًى
وَهُدًى غَيْرُهُ سُدًى؟!

كُنْتُ تَلْمِيزَةَ الْعُلُومِ ثُمَّ أَسْتَاذَةَ الْغُرَامِ
فَتَسَاقَيْتُمَا النِّعِيمَ وَتَنَاسَيْتُمَا الْأَنَامَ
فِي وَجْهِ حَوَاكِمَا

لَمْ يَنْلُسْهُ سِرًّا وَاكْمَا!

تُرْتُمَا ثَوْرَةَ الْغَرَامِ وَأَتَى بَعْدَهَا اللَّهَبُ
لَمْ تَخَافَا مِنَ الْحَرَامِ هَلْ حَرَامٌ لِمَنْ أَحَبُّ؟

وَأَبَى الدَّهْرُ مَا أَبَى

مِنْ وَصَالٍ وَمِنْ صَبَا

فَإِذَا الْحَرْبُ مُعَلَّنَةٌ وَيَلْ حَرْبٍ لِعَاشِقَيْنِ

لَيْسَ لِلدَّهْرِ مِنْ سِنَةٍ عَنْ حَيِّبَيْنِ صَادِقَيْنِ

سُنَّةُ الدَّهْرِ دَائِمَا

سَادَ فِي الْحُبِّ ظَالِمَا!

أَيُّهَا الدَّيْرُ مَرْحَبَا إِنَّ غَدَا الْحُبِّ كَالشَّرِيدِ

مَلْجَأُ الْحُبِّ إِنَّ أَبَى عَالَمُ الْأَسْرِ وَالْعَبِيدِ

عِزَّةُ الْحُبِّ فِي الثُّرَى

وَهُوَ مَنْ أَلْهَمَ الْوَرَى!

فُرْقَا بَعْدَ نِعْمَةٍ فِي وَصَالٍ هُوَ الْحَيَاةُ

فَتَدَاوَى بِنَقْمَةٍ وَالتَّدَاوَى مِنَ الْمَمَاتِ

فِي اعْتِزَالٍ كَلَاهِمَا

نَالَ مَا نَالَ مِنْهُمَا

وَعَدَتْ قَسْوَةَ الْأَنَامِ وَعَدَتْ قَسْوَةَ الزَّمَنِ

و (أَبِيلَارْدُ) فِي الرَّغَامِ حِينَ (إِلَوَانُ) فِي الْحَنَنِ

وَإِذَا الْمَوْتُ رَاحِمٌ

وَإِذَا الْمَوْتُ ظَالِمٌ!

ماتَ والموتُ في العذابِ في اضطهادٍ على اضطهادٍ
شأبه الوصلَ لا العقابُ إنَّ يصنَّ ذكْرُهُ الودادُ
فإذا الموتُ مَغْنَمُهُ

وإذا العيشُ مَأْتَمُهُ!

ومضتْ بعدَهُ السُّنُونُ في حماها ناشِـيْدُهُ
حينَ (إِلَوازُ) في جُنُونُ دائِماً تَسْـتَعِيدُهُ
مِنْ أُنَاشِيدِ النَّهَرِ

في حَنانٍ مِنَ القَمَرِ!

وإذا الموتُ مُشْفِقاً جاءها بَعْدُ قَائِداً
ما رَأَتْهُ مُنَافِقاً أو رَأَتْهُ مُعَانِداً

هو أَصْفَى مِنَ البَشَرِ

هو أَحْنَى مِنَ القَدَرِ!

فإذا الحُبُّ في التَّوَرَى قِصَّةٌ جِدُّ خَالِدَةٍ
قد عَراهُ الَّذِي عَرَى وثَوَى الحَسَنُ عَابِدَةٍ
رَغَمَ دُنْيَا مُعَانِدَةٍ

بَقِيَا وَهِيَ بَائِدَةٍ!

رَقِداً رَغَمَ فَرَقَةٍ رَقِدةَ الموتِ في حَنانِ
حَقِبةً بَعْدَ حَقِبةٍ فإذا المُذْنِبُ الزَّمانِ

يُنْصِفُ الحُسْنَ والهَوَى

مِثْلَ مَنْ تَابَ أو هَوَى!

وإذا طاهرُ الرُّفَاتِ يُجْمَعُ الآنَ في المَمَاتِ

بعد أن ذاق في الحياة كل لونٍ من الشُّتاتِ
 ذاك قـَـبـرٌ مـُقـدَّسُ
 كلُّ ما فيه يُخـرَسُ!
 رَقَدَا الآنَ في وصالٍ رقدةَ الحبِّ والجمالِ
 واستباحا من المحالِ كلَّ غـالٍ وكلَّ غـالِ
 ثمَّ نـالـا من الدُّمـوعِ
 كلَّ شـعـرٍ لـنا يـضـوعُ!

نصير العمال

(إلى الشريف عباس حليم في سجنه)

مهما اضطهدتَ فثِقْ بأنك غايةٌ للحبِّ، لا لإسـاءةِ الأعداءِ
 عادوكَ للشرفِ الرَفِيعِ وإنَّما هو وحده الباقي على الأنواءِ
 يا خادِمَ العـمـالِ حـسـبُكَ رُتـبـةٌ في الناسِ هذا البرُّ بالضُعفاءِ
 بئسَ السـيـاسـةُ! بئسَ! كيف تـعـيبُ ما أولى به الإكـرامُ في الكرماءِ؟
 إن حَرَمْتَ لِقَبَ "النـبـيلِ" فإنَّما أنتَ العـظـيمُ النـبـلِ في النـبـلاءِ
 أو أودعوكَ السـجـنَ فهو مـثـابـةٌ من وصمةِ الجبروتِ للشرفاءِ
 ولـسـوفَ تـرفـعُ رَأْسُكَ العـالـيَ غـداً في حينِ تُخَفِّضُ أَرُوسَ "الرؤساءِ"
 هـذـي الجـنايـةُ من تـفـرِّقُ أمةً شَقِيتَ مرافقُها من الرُعماءِ
 ما ضرَّهم لو ناصروا (الوفدَ) الذي ما زال مَطْلَعُ عِزِّهِ ورجاءِ؟
 ما ضرَّهم؟ وهل التفرُّقُ والهوى إلَّا مَهاوِي الدُّلِّ دونَ مرأى؟
 بئسَ السـيـاسـةُ! تَقْتُلُ الخـيـرَ الذي يُحـيـي الإخـاءَ، فماتَ كلُّ إخاءِ!

نور الشمس

تناولته الإعجازَ مِنْ صُنْعِ خالقي
ألم يكُ بَعْضَ الشمسِ منذ دقائقٍ^١
تفجَّرَ منها كالدينابيعٍ دافقاً^٢
وفاض بسوحٍ كالعواصفِ خافقٍ
وأفعمنا: لم نَدْرِ هل هو طاقةٌ
تسيلُ أم الدَّرَاتُ من سهمٍ راشقٍ^٣
يُقبِلُنا في الصُّبحِ تقبيلَ وامقٍ
وعند غروبِ الشمسِ في رُوعٍ عاشقٍ
ويَضْرِبُنا في لَفْحَةِ الظهرِ جانياً
كأنَّنا تلقينا أراجيفَ حانقٍ
وهل كان نُورُ الشمسِ مُراً وسائغاً
سوى جِوهرِ الدُّنيا ورمزِ الحقائقِ؟

قطار الفن

(خواطر شعرية نظمها صاحب الديوان في قطار البحر يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٢٤)
وقد نعتَه بقطار الفن لما فيه من نماذج الجمال الكثيرة وأهل الفن
وكان في صحبته الشاعران الدكتور زكي مبارك وعبد العزيز عتيق)
سِرُّ يا قطارُ مجازفاً ومُغامراً
أو طِرْ فحظُّك أن تكون الطائراً^٤
حُمِلَتْ ألوانَ الجمالِ، ومَنْ يَنْلُ
ما قد حَمَلَتْ يَطِرُ جريئاً قادراً
هذي الحقولُ تَلَفَّتْ لكَ بغتةً
متعجباتٍ كالسحابِ شواعراً
يرقصن في وهَجِ الأشعةِ مثلما
ماج الهواءُ عواطفاً وخواطراً

^١ تبلغنا أشعة الشمس بعد فراقها في نحو ثلثي دقائق، وقد كانت قبل ذلك جزءاً من كتلة الشمس فهي تحمل معها شيئاً من تلك الكتلة.

^٢ تشع الشمس من مادتها يومياً ما متوسطه ٣٦٠ ألف مليون طن.

^٣ إشارة إلى الخلاف بين العلماء في دراسة الأشعة: أهي طاقة وحتتها (كم) أو هي (مادة) وحتتها (ذرة) أم هي جامعة للصفتين؟

^٤ من عادة قطار البحر أن لا يقف إلا في محطة من المحطات بين القاهرة والاسكندرية وأن يسير بسرعة فائقة.

وتمرُّ بالشَّجَرِ الَّذِي فِي وَثْبِهِ
وَالنَّيْلُ تَعْبِرُهُ كَعَبْرِ عَوَاطِفِي
قَدْ جَاءَ بِالْفَيْضِ الْكَرِيمِ مَبْكَرًا^١
وَكَأَنَّمَا مَصْرُ الشَّقِيَّةِ فِي الْأَسَى
مُتَلَاظِمُ الْأَمْوَاجِ، مُشْتَعِلُ الْهَوَى
وَالنَّخْلُ تَرْوِي مَا يُثِيرُ شَجْوَنَهُ
وَالْأَرْضُ زَاهِي اللَّوْنِ، لَكِنْ زَهْوُهُ
وَتَدَلَّتْ الصَّفْصَافُ حِينَ شَعُورُهَا
وَالْجَدُولُ الْأَسَى يَنْزِلُ لِفَقْدِهَا
صُورَ الْحَيَاةِ الصَّامِتَاتِ، وَكَلَّهَا
وَخَطَفَنَ مِنْ وَحْيِ الْجَمَالِ مُصَاحِبِي
سِرِّيَا قَطَارُ وَلَا تَقْفُ! مَا وَقْفَةٌ
سِرِّيَا قَطَارُ إِلَى الشَّوَاطِئِ فَاتِحًا
قَدْ صُرْتَ بِالْفَنِّ الْجَمِيلِ مَقْدَسًا

وَهُوَ الْأَسِيرُ نَرَى الْمَقِيدَ أَسْرًا
بَحَرَ الْحَيَاةِ وَقَدْ تَمَرَّدَ زَاخِرًا
وَكَأَنَّمَا قَدْ خَاضَ حَرْبًا ظَافِرًا
وَالْبُؤْسُ قَدْ نَاحَتْ فَعَجَّلَ بَاكِرًا^١
مُتَوَثِّبًا، مُتَجَمِّعًا، مُتَطَايِرًا
فَتَرَى الْمِيَاهَ الدَّامِيَاتِ ثَوَائِرًا
كَمَثَلِ طَرِبٍ يَهْزُ السَّامِرَا
فِي الْمَاءِ غَرَقَى تَسْتَثِيرُ الشَّاعِرَا
وَكَأَنَّمَا لَمْ يَأْتِ ذَنْبًا غَادِرَا
عَبَّرْنَ أَفْنَدَةً وَكُنَّ مَشَاعِرَا
وَالنُّورُ كَمْ سَرَقَ الْمَلَاةَ سَاحِرَا
لَكَ حِينَ تَحْمِلُ لِلْحَيَاةِ ذَخَائِرَا!^١
وَاحِمِ الْجَمَالَ الْعَبْقَرِيَّ الثَّائِرَا
وَعُدُوتَ بِالْحَسَنِ الْمَقْدَسِ قَاهِرَا

حرب الشاطئ

(استيحاء شاطئ استانلي)

يَا عَابَثًا بِالشَّطِّ! يَا سَاخِرًا!
مُسْتَسْلِمًا كَالْفَارِسِ الْعَاثِرًا?
مِثْلَ الْأَسَارَى فِي يَدِ الْقَاهِرَا?

أَوْ مَا لَهْذِي الْحَرْبِ مِنْ آخِرٍ؟
أَوْ مَا سَمِعْتَ الصَّخْرَ فِي فَرْقٍ
أَوْ مَا رَأَيْتَ الرَّمْلَ مُنْصَرِمًا

^١ وافى فيض النيل في هذا العام مبكرًا.

هذي جنودك في تدفقها
جرحى العناء دماؤها زبد
تثرى صفوفاً في حماسها
وتخالطت فكأنها فرق
والشمس ترسل من أشعتها
فنرى اللهب على المياه جرى
والسحب في جزع تراقبها
والناس بين الموج في مرج
والحسن عن نجواه في شغل
طافت نماذجها فما تركت
وتجردت من كل ملابسها
يا بحر! يا مرأى الحياة ويا

جيشان مكسور على كاسر
لا يستقر وجرحها غائر
تكبو ومنها الصاحب الثائر
مهزومها في حلبة الظافر
حرباً على إقدامها الجائر
جري الأسى في ثورة الخاطر
فكأنها مرأى لها طائر
لا يشعرون بروح الحائر
فحروبه كوفائه الغادر
إلا فؤاداً في الهوى صاغر
إلا ملابس روحها الساحر
حرب الحياة حيت للشاعر!

المهلهلة

هلهلت ملابسك الجميل كأنما
كتفالك قد عريا كأن موكلأ
فإذا نظرت إليك ثارت رحمتي
وفتنت بالحسن الذي أبدعته

هو ملابس المأسورة المتوجعة
بالأسر مرق ما لبست ومزعة
ومحبتني وغدت بحسنك مودعة
في زى عرييد يقدس مبدعة!

الراية السوداء

رَفِي عَلَى الشَّاطِئِ فِي تَحْذِيرِ مَنْ أُمُوا الْمِيَاهُ
رَفِي وَإِنْ كَانَ احْتِشَادُ الْمَوْجِ يَكْفِي رَوْعَةً
أَمَّا عَلَى الشَّالِي وَالْحَبُّ عَتِي كَالْعُتَاهُ
مَنْ ذَا يَصُونُ النَّاسَ مِنْ بُلُوى مَدَاهُ سَاعَةً؟

طَاحَتْ بِنَا أُمُوجُهُ تَطْفِي كَمَا يَطْفِي الْخُضْمُ
وَتَتَابَعَتْ مَنَا ضَحَايَاهُ فَهَانَتْ كَالرَّمَالِ
بَحْرٌ وَلَكِنْ عُمْرُهُ عُمْرُ الْعَوَاطِفِ وَالْأُمَمِ
قَدْ بَرَزَ فِي إِيْغَالِهِ الْجَبَّارُ آيَاتُ الْخِيَالِ!

المسافر

أَطْلَ وَجْهُ الْقَمَرِ	مِنْ بَيْنِ جَوْنِ السَّحَابِ
لِمَنْ فِي سَفَرِ	كَأَنَّهُنَّ الصُّعَابِ
وَلَا تُبَالِ الصُّعَابِ	سِرِّيَا مَلَكَ السَّمَاءِ
وَإِنْ تَسِرَ فِي عَذَابِ	فَفِيكَ رُوحُ الرَّجَاءِ
رَجَعُ الْهَوَى مِنْ قُلُوبِ	مَا نُورِكَ الْحَيِّ إِلَّا
كَمَا تُرَاعِي الْحَبِيبِ	تُرْعَاكَ نُورًا وَظِلًّا
وَكُنْ لَنَا بَلَسَمًا	فَسِرْ وَلَا نَبْتَسُسْ
لَوْلَمْ يُنَاجِ السَّمَاءِ	فَكَلْنَا قَدْ يَنْسُسْ

فيضان النهر المقدّس

(نظمت عند "كازينو الحمام" بالجيزة في أصيل يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

(النيل) - يا للنيل، وهو مُوافٍ
أوفى على الجُزُرِ الغريقة ضاحكاً
فإذا الغراسُ شهيدةً وشهيدةً
والموجُ مصطفًى كخفقِ قلوبنا
مترتّباً وتُنب الخيالِ مقيداً
متجليباً من سُمرة ذهبية
في فرحة الشيخ الوقورِ شُخوصه
جاءت أساطيرُ الجمالِ بمائه
فتقدّست نفحاته حتى سرى
الملمهم النوتيّ في إنشاده
مزج الرويّ به تموجُ مائه
وحيّ يسير إلى الجداول عند ما
وتئن كالشادوفٍ أنة عاشقٍ
هو عرسُ هذا (النيل)، في تجديده
عرسُ ثباركه القرون حفيّة
وترى (الطبيعة) كالصورٍ عنده
حتى بدا سحرُ الغروب كسحره
ومضت مشاعرنا بلهفة شاعرٍ
وعلى خيالات المياه كأنها

حَرَبٌ على الأحباب والألف!
وقضى على الشطّ الودود العافي
وإذا الضفافُ غدوّن غيرَ ضفاف
في الرّوع أخفاهنّ ليس بخاف
بحقائق الزّمن العتيّ الجافي
جمعت من الأصال والأطياف
وبرعشة المتمرد المتلاف
من مَنبع الجنات لا الأعراف
هذا النسيم بروحه الرّفاف
شعراً من الآباد دون قواف
والبحر وقع وتوبه الهّاف
تشدون نواعير لها بزفاف
وافر وقد بات الحبيب يوافي^١
عرس لأحلام لها ألفاف
وتحفّاه الأرباب في آلاف
نقشته في الأفقِ الحنون الصافي
في غير إغراقٍ ولا إسفاف
في الأفق طائرة كطيرٍ واف
تُصغي إلى فيضانها الرّجّاف

^١ أنة اللهفة من المحب الوافي إلى حبيبه الموافي بعد جفاء.

وَتُبَادِلُ الْأَحْقَابِ نَجَواها مِنْ الـ
حَتَّى نَعِيشَ الْعَابِدِينَ بِعَالَمٍ

أَحْدَاقٍ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَنَافِ
لِلنَّيْلِ مِنْ سِحْرِ وَمِنْ أَطْيَافِ

على رمل الشاطئ

المَوْجُ عَلَى الشَّطْطِ تَوَالِي
وَالْمَاءُ هَدِيدٌ يَتَعَالَى
وَالْعَشْبُ عَلَى الصَّخْرِ تَجَلَّى
صُورٌ لِلْحَسِّ مُمَثِّلَةٌ
بِالْمَسِّ تُحَسُّ فَإِنْ لُمِسَتْ
غَابَتْ أَوْ عَادَتْ فِي صُورِ
وَالْحَسِّنُ عَلَى الرَّمْلِ تَرَامَى
أَتَمَّلَاهُ وَكَأَنَّ بِهِ
حُبِسَتْ فِيهِ فَإِذَا صَدَحَتْ
وَكَأَنَّ النَّظْرَةَ تَسْقِيْنِي
فَإِذَا الْأَجْسَامُ مَقْدَسَةٌ
تُشْتَاقُ وَلَكِنْ عَزَّتْهَا
تَهْوَى الْأَهْوَاءِ مَبْعَثَرَةٌ
وَيَطُوفُ النَّاسُ بِكَعْبَتِهِ
بِأَلَى الْعُبَادِ وَمَا بِأَلَى
وَصَلَاةِ الْبَحْرِ صِلَاتُهُمْ

كَالْهَفَةِ لِلنَّزِقِ الْعَائِرِ
كَالْوَعَةِ فِي رُوحِ الشَّاعِرِ
كَالتَّوْبَةِ مِنْ قَلْبِ الْكَافِرِ
فَأَذَاهَا كَالْمَعْنَى السَّاحِرِ
غَابَتْ فِي الْمَهْجَةِ وَالْخَاطِرِ
أُخْرِى فِي ذَاكِرَةِ الذَّاكِرِ
كَخِيَالِ الْأَصْبَاحِ الْبَاكِرِ
أَلْحَاناً مِنْ صُبْحِ أَسْرِ
صَدَحَتْ فِي إِحْيَاءِ نَاهِرِ
خَمِراً مِنْ مَعْنَاهُ الْبَاهِرِ
كَمَعَانِي الصَّوْفِيِّ الْحَائِرِ
خُلِقَتْ لِلنَّظْرَةِ لَا النَّاظِرِ
وَتُتْلَمُ كَالضُّوءِ الْخَائِرِ
وَهُوَ الْمُسْتَأْنَسُ وَالنَّافِرِ
فَصِلَاتُهُمْ قَلْقُ زَاخِرِ
كَمْ يَشْفَى الْبَحْرُ بِأَعْدَادِ

جذبتهُ إلى الحسنِ معانٍ
ويَبْتُ الزفرةَ في زبدٍ
وإذا الساعاتُ تمرُّ سُدًى

والشطُّ به لاو غادرُ
يَفْنَى كالشوقِ المتناحرُ
إلا للفئانِ الماهر!

لغة الوداع

(عند شاطئ استانلي في ١ سبتمبر سنة ١٩٢٤)

حان الوداعُ فجاج ما
يا قلبُ ما بَعْدَ الودا
خُذْ ما استطعتَ من الأشعةِ في التأملِ والتَّمَلِّي
ومن انسجام الحسن في
ومن الغروب، وشمسه
والسُّحبُ تسبحُ فوقها
حتى تغيبَ وعندها
أهوي كما تهوي إلى الـ
متلاطمًا بـالموج في
خُذْ يا فؤادي وادّخرْ
فالحسنُ زادي والبعاء
هذي كنوزٌ لا تُحَدُّ
خُذْ وادّخرْ منها! لعلِّي أستجمُّ بها! لعلِّي!

سَمَحَ الجمالُ به وصَلُ
عِ سوي أسى العيشِ المملُ
نور على ظلٍ وظلُ
وهجٌ على وهجٍ أجلُ
في قرصها الناريِّ مثلي
أهوي إلى شجني المُرَّ
ببحرِ العظميم المستقلُ
ظلم على ظلمٍ وذُلُ
كالتمل من حُسنٍ ودلُ
دُ رفيقُ حرمانِي وليالي
وكلُّها بُعثرن حولي
خُذْ وادّخرْ منها! لعلِّي أستجمُّ بها! لعلِّي!

البشبيشي الشاعر^١

(إلى صديقي الأديب الكبير محمود البشبيشي)

يا صديقي الذي تجلّى بألوانٍ مِنَ النبلِ في معاني الأديب
ما عزائي الوفيُّ في خطبك المذمى قلوباً في فقد هذا الحبيب؟
أسرّةُ الشّعْرِ بيتُكم وابتُك الرّاحلُ مِنْ نفحةِ الخيالِ العجيبِ
كان رمزاً للشّعْرِ في عيشِ الحرِّ وفي رُوحه الجميلِ الخصيبِ
أيُّ لحنٍ يرثيه إلا حنانٌ مِنْ أبٍ للأب العظيم الأريب؟
فاضٌ مِنْ مُهجتي كما فاضَ بركانٌ بذوبٍ من الحميمِ اللهبِ
شدَّ هذا الحنانُ مِنْ مُهجةِ الشاعرِ في موقفِ الوداعِ الرهيبِ
صُنّتهُ عنكَ... إنَّ مخضَ عزائي ووفائي لَوْنٌ من التّعذيبِ
وسألتُ الشّمسَ أن تُرسلَ النورَ مُعيداً لقلبك المسلوبِ
وسألتُ الحياةَ في كلِّ شيءٍ أن تُغنيَ نشيدَ هذا المغيّبِ
وتميطُ اللّثامَ عن ذلك الخافي مِنَ الحُسْنِ في رحيبِ الغيوبِ
لتشيمَ النعيمَ في ملكه الحافلِ بالحبِّ لا الأسى والنحيبِ
في سماءٍ من صُحبةِ (الشاعرِ الأسمى)^٢ وفي حُسْنِ النضيرِ القشيبِ
حيث يُوحى لنا بما يبعثُ الرّحمةَ والحبَّ في الفؤادِ الجديبِ
ويُغنيَ لنا بأسمى عزاءٍ لبكاءِ الصّبا ونوحِ المشيبِ

^١ هو الشاعر الكبير النابه محمد أبو الفتح البشبيشي وقد توفي في ١٥ سبتمبر ١٩٣٤.

^٢ الخالق سبحانه وتعالى.

غول الحرب

أَلَا تَسْتَحْيِي يَا حَاصِدَ النَّاسِ بَعْدَ مَا
أَلَا تَسْتَحْيِي؟ لَكِنْ لِمَنْ أَنْتَ تَسْتَحْيِي
لَقَدْ تَرَكُوا دُنْيَاهُمْ وَرَهْنَ عَصَبَةٍ^١
وَمَا فَفَّهُوا أَنَّ الْحَيَاةَ فُنُونُهَا
وَلَوْلَاهُمْ كَانَ التَّعَاوُنُ مِلَّةً
وَلَمْ نَبْقَ أَشْبَاهَ الضَّوَارِي كَأَنَّا

حَصَدْتَ مَلَائِينَا حَصَادَ خَرَابٍ؟
إِذَا النَّاسُ أَلْقَوْا حَظَّهُمْ لِكَلَابٍ؟!
تُهَيَّئِ لِنُتْدَمِيرِ كُلِّ سَبِيلٍ
فَنُونَ سَلَامٍ لَا فَنُونَ عَوِيلٍ
تُقَدِّسُ وَالْإِنْسَانُ سَيِّدَ نَفْسِهِ
أَعَارَ، فَكُلُّ فِي أَحَابِيلِ رَمْسِهِ!

خراب الفلاح

(مرفوعة إلى الشريف عباس حلیم)

مَنْ ذَا سِوَاهِ الْمُعَانِي
إِذَا شَكُونَا فَعَدَلْ
يَا لِلضَّرَائِبِ بَاتَتْ
كَأَنَّمَا مَا كَفَاهُ
عَيشٌ؟ وَهَلْ تَمَّ عَيشٌ
أَبْنَاءُ (مَصْر) الْمَوَاضِي
هَذِي الْقَبْذَارَةُ رَمَزٌ
هَذِي الْبُيُوتُ قُبُورٌ
أَمَّا الطَّعَامُ فَوَهُمٌ

وَنَحْنُ أَهْلُ الْمَغَانِي؟
فَكَلَّنَا شِبْهَ جَانِي
هِيَ الْخَرَابُ الثَّانِي
عَيشٌ عَدِيمُ الْأَمَانِي
عَلَى رَدَى وَامْتِهَانٍ؟
مِنْ الْبَعِيدِ الزَّمَانِ
لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
تَمُوتُ فِيهَا الْأَغْنَانِي
أَمَّا الْكِسَاءُ فَفَانٍ

^١ عصابة أصحاب المصانع الحربية ومن إليها.

والكلُّ شِبهُ مريضٍ	يُسَامُ خَسَفَ الجبانِ
وما لهم من صديقٍ	وما لهم من ضمانِ
فيا نبيلَ المساعي	لأنتَ أكرمُ باني
كم عاملٍ في هوانٍ	أغثَّه من هوانِ
فانقذ أخاه وحقَّقْ	رجاءَ شعبٍ يُعاني

رِسَامَةُ الْآثَارِ

(إلى الأنسة الشاعرة جميلة العلايلي في منفاها باسوان)

رِسَامَةُ الْآثَارِ تَفْتَنُهَا الدَّمَى	أَتَرَى فَتَنَتْ رَوَائِعَ الْآثَارِ؟
وافتَ رسائلُكَ العزِيزَةُ بالهدى	وَالوَحْيِ مِنْ مَلَكُوتِهَا الْجَبَّارِ
قد كنتَ طائِرَةً بِنَشْوَةِ سَاحِرٍ	جَارَ السَّمَاءِ لِعَالَمِ سَحَارِ
وَالآنَ فِي شَكْوَاكَ عُذَّتْ قَرِيرَةٌ	فِي جِيرَةٍ تَسْمُو بِرُوحِ الْجَارِ
فإذا اِكتئابُكَ كَالْغَمَامِ مَصْفُوقٌ	وَإِذَا قَرَارُكَ صَارَ غَيْرَ قَرَارِ
روحٌ كروحِكَ كَالشَّمُوسِ تَعَدَّدَتْ	وَتَغَيَّبَ إِدْرَاكُكَ عَنِ الْأَبْصَارِ
لا بدَّعَ إِنْ شَاقَّتْكَ أَطْيَافُ السَّنَى	مَا بَيْنَ آثَارٍ وَبَيْنَ صَحَارَى
عَكستُ بِمَرَاها الْبَسْنِينَ وَمَا طَوْتُ	مِنْ رَائِعِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَسْرَارِ
وَحَنَنْتُ عَلَى (أَنْسِ الْوُجُودِ) كَأَنَّمَا	تَحْنُو عَلَى مَعْبُودِهَا الْمُخْتَارِ
الهِكْلِ الْبَسَامِ بَيْنَ حَرِيقِهِ	عِنْدَ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ دَمْعِ جَارِ
فِيهِ الْحَنِينُ مَعَ الْأَنِينِ تَجَاوَبَا	كَتَجَاوَبِ الْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ
غَرَّقَ الْجَمَالَ شَهِيدَهَا فِي عَثْرَةٍ	وَلَوْ أَنَّه حَيٌّ عَلَى الْأَدْهَارِ

ويُخال (أوزيريس) في إيحائه
(سِت) الخوون على الصخور بدلة
ودموع (إيزيس) يحاول طهرها
ما شئت عندك من فنون حرّة
فلئن نُفيت - وللسياسة غدّرها -
إنّا سواسية بما نشقى به
لم يبق من صور العزاء لثنا
إني بمنفى هائل من عزّلي
لا سلم للقلب الأبى وحوله
لا سلم إلا في مخادعة المنى
فلقد طغى الشرّ العميم وأصبحت

قد عاد رغم عدوّ الغدار
جاثٍ وتلطمه يد التيّار
تطهيره فيظل رهناً العار
للشعر ما يزهى على الأشعار
فالنفي بعض كرامة الأحرار
وكأنّنا هدَفٌ لدى الأقدار
إلا عزاء النفي والأسفار
وكذاك أنت بلوعتي وبناري
دنيا من الأقدار والأكدار
بالفن تُسدله على الأوغار^٢
(مصر) الحزينة دولة الأشرار

سؤال النحلة

جاءتُ سُائلُ نحلتي السمرأ: "أين الزعفران؟
أين افتتان النرجس الغضّ وأين العيسلان؟
أينت حلى السّيراس والسُنبل، أحلام الحسان؟^٣
أينت جواهرها؟ وهل ضاعت كما ضاع الزّمان؟"
فأجبتهَا: "يا نحلتي للزّهر أعمار تُصان

^١ ماء النيل - وست هو أخ أوزيريس وقتله بخدعته المشهورة.

^٢ الأوغار: الأحقاد والأضغان.

^٣ الزعفران crocus، والعيسلان hyacinth، والسيراس daffodil، والسنبّل (التوليب) tulip،
وجميعها من أزهار النحل الشائعة.

عُمُرٌ لِنُضْرَتِهِ وَعُمُرٌ فِي الْبُدُورِ عَلَى أَوَانٍ
 وَسَوَاهِمَا عُمُرٌ لِأَخْيَالَةِ الْفَنُونِ وَالْبِيَانِ
 وَلَأَنْتِ شَاعِرَةُ الشَّوَاعِرِ وَالْخَبِيرَةُ بِالْجِنَانِ
 وَلَأَنْتِ أَدْرَى مَنْ خِيَالِي بِالْجَمَالِ وَالْإِفْتِنَانِ
 فَتَمَثَّلِي مِثْلِي الرِّبِيْعَ وَجَوْهَ السَّلْسِ الْيَّانِ
 وَتَمَتَّعِي فِي الْحُلُمِ بِالزَّهْرِ الَّذِي رَأَيْ، وَبَانَ
 الْآنَ يَحْيَا عُمْرُهُ فِي الذِّكْرِ مِنْ بَعْدِ الْبِنَانِ
 وَالْآنَ دَاعِبَ تَبْرُهُ تَبْرَ الْأَشْعَةِ فِي أَمَانِ
 هُوَ مِلَّةٌ أَنْظَارِ الْفَنُونِ وَإِنْ يَغِيبُ دُونَ الْعِيَانِ
 فَتَأْمَلِيهِ، تَأْمَلِي! وَتَنَاولِي مِنْهُ الْجُمَانِ
 وَتَرْتَمِي وَكَأَنَّ مَا عَادَ الرِّبِيْعُ الْمُسْتَلَانِ
 خَيْرٌ لَنَا دُنْيَا الْخِيَالِ تَعَفُّ عَنْ دُنْيَا الْهَوَانِ
 وَمِنْ ابْتِهَاجِكَ وَابْتِهَاجِي قَدْ تُصَاغُ قَصِيدَتَانِ
 أَنَا عَازِفٌ بِهِمَا كَعَزْفِكَ إِنْ أَسَاءَ لَنَا الْجَبَانُ!"

يوم في سنتريس

(مهداة إلى الصديق الدكتور زكي مبارك ذكرى زيارتنا لسنتريس)

يوم الجمعة ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٤

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنفَدْ	ما زلتَ في خَلْدِي وَإِنْ لَمْ تُخَلِدْ
بل أنتَ في الخلدِ الْأَتَمُّ مُشْعَشَعاً	في الذكرياتِ موزعاً في المَشْهَدِ
نشوانٌ مِنْ لِقْيَاكَ، لم أُبرحُ كما	لاقيتُ أُنْسَكَ في سَنَاكَ السَّرْمَدِي

جَعَلَ الصَّدِيقُ بِكَ الضِّيَافَةَ نِعْمَةً
خُلِقْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ حَتَّى أَنْنِي

يَا يَوْمَ إِيْنَاسِي الَّذِي لَمْ يَنْفَدِ
جَنَّتُكَ أَشْبَاهَ الْعُفَاةِ هَوَايَةَ
فَإِذَاهُ^١ يُنْهَلُ فِيكَ بَيْنَ مُذَوِّبٍ
وَالْحُسْنِ أَكْرَمُ مَا يَكُونُ لَكَارِمٍ
مَثَلْتُ مَعَانِي الصَّفْوِ فِي قِسْمَاتِهِ
مَا نَالَهَا إِلَّا التَّصَوُّفُ وَحَدَهُ
هَذَا (الطَّبِيعَةُ) فِي جَلَالَةِ مُلْكِهَا
بَسَمْتُ إِلَيَّ فَكَانَ فِي بَسْمَاتِهَا
بَسَمْتُ وَرَثَتِ الْحَيَاةِ نَشِيدِهَا
أَتَى التَّفَتُّ فُتِنْتُ مِنْ أَطْيَافِهَا
وَأَصْبَحُ لِلذَّرَّةِ الَّتِي وَقَفْتُ كَمَا
فَتَنَّمُ عَنْ أَسْرَارِهِ فِي صَمْتِهَا
وَأَرَاقِبُ الرِّيحَ^٢ يَزْخَرُ مَوْجُهُ
وَنَمُرُ فِي الطَّرْقِ الْوَدِيعَةِ صَانِهَا
وَالْجَدُولِ الْجَارِي كَمَرَاةٍ لَهَا
غَسَلَتْ عَذَارَى الرِّيفِ جِيرَةَ شَطْطِهِ
مَتَضَا حَكَاتٍ وَالْخَرِيرُ كَأَنَّهُ

لَا تَنْتَهِي، وَمَا أَثَرًا لِلْمَفْتَدِي
أُنْسَيْتُ مَا يَجْنِي الزَّمَانُ الْمَعْتَدِي

مَا زِلْتُ فِي خَلْدِي وَإِنْ لَمْ تُخَلِّدِ
لِلْحَسَنِ، لَا كَالْبَائِسِينَ الْقُصْدِ
شَبِمْ، وَيُلْمَسُ فِيكَ بَيْنَ مُجَسَّدِ
وَالْحَسَنِ أَبْخَلُ مَا يَكُونُ لِمَجْتَدِي
وَجَرَى الْهَوَى جَرَى الْمَعَانِي الشُّرْدِ
بَنَهَى الْإِلَهَ الْعَبْقَرِيَّ الْأَوْحَدِ
إِنَّ الْجَلَالََةَ بِالسَّذَاجَةِ تَبْتَدِي
مِنْ عَالَمِ الْمَجْهُولِ آيَةً مُوجِدِي
وَكَأَنَّنِي بِنَشِيدِهَا فِي مَعْبُدِ
وَلَحْتُ مَلَأَ الْغَيْبِ مَا لَمْ يُوجَدِ
وَقَفْتُ جَنُودَ الدَّهْرِ لِلْمَتَمَرَّدِ
وَتَحَنُّ مِثْلِي لِلْخَفِيِّ الْمُبْعَدِ
بِالذِّكْرِيَّاتِ وَبِالْحَنِينِ إِلَى الْغَدِ
مِنْ شَامِخِ الْأَشْجَارِ كُلِّ مَجْنَّدِ
وَبِهِ مِنَ الْآبَادِ مَا اشْتَاقْتُ يَدِي
حُلَا كَأَصْبَاغِ الْخَرِيفِ الْعَسْجَدِي
أَصْدَاءُ فَرَحْتَهُنَّ فِي الْمَاءِ الصَّدِي^٣

^١ أي الحسن.

^٢ رياح المنوفية.

^٣ الظمان إليهن.

ونزورُ ساقيةَ الصَّدِيقِ وعندها
ونرى الصبابةَ في النواحِ وطالما
ونمضُ مِنْ قَصَبٍ يطيب لنا كما
ونزورُ مِنْ تلك المنازلِ وادعاً
ونرى الجمالَ كأنما إفصاحه
ندريه بالحسِّ الخفيِّ وإن يكنْ
ندريه مِنْ رُوحِ البصيرةِ قبل أن
فإذا الجمالُ هو الحياةُ، وسِرُّه
وإذا الألوهةُ لا تُلوحُ لجاحدٍ

يا يومَ إيناسي الذي لم ينفد
حفَلْتُ بمجدك (سِنْتريسُ) وعيَّدتُ
قد جئتُ مِنْ وطنِ الجمالِ مَفُوقاً
فإذا بأهلِها غَنُوا عن كلِّ ما
حتى النباتُ له ازدهاءُ مُسوِّدٌ
والبركةُ الخضراءُ آسِنُ مائها
وَمِنَ الديوكِ على السطوحِ مؤذِنٌ
وَمِنَ السوائِمِ ما يُجَلُّ فتوُّنه
حتى رجعنا في غِنَى لم ينفد
لم تفتقده^١ وإن نكنُ نُؤنا به
سكنتُ إلى الرِّياحِ غيرَ أسيرة

للذكرياتِ مَدامُ لم تُعْهد
بالأمسِ غنَّتْ بالنشيدِ المُسْعِدِ
تلهو الطفولةُ في رضى متجددٍ
لكنما خلقتْهُ عِزَّةُ سَيِّدٍ
عينُ الغموضِ لباحثٍ متفقدٍ
ملءَ النواظرِ والمسامعِ واليدِ
يُدْرِي بلحظِ عاشقٍ متوددٍ
هَدْيُ الموفقِ أو ضلالُ الملحدِ
وتلوحُ للمتلهِّفِ المتعبِّدِ!

ما زلتَ في خلدي وإن لم تُخلد
في كلِّ ما يهواه قلبُ مُعيِّدٍ
بأشبهٍ ومنمَّقاً بزبرجدٍ
يُغني سوى شرفِ النُّهى والمحتدِ
ولو أَنَّهُ يلقى عِناءَ مُسوِّدٍ
في عِزَّةٍ مِنْ شوقنا المتردِّدِ
وكانما هو في صِلاَةِ المهتدي
بالمنظرِ الحالي وبالعُشبِ النَّدي
ملءَ العواطفِ والنُّهى متعدي
كأحبَّ ما يَطغى الهوى بمصفدٍ
بيننا انطلقنا في هَوَى المُستعبدِ

^١ بريد سنتريس.

والليل كالسحور حيث نُقِلْنَا
تتراقصُ الأشباحُ في أفيائه
ومنسَّقُ اللبَّخِ المهيبِ برهبةٍ
وتعودُ ألوانُ المفاتنِ بعدَ ما
فكأنَّها بُعِثَتْ مِنَ الأبدِ الذي
وكأنَّها غمرتْ جميعَ كيانتنا
حُلْمٌ طَوَى صُحُفَ الدُّهُورِ ولم يدعْ
أو ما تَحَجَّبَ كالظُّنونِ بخاطرٍ
حُلْمٌ هُوَ الفنُّ الجميلُ وإنْ يَكُنْ
والناسُ تَرَقَّبُنَا فتلمحُ نَشْوَةٌ
وكأنَّنا عُدْنَا نُبشِّرُ بالهوى

سيَّارة طارت كطيرٍ ممرِّدٍ
ما بين عَرَافٍ وبين مُغرِّدٍ
هي كالتأملِ للأبي الأبدِ
ذهبَ الغروبُ بها ذهابَ مُبدِّدٍ
طاحتْ إليه على الخيالِ المزيدِ
فَرَجَعْتُ في حُلْمِي بأروعِ سُودِّدٍ
عند الطبيعةِ ما استَسرَّ بجلمدٍ
للكونِ في هذا الأثيرِ المُفَرِّدِ
إبهامٍ إحساسِ بروحٍ مُخلِّدٍ
كبرى فتتبعُها ظنونُ الحُسِّدِ
والحُسْنِ في دنيا العقوقِ لتَهْتَدِي

* * * * *

يا يومَ إيناسي الذي لم يَنفَدِ

ما زلتَ في خلدي وإنْ لم تُخلدِ!

في مولد السيدة زينب

ضَحَكْنَا للهمومِ وقلْتُ: هَيَّا
فسرنا في مواكبِ حاشداتٍ
ولا يُجدي عليها النُّورُ إلَّا
فودَّعْنَا التنفُّسَ حينَ سِرْنَا
وأظْمَأْنَا الرِّحَامَ فما شَرَبْنَا

نُضِلُّ هَمومنا بين الرِّحَامِ!
تَدْفُقُ كالظلامِ على الظلامِ
كما تُجدي تهاويلُ المنامِ
فكيفَ إنْ بتوديعِ الكلامِ؟!
سوى فرطِ الأوامِ على الأوامِ

وكنّا قد نسينا السُّحْبَ حتّى
ويشرب راحه، ولكم شربنا
ولكن هذه ساعات وهم
وقد ثار الغبار فصار مَعْنَى
ونحن نسيرُ إعجازاً كأنّا
نسيرُ ويدفع التّيارُ دفعاً
كأنّ (النيل) فاض فكان خلقاً
وكم منهم وليّ في ثياب
يَشُقُّ الجمعَ مزهُواً قريراً
كأنّ معالمَ الزينات قامت
يُباركُ كلّ مكلومٍ عليلٍ
وتلثتم راحته، وليس أولى
مهازلُ في المواسم صارخاتٍ
إذا راجت بها الأسواقُ كانت
مواكبُ ما لها عقلٌ وإلاّ
كأنّ البعثُ أخرجها مرآيا
نسيرُ ويزخرُ الميدانُ حتّى
قد انسجموا على صُورِ اضطرابٍ
والوانُ الطعامُ تفوحُ حتّى
"فلأحشاء" ما شاء المنادي
"وللأرز" المفلفل في صوانٍ
"وللحوى" على العرباتِ نجوى

رأينا البدرَ يسبحُ في الغمام
من الأضواءِ راحَ المستهام
تخلّت عن تعلاتِ الغرام
لغيرِ السلمِ في مثل القَتام
خُلِقْنَا للزحامِ بلا عظام
جُسوماً في موائجِه الجسام
وكان حطامُه صُورَ الطّغام
مضمخةً بالألوانِ الحرام
وليس سيّواه من أهل "المقام"
تتوجّه على المهجِ الدّوامي
ومن أمثاله عللُ الكلام
بلثمهما سوى حدّ الحُسام
كأنّ الرُّشدُ نُهْرَةٌ الانتقام
رواجاً للرذيلة والتّعامي
فأحلامٌ تنوؤُ بالاصطدام
لأنواعِ الخصومةِ والوئام
ليزخرُ بالكرامِ وباللُئام
فساءت في اضطرابٍ وانسجام
تُخالُ سلاحُ أعداءِ السلام
تهاويلُ الدعايةِ للجمام
صياحُ جرّ أنوعِ الخصام
لشوقِ الأمّ أو شوقِ الغلام

تموجُ الطُّرُقُ بالآلافِ مَوْجاً
 فليسَ بهم لِبَتْسِمِ مَكَانٍ
 وَتَنْبِجُ بَيْنَهُم بِالزَّمْرِ شَتَّى
 كَأَنَّ الحَشْدَ أَرَهَقَهَا جُنُوناً
 تَعْلُقُ كُلُّ مَنْكُوبٍ عَلَيْهَا
 وَطَبَّلَ غَيْرُهُم وَالرَّقْصُ يَدْوِي
 وَأَمْوَاجُ الجُمُوعِ تُصَبُّ صَبّاً
 وَأُخْرَى فِي تَدْفُقِهَا حَيَارَى
 وَهَذَا الْقِرْدُ يَلْعَبُ فِي سُرُورٍ
 وَهَذَا الْبَهْلَوَانُ الطِّفْلُ يَمْشِي
 وَهَذِي الطِّفْلَةُ الحَسَنَاءُ تَلْهُو
 مَفَاتِنَهَا بَعَيْنَيْهَا تَرَاءَتْ
 وَكَمْ مِنْ بَاعَةٍ سَرَحُوا وَكَانُوا
 وَكَمْ فَوْقَ الحَوَانِيَتِ ابْتِهَاجٌ
 وَعِنْدَ الجَامِعِ المَعْبُودِ شَتَّى
 يَضِيعُ جَمَالُهَا وَكَأَنَّ مَرَأَى
 كَمَرَأَى الجَائِعِينَ وَقَدْ تَهَاوَوْا
 وَمَرَأَى كُلِّ فَلَاحٍ شَرُوبٍ
 وَمَرَأَى كُلِّ غَانِيَةٍ لَعُوبٍ
 وَمَرَأَى كُلِّ رَاضِعَةٍ وَبَالٍ
 وَمَرَأَى كُلِّ شَحَّازٍ أَصِيلٍ
 وَمَرَأَى اللَّاعِبِينَ وَإِنَّ مِنْهُمْ

نَشَاوَى أَوْ ضَحَايَا لِلسِّقَامِ
 فَإِنْ يَبْسِمُ تَعَثَّرَ فِي ابْتِسَامِ
 مِنَ الْعَرِبَاتِ أَوْ قَطَرِ السِّتْرَامِ
 فَلَمْ تَعْبَأْ بِمَعْنَى الْاِحْتِشَامِ
 فَمَا لَاحُوا بِهَا مِثْلَ الْأَنَامِ
 وَأَعْلَامُ الْمَشَايِخِ فِي احْتِدَامِ
 إِلَى حَرَمِ الزِّيَارَةِ فِي عُورَامِ
 وَقَدْ أَوْدَى بِهَا عَبَثُ الْحَرَامِ
 كَأَنَّ سُرُورَهُ سُكْرُ الْمَدَامِ
 عَلَى رَأْسٍ تَدْحَرَجُ فِي الرِّغَامِ
 بِرَغْصٍ لِلْأَنْوِثَةِ فِي اضْطِرَامِ
 فَكَيْفَ إِذَا رَأَتْ دَوْرَ اللَّثَامِ؟!
 شُكُولَ النَّابِغِينَ مِنَ اللَّثَامِ
 بِأَضْوَاءِ كَأُوسْمَةِ سَوَامِ
 مِنَ الزَّيْنَاتِ مَشْرِقَةُ النِّظَامِ
 مَفَاتِنُهَا حُطَامٌ فِي حُطَامِ
 عَلَى قِصْعِ الدُّنْيَا مِنَ الطَّعَامِ
 فَمَا يَدْرِي الْوَرَاءُ مِنَ الْأَمَامِ
 أَحَقُّ مِنَ الْمَهَارَةِ بِاللِّجَامِ
 وَسَاقِي الشَّرْبِ كَالْمَوْتِ الزُّوَامِ
 يَلُوحُ بَعِزَّةُ الْبَطْلِ الْهُمَامِ
 لِأَحْلَامِ الطِّفُولَةِ كُلِّ عَامِ

وَمَرَأَى التَّائِهِينَ وَلَيْسَ فِيهِمْ

سِوَايَ أَضِلُّ فِي هَذَا الزَّحَامِ!

رثاء الشابي

أبا القاسم الشابي! أبا القاسم الشابي!
أبَى الخالقُ الفَنَّانُ جَلَّتْ فُنُونُهُ
وَمَا المبدعُ الفَنَّانُ إِلَّا أَشْعَّةُ
سَقْتَنَا رَحِيقَ الفَنِّ صِرْفاً وَودَّعْتُ
وَأَيْنَ الجمالُ العذبُ ألحانَ شاعرٍ
وَأَيْنَ الذي يَدْرِي خفايا نُفُوسِنَا
وَأَيْنَ الذي آيأَتْهُ فِي تَصَدِّ وَفِّ
مَضَتْ وَمَضَى! يَا هَوْلَ مأساةِ عَالَمٍ
كَأَنَّ جِمالَ الفجرِ لَمَّا تَرَكَتْهُ^١
فَعَلَّمَنِي نَوْحَ الخريفِ وَوَجَدَهُ
وَأَشْبَعَنِي حُزْناً عميقاً مجدداً
وَنَاوَلَنِي هَذَا الرِّثَاءَ أَشْعَّةُ
تُبَشِّرُ بالحبِّ الأريجِ، وحظُّها
لِهَا لَهْفَةٌ مثلي، وكم عند لَهْفَتِي
فَكَلُّ عَنِ الباقين يَبْكِي بكاءَهُمْ
تَغْلَغَلَ فِيهِ الشَّجْوُ صِرْفاً كَأَنَّمَا

مَكَائِكَ فِي الأُخْرَى مَكَانَةً أَرْبابِ
لِمَثَلِكَ إِلَّا الخُلْدَ فِي دَارِ أَحِبَابِ
مِنْ اللّهِ لَمْ تَرْجِعْ كَرَجْعَةِ غِيَابِ
فَأَيْنَ مُذَابُ النُّورِ يَمَلَأُ أَكْوَابِي؟
خَوَالِجُهَا لِلْفَنِّ أَسْبَابُ أَسْبَابِ؟
عَلَى البُعْدِ وَصَّافَ الحَيَاةَ بِإِسْهَابِ؟
فَوَاتِنُ أَقْطَابِ تَفَانُوا وَأَقْطَابِ؟
عَجَائِبُهُ^٢ كَادَتْ تُقَوِّضُ إعْجَابِي
تَشْكُلُ فِي رُوحِ كَرُوحِكَ وَثَّابِ
وَأَسْهَبَ فِي مَعْنَى مِنَ الشَّعْرِ خِلَابِ
بِأَصْبَاغِهِ الحَسْرَى وَإِنْ نِلْنِ تَرْحَابِي
حَبِيسَةً أَلْفَاظِ، طَلِيقَةً أَرَابِ
جِمالٌ مِنَ الأحلامِ والفكرِ والدَّابِ
مِنْ الأدبِ المعبودِ غَايَةً أَنْسَابِ
وَكُلُّ لَهْ دَمْعٍ دَفِينٌ بِتَسْكَابِ
يَفِيضُ بِوَحْيٍ مِنْ غَنَائِكَ مُنْسَابِ

^١ عجائبه: غرائب شذوذه ونفائضه.

^٢ توفي الفقيه في فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٤.

أَنْوَبُ عَنْ الرَّائِثِينَ مِثْلِي وَلَمْ أَتُبْ
تَنَوَّعَتْ الْأَحْزَانُ فِيمَنْ حَيَاثُهُ
وَمَا الْفَقْدُ لِلْفَنِّ الْجَمِيلِ بِهِيْنِ

أَتَانِي كِتَابُ الْوَدِّ مِنْكَ وَطِيئُهُ
أَيْفَرَحَنِي لَهْرِي وَيَحْزَنُنِي مَمَّا؟
لَقَدْ هَدَمَ الدُّوَلَاتُ مِنْ قَبْلُ هَازِئاً
وَقَدْ عَانَدَ الْأَمَالَ حَتَّى تَعَثَّرْتُ
وَمَا (تُونِسُ) الْخَضِرَاءُ بَعْدَكَ جَنَّةٌ
وَلَكِنْ لِلشَّعْرِ الْعَظِيمِ عَلَى الْمَدَى

صَدِيقِي! صَدِيقِي! أَيُّ حُزْنٍ يَنَالُنِي
كَأَنَّ أَغْنَانِي الْكُونِ قَدْ غَالَهَا الثَّرَى
أَلَسْتُ الَّذِي نَاجَى الطَّبِيعَةَ كُلَّهَا
أَلَسْتُ الَّذِي غَنَّى الْأَنْثُوَّةَ كُلَّ مَا
أَلَسْتُ الَّذِي قَدْ عَاشَ فِي النَّاسِ سَاخِطاً
أَلَسْتُ الَّذِي قَدْ مَاتَ فِي غُرْبَةٍ الضَّنَى
وَمَا حَجَّبَتْهُ عَنْ رُؤْيَى الْحِكْمَةِ الْوَرَى

رَحَلْتُ صَدِيقِي بَعْدَ مَا جَنَّتْ مُوَصِيَاً
أَنَا حَارِسُ الْفَنِّ الَّذِي أَنْتَ رِيُّهُ
وَلَكِنْ لِي فِيمَا نَظَمْتَ مَدَامِعاً

كَذَلِكَ مَنْ نَابُوا فَلَيْسُوا بِأَنْوَابِ
وَأَنْجَابُهُ أَنْوَاعُ حُزْنٍ وَأَنْجَابِ
فَمَنْ عُمُرُهُ عُمُرٌ لِدُنْيَا وَأَحْقَابِ

نَعِيكَ! يَا لِلرَّوْعِ يَنْسِفُ أَعْصَابِي!
نَعَمْ! هُوَ جَانٍ لَا يُبَالِي بِإِغْضَابِ
وَلَمْ يَخْشَ مِنْ خَصْمٍ وَغَضَبَةٍ حَسَابِ
فَلَمْ يَبْقَ لِلدُّنْيَا سِوَى الْأَمَلِ الْكَابِي
وَلَا نَجْمِكَ الْخَابِي سِوَى نَجْمِهَا الْخَابِي
مِنْ الثَّرَى مَا يَقْضِي عَلَى عَسْفِهِ الْآبِي!

وَأَيُّ شَبَّوْنٍ تَسْتَهِينُ بِأَرْهَابِي؟
فَطَاحَتْ كَمَا طَاحَتْ أَنْاشِيدُ الْبَابِ!
وَتَرَجَمَهَا سَحْراً سَرِيّاً لِأَدَابِ!
يُعْبَرُ عَنْ أَسْمَى الصَّلَاةِ بِمَحْرَابِ؟
وَفِي الْفَنِّ مَسْرُوراً وَحِيداً بِأَوْصَابِ؟
وَيَشْتَرِ بِالْعَوْدِ الْقَرِيبِ لِمَرْتَابِ؟
إِذَا خَذَلَ الْأَحْلَامَ سَطَوَةٌ حُجَّابِ؟

بِشَعْرِكَ، فَارْحَلْ غَيْرَ خَاشٍ وَهَيَّابِ!
وَهِيَهَاتَ خِذْلَانِي مُوَاهِبَ وَهَّابِ
قَصَائِدَ لَمْ تُعْلَنَ - وَإِنْ أَعْلَنْتَ - مَا بِي

¹ كانت هذه آخر كلماته عند وفاته.

تَلُوحُ بِأَثْنَاءِ السُّطُورِ لِشَاعِرٍ فَرُوحِي مِنْ نَفْسِي وَأَرْوَاحِ أَتْرَابِي

الرحيق الإلهي

فِي غَادَتِي، فِي زَهْرَتِي، فِي نَحْلَتِي وَبِكُلِّ حُسْنٍ كَالْحَنَانِ لِهَجَّتِي
خَمَرُ الْأُنُوثَةِ: نَشُوتِي بَلْ فَتَنْتِي وَعِبَادَتِي، فِعْبَادَتِي مِنْ فَتَنْتِي
شَمَلْتُ مَعَانِيهَا خَوَاطِرَ نِعْمَتِي وَشَأْتُ تَعَارِيفَ الْجَمَالِ لِلذَّتِي
مَا بَيْنَ إِبْهَامٍ وَبَيْنَ إِبَانَةٍ

يا بني القبط!

يَا بَنِي الْقِبْطِ! يَا بَنِي مِصْرَ! هَلْ مِصْرٌ رُسُوى الْفَنِّ فِي جَلَالِ أَبِي
إِنْ يَفُتِّكُمْ تَقْدِيسُهُ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ فَلَسْتُمْ مِنْ مِصْرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ
أُمَّةُ الْفَنِّ وَالْحَضَارَةِ وَالْحِكْمِ مِمَّةُ الْعِلْمِ وَالطُّمُوحِ الْعَتِي
مِنْ بَنِيهَا أَنْتُمْ، فَكَيْفَ غَفَلْتُمْ يَا بَنِيهَا عَنْ رُوحِهَا الْفَنِّي
أَيْنَ أَثَارُكُمْ سِوَى بَعْضِ مَاضٍ جَمَعْتُهُ يَدُ الشَّرِيفِ السَّرِيِّ^١
كَيْفَ لَا تَنْهَضُونَ بِالْأَدَبِ الْغَا لِي وَبِالْفَنِّ مِنْ دَفِينٍ وَحَيٍّ
كُلُّكُمْ مُشْرِقُ الذِّكَاةِ فَعُودُوا بِشُمُوسٍ مِنْ أَمْسِنَا الْعُلُويِّ
أَيْنَ أَيْنَ التَّصْوِيرُ وَاللَّحْنُ وَالشُّعْ رُ وَإِنْصَافُ مَجْدِنَا الْعَبْقَرِيِّ؟
قَدْ قَنَعْتُمْ بِزَخْرَفِ الْعَيْشِ حَتَّى قَدْ نَسِيتُمْ نِدَاءَهُ الرُّوحِي

^١ مرقص سميكة باشا مؤسس (المتحف القبطي).

هذه وحشة (الكنيسة) تُشجي
كيف تبقى عديمة من غنى الفن
زُرْتُهَا أَشْتَهِي هِنَاءَ لِرُوحِي
فَإِذَا بِي أَعُودُ فِي أَلَمِ الْحَسَنِ
كُلُّ لَحْنٍ يَمُوتُ فِيهَا قَبِيلَ الْ
وَمَضَتْ مِثْلَهُ فُنُونٌ غَوَالٍ
فَانْضَمُوا غَفْلَةَ الْقُرُونِ وَهَبُّوا
أُنْصِفُوا أَمْسَكُمْ فَلَيْسَ سِوَى الْفَنِّ

أَيْنَ أَلْحَانُ عَصْرِهَا الذَّهَبِيِّ؟
وَهَلْ غَيْرُهُ الْوَضِيءُ الْغَنِيِّ؟
بَشَعُورِ الْمُنْزَرِ الصَّوْفِيِّ
رَقَّةٌ مِنْ حَالِهَا الشَّجِيِّ الشَّقِيِّ
عَزْفٌ حَتَّى وَإِنْ يَكُنْ كَالدَّوِيِّ
مَذْ تَوَلَّتْ عَنْ سِحْرِهَا الْقَبْطِيِّ
لِلْجَمَالِ الْمُقَدَّسِ السَّرْمَدِيِّ
جَمَالٌ أَوْ عِزَّةٌ مِنْ نَبِيِّ!

بيت العنكبوت

قَالَ لِي الْعَنْكَبُوتُ: يَا صَاحِبِي الشَّامِ
أَنْتَ مَنْ يَدْعِي الضَّالَّةَ وَالضَّعْفَ
أَيْنَ هَذَا مِنْ شَعْرِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ خَلَقْتُمْ مِنَ الْخِيَالِ بِيوتاً
لَيْسَ لِلْفَنِّ مِنْ نَصِيبٍ لَدَيْكُمْ
تَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ بِالضَّعْفِ عِنْدِي
كَمْ عَجِيبٌ فِيمَا بَنَيْتُ جَدِيرٌ
قَدْ هَزَأْتُمْ بِحِكْمَتِي وَأَنَا الْغَا

عَرَلَمْ تَدْرُ أَيُّ فَنٍّ بَنَيْتُ
فَإِذَا لِبَيْتِي، وَالْبَيْتُ بِالْفَنِّ بَيْتُ
سُ وَمَا فِيهِ مِنْ غُرُورٍ وَوَهْمٍ؟
وَأَنَا مِنْ صَمِيمِ ذَاتِي وَجَسْمِي
وَهُوَ عِنْدِي الْبَابُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ حِذْقُ الْمُهَنْدِسِ الْعَبْقَرِيِّ
بِاقْتِدَاءٍ لَوْ أَنْكُمْ تُبْصِرُونَ
فَرُّ فِي ضَحْكَتِي لِمَنْ يَهْزَأُونَ!

في معرض الأزهار

كُلُّ زَهْرٍ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ فِي الْقَدِّ
عَرَضُوهُ كَأَنَّمَا النَّاسُ أَهْلُو
أَيُّ بَأْسٍ لَنَا عَلَى مُهَجَةِ الشَّمْسِ
ذَاكَ شَأْنُ الْأَزْهَارِ! لَيْسَتْ مَبَانِي
وَقَفَ النَّاسُ مُعْجِبِينَ، وَلِي وَحْدُ
أَتَمَلَّى الْجَمَالَ فِي صُورَةٍ جَا

رٍ وَفِي سِرِّهِ الْعَمِيقِ الْخَفِيِّ
هُ وَلَكِنَّهُمْ بِجَهْلٍ وَغَيٍّ!
سِ أَوْ النَّجْمُ عِنْدَ رَصْدٍ وَرَسْمٍ؟
هَذَا سِوَى الرَّمْزِ لِلْجَمَالِ الْأَتَمِّ
يَدِي صَلَاةٌ خَفِيَّةٌ فِي ضَمِيرِي
زَتْ حُدُوداً لِلْفَهْمِ أَوْ لِلشُّعُورِ!

الطبيعة والناس

لَا تَعْجَبُوا... حُبِّي (الطبيعة) وَحَدَّهَا
هِيَ مَلْجَأِي، كَمْ فِي الْحَيَاةِ رَوَايَةً
أَعْطَى تَعَالِيمِي السَّخِيَّةَ فِي غِنَى
فِيَعُودُ مَنْ عَشَقُوا الْجُحُودَ بِذَمِّهَا
مُتَظَاهِرِينَ بِحُلِيِّتِي وَجَوَاهِرِي
يَا لِلْأَنَامِ وَاللَّضُمَائِرِ! مَا لَهَا
سَخَرَتْ بِهِمْ صُورُ (الطبيعة) عِنْدَمَا
وَتَبَجَّحُوا كَالْمَجْرَمِينَ، فَلَيْتَهُمْ
مِنْ كُلِّ جِلْفٍ خُلِقَ كُنْعَالُهُ

قَدْ صَانَ مِنْ حُبِّي لِهَذَا النَّاسِ
كِرَوَايَةِ (الْحَلَاكِ) وَ (الدَّبَّاسِ)!
عَنْ مَدْحِ كُلِّ مُقَدَّرٍ تَعْلِيمِي
مُتَنَكِّرِينَ كَحَالِ كُلِّ لُئِيمٍ
وَمُفَاخِرِينَ بِكُلِّ مَا أُعْطِيَتْ!
مَوْتِي؟ وَكَيْفَ يَتِيهِ فِينَا الْمَيِّتُ؟!
سَرَقُوا فُتُونِ تَخِيلِي وَيِيَانِي
عَرَفُوا حُقُوقَ الْفَنِّ لِلْفَنَّانِ
مُتَنَوِّعِ الْأَلْوَانِ وَالتَّرْقِيْعِ

^١ أنظر مقطوعة "حياتان" في ديوان (أنداء الفجر) - ص ٣٧، وقصيدة "لغات الغريب" في ديوان (زينب)، وقصيدة "الطبيعة" في ديوان (مختارات وحي العام) ص - ٨٦.

كم نال من جدواي في تعبيره
الأدعياء المارقون، وكلهم
لا يعرف النور العزيز وإن يكن
هذي النفوس المظلمات، فما لها
ظلمت من الخبث الأصيل فأصبحت
النور؟ ليس النور إلا مهجتي!
نبضت بأمواج الضياء عواطفي
وطلاقة الفن التي لم ينتصر
أعيبها الأحلاس من فتنوا بها
عشنا إلى زمن نرى أمثالهم
ونرى المائر للجحور غيبنة

فهوى، وهل يُرجى ثبات رقيق؟!
غرر ولدثته مع الأغرار
كالبيغاء يشيد بالأنوار
والنور؟ إن النور لا يرضاها
فيها الأشعة تستحيل دجاها!
أنا من شدوت به سنين حياتي
وانسابت الأمواج في ذراتي
غيري لبدئها وعرف كنهها
قبلاً ومن نهلوا وذاقوا حسنها؟!
ونرى السوائم بالفخار تصيح
ونرى الوفاء يداس وهو جريح!

العيدان

(في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بمناسبة قيام الوزارة النسيمية)

كم صحت في قومي، وصيحة مهجتي
كم صحت أدعو للتوحد حينما
فرجمت حتى كدت أياس من أسي
وشتمت ممن يجعلون همومهم
فالיום ينقطع النباح ويعتلي
ويصيح رب العرش غير محجب
ونرى البناء وقد تصدع عائداً

فوق الهوى ونوازع الأحقاد
يتهالكون تهالك الأضداد
لولا تؤثب مهجتي وفؤادي
بذر الخلاف وإن أفاد العادي
خلق الرجال وحكمة القواد
عن شعبه، ويسود صوت الوادي
كمائر الأمجاد في الأجدار

فوقَ الخلافِ وفوقَ كلِّ عناءِ
عهدٌ لمصرَ وللمليك (فؤاد)

لا خيرَ في بنيانِ قومٍ قائمٍ
لا خيرَ في الأحزابِ حينَ رجاؤنا

في يومنا المَعْدودِ في الأعيادِ
وكلاهما أحياءَ طولَ جهادِ

مَنْ مُبْلَغُ الزعماءِ رُوحَ أخوَّةٍ
عيدان: عيدٌ للجهادِ وللمنى

العهد الجديد

(إلى صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا بمناسبة فوزه الدستوري)

يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٤

حريةً تبقى بقاءً (النيل)
ويحذِّقُه المشهود والمكفول
والشعبُ بين مصفٍّ وذليل
وتحجَّبُ الأحزابُ صوتَ الجيل
ضلَّتْ صوالحنا بغيرِ دليل
يُرْجَى رجاءٌ مؤصَّلٌ ووكيل
أضغاثُ أحزابٍ وبطشٌ دخيل
تطهير (مصر) بصدقِ المأمول
عيدٌ يبرزُ سنانه كلَّ مثيل
في ندوة التمثيل^٢ لا التمثيل^١

صُنْ عَرْشَ (مِصر) وصُنْ (الوادي النيل)
يا مُنْقِذَ الوطنِ الجريحِ ببأسه
هذا هو اليومُ الذي رَجِيَّتُهُ
وزعيمه الأسمى 'يُحجَّبُ' صوتهُ
عن صاحبِ العرشِ المُفدَّى حينما
كنْ أَنْتَ باسمِ الشعبِ واسمِ العرشِ مَنْ
كنْ مستبداً عادلاً، فكفى كفى
كنْ مستبداً عادلاً واعملْ على
وأعدْ لنا اليومَ المرجَّى عيدُهُ
وزعيمُ (مِصر) الأملعي زعيمُها

^١ مـ طفى النحاس باشا.

^٢ البرلمان الحقيقي.

^٣ البرلمان المصطنع.

يا للسنين مَضَتْ أمامَ تجاربِ
ضاعتُ كما ضاعتُ جهودُ حولها
ما كان أولاهـا بمصرَ بنايةً
كم مِنْ مواهبٍ سُخِّرَتْ لمقابحِ
تلك السنونُ فِدَى ويا بنسَ الفِدَى
حتى تُشارفَ (مصرُ) عهدَ أخوةٍ

ضاعَدَ ضياعَ مَهازِلٍ وهزِيلِ
ومضتُ بكلِّ قتيلةٍ وقتيلِ
وتضامناً نرعاهُ بالتبجيلِ
ما كان أحراها بكلِّ جميلِ
للحقِّ منتزعاً مِنَ التضليلِ
وطهارةَ كسماءِ (وادي النيلِ)

لبّوا نداء الوطن

(قيلت في تعزيز مشروع القرش)

لَبُّوا نِدَاءَ الحِياهِ	لَبُّوا نِدَاءَ الوطنِ
والمجدُ مَجْدُ البِناءِ	لكلِّ مَجْدٍ ثَمَنُ

هذا الجمودُ السقيمُ!	أبناء (مصر) اطرَحوا
مِنْ غيرِ جُهدٍ عميمٍ؟	هل يُرتجى مَطْمَحُ
بغيرِ حِزمٍ ودأبٍ	لا شيءٍ في الكونِ يحيا
إلا بعقلٍ وقلبٍ	ولا الممالكُ تُبنى
هَلُمَّ! بعضَ الزكاهِ	هَلُمَّ أبناء (مِصرًا)
بالجهدِ أَخَذَ الدُّهَاهِ	خُذُوا العِظائمَ قهراً
يَثُورُ فيه الأبيّ	إنّا بعصرٍ لنعيمٍ
يدوسُه كلُّ حيٍّ	وكلُّ بالٍ غريمٍ
إلا على التضحياتِ	لن تُرجعُوا مجدَ (مِصرَ)

لن يعرفَ الدَّهْرُ حُرًّا	إلا عُدُوَّ المَمَاتِ
فكيف "بالقرش" يَغْلَوْ؟	وكيف يَسْمُو البِنَاء؟
تَقْدَمُوا أو فَخَلُّوا	هتَافَكُم والرَّجَاءُ
(الشمسُ) جادتْ عليكم	بالتبرِ تَبِلَ الحَنِينُ
فكيف ترضون أنتمْ	بكلِّ قولٍ ضنين؟!
و (النيلُ) مِنْ رُوحِه	ضَحَّى لروحِ البلادِ
فأينَ مِنْ نفحه	ذاك الهتافُ المُعاد؟!

* * * * *

لُبُّوا نداءَ الوطنِ	لُبُّوا نداءَ الحياهِ
لكلِّ مَجْدٍ ثَمَنُ	والمجدُ مَجْدُ البِناءِ

تحية المؤتمر الوطني

(نظم الوفد المصري مؤتمراً وطنياً عظيماً سيعقد بالقاهرة في مستهل سنة ١٩٢٥ م
فرحب به مقدماً صاحب الديوان بهذه القصيدة)

لقد ثَبَتَ الحَقُّ حتى انتصرَ	وأذعنَ للمؤمنينَ القَدْرُ
وعادتْ (مصرُ) معاني الحياةِ	ليدوي بها بعثْنَا المنتظرُ
تباركتْ يا عيدَ هذي الحياةِ	ويا صيحةَ الحقِّ في (المؤتمرِ)
لقد دَفَنَتْنَا سِنينُ الظُّلامِ	وإنْ لم تَنَلْ مِنْ كمينِ الشَّرِّ
وقد أرهقْنَا العوادي الجِسامُ	ومرَّتْ مرُورَ طيوفِ الضُّجَرِ
وعادتْ أغاني السلامِ الحبيبِ	كأنَّ الكفاحَ خيالٌ عَبرُ
وكم في العيونِ دُموعٌ تَرفُ	بشكرٍ كما رَفَّ دَمْعُ الزَّهَرِ

وكم في القلوب خُفوقٌ عميقٌ
وقد غرَّدَ الآنَ طيرُ الخريفِ
وقد زَيْنَ الأفقَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ
وأخلصَ (للنيل) صوتُ النسيمِ
وحتى المنى بحفيفِ الشجرِ
وشاركنا (رمضان) الوسيمِ
وما كان (للعيد) مَعْنَى لديه
تَطْلُعُ في شوقنا للجديدِ
وحتى المؤذُنُ في لحنه
فلم نَدِرْ كالفجرِ إلهُ شعراً
كذلك حريّةُ الناسِ نَبْعُ
وتبعثُ نفحَتُها الميَّتينِ
ويصدحُ في نورها كلُّ شيءٍ

لقد ثَبَتَ الحقُّ حتى انتصرَ
وعادتْ لمصرَ معاني الحياةِ
سئمنا تكاليفَ تلكَ السنينِ
سئمنا تفككَ خيرِ الروابطِ
وما نال زُرَاعُنا العاملينِ
وتسخيرَ أقوى الذكاءِ الأبى

كخفقِ الجناحِ لطيرِ نَفَرٍ
كأنَّ الربيعَ السريَّ ابتدرَ
جمالاً، وقبلأ بكى واستعرَ
وبالأمسِ بَثُّ الشكاةِ استقرَ
وحتى الرُضَى بضياءِ القمرِ
بشَّتَى الفنونِ وأبهى الصُّورِ
فأصبحَ (للعيد) مَعْنَى أوبرَ
وإنْ ذابَ عمرٌ له واندرَ
فتونَ لحسنِ غريبِ أسرِ
وخمراً فأسرفَ حتى سحرَ
يُرَوِّي النفوسَ ويحيي الحجرَ
وتنقِذُ نشوئها المحتضرَ
وتنبيضُ منها أمانى البشرِ!

وأذعنَ للمؤمنينَ القَدَرُ
ليدوي بها بعثنا المنتظرُ
وطولَ النقيّةِ بعدَ الحذرِ
بين القلوبِ وبين الأسرِ
وقد سكنوا في قبورِ المدرِ^٢
لكلِّ ظلومٍ خوونِ غدرِ

^١ أي شهر رمضان.

^٢ المدر: القرى.

دوامُ الأسى ودوامُ الخطرُ
بوثبةٍ عهدٍ جريءٍ ثارُ
كما أنصفَ الأرضَ هطلُ المطرِ
فيغدو الإخاءُ بنا المنتصرِ
من الحبِّ في كلِّ معنى عطرُ
لمجدٍ جديدٍ وعهدٍ نضرٍ!

وأذعنَ للمؤمنينَ القدرُ
ليدوي بها بعثنا المنتظرُ
ويا صيحةَ الحقِّ في (المؤتمر)!

كأنَّ الزكاةَ لحكمِ الطفاةِ
سئمنا، سئمنا... فيا مرحباً
سُيُنصفنا من مديدِ السُّباتِ
سُيُرجعنا للإخاءِ الحميمِ
وتشدو (الطبيعةُ) لحناً طريفاً
وتلمحُ (مصرُ) رجاءَ جديدٍ

لقد ثبتَ الحقُّ حتى انتصرُ
وعادتْ لمصرِ معاني الحياةِ
تباركتْ يا عيدَ هذي الحياةِ

صيامٌ وصيامٌ

سوى صومِ المتأبِّ من الذُّنوبِ
بتمزيقِ السرائرِ والقلوبِ
فلطَّخْنَا بأوزارِ الحُرُوبِ

نصومُ كأنما (رمضانُ) يأبى
فكم من صائمٍ قد كان يُغري
تفرَّقْنَا طويلاً في حُرُوبِ

أدباؤنا

حظُّ الجهالةِ من صفاتِ نبيٍّ!
جلدٌ على الأدبِ الرفيعِ الحيِّ
نثروا الزُّهورَ لفاتحِ وأبي

كم جاهلٍ فيهم يتيه كأنما
قنعوا بألوانِ الغرورِ فما لهم
كم يَرجمونَ النابهينَ ولو دروا

النابهون؟! همو الحياة لجيلنا
مَنْ ذا يُحَقِّرُهُمْ فَيَحَقِّرُ نَفْسَهُ

وهمو الدَّلِيلُ لعصرنا الذَّهَبِيَّ
إِلَّا مُرَادِفُ جَاهِلٍ وَغِيبِيَّ؟!

الفأر الطائر

(الخَفَّاش)

تُظَنُّ طَيْراً هَوَاهُ	للشَّاطِئِ المَجْهُولِ
وَأَنْتَ تُشَبِّهُ فَأْراً	فِي خَفَّةِ المَخْبُولِ
طَالَتْ يَدَاكَ وَهَذَا	بَيْنَ الأَنَامِ الشَّيْبَةِ
طَالَتْ يَدَاكَ وَأَمْسَى	غَنَاهُ سَطَوُ السَّفِيهِ
قَدْ قَبَّحَ اللُّؤْمُ وَجْهَهُ	كَمَا قَبُّحَتْ بِوَجْهِكَ
وَأَفْسَدَ الخَبْثُ طَبْعَهُ	كَمَا خَبُثَتْ بِطَبْعِكَ
كَمَا تَعِيشُ يَعِيشُ	فِي اللَّيْلِ بَيْنَ الخَنَافِسِ
يَهْوَى الخَرَائِبَ حَتَّى	يَعَافَ نَمِرَ الفِرَادِسِ
وَحَيْثُ طَارَ نُعَانِي	مِنْهُ المَعَانِي الكَرِيهَةَ
رَوَائِحُ مُسْتَقِمَاتٍ	وَمَا لَهَا مِنْ شَبِيهَةٍ
تَنَامُ نَوْمًا عَمِيقًا	مُعَلَّقًا رَجْلَيْكَ
وَقَدْ تَمَصَّ دِمَاءً	لِلنَّاسِ هَانَتْ لَدَيْكَ
لَكُنَّمَا أَنْتَ تَنْأَى	عَنِ الدَّعَاوَى العَرِيضَةِ
وَذَا شَبِيهُكَ يَحْكِي	هَوَى النُّفُوسِ المَرِيضَةِ
كُنَّا حَسْبَنَاهُ طَيْرًا	مِنَ الطُّيُورِ السَّرِيَّةِ
لَكِنْ وَجَدْنَاهُ فَأْراً	مِنَ الضُّرُوبِ الزَّرِيَّةِ!

وداع العام

ودَعَيْتَ مَشْكُوراً عَزِيزاً شَاكِراً
بَلْ كُنْتَ فِي الْمَوْتَى اللَّئَامِ، وَلَمْ تَجِدْ
فَإِذَا الْمَمَاتُ قَدْ اسْتَحَالَ كِرَامَةً
يَا عَامُ! عِشْ فِي الذِّكْرِيَّاتِ مُخْلِداً
وَأَفْخِرْ بِأَيَّامِ بَوَاقِ عُمْرِهَا
كَفَرْتَ عَنْ مَاضِيكَ حَتَّى أَتْنَا
وَلَسْنَا وَرِثْتَ مِنَ الْمَسَاوِي زَاخِراً
فَكُنْتَ يَدَاكَ قَيُودَنَا وَشُجُونَنَا
وَعَدْتَ حَقُوقَ الشَّعْبِ عَيْنَ حَقُوقِهِ
فَبَدَأْتَ عُمْرَكَ كَالْخِيَالِ وَجُودُهُ
لَا يَدْعُ، هَلْ عَيْشٌ بِلَا حُرِّيَّةٍ
بَلْ أَيْنَ حَظُّ الْمُؤْمِيَّاتِ رَهِينَةً
كُلُّ الْوُجُودِ مَمَاتُهُ بِقَيُودِهِ
تَخِذْ النِّظَامَ الْعَبْقَرِيَّ دَلِيلَهُ
وَالنَّاسُ لَيْسُوا غَيْرَ بَعْضِ كِيَانِهِ
فَتَلَقَّ شُكْرَانَ النُّفُوسِ طَلِيقَةً

وَعَدِمْتَ يَوْمَ قَدِمْتَ حُرّاً شَاكِراً
إِلَّا لئِيماً حَامِداً لَكَ ذَاكِراً
وَعَدَوْتَ بِالتَّوْبِ الْمَطْهَرِ طَاهِراً
وَحُذِّ البَدِيلَ عَنِ الزَّمَانِ الْخَاطِراً
عُمِرُ الشُّهُورِ بَلِ السِّنِّينِ مَآثِراً
صَرْنَا نَرَى الشَّاكِيكَ غِيراً كَافِراً
فَلَقَدْ وَهَبْتَ مِنَ الْحَامِدِ زَاخِراً
الْقَاتِلَاتِ مَوَاهِباً وَضُمَامِثِراً
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ رُؤْيًى وَمَظَاهِرِهَا
لَا شَيْءٌ، ثُمَّ غَدَوْتَ حَيّاً عَامِراً
أَوْ دُونَهَا شَعْبٌ تَوَكَّبَ قَادِراً؟
لِلْأَسْرِ يَسْكُنُ الظُّلَامَ حَفَائِثِراً
وَالْكَوْنُ كَانَ وَمَا يَزَالُ الدَّائِثِراً
وَمَضَى جَرِيئاً فِي الْفَضَاءِ مُغَامِرِاً
حُرِّيَّةً وَعِنَاصِيراً وَمَشَاعِرِاً
عَزَّتْ، وَإِيْمَانِ النُّفُوسِ شَوَاعِرِاً

مِن السَّمَاءِ

الطبعة الأولى

(ديسمبر ١٩٤٩ - نيويورك)

من السماء

قالت (الأرضُ): "أيُّ عطرٍ لديكَ
أيُّ شِعْرِ لها فتُنتَ به الآ
هلْ علِمْتَ الأربابَ فيها أسارى
ما جمال السماء إلا جمالي
قلتُ: "يا أمُّ لم أبدلْ هيامي
ما عشقت السماء إلا هُروباً
أنتِ من أنتِ رحمةً بالبرايا
الدماءُ التي أباحوا دمائي
قالت (الأرضُ): "ما الشموسُ العوالي
في سحيقِ الآباد يوماً ستخبو
أنتِ يا شاعري تجازف بالحبِّ
لن تلاقِي لدى السماء سلاماً
وتناهيتُ في السَّماءِ بروحي
وشهدتُ الصراعَ فيها رهيباً
فتغنيتُ عائداً بالإنساني
ولثمتُ الأرضَ التي باركتني

سَكَبَتْهُ السَّماءُ في راحتِكَ؟
ن، ولم أعطه سخياً إليك؟
ما تغنَّوا إلا بعطفي عليك؟
أنا أودعته قديماً لديك؟"
أنتِ أمِّي وموئلي وغرامي
من حياة تعج بالآثام
وهُمومَن هموب هذا الخصام
والسلامُ الذي أراقوا سلامي"
في نجاء وإن تكن لا تبالي
وتلاقي مآلها من مآلي
إذا دمتَ عبدَ هذا الخيالِ
بل نضالاً يُزري بهذا النضالِ"
وتراجعتُ مثخناً بالجروحِ
والضحايا مع الزمانِ الذبيحِ
وكأنِّي أعودُ عودَ المسيحِ
وانطوينا على فؤادي الجريحِ

(١٩٤٢)

على صخرة سيدي بشر

وحي بير مسعود

(الخطاب موجه إلى البحر في هذا المصيف الشهير برمل الإسكندرية)

هَيْمَانُ مِثْلَكَ يَا صَدِيقَ الشَّاعِرِ
أَنَا مِنْ عَلِمْتَ مُحَبَّةً وَتَفَانِيَا
أَصْفِي إِلَيْهِ وَلَا أَمَلُ كَأَنَّمَا
عَزَفْتَ بِهِ الْأَرْبَابَ مِنْ عَلَيَّاهَا
نَتَقَاسَمُ الْأَحْلَامَ مَلَأَ خَيَالَنَا
وَتَظَلُّ تَشْجِينِي بِمَوْجِكَ رَاوِيَا
أَلْتَدُّ بِالصَّوْتِ الرَّخِيمِ وَإِنْ يَكُنْ
لُغَةُ الْجَمَالِ طَلَاقَةً بَلْ ثَوْرَةً
هَلْ كَانَ قَرِيبِي مِنْكَ غَيْرَ عِبَادَةٍ
أَوْ لَا، فَفَيْمَ تَأْمَلِي وَتَفْهَمِي
وَعِلَامَ أَصْحَبِ كُلِّ مَوْجٍ وَاثِيرِ
وَعِلَامَ أَشْغَفَ بِالصَّخُورِ رَوَانِيَا
وَكَأَنَّهَا عِبْدَتُكَ مِثْلِي حَرَّةٌ
قَدْ جِئْتُ سَبَّاقَ الرَّبِيعِ وَظَالِمَا
وَضَمَمْتُنِي بِأَشْجَعِ فَرْحَانَةٍ
حَتَّى تَنَاسَيْتُ الرَّبِيعَ وَزَهْرَهُ
وَنَسَيْتُ عِنْدَكَ لِلصَّلَاةِ خُشُوعَهَا
وَجَعَلْتُ مِنْ صُورِ الصَّلَاةِ دَعَابَتِي

أَنْظُرْ تَلْهُفُ نَاضِرِيَّ وَخَاطِرِي!
فِي كُلِّ مَعْنَى مِنْ شَيْدِكَ سَاحِرِ
أُصْغِي إِلَى لَحْنِ الْخُلُودِ الْعَامِرِ
قَبْلَ الْوُجُودِ فَكَانَ رُوحُ الشَّاعِرِ
وَنَبَادُلُ الْإِحْسَاسِ بَيْنَ مَشَاعِرِ
قَصَصِ الْحَيَاةِ لِسَاكِنٍ وَلِعَابِرِ
ذَاكَ الرَّتِيبِ كَرَجَعِ حُلُمِ غَابِرِ
وَالْفَنِّ يُعَبِّدُ فِي الْجَمَالِ الثَّائِرِ
أَوْ كَانَ صَوْتُكَ غَيْرَ صَوْتِ مَقَادِرِ
نَجْوَاكَ وَهِيَ عَمِيقَةٌ بِسِرَائِرِي؟
وَأَعْدَ ذَرَاتِ النَّدَى الْمَتَنَاشِرِ؟
وَكَأَنَّهَا نَامَتْ عُرُوشَ قِيَاصِرِ؟
فَتَأَلَّهْتَ بِمَظَاهِرِ وَضُمَائِرِ
أَنْشَقْتُ مِنْكَ هَوَى الرَّبِيعِ النَّاضِرِ
مِثْلِي كَأَنَّكَ بِالْأَشْجَعِ أَسْرِي
وَقَطَفْتَ مِنْ مَعْنَاكَ حُلُوَ أَزَاهِرِي
لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ابْتِسَامَةِ سَاخِرِ
لَكَ غَيْرَ مَكْتَرَثٍ وَغَيْرِ مُحَازِرِ

حتى تُشاركنا الرمالُ وتنتشي
متصوفين كائننا لم نفترق

هذي الصخورُ فنرتقي بالخاطرِ
يوماً ولسنا من غريبِ عناصرِ!
(١٩٤٢)

رحلة الزمان

(وحي صورة فنية)

يا راجلاً لم ينل من جهده تعبٌ
في ذلك القارب الرمزيّ عالمنا،
تسوسُها جامعاً من رمز وحدتها
تحيا الأنوثة فيه بالرجاء لنا
تمثّل (المقبل) المرجو ناظرةً
وهذه أختها في اللهو سادرةً
كأنما قد سلّت من غيره وبدت
في حين أخت لها هيهات يشغلها
قد أسندت رأسها إذ تستعيد مني
قد مجّدتها جميعاً وهي فانيةٌ

مجذّفاً وله الأمواج أدهارُ
الأمس والغد والمشهود حُضَّارُ
للكون ما فصّلت للكون أقدارُ
وفي تأملها هديّ وأنوارُ
إلى الأمام، فما تخفيه أستارُ
تمثّل (الحاضر) الحاويه قيثارُ
نشوى فليس لها في الأمس تذكّارُ
إلا التذكّر معقودٌ له الغارُ
ضاعت كما ضاع أحلامٌ وأوطارُ
كذلك (الأمس) مهما ساء يُختارُ

يا .احلاً عبّؤه عبّ، يحيرنا
نراه لكن نرى السطحيّ يشملنا
لم تضرب الموج بالمجذاف معتبطاً^١

كم ملء رحلته همّ وأخطارُ
وكم تحجب في التيار أغوارُ
إلا وفي الموج للمجذاف آثارُ

^١ معتبطاً: مجروحاً.

يتلو روايتها الغادون في عصرٍ
كم من تجاريب قد دونتها حكما
وكم تجاريب من طيش ومن نرق
تبدو على ذلك التّيار قصّتها
وأنت حيّ على الآباد، محتكم
مجنّح ثم تآبى أن تطير سدى

من السماء رجعنا بعد رحلتنا
فقلت للزمن الموموق: "يا زمني
أما سئمت من الأجرام عابثةً
ومن تجاريب في الإبداع طائشة
فقال: "بل هي سلوى ملء بوتقتي
إنّ كلينا قبسنا من محاسنها
ومن تجاريبها دثيا أجدها

شتى وتخلد فوق الموج أسطارُ
أو ثأر أهل العلى لو يؤخذ الثأرُ
مثل الكواكب قبل الموج تنهارُ
وإن يكن طيها للنفس أسرارُ
على المفادير، وثأب وجبارُ
ودائب ما له في الذأب أعمارُ

وبينها من عصور الخلق نُظارُ
ألم تُشَبِّك كشيبي اليوم أسفارُ؟
ومن شמושٍ لها قصفٌ وأسمازُ
رهن الملايين لا تخبوها النارُ؟"
وتلك للفن إلهام وأخبارُ
ومن محاسنها خلق وأفكارُ
كما يجدها لحن وأشعارُ!"

(١٩٤٢)

الجدول المسحور

على مقربة من ملروز في إيقوسيا يوجد جدول ماء متغلغل تحت الأعشاب
والنباتات المشتجرة الزاحفة يدعى (بوجل بيرن) اشتهر إلى جانب جماله بأسطورة
ظرفقة أوحى كما أوحى إلى صاحب الدّان بهذه القصيدة.

(ملروز) جدولك النّوومُ الحالمُ ما زال من حبّي عليه نسائمُ

الذكريات زهت به في عالمي
متحجب خلف النبات وتحتة
فكأنما دعة الأنوثة روحه
جالسته وكأنما في صحبتي
ومن النبات ستائر سحرية
يا طالما خاطبته بتألمي
وكأنني في حلمه مستغرق
كل (الطبيعة) حولنا بسكينة
وأنام أرتشف الخير مدامتي
أصحو على سُكري، و أبى هجره
قد كنت أنفق في اصطحاب سنائه
فيعيدها عمراً جديداً ضافياً
وكان محراب الطبيعة كهفه^١

لم أنس ليلة جلستي في قربه
والصيف في أنفاسه من عطره
يشدو بصوت كالضياء صفائه
في فرحة مثلي وفي تهليله
ونقيق عشاق الضفادع مالك
حفلت جميعاً بالحياة وبالهوى

وهو الذي لا يزدهيه العالم
لكن تنم على سنائه معالم
تُخفى فيفضحها الحنان الناعم
بين الجنان مرأشف ومباسم
ومن الأشعة والظلال مجاثم
فيجيبني ذاك الخير الحالم
وكذاك يحلم صادق أو باغم
نسج الخشوع لها الجمال الدائم
ومتى أنام ولي الخير مناد؟
وإخاله قوتي، وما أنا واهم
من خير أيامي كأي غارم
لهوأي فهو مزود ومقاسم
وكأنما أخفت سنائه مناجم

والبدر يسكب نوره في حبه
وحي لبُلبله^٢ القرير بقربه
والماء مهتز كهزة عشبه
للفن تدب مع حرة من قلبه
سمعي، كأن نشيدها من كسبه
مثلي ولم تعصر الهوى في شربه

^١ كهفه: غوره.

^٢ يعرف أيضاً بالعندليب وبالمهر وفي الشعر الأنكليزي قصائد رائعة في وصف شذوه وسهره.

نتبادلُ الأنخاب بالذِكْرِ التي
حتى رجعنا نستعيد أحبَّها
بوليمة للروح قبل مشاعرٍ
متباينين موحَّدين، تصوِّفت
من عُلْمِ النبت الضئيل عبادتي؟
لم نصطنع لغةً سوى إحساسنا
فسكَّتْ كالمشدود وهي بجانبني
فلثمتها وكأن من لثمي لها

قالتُ فتاتي: "هل سمعتَ الماءَ
عمَّن مضوا وتفيأوا أزهاره
فأصَحَّتْ للماءِ المثرثر هامساً
متداولاً زكراً كأنَّ لنا بها
قال الطروبُ الماءُ: "يا حوريَّتي
ماذا أصاب فتاك حين دعوته
قالت: "تشهيتُ الجمال بذاته
وحرصت أن يحيا لدي متوجَّأً
ما ناله سحري بغير محبَّتي
كان التحدي بعض إغرائي له
ومضى تبيعي غائباً في عالمٍ
ومنحته تفاحةً مسحورةً

نهبت، وما برح الزمان بنهبه
منه ويغفر أنسنا من ذنبه
سَكْرَى، وكلُّ عاشقٍ في صحبه
ألبابنا في الكون فهي بلبه
بل عالم الحشرات من صلي به؟
بالحبِّ، أو خمراً سوى من سكبهِ
في عتبها، وتصوفي في عتبه
قربان من أنهي الصلاة لربه!

متمهلاً يروي لنا الأنبياءَ
أو بادلوه محبةً ورجاءً؟
يستوقف الجنَّة الحسناءَ
عبراً تُثير الشعرَ والشعرَاءَ
كم ذا جنيت هنا صباح مساءً
ليقبَل الثغر الجميل فناءً؟
لا أن يُذال كما ترى ويساءُ
في عالم لم يعبد الفحشاءَ
فهو الأسيرُ وهما أراد نجاءً
فهوى يقبلني فصيدَ جزاءٍ
بالسحر ينبض روعةً ورواءَ
مَنْ ذاقها لا يستسيغ رياءَ

^١ فناء: فسقط ونأى.

حتى إذا ما شاء ذرة أسله
وأبى الأنام وكل ما حفلوا به

قالت فتاتي وهي في سكر الهوى
هل أنت تخشاها؟^٢ فما لك صامتاً
أظنني جنينة حورية
فضممتها ولثمتها ورضيتها
وأجبتها: "هل من نعيم يشتهي
ستجىء أعوام أعيش بحرقتي
ولتمنحيني الآن ما تهبينه
إنني أرى آتي السنين مهدداً
فهل نسخر من زمانٍ حاقِر
كم من غرام طاهر أودى به
فبكت، فقهقت المياه لشجوها
وسمعت من حورية محبوسة
فعجبت من هذي المياه وسحرها
والآن من بعد الفراق وما جنى

يوماً رأى دنيا الرياء فباء^١
ورأى الضياء حياهم ظلماء!"

"أترى إذا قبلتني نلقى النوى؟
متأملاً متوجساً كمن ارعوى؟
فرأيتني خطراً ولا خطر الهوى؟"
دنياي بل أخراي عن دنيا الورى
غير النعيم لمن أحبك وارتوى
فدعي الظنون بل ادفنيها في الثرى
لسافر لم يصطحب غير الجوى
حظي والمح فيه أقسى ما احتوى
من قبل أن يسعى بنا أو بيننا
كعبير هذا الزهر ضاع مع هوا
وتضاحكت أعشابها بين الحصى
في طيه أنات من فقد المنى
ورجعت أثمها وأدخر الغنى
أحنو على ذاك الزمان وما جنى!

(١٩٤٢)

^١ فباء: فرجع إلي.
^٢ أي النوى.

بجماليون

من خيالي جبلتُ حُسْنَكَ تمثالاً فطافت حياه الأنبياءُ
مشرقاً من جمالِ ما علّموا حين الذي علّموا طواه الفناءُ
سجدوا مثل سجدتي لحياك فمنه تألق الإيحاءُ
نظرةً للألوهة استعبدتنا وعبيد الجمال هم من أضاعوا
وتخلّوا عن المساء فإن الأرض لما سكنتها تسبّضاً
بل لدن أبدعت يد الفن فيها رسمك الذي اشتتهته السماءُ
أتملاه في شخوصي وأحلامي ومن غيره فؤادي براءُ
يا مثاليّتي التي لم تدسّ بتشابيه كلّها أهواءُ
ما تسابيح مهجتي فيك إلا صلواتٌ روحيةٌ غناءُ
لم تُعرّف ولن تُعرّف يوماً لنفوس لم يستثرها الضياءُ
والضياء الذي تشبعت منه غير دنيا ضياؤها ظلماءُ
والجمال الذي تغنيت فيه غير ما تابع الورى كيف شاعوا
كلما جئتُ مفصّحاً عنه ردّتني إلى الصمتِ نشوة خرساءُ
بايع الأنبياء قلبي بالحب وعبّئي من دونه الأعباءُ
ففروضي فروضهم وعباداتي وحيداً هي الغنى والجزاءُ
وهي همّتي ولوعتي وشجونى وهي أنسى ولدّتي والرجاءُ

وتجلّيت فتنةً وأنا البابدُ لا تستثيره الضوضاءُ
وتخيّلتي أننى ذلك المغرمُ يُصّبي خياله الإغراءُ
فتباعدتُ، حينما أنت للفنّ خيالي المقدّس الوضّاءُ
لا التي يعشق الورى، وهي منهم، ويُباهي بوصفها الشعراءُ!

الزمن المريض

عزاء إلى شاعر صديق

قد كنتُ أملُ أن أراك بصحةٍ
لأحدّد الحبّ القديم وإن يكن
فإذا دموعك كاللهيب تصدّني
ريح الفؤاد وقد قرأتك باكياً
لم أرث في دمعي شجونك وحدها
عشنا نعالجه فخان وفاعنا
هذي ضريبته، وهذا عالمٌ
لم ألق غير الفنّ ملجأ رحمةٍ
فالجأ إليه مثابةً علويةً
غرداً وفي دنيا من النعماء
حبّي المؤصّل في صميم بنائي
ومن اللهيب لواعج الآباء
هذا الصباح فما ملكتُ بكائي
بل كان للزمن المريض رثائي
وجنى، وكم يجني على الشعراء
العدلُ فيه مخاتِل ومرائي
وعزاء من يصبو لصدق عزاءٍ
وتلقّ فيه من العزاء وفائي

(١٩٤٢)

يأس

إني يئست، ومثلي غير متّهم،
إن أنصفوني فغبني عين نصفتهم
قد جرّت ما بين تجريح لعاقلهم
وبين ميزانهم للحق في سَفَه
من الأنام، ويأسي من أحاسنهم
وفيم غبني وجهدي غير غابنهم؟
كأن عاقلهم ندّ لماجنهم
حتى تساقط حقي عند وازنهم!

(١٩٤٢)

إلى الفن

توديع للأنسة الفنانة فاطمة هنو قبيل التحاقها بمعهد الموسيقى بالقاهرة

إلى الفن نجواك يا (فاطمة)
ستمضين أحوج من ترتجيك
لكم نعمت منك بالعبقري
ومن نكت بالمعاني الدقاق
أثيرية الطبع لا تستقر
كأنك جواله في الوجود
وتعطينها طرفاً غاليات
سنحرم في البعد هذا الرحيق
ولست البخيلة للأوفياء
سُقينا التفاؤل من وجنتيك
ولما نزل بعد من تابعك
نرجيك مستذكرين الرشاقة
ونلقاك بين الأغاني اللطاف
وملء رؤى الشعر حول (الطيب)
لكم كنت ترعينها في الحقول
فعودي أيا بجديد الغناء
ولا تحسبي الفن رهن السماء
نعم، أمنا الأرض من أبدعته
فلا تجحدي فنّها أين كنت

إلى الفن بسمتك الحالمه
عيون وأفئدة ساهمه
من اللطف والدعة الباسمه
حوافل، والملح الدائمه
خواطرك الحرّة الهائمه
تصيدي ألعابه العائمه
من الظرف والصور الناعمه
فما الزاد للأنفس الصائمه؟
فهل تخذلين المنى الغارمه؟
بضحكتك الحلوّة الناعمه
نرجيك في الوحشة القاتمه
والأنس والحيلة الواهمه
تُدين عواطفنا الناهمه
ـعة) وهي بيقظتها نائمه
وتستلهمين الرؤى الجائمه
تعودي بآياتها الكارمه
ففي الأرض دولته قائمه
وطار بأجنحة نادمه
فأنت الوفيّة يا (فاطمة)!

(١٩٤٢)

قصر ريجيا

تحية إلى الصديق الشاعر الموهوب مفيد الشوباشي حين أصدر كتابه
عن أيام كليو باترا الأخيرة

يا (قصر ريجيا) أين أنت؟ وهل سلمت؟ وهل أمنت؟
فتشيتُ عنكَ فلم أجِدْكَ، وجئتُ أستوحي فبنتُ
هذا (مفيد) شعره المنثور ينثرُ ما كنزتُ
ويعيد ما استطيبتُه وإلى مفاخره حننتُ
وكأنه من ساكنيك وقد تحرك إذ سكنتُ
شهد الولائم و المجالس والمراقص منذ أذنتُ
وقياصر الرومان والمجد الذي كان وكننتُ
وعراك (بطليموس) والتأر القديم وما غنمتُ
وهوى (كلوبترا) وما فقد الهوى لما هويتُ
واليوم يوفي دينه أدباً غنمنا بل غنمتُ
قصصاً من الفن الأصيل به فتتأ إذ فتنتُ
يتلى وكل حاضر عصر الفخامة فيك أنت
لا قارئ وصفاً له يطوى كأخبار وموتى
فلأنت حي بيننا جيمُ الشموخ كما عهدتُ
والشعب دُفأ حيا لك هاتفاً حتى جُننتُ
ويقهقه المرح الطليق وبعده الأحداثُ شتى
لو أنني حاولتُ في شعر تتبها غبنتُ
وأديننا الخلاق يرسمها فنلمسها وتوتى
وكانها ملك له، وكان ما أوحى تأتي

جمع الحقيقة والخيال فما اكتفينَا واكتفيت!

(١٩٤٢)

خلائق اليوم

وحي صورة فنية للرسام الأنكليزي رسل فلنت عضو الأكاديمية في لندن

مظاهرُ فنٍ أم تهاويلُ ساحرٍ؟
ألم يودع الأصباغ فتنة عصره
وما اختار غير البحر معرض فنه
أبونا^١ الذي ربى العصور فانجبت
وقد نشر الإلهام إثر مسيرها
رجعنا إليه^٢ اليوم ظمأى لوحيه
وما الريشة الزهراء إلا عواطفاً
فيرفض منها النور والظل عالماً
نصاحبه حساً وفيّاً مجسماً
فيا لوحة فيها الملاحه نفحة
عرفناك معنى عبقرياً نحولته
تراعت به (حواء) في مثل لها
ولكنها كالخمر أصلاً ونشوة
فنسكر من لهو لها وتجرب
وما الزورق الثاوي قريراً بقربها

لقد ملك الفنان لبي وخاطري
كما أنطق الأصباغ روح المعاصر
فقد نبتت في البحر شتى الشاعر
له حيوات من كريم العناصر
كأن من الإلهام زاد المسافر
وإن كان مذخوراً بصورة ساحر
وإبداع خلاق ومزمار شاعر
جديداً كأشعار الربيع المبكر
وإن كان لم يبرح خيلاً لناظر
تعالى بها الفنان عن طيش عابر
بأفئدة ولهى ونجوى السرائر
منوعة كالخمر عند المعابر
وإن توعت في الوصف أو في المظاهر
ومن ضجعة هزت عروش قياصر
سوى (زورق الدهر) الغيور المغامر

^{١-٢} أي البحر .

فلولا رضى (حواء) ما ساخ ناجياً
ولا خلد العمران رغم انتشائه
شربتُ مع (الدهر) الخيالات رحدنا
وعدنا فلم نظفر بعلم مجدّد
وكانت لنا (حواء) في كل منزل
كأنّ ضياء الكون شعلة روحها
وكل الذي يرجى سواها تعلّة
معانٍ تراءت في خيالي كومضة

ولا كان أستاذ العصور الغواير
بسفك الدم الغالي ونشر المقابر
وسحنا إلى مهد العلى والعباقير
ولكننا عدنا بإيمان ثائر
نزلناه معنى فوق معنى المقابر
كأنّ هواها غامر كل غامر
من الوهم نجزيها ببسمة ساخر!
ولكنها زخر لحى وقاهر!

(١٩٤٢)

بطل العلمين

قبلت في أول يولية سنة ١٩٤٢ تحية للجنرال أوكنلك

إلى البطل الثاوي لدى (العلمين)
إلى المنقذ الآلاف وهو مجازف
تخطى صفوف الموت بالموت هازئاً
وأنذره العاديّ بشراً هزيمة

أزف من الأعجاب أهون ديني
كأنّ مآل الحرب رهن يدين
وراجع مفقود الرجاء لعيني
فعانى سراب الطيش في (العلمين)!

لقد سخرت منه التلال وردّت
وقد أقبل الفرسان كلّ لثأره
عزيزّ عليهم أن يردّوا فراسخاً
وقد أورثوها بالدماء شعورهم

لها ضحكات السخر غضبي المدافع
وكلّ بدباباتهِ غير قانع
وقد صبغوها في قديم المواقع
كما أخصبوها بالهوى والمدامع

إلى البطل الحرّ الذي لم يمت له
إلى العَلَم الصنديد يخرجه الردى
إلى من يَرَدّ الغرمَ غنماً موطداً
تحيّة من يهوى البطولة فدّة

يقين لدن ريع الرجال وماتوا
فيسمو ولا يسمو إليه مماتُ
ومن قلبه قبل الحماة حُماة
ومنها شعاع للورى وحياة

(١٩٤٢)

نجوى العيد

قبلت باسم المؤتمر الطبي العربي الخامس برئاسة سعادة الدكتور علي إبراهيم باشا
في تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا إثر حفلة الغداء التي
أقامها رفعته تكريماً لأعضاء المؤتمر بكازينو أتينوس بالإسكندرية
يوم الاثنين ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢

لمن تُزفّ التهاني أيها العَلَمُ؟
نعم إليك، فما يُرضيك يُسعدنا
وليس أعلامها غير الآلى بذلوا
الواهبين من الأعلاق أنفُسَها
العازفين عن الأطماع مغرية
إنّ الزعامة إقدامٌ وتضحية
وليس (كالمصطفى) يسمو تواضعه
اليوم يجمعنا حبٌّ توزّعه
لما مددت يدَ الترحيب تكرمنا
أهدى (عليّ) إلى عليك طاقته^١

إليك أم للآلى في فرحة نعموا؟
وهكذا تزدهي أعلامها الأمم
كما بذلت ومن عانوا ومن خدموا
عند الشدائد لا يلوي بهم ندم
وعن نداء الدنيا سمعهم صمم
حين التخاذل في يسرٍ هو العدم
إذا هوى في غرور الغاشم الصنم
وكلنا طامعٌ: تُعطي ونقتسم
لم ندر كم من معان يسبغ الكرم
وليس بعد الذي يهديه مفتنم

^١ الطاقة: باقة الرياحين.

وما أقل الذي يهديه من كلم
يغضي ويطرق كالأرباب معتكفاً
وما (عليّ) سوى ذخِرٍ لأمتِه
جاء الإمام لأهل الطب ينهضهم
وحولَه جمعنا يوفيك في شغفٍ
وما يزيدُ ثناءً شأو رفعتكم

وما أجلّ الذي توحى به الكلمُ
وزهنه عالمٌ هيهات يُقْتَحَمُ
مَنْ علمه العلمُ أو من حكمه الحكمُ
وجاء من قسوة الأيام ينتقمُ
أغلى الثناء على ما صنّته لهموُ
لكن به تتسامى مهجةٌ وفمُ!

هذه (العروبة) في ناديك سامقةٌ وإن يرجي حباك (العرب) و (العجم)
وهل (فلسطين) إلا (مصر)، أو عُرِفَتْ
أو (العراق) بجنات تغازلها
جميعها فلذاتٌ من أبوتكم
جاءوا على سفرٍ مضمّنٍ فما تعبوا
وإن يكن زادهم علماً وتجربةً
ونصطفيك بإخلاص نعرُ له
كـ بين مؤتمِرٍ ماضٍ ومؤتمِرٍ
ونافسونا فبرّونا بما بحثوا

ربوعُ (لبنان) إلا (مصر) عندكمو؟
جنّات (سورية) الفيحاء؟ فهي همو
وأهلها طالما رجّوك إذ حرّموا
لما طلعت تحيّيهم وتبتسمُ
وهمةٌ لم تجز إيمانها الهممُ
كما تعرّض به الأخلاق والشيم
بارٍ سقينا جميلَ الودّ بينهمو
وزودونا فأغنينا بما علّموا

(إسكندرية) رفيت في مباهجها
بنت الحضارات لم تبرح معالمها
والبحر يصغي كما تصغي مشاعرها
ألم يشارك هوانا أو عواطفنا؟
هذا مجالُ خيال الشعر رائدهُ
والحرب تستعبد الإنسان جاحة

مثل العروس إذا خطّابها ازدحموا
قلائد الفن تُستوحى فتننتظّمُ
والموج مصطفيّ حيناً ومحتدمُ
أو علّه مثلنا للنور يفتنمُ
وأنت رائدُ آمالٍ الألى حلموا
حتى لينسى الأسى والويل والألمُ

إِنَّا احْتَشَدْنَا لَعْلَمَ نَسْتَعِزُّ بِهِ
وَحِينَمَا أُرْسِلَ الطَّاغُوتُ صِيحْتَهُ
وَحِينَ كُلِّ جَحِيمٍ صَارَ خِجَابُ
هَذِي أَتَانِيَةِ الدُّنْيَا تَصْرَجُهَا
وَأَنْتَ تَضْرِبُ لِلْإِثَارِ أَمْثَلَةً
كَأَنَّ سِيرَتَكَ الزَّهْرَاءُ مَعْجَزَةٌ
لَعَلَّ فِي يَوْمِنَا فَالًا لِخَيْرِ غَدٍ
حَيَّتْ مَدِينَتُنَا الْغَنَاءُ طَلَعَتْكُمْ
وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ عَصُورِ زَهْوٍ جَامِعَةٍ
فَإِنْ شَكَرْنَا عَلَى التَّرْحِيبِ يَغْمُرُنَا

يَا عَهْدَ (فَارُوقِ) هَذَا عَهْدُ أَمْتِنَا:
إِنَّا أَمْنَا بِظُلٍّ مِنْ رِعَايَتِهِ
وَالْعَدْلُ لَيْسَ بِعَدْلٍ فِي جَلَالَتِهِ
يَا وَارِثًا عَرْشِ (بَطْلِيمُوسِ) مَقْتَدِرًا
تَيَمَّنْتُ بِاسْمِكَ الْمَحْبُوبِ نَهَضْتُنَا
فَكُلَّ فَضْلٍ جَدِيدٍ أَنْتَ مَعْلَنُ
عَمْرٍ مَدِيدٌ مِنَ الْإِبْدَاعِ رَنَّقَهُ
وَزَدْتَهُ أَنْتَ تَدْعِيمًا وَتَرْكِيزَةً
إِنَّ الْمُلُوكَ مُلُوكٌ مِنْ شِمَائِلِهِمْ

حِينَ الْمَالِكِ أَشْلَاءُ هَوْتُ وَدُمُ
تَفْشَى الدَّمَارُ تَوَالَتْ عِنْدَكَ النِّعَمُ
يَشْوِي الشُّعُوبَ تَعَاْفَى (النَّيْلُ) وَ (الْهَرَمُ)
لَوْلَا الْأَتَانِيَةُ الدُّنْيَا لَمَا اخْتَصَمُوا
وَلَيْسَ فِي مَنْتَهَى الْإِثَارِ مَا يَصُمُ
فِي عَالَمٍ مَلُوءٍ الْأَوْزَارُ وَالرَّمَمُ
حِينَ السَّلَامُ وَحَيْثُ الْعَدْلُ وَالشَّمَمُ
فَإِنَّ أَضْوَاءَهَا مِنْ حَوْلِكُمْ نَغَمُ
كَانَتْ تَعَمُّ لِلْأَجْيَالِ مِنْ حَكَمُوا
فَلَا اللِّسَانَ بِمَعْوَانٍ وَلَا الْقَلَمُ!

عَهْدُ الْوَلَاءِ الَّذِي تَرْقَى لَهُ الذَّمُّ
فَفِي رِعَايَتِهِ عَدْلٌ لِمَنْ ظَلَمُوا
إِنْ لَمْ يَعْمَمْ وَهَذَا عَدْلُهُ غَمُّ
تَرْفُ فِي ذِكْرِكَ الْأَمَالِ وَالْعَلَمُ
كَمَا انْتَشَتْ حَوْلَهُ الْآثَارُ تَلْتَنُّ
لَهُ الْأَصَالَةُ فِي التَّارِيخِ وَالْقَدَمُ
أَجْدَانِكَ الْغَرَمُ مِنْ شَابُوا وَمَنْ فَهَمُوا
فَمِنْ مَبَادِيكَ الدُّوَلَاتِ تَدْعِمُ
قَبْلَ الْعُرُوشِ وَإِنْ جَلَّتْ وَإِنْ عَظُمُوا!

(١٩٤٢)

تحية الملوك

لمناسبة إهداء الدكتوراه الفخرية إلى الملك فاروق الأول بجامعة الإسكندرية
وأثر افتتاح كلية الطب بهذه الجامعة

مولاي! رحبت الثقافة وانتشت
خلعت ملاحظتها على أفراحنا
وتنافست صور الطبيعة والورى
ما كل يوم للثقافة مؤئل
هتفت لمقدمك القرون ورددت
وتألق اليوم السعيد بشمسه
إن كان حجبها الغمام هيهة
إن كان داعبها الغمام بوكفه
وكأنما النسمات في هذي الربى
وتردد الأنفاس من أنفاسنا
بالفاتح الملك الأبى وحسبه
وشجاعة حين الكوارث روعت
وشمائل في البر بين رعية
أين التفت رأيت جم متاحف
عاشت بإيمان العظام واعتلت
إن كان عفاها الزمان فإنها
والبحر حول سياجها متهافت

بالمهرجان مدينة (الإسكندر)
وخلعت أنت وضاعة الأدب الثري
بمشاهد لم تفتقر لمصور
والعصر عصر تناحر وتجبر
أمالها المناظر ومذكر
فكأنها سارت بموكب (قيصر)
فكذلك الحسناء للمتنظر
فلقد تأدب عن هوى المستهتر
تسري بإعجاب الربيع المبكر
بحفاوة لم تجتمع في منظر
بين الملوك حفاوة لا تمترى
فتراجعت في صدمة وتعثر
عشقه واستوحته للآتي السري
وروائع للمجد لم تتغير
كمنارة الأمس الرفيع النير
خلدت بأعجب سيرة أو مظهر
والموج بين مجاوب ومثرثر

لغة الطفولة ما حكاه وما حكّت
يصغي إليها الشاعرون كأنهم
لا الحرب هدتها ولا أيدي البلى
قد عاد يخدمها بذلة صاغر
وكان حرمتها ديانة عالم
وأضفت أنت إلى جلالها غنى
وبفتح (جامعة) بيمينك عرفت
ولعل (دينو كرات)^١ بين جموعنا
يصغي ويهتف مثلنا لمدينة
تجري الحياة بها فنونا جمّة
ولعل مدرسة (البطالسة) الألى
وكأنما لما تقمّص روحنا

نُخب العلوم العاليات تسابقت
رفعت إليه تحية إعجابها
والطب لم يسعد بيوم حافل
تلك الوثيقة عهدنا ووفاءونا
أبهى وأكرم من خرائط دولة
ولأنت أشرف من يجل رموزها
تفنى الحروب بما جنته ودرنها

والكل بين معمر ومعمر
أخذوا، وتستهوِي الذي لم يشعر
بل عاش يصقلها الزمان المجتري
فكأنها ثارت وإن لم تثار
فتقدّست عمّن يبيع ويشتري
بجلالك، الحرّ النبيل الخير
فزهت على فتح الوغى والعسكر
متخفياً في غبطة وتأثر
عاشت تجاوب حلمه في الأعصر
وترف أحلاماً وعزة جوهر
بهروا الزمان تمثّلت للمبصر
أعلامها سرنا بموكب (سوثر)^٢

في خطب بشرِ العاهل المستبشر
بهديّة جازت ظنون مقدّر
أسنى وأجمل أو عبير مسكر
في خدمة الفكر العظيم المثمر
تجتاح في حرب وغزو مقفر
ويزيد من إichائها لمعبّر
تبقى الحياة لباحث ومفكر

^١ دينو كرات: هو المهندس الذي عهد إليه الإسكندر في تخطيط مدينة الإسكندرية.
^٢ سوثر: هو بطليموس الأول الذي بدأت الإسكندرية تترعرع في عهده وكان مؤرخاً جليلاً عظيم البر بالعلم والعلماء.

مولاي! غنى الشعر في أفيائكم
ولحت كوكبةً بها أعلامه
هُرِّعُوا، وكلُّ سكندريٍّ خالِدٍ
تبعوا (تيو كريتيس)^١ وهو موقع
فسبقتهُم كيما أفوز بسمعكم
وسعت شمائلكم محبة شعبكم
فاسلم ملك (النيل) رمز فخاره

وتراقصت رباًئه للمزهر
يتزاحمون لوحيك المستأثر
من ذلك الأمس النضير المزهر
لحن الجمال لشاعر وشويعر
قبل النجوم، ولستُ بالمستغفر
من حاضرٍ حيٍّ وناءٍ مضمِرٍ
لا رمزَ عصرٍ ماثِلٍ، بل أعصر!
(١٩٤٣)

الموتى المشرّدون

وجهت إلى جلالة الملك فاروق الأول

مولاي! حبُّ الشعب أعظمُ ثروة
كن أنت رائده ووزَّع أرضه
مِلْ شأنَ آلاف الفدايين^٢ التي
ذهبوا بأرجاء البلاد تشرداً
وجميعهم موتى، وتلك لحودهم
تركوا المقابر صاغرين فعيشهم
وتجاوبوا بأنينهم وسقامهم

لك من كنوز التاج والسلطان
لبنيه (كالفاروق)^٢ في الإحسان
هي كالمقابر للسَّواد العاني؟!
وتكفَّنُوا بمذلةٍ وهوانٍ
ملء الضياع الفخمة العمران
ومماتهم بهوانهم سيَّانٍ
وجراحهم في عالم البهتان

^١ تيو كريتيس: هو أول اثنين من فحول الشعراء السكندريين، وقد اشتهر بشعره في جمال الطبيعة.

^٢ الخليفة العادل عمر بن الخطاب.

^٣ ضياع الإقطاعيين الذين يملكون على قلتهم معظم ثروة الأمة حينما الأغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين.

أنت العظيم، فلا تدع إخلاصهم
بل لا تدعهم في الورى أمثولة

لك يستباح بلا هدى وأمانى
لتدهور الإنسان بالإنسان!

(١٩٤٣)

الحنين

أواه لو تعلمين	كم يستبد الحنين!
وما شكوت الأنين	وكم يئن فؤادي
فروض نسل ودين	وكان باقي عذابي
غنم لقلبي الغبين	كان طول احتمالي
شكى يرد اليقين	ساءلت عني ولكن
بعدت أو تبعدين	وكلما زدت قريباً
حزني بتمبى دفين	ألقاك نشوان لكن
ما كان للعابثين	على جمال مضاع
ووحى حب أمين	أولى به وحي فن
فبات شعري الثمين	لكم هتفت بشعري
من فيك للظامئين	وشع خمرأ حلالاً
وأنت حلمي المبين	أصغي إليك بحلمي
على امتحان السنين	في حيرة لم تكيف
في حين حبى مهين؟	أصار فنى عزيزاً
ولست بي تحفلين؟	أتحفلين بشعري

وليلة من نعيم	أطعت فيها الحنين
وما ارتضيت شكوكي	ونهي عقل رصين
وما طبعت عليه	من الحياء الكمين
كأنما البدر أوحى	إلي ما تشتهين
فسرت أنفض همي	والنور برء الحزين
في موكب من خيالي	يُخص بالشاعرين
كأنما فيه سارت	عواطف الخالقين
كأن (فينوس) غنت	ملاحم العاشقين
وذا (كيوبيد) يرمي	السهم في اللاعبين
فيضحكون سُكاري	وكل قلب طعين
إن يبدع النور وهماً	فلسْتُ في الواهمين
تلك الطيور لداتي	وليس فيها كنين
إن يخذل الناس فتني	فليس فيها ظنين
قد عودتني احتفاءً	كإخوتي في الفنون
كم شجعتني بعطف	فكان همي يهون
كم صاحبتي لصفو	والصفو سرّ مصون
وجئت جنة أنسي	كأن أنسي رهين
وما أردت فكاكاً	لو إنما تاذنين
لكن جعلت ابتهالي	تصوّف العابدين
كأن روعي قصيد	يذوب للمهمين
كأن قلبي المعنى	قد ردّ للفاتحين
ساد التجاوب فينا	فلم يعد يستكين

وقد تناولتُ كأسِي	من الغرام الضنين
كأنَّ (باخوس) أوحى	بكاءَ ما تبذلين
من عالمٍ سرمدِي	للحبِّ أو للفنون
نروي ونحكي وننسى	ونحن في الحالمين
وأنتِ أسنى وأبهى	من كلِّ ما تبدعين
حتى أذنتِ بلثم	لنور ذاك الجبين
فما لثمتكِ حتى	سموتُ في الخالدين
وما تركتكِ إلا	رجعتُ مثل السجين
مستسلماً في حنيني	إلى عذاب الحنين

(١٩٤٣)

قبلة ميلادي

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى غرامى وعهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودماً من الشوق الشهيد
ثم استعدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أيَّ هدية منها لميلادي السعيد
وكأنما هي نعمة زُفت إلى سَمع الوجود
تستمتع الدنيا بها مثلي وتخلد في قصيدي

والكون أحفلُ بالهوى للشاعرِ الحرِّ الفريدِ
من عالمٍ في صَخبه يعنو لـ شيطانٍ مريدِ
ما سيرُّ الأجرامِ غيرِ الحب في جذبٍ رشيدِ
أو أبدعِ الإعجازِ غيرِ جماله الموحى البعيدِ
فترسّلي يا فتنتي بحنانك العذب الوليدِ
ودعيه يزهر نامداً، لا ترهقيه بالقيودِ
ودعيه يبلغُ مثل تحناني وإيماني المجيدِ
فيعيش تواءمَ مهجتي في عالمِ الحبِ الرغيدِ
لا يعرفان الشيبَ أو عمراً سوى الخلد المديدِ
وأعود أستوحي وأحيا بين تقبيلٍ جديدِ
لا شاردةً متعثراً أوي إلى قلبي الشريرِ
مستمتعاً من حلو ساعاتي بعيدِ بعد عيدِ
ومخلصاً لك آية الفنان في الفنّ النضيرِ

(١٩٤٣)

الإسكندرية الفنانة

أنشدت في حفلة رابطة اللوتس بمدينة الإسكندرية التي أقيمت لتكريم أعضاء هيئة

التدريس بجامعة فاروق الأول يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢

الفنّ أنتِ فجئتُ أستوحيك	وعبدتُ ألوانَ الملاحه فيك
ونعمت بالنجوى فقربك جنّة	خُصّيتُ بروح الفن دون شريك
تتهافتُ الأجيال حول جمالها	كتهافت الأحلام حول مليك

وتحدّث الأطيافُ في جنباتها
عاشوا وعشتُ مجاوباً لندائهم
رقصتُ محاسنُك الوضاء أشعةً
عشقوك واعتزوا بحبك، واهتدوا
وعُبدتْ فاتنةُ الجميع كأنما
خطرت وموج البحر رفأف لها
وجلّت على البحر الطروب مفاتناً
عكست ملاحظتها صباحة (زينب)^١
والجو مؤاراً بأنغام الهوى
وملاحم الأرباب تعزف فوقها
فوضى من الفن الجميل تناثرت
وتدللت بالعبقري من الغنى
صور قداساتها الحياة بذاتها
وأبت لنا إلا الخيال رفيقنا
من ذا يحاكينا ويقدر ما حكى
ويرى ويعرف ما أصالة حبنا

وافى (الربيع) فتاه كل مغرب
وازداد مجدك عزّة وجلالة

بروائع الآيات من بانيك
بالحب يحييني كما يحييك
وعواطفاً لمنعم وضريك^٢
بسناك، واعتصموا بمجد أبيك
خطرت (كلوباترا) لمستوحيك
وتوشحت بضياك المسبوك
فإذا بحورياتَه تحكيك
وحكت دعابتها رشاقة (بيكي)
وبكل فتح للغرام وشيك
وتحول أشباحاً لمثاليك
وتجمعت في دولة وأريك^٣
لغواية (المجنون) و (المفلوك)
نفحت أساطير الغنى المتروك
ومن الخيال حقائق (الصعلوك)^٤
شفتاك من سحر مستمعيك
ولم ارتفعت بسوقة وملوك؟

وحلا الشروق، وطاب صوت الديك
وطلاوة، فلعلّه يكفيك

^١ الضريك: الفقير المسكين الحال.

^٢ موار: مانج - والإشارة في البيت السابق إلى اجتماع الجمال الشرقي والجمال الغربي بمدينة الإسكندرية.

^٣ أريك (جمع أريكة): عروش.

^٤ المجنون والمفلوك والصعلوك - إشارات إلى الغزليين البوهيميين من الشعراء.

وتسابق العلماء حولك مثلما
حفلوا بجامعة رفعت مذارها
إن كرمونا فهو تكريم لهم
هذي خمائلهم وكل بلبل
شهدوا (لأفروديت)^١ أعراس الهوى
وعفا (السربيوم)^٢ الذي غنّوا به
وتدفقوا كالنبع سال جداولاً
وتفتنّوا بمنى (الطبيعة) فانتشوا
فلهم ثناء (الفنّ) قبل ثنائنا
ولهم تحيات (الجمال)، فإنّها
لغة الآلهة شأو من هتفوا بها^٣

يتفنن الشعراء في ناديك
بين الدياجر والدم المسفول
وهمو أحق بمدحة ترضيك
حلّو البيان سقاه من يسقيك
واسترجعوا ماضيه من ماضيك
وبقيت أنت لنا ومن غنّوك
تروي كما يروي الهوى من فيك
لما انتشت وحنّت على أهليك
و (الفنّ) كان ولم يزل واقيك
قد نُزهت عن عاطل وركيك
لا مثل أشعاري لفنانيك!

(١٩٤٣)

الفنّ الضائع

مهذاة إلى فتاة المندرة برمل الإسكندرية

وماذا يرجّي الحبُّ من شاعر بعدي؟
على الفنّ، حين الفنّ كالحسن للخلد
سوى عالم بين النفاية والكيد
وخلي الهوى والحسن بيناً مستهدي

لمنّ تمنحين الحبّ دوني عن عمْد؟
وحسبك أولى أن يسان جزله
وما عالم الناس الذين تطاولوا
ترفّعت عن أن تسكنيه فحاذري

^١ أفروديت: إلهة غانيات الإسكندرية.

^٢ السربيوم: معبد الإسكندرية العظيم الذي هدمه البطريق تيوفيلس.

^٣ شأو: قدر - أي ما يجدر بهم.

ولا تتركي الأيام تنهب خاطري
فإني تراثٌ للملاحاة والهوى
لئن كان من حق الجمال عبادتي
وأن يغمرُ الحبُّ الكريمَ فرَّاده
مضى العام وانجاب (الربيع) عن المنى
ولو أن أحلامي هي الهمَّ والجوى
تسربل بالظلمات وهي صواعقُ
فصارت به الجنَّات نار جهنم
ذكرْتُك محزوناً جريحاً معذباً
وقد كفكفَ الحاني (الربيع) مدامعي
فأحسست بالسلوى تسلسلُ في نمي
وقد ناله لفح الهجير بقسوَّة
فهل لك أن تُصغي إليّ فريماً
كما ذابَ عطر الورد في بسماته

ويا جارتِي ما أبعد القُرب بيننا
أناجيك في دقات قلبي والهأ
يَحْنُ إلى من قاته وأفاءه
وأخشاك رغم الحب، لا عن ضلالة
وكم تمتمتُ نفسي بشعرٍ محبَّبٍ
فلما تلاقينا نسيت ضراعتي
وقد حالت الأنفاس شِعْري وحدها

وتعصف- ما شاعت- بحبِّي أو وجدي
فإن ضاعَ لم يُسعِدك غبني أو فقدي
فمن حق مثلي أن يكلَّل بالمجد
جزاءً، وأن يعفَى من الشكِّ والصدِّ
ولو أن الأملِي تباعدنَ عن عدي
على عالمٍ بالتكلِّ واليتم ممتدِّ
وماشى الخراب الهول في الزمن الرغد
ويا ليتها! فالحرب تُعدي وتستعدي
كئني الأقي الطعن في معركٍ وحدي
ولن زالت النسمات- ما شئن- من وقدي
تسلسل ماء النبع في الظامئ الورد
فعاد يفضُّ العطر في نفح معتدِّ
أنبتُ فؤادي في النشيد بلا عود
وداعاً لمن يهوى ومات بلا حمْدٍ!

وذلك خوفي صيرَّ القرب كالبعد!
كان فؤادي طائرُ رفٍّ في القيْد
ولوأنَّه في أسره ضائعُ الجهد
ولكن كخوف القانتِ الوالهِ العبد
أغربه في خدرِك الساحرِ الوعد
ولم تبق لي إلا حشاشة منهْد
وكم تحمل الأنفاس من قُبُلٍ عندي

إذا لم تترجم في لُغى الحب فالهوى

سيغفر ما أودى بشاعرك الفرد!

بروحي من أحلام عمري ساعة
على الشاطئ المسحور أنت صخوره
أراقب عن بعد جمالك ناشراً
فيغنم عشاق دعابتك التي
وأقنع بالحلم البعيد ووحدتي
ولكن خيالي لم يذلل حائل
وسابق موج البحر في وثباته
فكنت على بُعدي المنعم ظافراً
أتوا بالهدايا الحاليات رواقصاً
ولم تلمحيني في تلاهيك حينما
وقد نثرت فوق الرمال تحية
تلقفها شعري وكاد يصوغها
ولكن دنا العاتي الغروب فلم أفق
وقد ردّ الموج الشجي تأوهي

جلستُ وموج البحر مثلي في زهدي
وغنّت به الأمواه للحجر الصلد
على الماء ألوان الرشاقة والصيّد
تخاطفها مثل الجواهر مستجدي
كأن حيائي قام دونك كالسد
فقال من القدّ المنعم والخذ
وبرّ شعاع النور في اللهو والجد
بما لم ينل منك المقرّب والمسدي
وأخفيت قرباني من الطاهر الود
تحدثت الأمواج للكاتب الجرّد
من اللؤلؤ الغالي الذي جلّ عن عقد
لحسنك معنى لا يقاس بما تُبدي
من الحلم إلا بعد أن فاتني رُشدي
وجاوبه في خطوه الحارس الجندي

يعيش على الوهم المجنّح شاعر
ويرضى بأدناه عزاء ونعمة
له كبرياء المستهين بما يرى
لئن صاحب الحرمان يدميه نصله

وكم باعه للوجد حيناً والسُّهد
على حين لا يرضى بدنيا من السعد
ووثبُ خيال المستعزّ بما يُسدي
لقد أثر التعذيب حرّاً على الضمّر

لئن أعرضت عنه الغواني لقد شئت
تنزهه عمَّن حاربوا الفنَّ والهوى
ولم تتكلف كل ما هو مُتلفي
ولم تتحدث عن نشيدي وروعتي
ولم تدخر أنساً لمن عاش عابداً

لمن فتنَّ الحسنِ الذي جلَّ عن حدٍّ؟
إذا لم يكنْ هذا الجمالُ لشيءٍ
حرامٌ ضياعُ الورودِ في غيرِ أهلهِ
ولست ألوِّمُ الواردينَ تهافتوا
وما أفسد الإحسانُ إلا ابتذاله
سيأتي زمانٌ تندمين على هوى

ولكنَّها أصغت إليَّ بروحها
كأنَّ ولوعي زاجرٌ ليس ينتهي
ويلقي حواليتها الشباك رقيقةً
فلما التقينا بعد هجرٍ وترحه
أعادته مبعوثاً وضيئاً مرفرفاً
فهل يستعيدُ الحبُّ ماضي رجائه
ويبني لنا ملكاً يعزُّ نواله
أم المثلُّ الدنيا تهدُّ مثاله

بتقديسه الربَّات في عالم فرد
وأولهم من لو درت قدست عهدي
ولم تسقني الصابَ المموه بالشهد
بحبرٍ وإعجابٍ كأنهما ضدِّي!
مفاتنها ثم انتهى شبه مرتدِّ

لمن شُغف القلب الذي صيَّن عن ندٍّ؟
فما لي على فوضى التهافت من ردٍّ
وظلمُ مماتِ النورِ والعطرِ في اللحدِ!
ولكنَّ ألوِّمُ الحسنَ يعبثُ بالوردِ
ولا قدَّر الإحسانُ إلا على قيدٍ
أضعت، وبها للحبِّ ضاع من الأيدي!

على النَّأي، والإيحاء للروح قد يُعدي
يحاورها باللفظ حيناً وبالنقدِ
فما كان من صيدِ الفراشة عن بدٍّ
وكنتُ افتقدت الحبَّ في القلق المردِّ
كما رفرَفَ الفجرُ الوليدُ على المهدِ
ويسمو على الحرمانِ والخوفِ والحقْدِ
على غيرِ فنَّان طليقٍ من القيْدِ
وترجعه نهياً لأيامه اللُدِّ!

(١٩٤٣)

دمعة وابتسامة

١- كتاب خليل مطران بك

في فقه شريعة ————— سنة ١٩٤٢

عزيزي الناشر الدكتور احمد كني ابو شاموس

جاء في كتابك وانا في شوق اليك هو شوق الاب البار الى ابنه الحبيب
رشتن الصديق الصدوق الى من يعود به بقلبه ويكبره بعقله وقد عزم لقاء زمنا مبدا
لقد اسدى الى انتاز احمد محرم يوم بافا ذكرني لك بكه اكان سببا في وصل
ما انقطع عني من ابناك السارة شكرا لبحر العربية النحل واديب الكبير
كتابك - وما لك كتابك - اعاد الى نفسي حلوة ذكريات من ايام المرحوم
والله العظيم . ومن تلك الذكريات انك لم تكتب الى قل الا وقد اهديت لي كتابا
في رسالتك اليم صهنة بداء ما كانه احزني اليه فان استعدت به بعض ما افقدني
لقد است من الشار فالفضل في ذلكه جائد اليك وما اقل بجانبه الشاء عليك
لا تحزني يا ابني الحبيب زيارتك ولو دقائق معدودة اذا جئت القاهرة
وستلي بهذه الزيارة قلنا في نبضاته نبضات قلب ابك رحمه الله
تقبل اذكي قياتي واهل دورهم سعيدا معاني سرقا ك المخلص
خليل مطران

(مصرف عن الاصل)

دمعة وابتسامة

٢- ردّ صاحب الديوان

دمعتي وابتسامتي توأمان
ليد رَ قصفُ المدافع الليلَ حولي
والخرابُ الذي تطايرَ قُرْبِي
وعويلُ النساءِ حولَ الضحايا
والظلامُ الذي يكفّن دنيا
ليس هذا، وليس ذا
بالتّي تلجم المحبَّ لك البا
إنما ملّجمني تعذب وجداني
الذي لم يزل على اللهو، مفتناً
يا صديقي ويا إمامي وعمّي
عش مديداً بصحةٍ وحبورٍ
ليس كُتّبي وليس شخصي سوى بعضي، فيكفيك منتهى إيماني!
(١٩٤٣)

مجدا

تحية للطفلة العزيزة كريمة الصديق الأستاذ الدكتور حنا برسوم

ستبلغين المجدا

إلى الحياة الزاهره

مجدا يا مجدا

تبسمي يا شاعره

والنور والأنعاما	واستقبلي الأعواما
وصفو أحلام الصبا	والأمل المستعدنا
واستبقي الأحلاما	واستعجلي الأياما
أستأذنا المفراحا	لتدركي (مصباحا) ^١
من أنسه أو زفة	وتنعمي بجلسة
مؤله معبود	كأنه (الرشيد)
والحور والولدان	تحفّه القيّان
إمام دين مفرد	ويرتجى في (المعهد)
كالشهد حلواً يجتنى	يوزّع الأنس لنا
ولا بدنياهم درى	ولا يبالي بالورى
لا عيش أرض واله	يحيا حياة الآله
فيرقص الأربابا	ويشرب الأنخابا
إلى المجاني الحلوة	فأسرعي يا طفلي
بفتّنه ومغرم	أبوك مثلي منعم
بسرّه مفاخر	وإن يكن مستأثرا

(١٩٤٣)

بسمّة الأرض

مهداة إلى ابنتي العزيزة هدى

بسمّة الأرض لوجداني معانٍ كم أراها

^١ الدكتور عبد الغني مصباح - رجل الظرف والمرح.

كَنَزْتُهَا مَهْجَتِي الْفَرَحَى إِذَا فَاتَتْ سَوَاهَا
وَالرَّبِيعَ الْحَلَوِ يَسْقِينِي سَنَاها وَجَنَاهَا
فَأَذَاهَا فِي صَمِيمِ النَّفْسِ تَحِيَا فِي رَوَاهَا
جَسَّامَتَا صَلَوَاتِي وَحَنَانِي لِهَوَاهَا
مِثْلَمَا الصَّوْفِيُّ فِي وَجْدَانِهِ شَامَ الْإِلَهَا!

* * * * *

يَا ابْنَتِي، يَا "طِفْلَتِي"، يَا مِنْ مَسْرَاتِي رِضَاهَا
إِنْ شَبِبتِ الْآنَ فَالْأَعْوَامُ فِي مَاضِي مَنَاهَا
كَلَمَّا جَاءَ رَبِيعٌ بِهَوَاهَا نَتْلَاهَا
ذَاكَرِينَ "الطِفْلَةَ" الْحَلَوَةَ نُوراً وَانْتِبَاهَا
وَسَأَلْنَا أَمْنَا (الْأَرْضَ) رِضَاهَا وَدُعَاهَا
فَتَجَلَّتْ فِي ابْتِسَامٍ وَأَشْشَاعَتِهِ شَذَاهَا
وَتَقَاسَمْنَا عَلَى حَبِكَ دُنْيَا مِنْ نَدَاهَا!

(١٩٤٣)

عابر السبيل

(الرَّبيع)

إِصْدَحِي يَا خَوَاطِرِي	وَامْرَحِي يَا مَشَاعِرِي
وَارْقِصِي رَقْصَ حَرَّةٍ	غَالِبَتْ كُلَّ أَسْرِ
كُلَّ حُلْمٍ عَشِيقَتِهِ	عَادَ حَيّاً لِنَظَرِي
جَاءَ فِي مُوَكَّبِ سَمَا	(بِالرَّبِيعِ) الْمَجَاهِرِ

لم يعد بعد خافياً
لم تكن روحه سوى
جاء سمحاً مغرداً
أشرب النور والهوى
وهو يعطي كأنما
قلت: مهلاً! وإن أكن
وأتخر بعضه، عسى
فيناجي صبابتي
نتلاقى وخمره
قال: مهلاً!؟ ومن أنا
لم تفرّق سماحتي
لم أسوّف ولم أكن
لم أحاسب مبدداً
أجلب الفرحة التي
كلُّ شيءٍ مسنّته
إن حبي عبادة
إن حظي رسالة
إن عمري هنيهة
وهو عمر مجدّد

سرّه عن سرائري
روح فنّ مسامر
ساحراً أيّ ساحر
مسرفاً وهو عاذري
ردّ ديناً لخاطري
ظامئاً غير صابر
يرتوي منه هاجري
بهوى منه نادر
بين همس الأزاهر
غير إحسانٍ عابرٍ!
بين عان وقادر
بالخيّل المحاذر
خاطفاً من جواهري
هي دنيا البشائر
ماسٍ في سمتٍ قاهر
لم تلوّث بكافر
ألّفت كل نافر
للمنى والنواظر
في نهى كل شاعر!

(١٩٤٣)

الوفاء

(تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا)

مغاني (إسكندرية) إن أضاعت
لقد حجبوا نوافذها^١ فشعت
وحيثك (الطبيعة) حين حيت
إذا عيب الجحود فأي عيب
وإن عبادتك منقذها المفدى

فمن شوقٍ إلى الحرّ الزعيم
بتحنان الحميم إلى الحميم
كأنّ البدر في عيدٍ مقيم
إذا غمرتك بالحبّ الصميم
ولم تعبأ بشيطانٍ رجم؟

(١٩٤٣)

الصيف

عند شاطئ استانلي برمل الإسكندرية بعد غيبة أعوام

ما للصخور العاريات تدثرت
فارقتهما في رقصةٍ وتجرب
ورجعت أرقبها فلم أرَ عندها
لم يا صخور وقد وصفتك قبلما
إن كنت زاهدةً فإني زاهدٌ
حين التعبّد والحنانُ تلاقيا
(الصيف) أقبل فاخلي لحنانه
واستقبلي الأمواج مثل مشوّقٍ

بالعشب حين الغانيات عواري؟
والموج بين معانقٍ ومُواري
إلا شعور السخر باستهتاري
حيّاك من وصّفوك من أشعاري؟
والزهد لم يسلم من الفجار
في الفنّ وانصبّاً مع التيّار
ما ألبستك يد الشتاء الضاري
قد عاد بعد لواعج الأسفار

^١ إشارة إلى إظلام المدينة ليان الحرب الكبرى.

وتشربني الأضواء فهي ذخيرةٌ
هذي الجسوم العاريات هياكلٌ
لا تسأمني نظراً إليها إن وفّت
وتبتلت فيها العقول وحوّمت
وتخطّرت و(الصيف) فرحانٌ بها
أهدى إلى الشعراء من آلائه
في كل لونٍ من ظلالِ حرّةٍ
أنا ما أثمتُ بنظرتي وتصوّفي
فيمَ (الطبيعة) إن جحدتُ بناتها؟
فتسمّعتُ لتوسُّلي، وتجاوبت
وتلمست شمس الغروب فأعتقت
حتى إذا شربتُ توهجَ لونها

ومن الضياء ذخائرٌ وعواري
للحبّ بين النار والأنوارِ
للفنّ واحتكمت على الأنظارِ
فيها القلوب بجنةٍ معطارِ
وكأنها حورية الأسحارِ
ما صنّ للفنان من أسرارِ
ما يستهين بطائشِ الثوارِ
في هذه الألوان والآثارِ
فيمَ (الحياة) استسلمت لإسارِ؟
وتأملّي، وتأثرت بحواري
من دنّها المكنوز للخمّارِ
بالنارِ وارتفعت على الأحجارِ!

(١٩٤٣)

يوم الجامعة

حفاوة جامعة فاروق الأول بالرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وبرجال حكومته في
الحفلة الختامية لعامها الدراسي الأول يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٢

اليومُ يومُ تحيةٍ وفخارٍ
حفَل الزعيمُ وصحبه بندائه
والنور كان ولم يزل في قدسه
فاعترّ من إعزازهم لندائه

تاهت مآثره على "الآثارِ"
ونداؤه كالنور والنوارِ
للعلم خير لغى وخير شعارِ
وازداد إكباراً على إكبارِ

كل الجوارح شاخصاتٌ نحوه
ودعا إليه العبقرى أديبنا
فاستلهم المتوثبون شعوره
وأنا به خلقُ الوزيرِ ومن ترى
يتساندان جرأة ورجاحةً
ويؤرخ الإصلاح من تاريخه
لم لا وهذي نفحةً من جهده
شرفت بها (الإسكندرية) مثلما
ما كان يجمع بي التغني باسمه
وهو الذي قد ظلَّ عمراً ثائراً
لكن تأدية الحقوق أمانةً

يا (مصدافى) اليومَ تجمعنَا المنى
باهت بحبك أمةً لا عصبيةً
ما أنت تعشقه يعيش ويعتلي
فإذا وهبت لنا رعاية ماجدٍ
ولنا ضمانُ الخالدين وما لنا
أثني عليك ولا أطيل فإنما
من كان ينعم بالمحبة حوله
من كان يقرن بالنزادة فضلاً

في متعةٍ وتأملٍ وحوارٍ
(طه)^١ بوثة خالق جبارٍ
وأضاف (للأيام)^٢ يوم فزارٍ
(كنجيب)^٣ في الأسماع والأبصار
في دفع مظلمة ورفع عثارٍ
فحياته كنزٌ من الأسفارِ
وضأءٌ بالحبِّ والإيثارِ؟
شرُفت بسيرة جدّها المغوارِ
وأنا الأبى على رضى الأقدارِ
وأنا الطليق بموكب الثوارِ
وكذا الأمانة شيمةُ الأحرارِ!

منظومةً في حبِّك المختارِ
فسما بجامعة سمو منارِ
ولو أنه ملقى من الأحجارِ
فلنا ازدهاء الكوكب السيَّارِ
عن غاية الإحسان من أعدارِ
أغلى الثناء يسان في إضماري
أغنته عن مدحٍ وعن إزهارِ
أبدأ فما أسماء عن أوطارِ

^١ الدكتور طه حسين بك.
^٢ كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين بك.
^٣ أحمد نجيب الهلالي باشا.

من كان يعطي الشعب من إيمانه
كم خضت أشتات المعارك هائلاً
تطأ الحوادث والصعاب وترتقي
ومصارع الأهواء تجتاح الورى
ولكم بكينا من هووا بغرورهم
يا طالما علمتنا ما ينبغي
واليوم مجلى بعض ما أسديته
إن جئت أنشد للولاء تحيتي

لباه في بذل وفي أخطار
ورجعت لم يمسك نفع غبار
هام الزمان مكللاً بالغار
ولطالما نزحوا مع التيار
وصمدت أنت ودست صرعى العار
للعالم المتعلم الصبار
واليوم دجنى الشهد للمشتار
فهي الوفاء أطل من أشعاري!
(١٩٤٣)

الخائن الجبار

رفع صاحب الديوان هذه الأبيات إلى زعيم مصر مصطفى النحاس باشا
الذي يضم حزبه التقدمي "الوفد المصري" العديد من الإقطاعيين
كسائر الأحزاب المصرية الرئيسية

إلى خليفة (سعد) في مآثره
دعاء قلب وفي لا يغيره
لا يشتهي غير إعزاز لأمته
ما بالها أصبحت نهياً لكابرها
من علم الخائن الجبار^١ يرهقها
حتم تُذعن للإقطاع صاغرة
لا يستوي أن تغيث الشعب من خطر
ولا المباهاة في فقر وفي مرض

وفي محبة (مصر) ملء خاطره
بعد وقرب، فماضيه كحاضره
وكل فخر لها معنى مفاخره
وهو ابن المتمادى في كبائره
وأنت للشعب حام من جبابره
ومثل أنيابه دامي أظافره؟
وأن تبيع عديداً من مخاطره
على الجهالة في إغلال أسره!

^١ أي الإقطاع.

فن الجحود

تعودت عرفان الجميل ولا أرى
كأنني استطببتُ الفضل للناسِ كلهم
وكم فاخروا بالسيئات وأسرفوا
أحاول تعظيم الأيادي التي لهم
كأن شعوري أن أراهم أكارماً،
فلم أرَ منهم غير إصغار نخوتي
لذن قدسوا من سامهم كل نكبة
كذلك حال الناس في كل بيئة

مبالغتي في الحمد تُصغر من ديني
عليّ وإن عاشوا على الغدر والمين
جحوداً، وهاموا بالنكاية والغبن
وأصغرُ من فضلي عليهم وأستغني
وإن عجزوا، حظّ تمثّل في عيني
وجازوا سموّي بالتحامل والمنّ
ومنّ بادل الإحسان بالكيد والطعن
وقد حسبوا أن الجحود من الفن!

حواء تندم!

جئتُ تُلهمُ البحرَ أسرارها
و(أدمُ) في قربها شاعرٌ
يغازلها لاعباً صاخباً
ويقطع من أنسها للحياة
وقد سقط الموج بعد الكلال
وقد طاردته بنات البحار

ويلتهم البحر أنوارها
تناسى الجنان وأنهارها
فيجني من اللهو أثمارها
وتغنم من حبّه ثارها
صريعاً فهيّج تذكّارها
فمات وفارق مضمارها

ولا تَرُثْهُ غَيْرُ أَهْلِي الْأَشْجَعِ وَهِيَ تَبْدُدُ أَعْمَارَهَا
 فَتَسْكُبُهَا فِي الْحَصَى وَالرَّمَالِ
 وَيَرْجِعُ مَبْعُوثُهُ لِلْغَرَامِ
 وَتَبْقَى الرِّوَايَةُ لَا تَنْتَهِي
 وَقَدْ سَبَحْتَ فِي الْمِيَاهِ الصَّخُورِ
 فَمَا بَقِيَتْ بَرَهَةٌ فِي مَكَانٍ
 تَرَاوَغَهُ وَهِيَ فِي رَقْصِهَا
 كَأَنَّ (الطَّبِيعَةَ) لَمَّا انْتَشَتْ
 وَقَدْ أَسْكَرَتْ كُلَّ مَا حَوْلَهَا
 فَقَبَّلَ (أَدَمُ) حَوَّاءَ
 فَقَالَتْ وَقَدْ ثَمَلْتُ مِنْ هَوًى
 "نَدِمْتُ وَمَا نَدَمِي لِلْفِرَاقِ
 وَأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهَا حَرَّةً
 وَلَكِنْ لِأَنْنِي لَمْ أَجْتَرِئُ
 فَضَيَّعْتُ عَمْرًا بِهَا طَائِلًا
 وَأَيْنَ الْجَنَانُ - جِنَانُ السَّمَاءِ

(١٩٤٤)

حوريات الماء

من وحي شاطئ استنلي برمل الإسكندرية

يا للهوى والغواني الساحليات اللاعبات بلبني المستحيات

الخاطرات أمامي في مغازلة
عفن الملابس إلا ما تبوح لنا
والرشاقة لون في تعثرها
في موكب من أمان شبه ربّات
تلقّف الأدب الحروم مُتعتها
وأمعن النظر المشدوه محتسباً
وتابع القلب دقات خطون بها
رفّت أنوثتها في كل جراحة
لم تلفح الشمس هذا الجسم عابثة
وما تأمل لحظي في مفاتها
يا ضيعة الحسن واللون الرفيف به
ولم يسجل بالحنّ معطّرة
ولم أشمه طويلاً في مناجاتي
ولم أطعم ترانيمي بنفحته
حتى أهيم كموج البحر منطلقاً

غناء في طرف الفن أشتات
وسرن للفن آيات وآيات
بل في تعثرها أحلى الرشاقات
ومعرض من معانٍ عبقریات
نبع الحياة لأنضاء وأموات
خمرأ وناراً بلدات ولذات
دق النواقيس في مجلى العبادات
ورفّ قلبي لها في طي أهاتي
إلا استحال إلى خمر وجنّات
إلا وتاه سعيداً في ضلالاتي
إن لم يخلد بأشعاري وآياتي
من الحياة ولم يصقل بمرأتي
ولم أذقه شهياً من سلافتي
حتى أعيش بها في عمري الآتي
وقد يزل ولكن غير زلاتي!

(١٩٤٤)

الأمواج

هدهدي بالهدير أيتها الأمواج قلباً إلى حماك اطمأناً
واسكبي الراحة الحبيبة فيه، أنتِ برّة لمثل قلبي المعنى
تغسلين الحصى، وتلك قلوبٌ بعثرت في الرمال حتى دُفناً

ثم جدّتها نُشوراً وطهراً، ثم أشبعتها حناناً ولحناً
وأنا الخاسر الذي جاء يستجدي حياةً لديك هيهات تفنى
ما ترانيمك الشجية إلا ما تمنّى السلام لما تمنّى
تتجلّى كثورة وهي آمنٌ، وأحبّ الثورات ما عاد أمنا
مهرجانُ الضوءِ نشوانٌ فيه وتغنّى الهوى به ما تغنّى
ما له مبدأ وليس انتهاءً لقلوبٍ تراه حسّاً ومعنى
كم رويت الغرام عن سالفِ الدهرِ وما زال ما تقصّين فناً
وتمرّين في ثوانٍ بأعمارٍ وتلقين بعد شيبك دفناً
وتكرّين للصبي وتعودين بأسنى من الجمال وأسنى
ورتيبُ الحياة مهما يحاكي بعضه بعضه تنوع حسنا
هجرت مهجتي الحزينة دنيا كلُّ صفوٍ لها تقاضته دينا
وانتهت حرةً إليك فما خاب لها مأملٌ ولم تلقَ مينا
كلُّ ما قلته جميلٌ وصدقٌ لو أقمنا للصدقِ والحسنِ وزنا
وبحسبي أني أسيرك كالضوءِ دَفوقُ الشعورِ أحيا وأغنى
حالم فيك لست أرضى لأحلامي بتفسير فيلسوفٍ تجنّى
أنا حيٌّ مستغرق في الهديرِ العذب لا يستعاض وحيّاً ولونا
وكأنّ الأرباب مثلي حوالية أصاخوا وما اشتهاوا عنه بينا
فثملنا بما حكى واستعدنا، وحديثُ الأنام لغوٌ لدينا
وحياة الأرباب ليست تُعلّى ببيانِ الورى وليست تُدنى!

معركة الحب

ولي عادة ألتهها الحياة
حييت أقدّسها شاعراً
وينأى وإن كان في قربها
يداعبها وهي إلهامه
وتعمره بالرضى تارة
ولكنها حرمتها عليه
فينعم وهو الكسير الحزين
فعاش على الوهم في نفسه
وإن ضاع في فنه ما أضاعت

وقد أبدع الحب تمثالها
يغنى بها ويغنى لها
كأن على النأي إجلالها
ووحى الروائع إن قالها
فيلقى الجنان وسلسالها
وإن حلّلت دائمًا ألها^١
كأن الحقائق ما خالها
وهدأ بالوهم بلبالها
بحرمانه العمر أمالها!

ويوم أفاء عليه الشتاء
كان جميع الفصول استجابت
تلألأت الشمس في زهوها
وطنت نسائمه الساحرات
فتوقظ من زهرات نيام^٢
وترقص أعشابها نشوة^٣
وتنعش حتى الجماد النؤوم
أجبت (الطبيعة) لما دعت

جمال (الطبيعة) فاستألها
نداء له ونداء لها
ولاطفت السحب أطفالها^٢
عذارى تهدهد أمثالها
حساناً تخيّرن سربالها
فتغترف الأرض إمحالها
فيزهى ويعرض إجمالها^٢
وكانت فتاتي إقبالها

^١ ألها: سراها.

^٢ كناية عن أشعة الشمس.

^٣ إجمالها: تجميلها.

حَبَجْنَا إِلَيْهَا فَلَمَّا مَثَلْنَا
وَلَوْ أَنَّ نَفْسِي تَعَانِي الْحُرُوبَ
فَيَنْقُذُهَا الْفَنُّ بِالْمُعْجَزَاتِ
يَعَالِجُهَا بِالْهَوَى الْعَبْقَرِيِّ
وَيَخْلُقُهَا مِنْ جَدِيدٍ مَرَارًا
وَيَسْعِدُهَا بِبِنَاتِ الْخِيَالِ
أَطْلُنَا التَّأْمَلَ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
وَمَنْ حَوْلَنَا الْغَنَمَ الرَّاتِعَاتُ
فَلَمَّا رَأَيْتِ فَتَاتِي انْتَشَتِ
هُوِيْتُ أَعَانَقَهَا شَاعِرًا
وَمَا الْحَسَنُ إِلَّا لِأَهْلِ الْفَنُونِ

نَسِينَا الْحُرُوبَ وَأَهْوَالَهَا
وَكَمْ قَطَّعَ الْهَمَّ أَوْصَالَهَا
وَقَدْ أَصْبَحَ الْفَنُّ مَثَالَهَا
وَيَرْفَعُ بِالسَّحَرِ أَحْمَالَهَا
وَيَبْنِي وَيَهْدِمُ أَطْلَالَهَا
يُحَقِّقُنِي فِي زُورَةٍ فَالَهَا
عَرَائِسَ تَسْحَبُ أَذْيَالَهَا
حَوَى بَالِنَا مَا حَوَى بِأَلَهَا
وَأَصْبَحَ حَالِي إِذْنُ حَالَهَا
وَأَلْثَمَهَا لَثْمٌ مِنْ نَالَهَا
وَمَا الْحَبُّ إِلَّا رَسُولًا لَهَا!

(١٩٤٤)

قَلْبٌ لَا يَشِيبُ

عَوَّذْتُ قَلْبَكَ يَا حَبِيبِي
ذَنْبِي لَعْدِكَ تَلْهَفِي
مَا حِيلَتِي فِي قَلْبِي الْـ
تَجْرِي السَّنُونُ وَلَمْ يَزَلْ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ هَائِمًا

مَنْ أَنْ يَكْدُرَ بِالْمَشِيبِ
هَلْ ذَاكَ ذَنْبٌ يَا حَبِيبِي؟
ظَمَانٌ لِلنَّبْعِ الْحَبِيبِ؟
طِفْلًا تَنْزَرُهُ عَنْ مَشِيبِ
لَكِنْ بِأَحْلَامِ الْأَدِيبِ

^١ من مشاهد ترعة المحمودية بجيرة الإسكندرية.

من عَلم القلب الصغيـ
وتبتلاً كتبُّـ لـ
مَ رَأكَ جَنَّتْهُ رَصـ
أو لم تشاهد علمه
يخشى بُعادك حاسباً
متهللاً لـك، لا يملُ
يرنو إليك بروح منـ
ويتمتم الصلوات كالـ
في كل توديع عـذا
مهما تجلد موهمأ
لو تنصف الأربابُ لم
وهو الذي خلقتـه رو
خلقتـه من نورٍ ومن
أنت المحاسبُ عنه إن

ر عبادة الحسن العجيب؟
صوفي ذاب على الصليب؟
تـك لا حنين العندليب
في يقظة كالمسـتريب؟
دقات قلبك في وجيب
من التطلع كالغريب
دمج بروحك يا حبيبي
نائي بمجلسك القريب
ب، بل فناً في لهيب
أن الشروق من المغيب
تتركه للوجد الرهيب
حُ الفن للفن الأريب
شدي ومن زهرٍ وطيب
لجأ الغرامُ إلى حسيب!

(١٩٤٤)

قبلة أعوام!

هذا حنيني إليك
هل تخذلين لديك
أهوالك أهواك حتى
جمعتـه من سنين
عزيزَ هذا الحنين؟
أصبحتُ أخشى اللقاء

وبِاتِ شِعْرِي صَمْتاً
أَهْوَاكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي
وَمَا ابْتَهَلْتُ لِرَبِّي
وَكُنْتُ غَايَةَ نَعْمِي
فَمَنْ أَحْبَبَكَ يَوْمَماً

وبِاتِ صَمْتِي دَعَاءَ
وَمِنْ جَوَارِحِ نَفْسِي
إِلَّا تَمَلَّكْتَ حَسَنِي
تَأَلَّقَعْتَ فِي خِيَالِي
لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْحَالِ!

يَا فَرَحْتِي فِي شَجُونِي
وَنَشْوَوْتِي فِي جُنُونِي
كَمْ يَسَامُ النَّاسَ حَسَناً
وَقَدْ عَبْدتُكَ فَنَاءً
مَا لِي وَمَا لِلْأَنَامِ
يَا مَنْ خَلَقْتَ غَرَامِي
وَكَلَّمَا مَرَّ عَامٌ
وَلَوْ حَوَانِي ظِلَامٌ
هَذَا وَصَالِكَ أَحْيَا
خَلَقْتَ بِالْحُبِّ دُنْيَا
أَسْأَلُ (الْحِظْ) عَمَّا
وَهَلْ سَأَعْرِفُ يَوْمَا
فِيضُحِكَ (الْحِظْ) لَهْوَا
أَكُنْ ذَلِكَ سَهْوَا
أَسْأَلُ (الْحِظْ) حَتَّى
حَتَّى أَجَابَ وَأَفْتَى

وَنَعْمَتِي فِي هُمُومِي
وَجَنَّتِي فِي جَحِيمِي!
مَتَى رَعَاهُمْ بَعْطَفِي
فَصَارَ هَجْرَكَ حَتْفِي!
وَهُمْ بِخُلُقِ الْعَبِيدِ
فَمَا لَهُ مِنْ مَبِيدِ
نَمَا غَرَامِي شَبَابَا
وَخَانَ غَيْرِي وَشَابَا
مَوْتِي الْأَمَانِي الضَّحِيَّه
لِلسَّحْرِ وَالْعَبْقَرِيَّه
أَبَاحَهُ مِنْ جَنَاهَا
كَمَا - اشْتَهَيْتَ - مَدَاهَا؟
وَلَا يَحْسِرُ جَوَابَا
أَمْ عَدَّ حُبِّي عَابَا؟
يَبْرَبِّي أَوْ يَلِينِ
أَنْبِيَّ مِنَ الْمَلْهَمِينَ

وقال: دونك وعدي
لم التساؤل عندي
هذا الجمال وفي
غما الأبـي أبي

ومذ أجازت هيامي
جعلت لثمي كلامي
فحاسببني عسيراً
وبادلتني شعوراً
قبلتها وكأني
ونلت مجداً لفتني
قبلتها وهي سكرى
وكان لثمي سكرًا
لثمتها وهي ظمأى
وما ارتويت لأنأى
تنفست عن عبير
واستسلمت في كثير
وأغمضت دون عيني
هيهات تسديد ديني
يا للشفاه اللواتي
وهبتهن حياتي
ووسدت في ذراعي

أنجزته فتقـدم!
وأنت بالحب أعلم!
وأنت تشكو الطواف
إلا على من يخاف!

بنفحة من وفاء
فلم يمت في الهواء!
لكن حساب الكريم
من الحنان المقيم
رشفت عمراً جديداً
وحزت كنزاً فريداً
بنشوتي في يدي
بدا على وجنتي
مثلي، وتخفي الظماء
لو كان يجدي ارتواء
عبير زهر أسير
من الدلال الكسير
لحظاً رفيق النعاس
لو أن ديني يقاس!
نبضن بالحب شعرا
رشفاً أسيراً وحرّاً
رأساً زهاً بالجمال

فكيف كيف امتناعي عن السلاف الحلال؟!

(١٩٤٤)

أثانية الجمال

الصبا والجمال يجتمعان في محياك روعة للبيان
أتملاك ساهماً شارد اللب بروح الصوفي والفنان
وأرى لذتي بقربك حرماً وكان العذاب أشهى جزاءً
والمحب الوفي والمتفاني!

إيه يا من لها غرامي مهما أنت روعي، وأيّ ذنب لروحي
أنت سيّان في كيانك جسماً وشعور الفنان دون حدود
يخلق الدهر أو تمت بي الأماني إن تناهت بعالم روحاني
وشعوراً مصوراً لافتتاني فعلام القيود في ميداني؟
إن تمنعت أيّ صبر هو الأحـ وصلاة الفنان ملء احتضان الحسن لا في الصدود والإمتهان
كم معانٍ يوحى بها الوصل للشا عرّ عرّت من قبل، بل كم أغاني!
إن تناعيت أو تأبّيت ضيّعـ ست على الفن فنّ صبر يعاني
ليس شعر الحرمان مهما تسامي مثل شعر التجاوب الفنان
والجمال الذي يقدّس لا ينـ سى حقوق العباد في كل أن!

إفك العمر يا ملاذي وإلهـ مي ويا من غرامها ديواني

كم أضْحَيَّ معذباً، كم تسرَّيَّ — من، وكم تستطاب لي نيرانني
لو قدَّرت الذي أكنُّ من الحبِّ لكنَّت ارتضيت ما أرضاني
إنما أنت في سمائك والربَّات فوق السورى وفوق الزمانِ
لا تبالين إن تُضْحَيَّ قليلاً
عذركَ الجمُّ أنْ صَفَوَكَ شيءٌ
لغةً عذبةً الطفولة تنسى
فاعذريني إذا لجأت إلى (الأر
شاكياً منك، سائلاً طبَّها الشا
لحياة الورود والريحانِ
غير صفوي، وشأنه غير شاني
كل شيءٍ سوى رضاها الأناني
(ض) وبادلتهـا وفيأ حناني
في، وأين الشفاء للولهان؟!

(١٩٤٤)

غرام وانتقام

رثاء أسمهان

أيندثر الفنُّ؟ يا للقدَر
ويغرق في اليمِّ هذا الضياءُ
وكنَّا نخاف حنينَ القلوبِ
كانَّ الحياة التي ألَّهتهُ
كانَّ الغناء الهوى والشباب
فحيناً نكيفه باللحون
فكيف تبدد؟! يا للممات
ويُجنى على الحسن حتى الحذر؟!
وكم طاف بالكونِ حتى عثرا!
إليه، ونخشى وثوبَ النظر
أبت أن يشام بغير الصور
وقد مثلاً سرَّه المدَّخر
وحيناً نكيفه بالشرر
يضيع الكنوز ويبقي الحفر!

ملقنة الفنِّ أحلامه — وتمثاله الرائع المبتكر!

وشادية بارق الحنان
وعاطرة بأريج الغرام
وخاطرة تشربُّ القلوب
يفيض الدلالُ عليها الجمال
وينتظم الحسن ما يشتهيهِ
كأنَّ (الطبيعة) منها استمدت
فمنها نضارة شدو الربيع
ومنها شذوذُ الخريف الشريد
ومنها جواهر ثلج الشتاء
فكيف برمت بها في الحبور؟
مفاتن لم يمتلكها جمالٌ
كأن مواهبك الرائعات
كأنك أنت التي نشأتها
فكيف إذا حالفتها الحظوظ
ولم تبترها عوادي الزمان
فوالهفة الفن مات العزاء!

وعذب البيان لحسنِ نفر!
تمثلها (الأرز) لها عطر!
إليها، ويصغي إليها الوتر!
أفانين يهفو إليها الزهر
خيال المنى ونعيم البشر
بهاء الفصول ونور البصر
ومنها حرارة صيف خطر
ينوح ويضحك بين الشجر
ولهو الرياح ولحن المطر
وكيف يكون النعيم الضجر؟
سواك، فلما احتواها اندثر
بإعجازها تتحدَّى القدر
ولم تتجاوز حدود الصغر
وفاض الغدير وعمّ الثمر
فيطوى الكتاب وينهى السفر
ويا لوعة الحب، مات القمر!

(١٩٤٥)

رثاء أحمد محرم

وجّهه صاحب الديوان إلى عميد الشعر العربي خليل مطران بك

لم يبق في الناس من خيرٍ ومن أدبٍ
ومن أرجي مثيلاً في مناقبه
حفظتما اللغة الفصحى كصونكما
وكنتما فرقسي فنّ وفلسفة
إن قطع الموت أسباباً مؤصلة
لك العزاء أمير الشعر، سيده
في الشاعر الفحل يستعلي الخميس به
المرسل الصيحة الكبرى مدوية
جمّ الإياء تراه في تواضعه
مر يستهين بها يلقي خصاصته
ضبخم المروعة لم تقعد نحافته
في كل يوم أياديه مرددة
وكل حين له شعر تتيه به
فللحماسة آيات مغلبة
وللروائع في تاريخ نهضتنا
وللتغزل ما جادت أنامله
وللتفلسف في تحليل مهجته
يتلو بدائع الراوون في جذل
كأنما كل بيت جاء يورثهم

فمن أعزّي إذن في شاعر العرب؟
سوى (خليل) عميد الشعر والأدب؟
مكارم الخلق عن عاتٍ ومغتصب
على وشائج لم توهن ولم تغب
فأنت واصل ما قد بت من سبب
يا عارف الفضل من دانٍ ومغترب
في نشوة النصر فوق الجحفل اللجب
والمنقذ الحق في شعر من اللهب
كالشمس دانت وما دانت لمقرب
ومن يدين بها يغنى عن الذهب
به ولا جسمه الواهي عن السبب
ولو تقاصر عن جاه وعن نسب
محافل الأدب العالي من الطرب
في ثورة الحق لا في سورة الغضب
ما صاغ من عجب أورد من صخب
حتى استعاد (أبوللو) عصره الذهبي
خوالد رنّحت أعطاف مكتّـب
وينعمون بما أسدته للحقـب
كنزاً من الدر أو نخرأ من الحسب!

أَمْثَلُ هَذَا يَعْفَى ذَكَرَهُ كَسْلاً
وَالشَّهْبُ تَسْقُطُ أَشْجَاناً مُحَرَّقَةً
إِنْ جَازَ نَسْيَانُ مَنْ لِلَّهِ نَسْبَتُهُ
فَأَيُّ مَعْنَى لِدُنْيَانَا وَزَخْرَفِهَا

عَنْ وَاجِبٍ، أَوْ يَوْفَى جَدِّ مُقْتَضِبٍ
مِنَ النُّجُومِ وَيَشْجَى بَارِقِ السَّحَابِ؟
وَمَنْ يَمُدُّ جَمَالَ الْكُونِ بِالطُّنْبِ
وَالْحَقِيقَةُ إِنْ عَدَّتْ مِنَ الْكَذِبِ؟
(١٩٤٦)

رثاء زوجتي

مَاذَا تَفِيدُكَ لَوْعَتِي وَبِكَائِي؟
أَسَدَيْتِ عَمْرَكَ لِلْحَيَاةِ فَمَا وَفَتْ
لَهْفِي عَلَيْكَ وَقَدْ أَتَيْتُ مُودِّعاً
زَادَ الْمَمَاتُ جَمَالَهُ وَتَنَاثَرَتْ
كَانَتْ حَشَاشَتِي الْمَذَابِغَةَ حَرْقَةً
فَدَنَنْتُ بِفَجْيعَتِي، وَتَضَبَّوْعَتْ
وَرَوَتْ مَحِيّاً كَانَ جَنَّةَ نِعْمَتِي
وَطَرَحَتْ أَلَامَ الْحَيَاةِ عَزِيزَةً
وَأَقْبَلُ الْوَجْهَ الْحَبِيبَ، وَطَالَمَا
شَمِلَ السَّلَامُ هَدْوَعَهُ، وَتَبَدَّدَتْ
وَأَكَادُ أَنْسَى لِلْمَمَاتِ خَشْوَعَهُ
كَمْ كُنْتُ أَعْلَقُ بِالْخِيَالِ تَوْهُمًا
وَيَغَالِطِ الْقَدْرِ الْعَتِيِّ تَفَاوُلِي
أَبَى اعْتِرَافاً بِالْمَمَاتِ كَأَنَّنِي

هَذَا فَنَاؤُكَ مُؤَذِّنُ بَفْنَائِي!
وَمَضَيْتِ لِلْأَبْرَارِ وَالشَّهَدَاءِ
فَبَكَيْتِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاءِ
مَنْيَ الدَّمُوعِ عَلَيْكَ كَالْأَنْدَاءِ
وَبَقِيَّةِ الْمَكْنُوزِ مِنْ نِعْمَائِي
بَسْرِيرَتِي، وَتَلَالَاتِ بَوْفَائِي
وَمَلَاذِ تَفَكِيرِي وَوَحْيِ ذِكَائِي
فَبَدَوْتُ بَيْنَ سَمَاحَةٍ وَصَفَاءِ
أَوْدَعْتُ فِيهِ صَبَابَتِي وَرَجَائِي
غَيْرُ السَّنَنِ، وَزَالَ بَرَحُ الدَّاءِ
لَمَّا نَسَيْتِ تَجْلِيدِي وَمَضَائِي
وَأَرَى الشِّفَاءَ وَلَاتَ حِينَ شِفَاءِ
وَأَنَا الْخَصِيمُ لَخُدْعَةٍ وَرِيَاءِ
لَمَّا بَكَيْتُكَ قَدْ أَضَلَّ بِكَائِي

أو أن هذا الموت حقٌ ثابتٌ
أو أن عيشي أن أراك بجانبني
أعتاض باللمحات عن أغنيةٍ
وأعد أنفاساً وهبت ذخيرتي
وأموه الألم الدفين وأتقي
وأكاد أقسو في مجانبه له
متنزهاً عن كل ما شان الورى
حتى صدمتُ، ولا كصدمة شاهق
فجئتُ من حزني وعفتُ حصافتي

لهفي عليك زميلتي في رحلتي
لم أرض غيري أن يسير مشيعاً
وكتمت نعيك، كم أضنُ بذكره
لبيت رغبتك الزكية دائماً
وجعلتُ مأتمك الرهيب عواطفي
حتى تفجّر بي الأنين ملاحماً
ما كنت أحسب أن يومك سابقي
كنّا نهَيّ للرحيل متاعنا
ونهب بالدنيا لتشهد حظنا
ونرد عادية الأنام تسامحاً
متسابقين لنملا الدنيا سنى

إلى على الأحباب والخلصاء
مهما هزلتُ فلا يهد بنائي
وعن الحديث العذب بالإيماء
وحفيف ألفاظ همست رخائي
علماً به، وأصدّه بغبائي
أو ليس جسمك رمز كل نقاء؟
مترفعاً عن علّة وعفاء
متحطم بصخوره الصمّاء
ودفنتُ كل رجاحتي العمياء!

وشريكتي في الصّفو والضراء
أو أن توزّع حرقتي وعنائِي
وأحوطه بنُهاي واستيحائي
ووعيتها نبلاً ولطف حياء
وبخلتُ بالتنويه والإفضاء
وجرى التنظيم بأدمعي ودمائي
أو أن أيام الحياة ورائي
ونسّق الآمال غير بطاء
ونهش للأيام والأنباء
مستغفرين لجاحد ومُرائي
بالحب والإيثار والإيحاء

فإذا رحيلك للنوى، ووداعنا
غدرت بي الدنيا، كأنني لم أصغ
ووهبتها - كرمًا - عزيز مواهبي
اليوم أدرك أيَّ عبء فادح
كم كنت أحلم بالهناء والرضى
وأودّ من قلبي بقاءك بعد ما
وأعدّ عمرك وحده عمري وما
فتناثر الحلم الجميل وأقفرت
وبقيت وحدي لا عزاء أرومه
يا طالما ناجيتها في نشوتي
ما نعمتي فيها وأنت هي التي

يا من فتنّت بكل ما هو رائع
ورسمت لي دنيا منوعة الشذى
وبثت بي حب (الطبيعة) فاغتدت
يا من غناؤك شدوها وحنينها
لما سكتت تقاطرت عبراتها
ومضى الربيع مع الشتاء فلم أجد
تبكيك أخلص من وقت لروائها
ورأت بها الخير اللباب فما شكت
وتناولت ألق النجوم فأتزعت
كم ألهمتني من عيونك صورة

للحظ، والباقي الكليم زمائي
فيها الثناء، فما أفاد ثنائي
فجنت عليّ شهامتي وعطائي
عني رفعت وما مدى أعبائي
لك في نهاية عمرك المتناهي
أفنى وأحسب في هواك بقائي
أرضى سواك من الحياة جزائي
دنياي من حلم ومن أضواء
والذكريات تزيد من برحائي
واليوم قد أصبحن من أعدائي
جعلت بصحبتها الأسى نعمائي؟

وخلقت ألوان الجمال إزائي
قدسية الألفان والأصداء
أمي، أضعت عزاءها وعزائي
وصداه في قلبي الشجي غنائي
واستسلمت للوعة الخرساء
إلا مظاهر وحشة وخلا
وتصوّفت بمروجها الغناء
منها وناجتها أرق نجاء
منه رنان الحب للشعراء
جمعت أحب عواطف ومرائي

وتبسّمُ تتبسّمُ الدنيا له
ورشاقةً معسولةً ملحونةً
كم كنت أهتف بالنشيد ولم يكن
تجري اليراعةُ في يدي مزهوّةً
مترنماً بالحب بين ولائم
وإخال في دعة المروج جناننا
أيامَ كنّا والشببية والهوى
أيامَ كنّا نستعيد ثراغنا
أيامَ كنّا الحاكمين بأمرنا
أيامَ كنّا ذاهلين عن الردى
ونخوض موج البحر ملء دعابة
متحمسين كأنما خمرُ الصبا
متلمسين بكل شيءٍ لذةً
وإذا غضبنا عاد حبُّك غافراً
وفرحت بي فرح الحبيب بإلفه
عشنا السنين كأنها أنشودةٌ
متجددين، وإذا فقدتك لم يكن
من رَامها أهل الفنون نموذجاً
من صوتها الحلو الشجيُّ سلافتي
من لم تدعُ غير البشاشة وحدها
من أشربت حبّ الدعابة سمحةً
من لم تر الدنيا سوى تغريدةً

ويغيب عن معنى وعن خيلاء
كقصيدة خلابة عصماء
إلا خطوطَ جمالِكَ الوضاء
بتغرُّلي ويهزُّني إملائي
للزهر والأمواه والأضواء
وأشيم في ألق الغدير سمائي
حلفاء في أمنٍ من الغُرماء
قبلاً، ونضحك من غنى وثرأ
الساكنين منازلَ الجوزاء
نجري ونمرحُ في الربى الفيحاء
متعانقين على هدير الماء
خمرُ الألوهة من أعزّ سماء
ومطوَّعين المستحيل النائي
وتعثرت شكواك عند ندائي
قد عاد بعد مخاطر هوجاء
علويةً جلّت عن الضوضاء
فقدي لغير فتاتي الهيفاء
للمبدعين ومن لها أهوائى
وحنانها العذب السخيُّ دوائى
تفشي خواطرها لنقد الرائي
واستضحكت لمصاعب الأشياء
فأبت هواجسها أشد إباء

مَنْ لَمْ تَرُدَّ غَيْرَ آمَالِ الصَّبَا
مَنْ عَشْتُ أَفْدِيهَا بِكُلِّ جَوَارِحِي
مَنْ عَلَّمْتَنِي أَنْ أَقْدَسَ وَاجِبِي
مَنْ لَمْ تَوَدِّعْ فِي السَّقَامِ وِفَاءَهَا
مَنْ لَمْ تَفَارِقْهَا الشَّجَاعَةَ مَرَّةً
فَمَضَتْ وَخَلَّتَنِي وَحِيداً عَابِراً
هَيْمَان، قَرِيبُكَ وَحْدَهُ مُسْتَنْفِذِي
أَقْتَاتِ بِالْحَزَنِ الْمَبْرَحَ رَاضِياً
وَأَضَعْتَ فَنِّي بَعْدَ مَوْتِكَ فِي الْأَسَى
مَنْ طَالَمَا نَاجَيْتَهَا مَتَغْزِلاً
كَانَتْ لِرُوحِي مِنْكَ أَنْسُ مُدَامَةً
وَمَثَلْتَ أَنْتِ بِكُلِّ مَا أَحْبَبْتُهُ
أَيْنَ ابْتِسَامَتِكَ الشَّذِيَّةَ بِالْمُنَى
أَيْنَ ابْتِدَاعِكَ لِلْحَدِيثِ تَنْثُنَاً
أَيْنَ اغْتِبَاطِكَ بِالْمَرْوَةِ وَالْيَدَى
قُبِرْتَ كَمَا غَابَ النَّهَارُ أَشْعَةً
وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَا الْقِسَاوَةِ وَالْأَذَى

قَالُوا تَبَصَّرْ! إِنَّ حَوْلَكَ رَفْقَةً
وَرِثُوا مَكَارِمَ خُلُقِهَا وَسِمَاتِهَا
يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا شَمُولَ عَوَاطِفِي
شَيْمٌ شَقِيتُ بِهَا، وَمَا عَفَّ الْوَرَى

لَتَرُدَّنِي لِطَلَاقَتِي وَرَضَائِي
فَإِذَا الْفِدَاءُ يَهْوَنُ وَهِيَ فِدَائِي
مَهْمَا شَفِيتُ فَأَسْتَطِيبُ شَقَائِي
لِلنَّاسِ حِينَ مَضُوا بِكُلِّ وِفَاءٍ
حَتَّى الْمَمَاتِ، شَجَاعَةُ الْعِظْمَاءِ
قَفَرِ الْحَيَاةِ أَنْوَاءُ بِالْأَنْوَاءِ
ظِمَان، لَيْسَ سِوَاكَ رِيَّ ظِمَائِي
وَأَعَافِ كُلِّ مَلَا حَةٍ وَسِنَاءِ
وَكَأَنَّمَا صُورُ الْجَمَالِ بِلَائِي
غُرْدَاً، فَمَاتَ بِهَاؤُهَا وَبِهَائِي
وَمَجَالِ أَشْوَاقٍ وَنَبْعَ صَفَاءِ
فَالْآنَ أَيْنَ تَهَافَتِي وَنَجَائِي؟
وَالنُّورُ حِينَ أَهْمِمْ فِي الظُّلْمَاءِ؟
وَتَسْلَسُلًا يَغْنِي عَنِ النَّدْمَاءِ؟
وَالْعُطْفِ وَالْغُفْرَانِ وَالْإِسْدَاءِ؟
وَكَأَنَّمَا أَشْلَاؤُهَا أَشْلَائِي
مَتَهَالِكاً أَمْشِي عَلَى الرَّمْضَاءِ!

مِنْهَا، وَحَسْبُكَ صَفْوَةُ الْأَبْنَاءِ
إِرْثاً تَدُلُّ بِهِ عَلَى الْآبَاءِ!
وَوَفَاءِ وَجْدَانِي وَصَدَقَ وَلَائِي
فَأَثَارَهُمْ شَمَمِي وَفَرَطُ إِبَائِي

وبقيت أسخر من جراحي هازئاً
مستلهماً من لم تدعني مرةً
فالآن بعد زهابها ومصابها

* * * * *

تمضي الحوادث والسنون وتنقضي
ويظل قلبي هيكلاً لك خالداً

بفواجع الآلام والأرزاء
في الحادثات أضيق بالأحياء
لم يغنني شممى ولا استعلائي!

أممٌ على أمم صباح مساءً
أبدأ يرتل لوعتي ورثائي!

(١٩٤٦)

وداع مصر

كتاب من أستاذي خليل مطران بك

القاهرة في ١٥ مارس ١٩٤٦

عزيزي نائبة العلم والادب الدكتور احمد زكي ابوشادي

بعد التحيات الواهية والاشواق القلبية

تلقت كتابك وقد سررت به كما سر بكل ما يبعث منك

غير انني اسففت اسفا شديدا للظروف التي حيرتني انه اراكم في

القاهرة وانرجو ان يسر لي زيارة الاسكندرية قبل ١١ ابريل الذي

لا عني شئ بما هديتكم قبل سفركم باتسوفتي الى نيويورك وانتم

على انه تكون رحلتكم الاسفوتية وان تكون غرات هذا المجهود

وهبه شكه خيرا وبركة لك وابداك التي تشركه ولحبك

والعجيبين بك ولهم كثر

في اختتام اقبالك سوفا وادعوا الله ان يحفظك ويحفظ

ابداك في نية وسنة موفدة ؟ المخلص

خدي بكرا

وداع مصر

أهديت إلى أستاذي خليل مطران بك - ١٤ إبريل سنة ١٩٤٦

أودّع (النيل) في توديع شاعره
وما أقبل طرساً جاء يغمرني
ولا أفارق أسنّاداً تعهدني
ولا أباعد أوطاناً أقدّسها
تباً لدنيا تديم الحر مغترباً
لام العذول، وما أقسى ملامته
حسبي رضاؤك عن خلقي وعن أدبي
لن يعرف المرء إلا من أرومته

(مطران) يا من أناديه بلا صفة
هذا نشيدي بلا وزن وقافية
أزجيه آخر ما أزجي^١ ويدفعني
إن حال سُقمك في يوم شجيتُ به
هل عودة أم تناءٍ لا حدود له
وغربة الفكر في دار يمّجدها
وهل أراك بيوم مسعد نضر
تحرّرت فيه أذهان مكبلّة
لعلّ بضعة أعوام سارّقتها

وقد أودّع نفسي في مشاعره
بالحبّ إلا وقلبي في خواطره
كما أفارق كنزاً من جواهره
إلا وروحي رهين عند شاعره
فيها، وأخرى تناءت عن سرائره
ولن ألوم عذولاً في دياجره
وصدق عهدي بماضيه وحاضره
وليس يعرف تبر من ظواهره!

ففي اسمه كل ما يغني كخاطره
وإن تسلّسل ألحاناً لأسره
حبّ كحبك، مشدوهاً كحائره
دون الوداع فسُقمي غير ظاهره
فغربة المرء أنأى من معابره
أقسى على الحرّ من فقدان ناظره
مضمخ بزكي من مجامره
وحطّم الشعب فيه عجل قاهره؟
تحالف الحظّ في تجديد زاهره

^١ كتاب خليل مطران بك إلى الشاعر بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦.

^٢ آخره قصائد الشاعر قبل مبارحته مصر.

وعَلَّني حينما ألقاك ثانية

أراك باعثَ شعبٍ من مقابرِهِ!

هل يعلم البحر من أفدي ومن خلقت
الملهم الجيل بعد الجيل ملحمةً
والواهب العمر للفنان ينزله
إن كان يعلم فليصمت على ظمئي
وليتَّق الحبَّ في روعي وفي مُثلي
رقصن في السحر الموهوب أخيلةً
من خلَّد الموج آيات مجددةً
أو لا، فما هو بالإغراء يجذبني
ولن أبدل من عزمي وإن شقيت
وكيف تشقى بدنيا غير صاغرةٍ
إن طالبتني بجهدٍ فوق محتملي
هذا شعوري والتوديع أرقبه

حشاشتي كمثالٍ من مآثرهِ؟
من السموّ تجلّت من شعائره
منازل الخلد في أسمى منابرهِ
ولا يراود فؤادي من مزاهرهِ
فما أبالي الغوالي من جزائره
والبحر يهدر تحناناً نساخه
وجدد البحر إعجازاً لزائره
إلى الضلال تهادي في عساكرهِ
نفسي بمنفائي في أقسى مخاطره
لم تقبل الظلم في شتى مظاهرهِ؟
بذلت عمري عزيزاً عن صفائره
كأنما أنا مولود بآخرهِ!

يا (مصر) إن أنس لا أنس الهوى ثملاً
رضعتُ فيك حناني للجمال، كما
لألبثتُ وفيّاً لا يغيره
لئن أميت كفاحي في منابته

على ضيفائك في شتى عناصرهِ
ركعت فيك لساميه وطاهرهِ
عادي الخطوب، أبيعاً في ضمائره
فسوف يحيا كفاحي في مهاجرهِ!

(١٩٤٦)

استقبال أمريكا

٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦

أماناً أيها الوطن السعيدُ
فأمسي مائتٌ لفراقِ أهلي
عرفتُك ملجأً للأحرارِ دوماً
أقبلُ تربك المعبود براً
ولو أني المخلف في بلادي
ولو أن الرجال بها استرقوا
تضيّع مجدها الأسمى رياءً
أردنا أن نقومها فأبت
وضحينا لعزتها فأذت
وعاث بها الدخيلُ فبجلته
يحال العلم جهلاً في رباها
وللتهريج سلطانٌ يرجى
وأيسر من وداعتها اتهامُ
إذا استشرى الفساد فكل خير
لجأتُ إليك يا وطناً تغنى
فإنك منبري الحرُّ المرجى

لقد دُفن الردى ومضى الوعيدُ
ويومي الحرّ في نجواك عيدُ
إذا ما حورب الحرُّ الشريدُ
وألثم رايةً لك لا تبيدُ
معالم حبُّها باقى أكيدُ
وفيك تحرّر السود العبيدُ
ومجدك دائماً حال وطيّدُ
وعوقبنا، وصال المستفيدُ
كرامتنا، وبش لها الحسودُ
وفدّاها ابنها وهو الطريدُ
والظلام قد زفّ القصيدُ
وللطاغوت يُستبق السجودُ
يخصّ بشره البطل المجيدُ
يذمُّ، وكلُّ مذموم حميدُ
به الأحرارُ واعتزّ النشيدُ
وبدء نهاي، بل عمرٌ جديدُ

(١٩٤٦)

هكذا حدث....

رثاء نسيب عريضه

ألقي في حفلة تابينه بنزل تاورز في بروكلن مساء ١٥ مايو سنة ١٩٤٦

ما كان عمرك موهوباً لإنسانٍ
ولا لأرضٍ وأوطانٍ حننتَ لها
والشاعرية لم تقصر منازلها
بل كان عمرك آياتٍ هتفتَ بها
ولم تكَيِّفْ بأوصافٍ ننمقها
ولم تخصص، فحتى أنت كنت بها
ملء الزمان تناجينا وتسعدنا
وتبعث الوحي فينا وهو ينقلنا
تُشامُ بالروح أطيافاً وأخيلةً
أكنَّ من صنعك الفتان أم نشأت
لعل في مقبل الأجيال عارفها

ولا لإحساسٍ هذا العالم الفاني
فالعبقريّة لم تخلق لأوطانٍ
على الحياة ولو من رسم فنّانٍ
ولم تفسّر بإنجيلٍ وقرآنٍ
ولم تقدّر بمقياسٍ وميزانٍ
في نشوةٍ، بين مشدودٍ وحيرانٍ
وتحمل النور ميراثاً لأزمانٍ
إلى عوالم من حسن وإحسانٍ
علويّةً، وجناناً دون جنّانٍ
عن معجزات سمت عن خلق إنسانٍ؟
إن فات تعريفها روعي ووجداني!

يا شاعر الهمسات الساميات بنا
كأنها صلواتٌ لا حدود لها
جُمُ التواضع، جُمُ العلم يسعده
وليس يبخس إلا نفسه أدباً
وليس يعرف غير الحب منقبةً
يحنو على الشعب في البلوى ويسعفه
ويرفض الضيم حتى لو أتى ملك

المبدعات لنا قدسيّ ألحانٍ
يغنى الوجود بها من قلبك ألحاني
أن لا يميّز في مدحٍ وشكرانٍ
كأن أخلاقه أخلاقُ ديّانٍ
ويحسب الزهو من أوزار شيطانٍ
ويستثير شعور الغافل الواني
به، وكان رسالاتٍ لأديانٍ

يا حامل العيب في إيقاظ أمته
ما برز أثارك الغراء مبتدع

تركتُ (مصر) وقلبي ذائبٌ حرقاً
وكننت جانباً أطياف الربيع بها
ومذ وفدتُ رأيتُ الربيعَ مكتئباً
فلا الجمال قريرٌ في مباهجه
كأنَّ (أذار) عاداه وباعده
ما للبشاشة قد ماتت بنضرته
وللجدول قد غصت بحسرتنا
وللنسيم قتيلاً بعد عاصفةٍ
وللطيور التي كانت مفردة
وللخواطح لم يشمخن في نظري
شاهت جميعاً بعيني بعد ما حرمت

جعلت قلبك قرباناً وتقدمة
وما رثائي من أثاره عمم
أغنيت عن كل صيت من عوالمنا
وعشت فينا غريباً، فلتعد ألقاً
فأنت وحدك تدري الآن ما عجزت
وحسبنا ذكريات منك عاطرة
وخالداً من الإيمان ناصعة

حملت عبئين بل رزين في أن
ولا بنى فوق ما أعليته باني!

وجئتُ أطفئ لوعاتي ونيرانني
وقلت حسبي بكم جنات (لبنان)
كأن أحزانه من لون أحزاني
ولا النسيب على روض وأفنان
وما رأيت عينه أفراح (نيسان)
وللأزاهر ما هشت لبستاني؟
كأنها لم تكن راحاً لريحان؟
وللسحاب في رعد وأدجان؟
تنقر العشب في يأس وإذعان؟
وللروائع قد خيبن حسابني؟
لقاء من عشت أهواه ويهواني!

للناس، والآن ما حبي وقرباني؟
وكل بيت له كنز لديوان؟
وعن بكاء وتمجيد وعرفان
لموطن الأصل أو للموطن الثاني
عنه مواكب أذهان وأذهان
وموحيات بأنغام وألوان
تهدي العزاء وتسمي كل إيمان

من مات موت شهيد لم يمت أبداً
ومن تكن نفسه شِعراً وفلسفةً
يأبى الإِسارِ، وإن وافى مجاملة

وقد تُبدلُ أبدانُ بأبدانٍ
وبسمةٍ من أغاريدٍ وأوزانٍ
من الشُموسِ، ويأبى العالمُ الفاني!
(١٩٤٦)

ذكرى المهرجان اللبناني الكبير

في ترنتن نيو جرزي سنة ١٩٤٦
(مهدة إلى جمعية النهضة اللبنانية)

أبناء (فينيقيا) عشت لأجيالٍ
ما عابكم أنكم دنيا لأنفسكم
تفجّر الحزم منكم في مراحلكم
كلاكما جائشٌ فاضت عواطفه
كأنما (الأرز) من قدسيّ نبتته
وتنتحي أمماً شتّى بواسقه
كأنما كل فردٍ بينكم بطلٌ

مفاخرَ الفن والإقدام والمالِ
بل عاب حسادكم عجزاً بأغلالِ
تفجّر النبع لم يُخلق لإذلالِ
وسعيه فسما عن فنّ مثّالِ
يمتدّ فيكم بآثارٍ وأجالِ
فتفتني أممٌ من بعد إقلالِ
والمجد لم يُدخّر إلا لأبطالِ

يا مطرب المهرجان الحزّ قد طربت
مضت كوارث ذاق الدهرُ لوعتها
فليسمع اليوم ما أعددت من نغمٍ
لا حسنٌ غيرَ جمالِ الفنِ يُسعفنا
من مثل قومك في إنشاد شاعرهم
في بسطةٍ كانسيابِ النهرِ متّدا

مسامعُ الدهرِ فارفع لحنك العالي
إذ جئت الأرض واستخذت لجهالِ
يشفي الكلوم ويحيي المنزل الخالي
بعد الدموع بأحلامٍ وآمالِ
أو عزفٍ مزمارهم أو وحي موالِ
أو وثبةٍ كجريءٍ فوق شلالِ

أنشد مديداً ولا تسأم فمناك هدى
ويا أماليد (قاديشا) وزينته
حيث العواطف ألوان منوعة

ما أجمل الحب في دنيا تآلفه
حيث (الطبيعة) لم تبخل بزينتها
مدّت موائدها الفيحاء فاخرة
من الفواتن من أنطقن في مرج
من الفوارس من زانت مفارقهم
من أمة صحف التاريخ عاطرة
حار الرواة بما أسدت وما صنعت
ولم تزل سيرة للمجد صادحة
أليس من بدع الإقدام ما مثلت
قد أرضخوا القدر العاتي لهمتهم
وأطلعوا بيننا (لبنان) في وطن
بين الشعوب تعاني وهي صاغرة
من مبلغ أمتي سر الحياة بكم

يا وارثي من أضاءوا في مهارتهم
لعل أعظم إرث في تضامنكم
لكم تبعثر أجيال بزلزلة
طوبى لكم، وليكن هذا التراث غنى

مثل الأذان لحجاج ونزال
للرقص والشو هذا المعرض الحالي
تجمعت في هوى (لبنانها) الغالي!

حيث الجمال بأضواء وأظلال
وحيث كل جلال دونها بال
وجمعت بين ظبيات وأشبال
صخور (لبنان) ألعاناً بسلسال
غر الأكاليل، أوركاب أهوال
بذكرها، وعزيز مجدها الحالي
مدى القرون، وحر الباحث التالي
ومضرباً لأعاجيب وأمثال
في (المهرجان) بآيات وأعمال؟
ولم يبألوا بالغام وأوجال
ما كان للمقدم السامي بخدال
في الشرق موتين من ذل وإمحال
فقد أضيعت بها في القيل والقال؟!

وفي جسارتهم نهجاً لأجيال
وفي تعاونكم في غير إدلال
ولا يفرقكم عاب بزلزال
فوق الغنى، لم يقوم بعد بالمال!
(١٩٤٦)

ثقتي بمآل الإنسانية

دستور لوحة العالم

ترجمت هذه القصيدة إلى العربية تلبية لإدارة التعليم في نيو هيفن بولاية كنيتكت
للعرض في أسبوع هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧
وللحفظ في متحف إدارة التعليم هذه

وَأنا الوصيُّ على مدى الإنسانِ	إنِّي الأمين على السنين، الحاني
بيننا هزائمه على جسماني	ورهبين أحلام سمت بفتوحه
وكذاك روعة بأسه الفتانِ	تلك الندوب على الجراح شهيدةٌ
لغز الألوهة والسنى الروحاني	وعجيب لغزٍ للحياة مقدسٍ
ونهاي في استيعاب غير الفاني	عقلي تمثل في قياس نجومه
حكم الذين تتبعوا إيماني	وعلى حياتي اليوم يتبع في غمر
إرث البرية عزٌّ في الأثمانِ	ومقالهم صدقاً: "حملت موقفاً
بنهاي، أو بحجاي، أو هجاني	وإذا نما الإنسانُ في تأمليه
حرّاً فسوف يعيش في الأزمانِ	وازداد في معنى التفهّم روحه
أقصى وأفسح من خلوي داني	ولسوف تغدو السرمديّة للورى
(١٩٤٧)	

عيد النيروز

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٧

شوقي إلى الوطن البعيد مزارا	قُبْلُ كَأَنفاس (الربيع) أبثها
لا تستحيلُ بشاشة ونضارا	وأراه في حزن (الخريف) بنضرة

وأخصّه بهوأي رغم نكايّة
وكان منفاي السحيق مقرّبي
وأغصّ بالذكرى وليس بنافعي
اخترت هذا العيد يوم تبثّل
أو ليس رمزاً للحياة وموتلاً
عيدٌ تلالأت (الطبيعة) بالمني
هبة من الأرباب كنا أهلها
غنت لنفحته المدائن وانتشت
وازيّنت طرباً معابد (طيبة)
في عيده القدسيّ كنّا أمة
كنا نضحّي بالجواهر والحلى
وتشرّبت إكسیره أرواحنا
حتى تبوأنا مكانة دولة
ما بالنّا بتنا أصاغر عالم
الألّنا فتنّا شعائر وحدة
ألّنا أصداء المعابد لم تنل
(أنسُ الوجود) قضى شهيد وفائه
وهياكل شتى أطاح بها الأسى
هبّوا بني وطني لأنبل غاية
وذوّوا الدخيل فكم يذث سمومه
شغلت محافلکم بكل قضية

تعلّي العبيد وتُسقط الأحرار
أبدأ إليه، وإن نأى وتواری
أن لا أغصّ وأن أموت مراراً
وتخذت منه مثابة وشعاراً
للناس، إن بطش الزمان وجاراً؟
فيه، وألبست الجمال وقاراً
و(النيل) كان يزفّها أدهاراً
أمم وأسعد حوله الأحجار
وبدا (أمون) المنعم الجبار
لا تعرف الأحقاد والأوزار
فرحاً ونعبد ماءه المشتار
نعم الوجود، وأشربت أسراراً
بزّت، ودان لها الزمان جهاراً
نبذ الصغير، وما نزال حيارى؟
فتبدّدت عزماتنا استهتاراً؟
أذنّا، فمات زمانها وانهاراً!
غرقاً وكان الضاحك الثرثاراً
قبل البلى، فتحوّلت أثاراً
ودعوا الصغار وجانبوا الأوغاراً
لينال من تدويخكم أوطاراً
إلا قضيتكم دجى ونهاراً

وتهاون الزعماء في ميراثكم
هبوا وصونوا وحي ماضٍ ماجد
(النيل) بارككم فرشوا دوركم
وتعانقوا بمنى الإخاء، وهللوا

وتنافسوا فيما يؤول^١ دمارا
وكفى التطاحن وانبذوا الأغرار
في عيـده بمياهه إكبارا
لجلال (مصر)، ومجدوه منارا!

(١٩٤٧)

في أتلتيك ستي

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت
وقد كان أيام الشباب معلّلي
وأنفقت أيامي عليه فريتها
أيدعو إلى الذكرى عواطف شاعر
ولو بعثت، أنى له بشبابه؟
أهذا هدير السحر في شاطئ الهوى
تسمّعه نشوان ألمس غابري
وما كان بالإعجاز أو سكرة المنى
وقد يكمن الفنان في قلب راهب
فالفيت نفسي في الشباب مجدداً
وأشربه ألوان أنس ويهجة
وهذي عروس الماء لم تدخر حلى

حياتي، ولم أستبق غير خيالي؟
وكان نديمي لا نديم رمال
من البشر أضعافاً بغير سؤالي
تلاشت على تعنييه المتوالي؟
وأئى له بالحب بعد زوال؟
فليس محالاً فيه أي محال؟
كما لمس المخمور وهم ليال
فليس بسال كل من هو سال
كما يكمن الإشعاع طي جبال
أعب من النور الشهي حيالي
تعالى ولم تبخل برغم تعال
على الليل، حتى الليل أزهر حال

^١ يؤول: يبتّر.

أعدت لدى البحر الطروب طريقنا
(سفينة نوح) تلك أم حلم شاعر
وتغلبت الآلاف فيها حبيسة
تروح وتغلو، لا ترى الوقت عابراً
وما تشتهي أرضاً تلوذ ببسها
فكلُّ الذي تعطاه صفو مبراً
تدفق فيها النور من كل جانب
وعشش فيها الحب حتى كأنما

على جمع ألواح نَعْمَنْ غوال
تملك فيه الحسن كل مجال
ولا تعرف الأشواق أي ملال
وليس سواه بالوجود يديالي
كما اشتاق (نوح) في زمان ضلال
وكل الذي تخشاه حلود لال
إلى أن تراءى بعضه كظلال
تغذي وغدانا بكل جمال!

(١٩٤٧)

رثاء عبد المنعم رياض بك

ألقيت في حفلة تأبينه بنيويورك سنة ١٩٤٧

صوتٌ من الغرب ناجي روحك السامي
جاز المحيط على الأمواج شارية
أوفى جريحاً كجرحى الحرب منطلقاً
من موطن كنت أخرى من يعزبه
صيّت عن الفكر والتفكير صاغرة
لكم سعيت لكي أبقىك موئناً
وفتتاً بخضم زأخر لجب
وكنت تمزح في خو في وفي لهفي
أين الألى طالما أشبعتهم نعماً

وإن تعثر في حزني وآلامي
شرود قلبي وأحلامي وأيامي
من القيود، ولكن مرهق دام
إلى موطن إنزال وإرغام
كما تصان توأيت بختام
فخاب سعبي ولم يتقنك إيلاامي
وعالم بخطايا الناس نوام
بخاطر كرقيق الزهر بسام
وما استحقوا، وما كانوا لإنعام

رفعت أرؤسهم في غير منزلة
أين الوفاء، وما أرجوه في مني
كم حاصروك لأهواء ومنفعة
إن تُنس لم تُنس في قلب يذوب أسي
يشكو من الغيث من يشكو وفي حرقى
أن الربيع أنيني في عواصفه
وشاب أهواءه ما شاب خاطرتي
كئتما كل شيء حال في نظري
إلا نزاhtك القصوى لدى زمن
إلا وداعتك المثلى يدين لها
إلا وفاؤك للعانين تسعفهم
تولي الجميل وما تدريه مغتبطاً

هل يعلم (النيل) أي الناس غيّه
وأي علم وأخلاق وتجربة
وأي فضل وإيثار وتضحية
قسط النبوغ يجود النابغون به
عاشوا اغتراباً بعنياتهم وما سلموا
وكل فرد شقي بينهم بطل
أولا، فبالترك يضربهم ويقهرهم
ماذا انتفاعك بالذكرى، وما انتفعت

من مرجعي لزمان كنت بهجته

شأن الكريم، فما اعتزوا بإكرام
من معشر بين خفض النفس والهام؟
واليوم شق عليهم بعض إمام
وإن تبلور في شعري وأنغامى
لا يشتكي في وفاء قلبي الظامي
وصاح بين تبارحي وأسقامي
من الكلال ولم يعمّر بيّام
إلا مثالك في نبيل وإقدام
فيه النزيه غريم بين أخصام
من لا يدين لبرهان وأحكام
وكلهم من رعايا قلبك السامي
وشاكراً شكر مخدم وخدام

ذاك الأديم، وإن يُقرن بعلام؟
قد ضيّعت حين إعياء وإعدام؟
كنّ الفداء لأقوام وأقوام؟
وقد يجاد بلّوايح لأنعام
وجاوزوها على نار وألغام
وقد يمجّد بالتجريح والذام
قهر الجفاف لجئات وأجام
بك الحياة سوى في بعض أحلام؟

وكان مراك إسعادي وإهامي؟

جَمَّ السَّمَاحَةُ، لَا يَنْجَابُ عَارِفُهُ
الْمِدْرَةُ الْفَذْلُ لَا تَدْمِي مَطَاعِنُهُ
وَالْفَاتِحُ الْعُضْبُ لَا تُتْسَى بِعَارِكِهِ
يَصْغِي إِلَيْهِ الَّذِي يَعْنُو لِحْجَتِهِ
لَمْ يَنْسَ أَمْرًا إِذَا مَا صَالَ مَقْتَحْمًا
إِلَّا مَكَاتَتَهُ الْعُظْمَى، فَمَا هَبَطَتْ
كَانَ الْمَثَالُ الْمَرْجَى فِي رِجَاحَتِهِ

(مَدِينَةُ النُّورِ) لَمْ تَطْفَأْ عَلَيْهِ أَسَى
وَمَا تَنْبِنُ تِيَارَ الْحَيَاةِ بِهَا
وَلَا الْمَحَافِلَ أَحْيَاهَا وَأَبْهَجَهَا
فِي كُلِّ مَرَأَى جَمَالَ كَتَّ أَعْبَدَهُ
لَنْ صَدَفَتْ بِحَزْنِي عَنْ مَفَاتِنِهَا
كَئَمَّا لَمْ تَنْزِلْ فِيهَا بِشَاشَتِهِ

كَئَمَّا هُوَ مُوَكَّلٌ بِئْتَامِ
وَلَا تَعَابُ بِاسِ فَا فَرَّ وَإِيْلَامِ
كَئَمَّا غَزَوَاتُ بَيْنَ أَجْرَامِ
كَالْصَلْدِ يَعْنُو لَغَمْرِ الْجَحْفَلِ الطَّامِي
إِلَّا عَوَاقِبُ إِجْهَادٍ وَإِقْهَامِ
جَهْ هُوَ لِمَبَاهِةٍ وَأَعْظَامِ
فَلَيْنَ أَيْنَ الْمَرْجَى بَيْنَ أَصْنَامِ؟!

وَلَمْ يَنْكُسْ بِهَا مَفْجُوعُ أَعْلَامِ
وَلَا بَكَتْهُ، وَمَا بَالَتْ بِأَوْهَامِي
رَبِيعَتِ، وَلَا شَاهُ غَرَسَ حَوْلَهَا نَامِ
وَلَمْ يَزَلْ وَحْيِي صَدَاحَ وَرْسَامِ
فَمَا تَبَالِي بِلَوْعَاتِي وَإِحْجَامِي
وَعَنْبُ أَقْوَالِهِ فِي رَجْعِ أَنْغَامِ
(١٩٤٧)

قطرات الندى

من وحي الخريف

وَافِي الْخَرِيفِ فَوَافَتْ لِلْنَدَى صُورُ
كَئَمَّا أَوْدَعَ الْعَشَّاقُ أَنْفُسَهُمْ
تَلَالًا الْحُبُّ فِيهَا وَهِيَ بِاسْمَةٍ

مِنَ الْجَمَالِ عَلَى عَشْبٍ وَأَوْرَاقِ
بِهَا، فَمَا كَشَفَتْ يَوْمًا لِأَحْدَاقِ
تَبَسُّمِ السَّحْرِ فِي الْحَاضِرِ عَشَّاقِ

ما للعناكب قد فازت بحليتها
ولم أزل في ظمائي غير منكِرٍ
إن داعبتها خيوط الشمس راقصةً
ولم يعد من مرآئها سوى حلم

غاب الندى ونسيم الصبح يعلنه
تدري العناكب ما يروي كما فهمت
فإن بكت بدموع الندى نرفت
كم للنسيم رسالاتٍ متنوعةٍ
كأنما هي ألغازٌ ووسوسةٌ
تعنو الغصون صلاةً في تجاوبها
فما أرى غير نينا الحب مائلةً

والحشائش قد رفّت بثشواقي
وما يبالي الندى همي وإخفاقي؟
ذابت نضاراً حيال اللؤلؤ الباقي
كأنما غيرتها فتنة الراقي!

سراً أبيع لوجد الشاعر الشاكي
كلّ (الطبيعة) هذا الصامت الحاكي
فقبلها نرفت في خاطري الباكي
يشجى الوجود لها أضعاف إيراكي
على حروبٍ، وحيناً همس نسّاك
وفي تبكُّلها تودّي بإشراكي
فيما أرى بين أنداءٍ وأفلاك

(١٩٤٧)

بماذا سيموت؟

إن الطبيب يبذل غاية جهده، فلماذا نرتقب أكثر من هذا؟

(الانتشج أو الرسم الحفري المعدني للفنان الإسباني جويّا)

وطني الحبيب وُقيت شرّ الداء
الموت أبعد عنك حين وباء
ماذا جنيت ليحكم القدرُ الذي
أيردّ عنك الألعى وطبّه

وأغثت من أهليك في الجهلاء
من رحمة الجهلاء والبلهاء
أفتى بما أفتى من الأرزاء؟
وتموت بين سوائم ووباء؟

أحنو عليك وإن نُفيتُ، ولم أزل
ضاقت بنا الدنيا العريضة واغدت
وقد انتهيت إلى فراشك ساكناً
هل نافعي كل الذي أغنى به
وأنا أراك تنن في أسر الردى
وأنا الغريب موطناً ومغرباً
سأعيش في بعدي رهينك دائماً
وأهيب بالأبناء رغم عزوفهم
فلعلّه يوماً يثير شجونهم
فتعود للأحياء غير مكبلٍ
أقسى من الموت المدمر حالةً
والعصر عصر العلم، من لم يستبق

صنوا، وقد بتنا من الشهداء
أحلامها أحلام كلِّ مرائي
للنزاع حين أبوا عليّ فدائي
حولي وكلُّ مشاعر الأحياء
وتثير لوعة مهجتي ووفائي؟
ومحرماً أن تستجيب ندائي؟
أرعاك بين تحسّري ورجائي
وخنوعهم وعقوقهم وبلائي
قبل الفوات، فلا يردُّ دعائي
وتصيخ للحكماء والعلماء
تدعو الرثاء لنا من الأعداء
لحماء ضاع ومات دون رثاء!
(١٩٤٧)

الاحتمال

تجرّعتُ آلام البرية مثمماً
غلامَ اعتناقي للتفاؤل حينما
وفيم وكوعي بالوداد أصونه
وإن لم تُضرج بالصغائر مرةً

تجرّعتُ في قلبي المني حُوماً
فؤادي ووجداني به قد تهلماً؟
وقد ضُرجت نفسي بأسهمه لَمّا؟
وإن لم تدنس بالتزلف للذمى¹

¹ الذمى: الأصنام.

وما استمرأتُ نفسي الخصومةَ مرةً
ولكنَّها تلقى العذابَ مخلصاً
وشقى وما ترضى التقهقرَ موئلاً
تري ألم الأحرار سرَّ وجوبهم
طغى كلَّ يومٍ مائتٌ بعد مائتٍ
وما نلِمتُ يوماً على ما أصابها
إذا عرف الأحرار حمل بلائهم
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم
وقد آمنوا بالحق يُنصر أخراً
وما زلت تغزونني المنسي كئناً
بلا كلفة تحيا على برِّ مهجتي

فلم تتخذها للمنافع سُلماً
وتؤثره حظاً وتبغيه معلماً
وترقى وما تسترحم الأرض والسما
ومن ذلك الحرُّ الذي ما تألأ؟
ونفسي تئبى أن ترى الكون مائتاً
من الحيف مهما نوقت منه علقماً
فما عرف الأحرارُ بعد التئماً
وفاءً لمعنى، أورجاءً تلتماً
وإن يوخ الظلم البريئة واحتمى
صحاب، وتهواني شراباً ومطعماً
فلثرتُ أن أفنى وأن أتبسَّماً
(١٩٤٧)

فني وحياتي

أمّتي! ما زلت فني وحياتي
لم أقرّع، يائساً أو كارهاً^١
مشفقاً إذ جرّع الناس الأذى
قد أباح (الفن) أمساً مرهقاً
حينما (اليوم) كئيبٌ عاثراً

فاصفحني، أو فاغمري باللعنات!
بل محبباً ريع من عاتٍ وعاتٍ
غصصاً عدت أجلاً الحسنات!
وأباح (الملك) إرهاباً البناءة^٢
تحت أقدام المذلّين الطغاة

^١ منصوب على الحالية، أي لم أعنف وأنا يائس أو كاره بل وأنا محب دعر من ظلم الطغاة.
^٢ إشارة إلى تقاليد مصر القديمة.

ليس هذا الظلم إلا غمرة
ما حوى فيما حوى تبرئة
بل حوى العسف على ألوانه
أمّتي! ما كان شعراً صغته
ما عناني منه قلبي مرة
مثل آلاف فلوبٍ أُحْرِقَتْ
كلُّ حسنٍ شاقني في غربتي
كلُّ آياتي التي أبدعتها
أو دعائي شاملاً في حبّه
وأبالي النّفي إن يسّر لي
وشقائي، لو غدا تضحية
وليهنّأ من عداتي كلُّ من

للّسّداة^١ المستهينين الجنّة
أو خيالاً لمعاذير الحمّة
ساخراً سخر المجانين الدّهّة
في حياتي غير ملح من حياتي
أو ولوع الناس أو مدح الشدّة
في عذابٍ بين أفراح القضاة
منك، إذ ألهمت منك صلواتي
هي بعضٌ من سنا (مصر) الفتاة
عالم الناس المساكين العفاة
بعض تبديله لَهْذي الظلمات
ما شقائي من عديد التضحيات؟
خانني، ولينعموا يوم مماتي!
(١٩٤٧)

قلب والد

أهديت إلى ابنتي صفية

لا أرى للحياة كنهاً ومعنى
وسعيدٌ من عاش يعتنق الحبَّ
وأراني السعيد مهما تناهت

إن تخلت عن الهوى أو تجنّى
ومن حاز ملكه مطمئناً
نوبٌ للزمان غدراً وميئناً

^١ السداة: جمع وضعي للسادي - أي الملتذّ بالتعذيب لمجرد التعذيب.

^٢ المدافعون عن جبروت القرون السالفة.

أعرف الحب كيف عشت ملاذي وسلامي، وأملك الحب كونا
وتناهيته يا (صفية) في البر بقلبي فلم يعد بالمعنى
أي ذكرى أخطها لك إلا دعوات بها فؤادي تغنى
منذ ما كنت طفلة وأنا أشدو بما أرتجي وترجين مني ما
إن قلب الأب المحب لدنيا لم تكيف ولم تحدّد بمعنى!
(١٩٤٧)

القلب الباكي

وحي باقة من الورد في عيد ميلاد الشاعر

هل يعلم الناس نجوى قلبي الباكي وما أعاني بأشواقي وأشواكي؟
ما نعمة الورد للمحزون ألمه عطر من الورد حاكي روحه الشاكي؟
إذا تبسّم لم يظهر ببسمته إلا أساي، وإن يجهش فإبرaki
يلقى الشتاء لقائي، لا يدفّوه ما هيا الناس، منهوكاً كأنهاكي
كان باقته تهدي إلى ألمي عواطف الحب عانت غدر سفاك
كأنما عيد ميلادي يعانقها على وداع بقايا حبي الذaki
هنّ اغتربن الضحايا لا ذنوب لها كما اغتربت، فماتت موت نسأك

يا (مصر) لولاك ما فارقت في حرقى أركى الجنان، ولا عوقبت لولاك
أهواك في غريتي أضعاف ما سمحت به المقالير في قربي لأهواك
أبت عليّ كفاحي عندما أننت للغارين، فعاثوا في حناياك
ما العيد عندي عيد في مباهجه أنا الغريب، فعيدي يوم ألقاك

على سلام وفي حرّية شملت
الثلج حولي أحنى في تحرّره
والنفس أسعد أيامي إذا فرضوا
يا ربّ مقترّب في حكم مقترّب

لا أن أعود لأغلال وأشرار
على فؤادي من ضيم بدنياك
نلّ الجباه لفقون وأفالك
وضاحك كلّ ما في قلبه بالك
(١٩٤٨)

ربيع الحرّ

ربيع الحرّ أشرق يا ربيعي
ولا تحجب حياءً كالعداري
لقد نمّ الأريج عليك لما
ونمّ عليك همس من غصون
وسقسقة الغرام تذوب لحناً
وأمال السلام وقد تراءت
وتحنّان الجمال لكل حيّ
وأنداء الصباح مضمّخات
وألف الروائع سافرات
يفيض الجوّ سحراً عبقرياً
كأن جميع ألّهة المعاني
كأن الكون يخفق في حبور
تقدّس كلّ شيء في عيوني
فكيف إذا سافرت لنا فتيماً

وثبّ فرحاً مع الحمل الوديع
سناك أو صلاتك عن سميع
أريق شفاعة الحب الصريع
ووسوسة البراعم في خشوع
بأمواج الضياء على الزروع
نجوماً في السماء وفي الربوع
يرفّ بلهفة الطفل الرضيع
بعطر الحسن في نسق بديع
وإن خفيت عن الحسن الوضع
تفرّد بالأصالة والنزوع
حبّه كنوزهنّ على الشيع
خفوق الشعر في الروح الرفيع
وقد ران الجمال على الجميع
بثوب العرس تخطر في الجموع؟

وكيف إذا الأناشيد الغوالي
ولقن العباد كل قلب

أغثن الروح من ظمأ وجوع
وأطلعن الشموس من الشموع؟

ربيع الحر أشرق يا ربيعي
كلانا كان في عنت وضيق
وكننت معذباً شاهت نُهاه
فعدنا اليوم يجمعنا إخاء

وثب فرحاً مع الحمل الوديع
يعاني الأسر في سجن منيع
وكننت ضحية القدر الفظيع
وأرض لم تسخر للرقيع!

(١٩٤٨)

تحية وفاء

في عيد (الهدى) الخمسيني

"الشتاء! الشتاء!" صاح بي الجار كائي في حاجة للنداء!
ونثر النجوم حولي وقد بزّ خيالي وهزّ شتى المرائي
والضياء الأصيل ران على الدنيا سناءً مجسّداً لا يُرائي
فاتحاً كل معقلٍ حجبتَه عن عيون الوردى بروج السماء
لاهيأ ساخراً، وقد خضخض الدنيا فزالت معالم الأشياء
وغزا الوقت فامحى كل حدٍ لنهارٍ معرفٍ أو مساء
وإذا بي مشرداً وكائي ما شهدت العمران يوماً إزائي
وأخوض الثلوج شبه غريقٍ كبَلّته فوادحُ الأعباء
شاكراً حظّي العظيم، وقد شلت جموعٌ، وشلّ نفس الهواء
ذاكراً في حرارة الودّ عيداً يمحي عنده صقيع الشتاء

شغل القلب ذكره فتناسى ما عداه، مستغرقاً في الغناء
 أي عيد هذا سوى عيد إقدام وفكر وهمة واعتلاء؟
 هو عيد (الهدى) الأغر الموائى بمعاني الوفاء للأوفياء
 ليس بدعاً وقد نعمت بها وقتاً حنيني الملح أو خيالي
 هرعوا ينفلون بالعيد أفواجاً وزفوا له تحايا الولاء
 وتباروا في كل رمز جميل لم يُدنس من ريبة أو رياء
 شرف للجميع ما هيأ (اليوبيل) من عزّة لهم أو رجاء
 ليس عمر الخمسين عمراً لأجيال، ولكن لنهضة زهراء
 لم تزل في شبابها مبعث الوحي منيعاً على البلى والفناء
 عززت حرمة اليراعة والرأي ومجد الصحافة الشماء
 وتسامت منارة لا تسامى، فقليل لها جزيل الوفاء

(١٩٤٨)

الألوهة والكون

كل شيء في الكون سحر عجيب	والغريب القصي فيه قريب
يجهد العلم باحثاً بينما وفق من قبل واحتواه الأنيب	
هكذا كل نرة من كياني	تحتوي العالم العظيم السّاني
أنا فان وفي المدي غير فان	وكياني هذا الوجود الرحيب
والإله العظيم هذا الضياء	ومعانيه أجملتها السماء
لا ابتداء له وليس انتهاء	أو شروق لوجيه أو غروب
كل شيء من حولنا يتحول	ولو أن الخلود طبع مؤصل

سوف نحيا على ضروب تشكّل
لبنات الوجود موجّ يدور
والجمال الذي به نستتير
هو فنّ ثوى به الفنّان
هو معنى ما فاتّه الإمعان
ما ابتهالي إلا ابتهال لنفسي
وحناني إلى الإله وقبسي

بينما الأصل واحد والضروب
قد تجلّى به الإله القدير
غاية للوجود لا تستريب
هو كون أرواحه الأبدان
وتناهى إليه شعر حبيب
فأنا ملهمّ جناني وحسي
من سناه استجابة لا تخب

(١٩٤٨)

حسني الزعيم

(بردى) ألقى النطع خير بنيكا
لهفي على شعب يباع ويشترى
شجى العصور من المّسي حولهم
ماذا بهى الشعب العزيز وقد غدا
يأبى النهوض كأنما أجداه
وتجنبوا رفع الصروح، وآثروا
ماذا بهاه وكان موئل عزّة
من شجّع الإجرام غير رضائه
ساموه خسفاً لا يحدّ، ودعّموا
يا شعباً! إن رمت المذلّة فاغبط
ليس العدو الدّمم من عفّروا

ويموت من أحياء العظام فيكا؟
والبائعون المشترون بنوكا!
وتعاف عدّ طغاتها أهليكا
صيداً لكلّ مغامر مملوكا؟
حفروا الخنادق معقلاً مهتوكا
ذلاً، فصاروا الخامل الصعلوكا!
لرجائنا، فطأحه منهوكا؟
بالضيم يتبع سوقة وملوكا؟
فوضى نرتّه ألواهن المفلوكا
أولا، فئّن قصاص من نهوكا؟
تلك الجباه تحكّماً ورثوكا!

(حسني الزعيم)! كتبت نكرك خالداً
يا من ترفع عن صغار خصومه
إن عُدّ مثلك خائناً لبلاده
يا حافظ الحرمات، هذي غاية
شئان بين هوان ما أورثته
الناس هم تلك النئاب وخيرهم
وقضوا على البطل الهمام بإفكهم
إن يهنأ اليوم النئاب، ففي غد

في المصلحين له، بما مسفوكا
تعب الخصيم وما أثار شكوكا
نعم الخيانة للعظيم سلوكا
للمتقين نكايّة وحلوكا
وجلالك المزري بمن ورثوكا
صلبوا (المسيح) ومجدوا المسفوكا
مذ عُدّ للبطل الهمام شريكا!
سيروعون من العقاب وشيكا!

مهلاً زعيم المصلحين فربما
ليرى الأواخر ما صنعت ويهتدوا
ماذا يريد الغابرون - وما دروا
أنقذتهم، فإذا بهم في دأبهم
وسبقت عصرك والنبوغ جناية
أوسعت صدرك للعداء وهكذا
فارقدا! لعل ترى بلال صنتها

ناب الممات فراح يستهديكا
وليتمموا بوفاء من يفديكا
إلا الخيانة - بالنداء ركيكا؟
مثل العقارب تبغض التحريكا!
وأبيت شعبك تأنها منهوكا
أوسعت صدرك للرصاص ضحوكا
تحنو عليك حنو من عرفوكا!

(١٩٤٩)

غضبة الأحرار

إلى الصديق سلوم مكرزل صاحب (المدى) في عيد ميلاده

إنن لم يعد في القوس للصبر منزعٌ ولم يبق غير الثأر للناس مفرعٌ

وخيرٌ لهم أن يشبهوا الريح ثورة
وخير لهم أن يلثموا النطع والردى
حيننا إلى عهد به الجبن بولة
وأصبح فيه اللص ينهب جهره
ولم يسعف الظلام من جبروتهم
وواعجباً تسعى الضحايا لحتفها
ووا أسفاً للجهل يغلب أمة
وواضيعةً الآمال في عهد شيعة
كان لها حظاً بتلوخ شعبا
وفي كل يوم نكبة بعد نكبة
فما هذه الأقدار تسحق أمة
وذا الأمم استخذت ودانت لغيرها
يفوت غنماً بعد غنم، ويدعي

هنيئاً أبا الأحرار بالقدرح ثلته
ستنكر الأجيال خادم مبدأ

عن الريح تستبكي كما تتوجعُ
عن النل حين الحر للبغي يركع
وفيه الأبى الشهم عانٍ مضيعُ
وأصبح رب الحق يرجو ويضرعُ
بأكثر ممن للأداة تطوعوا
وبالشرف المحيي لها ليس تقنعُ
فلا الجيش يجديها ولا المال ينفع
تجافت وجافتها المكارم أجمعُ
فمن يدها يسقى الردى ويجرعُ
تزعزعها، لو أنها لا تزعزع
وتترك جالداً لها يتمتعُ!
فلا الوهم يغنيها ولا الزهو يرفع
مضللها أضعاف ما يتصنعُ!

وساماً، وقد هان الوسام المرصعُ
وبين له الأجيال تغنو وتخشمُ!

(١٩٤٩)

الشاعر السامي

رثاء خليل مطران

إلهة الشعر! عاد الشاعر السامي إلى عوالم لم تحصر بأجرام

إلى عوالم غناها وأسكرها
إلى نهى لم تُكَيَّف في منازلها
إلى منابع للإلهام صافية
الأنبياء إلى عليائها انتسبوا
إلى منارك، فاستعلت كواكبه
تدور لا ملجأ يملئ مساربها
وتبعث الشعر في خفق أشعتها

إلهة الشعر! عاد الشاعر السامي
لم ينزع الموت إكليلاً خصصت به
وإن يكن قد أثار الهول في مهج
أسري به في بروج لا كواكبنا
وخلف الفن مكبوتاً على وجل
طار النعي ويئس الطير روعنا
ألقى علينا الأسى تكللاً ومسغبةً
زاد الهجير لهيباً فرط حرقتنا
كئتما لم يمت قبلاً بعلته
كئتما عيشه حام لفكرتهم
ما أفدح الخطب للعانين ما نعموا
وما أشقّ المنسى للشعوب متى

هل يعلم الناس أي الناس قد فقدوا
وهل بكت (بردى) و(النيل) واضطربا

كان أضواءها أصداء أنغام
ولم تحدد بأنفاس وأجسام
فاضت على الشمس والدنيا بقسام
والشاعرية في وحي وإلهام
ونحن في وهدة هانت وإظلام
ونحن ما بين إسراج وإجام
جمّ الفصاحة أن يوصف بإبهام!

إلى عوالم لم تحصر بأجرام
ذاك الجبين، ولم يظفر بإغنام
وبعثر الزهر من بأك ومن دام
تدري مداها، ولا أرياب أحلام
ألم يرزأ بفقد الكوكب (الرامي)؟
وهو الجريح بأحزاني وآلامي
مبتدأ نخر أمالي وأحلامي
أليس حرقتنا أنفاس أيتام؟
الفاتحون لـلـولـاتـر وأفهام
والفكر ليس له كالفكر من حام
فكل جرح جدير غير ملتام
تـلـوـلـت بين إحياء وإعدام!

أم لا يزالون في نوم وأوهام؟
كالأرز من نوح أعلام وأعلام؟

أصالة من جلال ليس يرفعه
من ساير النهضة الكبرى وهتبا
وما تريد في تكليف مبدئه
ولا تلعث يوماً في رسالته
كأنما رشده الصمصام في فرق
أجزت شجاعته الأحرار من خدع
وفاض شؤيوبه رياءً لمن عشقوا
وأشرفت بعلبك من خرائبها
ألبيتها حلاً ما نال مشرقها
ما (البحثري) من (الإيوان) موقفه
منازل لك لم ينزل بساحتها
شعر تشريه الأرواح صافية
وشاعر لم يمهد قبله بهدى
جم المروعة، وافي الخلق، نمته
يغدو إليه نوار الحاجات في لهف
وما تعاظم يوماً في تفوقه
كانت زعامته ركناً يلاذ به
كالنور ليس لأرض أن تُخص به
قد ضن بالفن إلا للبصير به
وصان تفكيره عن عرض مبتذل

عال من المدح أودان من الهام
بالفن والرأي أعواماً بأعوام
ولا تنبذب في نقض وإبرام
ولا تعثر في تحطيم أصنام
وشعره برء فقهاء وتمتصام
في عالم زاخر باللؤم لؤام
أنفاس (طيبة) أو الحاظ أرام
عراس المجد في (لبنان) و (الشام)
أعراس (كسرى) ولا أفرح (بهرام)
وأنت في (بعلبك) العابد السامي؟
إلا النبوغ، فما هانت لأقوام
وتستقل به، لا نظم نظام
مثل (المسيح) أتى من بعد إظلام
ليست دمية أحباب وأخصام
ويشتون وكل جد مبسم
بل في تواضعه آيات إعظام
نون إمعاء لأحزاب وأحزام
ولن يقاس ببعاد وأرقام
كالكنز خبي في حرز بأختام
كأنما هو حصن بين أطام

والفكر كالدين حي في قداسته
لا كالخرائب والأطلال يسكنها
ما عززت أمة أويت بعزته
إذا تهاون شعب في كرامته
وإن أسى إلى الأسى يعالجه
ما حاربت أمة أخيارها ونجت
هذا هو الخالد الموهوب أرفعه

قنعت بالخط في النجوى ومرتبني
يا من أصاخ له قلبي فهنّبي
يا من سكنت إليه العمر ملتجأ
صحبه في خيالاتي، وفي مثلي
ولم يزل... ما لهذا الموت يعصف بي
وما لبرهة عام كنت أرقبها
أولى به ساعة تنكيس رؤسنا
لا أن تخفض للطاغوت صاغرة
لئن تجرد عن ألقاب مملكة
فالنّيب يمرح في ثوب لسيده

لم يبق لي من عزاء غير ما وهبت
ومن مزامير جلّت في ترسلها

¹ الأرام: النصّب التي يستهدى بها.

² الأرام: معالجة الجرح.

ملء العصور بليّات وأرام¹
شبح الفناء وتستخذي لأبوام
ولا اغتدت بونه في عدّ أنام
عزّ الأليم عليه عند أدام²
لم يرأّم الجرح أو ينقذ بإرام²
أو أودعت أمرها أو هام رجّام
عن أن تشير إليه أي إبهام

نعمى حنانك في عودي وإكرامي
طفلاً وكهلاً، وأحيا كل أيامي
ضافي العزاء، فلم أعبأ بأخصامي
وفي حياتي، وفي سعبي وإقدامي
كما يبعثر تأويلي وأحكامي؟
حالت أبوداً وربّتي لأحراممي؟
حزناً عيه وتنكيس لأعلام
أو أن تطأ في بؤس وإعدام
زانت جباناً وما كانت لمقدام
وما يبدل غنماً ثوب ضرغام!

يمناك للخلد من آيات رسّام
وفي تسلسلها عن أي إغلام

ومن تساييح مطران أرندها
ومن أغاريد للعشاق أرشفها
ما الراح في الخلد موعوداً بها أئبي
ومن أهازيج في معنى وفي صورٍ
ومن عظمات وأمثال وفلسفة
ومن تهاويل للتاريخ تسريها
ومن صنائع للمعروف سابعة
ومن أحاديث مجّ الشهد مبدعها
تنمّ عن عبقرى الفنّ معجزة
ولا أنيس سوى النكرى لصحبتنا

رحلت في زمنٍ عزّ الحكيم به
عن أمةٍ حظها الشكوى بلا خطر
يخشى أفاضلها الأوغاد إن سعلوا
ويسخطون على مثلي ليقظته
لا يستقرون من روعٍ ومن قلق
إذا أرننا لها استقلالها نفرت
كأنما نسيت تاريخ عزتها
قالوا: قطيعٌ من الأغنام يشبهها!
يصطاد أرزاقها من لا أكيفهم
ولا يقومها نصيحٌ ولا عبرٌ
كم خوبعت وصروف البهر ضاحكةً

كئتما هي من أركان إسلامي
راح الشباب فتئسى جذب أيامي
أرضى بجاماتها عن هذه الجام
هي (الطبيعة) في روعي والمامي
جاءت أناجيل فوق المدح والذام
فنلمح الدهر أحقاباً بأيام
ساوت ببرّ لمخدوم وخدّام
وإن توارت بأزهار وأكمام
والفنّ كالحب يحيا جدّ نمام
وكم تشور على يئسى وإحجامي!

والسائس الحرّ، بله الشاعر السامي
فما تشور على أسواط ظلام
ويركعون لأغرارٍ وأوغام
إذ يمدحون ويبكي الشانئ الرامي!
ولا يلبون حتى عزم همّام
وما كرامة ذي عوزٍ لقوام؟
ولم تطوّف بأهرام وأهرام!
يا ليتها كقطيع بين أغنام!
وتستباح ركوباً عند إجرام
ولا سدّد، وتهوى لهو هدام
فخلطت بين أحباب وأخصام

ما بارم الحبل في أعواد مشنقة
فتختتها جراحات بلا عذر
وما ينال وفي حين برشدها
الهزل ما زال من أسمى شعائرها
أحرارها غرياء لا تميزهم
لم تتعظ وصروف الدهر تلطمها
وتقتل الوقت إسفاً ومنقصة
ولم أزل وأنا العاني بخدمتها
أحنو عليها وإن جارت على أبي
وطاربتني إلى منفاي جانية

من لي بقريك حياً ذائداً مقة
يؤرخ الأئب العالي بسيرته
ليبك من صفوة الأحرار من عرفوا
وم من أبوا أن يعدوا في محبتهم
ومن يفتنون أوطاناً نفخت بها
إن كانت اليوم نهياً بعد تضحية

عسى الرياض التي ناجيتها شغفاً
عسى الرياح التي شافتك ثائرة
عسى الهدير على الأمواج ينفحنا
عسى ترانيم هذا الطل تمنحنا
عسى المساء الذي غنيت به صورا

كرافع لبنود النصر برام
وأسلمتها لزلات وأسقام
إلا العقاب والأوطى أقدام
والجهل معبودها في ملكه النامي
في حين تنو لأوشاب وأعجام
ولم تزل رهن أنصاب وأزلام
وثرها عند بطريق وحاحام
شبيها في ضلالاتي وإيهامي
وعاقبتني على برّي وإنعامي
وعندت صفو آثاري كثام

عني، وحارس وجدان وأقلام
وباسمه يهتف الوافي بأنعام؟
من أنت واغترفوا من بحرك الطامي
بين المغالين، لو قيسوا بمستام
روح الإياء فلم تدعن لهوأم
فلن تسام نواماً سوم أنعام

تبوح بالوحي للسامي وللظامي
تفك عني أغلالني وأرغامي
بلحنك الحر لم يقرن بإعجام
فرائداً منك في شؤبويه الهامي
من الجمال يغذي حلو أنغامي

عسى الجداول في أبهى وداعتها
عسى المروج وراعي النحل يلثمها
عسى (الطبيعة) في أسنى مفاتنها
إنني تأملت في حسنٍ أهيمن به
في نشقة العطر أو في النور مختلجاً
وفي مشاهد لا تحصى بقائقتها
ورنحت كل عشبة في تصوّفه
أزجي رثائي صلاة أنت ملهمها

تسيل منك حناناً حول أكام
ترف بالشهد عطفاً بعد إجهام
تجود لي بسناء منك بسّام
رأيت لطفك في نهني وتهيامي
في ثورة البحر، أو في روع أجام
أنت وغنّت على مزمار غنّام
كئنا أهل أشواق وأرحام
وإن تكن من حنايا قلبي الدامي!
(١٩٤٩)

الطلع والزهر

إلى الصديق الشاعر نعمه الحاج في مرضه بحمى الطلع

أيشكو من الطلع أندى الزهر
سلمت لنا يا رسول الجمال
تؤانسك المهج الشاكرات
وترعاك أطياف هذا الخريف
ترتل عنك نشيد السلام
وتهتف بالحب روح الوجود
وتورق عند حفيف الغصون
سلمت وعوفيت من كل ضر

ومن قهر اليأس فيمن قهر؟
(يسوع) الهوى والهدى المنتظر
لك الأنس في شعرك المدخر
وقد رقصت فوق عزف المطر
فتمضي الرياح ويصغي الزهر
فيهفو لها كل شيء شعر^١
أمان، ويبسم حتى الحجر
وحالفك المستعز القدر

^١ شعر: قال الشعر.

وعشتَ تمجِّدُ في الخالدين
ولا زلتَ مُنْهَضَ شعبٍ أُسيرِ
تملِّقه دائماً قاهره
فأوهم في ذلِّه عزَّةً
أغثه وقم يا طريح الفراش
وجلجل بصوتك في الخافقين
وكن كأخيك الشقي الصَّبور
يجود بأنفاسه الوافيات
ويرجمه الطغمة الهازلون
إذا ما تنحَّى الهداة الأَساة
فيا ويل أمتهم في الهوانِ
سأرقب كتبك، شأن الحبيب
وفي كل سطرٍ أرى للحياة
فعجل ببرئك يا ابن السماء
حرامٌ سَقامُك يا من تقدَّس
حرامٌ فعد لنشيد الخلود

وخلِّقك دنيا تفوق البشرُ
يناجي السماء ويرضى الحُقرُ
وقد أورثوه صنوف الغيَرُ
وهوَّن ما حوله من شرر
قيام النبي أمام الخطرُ
ليؤمن بالحق من قد كفرُ
على برِّه يستطيب الضرُ
لأوطانه فيلاقي البطرُ
وقد خادعوا الشعب حتى انفطر^١
وخافوا مثالب غرُّ فجرُ
ويا ويلهم من زمانٍ أمرُ
يناجي النجوم ويرعى القمرُ
معاني تلهمني أو سيِّرُ
فكم معجز لك قبلاً ظهرُ
عند الفنون بأسنى السُّورُ
وأسمعُ (أبوللو) فتون الوترُ!

(١٩٤٩)

^١ انفطر: انصدع.

جواب الصديق الشاعر نعمه الطاج

وَقَيْتَ الضَّنَى وَأَمِنْتَ الْخَطَرَ
وَكُلَّ هَزَارٍ شَدَا فِي السَّطُورِ
أَبَا الشَّادِيَاتِ الزَّكِيِّ الْفَوَادِ
أَتَيْتَ تَوَاسَنِي فِي الضَّنَى
بِنَفْثَةِ سَحَرٍ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ
وَمَعْجَزَ أَحْمَدَ فِيمَا مَضَى
شَعُورَكَ أَلْهَبَ فِي الشَّعُورِ
وَرُوحَكَ جَادَتْ عَلَى مُهْجَتِي
بَرِئْتُ وَزَايِلَ عَزَمِي الْخَوَرِ
وَمَا مِنْ عِلَاجٍ وَلَكِنَّهُ
أَخِي وَكِتَابِكَ فِيهِ الرُّقَى
وَفِيهِ أَرْقُ النَّشِيدِ حَكَى
تَنْشَقْتُ مِنْهُ عَبِيرَ الْوُرُودِ
وَطَالَعْتُ فِيهِ رُوءَاءَ الرِّبَاعِ
سَجَايَاكَ تِلْكَ حَكَّتْ وَاللِّسَانِ
إِذَا مَا شَقِيتُ بِخِدْمَةِ شَعْبِ
وَتَصَبَّرُ صَبْرَ الْكَرِيمِ الْحَلِيمِ
صَرَخْنَا إِلَى أَنْ يَثْسِنَا كَمَنْ
وَمَنْ غَرَّهُ مَظْهَرٌ فِي الْوَرَى
مُدَّ السَّيَّةَ وَرِيَاءَ هُنَاكَ

وَأَبْعَدَ عَنْكَ إِلَهَ الضَّرَرِ
فَدَا لَكَ أَوْ إِنْ شَدَا فِي الشَّجَرِ
تَفَرَّدْتَ بِاللَّطْفِ بَيْنَ الْبَشَرِ
وَتَبَعْدَ عَنِّي الْأَسَى وَالضَّجَرِ
وَمَعْجَزَ أَحْمَدَ فِيمَا حَضَرَ
بَشِيرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ قَدْ شَعَرَ
بِمَا جَادَ لِلظَّامَيْنِ الْمَطَرِ
وَلَمْ يَبْقِ لِلطَّلَعِ بِي مِنْ أَثَرِ
دَعَاءِ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ الْأَبْرِ
وَفِيهِ الْعِظَاتُ وَفِيهِ الدَّرَرُ
أَرْقُ النَّسِيمِ سَرَى فِي السَّحَرِ
وَنَشْرَ الْخَزَامِ وَنَفْحَ الزَّهَرِ
وَمَا فِي الْخَرِيفِ سَبَى مِنْ صَوَرِ
يَقْصُرُ مَهْمَا عَلَيْهَا شُكْرُ
تَرِيهِ الْوَفَا وَيُرِيكَ الْبَطَرُ
فَمَا أَنْتَ أَوَّلُ حُرِّ صَبْرِ
يَخَاطِبُ حَتَّى يَلِينِ الْحَجَرُ
فَإِنِّي أَرَى دُونَهُ مَا أَسْتَتِرُ
وَمَا اغْتَرَّ مِنْ عُلْمَتِهِ الْعَبْرُ

فما زال للنعرات النُّفُودُ
وليس لأهلية المرء بل
وقد عجز العلم أن يقهر الـ
يعيشون بالزِّي في عصرهم
ومن زاد بذخاً بتهريجهِ
تري ما يسوؤك أنِّي التفتُ
قبورٌ مكسَّسةٌ نثْنُها
ف لا أملٌ منهم يرتجى
عسى بعد أن يتولى القديم
ويعتدل الغصن لكن إذا

هي المبتدا عندهم والخبرُ
لذهبه كان لفت النظرُ
ـ خرافات فيهمُ فيمن قهرُ
وأفكارهم في زمان غبرُ
فذاك هو السيّد المعْتبرُ
وأما السرُّ ففيمَا ندرُ
تواري وزخرفها قد ظهرُ
فسلّم رجاك لأمر القدرُ
يحقق في مقبل منتظرُ
غدا حطّباً وشدّت انكسرُ
(١٩٤٩)

وادي وواد

إلى الصديق الشاعر الياس عساف صليبا ردّاً على قصيدة ودبة كريمة

للنّ قَدَرْت شِعْرَكَ الهادي
وليس بي نعمةً على أحب
وعظمتهم مخلصاً فما اتَّعظوا
من كلّ غرٍّ أو سائسٍ أشرٍ
وعدتُ في نخوة أذكّرهم
يا ليتني مخطئٌ، وليتهمو
فما أبالي إلا بعزّتهم

وودّك المـزدرى بأضـدادـي
فالكل عندي مثال أولادي
وأوقعوا في شباك صيّا
يشقي شعوباً بوهم أفرار
فأعلنوا جاحدين إلحادي
قد أحرزوا ما يسرّ نقادي
ولا أعاني من قدح حسّادي

إذا انطوى خاطري على وطني
وليس كرهاً لغيره أبداً
صدقت! إنني أعيش محترقاً
كأنهم أشرفوا على زمن
كأنما (الذرة) التي انفجرت
كأنما جعجعات طائشهم
والهفتي إذ غدت معاقلهم
والهفتي حين من يخاتلهم
بل لا يصير الذي يبصّرهم
هيات أن يُبعثوا بخلّتهم
وهم ضحايا أبت جهالتهم
لعلّ أحرارهم سواسية
وعلى يوماً به تحرّرهم

فذاك حبّي تراث أجدادي
وأي كره لعاشق (الضاد)؟
لهم بـ.. واد، والجمع في واد
ماضٍ، وليسوا بعهد رواد
ليست بدنيا لهم بمرصا
هزائم ألحقت بقواد
نهباً، وكانت أعزّ أطواد
يدنّي ويقصى المقوم الفادي
إلا شهيداً لنار أحقاد
وهم مطايا تذلّ للحادي
أن يستعادوا من كفّ بدّاد
يحيون يوماً لثأر أنداد
حين سمحاً بغير ميعاد!

(١٩٤٩)

كابوس كئيب

أفاق من النوم مستنجدا
فصاحت به زوجته الواجفه
"أجبني، أجبني! ماذا دهاك؟"
فقال: "حلمت بأنني مريض!"
فقالت: "هنيئاً بهذا السقام"

كمن حاصرته جيوش العدى
وقد أوقظت فجأة خائفه
وماذا يروعك؟ ماذا احتواك؟"
وأن جناحي كسير مهيض!"
فلولاه ما نلت هذا المقام

ومن قال إنك حرٌّ معافى؟
فنم ملء جفئك نوم البري،
وطوبى لكابوسك المستهام
لعلَّ بذلك فالاً جميلاً
لعلك تبلغ دست الوزاره
وإياك تبدو رشيداً صحيحاً
كذلك شأن الورى والحياه
وما الثائر الحرفيها السعيد
فنم يا حبيبي بغير اكتراث
فنام وغط غطيط البعير

فلو كنت عاداك كلَّ وجافى!
كأنك طفلٌ غريرٌ هنيء
بك الليل دون جميع الأنام
وحظّين أن تطلبوا المستحيلاً
فخلِ اعتلاك دوما شعاره!
فتغدو طريداً شقيّاً جريحاً!
بدنيا تدين بذلّ الجباه
ولكنه في عداد العبيد!
ستفنى النسر ويبقى البغاث!
ورنّ النخير، وطنّ الشخير!

(١٩٤٩)

تقديس الفن

مهداة إلى الأستاذين الفنانين أحمد وسيف وانلي وإلى مدرستهما الفنية بئر الإسكندرية
في سنة ١٩٠٧ لوحظ طفل يزور المتحف البريطاني بمدينة لندن تكراراً، واضعاً في كل زيارة
باقة من الأزهار عند قاعدة تمثال إغريقي أحبه، وسرعان ما كان الحارس يزيلها متذمراً من
إصرار هذا الطفل المقدس للفن^١

كالطفل أهدي إلى التمثال أزهاره
والناس تعجب منه وهو مغتبط
وحارس (الفن) مزهواً بمتحفه
ترى ولائي للنكري يمجّها
فقسّ (الفن) معناه وأثاره
وليس يسأم بالقرين تكراره
يزيلها آيماً للطفل إصراره
قلبي، ويمنحها حبي وأزهاره

^١ مجلة "أكاديمي" بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧.

وأَيُّ نكْرَى تناجي (النيل) إن كملت
ولم تقبَل جمالاً في مفاتنكم
إن أنس لا أنس أعياداً لنا سلفت
في كل يوم أناجيها وأعبدُها
وافت رسائلكم جذابةً صوراً
فأَيُّ شعريحاكي بعض رونقها
وأَيُّ زهرٍ حريٍّ أن يكرمها
سأسئل بتقليسي روائعكم
والفن ليس من اللهماء قوته

فاتت متركب يوماً وأنواره؟
ملء الفؤاد، وطيفاً مخلصاً زانه؟
في (معبد الفن) نسقى منه أسرارَه
فكيف حين تهيجُ اليوم تنكاره؟
والمرء يظهر فيما صاغ واختاره
إذا صبيت فؤادي اليوم أشعاره؟
أن يغازلها إن بثَّ عطَّارَه
كذلك الطفل إذ لم يلق أنصاره
إن فات من حكماء الشعب أوتاره
(١٩٤٩)

إرتريا الجديدة

تحية ونشيد

إرتريا إرتريا!
إلى الأمام سيري!
لا تدعني لدنيا
تعنو إلى القدير!

توحّدي وضُمِّي
ولتحفظني كالأمّ
أبناءك الأحرارا
بالعلم ثم العلم
ولا هم شعارا
سيري مسير النجم
والخلق ثم الخلق
ولتبدعي الجنانا
في عالم للحق
والنور والعرفانا

وتسعدني الإنسانانا	فترفعي الأوطانا
إلا الضعيف الواهي	لا يرهيب المحالا
إن شئت أن تباهي	فلتركبي الأهوالا
مهما سموا وسادوا	لا فخر بالجدود
ودأبك السداد	الفخر أن تجيدي
يا أخت (مصر) الصغرى	يا بنت (نهر القاش) ^١
والعصر يسمي الحرّا	ما كنت للنجاشي
من أنت عند شعبك	بل أنت في العصور
والكل رهن حبك	مفديّة بالهور ^٢

إلى الأمام سيري!	إرتريا إرتريا!
تعنو إلى القدير!	لا تدعني لدنيا

(١٩٤٩)

الواحة والهجير

ردّ على كتاب من الصديق الشاعر نعمه الحاج

الشاعر الفدّ في لحن وفي عبق	إلى الأديب أديب النفس والخلق
إلا بأنداء زاهي الفجر والشفق	شكري لودّ كريم لست أعده
تحنو عليّ حنو الأم في قلقي	وفي (الطبيعة) في شتى مفاتنها

^١ أحد فروع (النيل) الصغرى.

^٢ إشارة أيضا إلى أسطورة الفداء والقربان (النيل) عند قدماء المصريين.

غَنَاءَ فِي صِمَتِهَا أَضْعَافُ مَا نَطَقَتْ
تَشْرَبَتْ رُوحَهَا رُوحِي وَجَاوِبَهَا
كَذَا كِتَابِكَ إِذْ وَفَى بِجَنَّتِهِ
وَالنَّاسَ بَيْنَ حَقِيرٍ فِي مَدَارِكِهِ
لَا يَغْنَمُ الْحَرَّ إِذْ يَشْقَى لِيَسْعِدَهُمْ
أَهْلًا بِحَبِّكَ وَاسَانِي وَأَسْعِدْنِي
كَأَنَّنِي وَاحِدَةً يُوْدِي الْهَجِيرَ بِهَا

أَنْغَامَ صَدَاحِهَا بِالْحَبِّ وَالْحَرْقِ
قَلْبِي وَذَهْنِي بِإِيْمَانِي وَمَعْتَنَقِي
مَجْلَى مِنَ اللَّطْفِ لِلْأَلْبَابِ وَالْحَقِّ
وَبَيْنَ عَانٍ مِنَ الْأَحْقَادِ مَخْتَنِقِ
إِلَّا ضَرْوباً مِنَ التَّجْرِيحِ وَالْحَمَقِ
فِي عَالَمٍ عَاطِرٍ بِالْمِينِ وَالْمَلَقِ
وَوَيْكَ الْمُحْضِ صَوْبَ الْعَارِضِ الْغَلَقِ
(١٩٤٩)

رجع الصدى

جواب الصديق الشاعر نعمه الطاج

أَهْلًا بَطْلَعَةَ بِنْتِ الْفَجْرِ وَالْأَلْقِ
تُعْزِي لِأَحْمَدَ أَنْفَاساً مَطْيِيَّةً
يَا مُرْسِلَ الشَّعْرِ نَفْثُ السَّحْرِ مَنْطَلِقاً
مِنْ بَحْرِ فَضْلِكَ وَافْتِنِي بِمَوْتَلَقِ
ذِي مَنْةٍ يَا شَبِيقِ الرُّوحِ مِنْكَ إِذَا
إِنْ تَشْكُرُ الْوَدَّ فَضْلٌ قَدْ سَبَقَتْ بِهِ
حَسَنَاءَ رُوحِكَ فِي مَرَاتِهَا نَظَرْتُ
وَكُنْتُ أَوَّلِي بِهَذَا الشُّكْرِ مِنْكَ لَذَا
قَلْباً يَعِيدُ الْوَلَا ضَعْفِيهِ مَتَشَحّاً
دَعِ الْأَنْغَامَ وَلَا تَنْزِلْ لِحِمَائَتِهِمْ

تَزْرِي بَطْلَعَةَ ذَاتِ الْحَلِيِّ وَالْحَلَقِ
وَرْدَ الرِّيعِ وَنَشْرَ الْمَسْكِ فِي الْعَبَقِ
تَرْكُنِي وَلِسَانِي غَيْرَ مَنْطَلِقِ
وَقَلْدَتْنِي - فَنَاءَتْ بِالثَّنَا عَنَّقِي
ضَاقَ اللِّسَانُ بِهَا فَالْقَلْبُ لَمْ يَضُقْ
لَكِنْ عَلَى الْفَضْلِ شُكْرِي غَيْرَ مُسْتَبَقِ
لَمَّا رَأَتْ مَا اسْتَحَبَّتْ فِي مَنْ خَلَقَ
إِلَيْكَ أَرْجَعُهُ قَلْباً عَلَى طَبَقِ
مِنَ الْوَفَاءِ بِثَوْبِ نَزْهَةِ الْحَدَقِ
هَمْ فِي الْحُضِيِّضِ وَأَنْتِ الْبَدْرُ فِي الْأَقْقِ

جاء المسيح وجاء الأنبياء ولم
فاسبح بروحك في جو القريض وعش

تجهل أولئك ما لاقوا وذاك لقي
للفن في عالم ما فيه غير نقي
(١٩٤٩)

النكبة

لم يهزم الناس في حرب مع الناس
ليس الصياح بمجد في ماتمكم
ولا المباهاة بالتاريخ تسعفكم
هموا بني أمّتي! هموا! فنكبتكم
هموا ولا تتركوا من باعكم سفهاً
هيهات ما عصرنا النري منصفكم
هيهات يسلم إلا كل ذي شره
ما للتناسي الماسي، وهو علّتكم
ولا لمن حظّه ترديد جعجعة
هموا! فليس الغد المئول خالكم
هموا لبنيان مجد من عظامكم
فالحق أضيع في أيدي تداعبه
والحق أثبت في أيدي تقدّسه
إن كان نصحي لكم قد ساء أحمقكم
ما كنت أبغض خيراً سوف يشملنا
وعريهم خلف أوهام مزوّقة

بل في حروب الهوى والبؤس والياس
بل التحرر من عجز وأرجاس
إذا قنعتم بأوهام ووسواس
ليست سوى وزر أخلاق وسواس
يخال مصطنعاً للحذق والباس
مع الخنوع لعبدان وأنجاس
للعلم يسعفه في دعم أساس
لم يخلق النصر للمستهتر الناسي
ومن يعيش على خوف وإفلاس
في رجع عزتكم أو دفع إيجاس
تصونه قبل أجنار وأحراس
بين الغرور وبين اللهو والكاس
ولا تساوم فيه أي إحساس
فليس غير شعوري الملهم الآسي
لو صحّ، لكن سئمت الحمق في الناس
جنت عليهم، فماتوا ميتة الياس
(١٩٤٩)

نيويورك

نسيتُ الجنان وسكّانها
وآثرت عاصمةً للكفاح
كفاح التنافس في الخالدات
وقدّسن مسترسلاً في الطموح
تلاً فيها ضمير الوجود
فللدين فيها مكان الخشوع
وللعلم فيها حياة الجموع
وللطب آياته في سطوع
وللفن منزلة في الذبوع
وللهو غايته في الشبوع
سمت بمتاحفها الغاليات
وشتّى معابدها الحاليات
وأبقى معاهدها المعجزات
وأقوى معاملها الخالقات
وأزهى مسارحها الفاتنات
سعدت بها رغم هذا الكفاح
فأصبحت عاشقها المستعزّ
أغنى لها صلوات الشكور
وأمشي على الطرق الصاخبات
وأهوى حدائقها الحالمات

ومن ألهموا الشعر إيمانها
وقد زانها منه ما زانها
تخذن الشوامخ عنوانها
أجاد، وأعلن إنسانها
وإن سود الدهر جذرانها
وإن زعموا المال ديّانها
وإن حسبوا الله ميزانها
تضاعف بالشيب شبانها
كأن الهواء الذي صانها
ولكن ليسعد سكانها
قروناً تكرر أقرانها
ترتل للسلام أحيانها
جعلن الحقيقة أوطانها
غرائب جاوزن حسابانها
بهرن الفنون وفنانها
ولولاه كنت كمن خانها
بها والمرتل فرقانها
رأى في المصاعب إحسانها
فخوراً أنافس سلطانها
قصائد زين ديوانها

كَأَنَّ السَّانِجِيْبَ^١ أَطْفَالَهَا
كَأَنَّ الْغُرَانِيْتَ فِي أَرْضِهَا
مَعَابِدُ لَا مَعْبِدَ لِلْجَمَالِ
وَمِنْ حَوْلِهَا الْعَشْبُ جَمِ الرِّفِيفِ
كَأَنَّ الْأَزْهَارَ يَقْظَانَةُ
كَأَنَّ الْجَنَادِبَ فِي شِدْوِهَا
كَأَنَّ الطَّيُورَ بِتَغْرِيدِهَا
كَأَنَّ الْأَشْعَةَ رَسَلَ (الطَّبِيعَةِ)
وَتَضْفِي عَلَى الصَّخْرِ تَحْنَانَهَا
أَطْوَفُ بِهَا لَاهِيًا ضَاحِكًا
وَإِنْ كَانَ صَفْوَى الَّذِي لَا يَمَلُ
وَمَنْ لِلْوَحْشِ بِأَقْفَاصِهَا
فَمَا زَأَرَتْ مَرَّةً فِي شَجَى
وَمَا شَمَخَتْ نَاطِحَاتِ السَّحَابِ
وَإِنْ سَكَنْتَ فَوْقَ قَطْرِ تَسِيرِ
تَسِيرِ بِجُوفِ الثَّرَى كَالْبُرُوقِ
حَيَاةً تَكَرَّرَ فِيهَا الْحَيَاةُ
وَعَمْرٌ تَجَاوَزَ عَمْرَ السَّنَنِ

جَعَلْنَ الْأَرَاجِيحَ أَغْصَانَهَا
صَوَامِعَ حَجَّابِينَ رَهْبَانَهَا
يَمَسُّ الْمَطْوُوفَ أَرْكَانَهَا
يَجَاوِبُ بِالْعَطْفِ تَحْنَانَهَا
مَلَائِكُكَ تَحْرُسُ كُتُبَانَهَا
نَدَامَى تَسَامِرُ نَدْمَانَهَا
تَلْقُنُ لِلشَّعْرِ أَوْزَانَهَا
تَحْمِلُ لِلنَّبَاتِ أَلْوَانَهَا
وَتَلْقِي عَلَى الْمَاءِ نَشْوَانَهَا
كَأَنِّي مُنْتَهَبٌ حَانَهَا
عِبَادَةُ مَنْ عَزَّ أَوْثَانَهَا
رَأَى أَخُوهُ أَسْعَدُوا شَانَهَا
وَلَا عَرَفَ الْهَمُّ خَرَسَانَهَا
عَلَى السَّفَنِ تَمْخُرُ خَلْجَانَهَا
شَيَاطِينُ نَافَسْنَ شَيْطَانَهَا
وَقَدْ تَتَجَاوَزُ إِمْكَانَهَا
وَهِيَ هَاتِ نَقْدَرُ أَثْمَانَهَا
وَيَدِينُ تَشْرَبُ أَدْيَانَهَا

(١٩٤٩)

^١ جمع السنجاب.

اللاجئون

خُرسٌ فمن عن ويلهم يتكلم؟
جنت السياسة مثلما جنت الوغى
وتشردوا لا يملكون وجودهم
ضاعت معاقلهم، وضاعت قبلها
ليس المقام مقام لوم شاملٍ
إنَّ المقام مقام نبلٍ سابغٍ
إنَّ المضيبة لا مثيل لرزئها
ليفتت الجلمود من أهوالها
وتشق أطباق السماء مناحةً
والناس... ما للناس لم يتأثروا
إن الكوارث مفصحات حولهم
هذا أوان التضحيات فما لهم
المال مهما جلّ ليس ضريبةً
وإذا تخاذلت الشعوب وأنكرت
فمن المحال لها، وذلك حالها

ومعدن لهم ثقام جهنم
والظالمون الغاشمون عليهمو
لو كان يملك الوجود المبهم
أمم، وهان معزز ومنعم
ولعل أول من يلام اللوم
حتى يغاث من الفناء المعدم
فيما روى التاريخ أو ما يعلم
ويدوم البحر الذي يسترحم
والرعد في جبروته يهدم
والأهل... ما للأهل لم يتندموا
تطلب الإنجاد حين تلعثوا
ضنوا بأوهى الواجبات وأحجموا؟
تؤبى إذا ما هان للحر الدم
من هم عماد حياتها لو تفهم
بعث ولوعاد النبي الملهم!

(١٩٤٩)

عيسى

(واهب الحب والجمال)

يا مُعلن (الحق)! لم يُنصفك من جهلوا
نورٌ من الله، ما ألهمتنا قبسٌ
لُدنا بحبِّك في الآلام طاغيةً
كما دعوناك في الجلى^١ لترشدنا
أأست إلهام هذا الكون أجمع
أأست من حمل الآلام قاطبةً
لكل دينٍ نبيٍّ يُستغاث به
يا صاحب المعجزات اليوم ما برحت
إنّا تناجيك، لا ينتابنا مللٌ
ونفتدبك، وإن فديتنا سلفاً
المسلم الحق لا يالو^٢ تشوّقه
هيهات يفتعل الإيمان مذهبه
مرّت عصورٌ أمامي كنت أعرضها
وكلُّ ما ملك الإنسان مبتدعاً
فلم أجد بينها "عهداً"^٣ أعزّ سنى
يا واهب الحبّ نبناً والجمال غنى
إذا تذبذب من عدوك فاديهم

سيّانٍ لاسمك أو لله يُبتهل!
من الإله وما أسقيتنا نهلٌ
وفي المآسي التي قد عقّها الأملُ
إلى الصواب إذا ما حقنا الزللُ
ومظهر الخير في الدنيا لمن عقلوا؟
عن الأنام، وفدّاهم وإن جهلوا؟
وأنت للناس والأديان من أملوا
بالمعجزات مآسي الناس تحتملُ
وكيف ينتابنا في حبّنا مللٌ؟
بصون مبدئك الأسمى ونحتفلُ
وعنده أنت أنت الفاتح البطلُ
لو أن إيمان جُلّ الناس مُفتعلُ
ومرّ خلقٌ، ومرّ النجح والفشلُ
وكل جهدٍ وعت أيامه الأولُ
مما وهبت، ولو قامت به الدولُ
لولاها ما شأته الدنيا لمن كملوا
فما تذبذب لي قولٌ ولا عملُ!
(١٩٤٩)

^١ الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

^٢ يالو: يقصر ويبطئ.

^٣ عهدا: ميثاقاً.

شجرة عيد الميلاد

أخت السلام! ربيبة الأعياد!
لم يمهلوك كأن عرسك لم يكن
وعرفت قارعة الطريق مباءة
كم حاصروك مهنئين وأنشدوا
وتباركوا بك خاشعين، فما لهم
وكأنما لم تبق للذكرى يد
تطأ النعال من الفروع حزينة
ويعافها الكلب الذي بوفائه
فُسَامٌ من بعد المهانة والأذى

طرحوك طرح نفاية وبَدار^١
عرساً، وحليكَ كان رمز حداد
بعد الخشوع وفرحة العباد
سوراً، وكم خصوك بالميلاد
نبذوك نبذ ضلالة وفساد؟
سلفت، ولم تمدد إليك أيادي
كانت معارض زخرف ميار
خُربَ المثال، ويستهن العادي
ناراً، كأن بها وباء عباد!

أحييت ميلاد (المسيح) وبعده كنت الضحية للمسيح الفادي

(١٩٤٩)

الصعود

أسفاً، أعودُ إلى (السَّمَاء) كما أتيتُ بنبع فنّي
لم ألقَ في دنيا الأنعام سوى المهازل والتجني
دنيا تقومُ على الدماء وبالدماء هوى تغني
وتدور طاحنة عقول النابهين وأي طحن

^١ البدار: الفضلات المنبوذة.

ويسوسها البلاء من غبن تعانيه لغبن
ومن الخراب يهزها هزاً إلى ضغن وضغن
(الأرض) كم شقيت بهم كشقاء موتور بآين^١
وهبت لهم أسنى الكنوز فكافأوها بالتدني
صليبوا (المسيح) وشرّدوا الأحرار بين الخافقين
وحياتهم نقض الحياة تسام في شك ومين
كم أولعوا بالهدم والهدام لا يسمو ليبنى
ولو انهم عقلوا جنوا من نارهم جنّات عدن
فالإلى (السّماء) أعود لم يغن التّائي والتمني
فحروبها أجدى وأوفى (للحياة) وكل فن
وسلامها أبقى وأنقى للوجود المطمئن
إن تعتبر منفاي بالمنفى أبر إذن بذهني
ولعلّ أمي (الأرض) في الحالين في ذهني وعيني!

(١٩٤٩)

^١ الموتور: من قتل له قتيل فلم يدركه بدمه - والأين: الإعياء.

من أناشيد الحياة

الوليد الجديد

تحية عام ١٩٥٢

أَيُّهَا الْعَامُ الَّذِي وَافَى فِي الْأَنْفَاسِ عِطْرُ
شَاعِرٍ يُنْشِدُ أَحْلَاماً، وَلِأَحْلَامِ سُكْرُ
مَرْحَباً يَا أَيُّهَا الشَّادِي الَّذِي نَجَّوَاهُ شِعْرُ
يَا وَلِيداً هَشَّتِ الدُّنْيَا لَهُ وَافْتَرَّتْ تَغْرِ
قَبْلَتْهُ مِثْلَمَا حَيَّاهُ تَأْمِيلٌ وَفِكْرُ
أَتَرَى تُنْصِفُ أَهْلِيكَ، فَيَرْضَى عَنْكَ حُرٌّ؟
أَمْ تُرَى تَخْذُلُهُمْ يَا عَامُ إِنْ بَشَّوْا وَسُورُوا؟
يَا وَلِيداً طُهِرْهُ الْبَسَامُ لِلْأَرْوَاحِ سِحْرُ
لَيْتَنَّا نَحْنُ مَنْ أَتَيْكَ، وَلَيْتَ الْيَوْمَ دَهْرُ!
كُلُّ سِرٍّ هُوَ مَهْرٌ لِلَّذِي عِنْدَكَ سِرُّ
تَرِكَ النَّاسَ أَسَارَى، لَيْتَ هَذَا الْأَسْرَ أَسْرُ
إِنَّهُ أَقْسَى مِرَاراً، وَاحْتِمَالُ الْيَأْسِ مُرُّ
فَمَاتَهُمْ فِي الْقَلْبِ الْمُخْضِنِ إِلَى أَنْ لَاحَ فَجْرُ
فَاتُّوكَ كَالنَّشَاوَى حِينَمَا الْأَضْنُوَاءُ حَمْرُ
هَتَفُوا إِذْ دَقَّتِ السَّاعَةُ، وَاسْتَهْوَاكَ بِشْرُ
شَاكِرِينَ الْجِظَّ، وَالْحِظُّ خَوْفٌ كَمْ يَغْرُ
لَا يُبَالِي إِنْ أَتَاهُ الشُّكْرُ أَمْ لَمْ يَأْتِ شُكْرُ
هُوَ كَالصَّقْرِ وَمَا بَالِي رَفِيفِ الطَّيْرِ صَقْرُ
هُوَ كَالجَبَلِ الشَّامِخِ لَمْ يَعْبَأْ وَلَمْ يَهْزُزْهُ صَخْرُ

هُوَ كَالْبَحْرِ الَّذِي إِنْ مَاجَ لَا يَتَنِيهِ قَطْرُ
 هُوَ مِثْلُ الْقَيْصَرِ الْعَاتِي لَهْ الْأَقْوَامُ خَرُّوا
 هُوَ مِثْلُ الْمَرْجِ لَمْ يُخْصَرْ وَفِيهِ الشُّوكُ زَهْرُ
 هُوَ مِثْلُ اللَّيْلِ لَمْ يَسْكُنْ وَفِيهِ النَّجْمُ جَمْرُ
 هُوَ كَالْجَوِّ الَّذِي يَخْضَحُ وَهُوَ الْمُكَفَّهْرُ
 هُوَ كَالصَّخْرَاءِ فِي التِّيهِ وَفِيهَا الْأَمْنُ غَدْرُ
 كُلُّ هَذَا وَسِوَاهُ هُوَ لِلْحَظِّ مَقَرُّ
 أَيُّ لَوْنٍ مِنْهُ يَا عَامٌّ بِهِ لِلْحُلُمِ وَكُورُ؟
 لَا مَفَرُّ مِنْهُ لِلْأَسْرَى الْحَيَارَى، لَا مَفَرُّ
 قُلْ! أَجِبْنِي يَا وَلِيداً كُلُّ وَخِي مِنْهُ طَهْرُ
 إِنَّ مَا تَحْكِيهِ حَقٌّ، أَهْوَ بَعْدَ الْيَوْمِ نُكْرُ؟
 عَلَّ إِيْمَانَا لَنَا نَتَلَوُهُ لَا يَتَلَوُهُ كُفْرُ!

إِيْهِ يَا عَيْدَ الْأَمَانِي، وَأَمَانِي النَّاسِ دُخْرُ
 كُنْ رَحِيمًا بِالْبَرَايَا؟ حَسَنُ بِهِمْ وَزِدْ وَوَزِدْ
 وَجَحِيمٌ مِنْ عَدَاوَاتِ، كَانَ الْكَوْنُ قَبْرُ
 لَا تَدْعُهُمْ فِي ضَلَالِ الْجَهْلِ لَمْ يَبْلُغْهُ حَصْرُ
 وَلْتُبَارِكْهُمْ كَمَا بَارَكَ عَيْسَى مَنْ أَضَرُّوا
 عَلَيْهِمْ يَغْدُونَ إِخْوَانًا وَيُفْنِي الشَّرَّ خَيْرُ!

٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢

قال لي الحبُّ

قال لي الحبُّ: كيف تُعرِفُ عَنِّي؟
 قلتُ: هيهات أن أفوتك طوعاً
 كلُّ ما تشتهيهِ أُعطيه سَمحاً
 أينَ تلكَ التي اتَّمتَّت على الكُدِّ
 التي تُعرِفُ الجمالَ بشَدوي
 والتي تُشُدُّ الصَّباحَةَ والظُّرُ
 والتي في الحُبورِ تُلقي بقلبي
 والتي في الهمومِ تُلقي هُمومي
 والتي إن سَقِمتُ بَدَدَتِ السُّقُ
 والتي لا تَرى وفيّاً يَفدِّي
 والتي لا تُخونُ عهدَ ولائي
 والتي تَرُدُّهِي بما أنا مُسَدِّ
 والتي سُخَّرُها بِكُلِّ زَنيمٍ^٢
 والتي تُرجِعُ السَّهامَ ثِقاباً
 والتي وَحِيها مِثاليَّتِي الكُبِّ
 والتي لا تَرى التَّجاوُبَ غَبناً
 والتي تُغَنِّدي كَثوأمَ نَفْسي

أَحسِبَتَ الحِياةَ مَحْضَ التَّمَنِّي؟
 أنتَ كَنُزِي، بل أنتَ رُوحِي وفَنِّي
 غيرَ بَيَّعي اسْتِقْلالَ قَلْبي وزَهْنِي
 زِلْ لَتَبْنِي لكَ الَّذِي عَشْتُ أَبْنِي؟
 وَتُغَنِّي لكَ الَّذِي قَدْ أُغَنِّي؟
 فَ بَفَنِّي وَلَا تُبالي بِسِنِّي؟
 مَتْبَعاً زَاخِراً لَهُ فَاضَ عَنِّي؟
 بِاسْمَاتِهَا كَأَن لَمْ تَكُنِّي؟
 مَ بَقَلْبي مِنْ عَطْفِهَا المَطْمَئِنُّ؟
 أَوْ حَرِيّاً بِهَا وَعَنِّي يُغَنِّي؟
 إِنْ يَبْعُنِي الأَنامُ^٢ أَوْ إِنْ يَخُنِّي؟
 لِلوَرَى حِينَ أُسْرِفُوا فِي التَّجَنِّي؟
 راحَ يَغْتَابُنِي وَلُوعاً بِطَعُونِي؟
 أَوْ هَشِيراً وَقَدْ تَبَدَّتْ مِجَنِّي؟
 رَى وَوَحْيِي جِمالَها مِلءَ عَيْنِي؟
 لِسَناها وَإِنْ يَكُنْ مَحْضَ غَبْنٍ
 وَتَعَالَتْ عَلَي سُؤَالٍ وَمَنْ؟

^١ عزف عن: أعرض عن؛ (و.ف.).

^٢ الأتنام: الناس؛ (و.ف.).

^٣ الزنيم: اللئيم؛ (و.ف.).

^٤ المجن: كل ما يتقى به من السلاح.

إِنْ تَرَأْتُ فَإِنِّي عِنْدَهَا أُعْطِي
وَإِذَا صِرْتُ عَبْدَهَا قُلْتُ لِلدَّهْرِ

جَمِيعَ الَّذِي تَمْنَتْهُ مِنِّي
رِطْرُوباً: بِاللَّهِ دَعَهَا وَدَعْنِي!

بدني وروحي

إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكَ يَا بَدَنِي
وَلَسْتُ مِرْآةَ رُوحِي فِي تَصَوُّفِهَا
وَلَسْتُ مُنْصِيفَ حُسْنِ ثَائِرِ بَدَمِي
مَهْمَا مُدِحَتْ فَمَا عَبَّرَتْ مُكْتَمِلًا
وَلَا عَنِ الشَّوْقِ جَيَّاشًا بَلَا أَمَلٍ
ظَلِمْتُ فِيكَ وَلَوْ حَاوَلْتُ تُنْصِيفُنِي
لَعَلَّ جِسْمِي فِي نَوْرِ أَهْيَمٍ بِهِ
أَمَّا تَعَارِيفُ رُوحِي فَهِيَ نَائِيَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ مَعَانِي اللَّهِ قَدْ خُلِقَتْ
أَوْ أَنَّهَا بَعْدُ لَمْ تُخْلَقْ وَإِنْ فُطِرَتْ
لَوْ يَعْرِفُ الْحُسْنُ إِحْسَانِي لِأَبْدَعْنِي

فَلَسْتُ فِيكَ بِحَالٍ أَيَّ مُرْتَهَنٍ
وَإِنْ زَعَمْتَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ يَا بَدَنِي
وَلَا غَرَامِي، وَقَدْ نَدَا^١ عَنِ الرِّزْمَنِ
عَنِ الشَّبَابِ الَّذِي فِي الرُّوحِ لَمْ يَهِنْ
وَلَا عَنِ الشَّعْرِ فَوَّارًا بَلَا سَنَنِ^٢
وَبُنْتُ عَنْكَ وَإِنْ عَدَّوكَ مِنْ سَكَنِي
أَوْ فِي حَنَانٍ وَلَحْنٍ عَانَقَا أَدْنِي
عَنْ كُلِّ فَهْمٍ وَعَنْ حَدْسٍ وَعَنْ فِطْنٍ
فَلَمْ تُكَيِّفْ وَلَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبِنْ
أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَزَلْ كَالْحُلْمِ فِي الْوَسَنِ!
بِعَظْفِهِ فَوْقَ مَعْنَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

^١ نَدَا: نَقَرَا وَشَرَدَا.

^٢ السَّنَنِ (ج سَنَةٍ): الطَّرِيقُ الْمَعِينُ.

حنان البنوة

أرسلها صاحب الديوان إلى ابنته الأدبية الشاعرة صفية وقد تلقى
هدية تلفزيون منها في عيد ميلاده*

صَفِيَّةُ! فِي حَنَانِكَ لِي عَزَاءُ
وَكُنَّ الدَّمْعُ يَقْطُرُ مِنْ فُؤَادِي
وَوَافَتْنِي الْهَدِيَّةُ وَهِيَ تَحْكِي
وَتَصْنَدُحُ بِالْمُحَبِّبِ مِنْ أَغَانِ
جَهَازٍ عُدَّ مُعْجِزَةً، وَلَكِنْ
وَإِنْ كُنْتُ ابْنَتِي، فَالِهَرُ أَضْحَى
وَصَارَ يُعَدُّ مُعْجِزَةً، فَإِنَّا
أَيْشَخْصُ بَيْنَنَا وَالظُّلْمُ فَاشٍ
وَأَمْسَى الْحُبُّ مَخْضَ خُرْعَبَلَاتٍ
وَصَارَ النَّاسُ أَشْبَهَ بِالضُّوَارِي
حَنَانُكَ يَا صَفِيَّةُ فَلَّ حُزْنِي
أَضَاعَتْ كُلَّ إِثَارِي، وَسُرَّتْ
وَلَوْ عَقَلَ الْوَرَى حَرَصُوا عَلَى أَنْ
فَمَا دُنْيَاهُمُو إِلَّا خَرَابٌ
وَتَفَنَّى الْأَرْضُ يَوْمَ الشَّمْسِ تَمْضِي
صَفِيَّةُ! عِشْتُ لِلْإِحْسَانِ رَمْزاً
تَجَلَّى حِينَ مِيلَادِي تَجَلَّى
فَأُخْجِلَ مِنْ وَفَائِكَ وَاضْمَحَلَّ
مَشَاهِدَ مَا نَرَاهُ وَمَا تَوَلَّى
وَبِالرَّقَصَاتِ أَيَّامَ لَنْ تُمَلَّأَ
رَأْيُكَ أَنْتِ أَبْدَعُ أَوْ أَحَلَّ
حَرَاماً لَنْ يُبَاحَ وَلَوْ أُجِلَّ
فَقَدْنَاهُ خَيْالاً قَدْ تَدَلَّى
وَيَحْسَبُهُ سَوَادُ النَّاسِ عَدْلًا؟
وَكُنَّ الْحُبُّ سُلْطَاناً مُعَلَّى
وَمَا شَبِعَ الْوَرَى نَهْباً وَقَتْلًا
عَلَى دُنْيَا تَعُدُّ الْحُمُقَ عَقْلًا
بَتَعْذِيبِي، وَأَضْحَى الْغَدْرُ سَهْلًا
يَكُونُوا كُلُّهُمْ لِلْحُبِّ أَهْلًا
وَيَبْقَى الْحُبُّ بَعْدُ وَمَا أَظْلًا
وَيَحْيَا الْحُبُّ حُرّاً مُسْتَقْلِلًا
وَالْحُبُّ الْمُقَدَّسُ أَيْنَ حَلًا!

* كان ميلاد الشاعر في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ ووفاته في ٢ نيسان/أبريل ١٩٥٥؛ (و.ف).

يَا مُبْرَى النَّاسِ!

أُصِيبَ الْأَسْتَاذُ الصَّدِيقُ عَيْسَى خَلِيلُ صِبَاغٍ بِحَمَى الْمَلَارِيَا فِي مَصْرٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِ صَاحِبُ
الدِّيَّوَانِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الدَّعَاءِ لَشِفَائِهِ وَالتَّاهِيلِ بِعَوْدَتِهِ إِلَى أَمِيرِكَا

لَوْ كُنْتُ كَالْمُتَنَبِّيِّ فِي جَرَأَتِهِ
لَطَرْتُ فَوْقَ بَسَاطِ الرِّيحِ مُنْصَلِتًا
قَدْ سَارَ وَصَفٌ لَهُ فِي شِعْرِهِ مَثَلًا
يَا مُنْسِي النَّاسِ أَلَا مَا لِعِلَّتِهِمْ
أَعْدُ سَاعَاتِ قُرْبٍ مَوْشِكٍ ثَمَلًا
إِنِّي عَلَى الْحُبِّ قَدْ نُشِنْتُ، لَا عَوْضُ
وَمَا الْجَمَالُ سِوَى نِدِّ لِرَوْعَتِهِ
أَهْلًا بِعَوْدِكَ لِلْأَحْيَاءِ تُسْعِدُهُمْ
الْحُبُّ وَالْحُسْنُ فِي كَفِّكَ قَدْ رُفِعَا

وَفِي التَّحْدِيِّ لِحُسَّارٍ وَأَعْدَاءِ
سَيْفًا يُمَزَّقُ مَا آذَاكَ مِنْ دَاءِ
لِلْفَنِّ، وَالْفَنُّ عِنْدِي فَوْقَ إِنْشَائِي
عُوفِيَتْ، وَاسْلَمَ كَعَيْسَى فِي سَوْدَائِي
كَرَاهِبٍ بَيْنَ تَسْبِيحٍ وَإِصْفَاءِ
عَنْهُ لِرُوحِي أَوْ سِرٍّ لِأَحْيَائِي
أَوْ تَوَاقُمٍ بَيْنَ أَطْيَافٍ وَأَضْوَاءِ
وَتَنْشُرُ النُّورَ فِيهِمْ بَعْدَ ظُلُمَاءِ
لِلْمُهْتَدِينَ، فَمَا يَجْزِيكَ إِطْرَائِي!

نَجْلَاء

إِلَى الصَّدِيقِ الْأَدِيبِ الْمُهْجَرِيِّ الْكَبِيرِ عَبْدِ الْمَسِيحِ حَدَادٍ فِي فَقْدِ كَرِيمَتِهِ الْعَزِيزَةِ نَجْلَاء

أَخِي عَبْدَ الْمَسِيحِ فَدَتَكَ نَفْسِي!
لِمِثْلِكَ أَيُّهَا الْخَيْلُ الْمُرْجَى
وَمَا أَنَا بِأَعَثُّ لَكَ مِنْ عَزَائِي
وَسُخْرِ بِالْوُجُودِ وَمَا تَغْنَى

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَهْبَ التَّأْسِي
إِذَا الْأَحْدَاثُ فَاتَتْنَا لِيَأْسِ
سِوَى أَلَمْ تَمْلِكْ كُلَّ نَفْسِي
بِهِ اللَّاهُونَ فِي أَفْيَاءِ رَمْسٍ^١

^١ الرمس: القبر.

وَدَلَمَعُ فِي غَدْرٍ، وَغَدٌّ تَوَلَّى
 وَمَا وَهَبَ الْوَجُودُ لَنَا سُرُوراً
 وَمَا خَلَدَ الْحَيَاةَ لَنَا وَلَكِنْ
 فَتَحْ وَاسْخَرْ كَسُخْرِي يَا صَدِيقِي
 وَمَا كَانَ افْتِقَادُكَ غَيْرَ فَقْدِي
 أَتَانِي نَعِيْهَا وَأَنَا مَرِيضٌ
 أَتَانِي بَعْدَ أَنْ دُفِنْتَ فَفَاضَتْ
 وَأَمَّا أَنْتَ أَنْتَ، فَيَا صَدِيقِي
 وَأَنْتَ الْفَيْلَسُوفُ بِلَا مَرَاءٍ
 فَلَا تَغْلُلْ حِجَاكَ^٢ بِمَا تُعَانِي

كَحَاضِرِنَا وَمَاتَ بِحُضْنِ أُمْسٍ
 سِوَى الْأَحْزَانِ فِي أَثْوَابِ أَنْسٍ
 لِذَرَاتٍ سَبَحْنَ بِكُلِّ شَمْسٍ
 بِدُنْيَانَا وَبِالْعِيشِ الْأَخْسِ
 لَجَوْهَرَةٍ تَضَيُّعٌ بَعْدَ حَبْسٍ
 وَأَقْرَبُ عَوْدِي حُزْنِي وَيَأْسِي
 دُمُوعِي مَرَّتَيْنِ لَهَا وَنَفْسِي^١
 رَجَاحُتُكَ الْمَلَاذُ بِكُلِّ نَحْسٍ
 تَفُكُ الْأَسْرَ عَنْ عَانٍ وَجَبْسٍ^٢
 وَمَا عَانَيْتَ، وَافْتَرَضَ التَّأْسِي!

الموحيات^٤

الموحياتُ حيالي لا عِدَادَ لَهَا
 إِنَّ الْبَعُوضَةَ قَدْ تُوْحِي بِنَشْوَتِهَا
 وَالْجُجْدُ الْهَانِي الْمَغْرَى بِلَيْلَتِهِ
 وَنَفْحَةُ الْعِطْرِ أَشْوَاقٌ تُسَاوِرُنِي
 وَالْجَلْمَدُ الصَّامِتُ الْمَقْهُورُ يَهْمِسُ لِي

يَا مَنْ نَقَدْتَ اسْتِجَابَاتِي وَعَادَاتِي
 لَمَّا تَغَنَّتْ فُتُوناً مِنْ صَبَابَاتِي
 تَفِيضُ أَهَائِهِ مِنْ نَبْعِ أَهَاتِي
 كَأَنَّمَا مَثَلْتُ أُمُوجُهُ ذَاتِي
 فِي الصَّمْتِ لَهْفَانِ أَلْوَانِ الشَّهِيَّاتِ

^١ ونفسي: ودمي.

^٢ جبس: جبان.

^٣ الحجى: العقل؛ (و.ف.).

^٤ هي، للتذكير، القصيدة التي يحتج الشاعر في تعريفه بأبياتٍ منها على من ينكر عليه إكثاره المزعوم؛ (و.ف.).

وَالْجَدُولُ، الْمُتَنَائِي فِي تَأْمُلِهِ
وَبِاسْمِ الْعُشْبِ حَوْلِي فِي تَفَاؤُلِهِ
وَمَا حَوَاهِ الْحَصَى نَشْوَانَ مُؤْتَلِفًا
حَتَّى الْحُطَامُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ
هَذَا وَتِلْكَ وَآلَافُ ثَمَائِلِهَا
لَا تَحْتَقِرُهَا فَقَدْ تَشَأَى عَوَالِهَا
وَلَا تَقْسُ مَا لَفَنِي فِي تَأَثَّرِهِ
كَمْ مِنْ أَوَاصِرَ فِيمَا أَنْتَ تُنْكِرُهُ
الْكُونُ أَجْمَعُهُ شَعْرٌ أَفِيضُ بِهِ
وَرَبَّ شَيْءٍ تَظُنُّ الْحَسَنَ جَاوِزَهُ

خَوَاطِرِي، مُفْعَمٌ مِثْلِي بِلَذَاتِي
رَغَمَ الْهَجِيرِ خَيَالَاتِي وَمِرَاتِي
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ تِجَانِ رَبَّاتِ
فِي بُؤْسِهِ رُبَّمَا أَوْحَى تَعْلَاتِي
عِرَائِسُ يَتَنَافَسُنَ بِأَبْيَاتِي
مَهْمَا ضَوُّنَ أَعَاجِيبِ السَّمَاوَاتِ
بِمَا يَهْزِكُ، أَوْ خَمْرِي وَجَنَاتِي
لْمُهْجَتِي، كَمْ أَمَانٍ، كَمْ تَحِيَّاتِ
وَكُلُّ مَا فِيهِ إِحْيَاءُ لآيَاتِي
أَخْصُهُ بِحَنَانِي أَوْ عِبَادَاتِي!

عالمي

دَعُونِي مِنَ الدُّنْيَا، مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
وَأَسْكَنْتُ فِيهِ مِنْ شَوَاعِرِ مُهْجَتِي
وَلَا عَالَمًا فِيهِ الْغَنِيمَةُ سُبَّةٌ
سَأُهْرِقُ مَنْ أَسْرَى دِمَائِي تَحَرُّرًا
سَأُبْدِعُ لِي نَامُوسَ خُلْدٍ مُحْتَرِّمًا
وَأَسْخَرُ مِنْ أَوْضَاعٍ مَنْ قَدْ تَفَرَّدُوا
وَكَمْ صَيَّرُوا الْإِيمَانَ وَالْكَفَرَ لُغْبَةً
وَعَادُوا إِلَى تَحْرِيمِهِ، ثُمَّ حَلَّلُوا

فَإِنِّي خَلَقْتُ الْيَوْمَ كَوْنًا مُجَسَّمًا
تَوَائِرَ لَا تَرْضَى التَّفَاقَ الْمُتَمَّا
وَفِيهِ أَرَى الْمَجْدَ الْمُعْلَى مُهْدَمًا
وَأُبْدِلُهَا مِنْ نَخْوَتِي الْحِسَّ وَالْدَّمَ
فَقَدْ سَتَمْتُ نَفْسِي الْفَنَاءَ الْمُحْتَمًا
بِهَذِي الْوَرَى حَتَّى لَقَدْ نَشَرُوا الْعَمَى
وَكَمْ حَلَّلُوا مَا كَانَ قَبْلًا مُحَرَّمًا
بِوَالَيْكَ، حَتَّى ضَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ

سَأَنبِذُهُمْ نَبْذاً لِقَاءَ جُنُونِهِمْ
وَأَمْشِي عَلَى كُلِّ الَّذِي هَتَفُوا بِهِ
وَأَكْسِرُ أَغْلَالَ التَّقَالِيدِ كُلِّهَا
فَمَا حَدَّنِي عَقْلٌ عَتِيٌّ وَلَا رُؤْيُ
تَحَلُّيْتُ عَنْ وَعْيِي وَأَبْدَعْتُ عَالَمِي
فَأَلْفَيْتُ فِي الْأَحْلَامِ ظِلَّ حَقِيقَتِي

فَإِنَّ جُنُونِي صَارَ أَحَجِي وَأَحْكَمَا
وَمَا مَلَكَوا مِنْهُ جَنَاناً وَلَا فَمَا
وَلَا أُرْتَضِي غَيْرَ التَّحَرُّرِ مَغْنَمًا
تُسَاوِرُنِي حَتَّى وَإِنْ كُنَّ أَسْلَمَا
بِرُوحِي مِنَ الْآبَاءِ نَشْوَانٍ مُغْرَمًا
وَوَحِيًّا يُنَاجِينِي وَإِنْ عُدَّ مُبْهَمًا!

الواعظ

أَلَا فَانظُرُوا أَيُّهَا السَّادِرُونَ
مَضَى أَهْلُهَا وَاسْتَحَالَ النُّشُورُ
قُبُورٌ، قُبُورٌ، قُبُورٌ، قُبُورٌ
وَحَدَّتْكُمْ وَاعِظٌ فِي الْقُبُورِ

فَهَلَّا نَسْتَمِعْتُمْ لَوَعِظِ الْمَنُونِ؟

وَهَلْ رُقِمَ هَذِهِ أَمْ تُرَابٌ؟
خَرَابٌ، خَرَابٌ، خَرَابٌ، خَرَابٌ
تُرَابٌ، تُرَابٌ، تُرَابٌ، تُرَابٌ
فَلَا رِهَمٌ بَقِيَتْ لِلْحَسَابِ

وَلَفَّ الْخَرَابُ رِداءَ السَّكُونِ!

وَمَنْ عَجِبَ بَعْضُهَا خَالِدَاتٌ
كَأَنَّ الْمَمَاتَ حَيَاةً حَيَاةً
كَأَنَّ الَّذِي مَاتَ مَا كَانَ مَاتَ
فَقَدْ كَرَّسَ الْمَوْتُ مَجْدًا وَفَاتَ

فَهَانَ، وَفِي الْمَوْتِ مَا لَا يَهُونُ!

فردوس المحمير

أشبح بوجهك عن فكري وعن نظري
ولا ثقل مصر صارت جنة أنفأ
فما عرفت بها إلا زبانية
وما أقل صحابي في خمائلها
كأنما النحس غنى يوم مولدنا
وما أشك بإخلاص لقادتها
لكن أشك عميماً في حصافتهم
العازفين عن الأحرار شردهم
والحاضنين عبيد الظلم من كفروا
والحالمين بإعزاز أممتهم
والقائلين ذوي الأبواب في عمه
والخائفين الحيارى من مؤامرة
واخاذلين رجالاً مهدوا لهمو
والشاكرين سفيهاً ظل خائنتهم
والصافعين وفيأ بات يمدحهم
والقانعين بأطفال حيالهمو
هذي وهذي وهذي كلها عبر
حتى لأخشى عليهم من عمايتهم

فربما هيجا كالصاحب الشرر
صانت لي الحب في فريوسها العطر
في كل عهد، وحظي عندهم ضرري
ماتوا على الجمر أو عاشوا على الحذر
ملاحم اليأس والآلام والخطر
من أنقذوها من الطاغوت والخور
فقد غدا صنعتهم أضحوكة القدر
يأس، وجمعهم تانان محتضر
بالحق وافتخروا بالموقف القذر
على أيادي لصوص بالغي الضرر
كأنما جردوا من نعمة البصر
وهم همو وحدهم إلهام مؤتمر
بالفكر والروح والإيثار للظفر
وإن تشدق بالأشعار والسور
من أجل مصر، وشهماً جل عن وطر
أجل هم لهم في اللهو والسمر
لكنهم غفلوا عن هذه العبر
كأنهم شابها المفلوب من أكر!

إجعل حديثك عن ماضي واعتبر
صليبن مثل سنين ضعف من عمري

يا لائمي المتجني إن تكن رجلاً
التضحيات الغوالي ملء ساحته

ما عابني طعنُ مَنْ خانوا وَمَنْ غَدَروا
في ذمّةِ الله ما أسلفتُ من مُثلٍ
أنا الفقيرُ سوى مِنْ خُلِقَ مُبتدِرٍ
إن فاتني جُدُّ الحَكّام ما فِتئتُ
الخاسرونَ هُمُو، حتّى وإن حُرِمتُ
فإنّ في النَفْيِ تَطْهيراً أَحْسُ بِهِ
أثرُته مُشْمِزاً من حَمَاقَتِهِم
وقد كَفاني يَراعي الحرُّ أو وتَري
كما نَفَضْتُ يدي مِنْهُمْ بلا أسفِر

إن لم أَخُنْ مبدئي أو لم تَخُنْ فِكري
عليّ، وما لم أزلْ أُسديهِ من غُررٍ
إلى الصّلاح، ومن إبداعٍ مُقتدرٍ
مأثري كذُيولِ الشَّمسِ في أثري
نَفْسِي الرّوى في سماءِ النّيل أو قَمَري
كأنّما أنا قَدِيسٌ لمنتظرٍ
وإن خَلَقْتُ لَهُم غُفْراًنَ مُعتذرٍ
مَجْداً يُرامُ، وأغْنَتْ عَالَمِي صُورِي
وما نَفَضْتُ يدي من مصرٍّ أو نظري!

التّسامح

ما شَكَاتِي مِنَ الأَنامِ عِداً
هي عِتابُ المُحِبِّ مَهْما قسا العِتابُ
ليس سُخْطِي سوى تَشَوُّقٍ وَجِداني لِإِصلاحِهِم وإِثْثارِ حَسْبي
كَمْ سَفِيهِ يَنالُني وأنا الحَا
وَعِقَابِي لَهُ يَلاحِقه الصَفْ

أنا مِنْهُمْ، فَمَا عِدائِي لِنَفْسِي؟
بُ، فَمَا يَأْسِي الأَلِيمُ بِيَأْسِي
ليس سُخْطِي سوى تَشَوُّقٍ وَجِداني لِإِصلاحِهِم وإِثْثارِ حَسْبي
ني على رُوحِهِ بَروحي وَأُنْسي
حُ، ويا رَبِّما أَعاقِبُ نَفْسِي!

الشَّحَاذُ

ها هو الشَّحَاذُ لَصِقَ الْبُئْكَ تَسْتَجِدِّي لُحُونُهُ
يَضْرِبُ الْأَوْتَارَ فِي عُنْفٍ وَيُبْكِيهَا جُنُونُهُ
سَاخِطاً أَوْ سَاخِراً تَتَّارُ فِي مَقْتِ فُنُونُهُ
أَشْنَعَتِ الشَّعْرَ سَقِيمَ الْوَجْهِ قَدْ مَاتَتْ عُيُونُهُ
وَعَلَيْهِ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ وَالْحِرْمَانِ أَسْمَالُ تَخُونُهُ!

قُلْتُ: "يَا هَذَا لَأَنْتَ الْفَنُّ فَاسْعِدْنِي بِصُورِهِ
عَلَّانِي أَرْسَمُ مِنْهَا عَالِماً تُخْفِي شُعُورَهُ"
فَتَمَلَّانِي كَمَجْنُونٍ رَأَى مِثْلِي أَجْسِيرَهُ
ضَاكِحاً كَالرَّعْدِ لَا يَغْبَأُ بِالدُّنْيَا الْحَقِيرَهُ
وَتَمَطَّى كَمَلِيكَ لَمْ يَعُدْ يَخْشَى أَسِيرَهُ!

قُلْتُ: "هَلْ تَرْضَى بِدُولَارٍ؟ أَجِبْنِي يَا صَدِيقِي
رَبِّمَا نَحْنُ خَلِيلَانِ بِإِحْسَاسٍ وَضَمِيرٍ!"
قَالَ: "هَذِي رَأْسُ مَالِي بَلْ هِيَ الْكَنْزُ الْحَقِيقِي!"
قُلْتُ: "دُولَارَانِ!" فَازُورُ كُنَاجٍ مِنْ نَهْيَقٍ!
قُلْتُ: "مَاذَا تَبْتَغِيهِ؟" فَمَضَى عِبْرَ الطَّرِيقِ!

إلى إيطاليا

إلى إيطاليا خَفُوا وطَـيَروا
إلى فاروقَ حَيْثُ خَصَصْتُمُوهُ
شَقِينَا مِنْكُمْ عُمْراً طَوِيلاً
وَلَا تَتَوَاضَعُوا بِالطُّهْرِ دَعَايَ
لَكُمْ حَارِبْتُمُو مِثْلِي كَأَنِّي
وَكَمْ مِنْ غُصَّةٍ مِنْ بَعْدِ أُخْرَى
تَنَافَسْتُمْ بِأَلْوَانِ الدُّنْيَا
وَسَوَدْتُمْ مَعَالِمَنَا سَفَاهاً
وَعَاقَبْتُمْ لَنَا حِسّاً طَلِيقاً
وَلَمْ تَرْضَوْا لَنَا رِزْقاً حَلَالاً
وَبِمِ نَبْذُلْ لِمَصْرِ الْخَيْرَ إِلَّا
إِذَا اعْتَرَفَ الْأَبَاعِدُ وَالْأَعَادِي
أَبْعَدَ جَمِيعِ مَا أَسْلَفْتُمُوهُ
وَمَوْلَانَا الْأَدِيبُ الْحُرُّ حَقّاً
وَمَوْلَانَا الَّذِي وَهَبَ الْبَرَايَا
وَمَوْلَانَا الَّذِي لَمْ يَجْنِ ذَنْباً
وَمَوْلَانَا الَّذِي يُرْجَى مِثَالاً
وَمَوْلَانَا الَّذِي جَعَلَ الْمَعَالِي
لِعَمْرِي لَسْتُ أَذْرِي أَيُّ حَظٍ
أَعَيْنُ الْعَدْلِ يَحْكُمُنَا التَّعَالِي

هَنَالِكَ، لَا هُنَا، لَكُمْو الْمَصِيرُ
بَسَّيْجِ هُوَ النَّبْلُ الْكَبِيرُ
فَرُوحُوا، عُمْرُكُمْ عُمْرٌ قَصِيرُ
فَإِنَّ الطُّهْرَ عُنْوَانٌ حَقِيرُ
أَنَا الْجَانِي وَكُلُّكُمْو الطُّهُورُ
تَحَمَّلْنَا وَكُلُّكُمْو فَخُورُ
كَأَنْتُمْو السَّوَاقِي إِذْ تَدُورُ
وَقُلْتُمْ: هَكَذَا تَزْهَوِ الْبُدُورُ
كَأَنَّ أَخْسَ مَا نَجْنِي الشُّعُورُ
وَرِزْقُكُمْو الْغَوَايَةُ وَالْفُجُورُ
وَأَجْمَعُكُمْ بِنَقْمَتِهِ يَثُورُ
بِقِيَمَتِنَا فَقَدْ هَوَتْ النُّسُورُ
يُقَالُ الْآنَ: مَوْلَانَا الْوَزِيرُ؟
وَمِنْ آيَاتِهِ كَيْدٌ وَزُورُ؟
مَآثِرُهُ وَأَجْمَعُهَا غُرُورُ؟
فَلَيْسَ لِمِثْلِهِ ذَنْبٌ صَغِيرُ؟
لَأُمَّتِهِ، وَمَوْلَانَا الْجَسُورُ؟
تَحُجُّ إِلَيْهِ إِذْ هُوَ لَا يَزُورُ؟
يُدَاعِبُنَا، وَمَا الرَّأْيُ الْأَخِيرُ؟
أَمْ الْإِنْصَافُ يَحْكُمُنَا الْحَمِيرُ؟!

ليالي القاهرة

في رثاء الدكتور إبراهيم ناجي

إذا ما ذُكرت ليالي القاهرة الأدبية اتَّجهت الخواطرُ إلى الشاعر المصري الموهوب الدكتور إبراهيم ناجي الذي أحياها بشعره الجميل في ديوانه الشائق، الذي يحمل هذا الاسم، وقد احتفى به الأدباءُ في أقطار العُروبة جمعاء.

وما من أديب عربيّ زار مصر إلا واشتاق لقاء هذا الأديب اللامع الجَمِّ المَرَحِ، النادر الطراز، في ذكائه وألمعيته وظرفه المتناهي، وفي ثقافته المَنوعَةِ الَّتِي شَمِلَتْ، بين ما جمعت، الطبَّ وعِلْمَ النفس وعِلْمَ الاجتماع والنقدَ الأدبيَّ والقصصَ.

كان القَدَرُ قاسياً في الخامس والعشرين من آذار/مارس ١٩٥٣ حينما اختطف الموتُ ناجي فجأة بالسكتة القلبية في عيادته بين مَرْضاهُ، فَذَهَبَتْ بِذَهايِهِ شَخْصِيَّةٌ أدبِيَّةٌ فِدَّةٌ، وانطفأت شاعريةٌ أصيلةٌ عزيزةُ المِثال، إذ كان في طليعة الشعراء العاطفيين الغنائيين المجددين، وكان وكيلاً ثانياً لجمعية أبولو الشعرية بمصر، إِبَّانَ رئاسة خليل مطران لها بعد وفاة رئيسها الأول أحمد شوقي.

وكان ناجي شاعراً مطبوعاً يحترم النِّعَمَ، ولكنّه لا يحترم التَّعَمُّلَ، فثُمِرَ وأنتج شعراً شهياً من الطراز الأول يميّز بجمال الطبع ويتعالى على القيود والصنعة.

وفي مقدِّمة المجلّات الَّتِي اهتمَّتْ بِأدب ناجي مجلة الحديث الحلبية الشهيرة، وفي عددها الصادر بتاريخ كانون الثاني/يناير سنة ١٩٥٣، (وهو العدد الأول من سنتها السابعة والعشرين)، نُخبٌ بديعةٌ من رباعيات ناجي نذكر منها قوله:

أرثي لِخَطِّ الأفقِ، وهو الَّذي	يَرمُقُنِي بِالْمُقْلَةِ السَّاخِرَةِ
وتَهْرُبُ الأنجُمُ هَذي وَهَذي	ويَجُثُّمُ اللَّيْلُ على القاهرة!
ويَرْحَفُ الكونُ على خاطري	كأنَّه في مُقْلَةِ السَّاهِرِ
مَدُّ من الحُزنِ بلا آخرٍ	يُعَبُّ عَبَّ الأَبَدِ الزَّاهِرِ!

وكأنما كان يُحسُّ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ حينَ قال:

الآنَ قَدْ مَرَّقَ عَنِّي القِنَاعُ مَوْتُ الأَباطِيلِ وَرَحْفُ السَّنَاءِ
وَبَدَّدَ الوَهْمَ وَفَضَّ الخَلَاءَ بَرْدُ المَنَيا وَشُحوبُ الفَناءِ!

هذا الشاعرُ النابغةُ الَّذي ندَّخِرُ له دراسةً بين شعراءِ العربِ المعاصرين، لا نملكُ إلا رثاءَه بهذه الدمعةِ الحارة:

اسْئَلُوا الشَّاحِبَ القَمَرُ
واسْئَلُوا النَّجْمَ حائِراً
واسْئَلُوا النُّورَ باهِتاً
واسْئَلُوا النُّهْرَ واجمأً
واسْئَلُوا الحُبَّ بعدَ ما
واسْئَلُوا الحُسْنَ خاشِعاً
اسْئَلُوهم عَنِ الَّذي
كَيْفَ قَدْ غَالَهُ الرَّدَى
أُثَرِي كُلُّ ذَنْبِهِ
أَنَّهُ شَعَّ أُتْسُهُ
أَنَّهُ نَغَّمَ الأَسْيَى
أَنَّهُ أَبْدَعَ المُنَى
أَنَّهُ دَاعَبَ الهَوَى
أَنَّهُ أَنْقَذَ الوَرَى
أَنَّهُ أَسْكَرَ النُّهَى
أَنَّهُ أَنْضَرَ الرُّبَى

واسْئَلُوا السِّدَامَ الرَّهَرُ
واسْئَلُوا الشَّمْسَ فِي حَذَرُ
خَائِفاً ما لَهْ مَقَرُ
كُلُّ مَوْجٍ لَهْ عَثَرُ
فَأَنَّهُ القَوُوسُ والوَوَرُ
بعدَ ما تاهَ أو أَمَرُ
أَرْعَشَ الرُّوحَ والحَجَرُ
فجاءَهُ غادِراً وفَرُ؟
أَنَّهُ شاعِرُ شِعْرُ؟
فِي مَجَالِسِ السَّوَمَرُ؟
أَنَّهُ طارَدَ الضُّجْرُ؟
مِثْلَما أَبْدَعَ الصَّوَرُ؟
والهَوَى كُلُّهُ خَطَرُ؟
مِنْ شُرُورٍ وَمِنْ شَرَرُ؟
وهو مِنْ هَمٍّ سَكِرُ؟
حيثُما صَوَّحَ الشَّجَرُ؟

أَنَّهُ أَتَتْجَ الْجَنَى
 أَنَّهُ صَاغَ شِعْرَهُ
 أَنَّهُ زَفَّ مُطْرِبًا
 أَنَّهُ كَانَ طَبُّهُ
 أَنَّهُ عَاشَ دَائِمًا
 أَنَّهُ كَانَ شُعْلَةً
 لَمْ تَفُتَّهُ أَصَالَةٌ

يَا صَدِيقِي، وَكَمْ زَهَا
 نَعْيُكَ الْمُرُّ وَقَعُهُ
 أَيُّ ثَأْرٍ لِعَاشِرِي
 لَيْسَ زُهْدِي بِحَاضِرِي
 لَيْسَ سُخْرِي بِعَالَمٍ
 لَيْسَ هَذَا وَغَيْرُهُ
 مِنْ فُؤَادِي الَّذِي هَوَى
 مِنْ تَبَارِيحِ ثَوْرَتِي
 بِالَّذِي يُرْجِعُ الْمُنَى
 لِيَتَنِي - إِيهِ صَاحِبِي -
 لِيَتَنِي كُنْتُ سَابِقًا
 رَاشِيًا أَنْتَ، لَا أَنَا
 نَحْنُ فِي عَالَمٍ بِهِ
 كُلُّنَا دُونَ ذَرَّةٍ

فِي دُنَى النَّحْلِ وَالْبَشَرِ؟
 مِنْ دُمُوعٍ وَمِنْ فِكْرِ؟
 مَا تَسَامَى وَمَا نَدَرُ؟
 فَوْقَ طِيبٍ وَمُخْتَبَرِ؟
 ضَاحِكًا يَهْزِمُ الْكَدَرِ؟
 مِنْ ذِكَا، وَكَمْ بِهِرِ؟
 إِنْ يَكُنْ فَائِهُ الْوَطَرِ؟

مِنْ وَفَائِي، وَكَمْ فَخَرُ
 وَقَعُ طُودٍ إِذَا انْفَجَرُ
 فَائِهِ الْحُبُّ إِنْ ثَارُ؟
 لَيْسَ دَمْعِي الَّذِي انْهَمَرُ
 بَعْدَ فَقْدَانٍ مَا عَبَرُ
 فِي غَبَاوَاتِهِ انْتَصَرُ
 فِي جَحِيمٍ مِنَ الْغَيْرِ
 حِينَمَا خَاطِرِي اسْتَعَرُ
 وَاثْبَاتٍ مِنَ الْحَفَرِ
 لَمْ يُطِلْ غُرْبَتِي الْحَذَرُ
 لِيَتَّكَ الْخَالِدُ الْأَبَرُ
 حَظُّنَا فِي يَدِ الْقَدَرِ
 أَسْنَعِدُ النَّاسَ مِنْ غَفَرِ
 مِنْ هَبَاءٍ وَمِنْ مَطَرِ

لَمْ نُخَيَّرْ، وَإِنَّمَا
لَيْسَ لِي غَيْرُ خَمْرَةٍ

نَدَّعِي الْخُبْرَ وَالْخَبْرُ
مِنْ جِرَاحٍ وَمِنْ عِبْرٍ!

٣١ آذار / مارس ١٩٥٣

من العصفور الدوريّ إلى العقاب^١

هَيَّا إِلَى السَّمَاءِ! هَيَّا!
نَافِسِ الشَّمْسَ فِي عُلَاهَا!
يَا مَلِيكَاً عَلَى الطُّيُورِ
لَيْسَ هَذَا الْجُثُومُ أَهْلاً
لِمَ تَرْتَبِّو إِلَى الثُّرَى
حِينَمَا فَسْحَةُ السَّمَاءِ تَدْعُو
حِينَمَا نَحْنُ قَابِعُونَ ذُلاً
فَارْتَفِعْ يَا مَلِيكَ وَارْحَلْ
عِنْدَهَا، عِنْدَهَا سَتُرْهِى
نَمْدَحُ الْمَجْدَ فِيكَ أَنْتَ
فَاعْطِنَا نَحْنُ عَاشِقِيكَ
مِنْ عُيُونٍ لَنَا أَهْيَأَتْ
وَأَجِرْ تَرْكُنَا حِمَانَا

وَأَشْرُ جَنَاحَيْكَ كَالشَّرَاعِ!
لِمَ تَهْوِي إِلَى الْبَقَاعِ؟
كَيْفَ مَرَقَاكَ فَوْقَ غُصْنِ؟
لَكَ فِي عِزَّةٍ وَحُسْنِ
عَابِساً سَاخِطَ النَّظَرِ
رَاقِياً عَالَمَ الْبَشَرِ
فِي هَشِيمٍ وَبَيْنَ عُشْبِ
فِي مَعَالِيكَ بَيْنَ سُحْبِ
يَا مِسْغَارُ بَعِزَّتِكَ
يَا مَلِيكَاً بَصُولَتِكَ
فُرْصَةً تَطْرُدُ الْوَجَلَ
مَضَّهَا الْخَوْفُ وَالْخَجَلُ
فَهُوَ مَثْوًى لَنَا حَقِيرُ

^١ هذه القصيدة نظمها المترجم باننيكار، (Sardar K.M. Panikkar)، سفير الهند بمصر في لغته الوطنية، ثم تُرجمت إلى الإنكليزية، ونقلها من الإنكليزية إلى العربية أحمد زكي أبو شادي تليية لاقتراح الأديب المصري أحمد قاسم جودة رئيس تحرير مجلة صوت الشرق.

كَيْ تُسَلِّيَ بِنُورِ شَمْسٍ
إِسْنًا - زُمْرَةَ الْأَدَانِي -
فَنَرَى الْمَجْدَ يَا مَلِيكَ أَنْتَ

بَعْدَ عَيْشٍ لَنَا أَسِيرُ
فِي تَعَالِيكَ لِلسَّامَاءِ
وَنُغْنِّي لَكَ التَّنَاءِ!

١٦ آذار/مارس ١٩٥٣

حنين الأرض^١

أَعْرِفْتَ الْحَنِينَ فِي الْأَرْضِ لِلشَّمْسِ مُقِيمًا يُحَسُّ خَفَقًا وَنَبْضًا؟
أَعْرِفْتَ الْحَنِينَ لِلْقَمَرِ الدَّائِرِ كَالطُّفْلِ حَوْلَهَا مَا تَقْضِي؟
هِيَ أُمِّي وَذَاكَ أَوَّلُ طِفْلٍ أَنْجَبَتْهُ وَلَمْ يَزَلْ غَضًّا
شَابَ فِي الْبُعْدِ عَنْ حِمَاها وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبَهُ الْحَفِيَّ لِتَرْضَى
أَيْنَ حَظِّي مِنْهَا وَمَنْكَ؟ أَجِيبِينِي! فَإِنِّي أَطُوفُ لَهَا أَيْضًا!

الجواب الفصيح

رثاء الشاعر الطائر

أُمَسَائِلَ الْقَدَرِ الْعَنِيٍّ مُحَيَّرًا
اليَوْمَ يُغْنِيكَ الْمَمَاتُ كَمَا مَضَى
فَنَرَى الطَّلَاسِمَ مُفْصِحَاتٍ مِثْلَمَا
عَنْ أَصْلِهِ وَمَجَالِهِ وَمَالِهِ
مِنْ قَبْلُ بِالْخِيَامِ^٢ بَعْدَ سُؤَالِهِ
يَتَحَدَّثُ الْإِشْعَاعُ خَلْفَ ظِلَالِهِ

^١ هذا مثال من الشعر العلمي الذي تتناوله العاطفة والخيال الأدبي، والمعروف علمياً كما أثبت الدكتور جان بتييت (Dr. Jean Petit) من علماء جامعة كاليفورنيا بأن الأرض تنبض بتأثير التجاذب مع القمر والشمس، وقد يبلغ ارتفاع نبض الأرض ثم انخفاضه قسماً في بعض المواقع في خط الجانبيه خلال دوران الأرض.

^٢ الشاعر الحكيم الفارسي الشهير ؛ (و.ف).

وَتَرَى الْجَدَاوِلَ مُتْرَعَاتٍ تَنْتَهِي
وَتَرَى الْخَمَائِلَ رَاقِصَاتٍ لِلرَّدَى^١
سِرٌّ فِي رِكَابِ الْمُحْسِنِينَ مُخْلَدًا
مَا كُنْتَ تُعْشَقُ فِي الْحَيَاةِ كَكَائِنٍ
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ مَنْ يُحِبُّ لِذَاتِهِ
أَشْعَارَهُمْ أَرْوَاحَهُمْ، وَخَيَالَهُمْ
وَسِوَاهُمْ الْمُسْتَوْعِبُونَ، جَمَالَهُمْ
مَا كَانَ مَعْدِنُهُمْ مُمْتَلِئًا شِعْرَهُمْ
يَكْتَفِيكَ مَا أَسْدَيْتَ مِنْ أَنْسٍ لَنَا
وَعَنِ الْكُرُومِ وَكَيْفَ كَانَ رَحِيقُهُ^٢
يَكْفِيكَ تَرْدِيدُ النَّدَاءِ وَحَوْلُنَا
هَشَّتْ أَطَايِبُهَا^٣، وَكَمْ صَدَفَ الْوَرَى
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَقَلُوا لَطَافُوا حَوْلَهَا
وَلَشَارَكُوهَا^٤ فِي الْحُبُورِ بِصُحْبَةٍ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى أَحْلَامِنَا

إِذْهَبْ إِلَى دُنْيَا الْخِيَالِ، وَدَعْ لَنَا
وَدَعْ الْجَمَالَ مُرَدِّدًا أَنْفَاسَهُ
وَاثْرُكْ تُرَاثَكَ حَيْرَةً وَتَسَاوُلًا

لِجَارِهِ، وَتُعِيدُ كُلَّ نَوَالِهِ
رَقْصَ الْمُحِبِّ إِذَا احْتَفَى بِوَصَالِهِ
بِالْعَذْبِ وَالْمَأْنُوسِ مِنْ سُلْسَالِهِ
وَالْيَوْمَ تُعْشَقُ ذَائِبًا بِخِيَالِهِ
فَهِيَ الْجَوَاهِرُ تُمَقَّتْ بِخِصَالِهِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ عَامِرٍ بِخِلَالِهِ
مِرَاةَ دُنْيَا الْفَنِّ، رَجَعُ جَمَالِهِ
فَصَمِيمُهُ مِرَاةَ غَيْرِ مِثَالِهِ
دُونَ التَّسَاوُلِ عَنْ حُدُودِ كَمَالِهِ
وَمَدَى الْأَصَالَةِ فِيهِ وَاسْتِقْلَالِهِ
هَذَا الْمَوَائِدُ لِلْوُجُودِ وَإِلَيْهِ
عَنْهَا، وَكُلُّ نَائِحٍ بِخَبَالِهِ
وَلَهَلُّوا لِلْأَنْسِ قَبْلَ زَوَالِهِ
وَتَرَنَّمُوا مَعَهَا بِشِعْرِ الْوَالِهِ
وَالْحُلْمِ مِثْلُ أَبِي حَفَا بِعِيَالِهِ!

مَا افْتَنَّ شِعْرُكَ، شَامَخًا بِجَلَالِهِ
عَبَقَ الرَّبِيعُ يَشِيعُ فِي أَذْيَالِهِ
جِيلًا فَجِيلًا، شَاخِصًا لِمُحَالِهِ!

^١ الرَّدَى: الموت؛ (و.ف.).

^٢ أي أنفاس شعره.

^٣ أي محاسنها.

^٤ الضمير عائد على الأنس؛ والمقصود بالكروم شعره الذي شبهه الشاعر أنسه بالرجيق، المشبع بجمال الفن.

صديقي

صَدِيقِي الَّذِي يَسْعَى لِيَسْتُرَ عَوْرَتِي
وَلَيْسَ الَّذِي يُغْضِي أَمَامَ فَضَائِلِي
كَمَنْ عَابَ وَقَعَ الظِّلُّ وَالنُّورُ خَلْفَهُ

وَيُصْلِحَنِي، لَا جَانِباً رَاحَ فَاضِحِي
وَيَعْتَاضُ عَنْهَا بِادِّعَاءِ الْقَبَائِحِ
وَمَنْ عَابَ بِشَرٍّ خَلْفَهُ دَمَعُ نَائِحٍ

الشاعر القروي

تحية إلى رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ - ١٩٨٤)، لمناسبة صدور ديوانه

الشَّاعِرُ الْقُرَوِيُّ فِي تَكْرِيمِنَا
عَلَقْتُ بِهِ أَمَانًا، وَتَشَبَّيْتُ
أُمُّ الْعُرُوبَةِ ذَاتُهُ، فَصِيفَاتُهُ
هُوَ رَائِدُ الْآتِي وَنَفْحَةُ أَمْسِنَا
مَا اعْتَرَّتْ الْفُصْحَى بِشِعْرِ صَاغُهُ
أَوْ تَاهَتْ الْأَخْلَاقُ مِنْ أُنْدَائِهِ
أَوْ بَشَّتِ الْأَدْيَانُ عِنْدَ عِظَاتِهِ
أَوْ هَزَّتِ الْأَلْبَابُ ثُورَةَ فَنِّهِ
الْبَقْرِيَّةُ بِضَعَّةٍ مِنْ شَخْصِهِ
مَا كَانَ ذَاكَ الشَّعْرُ شِعْرَ فَصَاحَةٍ
وَبِهِ الطَّبِيعَةُ فِي جَمِيعِ فُصُولِهَا
وَبِهِ تَشَبُّ لَنَا هُمُومٌ جَمَّةٌ

أُسَمِّي وَأَكْرَمُ مِنْ مَقَامِ زَعِيمِنَا
أَحْلَامُنَا، فَاغْتَدَّ رَمَزُ صَمِيمِنَا
سِيرُ الْبُطُولَةِ مِنْ عَرِيقِ كَرِيمِنَا
وَالثَّائِرُ الْعَاتِي عَلَى تَسْلِيمِنَا
إِلَّا اعْتِزَّازَ سَمَائِنَا وَأَدِيمِنَا
إِلَّا كَتَبَهُ النُّورُ مِنْ تَكْرِيمِنَا
إِلَّا لِرُوحِ مَسِيحِنَا وَكَلِيمِنَا
إِلَّا وَأَرْضَ خُحَّةٍ إِلَى تَعْلِيمِنَا
وَالْبِضْعَةَ الْأُسْمَى مَدَارُ حُلُومِنَا
عَزَّتْ فَحَسَبُ، فَفِيهِ كُلُّ نُجُومِنَا
وَبِهِ أَحَبُّ غَيْرِنَا وَنَسِيمِنَا
وَبِهِ الشِّفَاءُ لِيَأْسِنَا وَهُمُومِنَا

مَنْ لَمْ يَحْزَرْ دِيَوَانَهُ فَكَأَنَّهُ
 كَمْ مُتْعَةٍ لِي لَا تُحَدُّ جَدِيدُهُ
 أُمَمَ الْعُرُوبَةِ لَوْ قَدَرْتُ مَكَانَهُ
 مَنْ غَيَّرَ التَّارِيخَ مِنْ إِحْيَائِهِ
 الْأُمَّةَ الْحُكْمَاءُ قَبْلَ جُنُودِهَا
 مَا قِيمَةُ الْأَجْنَادِ لَا يُرْجِيهِمْ
 وَلِرُبِّ شَاعِرٍ أُمَّةٌ مَهْضُومَةٌ
 هَيْهَاتَ أَعْدُلُ ثَرَوَةً بِثَرَاتِهِ
 فِيمَ اعْتَذَارُ النَّابِهِينَ إِذَا نَسُوا
 نِمْنَا وَنَامَ الْحَاكِمُونَ بِأَمْرِهِمْ
 حَتَّى غَدَوْنَا جَاهِلِينَ رَجَالَنَا
 لَا يَدْعُ إِنْ جَلَى تَذَبُّبُ رَأْيِنَا
 وَالْيَوْمَ إِذْ طَلَعَ الصَّبَاحُ وَإِنْ يَكُنْ
 وَلَوْ أَنَّ أَلْوَانَ الْجَهَالَةِ لَمْ تَزَلْ
 نَحْنِي الرَّؤُوسَ لَهُ وَإِنْ تَكُ قَلَّةٌ
 وَنَوْدُ تَكْتَحِلُ الْعُيُونُ بِنُورِهِ
 سَيَجِيءُ عَهْدٌ نَحْتَفِي شَرْفًا بِهِ
 وَيُسَابِقُ الْأَقْوَامُ بَعْضًا بَعْضُهُمْ
 شِعْرُ كَهَذَا الشَّعْرِ نُخْرٌ لِلْوَرَى

حُرِّمَ الْجِنَانُ، فَفِيهِ كُلُّ نَعِيمِنَا
 وَتَزِيدُ جِدَّتُهَا بِبَعَثِ قَدِيمِنَا
 قَدَسَتْ مَجْدَ حَكِيمِنَا وَنَدِيمِنَا
 وَأَثَارَ نَحْوَتِنَا بِرَغْمِ رَمِيمِنَا
 الْخَالِقُ الْجَنَاتِ رَغْمَ جَحِيمِنَا
 شَرَفٌ وَلَا لَهْفٌ لِغَيْرِ نُخُومِنَا
 كَرَشِيدِ عَاشِ ضَمِينِ حَقِّ عَدِيمِنَا
 وَأَنَا الْفَقِيرُ وَدُونَ حِظِّ عَلِيمِنَا
 لِلشُّعْرِ حَقٌّ إِمَامِنَا وَحَمِيمِنَا؟
 وَالْغَاصِبُونَ سَعَوْا إِلَى تَنْوِيمِنَا
 الْمَاهِدِينَ، وَنَحْتَفِي بِخَصْمِينَا
 وَغَدَا الشُّعَارُ لَنَا صِيَاحَ سَقِيمِنَا
 فِيهِ الضَّبَابُ مُعْكَرًا لَشَمِيمِنَا
 شَرْعًا تَقْدَسَ بَلْ وَدَيْنَ بِهِمِنَا
 عَزَّتْ وَلَكُنَّا هُدَاةَ عَمِيمِنَا
 أَبَدًا، وَإِنْ يَكُ مَا إِلَّا بِفُهْمِنَا
 كَالشَّمْسِ وَالْجَوَازِءِ غِبَّ غُيُومِنَا
 لِيُتَرْجَمُوا الْآيَاتُ فِي تَقْوِيمِنَا
 جَمْعًا وَإِنْ يُحْسَبُ ثَرَاثُ زَعِيمِنَا!

طويل العمر

رُفعت إلى الملك عبد العزيز آل سعود لمناسبة عيد ميلاده

الموافق ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٥٢

وَدَدْتُ أَهْدِي طَوِيلَ الْعُمْرِ مِنْ أَدَبِي
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ أَمْوَالِ دَوْلَتِهِ
وَلَنْ تُسَامِيَ بِشَعْرِ عِبْقَرِيَّتِهِ
أَصْنَعْتُ إِلَى شَدْوِهِ الْأَرْبَابُ سَاهِمَةً
فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ صَدَقِ النَّصْحِ يُسَعِّفُنِي
لَكُنْتَنِي لَا أَزَالُ الْحُرَّ مُعْتَمِدًا
أَرْجِي لَكُمْ مِنْ ضَمِيرِي فِي تَجَارِبِهِ
مَعَالِمَ الْحَقِّ لَمْ تَخْذُلْ مُسَائِلَهَا
كَمَا نَصَحْتُ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ فِي شَغْفِي
كَأَنَّمَا كَانَ تَبْصِيرِي لَكُمْ سَفَهًا
فِي عِيدِ مِيلَادِكِ الْمَيْمُونِ أَيُّ هُدًى
وَكَيْفَ يُطْرَدُ إِذْ يَحْمِي زَبَانِيَّةً
قَدْ أَصْبَحَ الْمُلْكُ فِدَاً فِي دَعَارَتِهِ
مَنْ كُلُّ أَرَعَنْ فِي عِرْنِينِهِ خَرَفٌ
فَاقُوا الْجَرَادَ وَبَاءَ حِينَمَا اتَّفَقُوا
حَتَّى بِيْثَرَبِ ضَجَّ الْقَبْرِ مِنْ جَزَعٍ

فِي عِيدِهِ نَفَحَ أَضْوَاءُ وَأَنْدَاءُ
وَلَنْ يُبْزَرَ بِإِشْعَاعٍ وَأَشْدَاءُ
كَأَنَّمَا فَوْقَ مَعْنَى الْوَحْيِ إِحْيَائِي
وَالْأَنْبِيَاءُ وَأَعْلَامُ الْأَلْبَاءِ
وَأَشْرَفُ النَّصْحِ لَا يُجْزَى بِإِصْغَاءِ
عَلَى وَفَائِي وَإِخْلَاصِي وَأَرَائِي
عَبْرَ الْقُرُونِ تَعَالَتْ فَوْقَ أَهْوَاءِ
وَحَبْرَةٍ لَمْ تَزَلْ تُخْزِي وَإِثْرَائِي
بَخِيرِكُمْ، فَكَبَا صَوْتِي وَأَصْدَائِي^١
وَحِكْمَةُ الْحُرِّ سُمٌّْ لِلْأَرْقَاءِ
يُرْجَى سِوَى طَرْدِهِ هَذَا الْمَوْغِلِ الدَّاءِ؟
هَذَا الْأَذَى لِشَجَى مَوْتِي وَأَحْيَاءِ؟
وَرَمَزُهُ بَيْنَ إِجْرَامٍ وَفَحْشَاءِ
وَكُلُّ لَصٍّ وَسَكِيرٍ وَزَنَاءِ
عَلَى الْخَرَابِ لِأَمْوَالٍ وَأَرْجَاءِ
لَأُمَّةٍ بَعْدَ نَوْرِ رَهْنِ ظُلْمَاءِ

^١ كان الشاعر مندوباً للحكومة السعودية ثم مستشاراً لها في هيئة الأمم المتحدة.

حَتَّى بِمَكَّةَ صَارَ الْبَيْتُ فِي دَنَسٍ
مُبَدَّدِي الْمَالَ تَبْدِيداً لَسُمْعَتِهِمْ
دُونَ الْمَعَارِفِ قَدْ لَانَتْ^٢ مَفَارِقُهُمْ
حَتَّى غَدَوْا هَكَذَا أَعْدَاءَ أَنْفُسِهِمْ
يَا وَيْحَهُمْ جَعَلُوا الْإِسْلَامَ سُخْرِيَةً
وَهَيَّؤُوا ثَوْرَةً كَبْرَى سَتَلْحَقَهُمْ
مَنْ يَسْحَقُ الْحَقَّ يُحْيِيهِ وَيُشْعِلُهُ
وَنَاشِدُوا الْحَقَّ يَوْمًا ظَافِرُونَ بِهِ

مِنْ قَوْمِكُمْ بَيْنَ أَبْنَاءٍ وَأَحْبَاءٍ^١
وَقَاتِلِي الشَّعْبَ فِي بُؤْسٍ وَأَنْوَاءٍ
أَعْرَاضُ طَيْشٍ وَزُهْرِيٍّ وَأَقْدَاءٍ
وَقَوْمِهِمْ فَوْقَ أَدْوَاءٍ وَأَعْدَاءٍ
وِظْلَمَةٍ بَعْدَ أَمْجَارٍ وَلَاَئٍ
وَمُلْكُكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ رَهْنُ إغْضَاءٍ
وَالْحَقُّ أَفْصَحُ نُطْقاً وَسَطَ ضَوْضَاءٍ
مَشَوْا عَلَى النَّارِ أَمْ سَارُوا عَلَى الْمَاءِ!

حِزَّةٌ وَعَتَابٌ

لَمْ يَفْجَعْ الدَّهْرُ أَحْلَامِي وَيُرْهِقَهَا
يَا مَنْ خَذَلْتُمْ رَجَائِي فِي مَوَدَّتِهِمْ
بَارَكْتَ تَطْهِيرَكُمْ أَوْطَانَنَا سَلَفًا
وَإِنْ حَزِنْتُ لِرَهْطٍ لَمْ يَزَلْ لَهُمْ
يَا لَيْتَكُمْ قَدْ جَمَعْتُمْ كُلَّ عَزْمَتِكُمْ
وَمَا احْتَمَلْتُمْ وَصُولِيًّا يُرَاوِدُكُمْ
أَتَهْمِلُونَ الْأَلَى قَدْ مَهَّدُوا زَمَنًا
أَتُغْفِلُونَ عُقُولًا مِنْ مَوَاهِبِهَا
أَتُكْرِمُونَ صِغَارًا كُلَّ قِيمَتِهِمْ
فِي مِثْلِ هَذَا يَحَارُ الْفِكْرُ فِي زَمَنِ

إِلَّا وَعِنْدِي لَهُ مِنْ قَبْلُ حُسْبَانُ
مَهْمَا تُسَيِّتُ فَمَا لِي الْيَوْمَ نَسِيَانُ
فَإِنَّ أَغْلَى عَزَاءِ الْمَرْءِ أَوْطَانُ
شَأْنُ وَخَيْرُهُمْ أَفْعَى وَتُعْبَانُ
يَوْمَ الْحِسَابِ لِمَنْ زَلُّوا وَمَنْ خَانُوا
غَنَمُ الدُّنْيَا لَهُ الْأَحْرَارُ قُرْبَانُ
لِنَصْرِكُمْ، وَتُعَزُّونَ الْأَلَى هَانُوا؟
شَعَتْ وَعَزَّتْ وَسَادَتْ قَبْلُ أَرْمَانُ؟
زَيْفٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ صِدْقٌ وَإِيمَانُ؟
قَدْ سَادَهُ الْفِكْرُ لَمَّا اعْتَرَزَ إِنْسَانُ!

^١ أحباء: خاصة ندماء الملك، والمفرد حباء.

^٢ لانت: لطمخ.

اعتدادي

باقٍ؟ نَعَمْ أنا في ولائي الباقي
سَتَسِيرُ أشعاري مَسِيرَ عَتِيدَتِي
ما عابني طَعْنُ الحَقِيرِ، وَرَبِّمَا
مَنْ ذَا يَحُدُّ تَأْمُلِي وتَفَنُّنِي
فَنِّي لِفَنِّي كَيْفَ كَانَ، وَمَجْدُهُ
سَيَعِيشُ فِي الْآبَادِ لَحْنُ حَقَائِقِي
أنا ذلك البحرُ الْخِضَمُ وَإِنْ أَكُنْ
وَسِعَ الْجَنَادِلَ^٢ وَالْحَيَاةَ عَوَالِمًا
وَأَبَيْتُ رِقَّ النَّاسِ حَتَّى إِنْ نَمَوْا
هِيَهَاتَ، لَا أَرْضَى سِوَى حُرِّيَّتِي
لَا مَارِدٌ يَوْمًا وَلَا مُتَجَبِّرٌ
لَيْسَ اعْتِدَادِي عَنْ غُرُورٍ، إِنْ يَكُنْ
بَلْ عَنْ تَفَجُّرٍ رَائِدٍ إِيْمَانُهُ
أَبْدًا يُدَافِعُ عَنْ مِبَادِيهِ كَمَا

أَحْيَا بَوحي جَنَانِي^١ الْخَلَاقِ
وَتَدُوسُ فَوْقَ صَغَائِرٍ وَنِفَاقِ
جَازِيَتُهُ بِالْجَمِّ مِنْ إِشْفَاقِي
وَيَغْضُ مَنْ أَلْقَى وَمَنْ إِشْرَاقِي؟
مَجْدُ السُّمُوِّ إِلَى أَعَزِّ طِبَاقِ
أَزَلِيَّةٍ، وَيَعْرِفُ فِي الْأَحْدَاقِ
بِوَدَاعَتِي كَالْجَدُولِ الرَّقْراقِ
وَأَبَتْ عَوَالِمُهُ حُدُودَ نِطَاقِ
فِي الرِّقِّ، حِينَ اسْتَمَرُّوا اسْتِرْقَاقِي
ثُمَّنَ الْحَيَاةَ فَمَنْ يَشُدُّ وَثَاقِي؟
بِمُذَلِّلِي، بَلْ لَنْ يَنَالَ لِحَاقِي
طَبْعِي الْغُرُورَ، وَلَيْسَ عَنْ إِمْلَاقِ
لَا يَنْتَهِي، وَيَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ
أَبْدًا يُدَافِعُ كُلُّ حَيٍّ بَاقٍ!

^١ الجنان: القلب؛ (و.ف.).

^٢ ج جَنَدَل: الصخر العظيم؛ (و.ف.).

وطن الإنسانية

نظمها الشاعرُ في مناسبةٍ مرور سبع سنواتٍ على هجرته إلى أميركا
التي نَعَمَّا بوطن الإنسانية

وَطَنُ الدَّوْلَارِ هَذَا؟ أَمْ تُرَى
أُبْصِرُ الْإِنْسَانَ فِيهِ، بِأُسْهُ
حَقُّرَ الدَّوْلَارِ إِذْ عَظُمَ
سَبَّحَتْ دُنْيَا لَهُ، لَكِنَّهُ
كُلُّ تَقْدِيرٍ حَبَاهُ إِنَّمَا
لَمْ يُجَاوِزْ عِنْدَهُ وَاسِطَةُ
الْحَضَارَاتِ أُذْيِيَتْ كُلُّهَا
وَرُقِي الْفِكْرُ وَالرُّوحُ مَعَا
يَقْدِرُ الْأَشْيَاءَ قَدْرًا صَادِقًا
وَيُورِي الْإِنْسَانَ حُرِّيَّتَهُ
جِئْتُهُ مُسْتَنْجِدًا فِي نَكْبَتِي
تَارِكًا خَلْفِي بِلَادًا سَامَهَا
بَعْدَ مَا حَوْرَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا
فَتَلَقَّانِي بِبِشْرٍ عَامِرٍ
نَاصِبًا لِي مَتَبِّرًا حُرًّا، كَمَا
مَرَّتِ السَّبْعُ السَّنِينَ عِنْدَهُ
كَصَغِيرٍ نَازِحٍ عَنْ أُمِّهِ

وَطَنُ رَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ؟
جَاوَزَ الْأَحْلَامَ فِيمَا فَلَسَفَهُ
فَهُوَ عَبْدٌ خَائِرٌ مَا كَشَفَهُ
مَا تَدَنَّى لِيَرَاهُ هَدَفَهُ
كَانَ تَقْدِيرًا لِمَا قَدْ خَلَّفَهُ
لِسُموٍّ عَدَّ فِيهِ شَرَفَهُ
عِنْدَهُ فِي نَضْرَةٍ مُؤَلَّفَهُ
طَابَعَ فِيهِ لِمَنْ قَدْ عَرَفَهُ
وَيَرَى الْوَقْتَ ثَرَاثًا كَشَفَهُ
إِنْ يُخْرِعُهَا فَهُوَ يَجْنِي ثَلَفَهُ
وَدَمِي شِعْرِي، فَقَلْبِي نَزَفَهُ
ذَلِكَ الطَّاغُوتُ دَهْرًا جَنَفَهُ^١
وَكِفَاحِي عُدَّ طَيْشًا وَسَفَهُ
مَاسِيحٍ دَمْعِي وَأَهْدَى أَسَفَهُ
مَدَّ إِعْزَازًا لِفِكْرِي كَنَفَهُ
وَفُؤَادِي لَمْ يُخَفِّفْ لَهْفَهُ
لَيْسَ يُنْسِيهِ سِوَاهَا دَنَفَهُ

^١ الجَنَفُ: الإثْم.

ذَنْبُهُ إِثْمَارُهُ أُمَّتُهُ
عُمُرُهُ فِي تَضَنُّحِيَاتِ جَمَّةٍ

أَيُّ عَصْرِ أَنَا فِيهِ جَائِلٌ؟
مِنْ عُلُومٍ وَفُنُونٍ جَمَّةٍ
هَذِهِ الذَّرْوَةُ فِي تَارِيخِهِ
لَمْ يَدَعْ شَيْئاً بِلَا إِتْقَانِهِ
وَطَنُ الْإِنْسَانِ مَهْمَا عَابَهُ
وَطَنُ الْإِحْسَانِ فِي بَرٍّ لَهُ
وَطَنُ الْأَحْرَارِ لَمْ يَرْتَعْ بِهِ
إِنْ يَنْلُهُ بَعْدَ هَذَا جَا حِدٌ
لَسْتُ أَنْسَى مِنْ أَيْدِيهِ عَلَى
وَكَاثِي حَاكِمٍ فِي أَمْرِهِ
وَكَاثِي رَغَمٍ فَقْرِي بَاذِخٍ
مَعْنَوِيَّاتُ الَّذِي أُغْنَى بِهِ
وَحَيَاتِي فِيهِ شِبْهُ عَوْضٍ
إِنْ أَعِشْ أَوْ إِنْ أُمْتُ فِي نَوْرِهِ
نَاقِدِي مَا كَانَ إِلَّا حَاسِدِي
أَوْ حَقُودُ شِقْوَةِ النَّاسِ لَهُ
لَا أَبَالِيهِ كَمَا لَمْ يَكْثُرْ
جَا حِدُ الْحَقِّ لَهُ الْخُسْرُ، فَمَا

وَتَفَانِيهِ لَهَا مَا اقْتَرَفَهُ
مَرَّ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ نَصَفَهُ¹

كُلُّ عَصْرِ قَبْلَهُ قَدْ كَسَفَهُ
وَعَلَى آدَابِهِ الْمُخْتَلَفَهُ
حَيَّرْتُ كُلَّ بَيَانٍ وَصَفَهُ
أَوْ جَمَالاً لَمْ يُنْلِهِ شَغَفَهُ
نَاقِصُوا الْأَخْلَامِ أَوْ مَنْ قَذَفَهُ
شَمَلَ الدُّنْيَا وَأَعْطَى تَرْفَهُ
غَاشِمٌ عَدَّ الْبِرَايَا خَرْفَهُ
بِعُقُوقٍ لَمْ يُبْدِلْ أَنْفَهُ
مُهْجَتِي مَوْقِفَ حُرٍّ وَقَفَهُ
كُنْتُ لَمَّا جِئْتُهُ مُكْتَشِفَهُ
فِي غِنَى هِيَهَاتَ أَحْصَى طُرْفَهُ
لَوْلَوْ حِينَ أُجَافِي الصَّدْفَهُ
عَنْ نَعِيمٍ كَانَ دَهْرِي خَطْفَهُ
أَنَا حَيٌّ لَا أَعَانِي السَّدْفَهُ²
أَوْ غَبِيٍّ مُسْتَطِيبٌ خَرْفَهُ
نِعْمَةً، بَاهِي بِالْوَانِ السَّفْفَهُ
عَالَمٌ حَوْلِي لِخَلْطِ أَلْفِهِ
يَخْسَرُ الْحَقُّ جُحُوداً حَذْفَهُ!

¹ نَصَفَهُ: خَدَمَهُ.
² السَّدْفَةُ: الظَّلَمَةُ.

نجمتي الجديدة

يا نجمةً في الأفق
تأملني في الشفق
تأملني في الشفق
وفيه قلبي احترق
وأستعفي من سناك
ما ضاع قبل هوائك
رشفةً وحيك نوراً
وقد يشم عبيراً
تصوّفت فيك روحي
وقد ضمدت جروحي
يا نجمتي لا تغيبني
هذي حياة الأديب
لولا حنائك مائت
وعفتها حين خانت
لا تكفني برجي وعي
ولا تقولي دموعي

بعالم لي جديد
ففيه أمسي البعيد
ففيه ذابت همومي
وفيه مائت كرومي
بنشوة لي ثعيد
من الزمان السعيد
النور لب الخلود
والعطير شغور الوجود
بكل معنى أراه
بلثم تلك الشفاء
عني فمالي نهار
في عالم منهار
دنياي في كل شيء
أنفاسها كل حي
إلى عالم حبي
ليست دعاء لربي!

إرفعيني إلى سمائك!

إِرْفَعِينِي إِلَى سَمَائِكَ حَتَّى
أَرْهَقَ قَتَ عُمُرَتِي عُمْرًا
وَتَرَايَتِ فِي سَمَائِكَ إِلَهًا
فَتَعَلَّقْتُ بِالْأَشْعَةِ مِنْ حَوْ
سَامَحَتْنِي الْأَرْضُ الَّتِي كَمْ حَبَّتَنِي
سَامَحَتْ لَفْتَتِي إِلَيْكَ، لِأَنِّي
وَاهِمٌ مَنْ يَرَى الْحَيَاةَ بِلا حُبٍّ
فَمَالَ التَّقَشُّفُ الْمُتَنَاهِي
لَا قِيودُ الْوَرَى وَلَا الْعُرْفُ يُجْدِي
إِذْ تَعَالَتْ بِي السُّنُونُ فَإِنِّي
وَكَأَنِّي كَالْكُونِ مَا شَابَ بِالرَّغْدِ
أَيُّ فَنٍّ سَأَخْلُقُ الْآنَ مَنْ بَعْدَ
قَالَ لِي الدَّهْرُ: "سَوْفَ تَأْتِي بِأَعْجَا
سَوْفَ تُعْطِي الْوَرَى الَّذِي أَنْتَ تُعْطِي
أَنَا مَتَّالِكُ الْمُغْنَى الَّذِي يَرُ
بَاتَ شِعْرِي وَبَاتَ رَسْمِي وَمَا أَجْ
ذَاكَ فَنِّي فِي ظِلِّكَ الْخَصَا
وَإِنَّا مُتُّ عَاشٍ يَسْخَرُ بِالْمَر

لَا أَرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا الْجَمَالَ!
رَغَمَ إِبْدَاعِي السَّنَا وَالْخِيَالَ
مَا وَحْبًا وَنِعْمَةً ثَثَلَا
لِي وَنَاشَدْتُ حَوْلَكَ الْآمَالَ
إِذْ رَأَيْتَنِي بِنَشْوَوتِي مُخْتَالَ
فِيكَ أَمْنْتُ بِالْإِلَهِ تَعَالَى
حَيَاةً، وَيَضْرِبُ الْأَمْثَالَ
كَمَالَ الْفُتُونِ حَالًا وَحَالًا
إِنْ أَبَى الْحُبُّ أَوْ أَرَادَ الْمُحَالَا
كَالنَّبِيِّينَ دَائِمًا أَتَعَالَى
حَمٍ مِنَ الدَّهْرِ، إِنْ يُشِيبُ أَجْيَالَ
بَلُوغِي بِقَرْبِكَ الْإِجْلَالَ؟
نِ، فَصَبْرًا، وَسَوْفَ تَحْيَا مَثَالَ
مِنْ سَنَاهَا، مُحَقِّقًا مَا اسْتَحَالَ!
سُمُّ الْحَائِثِ، وَإِنْ قِيلَ غَالِي
هَلْ مَعْنَى حَبَوْتِ أَوْ تِمَثَالَ
حَيِّ سَيَنْمُو وَمَجْدُهُ يَتَوَالِي
تَقْرِيرًا وَيُلْهِمُ الْأَجْيَالَ

لا تحسبوه صديقي!

لا تحسبوه صديقي بعد خذلاني
وزف إكليل زهر ليس ينفعني
ما كان أولاهُ لِمَا لجَّ بي مرضي
لا أن يجانبني نذلاً ويهجُرني
حسبتُ أني أساوي بعض خردلة
وكان يفرقُ إطرأً ويذكرني
حتى إذا الموتُ في أثوابٍ مُمتحنٍ
وفاتني لأعاني أزمةَ عرَضتُ
فإن يكن في شِفائي اليومَ مُعجزةً
أنا الغنيُّ بقلبي حين أرخصني
وهو الفقيرُ بثرواتٍ يُجمَعُها
عزَّ الوفاءُ فما يبقى أخو ثقة
إنني لأفقدُ أحابي وأدفنهم

في العيش إن جاء بعد الموت يرعاني
كأنه حَجَرٌ من فوقٍ أكفاني
لو زارني ورعاني، ثم عاداني
والموتُ يرمقني في موقفٍ الجاني
لديه فانهالَ تَقديرِي وحُسابي
كأن نكُري تَسبيحَ لَدَيَّانِ
أتى تَهَارَبَ من إحساسِ إنسانٍ
كأن موتي الذي قاسيتُ موتانٍ
فبعضُها بعد هذا البعثِ سُلْوانِي
من كنتُ أغليه فاستغنى وألقاني
كأنها رَمَزُ إفلاسٍ إخْوانِ
كأنها نِعْمَتِي في همٍّ دَفَّانِ
إلا بقاءَ خيالٍ دون بُرْهان!

الدَّاعِرَة

كانتُ بدايتها ختامَ زعيم
من كان رمزَ كفاحنا وفخارنا
قالوا: تخلص من مديحك أمسه
ماضيه ماضي أمّتي فأمانتي

ونهاية الإجلال والتكريم
أمسى أثيماً بل وأي أثيم
هيهات! لست وإن هوى بلئيم
وكرامتي نكراه بالتعظيم

والآن أذرفُ مَدْمَعِي لِرِثَائِهِ
وأعافُ ذَكَرَ زَنِيمَةٍ غَالِي بِهَا

حَيًّا، فَمَا أَلْقَاهُ غَيْرَ رَمِيمٍ
فَهَوَى مِنْ الْعَلِيَاءِ أَيَّ زَنِيمٍ!

سقوط الثلج المفاجئ

رويدكِ يا غازياً يَنْهَمِرُ
وَيَرْجُمُنَا دُونَ إِعْلَانِ حَرْبٍ!
وَكُنَّا اثْتِمْنَا أَوَانِ الرَّبِيعِ، فَكَيْفَ انْقَضَى؟ ثُمَّ كَيْفَ اعْتَذَرُ؟
أَبَاتَ الرَّبِيعُ خَصِيماً غَدَرُ؟

وهذي البراعمُ ما ذُنُبُهَا؟
وَنَحْلِي الْعَزِيزَاتُ مَاذَا جَنَّتْ؟
وَتِلْكَ الْوَلَائِمُ كَيْفَ اسْتَحَالَتْ وَضَاعَتْ كَحُلْمٍ غَرِيبٍ عَجِيبٍ
فَمَاتَ الْجَمَالُ وَوَلَّى الْغِنَى؟

كأنَّ الْحَيَاةَ وَنَامَوْسَهَا
عَلَى رَغْمِ أَحْكَامِهِ الْوَافِيَةِ
تَنَابَذَتَا فِي أَوَانِ السَّلَامِ وَقَدْ خَلَّفَا الْأَنْفُسَ الْعَانِيَةَ
وَسُخْرِيَّةَ مَرَّةٍ جَانِيَةِ!

صدّاحة الشرق

مهداة إلى الأنسة أم كلثوم وهي تستشفى بواشنطن العاصمة الأميركية

صدّاحة الشرقِ مُذْ أَتَّئْنَا
في النّورِ، في العِطْرِ، رَتَّحْنَا
لَمْ تَمْنَحِ العاشقين حُلماً
الكونُ من حَوْلِنَا أَغَانِ
كأنّما السُّحْرُ قد حَبَاه
نَجْوَكَ غَنَى لَنَا الأمانُ
أنفاسُكَ العذبةُ الحِسانُ
بلْ فوقَ ما أَمَلُوا وكانوا
وكلُّ دَجَمٍ لَنَا كَمَانُ^١
بكلِّ ما يُبدعُ الحنانُ!

يا مَنْ أَتَتْ تَسْتَطِبُّ مِيناً
ما كانَ في قُرْبِكَ اغْتِرَابُ
باللهِ جودي على فُؤادي
وأُنشِدي للعزاءِ شِعْراً
عاداني الدَّهْرُ نِصْفَ يومٍ
يا أيُّها المُعْرِضُونَ عَنَّا
عوفيت والفنُّ والبيانُ
ولا عَنَاءُ الَّذِينَ عَانُوا
بِنَفْحَةٍ مِنْكَ تُسْتَبَانُ
في مِسْمَعِ الخُلْدِ قد يُصَانُ
فانكشفَ الناسُ لي وبانوا
عودوا، فقد عاودَ الزَّمانُ!

جزيرة النور

من وحي نيويورك

جزيرةُ النّورِ تُحْيِينَا
أضْوَؤها أبْهَجُ أشعارِها
وتنشُرُ فَرْحَتَها فينا
وألوانُها تُحْكِي أغانيها

^١ الكمان: القيثارة.

ما عابها الصَّمتُ، ففي صَمَتِها
ساءَلْتُها لَمَّا تَأَمَّلْتُها
مَنْ أَصْغَرُوا المَالَ الَّذِي عِنْدَها
فاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ تَهَادَتْ كَمَا
وَعَطَّرْتَنِي مِثْلَ تَعْطِيرِها
دِينٌ لِأَهْلِها، وَلَمْ يَعْرِفُوا
لِوَلَاهُ، رَغَمَ كُنُوزِ لَهُمْ
البَسْمَةِ مِنْ أَسَارِيرِهِمْ
وَإِنْ تَنَادَوْا بِشَكَاءِ لَهُمْ
أَنْفَاسُ هَذَا النُّورِ لَمَّا سَرَتْ
فَجَلَّجَلْتُ فِيهِ فَكَاهَاتُهُمْ

لَا تَنْهَنِي عَنْ أَيِّ مَجَالِي أَرَى الْفِتْنَةَ فِيهِ تُحَيِّنَا
فإِنَّنِي الشَّاعِرُ، مِنْ فَنِّهِ
وَيُسَبِّحُ النُّعْمَةَ مِمَّا يَرَى
هَشَّتْ لِي الْأَشْجَارُ فِي نَشْوَةِ
كَأَنَّمَا قَدْ زِدَتْ تَطْرِيْبَها
وداعِبَتْنِي السَّامِقَاتُ الدُّرَى
وبعضُها مِنْ خَلْفِهِ جَنَّةٌ
فَكَانَ إِحْسَاسِي بِهَا أَنَّها
وَأَنَّهُمْ مِثْلِي بِعَرَفَانِهِمْ
وَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِآيَاتِها

مَا يُلْهِمُ الشَّدْوُ أَفَانِينَا
عَنْ عِشْقِها مِثْلِي المَجَانِينَا
وَأَكْبَرُوا النُّورَ المُنَاجِينَا
يَسْتَضْحِكُ الرُّوضُ رِياحِينَا
بِالنُّورِ أَحْلَامَ المُحِبِّينَا
مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُ لَهُمْ دِينَا
كَانُوا عَفَاةً بِلِ مَسَاكِينَا
فَمَا تَرَى البَاكِينَ بَاكِينَا
لَمْ يُصْبِحِ الشَّاكُونَ شَاكِينَا
حَوَّلَتِ العَانِينَ لَاهِينَا
كَأَنَّهُمْ بَاتُوا فَرَاعِينَا

أَرَى الْفِتْنَةَ فِيهِ تُحَيِّنَا
يَخْلُقُ لِلنُّورِ مَوَازِينَا
شَتَّى عَلَى الْخَلْقِ الْمُعَانِينَا
وَالْمَاءُ وَالطَّيْرُ مُغْتَنِينَا
وَأَسْكَتَتْهَا شِعْرِي بِسَاتِينَا
بِالسُّنَنِ لِلنُّورِ رَاوِينَا
وَبَعْضُهُ بِالنَّارِ يُغْوِينَا
قَدْ حَجَبَتْ جَنًّا مَلَاعِينَا
لِلْحُسْنِ، لَاهِينَ مُصَلِّينَا
وَحَيْرُها مِنْ صُنْعِ أَيْدِينَا!

أربعاء الرماد^١

أربعاء الرماد يا عيدَ أحزاني ويا رمزَ حُرْقَةِ الإنسانِ
فيكَ ذُكْرِي لنكبةٍ ولنصرٍ، ومَزِيحِ الإيمانِ والكُفْرانِ
ليسَ هذا الرمادُ مِنْ سَعَفِ النخلِ رماداً وإنما وجداني
إنَّ ماضِيَّ ماثِلٌ فيه وانحاضِرَ أيضاً ومُقْبِلِي المُتَداني
المسيحُ النَّبيلُ بَارِكْ ما فيه من الوجودِ والرُّؤى والمعاني
أتركوني يا قومُ أركعُ في هَمِّي خُشوعاً لهذه الصُّلبانِ
إنَّ أكنُ مُسليماً فقلبي حوى العالمَ طُراً كخالقِ الأكوانِ
فلسفاتُ الحياةِ ليستَ لدينٍ واحدٍ بين سائرِ الأديانِ
إنَّها الحِسُّ بالمأسى وتفسيرُ وجودٍ موزَّعٍ حَيْرانِ
مِنْ تُرابٍ نَشَأَتْ، ثُمَّ إلى التُّرابِ مآلي كَتائِهَ ظمآنِ
وأنا السائحُ الشريدُ الَّذِي يَنْعَمُ في بُؤْسِهِ العتيِّ المجاني
ذُكُّروني، نعم هنا ذُكُّروني بانتصاري العظيمِ ثُمَّ امْتِهانِي
وغُرورِ الحياةِ والخلقِ والدُّنيا مُشاعاً في روحِ هذا الزَّمانِ
ليسَ يَبْقَى سوى الجمالِ، سوى الخيرِ، سوى الحبِّ في الوجودِ الأناني!

^١ أربعاء الرماد هو بداية الصَّوم الكبير عند طوائف من المسيحيين الغربيين. وفي هذا العيد الديني تُعلَّم بالرماد جباهُ الوريثين الراكعين أمام المذبح رمزا إلى الأربعين يوماً التي يقضيها المسيحيون في التوبة والصَّوم والزكاة، وإلى أنَّ الإنسان يأتي من التراب وإلى التراب يعود. ويُستمدُّ الرمادُ من حرقِ سَعَفِ نخل الذي كان يوزَّع في أحد الشعانين بالعام السابق على جمهور المصلين المبتهجين بدخول السيد المسيح بيت المقدس منتصراً، وكان ذلك قبل أن تُكبِّب بمحاكمته وصلبه. وفي هذه القصيدة الوجدانية يعلن الشاعر عن عواطفه وفلسفته إزاء هذه المفاجعة الإنسانية.

بعث المسيح

أَرْقَصِي أَيُّهَا الْأَضْنَوَاءُ بِالْحُلُمِ الْمُرَدِّ
وَأَفْرَحِي أَيُّهَا النَّارُ لِإِيمَانٍ مُجَدِّدٍ
قَدْ مَضَى الصَّوْمُ وَزَالَ الصَّلْبُ كَابُوساً تَبَدَّدَ
وَالْمَسِيحُ الْيَوْمَ فِي عَلَيَّائِهِ حُرٌّ مُسَوِّدٌ
مَثَلُ الْحَقِّ الَّذِي إِنَّ ظُنَّ بِهِ يَبْلَى يَتَجَدَّدُ
مَثَلُ الْحُبِّ الَّذِي فِي الْكَوْنِ يَسْتَجْلِيهِ مَعْبَدٌ
مَثَلُ النَّبْلِ الَّذِي لَوْلَاهُ فِي الدَّهْرِ تَشَرَّدَ
مَثَلُ الْإِنْسَانِ فِي اللَّهِ تَسَامَى وَتَوَحَّدَ
ثَارَ لِلْعَدْلِ فَخَرَّ الظُّلُمُ حِينَ اغْتَرَّ وَانْهَدَ
وَارْتَضَى الْأَلَامُ أَمْنًا حَابًا وَعَدَّ الْمَوْتَ أَخْلَدَ
وَدَعَّ الدُّنْيَا عَيُوفَ النَّفْسِ بَيْنَنَا الْحِظُّ عَرِيْدُ
حَامِلًا كُلَّ خَطَايَا النَّاسِ كَالصَّرْحِ الْمُرَدِّ
صَاعِدًا نَحْوَ السَّمَاوَاتِ شِهَابًا أَوْ مُهَنَّدًا
فَاتِحًا مُلْكًا جَدِيدًا مَا تَنَاهَى وَهُوَ يَمْتَدُّ
بَشَّرَ الْأُمْلَاكَ وَالْأَفْلَاكَ بِالسُّلْمِ وَعَبَّدَ
فَإِذَا الْأَكْوَانُ فِي الْأَضْنَوَاءِ تُهْدِي النُّورَ لِلْغَدِ
بَعْدَمَا زُلْزَلَتْ الْأَرْضُ وَقَدْ كَانَتْ تُهْدَدُ
بَعْدَمَا أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا وَكَانَ الضُّوْءُ أَسْوَدَ
فَتَهَادَى الْيَوْمَ يَا دُنْيَا بِمَاسٍ أَوْ بِعَسَنٍ جَدِّ
عَيْدِي بَيْنَ رُمُوزِ الْحُبِّ مَخْضَلًا مُهَذَّهً

وَأَجْعَلَنِي الْأَرْضَ أَزْهَى لَأَمَّا لِي تَمَهَّدْ
عَابِقَاتِ بَشْتِ ذِي الْفَرْحَةِ كَالسَّحَرِ الْمَوْسَدِ
عَيْدِي مَا شِئْتُ، هَذَا الْعِيدُ كَاللَّهِ مُمَجَّدُ
عَبَّاتِ الْأَدْيَانِ وَالْآدَابِ مِنْهُ تُتَزَوَّدُ
هَذِهِ الْحُلُوى وَهَذَا الْبَيْضُ أَشْعَارُ يُقَصَّدُ
وَالْحَفَافِي الْمَوْكِبُ السَّانِي لِشَغَبٍ يَتَعَبَّدُ

أَيُّهَا الْحَجَّاجُ فِي الْقُدْسِ زُرَافَاتُ تَأْوَدُ^١
أَنَا مِنْكُمْ رَغْمَ بُعْدِي فِي صِلَاةٍ لَا تُحَدَّدُ
عَرَفْتُ فَلَسْتُ فِتِي الرَّمَزِ كَعِرْفَانِي "الْمُجَرَّدُ"
وَكَأَنِّي قَدْ حَضَرْتُ الصَّلَاةَ وَالْبَعَثَ الْمُسَدَّدُ
فَأَبَتْ لِي غَيْرُ الْهَانِي مَا يُرَوَى وَيُسْرَدُ
إِنَّهَا دَمْعِي وَأَشْجَانِي وَثَأْرٌ يَتَوَقَّدُ
إِنَّهَا حُبِّي الَّذِي يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ الْمُخَلَّدُ!

لنكلن

وَابْنَ الْكِفَاحِ عَلَى الْمَدَى، قَهَّارَا
رُوحُ لَكَ، النُّورِ النَّبِيلِ مِرَارَا
تَسْتَلْهُمُ الْأَلَامُ وَالْأَكْثَادَارَا

يَا ابْنَ الْخِصَاصَةِ، حِينَ تُحْسَبُ عِرَّةُ
فِي ظُلْمَةِ الْكُوخِ الْحَقِيرِ تَشْرِيَتْ
فَنَشَبَتْ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى الْوَرَى

^١ تَأْوَدُ: تَتَأَوَّدُ: يَنْقَلُ سِيرَهَا الْمَتَلَاظِم.

وَكَدَحْتَ طِفْلاً فِي الْحُقُولِ، وَبَعْدَهَا
فَإِذَا تُبَوَّغَكَ فِي الطُّفُولَةِ سَاطِعٌ
وَإِذَا شَبَابُكَ فِي فَصَاحَةِ مَدْرِهِ
وَبُعِثْتَ مَنُودِياً لِنَدْوَةِ أُمَّةٍ
دَافَعْتَ فِيهَا عَنْ كَرَامَةِ مَنْ هَوُوا
نَادَيْتَ: "لَنْ تَبْقَى الْغَدَاةُ حُكُومَةً
هِيَهَاتَ غَيْرُ الْحَقِّ يَخْلُقُ قُوَّةً
فَلَنُطْلِقَ الْأَسْرَى وَهُمْ أَخَوَانَا
وَبَلَغْتَ أَعْلَى مَنْصِبٍ قَدْ زِدَّتُهُ
لَوْلَا التَّعَصُّبُ فِي الْجُنُوبِ أَثَارُهُ
وَأَبَوْا سِوَى الْحَرْبِ الْأَثِيمَةِ وَحَدَّهَا
فَجَعَلْتَ تَحْرِيرَ الْعَبِيدِ سِيَاسَةً
حَتَّى إِذَا انتَصَرْتَ جِيُوشُكَ لَمْ تَعُدْ
وَأَخَذْتَ تَبْنِي مَنْ جَدِيدَ حَظِّهَا
وَبَدَا الرَّجَاءُ مِنَ الرَّمَاةِ كَأَنَّهُ
فَإِذَا الْقَضَاءُ مُهَيَّئٌ لَكَ مَصْرَعاً
كَلّاً، وَكَلّاً، مَا قُتِلْتَ لِمَيَّةٍ
عَمَدْتَ بِالدَّمِ أَثْهَابَ الْفَادِي لَنَا
مَا أَنَّ مَظْلُومٌ وَضَحَى مَا جَدَّ
وَرَأَى فِي أَحْلَامِهِ وَيَقِينُهُ

فِي اللَّيْلِ تَكْدَحُ دَارِساً صَبَّاراً
مِثْلَ الضُّحَى نَوْرًا أَغْرَ وَنَاراً
بَهَرَ الْكِبَارَ وَمُلِّكَ الْإِكْبَارَ
قَدَرْتَ تُبَوَّغاً فِيكَ لَا يَتَوَارَى
فِي الرِّقِّ وَاعْتَنَقُوا الْأَذَى وَالْعَارَ
مَا لَمْ يَكُنْ أَشْيَاعُهَا أَحْزَاراً
هِيَهَاتَ مَهْمَا يَخْلُبُ الْأَنْظَارَ
فِي الرِّقِّ، قَدْ وَجَدُوا الْحَيَاةَ بَوَاراً
فَخَرَأَ، وَزِدْتَ جَلَالَهُ أَعْمَاراً
رُعْمَاؤُهُ فِي حُمُقِهِمْ إِعْصَاراً
رَدّاً وَغَيْرَ جُمُوحِهِمْ أَنْصَاراً
وَتَخَذْتَ تَوْحِيدَ الْبِلَادِ مَنَاراً
إِلَّا زَعَبِمَ بِلَادُكَ الْغَفَّارَ
كَالْغَيْثِ يُطْلَعُ فِي الرَّبِيِّ النَّوَارَ
بَعَثْتَ أَعَادَ خِلَافاً وَدِيَارَ
- وَهَاهُ لَه - وَالنَّصْرُ صَارَ مُعَارَ
بَلِّ لِلْخُلُودِ مَكْرَراً وَجَهَارَ
مُثْلاً عَلَى الْأَدْهَارِ سَوْفَ تُجَارَى
إِلَّا وَكُنْتَ لَهُ لَظَى وَشَرَارَ
أَبْدَأَ، فَهَمْ يُصَارِعُ الْجَبَّارَ!

تحية الجمهورية المصرية

١٨ حزيران / يونيه سنة ١٩٥٢

فيا قبلي طيري لها واشبّعي لثما
من الشّعْر، بل كوني لها الأمل الجمّا
فُنونا من الإلهام تُكسبُها الحرّما
كما أسكنَ المجدَ المرفرفَ والنّجما
لنشوتها الأحلام^١ أضعافها نُعمى
ضخاما تعالت، لا تُحدُّ وقد تُنمى
بمصر، وبارك أنتَ وتبّتها العظمى
أبى الحقُّ أن يلقى به العارَ والظلما
فإن هي ضاعت صارَ ما دونها إثما
- وقد بليت ما تهوين - أن تخلي الضيما
فمن يقبل التفريق يستأهل الرّجما
من العدل، لو أثرته مجدك الضخما
فكم أمة هانت بإعزازها الوهما
بحذقهما من حدّ مطلبك الأسمى
وما برحا والدّهْر كالطائش الأعمى
وقد كان كالمحموم سكران بالحمى

إنّ مصرُ عانت تُقنّي مجدها الأسمى
ويا فرحتي لا تُكتفي بفريدة
ورغني حواليتها رؤى تسعّيدها
شأى الشّعْر وحي السيف في وتباته
وبشّر بالأحلام^٢ حتّى تفتقت
وانجبَ فيا للحياة معانيا
فيا معزف الأرباب جلجل مرحبا
إذا الحكم للجُمهور أصبح رائدا
وما العدل إلا للمساواة وحدها
فيا أمة النيل المبارك حاذري
ولا تقبلي التفريق في أيّ مظهر
وما كانت الآثار أبقي على البلى
أعيدك من وهم يصير عقيده
أعيدُ جمالا^٣ والزعيم محمدا
قد انتزعا من قبل حظك عنوة
تجبر واستعلى فرداه صاغرا

^١ الرّوى.

^٢ العقول.

^٣ جمال عبد الناصر.

^٤ محمد نجيب.

وها أنت بالعهد الجديد طليقة
 ففي كل شبرٍ من ثراكِ خميلة
 وفي كل مرأى من سمائكِ كوكب
 وفي كل ركنٍ من ربوعك ملجأ
 وفي كل ذهنٍ من بنيك بواعث
 وفي كل قلبٍ نشوة علوية
 تبدلت الأيام حتى كأنما
 كأن بناناً للمسيح لمسناها
 فيا مصرُ عَضِي بالنواجز حرة
 وهيا أعدِّي للغد المرتجى على
 إخاء وتنظيماً وعلماً وهمّة
 ولا تشتكي من لاجئ اليثم بعدما
 ألا في سبيل المجد ما قد غنمته
 فإنك للأقوام أمثلة الهدى
 تبارك ربِّي حين يُنصِفُ أمة
 وتذكر أن الفهم من رأس مالها
 ولا تستطيب الموت طوعاً إمارد
 ولا ترتضي يوماً مساومة له
 وخان ثراثاً للجود مقدساً

عزيزٌ على مثلي البعاد وقد زهت

ومُنْجبةً أعلامَ نهضتك الشُّمّا
 وقد كانت الويلاتُ تغتاله قَضُما
 يبلُ بنورٍ منه لوعة من يظما
 تلوذُ به خيرُ المواهبِ أو تُحْمى
 لينجبَ حينَ الأَمْسِ قد ألفَ العُقما
 فصار إذا يأتُم بالخيرِ مؤتمّا^١
 بنعمتها لما نزل حوّلنا حلماً
 فبلّتن عنها الدُّعْرَ والحُزنَ والسُّقْمَا
 على ما كسبت اليومَ واغتيمي اليوما
 تَبْرُ بِاعْجَازِ لها كُلُّ ما تَمّا
 وفنا تهزُّ الغافلين أو الصُّمّا
 أزلت بهذا النُّصرِ مِنْ دَمِكِ اليثما
 وها هو قد أضْحى لِكُلِّ الوري غُثْمَا
 وما خَصَّ شَعْباً يَسْتَفِيقُ ولا قوما
 تعافُ ذليلَ العيشِ واليأسِ والنُّوما
 وهل يُقدِّرُ الإنسانُ إنْ طُلِقَ الفَهْمَا؟
 وتَصْنَعُهُ إنْ ثار واستمرَّ اللُّوما
 فمن ساومَ الطُّغيانَ مُقْتَرَفٌ جُرْمَا
 كما خان عهداً لا يُكَيِّفُ أو يُسْمى!

منايرك الزهراء تستقبل السَّلما

^١ متبوعاً أو إماماً.

عَزِيزٌ وَفِي قَلْبِي حَنَانٌ مُورِقٌ
إِذَا جِئْتُ هَذَا الْيَوْمَ أَرْجِي نَهَانِي
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ نَفْسٌ عَجِيبَةٌ
وَقَدْ تَرَفُّضُ الشَّهْدِ السَّلَافَ لَوْهَمَةٌ
فَإِنْ لَمْ أَزَلْ رَهْنِ التَّزَمَّتْ ثَائِرًا

وَحَسَنِي، عَلَى رَغْمِي، مُفَارَقَتِي الْأَمَّا
فَمِنْ قَلْبٍ مَحْرُومٍ تَهْلُلُ إِذْ يُذْمَى
تَعِيشُ عَلَى الْأُضْدَادِ مَهْمًا تَكُنْ غُرْمًا
وَتَعْشَقُ مَوْتَ النَّبْلِ إِذْ تَكْرَعُ السَّمَاءَ
فَطَوَّعَكَ قَلْبِي الْمُسْتَعِزُّ بِمَا ضَمًّا!

جورج واشنطن

مُؤَسَّسَ الدَّوْلَةِ الْمَرْهُوبِ جَانِبَهَا
وَمَنْ تَظَلُّ الْمَعَالِي مِنْ مَبَادِئِهَا
وَمَنْ يَشِيمُ بِهَا الْأَحْرَارُ قُدُوتَهُمْ
وَمَنْ تَعِيشُ بِهَا الْأَجْوَاءُ أَجْمَعُهَا
كُلُّ لَهُ مَنْزِلٌ حَيٌّ وَمُؤْتَلَفٌ
حَتَّى الطُّيُورُ تَغْتَنِّي فِي مَوَائِلِهَا^١
حَتَّى الْوُحُوشُ الَّتِي تُمَحِي مَسَارِحُهَا^٢
حَتَّى الطَّبِيعَةُ فِي أَرْجَائِهَا سَكَنَتْ
الْيَوْمَ مِيلَادُكَ الْوَضَاءُ نَعْرِفُهُ
أَبَا الْبِلَادِ الَّتِي يَحْيَا الْجَمِيلُ بِهَا
وَفِي الْجَمِيلِ الْمُحَلَّى مِنْ بَوَاسِقِهَا
وَفِي جَمِيعِ نَوَاحِيهَا كَأَنَّ بِهَا

وَمَنْ شَأَتْ قِمَّةَ الدُّنْيَا مَبَانِيهَا
وَبَاقِيَاتُ الْمَزَايَا مِنْ مَعَانِيهَا
وَيَعْرِفُونَ الْأَمَانِيَّ أَمَانِيهَا
مِثْلَ الشُّعُوبِ الَّتِي قَدْ أُسْعِدَتْ فِيهَا
وَعِزَّةٌ لَمْ تَكُنْ وَهْمًا وَتَمْوِيهَا
بِنَشْوَةِ فَوْقَ مَا أُوحَتْ أَغَانِيهَا
مِنْ الْعَدَاءِ تَهَادَتْ فِي مَجَالِيهَا
فِيهَا الْأُلُوهَةُ أَلْوَانًا لِرَائِيهَا
وَإِنْ حُجِبَتْ بِأَثَارِ نُحْيِيهَا
مُكَرَّرَ الْعِطْرِ يَجْرِي فِي أَقَاحِيهَا
وَفِي الطَّلِيْقِ الْمُغْنِي مِنْ قَمَارِيهَا
لِذِكْرِكَ السَّمْحِ تَقْدِيسًا وَتَأْلِيهَا

^١ موقل: Sanctuaries.

^٢ مسارح: Roomaries؛ (كذا في الأصل ولعلها Roomages؛ و.ف.).

وفي جميع مبادئها التي انتشرت
يا مَنْ تَبَنَّتْكَ أَخْلَاقُ مَنْزَهَةٍ
جَعَلْتَ سِيرَتَكَ الْغُرَاءَ رَائِدَةً
يا قَائِدَ الثَّوْرَةِ الْكُبْرَى وَمُنْمِيَهَا
وَأَخِذَ النَّصْرِ وَالْإِيَّامِ مُدْبِرَةً
أَمَنْتَ بِالْحَقِّ حَتَّى صِرْتَهُ رَجُلًا
وَإِذْ نَجَتْ مِنْ أَذَى الطَّاغُوتِ ظَافِرَةً
وَلَمْ تَزَلْ يَا أَبَا إِنْ نَامَ عَنْ وَلَدٍ
حَاشَاكَ، فَالْمَوْتُ لِلْأَحْرَارِ مُخْلِدُهُمْ
وهكذا سيرة الأبطال ملحمة

فَرَنَحْتَ أُمَمًا شَتَّى مَبَادِيهَا
عَنِ الصَّغَارِ فَتَاهَتْ فِي تَبَنِّيهَا
لِلرَّائِدِينَ فَعَبَّوْا مِنْ دَرَارِيهَا
حَتَّى اسْتَحَالَتْ لَظَى أَفْنَى أَعَادِيهَا
وَالْخَصْمُ يُمَعِّنُ تَحْقِيرًا وَتَسْفِيهَا
وَبِالتَّقَى فَعَدَا دِينَأَ أَهْلِيهَا
بِعِزِّهَا كُنْتَ رَبَّانًا يُرَاعِيهَا
وَأَمُّهُمْ لَمْ يَنَامُوا عَنْهُ تَنْوِيهَا
وَالْمَبَادِي مُعْلِيهَا وَمُحْيِيهَا
الْخُلْدُ شَاعِرُهَا وَالْدَّهْرُ رَاوِيهَا

قصيدة

أَهْتَرُ قُرْبِكَ كَالزَّمَانِ قَصِيدَةً
وَتُنْخِصِدِينَ قَصِيدَتِي كَمَشَاعِرِي
تَجْرِي أَنَامِلُكَ الرَّشِيقَةُ فَوْقَهَا
يَا نَبْعَ الْهَامِي الْمُنُورِ دَائِمًا
فِي كُلِّ لَفْظٍ فَوْقَ مَا حَمَلْتُهُ
أَتَلُو سَطُورِي بَعْدَمَا دَبَّجْتُهَا
الْبَاسِمَاتِ وَكُنَّ قَبْلُ بَوَاكِيَا
وَالْعَاطِرَاتِ مِنَ الْجَنَانِ وَمَا أَرَى

يَا لَيْتَ قَلْبِكَ كَانَ يُدْرِكُ مَا بَيَا
فِي حِينَ تَنْتَفِضُ الْحُرُوفُ أَغَانِيَا
جَرِي النَّسَائِمِ مُنْعِشَاتٍ بِأَلْيَا
مَاذَا سَكَبْتَ بِهَا غِنًى وَمَعَانِيَا؟
وَوَهَبْتُهُ فَصَافَا وَجَاوَزَ رُوحِيَا
نَبَضَاتِ قَلْبِي الْمُرْقِصَاتِ خِيَالِيَا
وَالْأَسِيَّاتِ وَكُنَّ قَبْلُ دَوَامِيَا
إِلَّاكَ يَنْفَحُهَا الْعَبِيرُ الْغَالِيَا

والمعجزات المخلدات الفانيا
نشوى وأحلاماً تجدد ماضيا
من قبل عادت لي أحب رجائيا!

والشاعرات وكن أمس جوامداً
والراويات من الرحيق عواطفاً
هذي قصيدتي التي أنكرتها

حنين

من وحي يوم ٢٢ تموز / يولييه سنة ١٩٥٢

جم، وعيد كرامة لإلادي
صحفي، وأسعد رغم طول بعادي
جعل الحنين له عطور وداو
حرب عليّ ولسن من أولادي
من بعدهن على البعاد أنادي
شئى تزيد وفاتها تعدادي
ونما، ولم يقتله غبن أعادي
والجذب حول جذورها متمادي
أبداء، وإن رويت فهن صوادي
فداه، لا مستثمر متمادي
ومنعت من إرشاده برشادي
مثل المنارة^٢ فوق كل سواد
عمرأ وما زالوا من الأسيا

عيدان: عيد تحرر وتفاؤل
بهما أتية وإن نسيت وأهملت
شان المحب إذا جفاه حبيبته
أواه من لهفي، كان خاطري
فارقني شوقاً لمصر، وفئتني
من مبلغ وطني الحبيب عواطفني
كالنبت أغفل فاستثير تطلعاً
ومن النفوس روية من مائها
ومن النفوس فقيرة لا تغتني
ظمتني إلى وطني ظماء معذب
فارقته لما حرمت وفاءه
وجعلت منبري المعلقى غربتي
في حين غص بماكرين تذبذبوا

^١ أي مزرية لذتها.

^٢ إشارة إلى بناء المنارة في موضع خارج المدينة، فكلاهما، (أي الشاعر والمنارة)، معترب عنها.

حَسْبِي تَرَعْرُعُهُمْ لِأَوْثَرِ غَرْبَتِي
مَا كُنْتُ مَنْ يَرْضَى الْإِهَانَةَ صَاغِرًا
سَاعِيشُ فِي اسْتِقْلَالِ رُوحِي، نَافِيًا
وَأَفْوَتُْ لِلتَّارِيخِ ذِكْرِي هَادِيًا

بوركْتَ جُمْهُورِيَّةً لَمْ تُمَتِّهَنْ
عُنْوَانُهَا الشُّورَى، وَلُبُّ لُبَابِهَا
أَغْلَى ثِرَاثِكَ وَخُدَّةٌ وَعَدَالَةٌ
فَلْتَحْفَلِي بِهِمَا، وَبَعْدُ فَعِيْدِي

وَشُمُوخُهُمْ لِأَعِيشَ فِي الْأَصْفَادِ
وَنُهَايَ لِي مَجْدٌ وَقَلْبِي زَادِي
نَفْسِي، إِذَا مَا خَانَنِي أُنْدَادِي
إِنْ فَاتَ هَذَا الْجِيلَ حَقُّ جِهَادِي!

مَا بَيْنَ إِقْطَاعٍ وَبَيْنَ فَسَادِ
صَوْنُ الْحُقُوقِ وَعِزَّةُ الْأَفْرَادِ
بِهِمَا نَمَتْ وَسَمَتْ أَعَزُّ بِلَادِ
مَا شِئْتُ، أَوْ فَدَعِي حُلَى الْأَعْيَادِ!

زفاف عيسى

من وحي بردجها مبتون في لونخ أيلند إلى الصديق الحبيب عيسى خليل صباغ

نُبِّئْتُ أَنَّكَ عَنْ قُرْبٍ سَتُسْعِدُنَا
وَذِي سَطُورٍ عَلَى بُعْدٍ أُحْمَلُّهَا
حَيْثُ الْأَزَاهِيرُ حَوْلِي لَيْسَ يَنْقُصُهَا
وَحَيْثُ فِي الطَّلِّ أَنْغَامٌ تُدَاعِبُنِي
وَحَيْثُ بَكَرَتْ الْأَطْيَارُ شَادِيَةً
وَحَيْثُ تَبْتَهِجُ الْأَشْجَارُ رَاقِصَةً
وَحَيْثُ فِي الْعُشْبِ عِبَادٌ تَصَوِّفُهُمْ
وَحَيْثُ رَفَّتْ فَرَاشَاتُ كَالِهَةٍ
وَحَيْثُ مَا حَشَرَاتٌ لَا عِدَادَ لَهَا

بِيَوْمِ عَرْسِكَ... إِنِّي جَدُّ مُنْتَظِرٍ!
شَوْقِي إِلَيْكَ بِيَوْمٍ عَاطِرٍ مَطَرٍ
إِلَّا مُحْيَاكَ سَمَحًا مَالِيًا نَظَرِي
كَأَنَّهَا مِنْ مَعَانِي شَدُوكَ النَّضِيرِ
وَالطَّلُّ يَغْمُرُهَا بِالْحُبِّ وَالْخَفَرِ
بِالذِّكْرِيَّاتِ، وَمَنْ أَلَوَانِهَا ذِكْرِي
سُجُودُهُمْ فِي الْحَصَى وَالشُّوْكَ وَالْحَجَرِ
يَبْحَثْنَ عَنْ عَالَمٍ لِلْحُبِّ مَبْتَكِرِ
نَائِنَ عَنْ صَوْرِ الْعُدْوَانِ وَالْخَطَرِ

وَتَذُنْ بِالْغَيْثِ وَالْأَزْهَارِ أَمْنَةً
كَأَنَّمَا هِيَ أَهْلُوهَا وَأَخْوَتْهَا
كَأَنَّمَا هِيَ بَعْضِي حِينَ أَرْمُقُهَا
وَحَيْثُمَا السَّاحِلُ الدَّفَافِي لَزُورَتِهِ
نَظَرْتُهَا كُلَّهَا فِي خُطْفٍ نَاطِرَتِي
فَقُلْتُ يَا لَيْتَ عَيْسَى كَانَ نَاطِرَهَا
وَإِذْ حُرِمْتُكَ صَاحَ الشَّعْرُ فِي قَلَمِي
وَمَنْ عَوَاطِفِ قَلْبِي أَنْتَ مُسْعِدُهُ
يَا مَا أَقَلَّ الْأَلَى يَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ

وَقَدْ حُمِينَ بِمَنْ نَاجِينَ مِنْ شَجَرٍ
وَإِنْ شَمَخْنَ وَمَا شَاكَلْنَ لِلْبَصْرِ
تَهْفُو إِلَيَّ وَلَمْ يَعْلُقْ بِهَا ضَرَرِي
كَنَزُّ مِنَ التُّبْرِ أَوْ كَنْزٌ مِنَ الدَّرْرِ
كَأَنَّمَا مَعْرِضٌ قَدْ طَافَ بِالصَّوْرِ
قُرْبِي، وَكَانَ لِسَانِي الْيَوْمَ أَوْ وَتَرِي
لَكِي أَخْصَكَ بِالْجِيَّاشِ مِنْ فِكْرِي
فِي كُلِّ حَالٍ، وَحَامِيهِ مِنَ الْغَيْرِ
وَيُسْعِدُونَ الْوَرَى إِسْعَادَ مَقْتَدِرِ!

٢٣ تموز/يوليه ١٩٥٩

يوم الجمعة

من وحي بردجها مبتون في لونخ أبلند
مهداة إلى الصديق الأستاذ الدكتور موشي برطن

حَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مُعْتَزِلًا
هَذَا تُحَدِّثُ عَنْ دِينَ عَنَاكِيبَا
وَمَارْحُ الطَّيْرِ غَرِيدًا وَمُسْتَمْعًا
وَرَهْبَةً الرِّيفِ فِي نَبْتٍ وَفِي حَجَرٍ
كَأَنَّمَا كُلُّ رُكْنٍ فِيهِ صَوْمَعَةٌ
مَلَأَ الْأَشْعَةَ أَوْ ظَلَّ لَهَا نَخِيرٍ
وَفِي هَوَى حَشَرَاتٍ مِنْ تَبْرِجْهَا

مَثَلِي، وَتَنْ بِحَقِّ كَعْبٍ أَحْبَابٍ
كَمَا يُحَدِّثُ عَنْهُ الْجَدُولُ الْجَارِي
وَوَائِبُ الْعَطْرِ مِنْ حَانُوتِ عَطَارٍ
كَمَعْبِدٍ مُسْتَقَرٍّ مِنْذُ أَذْهَارٍ
رَفَّتْ أُنَاجِيلُهَا مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ
وَفِي تَبَسُّمٍ أُنْدَاءٍ وَأَزْهَارٍ
كُلُّ الْمَعَانِي لِعُشَّاقٍ وَسُومَارٍ

هَـنَا تَوَحَّدَتِ الأديانُ صادقةً
هَـنَا المحبَّةُ كنزٌ لا انتهاءَ لَهُ
هَـنَا الورى كُلُّهم إيمانُهم عَمَمٌ
هَـنَا الحياةُ حياةٌ لا حُدودَ لها
هَـنَا وَدِدْتُكَ في قُرْبى تُشاركُنِي
قدِ اعتنقنا الهدى، لكنْ تصوَّفنا
وفاتَ أوهامٌ مَنْ هاموا ومن زَعَموا
فَنَحْنُ أبناؤُها الأبرارُ أجمَعُنا
وكلُّ مَنْ جاءَها أَهلٌ لِنِعْمَتِها

ولم تَوَزَّعْ لَأُنْجاسٍ وأطهارِ
والفنُّ يَخْتالُ في لَحْنٍ وأشعارِ
ولا تُفرِّقُهم أهواءُ فُجَّارِ
وعُزِّلتي هيَ تَسْبِيحي وإِثاري
هذا الجمالُ زميلَيْنِ بأسفارِ
بَرَّ التَّصَوُّفِ في آياتِ "ذَكَارِ"
أنَّ الطَّبيعةَ خَصَّتْهم بأسرارِ
لدى حِماها وما هامَتْ بِمُختارِ
وكلُّ مَنْ زارَها كعبٌ لأخبارِ

٢٤ تموز/يوليو ١٩٥٣

من وحي الطبيعة

في بردجها مبيتن بلونخ أيلند من ولاية نيويورك
مهداة إلى الصديق الأملعي مصطفى عبد اللطيف السحرني

دورٌ من القَدَمِ الغالي مُجلَّةٌ
أرْنو إليها فتَعُدوني بنظرِها
وبَعْضُها صاحبُ العَلِّيقِ في شَغَفٍ
جلستُ في المَرَجِ كالْمَشْدُوهِ أرقبُها
أنا الغريبُ الَّذي يَرْجو رِعايَتَها
هلِ العِصافيرُ والغُرَبانُ تُسْعِدُها

تَبَعَّثَرْتُ بينَ أشجارٍ وغيطانِ
إلى تَرْقُرقِ غُدرانِ وشُطانِ
كأنَّها في عِناقٍ ليسَ بالفاني
فلَمْ تُعْرِني التفاتاً بعدَ نِسْيانِي
فما لها شُغِلَتْ عن خَيْرِ حُسبانِي؟
وليسَ تُسْعِدُها أشواقُ إنسانِ؟

لا بدع إن كانت الأسلاك^١ حاشدة
والشمس تُضفي سناءً من أشعتها
أم أنني في نزوحي عن مشاهدتها
وصار أولى بها من رام ألفتها
"حانز من الشمس" قالوا "إنها خطر
فقلت: "يا حبذا! فالنار في لهفي
لقد هجرت نيويورك لأعبدتها
لم يشكها شجر أو طائر غرد
ولا اشتكت حشرات ثم راقصة
فكيف أشكو وأخشى من توهجها
كأنما أختنن حين مجدها
كأنني البحر في موج يغازلها
وأقبلت زمراً شتى تكلمني
حتى السكون الذي حولي له لغة
حين السماء التي تاهت بزرقته
من كل هذا وهذا أسئد غنى
أعيش في وسطها من بعض نفحاتها
كما رجعت إلى المفقود من عمري
وأملأ العين من ألوان خمرته
حتى إذا الليل وافى في سكينته
نظمت شعري هذا من مباهجه

^١ أسلاك التليفون المنصوبة على العمدة.

بهن في صلوات مثل رهبان
كان إشعاعها غفران ديان
صار احتفائي بها أدنى لنكران
في كل فصل ولم يحفل بميزان
وإن تقبيلها إحراق نيران!
فما أبالي إذا شبت بجثمانني
فكيف أحذرهما في فرط إيماني
ولا أزهير من ميراث نيسان
كأنها الفن والإشعاع في آن
والشمس روعي والهامي وجثمانني
قد ناب عني في حبي وقرباني
أو أنني العشب في أحلام نعسان!
من الطيور، وقد جاوبن ألحاني
ترددت في حنايا كائني الثاني
تنافس البحر في معنى وألوان
كأنما نظراتي لوح فنان
وقد نسيت تباريحي وأشجاني
مجدداً في نعيم ناظر ساني
كأنني شارب أكواب رضوان
ودغدغ البدر بالإشعاع وجداني
ومن مباهج يومي الناعم الهاني

هدية، الروح من نَعْمَى يُعَاشُ لها
مَضَتْ سُنُونٌ عَلَى يَوْمٍ لَفُرَقْتِنَا
فَانْتَنَا شُعْرَاءُ فِي تَصَوُّفِنَا

إلى صديقٍ أُرَاعِيهِ وَيُرْعَانِي
وَلَمْ نُفَرِّقْ بِأَرْوَاحٍ وَأَبْدَانِ
وَقَدْ سَمَوْنَا عَلَى تَحْدِيدِ إِمْكَانِ!

٧ تموز/يوليه ١٩٥٣

تمهل يا قطار!

من وحي الريف في بردجها مبيتون عند العودة إلى نيويورك
في الثامن والعشرين من تموز / يوليه ١٩٥٢

تَمَهَّلْ يَا قِطَارُ! عَلَامَ تَجْرِي
أَتَحْسَبُ فِي الْمَدِينَةِ أَيَّ سِحْرِ
وَهَذَا الْبَحْرُ يَمْلَأُهُ هَدِيرٌ
وَهَاتِيكَ السَّوَائِمُ فِي إِخَاءِ
وَكُلُّ النَّاسِ فِي دَعَاةٍ وَيَشْرِ
بُيْرَتُهُمْ وَتُصَانُ بِغَيْرِ قَفْلِ
أَتُسْرَعُ هَكَذَا وَتَقُوتُ دُنْيَا
وَفِيهَا الطَّيْرُ صَاحِبُ فَلَاسَفَاتِ
وَفِيهَا الزَّهْرُ رَمَزٌ لَمْ يُكَيَّفْ
وَفِيهَا تَعْرِفُ الْحَشَرَاتُ شَتَّى
وَفِيهَا الْأَرْنَبُ اللَّاهِي حَكْثُهُ
وَفِيهَا تَنْبُتُ الْخُضْرُ ابْتِهَاجاً
وَفِيهَا النُّورُ تَمْلَأُهُ الْمَعَانِي

وَأَنْتَ مُخَلَّفٌ يَنْبُوعَ شِعْرِي؟
وَهَذَا الرِّيفُ يَنْفُتُ كُلَّ سِحْرِ؟
حَنُونٌ مُشَبَّهٌ هَمَسَاتِ فَجْرِ؟
وَأَمِنْ هَاهُنَا تَلْهُو وَتَجْرِي؟
وَمَا عَرَفُوا بِمِقْيَاسٍ وَقَدَرِ؟
وَصَفْوُهُمْ يُشَاعُ بِغَيْرِ أَجْرِ
تَفِيضُ بِكُلِّ تَرْحَابٍ وَيَشْرِ
وَفِيهَا كَادَ يُنْشِدُ كُلُّ صَخْرٍ؟
خِلَافَ الزَّهْرِ فِي أَكْنَافِ مِصْرِ؟
أَغَارِيدُ الصَّبَابَةِ دُونَ سِرِّ؟
صَدَاقَةُ كُلِّنَا اللَّاهِي لِهَرِّ؟
إِذَا أَثَارُهَا رَفَّتْ بِسُكْرِ؟
فَتَغْمَرُ كُلُّ وَجْدَانٍ وَفَكْرِ؟

وغيها اللَّيْلُ تَمْلُؤُهُ الْأَمَانِي
وفيها الْحُبُّ يَنْضُرُ فِي شَبَابٍ
أُسْرَعُ هَكَذَا عَنْ كُلِّ هَذَا

كواكِبُ لَمْ تُحَدِّ بِأَيِّ سَيْرٍ؟
وإنْ هَوَّئَتْ فَاتَ رَبِيعَ عُمْرٍ؟
لَعَلَّكَ أَنْتَ تَجْهَلُ حِينَ تَذَرِي!

٢٨ تموز/يوليه ١٩٥٣

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ

أَرْشَدَ اللَّهُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ
كَلَّمَا هَزَّهَا الصَّلَاحُ لَخَيْرٍ
أَيُّ مَعْنَى لِكُلِّ هَذِي الدَّعَاوَى
بَنَاهَا الْجَهْلُ وَالْحِمَاقَةُ بَنَاءً

إِنْ تَدُمُ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَانِ
نَبَذَتْهُ بِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ
غَيْرُ مَعْنَى الدِّمَارِ وَالْأَلْغَامِ
فِي طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ وَالْإِقْدَامِ؟

لَسْتُ أَدْرِي وَاللَّهِ أَيُّهُمَا أَنْكَبَى: أَبْطَشُ الْمُسْتَعْمِرَ الْمُتَعَامِي
أَوْ بَنُوها اللُّصُوصُ مَنْ أَوْغَلُوا ظُلْمًا وَبَاهَوْا بِالْعُسْفَرِ وَالْإِجْرَامِ؟
أَمْ مُلُوكُ لَهَا صَعَالِكُ فِي الْخُلُقِ، مَفَالَيْكَ فِي نُهَى الْحُكَّامِ؟
لَسْتُ عَبْدَ الْأَلْقَابِ، سَيَّانٍ عِنْدِي مَلِكٌ خَسٌّ أَمْ رَئِيسٌ حَرَامِي
رُبَّمَا كَانَ مَالِكُ الْعَرْشِ فَرْدًا وَادِّعَاءُ مِثْلَ أَصْدَقِ الْخُدَّامِ
وَالَّذِي عَدَّهُ الْجَمَاهِيرُ مِنْهُمْ طَاغِيًا نَاهِبًا حُقُوقَ الْأَنْامِ
مَا أَبَاحَ الْإِسْلَامُ صَوْلَةَ جَبَّارٍ وَلَا دَعَاوَةَ لَغِيرِ السَّلَامِ
مَا أَبَاحَ الْإِسْلَامُ أَنْ يُجْعَلَ الدِّينُ سِتَارًا لِلْكَيْدِ أَوْ لِلْخِصَامِ
مَا أَبَاحَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ ضِيَاءُ الْفِكْرِ، تَصْوِيرُهُ نَصِيرَ الظُّلَامِ
مَا أَبَاحَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ إِمَامُ الْعَقْلِ، إِلَّا الْحَجَى وَعَيْشُ النَّسَامِ
مَا أَبَاحَ الْإِسْلَامُ، مَنْ نَاصَرَ الْعِلْمَ، حَيَاةَ لِلْجَهْلِ وَالْأَوْهَامِ

ما أباح الإسلام، مَنْ قَدَّسَ المرأةَ، حُسْبَانَهَا مِنَ الْأَنْعَامِ
 ما أباح الإسلام، مَنْ حَرَّرَ الْإِنْسَانَ، ذُلَّ الْجَبَاوِ وَالْأَفْهَامِ
 ما أباح الإسلام، داعي التآخي، عُنْجِيَّاتِ أَهْلِ الْأَقْرَامِ
 ما أباح الإسلام وَصْنَمَةَ أَهْلِيهِ بِضَمِّ الْعَبِيدِ وَالْأَغْنَامِ
 ما أباح الإسلام هَدْمَ ثَرَاثِ شَيْدَتِهِ عِبَاقِرُ الْأَحْلَامِ
 بل أباح الإسلام أَنْ يُشْنَقَ الْهَدَامُ جَهْرًا وَشَيْعَةُ الْهَدَامِ!

الأخطبوط

مهذاة إلى الأديب المصري الحر الأستاذ وديع فلسطين

الخطبوط أراه بَدَلْ شَكْلَهُ	كمُحِيطِهِ، وَلَقَدْ يُظَنَّ صُخُورًا
وَلَسَوْفَ يَمْتَصُّ الدَّمَاءَ مُضْحِيًّا	بَغْرِيْمِهِ وَيَفُوْثُهُ مَعْصُورًا
يَا لِلزَّعَامَةِ حِينَ تَحْسَبُ أَنَّهَا	تَلْهُو بِهِ وَتَظُنُّهُ مَقْهُورًا
وَهُوَ الَّذِي تَخَذَتْ وَصُولِيَّاتُهُ	حَيْلًا لِتَقْتُلَ مَنْ يَنَامُ غُرُورًا
حِينَ الَّذِينَ يُنَافِحُونَ لِصَوْنِهَا	وَالْمَاهِدِينَ لَهَا أَذِيقُوا الزُّورَا
أَوْ أَهْمِلُوا مِثْلَ النَّفَايَةِ، مَا لَهُمْ	أَمَلٌ يُدَاعِبُ لَوْ غَدَا مَنُشُورَا
يَا أَيُّهَا الزُّعَمَاءُ لَيْسَ بِنَافِعٍ	إِخْلَاصُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَبْرُورَا
هَلْ تُتَكْرَمُونَ الظَّلَمَ، ثُمَّ يَعْهَدُكُمْ	يَبْقَى الَّذِي عَانَى لَكُمْ مَنُكُورَا
وَيَسْوَدُ فِيهِ الْأَلْعَبَانُ وَكُلُّ مَنْ	نَشَرَ الظَّلَامَ وَمَنْ أَمَاتَ النَّوْرَا؟
إِنْ تَرْتَضُوا هَذَا فَحَسْبِيَ أَنَّنِي	أَبْقَى بِمَنْفَايَ السَّحِيقِ شَكُورَا
هِيَهَاتَ أَرْضَى أَنْ أُسَاوِمَ مَرَّةً	فِي الْحَقِّ أَوْ أَرْضَى بِهِ مَذْهُورَا
إِنَّ الْإِسَاءَةَ مِنْ عَتِيٍّ فَاجِرٍ	مَلَأَ الْبِلَادَ مَقَابِحًا وَتُسُورَا

نَدُّ الإِسَاءَةِ مِنْ زَعِيمٍ صَالِحٍ
مَجْدُ الْبِلَالِ عَلَى الْمَدَى أَحْرَارُهَا
الْمُلْهُمُونَ بِفُكْرِهِمْ تَحْرِيرُهَا
فَإِذَا أَهَيْنُوا أَوْ أُنْزِلَ تُرَاثُهُمْ
بَلْ لَطَخَتْ صُحُفُ الْفَخَارِ بِرَحْمَةٍ

قَتَلَ الْمَوَاهِبَ جَاحِداً مَغْرُورا
الْمَاهِدُونَ الرَّائِدُونَ عُصُورا
وَالْخَالِقُونَ لَهَا مُنَى وَشُعُورا
لَمْ يَخِي مَجْدٌ بَعْدَهُمْ مَذْكُورا
تَبْقَى وَيَحْسِبُهَا الزَّمَانُ فُجُورا

آية الجبن

مهذاة إلى الشعب المراكشي

قلما الشاعرُ في الانقلاب الاستعماري بمراكش ليلة عيد الأضحى ١٢٧٢ هـ

خَبَرْتُكُمْ فَوَجَدْتُ الْجِبْنَ آيَتَكُمْ
مَنْ عَلَّمَ الصَّفْوَةَ الْأَبْطَالَ غَفْلَتَهُمْ
كَأَنَّهُمْ حَالَفُوا الْجَبَّارَ وَاتْتَمَرُوا
لَيْسَ الرُّجَالُ سِوَى مَعْنَى عَقِيدَتِهِمْ
أَتَشْمَخُونَ بِمَاضِيكُمْ، وَحَاضِرُكُمْ
خَذَلْتُمُو نُخْبَةَ الْأَحْرَارِ فِي عَمِهِ
أَتُصْغِرُونَ الْأَلَى ضَحًّا لِمَبْدِيكُمْ
الْحَقُّ أَبْلَجُ، لَا تَحْمِيهِ ذُبْذُبَةٌ
وَالْمَارِقِينَ الْأَلَى سَادَ الطُّغَاةُ بِهِمْ
أَتُذْعِنُونَ لَهُمْ شُكْرًا وَتَرْضِيَّةً
وَهُلْ نَسِيْتُمْ جِنَايَاتِهِمْ قَصِمَتْ
مَنْ نَاصَرَ الْإِثْمَ وَالْأَوْهَامَ غَايَتُهُ

حَتَّى الشُّجَاعُ غَدَا بِالْجِبْنِ مَسْحُورًا!
كَأَنَّهُمْ مَا أَعَزَّوْا الْحَقَّ وَالنُّورَا؟
بِمَا أَرَادَ، وَمَا رَدَّوهُ مَدْحُورَا؟
فِعْلًا، وَلَيْسُوا حَدِيثًا كَانَ مَذْكُورَا
يَكَادُ يَنْصُرُ فِي ضَعْفٍ لَهُ الزُّورَا؟
فَهَلْ غَدَا الْحُرُّ عِنْدَ الْحُرِّ مَنكُورَا؟
وَتُكْبِرُونَ أَثِيمًا كَانَ مَأْجُورَا؟
وَمَنْ تَخَافُونَ إِلَّا الْعُمَى وَالْعُورَا
وَكَانَ أَوْقَحُهُمْ لَهْفَانٌ مَذْعُورَا؟
مِنْ بَعْدِ مَا دَمَّرُوا الْأَخْلَاقَ وَالِدُّورَا؟
ظُهُورَنَا، أَمْ حَسِبْتُمْ وَهْمُكُمْ شُورَى؟
أَنْ يُسْتَبَاحَ وَإِنْ عَدَّوهُ مَنصُورَا

حِلُّ لِمَا أَحْكَمَ زَهْوٌ يُصَاحِبُهُ
فَالشَّعْبُ مَا زَالَ ذَاكَ الشَّعْبُ فِي سَفَاهِهِ
وَأَنْ يُصَفَّقَ لِلْحُكَّامِ أَجْمَعِهِمْ

وَأَنْ يَظْلَ بِرَغَمِ الْجَهْلِ مَغْرُورًا
قَدْ ارْتَضَى أَنْ يَظْلَ الدَّهْرَ مَأْسُورًا
خَيْرًا وَشَرًّا فَيَبْقَى الْفَضْلُ مَقْبُورًا!

عَلَامَ تَحْزَنُ يَا قَلْبِي وَمَا فَتَيْتُ
مَلَأَ الْعُصُورِ الْمَاسِي وَهِيَ شَاهِدَةٌ

نُيَا الْجُودِ تَرُدُّ الْحُرَّ مَقْهُورًا؟
أَنَّ التَّبَوُّعَ نَبِيحٌ كَانَ مَأْسُورًا!

إِمَامُنَا عَرَفَ

كَمْ زَعِيمٌ مُسَخَّرٌ شَرَفَهُ بَاتَ أَقْصَى خِلَاصِهِ تَلَفَهُ
لَمْ تَخُنْهُ سَلَامَةٌ مِثْلَ مَا خَانَتْهُ طِبَاعُ بِالْغَدْرِ مُؤْتَلَفَهُ
لَا تَقُولُوا تَزِينُ عُثُونَهُ^١ الطَّيْبَةُ بَلْ خَبَرُوهُ مَنْ نَتَفَهُ!
لَا تَقُولُوا الْأَعْمَالُ رَائِدُهَا النَّيَّاتُ يَا مَنْ مَدَحْتُمُو خَرْفَهُ
مَنْ يَخُنُ قَوْمَهُ لِنَفْعٍ يُرْجِيهِ فَقَدْ بَاعَ خَاسِرًا شَرَفَهُ
مَنْ يَقُلُ بَرَبْرٌ وَعُزْبٌ لَتَفْرِيقٍ يَخُنُ عَهْدَ مُسْلِمٍ حَلَفَهُ
لَا تَقُولُوا لَمْ يَعْرِفِ الْحَقُّ إِذْ زَلَّ فَهَذَا إِمَامُنَا عَرَفَهُ
يَعْرِفُ الْعَدَّ لِلْحَمِيرِ حَوَالِيهِ كَمَا عَدَّ فَاخِرًا أَكْفَهُ^٢
حَاسِبًا سَثَرَ عَوْرَتِهِ الْمَالَ الَّذِي فِي جُمُوعِهِ خَصَفَهُ^٣

^١ العثون: اللحية؛ (و.ف.).

^٢ الأكف (لغة) بمعنى البرادع، والاستعمال هنا رمزي.

^٣ إشارة إلى قوله تعالى عن ألم وحواء: «يخسفان عليهما من ورق الجنة» أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتيهما.

الَّذِي يَذْبَحُ الْخِرَافَ ضَحَايَا وَهُوَ أَوْلَى بِذَبْحِ مَنْ عَرَفَهُ^١
 أَيُّ عَيْدٍ هَذَا الَّذِي يُرْجِعُ الشَّعْبَ قُرُونًا فَيَغْتَدِي تَحَفَهُ؟
 أَيُّ عَهْدٍ هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ الْإِسْلَامَ إِثْمًا يَغْضُ مَنْ كَشَفَهُ؟
 أَيُّ حُكْمٍ هَذَا الَّذِي نَصَرَهُ الْإِقْطَاعَ يُوْحِي لَخْبِئِهِ صَافَهُ؟
 أَيُّ مَعْنَى لِحَصِيحَةِ النَّاسِ بِالْتَّمْدِينِ حِينَ الْبَلَاءِ مَا خَلَفَهُ؟
 أَيُّ فَخْرٍ تَرْجُو فَرَسًا الَّتِي ثَارَتْ عَلَى الظُّلْمِ إِنْ تُعِدُّ هَدَفَهُ؟
 أَيُّ حَقٍّ يَخُصُّ مَنْ يَهْضِمُ الْحَقَّ مُصْرًا وَيَدَّعِي دَنَفَهُ؟
 أَيُّ صِدْقٍ هَذَا الَّذِي أَعْلَنَ الْكَذْبَ تَبْيِيهِ وَاشْتَتَى طَرْفَهُ^٢
 أَيُّ رِقٍّ هَذَا الَّذِي غَالَبَ الرِّقَّ وَقَدْ مَدَّ خُبْنُكُمْ سَهْفَهُ^٣
 أَيُّ عَسْفٍ هَذَا الَّذِي يَدَّعِي التَّقْوَى وَمَا زَالَ فُجْرُهُ لَطْفَهُ؟
 أَيُّ بُؤْسٍ يُبْزُ بُؤْسًا عَمِيمَ الْإِثْمِ فِيمَا بَغَى وَمَا اقْتَرَفَهُ؟
 أَيُّ حَمْدٍ يُصَاغُ مِنْ بَعْدِ الْعَاهِرِ يُشْقِي وَلَمْ يُسِرْغِ أَسَفَهُ؟
 قَدْ أَبَاحَ التَّغْذِيبَ شَرْعًا، فَإِنْ قَلَّتْ ضَحَايَاهُ زَادْنَا لَهْفَهُ!

قِيلَ: "هَنَّى بِالْعَيْدِ وَالْهَجْرَةِ الشَّعْبَ، وَذَكَرَهُ لِيَقْتَفِي سَافَهُ:
 الَّذِي دَوَّخَ الْجَزِيرَةَ وَاعْتَرَزَ كَمَا اعْتَرَزَ شَاعِرٌ وَصَفَهُ
 الَّذِي لَمْ يَزَلْ بَأَنْدَلُسَ الْخَضِرَاءِ نَشِيدُ لِمَجْدِهِ عَزَفَهُ
 الَّذِي نَسَلُهُ يُزَيْنُ إِسْبَانِيَا كَمَا زَانَ لَوْلُؤُ صَدَفَهُ
 الَّذِي ذَكَرَهُ أَسَاطِيرُ لِلْمَجْدِ إِذَا ضَاعَ لَمْ يُضِرْغِ أَنْفَهُ
 الَّذِي تَفَخَّرُ الْفَنُونَ بِمَا زَانَ كَمَا تَرْتَجِي حَمَى كَنَفَهُ

^١ أي أنه أولى بأن يذبحه من يعرفه.

^٢ طرفه: منتهاه.

^٣ سهفه: هلاكه.

الَّذِي قَدْ بَنَى وَشَادَ، وَكَمْ جَادَ، وَمَا عَابَ مُنْصِيفًا سَرَفَهُ^١
الَّذِي خَيْرُهُ يُكْفِّرُ فِي التَّارِيخِ عَنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ قَذَفَهُ
الَّذِي لَمْ تَزَلْ حَضَارَتُهُ سِحْرًا وَسِرًّا قَدْ فَاتَ مُكْتَشِفَهُ
الَّذِي وَحْيُهُ رَحِيقٌ مِنَ الْخُلْدِ يَنَالُ الْجَنَانَ مَنْ رَشَفَهُ
الَّذِي فِي خَرَائِبِ سَاهِمَاتِهِ مِنْ عَلَى الْأَطْلَسِ الَّذِي انتَصَفَهُ
الَّذِي أَنْجَبَتْ بِهِ مَوْرِتَانِيَا حُرَّةً مِنْ أَشَاوِسَ طَرْفَهُ^٢
الَّذِي إِنْ يَغِيبُ بِبَطْنِ الصَّحَارَى لَمْ يُغَيِّبْ خَفَاؤُهَا صُحْفَهُ
الَّذِي يَسْتَعِدُّ بِالصَّبْرِ وَالْيَقْظَةِ كَالنُّورِ مَا حَيَا سَدَفَهُ!^٣

قُلْتُ: "حَسْبِي، وَالْعَيْدُ يَنْضَحُ بِالمَأْسَاةِ، لَعْنِي مُغَامِرًا كَسَفَهُ
ذَاكَ أَدْنَى مِنْ أَنْ يُلْطَفَ أَوْ يُنْعَتَ حَتَّى بِشَّرِّ مَا اقْتَرَفَهُ
ثُمَّ تَهْلِيلُهُ لِأَزْكَى الدِّمِّ الْجَارِي الَّذِي صَانَ كُلَّ مَنْ نَزَفَهُ
عَرَفَاتٍ يَمِيدُ لَوْ أَنََّّهُ يَذَرِي وَقَبْرُ بَيْتِ رَبِّ جَنَفَهُ^٤
جَنَّبُونَا الْأَقْبَالَ فِي مَوْقِفٍ ضَاعَ بِهِ كُلُّ غَافِلٍ وَقَفَهُ
لَيْسَ إِلَّا تَطْوِيحُ شَرِّ رُؤُوسٍ يُشْعِرُ الْبَغْيَ كَوْنَهَا خَزَفَهُ
لَيْسَ غَيْرُ السَّلَاحِ مَا يَفْهَمُ الْغَاصِبُ سَكْرَانَ عَابِدًا تَرْفَهُ
لَيْسَ غَيْرُ الْكِفَاحِ فِي مَهْمِهِ الظُّلْمِ صَدِيقًا لِبَالِغِ النَّصَفِ
لَيْسَ غَيْرُ الثُّورَاتِ مَا يُرْهِقُ الْمُسْتَعْمِرَ حَتَّى يَرَى بِهَا جَدَفَهُ^٥

^١ السَّرَفُ: التعجل والإسراف.

^٢ طرفة: طائفة منه.

^٣ السُّدْفُ: الظلمة.

^٤ الجنف: الإثم.

^٥ الجدف: القبر.

قَدْ سَرَّمْنَا مِنْهُ دُمُوعَ التَّمَّاسِيحِ فَأَذْمُوهُ قَدَرَ مَا ذَرَفَهُ!"

أَيُّهَا الْغَاضِبُ الْعَشِيمُ رُوَيْدَا! رَبِّ سَيْلٍ يَخُونُ مَنْ جَرَفَهُ
مُضْجِكَاتٍ جَعَلَتْ مَا أَرْخَصَ الدَّمْعَ وَصَوَّرَتْ بُؤْسَهُمْ غَطْفَةً^١
وَالْجَحِيمَ الَّذِي تَلْظَى سَلاماً وَمَجَارِي دُمَائِهِمْ طُرْفَةً^٢
إِنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ غَيْرُ بَعِيدٍ! لَا تُحَقِّرْ مَنْ يَوْمُهُمْ عَجْفَةٌ^٣
سُنَّةُ الدَّهْرِ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ الْمَجْنُونُ، يَا مَنْ جُنُونُهُ احْتَرَفَهُ
لَيْسَ قَتْلُ الشُّعُوبِ سَهْلاً، وَكَمْ شَعْبٍ غَبِيٍّ أَدَالَ مَنْ خَسَفَهُ
يُنْجِبُ الشَّعْبُ فِي الْمَلَمَّاتِ قِرْنًا مُسْتَمْتِئًا يَهْدُ مَنْ جَزَفَهُ^٤
سَاخِرًا بِالِدَّعَى يَحْسِبُ الْاسْتِقْلَالَ يَهْوِي إِذَا الْهَوَى حَذَفَهُ
وَسُيُوفُ الْأَنْصَارِ تَلْمَعُ فِي الشَّمْسِ بَدَلًا لِسَارِقِ خَطْفِهِ
وَرِصَاصُ الْأَتْبَاعِ يَزَارُ كَالرَّغْدِ وَقَدْ مَدَّ طَارِقُ زَحَفِهِ
إِبْتَدْرَهُ إِنْ شِئْتَ أَوْ لَا، فَحَتِّمْ مَصْرَعُ الظُّلْمِ فَوْقَ مَا سَلَفَهُ!

برجها مبيتن (بولاية نيويورك) ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٣

^١ الغطف: سعة العيش.

^٢ الطُرف: الملح.

^٣ العجف: الهزال.

^٤ من جَزَفَهُ: مَنْ نَهَبَهُ جُزَافًا، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْفَارْسِيَّةِ.

الضحايا

لا الرَّمزُ يُغني ولا التَّصريحُ يُرضيني^١
مَكْدودَةً^٢ ما لها حظُّ يُراودها
فيمَ التَّأدُّبُ في حقِّ الألى نهبوا
يَشْكُونُ فقراً إذا ازدادوا غنىً وَغنىً
وكلَّ يومٍ ضحايا لا عِدادَ لها
أبعدَ هذا نِصوغُ الشُّعرِ زخرفةً
وما نُقِطِعُ إِلَّا لَحْمَ مَنْ عَصِرُوا
أَقْسَمْتُ بعدَ تَجاريبي التي سَلَفَتْ
لأَبْذُلَنَّ الَّذِي أَغْلَيْتُ مِنْ أدبي
وَأَنْ أَثِيرَ شُعباً في اسْتِنامَتِها
حتَّى يعودَ لمجدِ العُربِ ما سَطَعَتْ
حتَّى تُطَهَّرَ أرضاً طالماً عَبَقَتْ
وما أبالي متى عادتْ لعِزَّتِها

وهذه أُمَمٌ حَوْلِي تُقاضي
ولا رجاءٌ بِإنصافِ المَلايينِ
حقَّ الشُّعوبِ، وكلُّ شِبهِ قارونِ؟
كَأَنَّهُمْ في حِسابِ للمجانينِ
مِنْ غَنَرِهِمْ في جَحيمِ البؤسِ والهونِ^٣
لَعَسَفِهِمْ، وتُبيحُ اللُّهُوَ بالدِّينِ؟
مِنَ الضَّحايا وأرواحِ المَساكينِ
وَأَنَّهُما مِثْلُ كَابوسٍ يُناديني
ناراً تُصَبُّ على رِجْسِ الشَّيَاطِينِ
جُرْمٌ، ولا جُرْمَ أَشْرارٍ مَلاعِينِ
بِهِ القُرُونُ لأَجْدادِ مِيامِينِ
بِهَا المِائِرُ أَضْعَافَ الرِّياحِينِ
إِذَا رُجِمْتُ كَأَنِّي في القَرابينِ!

محمد نجيب

أبا البلاد الذي تَسْمُو البلادُ بهِ
بوركتَ مِنْ ظالِمِ النَّفْسِ يُرهِقُها

جاهاً وحُلماً وتَصْريفاً وأَحكاماً
كَيْما يُكَافِحَ أَشْراراً وظُلماً

^١ يرضيني: يكفيني.

^٢ المكود: المغلوب؛ (و.ف.).

^٣ الهون: الخزي.

إِنَّ التَّقَشُّفَ لَمَّا بَتَتْ تُؤْثِرُهُ
 مَا غَرَّكَ الْبَذْخُ الضَّافِي إِلَى أَجَلٍ
 هِيَهَاتَ يَبْلُغُ مَا بُلِّغْتَ مُنْتَقِصٌ
 أَنْتَ الَّذِي عَفُوهُ مِنْ نُبْلِ شِيمَتِهِ
 أَنْتَ الَّذِي قَدْ تَسَامَى حَوْلَ عِفَّتِهِ
 أَنْتَ الَّذِي مَا ادَّعَى يَوْمًا لِهِمَّتِهِ
 أَنْتَ الَّذِي نَطَقْتَ تِلْكَ الْجِرَاحُ بِهِ
 أَنْتَ الَّذِي لَا الرِّئَاسَاتُ الَّتِي ازْتَهَرَتْ
 أَنْتَ الَّذِي كُلُّ مَا يَعْنِيهِ وَاجِبُهُ
 أَنْتَ الَّذِي يَرْهَبُ الطَّاغُوتُ حُكْمَتَهُ
 أَنْتَ الَّذِي قَدْ حَمَتُهُ مِنْ كِرَامَتِهِ
 أَنْتَ الَّذِي أَيْتَمًا قَدْ حَلَّ مُوَكِّبُهُ
 حَامِي عَنِ النَّيْلِ، وَالسَّوْدَانُ شَاهِدُهُ
 فَخَرٌ لِمِصْرَ عَلَى الْأَذْهَارِ سِيرَتُهُ
 يَا مَنْ لَهُ بَيْتُهُ غُنْيَانُ مَمْلَكَةٍ
 وَمَنْ لَهُ الْعَدْلُ نَبْرَاسٌ، وَأَوَّلُهُ
 وَأَنْ يُزِيلَ جَهَالَاتٍ مُضَلَّلَةٍ
 وَأَنْ يُبَدِّدَ غُرْبًا لَا مَجَالَ لَهُ
 أَرْجِي إِلَيْكَ تَحَايَا الشُّعْرِ أَنْغَامَا

أَضْحَى غِنًى، وَغَدَا نُورًا وَإِلْهَامَا
 إِنَّ النَّزَاهَةَ قَدْ أَوْلَتْكَ مَا دَامَا
 أَنْتَ الَّذِي جَعَلَ الْأَيَّامَ أَيَّامَا
 مَهْمَا أُسِيءَ، وَيَلْقَى الطُّعْنَ بَسَامَا
 شَغَبٌ، وَأَبْدَعَ فِي الْحِرْمَانِ إِنْغَامَا
 بَأْسًا، وَأَشْبَعَنَا حَزْمًا وَإِقْدَامَا
 حَتَّى لِمَنْ خَافَ أَوْ مَنْ خَابَ إِحْجَامَا
 خَانَتَهُ يَوْمًا، وَلَا أَضْغَاثُ مَنْ نَامَا
 دِينًا وَدُنْيَا وَتَحْقِيقًا وَأَحْلَامَا
 وَإِنْ يُحَاصِرُهُ أَسْيَافًا وَأَلْغَامَا
 فَيَالِقُ حِينَ يَحْمِي السَّيْفُ أَصْنَامَا
 حَلَّ التَّقَى وَالْهُدَى بِرًّا وَإِسْلَامَا
 فَاثْنَيْنِ مَنْ بَزَّهَ لَوْ عَنْهُمَا حَامِي؟
 إِنَّ الْوَدَاعَةَ أَسْمَتُ كُلِّ مَنْ سَامِي
 وَرَمَزُهُ الْحَقُّ إِحْسَانًا وَإِحْكَامَا
 أَنْ يَمْحُو الْعَدْلُ أَتْرَاحًا وَأَسْقَامَا
 وَيَهْزِمَ الْجَوْعَ مَهْمَا عَمَّ إِجْرَامَا
 وَالْقُطْنُ يَنْشُرُ أَثْوَابًا وَأَعْلَامَا
 وَوَصَفَهُ الْحُرُّ مَثَالًا وَرَسَامَا

بنو معروف

بَنِي مَعْرُوفَ جَا حِدُكُمْ جَحُودُ
بِكُمْ تُزْهِى الْعُرُوبَةُ إِذْ تَرَاكُمْ
فَمَا بَرِحَتْ شَهَامَتُكُمْ تُغْنِي
وَمَا انْفَكَّتْ مَحَارِمُكُمْ شُعَاعاً
وَمَا زَالَتْ شَجَاعَتُكُمْ مَلَاذاً
وَأَنَّ التَّضَحِيَّاتِ لَكُمْ شِعَارُ
كَذَاكَ الشَّمْسُ كَمْ فَاضَتْ حَيَاةُ
وَهَلْ جَبَلُ الدُّرُوزِ سِوَى مَنَارِ
تُقْبَلُ بِهِ فَنَمْنَحُهُ حَيَاةُ
وَحِينَ تَبَادَلَا حُبّاً بِحُبِّ
تَمَخَّضَ بِالْحَيَاةِ، حَيَاةِ شَعْبِ
فَدَوَّتْ فِي الْعُصُورِ مُزْمَجِرَاتِ
وَحَلَّتْنَا عَلَى الْإِيَّامِ نُغْنِي
ذَكَرْتُ رِجَالَهُ الْأَخْيَارِ حَوْلِي
فَزَادُونِي بِسَيْرَتِهِمْ وَلَوْ عَا
كَذَلِكَ نَخْوَةُ الْأَبْطَالِ مِنْهُمْ
وَأَمَّا دِينُهُمْ فَنَدَى وَنُبْلُ
وَحُرِّيَّاتُهُمْ قُدُسٌ مُعَلَّى
وَهُمْ فِي قَلْبَةٍ أَعْلَى ثَرَاثاً
"وَمَا سَلُّ الْمُهَنْدِ لِلتَّوَقِّي

لَايَاتِ تَسَامَتْ فَوْقَ عُرْفِ
أَعَزَّ خَصَالِهَا لِلْمُسْتَشْفِ
مَلَا حِمَّ لِلتَّبَّعِ وَالتَّقَفِّي
مِنْ الْأَلْقِ الْإِلَهِيِّ الْأَعْفُ
وَحَصْنًا يَوْمَ إِرْهَاقِ وَعَسْفِ
وَأَعْظَمُهَا يُبَالِغُ فِي التَّخْفِي
وَمَا مَنَّتْ وَتُعْطِي وَهِيَ تُخْفِي
سَلِيلِ الشَّمْسِ فِي وَحْيٍ وَعُطْفِ
وَيُلْثِمُهَا وَفِيَّاءُ خَلْفَ شَفِ
وَحِينَ تَمَازَجَا رَشْفًا بِرَشْفِ
أَبِي عَزَّ فِي جَبَلٍ وَنَعْفِ
دَوَى السَّيْلِ لِلسَّهْلِ الْمُسْرِفِ
بَسِيرَتِهِ بِرَغْمِ الْمُسْتَخْفِ
عَزَاءَ لِي، وَمِثْلِي شَبَهُ مَنْفِي
بِأَقْدَامِي، وَيَأْسَاءُ رَغْمَ ضُعْفِي
فَكُلُّ مُفْرَدٍ بِمَكَانِ الْفِ
وَجَمُّ مُرُوءَةٍ وَجَفَاءُ خُلْفِ
وَقَدْ ثَارُوا عَلَى غُلٍّ وَرَسْفِ
وَأَرَوْعُ مَنْ جَحَافِلٌ لَا تَوْفِي
كَسَلُ الْمَشْرِفِيَةِ لِلتَّشْفِي

"أَبَاغِي حَظَّهُ بِقَنَاءٍ وَخَيْلٍ
وَمَا الْجَبَلُ الْوَقُورُ لِجَانِبِيهِ

كَبَاغِيهِ بِمَنْوَالٍ وَحَافٍ"
عَلَى الْعِلَاتِ كَالْجُزْءِ الْأَخْفِ"^١

لماذا الثورة اشتعلت؟

إلى الزعيم جمال عبد الناصر

لَمَّاذَا الثُّورَةُ اشْتَعَلَتْ؟ لِمَاذَا؟
إِذَا مَا اسْطَغَتْ تَسْقِي الْأَرْضَ غَيْثًا
وَلَا تَدَعِ الْجَنَابَ حَاكِمِيهَا
أُعِيدُكَ أَنْ تُعِيدَ الظُّلْمَ فِينَا
فَكَمْ وَغْدٌ حِيَالِكَ مُشْرِيبٌ
يَدُسُّ لِيُرْجِعَ الْإِفْسَادَ حَتْمًا
وَمَا مِنْ ثُورَةٍ نَجَحَتْ جُزَافًا
فِيَا مَثَلِ الْبُطُولَةِ دُونَ مَنْ
تَبَصَّرَ وَاضْرِبِ الضَّرَبَاتِ بِكُرًا
وَطَهَّرْ مِصْرَ مَنْ أَرْجَسَ جِيلٍ
وَمَا أُدْرِي الْمَشَانِقُ سَاخِرَاتِ
رَعَانِفُ أَرْهَقُوا الْأَحْرَارَ دَهْرًا
وَأَقْزَامُ بَأْثَامٍ تَعَالَوْا

أَوْهَمَ أَمْ أَبَى الْجَبْنَ النَّفَاذُ؟
فَلَا تَقْنَعْ بِسُقْيَاهَا الرِّذَاذُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَجِدْ فِيهَا مَلَاذًا
وَمِثْلُكَ مَنْ أَعَزَّ وَمَنْ أَعَاذُ
إِلَى الطَّاغُوتِ فِي فِكْرِ تَهَاذِي
أَهَذَا مَنْ تُحَالِفُهُ؟ أَهَذَا؟
فَإِنَّ النُّجْحَ يَتَّخِذُ اتِّخَاذًا
وَدُونَ إِسَاءَةٍ، وَسِرْوَاهِ آذِي
مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تُنْسَى، مَعَاذُ
تَعَلَّقَ بِالْخَسَاسَةِ وَاسْتَعَاذُ
أَحَقُّ بِهِمْ أَمْ النَّطْعُ الْمُحَاذِي؟
فَلَا تَرْحَمْ، وَإِنْ تَكُ مُسْتَعَاذُ
لِمَاذَا أَنْتَ رَاكِبُهُمْ؟ لِمَاذَا؟

١٣ تشرين الثاني/نومبر ١٩٥٣

^١ الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من المعرّي في لزومياته.

ليس منا!

"ليس منا!" قال الحسودُ المعنَى "ليس منا!" أعادها: "ليس منا!"
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّنِي لَسْتُ مَنْ يَرْغَبُ فِي مِثْلِكُمْ وَلَا مَنْ تَدْنَى
أَيُّهَا السَّارِقُ الْحَقِيرُ الَّذِي يُزْهِى بِمَسْئَلُوهِ غَيْرِهِ مُطْمَئِنًّا
قَدْ أَتَيْنَا عَبْرَ الْمَحِيطِ لِنَلْقَاكَ فَكَانَ الْبَلَاءُ مَا قَدْ رَأَيْنَا
قَدْ حَسِبْنَا ثَرْوَةً أَوْ ثَرَاتًا فَوَجَدْنَا، وَشَرًّا مَا قَدْ وَجَدْنَا
الصَّغَارَ الَّذِي تَدْهَوُرُ بِالْخُلُقِ، فَشِمْنَا الصَّغَارَ مَعْنَى وَعَيْنَا
وَالْغُرُورَ الَّذِي تَضَاحَكَ مِنْهُ كُلُّ غِرٍّ فَقَدْ شَأَى الْمَيْنَ مِنَّا
وَالْخَسَاسَاتِ، وَهِيَ أَشْبَهُ بِالْأَدْوَاءِ طَعْمًا وَبِالْجَنَائَاتِ لَوْنًا
إِنْ يَكُ الْفَنُّ كُلُّ هَذَا فَإِنِّي لِبَرِيٍّ مِمَّا تَعُدُّونَ فَنَّا
إِنَّ أَهْلِي فِي كُلِّ أَرْضٍ بِهَا الْحَقُّ عَرِيقٌ وَبِاسْمِهِ تَتَغَنَّى
أَيُّنَ أَنْتُمْ مِنْهُ؟ جَنِيبُ زَنْيِمٍ جَاحِدٌ يُشْبِعُ الْمُعَانِينَ مِنَّا
أَيُّنَ إِحْسَانُكُمْ؟ قَلَامَةٌ ظَفُورٍ! أَيُّهَا الْحَاسِبُ الْإِسَاءَةَ دَيْنًا
حَظُّكَ الْعُمُرَ فِي الدَّسَائِسِ وَالْوَعْظِ خَبِيثًا، فَبِالْخَبَائِثِ تُغْنَى
فَلْتَهَنَّا بِهَا، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْمَخَازِي وَدُونَهَا لَا تُهَنَّا!
وَأَنَا؟ مَا أَنَا سِوَى الشَّاعِرِ الْمُلْهِمِ بِالْحُبِّ وَالْجَمَالِ الْمَعْنَى
وَمِثَالِيَّتِي تَنَاولَتْ الْكَوْنُ فَغَنَّى وَيُبدِّلُ الْكَوْنُ كَوْنًا
إِي نَعَمْ، وَهُوَ إِنْ يُعَدُّ جَنِينًا سَادَ فِي الْحِلْمِ قَادِرًا وَاسْتَكْنَا
سَتَرَاهُ الْأَجْيَالُ فِي مُقْبَلِ الدَّهْرِ جِنَانًا فِي عَمُرِنَا تُتَمَنَّى

^١ عندما وصل أبو شادي إلى أميركا مهاجراً استقبلته مجلة السمر التي كان يصدرها الشاعر ليلى أبو ماضي بمقال عنوانه "ليس منا؟" (و.ف.).

أُثْرَانِي مِنْ بَعْدِ هَذَا أَبَالِي بِالْحَسَوِدِ الَّذِي مِنَ الْحَقْدِ جُنَا؟
وَأَخَافُ الْهَجَاءَ يَا أَحَقَرَ الْخَلْقِ شُعُوراً وَأَضَالُ النَّاسَ زُهْنًا
أَهْمَلْتُ شَأْنَكَ الْمَوَازِينَ يَا فَاجِرُ حَتَّى عَدِمْتُ فِي النَّبْلِ وَزْنَ
شَاعِرٌ نَافَسَ التَّعَالِي، بِمَا يَحْكِي وَيَحْكِي الْقُرُودَ مَعْنَى وَمَبْنَى!

حزمر الشباب

الشَّبَابُ الْعَزِيزُ شِعْرٌ جَمِيلٌ يَتَمَشَّى فِيهِ الْإِثَالُ النَّبِيلُ
مِنْ نَشِيدِ الْإِلَهِ رَفَّ بِأَحْلَامٍ تَنَاهَتْ فَكُلُّ مَعْنَى أَصِيلُ
لَا تَلُومُوهُ إِنْ طَاشَ فَلَكُمْ طَاشَتْ نُجُومٌ وَلَيْسَ مِنْهَا ذَلِيلُ
قُوَّةٌ لِلْحَيَاةِ، نَوْرٌ وَنَارٌ، أَلْهَمَا الْكَوْنَ فَهُوَ حُرٌّ جَلِيلُ
لَا تَخَفْ يَا شَبَابُ! إِنَّكَ بِالْحَرَمِ كَفِيلُ إِذَا أَبَى الْمُسْتَحِيلُ
لَا تَخَفْ! لَيْسَ غَيْرَ رُوحِكَ مَا يَبْدُ قَى وَمَا قَدْ عَدَاهُ ظِلٌّ يَحُولُ
فَنَيْتُ حِينَ وَدَّعْتُكَ الْأَمَانِي وَهَوَتْ حِينَ بَاعَدْتُكَ الطُّلُولُ
لَسْتُ لَوْلَاكَ مَنْ رَأَى الْعَيْشَ عَيْشًا أَنْتَ رُوحِي وَلَيْسَ عُمْرِي الطَّوِيلُ!

عفة المختار

عَلِمَ اللَّهُ عَرَضُ غَيْرِي عَرَضِي أَنَا حَامِيهِ، فَهُوَ كُلِّي وَبَعْضِي
إِنْ حُبِّي الْجَمَالَ حُبِّي لِلْعَفَّةِ، حُبُّ الْمَخْتَارِ، مِنْ غَيْرِ حَضْ
عَجَبَ النَّاسُ مِنْ وَلَوْعِي بِالطُّهْرِ وَلَمْ يَفْهَسُوا سَمَائِي أَرْضِي
إَشْهَدِي يَا فَنُونَ كَيْفَ تَسَامَتْ صُورُ الْحُبِّ فِي شُعُورِي وَقَرَضِي

واشهدي كيف يَسْتَعِزُّ بِي الحُسْنُ لِخُلُقِي، فالخُلُقُ ديني وفَرْضِي
 موحياتي مِنْهُ، وَمِنِّي لَهُ الوَحْيُ، وفي نَظَرَتِي إلى الحُسْنِ غَضِي
 أَتَعَالَى عَلَيْهِ دُونَ تَعَالٍ، وَأُجَافِيهِ وَهُوَ خَفَقِي وَنَبْضِي
 أَنَا عَبْدٌ لَهُ، وَلَكِنْ أَمِيرٌ بَعْفَافِي وَنَخْوَتِي، كَيْفَ أَمْضِي
 رَكَضَ النَّاسِ خَلْفَهُ فِي جُنُونٍ وَأَبَى لِي حَتَّى خَيَالِي رَكَضِي
 أَنَا نِدٌّ لَهُ بِرُوحِي وَنَهْنِي لَسْتُ أَرْضِيهِ عَامِداً حِينَ أَرْضِي
 وَأَنَا مَنَزَلِي قَرِينٌ لَهُ دَوْماً وَمَا يَسْتَطِيعُ رَفْعِي وَخَفْضِي
 لَيْسَ مَدْحِي وَلَا هِجَائِي بِمَا يَعْني وَجُودِي وَلَيْسَ بَسْطِي وَقَبْضِي
 إِنَّنِي قَبْسَةٌ مِنَ الْأَلْقِ الْأَسْمَى، فَمِنْ وَمُضِيهِ الْمُقَدَّسِ وَمُضِي
 بَعْدَ هَذَا فَلَسْتُ أَحْسَبُ إِطْرَائِي فَخَاراً وَلَيْسَ بِالْمُسْتَنْقِضِ
 بَعْدَ هَذَا فَلَسْتُ أَحْسَبُهُ عَاراً وَلَوْ كَانَ كَالرَّدَى الْمُنْقَضِ
 فَوْقَ هَذَا وَفَوْقَ ذَاكَ اعْتِبَارِي وَاخْتِيَارِي وَعِرْضُ غَيْرِي وَعِرْضِي

النَّصْر

تَرَفَّعَ عَنِ مُعَادَاةِ الْكَرِيمِ وَعَنْ بَذْلِ الصَّدَاقَةِ لِلنَّعِيمِ
 كِلَا الْأَمْرَيْنِ مَنْقُصَةً، وَأَسْمَى نِقَاءُ الْعَيْشِ مِنْ مَعْنَى الْخَصِيمِ
 فَإِنْ فُرِضَ الْعَدَاءُ عَلَيْكَ فَرَضاً فَلِذْ بِمَكَارِمِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ
 أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَشْقَى بِخُلُقِي عَنْ الْإِسْفَافِ فِي وَهْمِ النَّعِيمِ

¹ النَّدُّ: النظر؛ (و.ف.).

² الْمُسْتَنْقِضُ: المستجَز (بفتح الجيم).

وَمَنْ يَحْسَبُ جُنُونِي فِي اعْتِزَازِي
فَفِي نَفْسِي عَوَالِمٌ لَمْ تَحُنِّي
فَإِنَّ مِنَ الْأُلُوهَةِ فِي اعْتِزَالِي
يَرِفُ الشَّعْرُ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَقَدْ شَـبِلَتْ فُنُونُ تَأْمُلَاتِي
وَأَيْسَرُهَا خَرِيرُ الْمَاءِ حَوْلِي
وَبَسَمَاتُ الْمُرُوجِ مُلَوِّحَاتُ
وَأَنَاتُ السَّوَاقِي وَهِيَ أَشْجَى
وَمَوْجُ الْبَحْرِ مُصْطَفَقٌ عَنِّي
وَأَلْوَانُ الرَّمَالِ عَلَى الرُّوَابِي
وَرَشُّ الْمَاءِ لِلشَّلَالِ حَتَّى
وَجَيْشُ النَّحْلِ حَوْلِي فِي فَتُوحٍ
وَأَنْدَاءُ الْحُقُولِ مُشْعَشِعَاتُ
وَأَسْرَابُ السَّوَائِمِ وَهِيَ تَرْعَى
وَلَمَحَاتُ النُّجُومِ وَرَاءَ سُحُبٍ
وَوَحْيُ الشَّمْسِ وَهِيَ تَمُجُّ حُلُمًا
فَهَذِي كُلُّهَا مِنْ بَعْضِ صَحْبِي
وَأَمَّا غَيْرُهَا فَأَجَلُّ شَأْنًا

فَمَا هُوَ بِالْحَصِيفِ وَلَا الْحَكِيمِ
وَمَا ضَاعَتْ مَعَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
نَصِيرِي أَوْ دَلِيلِي أَوْ نَدِيمِي
رَفِيفَ الشَّدْوِ فِي الصَّمْتِ الْمُقِيمِ
فُنُونِ الْكَوْنِ فِي سِحْرِ عَمِيمِ
وَتَغْرِيدُ الطُّيُورِ مَعَ النَّسِيمِ
بِنَشْوَى الزَّهْرِ وَالنَّبْتِ الْجَمِيمِ
وَأَبْلَغُ مِنْ دُمُوعِ الْيَتِيمِ
كَجَبَّارٍ يُصَفِّقُ لِلْخَدِيمِ
جَوَاهِرُ الْغِنَى وَالْعَدِيمِ
لَيَقْهَرُهُ كَشَّيْطَانِ رَجِيمِ
هِيَ الْقُبُلَاتُ لِلزَّهْرِ الْوَسِيمِ
بِخَمَرٍ فِي تَجَلِّيْهَا الْحَمِيمِ
كَحَاكِمَةٍ عَلَى مُلْكٍ عَظِيمِ
كَسِثَرِ الْجُودِ مِنْ كَفِّ الْكَرِيمِ
تَنَوُّعٌ فِي النَثِيرِ وَفِي النَّظِيمِ
وَكُنْزِي حِينَ عَيَّرَنِي خَصِيمِي
وَلَمْ يُدْرِكْهُ تَقْدِيرُ الْعَلِيمِ

رداذ الربيع

يا رذاذ الربيع، يا مُعلنَ اليَقْظَةِ لِلتَّبَتِ وهو نشوانُ حالمٍ
يَرْقُصُ الحُبُّ في يَدَيْكَ عَطُوراً وَيَرْفُ الخِيَالُ نَجْوَى عَوالمِ
قُبُلَاتُ نَثَرَتِهَا فَوْقَ خَدَّيْ كَأَنِّي نَجَوْتُ مِنْ سَيْفِ ظالمِ
مَرْحَباً بالصَّدِيقِ لم يَنْسَ أَحْزَانِي ومنها الظُّمآنُ مِثْلَ البَراعمِ
ظَمَأُ الشَّوْقِ لِلْمَلَا حَةِ والدَّفِّ ۝ والنُّورِ بَعْدَ تَعْذِيبِ نَاقِمِ
سَقَبَسَقَتْ حَوْلَكَ العَصَافِيرُ بِالْفَرَحَةِ شِعْراً كَأَنَّمَا أَنْتَ حَاكِمِ
الْمَعْيُ الإِيقَاعِ، فِي كُلِّ مَا تَحْكِي غِنَاءً وَإِنْ يَكُنْ جِدّاً نَاعِمِ
خَلَجَاتُ الفُؤَادِ مِنْ بَعْضِ مَا فِيهِ وَمِنْ بَعْضِهِ سَمِيعٌ وَفَاهِمِ
لُغَةً أَوْ رِسَالَةً لَمْ تُمَيِّزْ أَوْ تُكَيِّفْ لِبَاحِثٍ أَوْ لِعَالِمِ
إِنَّمَا فَهْمُهَا لِمَنْ أَشْعَرُوا الْكُونَ جَمالاً وَأَشْعَرُوا قَلْبَ رَاحِمِ

وطني الأول

لَحَّ الحَنِينُ إِلَيْكَ حَتَّى خِلْتُني
وَإِذَا الْفُصُولُ جَمِيعُهَا فَوَاحَةٌ
وَإِذَا السَّمَاءُ بَرَعْدُهَا وَبُرُوقُهَا
وَإِذَا الْجَمَالُ بِكُلِّ مَرَأًى حَفَنِي
وَإِذَا الْحَيَاةُ وَقَدْ رَشَفَتْ نَعِيمُهَا
هَذِي الْمَشَاهِدُ كَيْفَ كُنَّ شَهِيدَةً
مُزِجَتْ بِأَفْرَاحِي وَأَثْرَاحِي مَعاً
وَأَنَا الْقَصِيُّ غَدَوْتُ غَيْرَ النَّائِي
حَوْلِي بِعِطْرِكَ تَسْتَنِيرُ رَجَائِي
زَرْقَاءُ مِثْلَ سَمَائِكَ الزَّرْقَاءُ
يَفْتَرُّ لِي بِجَمَالِكَ الْوَضَاءُ
لَيْسَتْ سِوَاكَ بِخَاطِرِي وَدُعَائِي
لَتَلْهُفِي وَتَبْسُئِي وَبُكَائِي
فَكَأَنَّهُا مِثْلِي مِنَ الشُّهْدَاءِ

وَإِذَا بَكَيْتُ بِهَا فَإِنَّكَ دَمَعْتِي
 مَا فَاتَهَا مِنِّي الْوَفَاءُ، وَفَاتَهَا
 عَاثَ الطُّغَاةِ مَدَىٰ فَمَا هَادَتْهُمْ
 كَانَتْ فِعَالِي قُدُوءَ، وَعَوَاطِفِي
 مَا تَضَحِيَاتُ الْمَاهِدِينَ ضَائِلَةً
 مَنْ لِي بِقُرْبِكَ لَوْ مَلَكَتُ قِيَادَةَ
 لَجَعَلْتُ مِصْرَ إِذْنٍ حَفِيدَةً جَدَّةَ
 سَبَقَتْ مَبَارِدُهَا الْمَسِيحَ بَعْدِلِهَا
 وَغَدَا بِهَا الْوَادِي جَنَانًا حُرَّةَ
 يَنْسَابُ فِيهَا النَّيْلُ سَيْفًا مُصَلَّتًا
 رَقَصَتْ شَوَاطِئُهُ بِأَشْتَاتِ الْمُنَى
 غَنَى الْغُرَابُ بِهَا، وَكَانَ غِنَاؤُهَا
 فِيهَا الْمُسَاوَاةُ الْعَمِيقَةُ زِينَةً
 مَا قِيمَةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا نَفْعُهُ
 وَالشَّمْسُ لَوْلَا نَفْعُهَا هَانَتْ لَنَا

وَطَنَ الصَّبَا وَعَزِيزَ أَحْلَامِ الصَّبَا
 حُمِلْتُ فِي شَيْخُوخَتِي أَعْبَاءَ مَنْ
 وَتَخَذْتُ لِي مَنَفَايَ مِنْبَرِ دَعْوَةٍ
 فِي مَوْطِنِ الْأَحْرَارِ، لَمْ يُخَذَّلْ بِهِ
 يَسْمُو بِهِ إِقْدَامُهُ فَوْقَ السُّهَى
 أَوْ يَفْلِقُ الذَّرَاتِ فَهِيَ جَهَنَّمُ

وَإِذَا شَدَوْتُ بِهَا فَأَنْتَ غِنَائِي
 أَرْضِي لَدَيْكَ وَجَنَّتِي وَسَمَائِي
 وَرَحَلْتُ أَرْشَقُهُمْ بِصِدْقِ هِجَائِي
 نَارِيَّةَ وَأَسْأَلْتُهَا كَدِمَائِي
 إِلَّا لَدَى النَّاسِينَ وَالْجُهْلَاءِ
 لِلثَّائِرِينَ فَكَمْ أُضْغِعَ نِدَائِي
 غَنَى بِهَا الشُّعْرَاءُ لِلشُّعْرَاءِ
 وَشَاءَتْ بِأَخْنَاتُونِ كُلِّ ضِيَاءِ
 طَهَّرَتْ مِنَ الْأَوْشَابِ وَالِدَهْمَاءِ
 إِلَّا عَلَى أَحْبَابِهِ الشَّرَفَاءِ
 وَالْحُبُّ عَابِقَةٌ بِكُلِّ عَطَاءِ
 وَقَفَا عَلَى الشُّحُرُورِ وَالْوَرَقَاءِ
 كَالنُّورِ فِي الْأَجْبَالِ وَالْأَوْدَاءِ
 وَكَذَاكَ حُكْمُ عِظَائِمِ الْأَشْيَاءِ
 بَلْ أَصْبَحَتْ جَيْشًا مِنَ الْأَعْدَاءِ!

مَا زِلْتُ لِي حُلْمًا وَحُلُوءَ عَزَاءِ
 قَبِعُوا وَمَنْ نَامُوا عَلَى الْأَقْدَاءِ
 لِلتَّارِ مِنْ ضَيِّمٍ وَمِنْ أَدْوَاءِ
 فَرَدُّ، وَلَمْ يُسْحَقْ عَلَى الْغُبْرَاءِ
 وَيُحَوَّلُ الْغُبْرَاءُ كَالْجَوَازِ
 لِلْغَاشِمِينَ وَجَنَّةُ الْعُلَمَاءِ

صَارَتْ شَجَاعَتُهُ مِثْلًا يُحْتَذَى وَعَلَتْ مَارِيَهُ عَلَى الْجُبْنَاءِ
فَإِذَا بَقِيَتْ بِهِ عَزِيزاً أَيْباً وَرَضِيَتْ مِنْ نَفْيِي بِكَتْرِ إِبَائِي
فَلَكَيْ أَبْرَ بَعْدَ إِنْسَانِيَّتِي وَأَكُونُ رَمَزَ تَجَاوُبٍ وَإِخَاءِ

شهر النور (رمضان)

رَمَضَانُ يَا حُلُو الشَّمَائِلِ يَا سَمِيرَ الشَّاعِرِ
يَا مَنْ تَزِينَ بِالنُّجُومِ فَوَاتِنَا كَجَوَاهِرِ
يَا مَنْ تَفَنَّنَ فِي تَرْثُمِهِ تَفَنَّنَ سَاحِرِ
يَا مَنْ يَعَافُ الشَّمْسَ إِثَاراً لِنَجْوَى السَّاهِرِ
يَا مَنْ تَلَالَتْ الْمَوَائِدُ فِيهِ مِثْلَ مَنَائِرِ
يَا مَنْ تَبَسَّطَ فِي مَلَاهِيهِ تَبَسَّطَ قَاهِرِ
يَا مَنْ تَدَفَّقَ بِالْمَوَاعِظِ كَالْإِلَهِ الْغَافِرِ
يَا مَنْ تَعَلَّقَ بِالطَّهَارَةِ مِثْلَ فَجْرِ طَاهِرِ
يَا مَنْ أَتَى كَالْفُصْحِ بَيْنَ مَدَامِعِ وَبِشَائِرِ
يَا مَنْ يُعَدُّ أَخَا الْفَقِيرِ أَمَامَ دَهْرٍ كَافِرِ
يَا مَنْ شَأَى حُلْمِ الصُّغَارِ بِكُلِّ حُلْمِ طَائِرِ
مَاذَا انْخَبَرَتْ وَمَا أَتَيْتَ بِهِ لِحَظِّ الْعَائِرِ؟
مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مُقْعَدٍ أَوْ كُلِّ شَعْبٍ قَاصِرِ
صَامُوا، وَخَيْرُ الصَّوْمِ مَنْ عَبَثَ لَهُمْ وَصَغَائِرِ
إِنَّ الشُّعُوبَ كَبِيرَةً لَيْسَتْ عِبِيدَ كِبَائِرِ

لا صَامَ مَنْ جَعَلَ الصَّيَامَ ذَرِيعَةً لِلْفَاجِرِ
 لا صَامَ كَالْتَّمَسَاحِ أَفْطَرَ فِي شَبْهَةِ غَادِرِ
 لا صَامَ مَنْ لَمْ يَذَرْ فِلْسَفَةَ الصَّيَامِ الثَّائِرِ
 الْمُسْتَهِينِ بِكُلِّ وَضْعٍ جَائِرٍ أَوْ مَاكِرِ
 الْخَالِقِ الْعَدْلَ الْمُؤَيَّدَ مِنْ عَدِيدِ مَآثِرِ
 بوركْتَ شهرَ النُّورِ تَغْزُو اللَّيْلَ دُونَ عَسَاكِرِ
 مَا بَيْنَ أَعْرَاسٍ وَأَلْعَابٍ وَلَهُوَ دَائِرِ
 وَمُسْتَبْحِينَ مَرْتَلِينَ إِلَى نُهْيٍ وَمُنَابِرِ
 وَنَوَافِحِ عُلُويَّةٍ سَارَتْ كَشْرِغٍ سَائِرِ
 بوركْتَ وَلْتَهْنَأْ بِكَ الدُّنْيَا هِنَاءَ شَاكِرِ
 حَتَّى إِذَا مَا عُذْتُ جِئْتُ مَعَ الْخَمِيسِ الظَّافِرِ
 بِالْحُبِّ لَا بِالسَّيْفِ، فَوْقَ سَرَائِرِ وَيَصَائِرِ
 وَفَتَحْتَ لِلْإِسْلَامِ كَنْزَ مَآثِرٍ وَمَقَاخِرِ
 وَأَشَعْتَ أَفْرَاحاً مَكَانَ مَاتَمٍ وَمَقَابِرِ

حمام العصفير

غَطَسَتْ فِيهِ حِينَ بَعُثَرَتِ الْمَاءُ وَرَشَّتُهُ كَالضَّيَاءِ الْمُنْعَمِ
 أَوْ رَذَاذَا مِنَ الْحُبُورِ تَرَاءَى قَطَرَاتِ فَصَارَ مَعْنَى تَجَسَّمِ
 أَتَمَلَّاهُ فِي مَزِيجِ الْأَحَاسِيسِ قَرِيباً بِفَرَحَةٍ لَمْ تُتَرْجَمِ
 الْمَرَائِي الَّتِي حَيَالِي بَعْضٌ مِنْ سَنَاها وَبَعْضُهُ لَيْسَ يُفْهَمِ

وَأَنَا وَقِفْ أَرَأَيْتَ كَالْمَشْدُوهِ إِحْسَاسَهَا الْعَجِيبَ الْمُنْعَمَ
وَكَأَنِّي مِنْهَا عَلَى الْبُعْدِ أَلْتَدُّ بِمَا لَدَّهَا وَبِالْوَهْمِ أَنْعَمَ
سَقَسَقَاتُ كَأَنَّ أَوْتَارَ قَلْبِي فَاسْتَثَارَتْ حَنَاجِرًا نَاعِمَاتٍ
عَزَفَتْهَا لَهَا حَنَانًا تَبَسُّمَ لَا عِبَاتٍ بِكُلِّ شِعْرِ يُتَمَتِّمُ
إِعْبَتِي أَيُّهَا الْعَصَافِيرُ بِالمَاءِ فَأَنْتِ الْأَطْفَالُ تَلْهُو وَتَغْنَمُ
لَا تَفْرِي مِنِّي فَمَا ذَاكَ يُرْضِينِي وَرَوْحِي بِكَ الْحَفِيُّ الْمُتِمِّمُ
لَحْظَاتُ كَهْذِي هِيَ مِنْ عُمْرِي، وَلَيْسَتْ أَعْوَامَ عُمْرٍ تَصَرِّمُ!

يوم الأم

مِنْ فُؤَادِي يَا أُمُّ هَذِي التَّحِيَّةُ هِيَ أَسْمَى تَحِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ
خَلَقْتَ وَالْوُجُودُ مِنْ نَفْحَةِ اللَّهِ وَبُنْتُ مَعَ الْحَيَاةِ الْوَفِيَّةِ
أَنْتِ رَمَزٌ لَهَا تَأَلَّقَ بِالْحُبِّ عَزَاءٌ فِي لَوْعَةِ الْبَرِّيَّةِ
يُظْلِمُ الْكَوْنُ حِينَمَا بِسَمَةِ مِنْكَ تُضِيءُ الْوُجُودَ وَالْأَلْمَعِيَّةِ
كُلُّ حَيٍّ أَرَى وَكُلُّ جَمَادٍ يَتَغَذَّى مِنْ رَوْحِكَ السَّرْمَدِيَّةِ
رَفَعْتَ فَوْقَهُ فَأَنْجَبَ مَا شِئْتَ وَصَارَ الْخَرَابُ دُنْيَا هَنِيَّةٍ
إِنَّمَا مَرِيْمُ الْبَتُولُ مِثَالُ لَجَالٍ وَهَبْتَ لِلْبَشَرِيَّةِ
كُلُّ مَرَأَى لِحُسْنِكَ مَعْنَى بَلْ مَعَانٍ شَرِيفَةً أَرْيَحِيَّةِ
ذِكْرِيَاتِي وَإِنْ تَطُلْ ذِكْرِيَاتُ لِدُيُونٍ عَلَى فُؤَادِي الضَّحِيَّةِ
لَمْ أَحَاوِلْ تَسْدِيدَهَا، ثُمَّ هِيَ هَاتِ فَقَدْ كُنْتُ كَالشُّعَاعِ الضَّحِيَّةِ
مَنْ يَفِي لِلشُّعَاعِ مِنْ بَعْدِ مَا ضَحَّى وَأَحْيَا الْمَوَاتِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ؟

قِيلَ هَذَا يَوْمَ لِحُبِّكَ مَذْخُورٌ، فَمَا الْيَوْمُ جَنْبَ عُمْرِي هَدِيَّةٌ؟
لَكَ خَلَصْنَتْهُ مَزْكَرَ الْكَدَرِ الشَّائِعِ مِرَاةَ كُلِّ مَا صُنْتُ فِيهِ
إِنْ أَبِي الْمَوْتُ أَنْ تَكُونِي بِقُرْبِي قَدْ أَبِي الْخُلْدُ أَنْ تَكُونِي قَصِيَّةً
كُلُّ أُمٍّ تُعِزُّ أُنْفَاكَ فِيهَا فَهِيَ أُمِّي، كَأَنَّهَا بِي حَفِيَّةً
وَأَرَانِي مُعَيِّدًا إِذْ أَرَانِي أَعْرِفُ الْيَوْمَ سِرَّ نَفْسِي الْأَبِيَّةُ!

الرموز

لَعَلَّ جَمِيعَ هَذَا الْكَوْنِ حَوْلِي رُمُوزٌ خَلَفَهَا مَعْنَى الْإِلَهِ
أَتَابِعُهَا فَتَشْعُرُنِي جَدِيدًا كَأَنَّ لَهَا انْتِبَاهًا لَا نَتَبَاهِي
وَتِلْكَ عِبَادَتِي الْكُبْرَى إِذَا مَا عَبَدْتُ وَلَيْسَ تَمْتَمَةُ الشِّفَاوِ
أُصَلِّي لِلْجَمَالِ، وَلَا أُصَلِّي كَمَنْ جَعَلُوا الصَّلَاةَ مِنَ الْمَلَاهِي
فَلَا تَقْطَعْ عَلَيَّ تَأْمُلَاتِي وَإِنْ طَالَتْ فَلَيْسَ لَهَا تَنَاهِي
وَحِذْ عَنْهَا التَّصَوُّفَ وَالتَّجَلِّي فَمَا كَانَا بِتَغْفِيرِ الْجَبَاهِ
وَمَا الرَّبُّ الْمُنْزِلُ الْخَلْقَ رَبًّا وَلَا الْمُتَجَبِّرُ الْعَاتِي الْمُبَاهِي

ورد أيار

أَيَّارُ كَادَ يَذُوبُ عِطْرًا سَابِغًا وَجَمَالَ أَلْوَانٍ وَجَمَّ حَنَانٍ
وَأَرَاكَ يَا وَرْدَ الرَّيِّيعِ بِنَوْمَةٍ طَالَتْ كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ إِيْمَانِي
أَتَظُنُّ عَهْدَ أَبِيكَ عَهْدًا غَابِرًا وَتَخَافُ مَا يَأْتِي بِهِ الْحَدَثَانِ

أَوْ لَا، فَفِيمَ إِذْنُ رُقَادِكَ هَاجِرًا
وَلِمَنْ تَبَرَّجْتَ الطَّبِيعَةُ بَعْدَمَا
أَوَلَسْتَ فَايَتَهَا الْمَالِيكَ، وَطَالَمَا
أَسْفَرُ جَوَاهِرَ نَمَقَّتْ أَصْبَاغُهَا
مَا زِلْتُ مُرْتَقِبًا، فَشِعْرِي لَمْ يَزَلْ
لَمْ تُغْنِهِ هَذِي الْمَوَائِدُ كُلُّهَا
مِثْلِي ظَمِئْتُ كَأَنَّنَا غُرْبَاءُ فِي الدِّ
مَا قَدَّرْتَنَا رَغْمَ تَقْدِيرِ لَنَا
بِي حُرْقَةُ الْفَنَانِ مِثْلَكَ قَابِعَا
فَمَتَى أَرَاكَ إِذْنُ تَهُمُّ مُمَرِّقَا
حَتَّى أُرْتُلَ فِي سَنَاكَ تَحْيَا
أَفْصَحْ وَلَا تَكُ مُبْهَمًا كَقَصِيدَةٍ
أَوْ كَالْأَغَانِي فِي الْغَدِيرِ تَسْتَرَّتْ
أَوْ كَالصَّبَابَةِ فِي الْقُلُوبِ دَفِينَةٌ
أَوْ كَالْحَقِيقَةِ حُجِبَتْ بِعُزُوفِنَا
أَفْصَحْ فَيَنْتَفِضَ الرَّبِيعُ مُجَدِّدًا

لِلنَّاسِ فِي الْأَكْمَامِ وَالْأُرْدَانِ
أَعْطَيْتُكَ عَهْدَ سَمَاحَةٍ وَأَمَانٍ؟
جَمَلْتَهَا بِنَفَائِسِ التَّيْجَانِ؟
أَيْدِي النُّجُومِ وَلَهْفَةُ الْفَنَانِ
ظَمَانٌ مُفْتَقِرًا إِلَيْكَ يُعَانِي
عَنْ وَحْيِكَ الْمُتَحَجِّبِ، الظُّمَانِ
دُنْيَا عَنْ الْإِلَهَامِ وَالْإِحْسَانِ
أَوْ أَنْصَفْتُ بِالرِّيِّ لِلرِّيَّانِ
فِي خَلَوْتِي، وَتَوَثَّبُ الْفَنَانِ
هَذِي السَّتَائِرُ وَاثِبًا لِعَيَانِي
بِالنُّورِ عَابِقَةٌ وَبِالْأَلْوَانِ
مَطْوِيَّةٌ بِمَشَاعِرِ وَجَنَانِ
بِالْمَوْجِ فَاحْتَجَبْتَ عَنِ الْإِنْسَانِ
وَتَنِمُّ عَنْ خَطَرَاتِهَا الْعَيْنَانِ
عَنْهَا وَمَا خَفِيَتْ عَنِ الْوُجْدَانِ
وَالْحُبِّ وَالتُّعْمَى بِكُلِّ مَكَانِ

أَنَا وَالنُّجُومُ (صُوفِيَّة)

غُضِّي عِيُونَكَ يَا نُجُومُ فَإِنِّي
لَنْ تَكْشِفِي سِرِّي، وَلَوْ أَعْطَيْتَنِي

أَرْنُو إِلَى الْقُدْسِيِّ مِنْ أَضْوَاءِ
مَا كُنْتَ كَاشِفَةً مَدَى إِسْرَائِي

هذي صَلَاتِي لَا أَدَانُ يَوْمُهَا
بُهْتِ الْمَسَاءِ لَهَا كَانَ تَأْمَلِي
إِنْ كُنْتُ فِي الْحُسْبَانِ أَحَقَّرَ ذَرَّةً
غَنَى الْإِثِيرُ بِهَا فِفَاضَ عَوَاطِفَا
أَصْنَعِي إِلَيْهَا يَا نُجُومُ فَرَبِّمَا
أَيْنَ الْأُلُوهَةُ؟ إِنَّهَا حَوْلِي وَمَا
هِيَ فِي الْحَيَاةِ وَكُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ
وُجِدَتْ مَعَ الْأَزَلِ السَّحِيقِ قَصِيدَةً
لَسْنَا سِوَى مِنْ بَعْضِ تَفْعِيلَاتِهَا
كَانَتْ وَسَوْفَ تَكُونُ، ذَلِكَ شَأْنُهَا
وَالْخُلْدُ مِنْ طَبَعِ الْوُجُودِ تَسْلَسُلًا
وَالْمَوْتُ مِنْ صُورِ الْحَيَاةِ، فَمَا مَضَى
فَتَأْمَلِيهَا يَا نُجُومُ، وَجُدْ لَهَا
فَلَرَبِّمَا أَصْبَحْتَ وَخَدَكَ هَادِيَا

غَرِدَا، وَلَا الْأَجْرَاسُ بِالضُّوْضَاءِ
أَلَقْ وَذُوبْ نُهَآيَ فِي الظُّلُمَاءِ
فَأَنَا رُمُوزُ عَوَالِمٍ وَفَضَاءِ
وَاهْتَرَزْ بِالْإِلْهَامِ لِلشُّعْرَاءِ
أَلْهَمْتِ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ إِيحَاءِ
خَفَيْتِ وَإِنْ عُدَّتْ كَحُلُمِ نَاءِ
فَجَمِيعُهُ حَيٌّ بِلَا اسْتِثْنَاءِ
نَارِيَّةَ الْأَنْغَامِ وَالْأَصْنَدَاءِ
أَوْ أَنَّنَا صُورٌ لَهَا وَمَرَاءِ
فَعَلَامَ فَلَسَفَتِي وَشَحَذُ ذِكَائِي
لَا طَوْعُ أَفْرَادٍ وَلَا أَشْيَاءِ
حَيٌّ بِلَا بَدَلٍ وَدُونَ عَطَاءِ
يَا عَقْلُ بِالْإِشْعَاعِ غَيْرَ مُرَائِي
لِلْأَرْضِ إِنْ أَصْنَعْتَ وَلِلْجُوزَاءِ!

هذا الوجود

هذا الوجودُ كما تَرَاهُ فَلَمْ يَكُنْ
وَلَسْنَا تَعَدَّدُ فِي مَظَاهِرِ كُنْهِهِ
بَاقٍ عَلَى الْآبَادِ مِثْلَ بَقَائِهِ
عُمُرِي مَلَائِينَ الْقُرُونِ وَعَدُّهَا
عُمُرِي هُوَ الْأَزَلُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي

إِلَآهَ فِي الْمَاضِي وَرَهْنِ الْآتِي
فَصَمِيمُهُ مُتَوَحِّدُ اللَّبَنَاتِ
قَبْلًا، وَتِلْكَ حَيَاتُهُ كَحَيَاتِي
دُونِي، وَفِي آيَاتِهَا آيَاتِي
حُسْبَانُهُ أَوْ يَنْتَهِي لِصِفَاتِ

فِيهِ الْحَيَاةُ مَعَ الْمَمَاتِ تَبَادُلًا
فَمِمَّ التَّحَدُّثُ عَنْ صِفَاتِ مَا لَهَا
الْكُونُ لَيْسَ سِوَاهُ كَوْنٌ آخَرُ
كَفَلَ الزَّمَانُ أَبَوَهُ إِعْلَانًا لَهُ
وَالْخَلْقُ فِيهِ تَحَوُّلٌ وَتَجَدُّدٌ
هَذِي الْأُلُوهَةُ فِي الصَّمِيمِ، فَقُلْ لِمَنْ
هَوْنٌ عَلَيْكَ! فَكُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ

كَالتَّوَأْمَيْنِ، فَمَا الْمَمَاتُ مَمَاتِي
أَصْلٌ سِوَى الْأَوْهَامِ وَالْعَثَرَاتِ
إِلَّا الْمَدَى الْمَحْجُوبُ عَنْ نَظْرَاتِي
وَالْعِلْمُ وَهُوَ مُنَاصِرٌ وَمَوَاتِي
وَتَعَدُّدٌ بِعَوَامِلٍ أَشْشَتَاتِ
فِي الْوَهْمِ فَلَسَفَ جَهْلُهُ بِالذَّاتِ:
وَيَكُونُ، مَاضِيهِ مَدَارُ الْآتِي!

الضباب

بُسِطَ الضَّبَابُ عَلَى الْحُقُولِ كَأَنَّهُ
فَمَحَا بِضَرْبَتِهِ الْجَدَاوِلَ وَالرُّبَى
لَمْ تَلَقَ مِنْهُ وَلَا مُحَاكَمَةً أَمْرِي
قَتَلَ الضَّيَاءَ كَقَتْلِهِ أَلْوَانَهَا
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا تَأْجَلَ خَلْقُهَا
وَمَضَى الضَّبَابُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاخْتَفَتْ
أَوْ أَنَّهَا ظِلُّ الْخَيَالِ ظِلَالُهَا

كَفُّ لِمَارِدٍ عَابَسَ قَتَّالِ
وَالْغَرَسَ دُونَ تَمْهِيلِ وَسُؤَالِ
عَاتٍ فَاسْرَفَ بَطْشُهُ الْمُتَوَالِي
وَأَدَالَ حُسْنًا لَمْ يَكُنْ بِمُدَالِ
وَكَأَنَّمَا الْعَدَمُ الْفَسِيحُ حَيَالِي
مِثْلَ اخْتِفَاءِ مَدَائِنِ الْأَطْفَالِ
فَإِذَا نُظِرْنَ فَهُنَّ غَيْرُ ظِلَالِ

هَذَا مَالِي وَالضَّبَابُ يَحْفُنِي
فَكَأَنَّمَا أُسْكِنْتُ كَهْفًا مَظْلَمًا
وَكَأَنَّمَا انْطَوَتْ الْحَيَاةُ بِزَفَرَتِي
وَكَأَنَّمَا وُئِدَتْ قُبَيْلَ فِطَامِهَا

بِالْحُزْنِ، لَا أَدْرِي سِوَاهُ مَالِي
مَا فِيهِ مِنْ صَحْبٍ سِوَى إِغْوَالِي
وَتَعَثَّرْتُ مِنْهُوَكَةً بِخَيَالِي
مُثْلِي أَوْ انْتَحَرْتُ بِهَا أَمَالِي

وكأنّما قُتِلَ العِزَاءُ مَضْرَجاً
وكأنّما لِلْيَأْسِ مُلْكٌ خَالِدٌ
وكأنّما ضُيِّعَتْ فِي دُنْيَا طَوَتْ
فَاعْتَرَزَ فِيهَا الْقُبْحُ غَيْرَ مُنَافِسٍ

بَدَمِي وَبِالْوَهْمِ الْحَبِيبِ الْغَالِي
وكأنّما إِقْبَالُهُ إِقْبَالِي
صَوْرَ الْجَمَالِ وَرَوْعَةَ الْمَثَالِ
وَاعْتَرَزَ فِيهَا الْمَوْتُ غَيْرَ مُبَالِي

دموعي

لَا تَرْقُبُوا مِنِّي الدُّمُوعَ رَخِيصَةً
لَيْسَتْ عَلَى نَفْسٍ تُرَاقُ وَإِنَّمَا
نُثِرَتْ شَوَاطِلُ لَيْسَ يَرْحَمُ ظَالِماً
كَالْجَحْفَلِ اللَّجْبِ الَّذِي تَعْنُو لَهُ
شِعْرِي دُمُوعِي، وَهُوَ إِنْسَانِيَّتِي
يَنْشَابُ فِي الْغُدْرَانِ مِنَ الْحَانِهِ
وَيَعُودُ بِالْأَمَلِ الْمَجَانِبِ رَاضِياً
وَيَفِيضُ كَالْبُرْكَانِ فِي حِمَمٍ لَهُ
شَخْصِيَّتَانِ لَهُ تَوَحَّدَتَا كَمَا
أَوْ كَالصَّلَابَةِ أَوْدَعَتْ فِي رِقَّةٍ
هَذِي دُمُوعِي لَا مَيُوعَةٌ عَاجِزُ
هَذَا قَرِيضِي ثُورَةٌ لِمَرَاطِنِي
هُوَ ثُرُوءٌ لِي، حَيْنَمَا هُوَ ثُرُوءٌ
فَاهِزاً بِهِ مَا شِئْتُ، أَوْ فَاثَعَمَ بِهِ

أَغْلَى الدُّمُوعِ الْمُحْرِقَاتِ دُمُوعِي
هِيَ بَعْضُ قُرْبَانِي لِغَوْثِ جُمُوعِ
أَوْ عَابِثاً، وَيَبْرُ بِالْمَفْجُوعِ
أُمَمٌ وَيَسْخَرُ بِالظُّلْمِ وَالْجُوعِ
وَتَحْرِقُنِي لِمَوَاطِنِي وَخُشُوعِي
أَلَقٌ، وَيَعْبَقُ ضَاحِكاً لِرُزُوعِ
مِنْ بَعْدِ هِجْرَتِهِ أَعَزَّ شَفِيعِ
وَيْلَا عَلَى الْمُتَجَبِّرِ الْمَفْزُوعِ
يَتَوَحَّدُ الْمَنْظُورُ بِالسَّمُوعِ
أَوْ كَالْبُطُولَةِ فِي إِهَابٍ وَدِيمِ
غُرٍّ، وَلَا بَالُ بِكُأَى خَلِيمِ
فِي بُؤْسِهَا، وَهَدَابَةِ الْمَجْمُوعِ
لِمَوَاطِنِي، وَرِسَالَتِي وَتُزُوعِي
يَا شَعْبُ، فَهُوَ حُشَاشَتِي وَدُمُوعِي!

رشيد سليم الخوري

كان الشاعر جدّ مشوق للقاء شاعر العروبة الأكبر رشيد سليم الخوري خلال زيارته أميركا واذ به يفاجأ بنبأ اعتزامه العودة إلى البرازيل دون أن يعرج على نيويورك، فكتب إليه مبادلاً وداعاً:

أموّدعي من قبل أن يلقاني
لِيلانٍ قد مرّاً مرورَ جحافلٍ
حين الغبارُ المستثارُ يحفُّ بي
هلاً بقيت إكّي أمتّع ناظري
يا تارك الشعرِ الوضيءِ ذخيرةَ
الشعرُ أنت وكلّ ما أودعتهُ
هيهات يُغني - رَغَمَ ذلكَ - شاعراً
يا أوحدَ العصرِ الذي إيمانهُ
يا مَنْ تَفَنَّنَ في ابتداعِ عوالمٍ
يا مَنْ رَأَتْهُ العَبْقَرِيَّةُ نَدّها
يا مَنْ شَأى^١ صورَ الحياةِ مُصَوِّراً
يا مَنْ أَحَبَّته الطَّبِيعَةُ حُبّها
يا مَنْ يَرِفُ النِّقْشُ نَفْضَ يَراعِهِ
يا مَنْ مَآثِرُ نُبلِهِ وشُموخِهِ
يا مَنْ يُحرِّرُنِي مَتى نَاجِيَّتُهُ
يا مَنْ يُخَفِّفُ مِنْ لَواعِجِ حَسْرَتِي

ماذا تَرَكْتَ لِحُلُمِي الفَنّانِ؟
والآنَ أُحْرِمُ وَحْيَكَ النَّوراني
والشَّمْسُ قد ضَاعَتْ ضِياعَ هَوانٍ
زَمَناً؟ وكيفَ تَغيبُ في نَيْسانٍ؟
كُبْرَى، وقد خَلُفْتَ ما أَغْناني
ديوانَكَ الحَيِّ المَعْرُزَ زَماني
يَهْوَى بك المثلَ الرَفِيعَ السَّاني
بالحقِّ أَسْعَدَ دائِماً إيماني
شَتَّى، وَجَدَدٌ مِنْ نُهى الفَنّانِ
في الخُلُقِ والآدابِ والإحسانِ
عَجَباً من الإحساسِ والوُجْدانِ
لِلَّهِ في مَلَكُوتِهِ الرّوحاني
بِيتِيمَةِ الأَلحانِ والألوانِ
كَمَآثِرِ الأَضواءِ في لُبْنانٍ
وَإِذا بَرِمْتُ بِبَيْتِي نَاجاني
بِدُمُوعِهِ، ودُمُوعِهِ أوطاني

^١ إشارة إلى عهدين مظلّمين عانى منهما الشاعر.

^٢ شأى: رفع؛ (و.ف.).

يا مَنْ خَواطِرُهُ تَزِيدُ خَواطِرِي
أُزجِي إِلَيْكَ تَحِيَّةً مِنْ مُهْجَةٍ
وَأَرْفُ أُغْنِيَةَ الْوَدَاعِ، وَإِنَّهَا
إِنْ كَانَ هَذَا الْجَوْ يُخْلِقُ رَوْحَنَا
عَمَّ الضَّبَابُ مَعَ الْغُبَارِ مُخْلَفًا
مَا كَانَ أَوْلَانَا بِتُبْلِكَ بَيْنَنَا
الْعَابِثِ الْجَانِي عَلَى أَلْبَابِنَا
كَمْ مَوْقِفٍ لِلْخُبْثِ يَرْقُصُ عِنْدَهُ
وَيَصُولُ فِي سَرِقَاتِهِ مُتَفَنِّنًا
يُطْرِيهِ أَطْفَالٌ وَيُطْرِي نَفْسَهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ أُعَمَّرَ كَيْ أَرَى
فِي مَوْطِنٍ لِلْعَقْلِ أَسْمَى مَنْزِلٍ
مَنْ لِي بِمِثْلِكَ كَالنَّبِيِّ مُكْرَمًا
يَتْلُو الْخَوَالِدَ مِنْ هُدَى إِنْجِيلِهِ
وَيَهْزُ أَلْفَ الْمَشَاعِرِ بَعْدَمَا
يُطَهِّرُ الْجِيلَ الْجَدِيدَ بِشِعْرِهِ
يَا مَنْ أَوْدَعَهُ وَلَسْتُ مَوْدَعًا
وَتَخَوْنُنَا الدُّنْيَا وَلَيْسَ يَخُونُهُ

أَلْقَا، وَيَرْفَعُ حُبُّهُ إِمْكَانِي
عَرَفْتُ بِكَ الْفَنَّانَ فِي الْإِنْسَانِ
قَبْلَ وَأَشْنَوَاقٍ لِحُلْمِ ثَانٍ
فَالْحُبُّ يَخْتُقُّهُ عَتَوْا أَنَانِي
رَهَقًا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ
كَيْمَا نَصُدَّ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ
وَمُمَرَّغِ الْأَلْبَابِ أَسْفَلُ جَانٍ
وَيَعَضُّ فِي الْأَعْرَاضِ كَالْتُّعْبَانِ
كَتَفَنُنِ الشَّغْوَرِ^٢ فِي الرُّوْعَانِ
وَكِلَاهُمَا نَوْعٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
هَذِي الْمَهَازِلَ مِنْ خِصَالِ زَمَانِي
فِيهِ، وَفِيهِ الْخُلُقُ أَعْظَمُ بَانَ
فِي مَوْطِنِ الْإِلَهَامِ وَالْعِرْفَانِ
فَيَبْرُ بِالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
مَائَتْ مِنَ التَّغْرِيرِ وَالْبُهْتَانِ
مِنْ كُلِّ شَعْوَذَةٍ وَمِنْ كُفْرَانِ
مَنْ ظَلَّ يَشْغَلُ بِي أَعَزَّ مَكَانِ
مَنْنِي سِوَى دَمْعِي وَفَرَطِ حَنَانِي

٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٣

^١ العتو: الاستكبار ومجاوزة الحد؛ (و.ف).

^٢ الشغور: Hornet.

عند البركة

جلس الشاعر إلى حافة البركة في المتنزه المجاور لمنزله في ضاحية جاميكا بنيويورك
يراقب البط السابح

يا أبدَ البطِّ سَبَّاحاً بلا وَجَلٍ
والنورُ يَرْفُضُ أصْبَاغاً وَزَرَكَشَةً
أَنْتَ المَعْلَمُ لِلإنْسَانِ أُلْفَتُهُ
وقَدْ تَفُوقُ جَمَالاً فِي تَنَاسُقِهَا
مَا بِالْخَلْيِ الَّذِي أَهْفُو لَطَلْعَتِهِ
وَأَنْتَ تُشْرِقُ إِيْمَاناً وَفَلَسَفَةً
أَجَاوَزَ البطُّ بَعْضَ النَّاسِ فِي خُلُقٍ
قَدْ طَارَ عَنْهُمْ فِرَاراً مِنْ جِنَايَتِهِمْ
فَلَا يَخُونُ فَرِيقٌ مِنْهُ شَيْعَتَهُ
وَالنَّاسُ لَدَتْهُمْ تَنْغِيصُ بَعْضِهِمْ
مَتَى أَرَاهُمْ وَلَوْ كَالْبَطِّ فِي حَلْقٍ
مَتَى أَرَاهُمْ - وَتَأْمِيلِي بِهِمْ أَبَداً -
مَتَى أَرَى الْحُبَّ فِيهِمْ غَيْرَ مُضْطَهَرٍ
يَا مَنْ يَدُوسُ عَلَى حَبِّي وَيُزْهِقُهُ
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي - غَيْرَ مَتَّهِمٍ -
وَمَا طَلَبْتُ لَهَا مَالاً وَلَا عَوْضاً

والماءُ يَرْقُصُ فِي ذَيْلٍ لَهُ فِيهَا
فِي الرِّيشِ والماءِ بِلْ أَيْأُ نُحْيِيهَا
بَعْضٌ لِبَعْضٍ عِظَاتٌ فِي مَعَانِيهَا
حُلَى لَدَيْكَ، وَتَزْهِي فِي مَجَالِيهَا
يَزُورُ عَنِّي كَأَنِّي مَنْ يُجَافِيهَا
كَأَنَّمَا تَحْكُمُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؟
حَتَّى غَدَا خَلَقَهُ لِلنَّاسِ تَسْفِيهَا؟
وَلَمْ يَزَلْ أُمَّةٌ تُعْلِي مَبَادِيهَا
وَلَا الْمَوْدَةَ تَلْقَى مَنْ يُعَادِيهَا
بَعْضاً وَتَهْدِيمُ دُنْيَاهُمْ وَبَانِيهَا
وَكَالطَّيُورِ وَفَاءً فِي تَعَالِيهَا؟
يُحْيُونَ مُعْجِزَةً مَا زِلْتُ رَاجِيهَا؟
أَوِ الْمَبَادِي إِعْزَازاً لِأَهْلِيهَا؟
وَتِلْكَ رُوحِي أَرْوَاحُ لِرَائِيهَا
قَدْ بَعَثَهَا - دُونَ مَنْ - مِنْ أَعَادِيهَا
وَلَا تَنْاءَ وَلَا نَكْرَى تُتَاجِيهَا

يا حامل الثمر

من وحي الريف

يا حامل الثمر الرفاف من جدل
تزهى بجهد نبيل كنت باذله
وتوجت جهدك الحي الذي اكتملت
وكل جوهرة عصماء ضاحكة
أما الخضار ففي ألوانه صور
لكنما بنها مستتبها شغف
وحالف الري حتى أنجبا تحفا
فاهتزت الأرض شكرانا وقد بعثت
هذا هو العيد يعز الحصاد به
شتان بين ثراب باعثر مهجا
شتان بين صحارى لا غناء بها
حيث الجداول تحبو وهي راقصة
وحيث صار الحصى في حظه مثلاً
فكيف بالخلق من ناس ومن بهم
وحيث زغردت النعمى بوفرتها
في كل فاكهة راح معتقة
وفي الندى سُبحات من طهارتها
وما النجوم التي نامت بقبتها
هذا هو العيش لو يذريه من صدقوا

إن الثمار لها كالناس إحساس
وما يئست فلم يقرب لها الياس
فيه الأمانى يا قوت وألماس
بالنور، والنور أفراح وأغراس
للفن ما حازها لوح وقرطاس
بالنفع، مستلهاً آياته الفاس
للناظرين وحتى أسعد الناس
وشكرها ملء هذا التبت أجناس
كما تعيد أقوام وأغراس
وأخر كلّه موت وأرماس
وبين جنات عدن عند من قاسوا
وحولها الأنس أزهار وأنفاس
للمنعمين ولم يرهقه سنواس
ومن طيور وحيث الورد والآس
ماء وكرماً ولم تعلق بها الكاس
بريئة وبهن الكوب والطاس
فما تشوب جمال الريف أدناس
إلا على ملكوت الحسن حراس
وذا هو المجد لو يذريه من ساسوا

إلى لص الجزيرة

لِمَاذَا أُعْزِي بَلْ لِمَاذَا أُهْنِيُ
إِذَا قِيلَ هَذَا غَابِرٌ مَاتَ عَهْدُهُ
نَحَارُ بِتَكْيِيفٍ لَهُ ثُمَّ حَيَّرْتِي
فَهَذِي الْمَخَازِي مَا لَهَا نِهَايَةٌ
سِوَى الشَّعْبِ لَمْ يُدْرِكْ وَجُوداً لَذَاتِهِ
شِعَارُكُمْ هَذَا التَّفَاقُ مَجْدداً
وَيَقْتَرِفُ الْإِجْرَامَ غَرٌّ مُسَبِّحٌ
وَيَبْرَأُ مِنْ هَذَا وَذَلِكَ مُجْرِمٌ
أَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ النَّاسِ شَهْمٌ مُنْزَعٌ
وَهَلْ أَصْفَرَتْ أَرْضُ النُّبُوَّةِ كُلُّهَا
وَهَلْ بَاتَ أَهْلُ الشَّعْرِ أَمْثَالَ غَيْرِهِمْ
وَيَرْضَوْنَ أُمْداحاً هِيَ الدِّمُّ عَيْنُهُ
تَفُوحُ نِفَاقاً كُلُّ حَيٍّ يَمْجُوهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَاكَ فَلْتَكُنْ
نَذِيراً وَتَبَشِيراً، وَوَعْظاً وَحِكْمَةً
وَإِنِّي الَّذِي قَدْ أَنْظَرُ الْغَيْبَ شَاخِصاً
أَقُولُ لَكُمْ لَا بَدْءَ مِنْ هَدْمِ مُلْكِكُمْ
لَأَنْتُمْ خَادِعْتُمُ الْقِسْطَ فِي الْوَرَى
وَفَلَسَفَةُ الْأَقْدَارِ لَيْسَ لَهَا وَنَى
وَمَا ظَمِيَّ الْجَبَّارُ إِلَّا وَهْدٌ.

وَشَعْبُكُمْ لِلدُّلِّ وَالظُّلْمِ مَوْطِيُ
رَأَيْنَا جَدِيداً عَهْدُهُ الشُّؤْمُ أَسْوَأُ
تُجَنُّ، فَلَا أَدْرِي بِمَا الْيَوْمَ أَبْدَأُ
وَكُلُّ قَرِيرٍ عِنْدَهَا يَتَفَيَّأُ
كَأَنَّ الْمَمَاتَ الصَّرْفَ أَحْلَى وَأَهْنَأُ
وَفِي صَخَبِ الْأَحْدَاثِ حِصْنٌ وَمَرْفَأُ
وَبِالْخَمْرِ غَرٌّ أَثِمُّ يَتَوَضَّأُ
فَمَنْ يَا تُرَى الْجَانِي الَّذِي لَيْسَ يَبْرَأُ؟
يُدَوِّي لَهُ صَوْتُ، وَبِالْحَقِّ يَجْرُو؟
وَأَرْضُ الْحِجَا عَنْ زَاكِرٍ لَيْسَ يَهْدَأُ؟
صَعَالِيكَ، كُلُّ لِلضَّلَالِ يَوْطِيُ؟
إِذَا عَقَلَ الْأَحْيَاءُ، بَلْ هِيَ أَرْدَأُ
وَمِنْهُ ضِيَاءُ الْحَقِّ يَكْبُو وَيَصْدَأُ
لَصَيْحَةٍ شِعْرِي مَا يَهْزُ وَيَفْقَأُ
وَمَا كَانَ نُصْحٌ مِثْلُ نُصْحِي يُرْجَأُ
أَمَامِي فَأَرْوِيهِ وَلَا أَتَنْبَأُ
وَإِنْ كَانَ هَذَا الْهَدْمُ بِالْغِشِّ يُنْسَبُ
وَكُلُّكُمْ فِي النَّهْبِ غَرْتَانُ يُمْرَأُ
إِذَا حَكَمْتُ، لَكِنَّهَا تَنْهَيَا
عَنِّي مِنَ الْأَحْدَاثِ لِلْعَدْلِ أَظْمَأُ

فَإِنْ تَبَتَّغُوا عُقْبَى تَصُونُ رُؤُوسَكُمْ
وَرُدُّوا إِلَى الشَّعْبِ السَّالِبِ كُنُوزَهُ
وَكُونُوا رَعَايَا بَيْنَهُ لَا مَوَالِيَا^١
وَإِنَّا بِعَصْرِ سَيِّدِ النَّاسِ خَادِمٌ
وَمَا عِزَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَلَكَئَةٍ
فَمَنْ خَانَهُ خَانَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
وَلَا بُدَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْ بَعَثِ ثَوْرَةٍ
وَعِدَائِزٍ تَغْدُو الْجَزِيرَةَ كُلَّهَا
فَهَلَّا ادَّكَّرْتُمْ وَاتَّعَظْتُمْ وَعِنْدَكُمْ
سَتَفْنَى قُصُورٌ شِدَّتُمْوَهَا وَتَمَحَى

فَهَبُّوا إِلَى سَعْيِ شَرِيفٍ يُوْطِئُ
وَصُونُوا لَهُ عِرْضاً بِكُمْ صَارَ يُهْرَأُ
فَمَا كَانَ مَوْلَى مَنْ يَخُونُ وَيَهْزَأُ
لِعِزَّتِهِمْ، لَا غَاشِمٌ رَاحَ يَنْتَأُ^٢
وَلَا رُوحَهُ إِلَّا جَلَالٌ وَمَرْبَأُ
وَمَنْ خَانَهُ لَا بُدَّ يَشْقَى وَيُزْرَأُ
وَمَنْ أَخْطَرَ الثُّورَاتِ حُنُقٌ مُخْبَأُ
مَنَاراً لِكُلِّ انْثَائِرِينَ وَتَرْبَأُ
صَحَائِفُ التَّارِيخِ بِالنُّذْرِ تُمْلَأُ
حُصُونٌ لَكُمْ فِي حِينٍ يَرْسَخُ مَبْدَأُ!

١٩٥٣

رَبِّ عَيْشٍ يَفْرُ مِنْهُ الْحَمَامُ!^٣

هَتَفَ الْعَابِثُونَ بِالسَّلَامِ لِلسَّلَامِ
وَأَطَارُوا الرِّصَاصَ يَرْدَى بِهِ الْخَلْقُ وَقَالُوا الْحَمَامُ هَذَا الْحَمَامُ
قَالَ لِي نَاصِحِي الصَّدِيقُ ابْنُ صَبَاحٍ: "تَأَمَّلْ! فَللطفاة ابتسام
يُرْهِقُونَ الشَّعُوبَ قَتْلًا وَتَغْذِيَا وَيَشْكُونَ أَنَّهَا لَا تَنَامُ

^١ مواليا: أسيدا.

^٢ ينتأ: ينتفخ.

^٣ بلغت الجزائر في الثاني عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حمامة على ساقها حلقة تُشعر بأنها نزلت عن موسكو، فأوحت إلى الأستاذ عيسى خليل صباح قوله "ربّ عيش يفِرّ منه الحمام" وأعجب الشاعر بهذه البداة فضمّن تلك الخلطة المموّهة بهذه الأبيات.

وَالشَّقَاءُ الشَّقَاءُ فِي قَوْمِهِمْ شَبٌّ وَأَضْحَى أَخْفَ مِنْهُ الضَّرَامُ
هَرَبَ الطَّيْرُ حِينَمَا عَجَزَ الْخَلْقُ وَمَاتَ النَّبَاتُ بِلْ وَالرَّغَامُ
رُبَّ عَيْشٍ أَخْفَ مِنْهُ الْحِمَامُ هُوَ عَيْشٌ يَفْرُ مِنْهُ الْحَمَامُ!

الطَّلَّ والعشب

أهدى الأديب المهجري الكبير الدكتور أبو علي خير الله (١٨٧٩ - ١٩٥٩)
الشاعر حين عادة في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٢ في مستشفى مدتلون في
نيويورك باقة من الورد الأحمر فحيا الشاعر مودته بهذه الأبيات

وفاء العُشْبِ لِلطَّلِّ السَّريِّ ^١	وفائي للصَّدِيقِ أَبِي عَلِيٍّ
فَأَنْعَشَنِي كَوْحِي مِنْ نَبِيٍّ	شَمَمْتُ عَبِيرَ وَرْدِكَ حِينَ سَقَمِي
وَالْفَدَمِي كَمَعْنَى عِبْقَرِي	وَمَا زَالَ الْأَرِيحُ خَدِينِ أَنْفِي
فَمَنْ مِثْلِي بِمِيرَاثِي الْغَنِيِّ؟	يَوَاقَيْتُ بِحُمْرَتِهَا أَضَاءَتُ
وَقَدْ مُزِجَا تَفَنُّنُ جَوْهَرِي	كَأَنَّ ضِيَاءَهَا وَشَذَى حُلَاهَا
كِبَارُ فِي الرُّمُوزِ وَفِي الرُّوِّي	وَلَكِنْ تِلْكَ أَفْئِدَةٌ صِفَارُ
مُنَاجَاةٌ لَهَا وَإِلَى نَجِيِّي	تَرِفُ بِشَعْرِهَا فَيَرِفُ قَلْبِي
كَنْحَلِي وَالرَّحِيقِ السُّكْرِي	صَدِيقِي مَنْ خَبَرْتُ هَوَاهُ صِدْقًا
تَنَاطَّرَ فِي الْحَدِيثِ اللَّوْلِي	وَمَنْ كَانَتْ زِيَارَتُهُ شِفَاءً
وَفِي أَنْسِ عَجِيبِ مُسْتَحْيٍ	وَمَنْ كُمَيْهِ فِي عَطْفٍ رَشِيقٍ
وَيَزْدَادُ اقْتِرَابُ أَبِي عَلِيٍّ	يَفْرُ الْعَامُ بَعْدَ الْعَامِ مِتِّي
أَجَلٌ، وَجَزَاءُ تَسْبِيحِي التَّقِي	كَأَنَّ حَنَائِهِ عَوْضُ لَعْمَرِي

^١ السري: الجيد من كل شيء.

وجافى مَنْ مَحَضَتْ لَهُ وِدَادِي
وَأَنْتَ بَقِيتَ لِي الدُّخْرَ المَرْجَى
ولو أَنِّي صُلِيتُ جَزَاءَ صِدْقِي

كَأَنَّ الهَجَرَ مِنْ حَظِّ الوَفَى
تُجَمَّلُ لِي بِحُبِّكَ كُلِّ شَيْءٍ
وَدِدْتُ نِهَائِي مِثْلَ الوَلَى!

٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

الخريف!

"الخريف! الخريف!" رَدَدَتْ الأَطْيَارُ نَشِيداً مُرْقِراً كَالضِيَاءِ
لَسْتُ أَذْرِي أَكَانَ يَصْنَحُهُ الخَوْفُ مِنَ البَرْدِ أَمْ حَوَاهُ الحَيَاءُ
كُلُّ شَيْءٍ صَافٍ وَصَاحٍ وَبَسَامٌ، كَأَنَّ الشَّبَابَ فِي وَجْنَتَيْهِ
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ نَالَهُ البَعْثُ بَعْدَ الصَّيْفِ حُلُوًّا وَالشُّوقُ فِي مُقْلَتَيْهِ
قَدْ خَرَجْنَا مِنَ الجَحِيمِ مُعَافِينَ فَمَنْ ذَا يَشْتَاقُ عَهْدَ الجَحِيمِ؟
أَيُّهَا المُشْتَكِي! تَنَعَّمْ قُبَيْلَ النَفْسِ شَرِيداً إِلَى الصَّقِيعِ العَمِيمِ!
الوَجُودُ القَرِيرُ حَوْلَكَ يَفْتَرُّ بِتَسْبِيحِ عَابِدٍ فِي صَلَاتِهِ
غَلَبَ الخَوْفُ جَمُّ إِيْمَانِهِ الحُلُوِّ فزَادَ الإِيْمَانُ مَجْلَى حَيَاتِهِ
وَإِخَالَ الأشْجَارِ فِي نَثْرِهَا الأَوْدَاقَ تَعَرَّيْنِ قَبْلَ يَوْمٍ عَمِيقٍ
كَالْجَمَالِ الَّذِي تَهَيَّأَ للنُّومِ طَوِيلاً مَعَ الشِّتَاءِ الصَّدِيقِ!
لَا تُبَالِي مَا بَعْدَ نَوْمَتِهَا الكُبْرَى وَلَمْ تَكْثُرْ لِذُرِّ الشِّتَاءِ
حَسْبُهَا اليَوْمَ نَشْوَةٌ مِنْ حَيَاةٍ لَمْ تُنْقُصْ، فَمَا لَهَا وَالفَنَاءِ؟

طابع البريد

خادمٌ أمرٌ كفيلاً بكُثْبِي ما له موطنٌ وإنْ عاش قُربِي
بيعَ كالعبيد حينَ يَخْتَمُّهُ البائعُ بالضَّرْبِ، وهو طَوْعاً يُلَبِّي
يَتَزَيَّا بما تَعَدَّدَ في الأزياءِ والرَّوَاياتِ عَنْ كُلِّ صَوْبِ
يَمْتَطِي البحرَ والهواءَ كَمَا يركبُ طُرُقَ الحديدِ بلْ كُلَّ رُكْبِ
خَرَسَاتِهِ الجُنُودُ أَنْفُسَ مَا تَخْرُسُ رَمَزاً لِسَيِّدٍ مُسْتَتَبِ
وَمِائَاتُ الْأَتْبَاعِ فِي كُلِّ صِقْعٍ، مَنْ يَخُنُّهُ يوصَمُ بِأَقْبَحِ ذَنْبِ
كَمْ مَرَارٍ قَدْ قَبَّلَتْهُ تُغُورُ جَاهَهَا رَاقِصاً بِقُبَلَاتِ حُبِّ
كَمْ مَرَارٍ جَرَتْ عَلَيْهِ دُمُوعٌ مِنْ شُجُونِ طِفْخَسٍ مِنْ ذُؤَبِ قَلْبِ
كَمْ مَرَارٍ أَهَيْنَ لَعْناً وَتَمْزِيقاً كَمَا جُوزِيَ الْمَسِيحُ بِمَلَبِ
وهو ذاك العفيفُ لا شَيْءَ يَرْضَاهُ سِوَى نَفْعِ غَيْرِهِ دُونَ كَسْبِ
جَابَ كُلَّ الْأَقْطَارِ لَا يَشْتَكِي الْإِيْنَ وَمَا زَالَ بَيْنَ سَلْمٍ وَحَرْبِ
وَيُلَاقِي الْأَهْوَالَ غَيْرَ هَيَّوْبِ، وَبِهِ أُرْخِضَتْ عِظَائِمُ شَعْبِ
وهو فِي الْحِجْمِ أَصْغَرُ النَّاسِ طُرّاً، وهو فِي الشَّأْنِ شَامِخٌ مِثْلَ رَبِّ
يَتَبَارَى وَالْمَالِ فِي قَهْرِهِ الْخَلْقَ وَإِنْ كَانَ لَمْ يُلَوِّثْ بِعَيْبِ
وهو إِنْ عَيْبَ صَارَ أَعْظَمَ فِي الْقَدْرِ وَأَعْلَى فِي عَيْنِ كُلِّ مُحِبِّ
وَإِذَا مَاتَ لَمْ يَمُتْ، وَتَعَالَى شَأْنُهُ، وَاسْتَحَالَ كُنْزاً لِصَحْبِ!

مجلس قهوة

تُنادِينَا بِنُكْهَتِهَا، فَهَيَّا
لَتَحْسُدْهَا الْأَزَاهِرُ وَالِدَوَالِي
نَمَاهَا الرُّنْجُ حَبَّاتٍ صِغَاراً
وَقَدْ خَلَصَتْ طَوِيَّتُهَا جَمَالاً
إِذَا شُمَّتْ تَفُوحُ بِكُلِّ قَلْبٍ
وَإِنْ رُشِفَتْ تَطُوفُ بِكُلِّ نَهْنٍ
هَلُمُّوا! إِنَّ مَجْلِسَهَا رِييْعٌ
وَفِي أَقْدَاحِهَا حَبٌّ بَرِيءٌ
كَأَنَّ حُبَابَهَا مِنْ ذَكْرِيَّاتٍ
إِذَا مَا اسْتَوْعِبَتْ رَفَعَتْ نُفُوساً
كَأَنَّ سَوَادَهَا أَخْفَى نُجُوماً
هَلُمُّوا نَقْتُسْ مِنْهَا حُبُوراً
فَمَا بَخَلْتُ لَنَا مِنْ قَبْلُ يَوْماً
وَكَمْ عَادَتْ لَنَا عَوْداً حَمِيداً
وَنُحْرِقُهَا وَنَسْخَقُهَا فَتَرْكُودٍ
وَنُغْلِيهَا فَتَرْقِصُ فِي غَرَامٍ
أُبْرِهَافِهَا أَيْهَا السَّاقِي أُبْرِهَافِهَا
فَمِنْ أَحْلَامِهَا سَوْدٌ وَآيٍ
إِذَا مَا الرَّاحُ أَغْنَتْنا بِوَهْمٍ
وَمَا حُلْمُ النَّيَامِ وَإِنْ تَغَالَى

نَعَمْ هَيَّا لِنَعْبُدْهَا سَوِيّاً!
وَتَعشَقُ رُوحَهَا، الرُّوحَ الشَّدِيّاً
كَحَبَّاتِ الْقُلُوبِ لَظَى وَرِيّاً
فَلَا حَرْجٌ إِذَا اسْوَدَّ الْمُحْيَا
جَنَى كَالشَّهْدِ مُبْتَسِماً زَكِيّاً
وَتُبْدِعُهُ الطَّرُوبُ الْعَبْقَرِيّاً
بِأَلْوَانِ الْمَلَاخَةِ قَدْ تَزَيَّا
كَحَبِّ الطِّفْلِ يَمْرُحُ مَسْتَحِيّاً
هَوَاتِفُ كَالْكُوكُوبِ وَالثُّرَيَّا
إِلَى مَا لَيْسَ تَرْفَعُهَا الْحُمَيَّا
يُلَاعِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً صَبِيّاً
يُشْعِشِعُنَا وَتَلْتُمُهُ نَجِيّاً
بِبَهْجَتِهَا وَلَا جَفَتْ النُّدِيّاً
وَكَمْ جَادَتْ لَنَا جُوداً سَخِيّاً
كَأَنَّ لَمْ نَرْتَكِبْ أَمْراً فَرِيّاً
وَتَمْنَحُنَا الرِّحِيْقَ الْكَوْثَرِيّاً
وَبَادِرُ، رَيْمًا خَلَقْتَ نَبِيّاً
وَالْهَامُ نَطَالِعُهُ خَفِيّاً
وَجَدْنَا الْقَهْوَةَ الْحَقَّ الْغَنِيّاً
كَحُلْمِ الصَّحْوِ مُؤْتَلَقاً سَرِيّاً

أَدْرُهَا كِيْ أُوَازِلْهَا وَفِيَا كَمَا أَهْوَى، وَأَتْرُكْهَا وَفِيَا!

تَحِيَّةُ الزَّهْرِ

إلى الصَّدِيقَيْنِ العَزِيزَيْنِ مارْغَرِيتَ عبدِ الأَحدِ وزَوْجَها الدَكتورِ جانِ بِنارِ في الرَّابِعِ مِنْ
تَشْرِينِ الأَوَّلِ / أَكْتُوبِرِ ١٩٥٢ مِنْ مَسْتَشْفَى مَدْتَلُونِ بِنْيُورْكَ حَيْثُ كَانَ الشَّاعِرُ
مَرِيضاً فَاهْدِيا إِلَيْهِ بَاقَةَ مِنَ الزَّهْرِ تَحِيَّةً مِنْهُمَا

لَكُمَا شَكَرْتُ تَحِيَّةَ الزَّهْرِ
قَدْ حَبَّبَتْ لِي غَائِباً سَقَمِي
وَتَحَدَّثَتْ بِحَنَانِ إِنْسَانٍ
قَرِيبُتُهَا مَنِّي فَنَادَتْنِي
وَهِيَ الْجَرِيحَةُ بَعْدَ مَا قُصِّتْ
لَكِنَّنَا بَتَجَاوُبٍ صِرْنَا
شَكَرْتُكُمَا شُكْرِي وَقَدْ فَرَحْتُ
وَأَنَا الْمُتَرْجِمُ عَنْ مَعَانِيهَا
صِرْنَا كَأَنَّا خَالِدَانِ مَعَا
وَلَوْ أَنَّهُ خُلِدَ لِأَخْلَامِ
أَعْلَى الْهَدَايَا لَحَظَّةُ الْأُنْسِ
حَتَّى الْفَنَاءُ بِهَا لَهُ مَعْنَى
فَلَمَنْ أَفَاضَا الْأُنْسَ أَلْوَانَا

فِي بَاقَةِ الْأَلْوَانِ وَالْعِطْرِ
مُذْ خَفَّفْتُ مِنْ نَفْحِهَا أَلْمِي
إِنْ غِبْتُ لَا يَسْلُو وَيَنْسَانِي
وَلَوْ أَنَّهَا قُطِفَتْ وَنَاجَتْنِي
وَلَوْ أَنَّهَا فِي زُخْرُفٍ رُصِّتْ
صِنُوفِينَ نَعْرِفُ عُمُرَنَا الْفَنَاءَ
بِلِقَائِنَا وَشَدَّتْ بِمَا نَفَحَتْ
يَا لَيْتَنِي أَحْكِي أَغَانِيهَا
وَالْكُونُ يَنْفَحُنَا بِمَا جَمَعَا
كَخُلُودِ أَطْيَافٍ وَأَنْغَامِ
لَطَفَتْ كَذُوبِ النَّفْسِ فِي النَّفْسِ
مُسْتَعَذِبٌ يَرْضَاهُ مَنْ يَفْنَى
شُكْرًا وَشُكْرًا مِنْ حَنَائِنَا

ثورة عليل

من مستشفى مدتلون في نيويورك إلى جريدة السائح النيويوركية

إِنْ نَالَنِي السُّقْمُ لَمْ يَبْلُغْ بِي الْجَزَعُ
وَمَا جَزَعْتُ لِنَفْسِي مِثْلَمَا جَزَعْتُ
كَمْ لِلْعُرُوبَةِ فِي نَفْسِي مِثْمُهَا
الْحَاكُمُونَ بِلَا دِينَ وَلَا شَرْفٍ
وَالهَازِلُونَ بِنَهْرِيحٍ وَقَدْ خَلَقُوا
يَا لَأَيِّمِي مَنْ أَدَالُوا عِزَّ أُمَّتِنَا
لَوْلَاكُمْ مَا اسْتَبَاحَ الْعِلْجُ عِزَّتَنَا
وَمَا نَزَالَ، فَكَمْ مِنْ زُمْرَةٍ شَقِيتْ
يُوحِي لَهَا الْقَاتُ وَالْقَنَابُ غَفْلَتَهَا
وَحَوْلَهَا النَّارُ بِالْعُدْوَانِ صَارِحَةً
يَا لَيْتَنِي مُسْتَطِيعٌ أَنْ أَطَهَّرَهَا
وَأَنْ أَحْكُمَ سَيْفًا فِي أَصَاغِرِهَا
وَأَنْ أَقْطَعَ أَذْنَابًا لَهَا مَرْنُوا
وَأَنْ أَثِيرَ جَمِيعَ الْعُرْبِ قَاطِبَةً
إِنِّي لَجِدُّ حَزِينٍ حِينَ أَرْقُبُهَا
وَحَوْلَهَا لِلتَّعَالِي فِي بُطُولَتِهِمْ
وَكُلُّ حَوْلِي فِي شِعْرِ أَجُودُ بِهِ

مَا قَدْ يُعَابُ وَلَمْ يَعْبَثْ بِي الْفَزَعُ
نَفْسِي لَغَيْرِي وَقَدْ هَانُوا وَمَا جَزَعُوا
وَالْقَاهِرُونَ لَهَا جَانٍ وَمَنْتَفِعُ
وَالغَاصِبُونَ وَأَقْصَى نُبْلِهِمْ طَمَعُ
مِنْهُ الْبُطُولَةُ أَلْوَانًا، وَكَمْ خَدَعُوا
خَلَّوْا النِّفَاقَ فَأَنْتُمْ فِي الْأَذَى شَرَعُ
وَلَا اسْتَبَدَّتْ بِنَا الْأَوْهَامُ وَالْبِدَعُ
نُسْتَوْرُهَا الْجَهْلُ أَوْ نُسْتَوْرُهَا الْوَدَعُ
فَمَا تُفِيقُ، وَمَا يَدْنُو لَهَا الْهَلَعُ
كَأَنَّمَا لَيْسَ فِيهَا الْيَوْمَ مُسْتَمِعُ
وَأَنْ أَهْزَ نِيَامًا فِي الرَّدَى قَبَعُوا
الْهَارِمِيهَا بِمَا بَنَوْا وَمَا جَمَعُوا
عَلَى الْفُجُورِ وَقَالُوا فَجَرُهُمْ وَرَعُ
كَمَا يُثَارُ إِذَا مَا هُوَ جَمَ السَّبْعُ
يُودِي بِهَا النَّثْبُ أَوْ يُودِي بِهَا الضَّبْعُ
مَا لَمْ يَعُدْ بَعْدَهُ لِلْخُبَثِ مُتَّسِعُ
كَمَا أَجُودُ بِأَنْفَاسِي لِمَنْ سَمِعُوا

٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

مقبرة الإنسانية (اليمن السعيدة)^١

"أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر"

حديث شريف

مَهْدُ الْحَضَارَةِ لِلْعُرُوبَةِ كُلِّهَا
قَدْ كُنْتَ سَابِقَةَ الْقُرُونِ بِعِلْمِهَا
عَجِبْتَ تَمَائِيلُ رُفْعَنَ جَلَالَةٍ
وَكَأَنَّمَا فِي أَمْسِهَا قَدْ أَشْعِرْتُ
إِنْ كَانَ هَذَا وَحْيَ دِينِ مُحَمَّدٍ
حَاشَا، وَحَاشَا، تِلْكَ نَكْبَةُ أُمَّةٍ
مِنْ كُلِّ سَيْفٍ قَدْ تَتَلَمَّ مَجْدُهُ
أَوْ كُلِّ أَبْكَمَ صَارَ يُحْسَبُ قَاضِيًا
أَوْ كُلِّ زُنْدِيقٍ عَرِيقٍ، عَابِدٍ
أَوْ كُلِّ مَنْ زَعَمَ الْإِمَارَةَ حِينَمَا
أَوْ كُلِّ مَنْدُوبٍ تَحْشَرَجُ صَوْتُهُ
أَوْ كُلِّ مَنْ زَعَمَ الْإِمَامَةَ بَيْنَمَا
أَوْ كُلِّ مَأْفُونٍ يَصِيحُ مَغَالِطًا
وَطَنٌ تَجَسَّمَتِ الْعُرُوبَةُ نَكْبَةً
النَّاطِحَاتُ بِهِ شَمَخْنَ سَوَابِقًا
وَالْهِنْدَسَاتُ وَسَدُّ مَأْرَبَ خَلْفَتْ
وَالسَّامِقَاتُ مِنَ الْمَدَارِسِ كُلِّهَا
لَا ظُلْمَ؛ ظُلْمُ الدَّهْرِ عَدْلٌ صَارِخٌ

كَيْفَ انْتَهَيْتِ إِلَى نِهَآيَةِ ذُلِّهَا
فَرَجَعْتَ فِي ذَيْلِ الْقُرُونِ وَجَهْلِهَا
فَهَوَتْ لِمَا بَلَغَتْهُ خِسَّةٌ مِثْلُهَا
أَفْعَالُهُمْ فَتَحَطَّمَتْ مِنْ هَوْلِهَا
فَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ نِعْمَةٌ أَهْلُهَا
بِالْحَاكِمِينَ الْقَاتِلِينَ لِنَبْلِهَا
فِي الْمَوْبَقَاتِ وَيَسْتَعْرِزُ بِفَعْلِهَا
وَالْمُومِيَاءُ أَجَلٌ مِنْهُ بِأَصْلِهَا
لِلْمَالِ يَحْتَرِفُ الدَّعَارَةَ وَالْهَآ
عَيْنُ الْحَقَارَةِ مَا اسْتَبَاحَ مُؤَلَّهَا
مِثْلَ الْجَنَادِبِ وَهُوَ دُونَ أَذْلِهَا
حَكَتِ الدُّبَابُ بَطْنَهَا وَبَظَلَّهَا
وَالسُّخْرُ يَتَّبِعُ مَا رَوَى مُسْتَأْلَهَا
فِيهِ وَلَا نَكَبَاتٍ صُورَ وَبَعْلَهَا
وَالْيَوْمَ تَسْحَقُهَا الصُّرُوفُ بِنَعْلَهَا
لَهْفَى الْخَرَائِبِ فِي مَهَانَةِ رَمْلِهَا
دَرَسَتْ وَلَمْ يَكُ مِثْلُهَا مِنْ قَبْلِهَا
مَا دَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ نَقْمَةً عَدْلَهَا

^١ كذا في الأصل.

يا مَنبَت الكندي^١، يا مَن يَنْتَمي
 مَن أدهشت كِسرى بحكمة عمرو^٢ ما^٣
 مَن شَيَّدَتْ غَمْدان^٣ مَن إلهامها
 مَن أطلعت صنعا نَجْمَ حضارة
 مَن لا نزال نَعارُ في آياتها
 كيف استحدثت إلى مِباءة سوقة
 جعلوا البلاد وأهلها كبهائم
 القات تَمْضَغُهُ فيَجْري سُمُّه
 وإمامنا يحيى يُمَجِّدُ ويُلْه
 أسفي، وما أسفي عليها وحدها
 أُمُّ العُروبة في الضَّجيج عريقة
 شَكَو الطَّغاةَ وحين تهملُ أختها
 إِنَّ الحَواثِلَ كُلَّها عِبرٌ لَكُم
 تَسْتَرُونَ على الفضائح ضِلَّة
 فَتُمْكِنُونَ لسارقٍ ولسارقٍ
 ليت ابنَ خلدونٍ وتلك رُبوعُهُ
 أو ليت لي شِعْرَ الزبيري الذي
 أو ليت لي يوماً عواصفَ أحمِر
 وأبي العلاء العبقرى وغيرهم

نُحِبُّ الفُوارسِ والعقولِ لعقلها
 مَن أنجبت بلقيسَ صورةَ دَلْها
 وفُحولة الشُّعراءِ دونَ أَقلِّها
 عَمَّتْ بأنفسِ روعةٍ وأجلِّها
 إذ تَغمرُ التاريخَ سيرةَ فضْلِها
 عَمِلُوا على هَذِرِ الكرامةِ كُلِّها؟
 مَوْبوعةٌ حُبِسَتْ على إسْطَبْلِها
 فيها، فتركعُ نشوةً لُذْلُها
 شعراً، ويكنزُ تَبْرَهُ من ويلها
 بل للشعوبِ العالقاتِ بذِلِّها
 الفاخراتُ بخيلِها وبرجلِها
 في الغلِ تُصْبِحُ من تَهَشُّ لِغَلِّها
 يا غافلينَ عن الحياةِ وقولِها
 ولطالما خانتُ عُهُودَ مُحِلِّها
 جَعَلَتْهُما صنعا غايةَ شغلِها
 حَيٌّ لِيُفَصِّحَ رأيَه عن خذلِها
 في النفي ناحٍ لخطبِها ولثكلِها
 وأبي فراسٍ مُزْمِجراً من أَجلِّها
 من أهلِها قَدْ أَثَرَعُوا مِن نَهْلِها

^١ الفيلسوف الكندي.

^٢ عمرو بن معد يكرب.

^٣ قصر غمدان.

المُسْتَهْمِينَ بِعِلْمِهِمْ وَبِفَنِّهِمْ
أَوْ لَيْتَ لِي كَالشَّنْفَرَى غَضْبَاتِهِ
أَوْ شَأْنَ مَالِكٍ^١ مِنْ سُلَالَةِ حَمِيرٍ
أَوْ وَعْظِ نَجْمِ الدِّينِ^٢ رَنْ كَأَنَّهُ
أَوْ بَأْسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْعَالِي الدَّرَى
وَنُهِى الْفَرَاهِيدِي^٣ الَّذِي أَحْيَا اللَّغَى
وَسَنَا الْبِهَاءِ^٤ وَكَمْ يُدَاوِي شِعْرَهُ
وَبِرُوحِ صِرَاحِ الْآتِي لَمَّا تَزَلْ
وَهَيَاكِلًا مَا زَالَ عُلْقَمَةُ^٥ بِهَا
يَا لَيْتَ لِي هَذَا وَذَاكَ وَبِضْعَةٍ
حَتَّى أَهْزَ السَّادِرِينَ، لَعَلَّهُمْ

فِي رِفْعَةِ الْإِنْسَانِ أَوْ فِي بِذْلِهَا
أَوْ كَامَرِي الْقَيْسِ الْوَفَاءَ لِنَصْلِهَا
فِي الدِّينِ وَالتَّقْوَى لَطْهَرِ مَحَلِّهَا
قَدَرٌ يُحْذَرُ فِي حِمَاسَةِ خَلِّهَا
الْمُسْتَعَزُّ بِأَصْلِهِ فِي سَهْلِهَا
بِعَرُوضِهِ وَيَحْذَقُهُ فِي شَكْلِهَا
مَرَضَى النُّفُوسِ الْعَانِيَاتِ بِسُلِّهَا
أَطْلَالُهَا تَرُوي الْخُلُودَ لَطْلُهَا
يُوحِي السِّيَادَةَ وَالْجَلَالَ لَجْلُهَا
مِنْ رُوحِ عُلْقَمَةِ الشَّهِيرِ بِفَحْلِهَا
يَتَنَبَّهُونَ إِلَى عَوَاقِبِ قَتْلِهَا

١٩٥٣

مَذْبَحَةُ قَبِيَّة

الْفِتْنَةُ الْكُبْرَى تُطِلُّ قُرُونُهَا
يَا وَصْمَةَ الْإِنْسَانِ مِنْ وَحْشِيَّةٍ

أَمْ دِيرُ يَاسِينَ أُعِيدَ جُنُونُهَا؟
أَقْسَى الْوُحُوشِ لَهَا تُرَاعُ عُيُونُهَا!

^١ الإمام مالك بن أنس.

^٢ هو محمد الميمني الملقب بنجم الدين القائل:
ولا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرْتَمَا
وقد هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُذُفًا

^٣ الخليل بن أحمد.

^٤ البهاء زهير.

^٥ الإله علقمة هو القمر.

تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ
وَحَرْبُ حَقَرِ الْفَارِ سَدُّ مَارِبِ

صَفَرَ الْخَرَابُ لَهَا بِفَرْحَةٍ فَاجِرٍ
 الْعُصْبَةُ الْأَنْذَالُ لَمْ يَتَوَرَّعُوا
 بِاسْمِ الْعَدَالَةِ وَالْحُقُوقِ تَشَدَّقُوا
 وَبِكُلِّ مَذْبَحَةٍ لَهُمْ تَهْلِيلَةٌ
 وَيُمَثِّلُونَ مِنَ الْمِهَازِلِ لِلْوَرَى
 كَبِشُ الْفِدَاءِ هُمُو، وَأَمَّا مَنْ بَغَا
 جَعَلُوا الْمُرُوعَ جَانِيًا، بَلْ صَوَّرُوا
 كَانَتْ لِقُومٍ فِي أَمَانِ بُيُوتِهِمْ
 ذَهَبَتْ بِهِمْ وَبِحِلْمِهِمْ، وَتَبَعَّتْ
 أَلَّةٌ فِي الْبَاغِي، وَعِنْدِي تَسْتَوِي
 فَالْبَطْشُ لَيْسَ لَهُ حِلَالٌ مَرَّةً
 وَالظُّلْمُ لَيْسَ يُحَدُّ بَيْنَ خُطُوبِهِ
 إِيَّهَا بَنِي الْأَرْجَاسِ! أَيَّةُ نَصْفَةٍ
 كَثُرَتْ دَعَاوِيكُمْ كَوْفَرَةً خُبَّتِكُمْ
 مَنْ تَخْدَعُونَ وَتِلْكَ قَبِيَّةُ شَاهِدٍ
 هَلْ هِيئَةُ الْأُمَمِ الَّتِي قَدْ كُفِّنَتْ
 أَمْ هَلْ تُرَى أُمَمُ الْعُرُوبَةِ بَعْدَمَا
 أَمْ صَادِقُ التَّارِيخِ وَهُوَ مُدَوَّنٌ
 قَدْ كُنْتُ أَرْجُو الْعَدْلَ بَعْدَ تَفَاهُكُمْ
 وَإِذَا الْقَذَائِفُ وَحَدَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
 أَوَّاهُ مِنْ دَوْلِ الْعُرُوبَةِ كُلِّهَا

وَإِذَا الدِّمَاءُ شَرَابُهَا وَمُجُونُهَا
 عَنْ كُلِّ مَا لَطَخَ الْوَعْيُ وَيَشِينُهَا
 وَكَأَنَّمَا حَامِيَ الْحُقُوقِ خَوَّوْنُهَا
 وَبِكُلِّ مَجْزَرَةٍ يُعِيدُ دُونُهَا
 صَوَرَ الْمَآسِي الْقَارِحَاتِ جُفُونُهَا
 وَعَدَوْا عَلَيْهِمْ: فَالْوَعْيُ وَأَتُونُهَا
 جُنْتُ الضَّحَايَا فِي الْحُقُولِ تَخُونُهَا
 نَامُوا، فَأَيْنَ بُيُوتُهَا وَسُكُونُهَا؟
 أَشْلَاوُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَحَنِينُهَا
 كُلُّ الْفِتَاتِ وَمَا يُسَوِّغُ دِينُهَا
 مَهْمَا أَحَلَّ الْمَوِيقَاتِ خَدِينُهَا
 مَنْ لَمْ يَصُدَّ خُطُوبُهُ فَمُعِينُهَا
 تَرْجُونُهَا وَشُرُورُكُمْ مَضْمُونُهَا؟
 وَالْأَبْرِيَاءُ طَعِينُهَا وَدَفِينُهَا
 وَالْدَيْنِمِيَّةُ غَرِيمُهَا وَقَرِينُهَا؟
 فِي الْمَهْدِ؟ أَمْ أَسْرٌ يَمْضُ أَنْيُنُهَا؟
 زُرَيْتُ بِكُمْ، وَبِكُمْ تُشَلُّ يَمِينُهَا؟
 أَثَامَكُمْ إِنْ فَاتَكُمْ تَدْوِينُهَا؟
 فَإِذَا الْعَدَالَةُ تُسْتَبَاحُ حُصُونُهَا
 لُسُنَ الْعَدَالَةِ، إِنْ يُصِخُّ مَفْتُونُهَا
 خَابَتْ وَضَاعُ أَسْوَدُهَا وَعَرِينُهَا

^١ النُّصْقَةُ: الإِتِّصَافُ وَالْعَدْلُ؛ (و.ف.).

هيهات تَنْهَضُ والتَّعَالِي فوقها
صِهْيُونُ لَيْسَ بِمَحْضٍ خَصْمٍ واحِدٍ
مَنْ ذَا أَلُومُ إِذَا الْجَنَازَةُ أَقَارِبُ
وَإِذَا الدَّمُ الْغَالِي يُذَالُ وَلَمْ تَنْزُرْ

أَبْطَالُ قَبِيَّةٍ أَنْتُمُو، وَكُفَاكُمُو
مَنْ كَانَ فِي رَيْبٍ إِزَاءَ حَضَارَةٍ
مَنْ ذَا يُصَوِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْكُمْ
إِنَّ التَّسَامُحَ بَعْدَ ذَاكَ جَرِيْمَةٌ

يَتَحَكَّمُونَ، وَمَا تُعِدُّ طَنِينُهَا
فَبِكُلِّ بَاطِنٍ دَوْلَةٌ "صِهْيُونُهَا"
وَأَبَاعِدُ وَإِذَا اللَّصُوصُ زَبُونُهَا؟
هَمَمٌ، وَفِي وَقْفِ الْجِيُوشِ سُجُونُهَا؟

فَخَرَأَ بِتَذْمِيرٍ لَكُمْ تَمْدِينُهَا
شَقِيَّتُكُمْ فَصَنِيْعُكُمْ تَأْيِينُهَا
مَنْ أُمَّةٌ بِالْغَارِ خُصَّ جَبِينُهَا؟
يَا ضَيْعَةُ الْإِنْسَانِ حِينَ يَزِينُهَا!

١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٣

المولد النبويؐ

عِيدُ الْمَلَائِكِينَ ارْزَدَهَتْ بِجَلَالِهِ
عِيدُ الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا، إِذْ كُلُّهَا
عِيدُ الْحَضَارَةِ، فَالْحَضَارَةُ لَمْ تَكُنْ
عِيدُ الْمُسَاوَاةِ الْعَمِيْمَةِ، أُثْبِتَتْ
عِيدُ الْإِخَاءِ مَدَى الزَّمَانِ وَيَاسْمِهِ
عِيدُ الْهُدَى وَالتَّضَنُّحِيَّاتِ عَلَى الْهُدَى
عِيدُ الشَّرَائِعِ جُمِعَتْ آيَاتُهَا
عِيدُ التَّشَبُّثِ بِالْحَقِيقَةِ وَخُدَهَا
عِيدُ التَّسَامِي، وَالتَّسَامِي وَخُدَهُ
عِيدُ إِلَى مِيثَاقِهِ مُتَّحَرَّرٌ

وَرَأَتْ جَمَالَ حَيَاتِهَا بِجَمَالِهِ
نَعِمَتْ بِوَحْيِ ضِيَائِهِ وَظِلَالِهِ
إِلَّا وَلَيْدَ الْعَقْلِ فِي اسْتِقْلَالِهِ
فِي فَجْرِهِ، وَتَعَلَّقَتْ بِهِلَالِهِ
خَلَقَ الرِّجَالَ الشُّمُّ مِنْ أَبْطَالِهِ
لِتَحَرَّرِ الْإِنْسَانُ مِنْ أَغْلَالِهِ
وَتَبْلُورَتْ فِي نُورِهِ وَكَمَالِهِ
وَالْحَقُّ لَا يَبْقَى لَدَى جُهَالِهِ
نَهْجُ الْوُجُودِ إِلَى سَعَادَةِ حَالِهِ
يَدْعُو، وَمَلْهُوفٌ لَفَكَ عِقَالِهِ

عِيدُ السَّلَامِ، وَرَبِّمَا تَحْقِيقُهُ
عِيدُ النَّبُوءَةِ: لِاحْيَاؤِ رِسَالَةَ

شَرَفًا إِمَامَ الْمُصْلِحِينَ لِأُمَّةٍ
أَلْهِم بِمَوَازِدِكَ السَّنِيَّ شُعُوبَهُ
يَا أَيُّهَا الْأُمِّيُّ، يَا مَنْ عَقْلُهُ
وَمَنْ اكْتَفَى لَوْجُودِهِ بِبِلَاغِهِ
يَا مَنْ تَعَلَّقَ بِالتَّقَشُّفِ خَلَّةً
يَا مَنْ تَمَاطَلَ حِلْمُهُ وَإِبَاؤُهُ
الْيَوْمَ غَضِبْتُكَ الشَّرِيفَةَ تُرْتَجَى
الْيَوْمَ أَسْمَعُ مِنْكَ وَحْيَ رِسَالَةٍ
هِيَ هَاتِ تَرْضَى لِلْأَنَامِ مَذَلَّةً
وَالْمُسْلِمُونَ هُمْ الْكُمَاةُ حَمِيَّةً
وَعَلَى اللَّصُوصِ الْغَابِرِينَ، وَغَنَرُهُمْ
جَعَلُوا التَّبَجُّحَ كَالْوَبَاءِ شَرِيعَةً
وَاسْتَعْبَدُوا الْأَقْوَامَ بِاسْتِعْمَارِهِمْ
كَالْعَبْدِ يَرْهَقُ كُلَّ حُسْنٍ نَاضِرٍ
وَالسُّقْمُ يُوْغِلُ فِي السَّلِيمِ فَيَغْتَدِي
يَا مَنْ أَبِي الْإِذْعَانَ دُونَ حُقُوقِهِ
أَرْجِعْ إِلَى الْإِسْلَامِ عِزَّةَ أَهْلِهِ

جَعَلَ الدِّمَاءَ فِدَىً وَبَعْضَ نَوَالِهِ
وَبِهَا اسْتَعَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَمْثَالِهِ

لَكَ نَتَمِّي، وَلْعَالَمٍ بِكَ وَإِلَيْهِ
حَتَّى تُثَارَ إِلَى عِظَاتِ جَلَالِهِ
وَسِعَ الْعُلُومَ كَوَاكِبًا لِرِجَالِهِ
لَا زَهْوَ مَفْتُونٍ يُسَدُّ بِمَالِهِ
وَأَشَاحَ عَنْ مُلْكٍ وَعَنْ أَمْوَالِهِ
لِلْمُفْلِحِينَ تَزِينُ تُبَلَّ خِلَالِهِ
وَكِفَاحُهُ لِلْحَقِّ مِثْلَ عِيَالِهِ
لِلْحَقِّ مَأْسُورًا لَدَى خُذَالِهِ
يَا مَنْ عَمَّقْتَ الْعَبْدَ مِنْ إِذْلَالِهِ
الثَّائِرُونَ عَلَى الْعَتِي وَنَالِهِ^١
لَا يَنْتَهِي، كَالْتِّيهِ^٢ فِي أَهْوَالِهِ
لِلظُّلَمِ، وَاحْتَكَمُوا لِخُبَثِ مَقَالِهِ
وَتَرْتَّمُوا بِصَلَاحِهِ وَفِعَالِهِ
وَيَمُنُّ بَعْدُ عَلَيْهِ بِاسْمِ وَصَالِهِ
نَهْبًا لَهُ، فَيُعَدُّ مِنْ أَفْضَالِهِ
وَاسْتَغْذَبَ الْأَلَامَ فِي أَمَالِهِ
بِالْيَقْظَةِ الْكُبْرَى لَنَيْلِ مُحَالِهِ

^١ ناله: ما يناله.

^٢ التِّيهِ: القعر يضل فيه.

وَأَوَّلُ مِنَ الْمُتَحَكِّمِينَ بِحَظِّهِمْ
وَلْيَبْقَ مَوْلِدُكَ الْأَغْرُ مَنَارَةً
فَالْعَيْشُ مِنْ صَوْرِ الْمَمَاتِ لِصَاغِرٍ
وَلَكُمْ جَنَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ
فَإِلَى الْهُدَاةِ رِضَاكَ فِي إِقْبَالِهِ

وَالْجَهْلُ أَوَّلُهُمْ بِسُمْ نِبَالِهِ
لُجَاهِدْ مُسْتَقْتَلٍ بِقِتَالِهِ
وَالْمَوْتُ لِلْحُرِّ الْأَبْيِّ كَالِهِ
مِثْلَ الَّذِي لَاقَاهُ مِنْ أَقْيَالِهِ^٢
وَعَلَى الطُّغَاةِ جَفَاكَ فِي زِلْزَالِهِ
١٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٣

الْأَقْطَابُ

عَصَابَةٌ مِنْ لُصُوصٍ أَمْنُهَا خَطَرُ
مَا لِلْعُرُوبَةِ لَا تَمْضِي وَتَسُدُّ حَقُّهَا
أَمْ اسْتَنَامَتْ إِلَى وَعْدٍ تُزَوِّقُهُ
لَا نَفْعَ مِنْهَا وَإِنْ غَنَّتْ بِمَا وَعَدَتْ
صَنَعَاءُ أَوْ جَدَّةُ الْمَنُهَوْبِ جَدَّتْهَا
مَعَاقِلُ الْمَجْدِ فِي الْمَاضِي قَدْ احْتَضِرَتْ
صُمُّ الْجَلَامِيدِ أَحْنَى فِي مَقَابِرِهَا
وَالْأَجْنَبِيُّ عَلَى عِلَاتِهِ رَحِمٌ
مَا بَيْنَ عَاتٍ وَصُعْلُوكٍ بِفَطْرَتِهِ
فَوَضَى بِهَا انْتَلَرَتْ أَخْلَاقُ مَنْ غَبِنُوا
الْفَقْرُ وَالْجَهْلُ وَالْأَمْرَاضُ قَاطِبَةٌ

قَدْ ضَجَّ مِنْهَا وَرِيحُ الْجِنِّ وَالْبَشَرِ
هَلْ نَالَهَا الْيَأْسُ أَمْ هَلْ نَالَهَا الضَّجَرُ؟
مِثْلَ الْفَقَاقِيعِ لَا يَبْقَى لَهَا أَثَرُ؟
فَكُلُّ نَفْعٍ لَهَا فِي طَيْهِ الضَّرَرِ
أَوْ كَرْخُ بَغْدَادِ أَشْبَاهُ بَمَنْ غَدَرُوا
كَأَنَّهَا لُعْبَةٌ قَدْ سَاقَهَا الْقَدَرُ
مِمَّنْ أَضَاعُوا حُقُوقَ الشَّعْبِ أَوْ قَبَرُوا
مَتَى يُقَاسُ بِهِمْ فِي شَرٍّ مَا أَمَرُوا
وَمُجْرِمٌ لَمْ يَعُدْ حَقٌّ وَلَا وَطَرُ
وَمِثْلَهَا صَارَتِ الثَّرَوَاتُ تُنْدَثِرُ
بِأَتَتْ كُنُوزًا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا افْتَقَرُوا

^١ مستقتل: مستميت.

^٢ أقياله: رؤساؤه وملوكه.

أَبْعَدَ هَذَا نَصَوُغُ الشُّعْرَ فِي طَرْبِ
أَلَيْسَ فِي ضَرْبِ أَعْدَاقٍ لَهُمْ أَمَلٌ
أَلَيْسَ فِي تَرْكِهِمْ كَالْعُتِّ مُرْزِنَةٌ
لَقَدْ نَصَحْتُ فَعَدُوا النَّصِيحَ لِي سَفْهًا
وَمَا أُنَادِي سِوَى الشَّبَّانِ فِي أُمَمٍ
لَعَلَّهُمْ يُشْعِلُونَ النَّارَ صَاحِبَةً
وَعَلَّهُمْ بِالْدَمِّ الْغَالِي لَأُمَّتِهِمْ

لِمَدَحِ حُكَّامِهِمْ، لَوْ أَنَّهُمْ شَعَرُوا؟
لِلْمُصْلِحِينَ، وَفِي تَدْوِيخِهِمْ عِبْرٌ؟
عَمَّتْ، فَكَمْ دَوْلَةٌ تَعْنُو وَتُحْتَضِرُ؟
وَكِدْتُ أَبْكِي فَعُدْتُ الْيَوْمَ أَعْتَذِرُ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا سِوَاهُمْ بَعْدُ مُدْخَرُ
يَوْمَ الْحِسَابِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
يَرْوُونَ قُدُوءَ مَنْ ثَارُوا وَمَنْ ثَارُوا!

إلى فيصل الحكيم

وَجَّهْتُ إِلَى الْأَمِيرِ فَيصل آل سعود لمناسبة إسناد
ولاية العهد إليه في المملكة العربية السعودية

هَلْ لِلْأَمِيرِ أَعَزُّ اللَّهَ حُكْمَتُهُ
وَأَضْيَمُ أَلْوَانُهُ شَتَّى، وَأَظْلَمُهَا
يَا فَيصل الْحُكْمَ هَذِي فُرْصَةٌ عَرْضَتْ
فَالشَّعْبُ لَا بُدَّ مِنْ بَعْثِ يَحْيَى لَهُ
كَنْ أَنْتَ قُدُوءَتُهُ الْمُتَلَّى وَزِدْهُ غِنَى
وَزَعْ عَلَى الشَّعْبِ آفَافاً لَهُ نُهَبَتْ
أَوْ لَا، فَيَا هَوْلَ يَوْمٍ قَادِمٍ خَطِرِ

أَنْ يُنْقِذَ الشَّعْبَ مِنْ ضَيْمٍ يُعَانِيهِ؟
أَنْ يَشْعُرَ الْمَرْءُ أَنَّ الْمَوْتَ يُغْنِيهِ
لِتَرَأَبَ الصَّدْعُ فِي مَبْنَى وَبَانِيهِ
وَسَوْفَ يَسْحَقُ حُثْمًا مُسْتَغْلِيهِ
وَلَا تَدْعُهُ شَرِيداً فِي دِيَاغِيهِ
قَبْلَ انْتِقَامِ وَشِيكَ كَامِنٍ فِيهِ
جَهَنَّمَ سَتُغْنِي وَهِيَ تَسْقِيهِ!

إيزيس

الثلج في الربيع

تراقصُ كما شئتَ فوقَ الزُّروعِ
تُقبلُكَ الأعينُ
وتُلقاكَ في ألقى يفتنُ
فتَحيا ابنساما
جواهرَ ما عودتُ أنْ تُضاما، فتأبى النظاما
ويرفضُ إشعاعها المونقُ
خواطرَ لله لا تُلحقُ
تُغذي القلوبُ
وتُحيي الطُّيوبُ
كلُّهُ الربيعُ
ينمقُ للأرضِ عمراً جديداً
وكم يستعيدُ
ويضمنُ حلمَ العُفاةِ
فلا لوعة تُرهقُ
ولا بائسٌ يُطرقُ
كأننا سَبَحنا بنورِ القمرِ
وفيه اللُّجينُ
طهورٌ، نبيلٌ، سخيٌّ
فيُبرغُ أرواحنا
ويُبرغُ أفراحنا

وَيَقْتُلُ أَتْرَاحَنَا
فَيَخْلُقُ دُنْيَا لَنَا
تَرْفُ بِكُلِّ الْغِنَى
وَأَثْمَنُ نُورُهَا

نيويورك، ١٩٥٤

العروبة

مهداة إلى الرئيس جمال عبد الناصر

مِسْكِينَةٌ! إِنَّ مَنْ خَانُوكِ أَوْقَحَهُمْ
مِنْ كُلِّ عِلْجٍ حَقِيرٍ يَدَّعِي شَرَفًا
لَا شَيْءَ غَيْرُ بَرِيقِ الْمَالِ يَشْغَلُهُ
وَفِي شَقَائِكَ يَتْلُو حَوْلَهُ سُورًا
مُهْلَهْلًا كُلَّ شَهْمٍ لَا تُرَاوِدُهُ
وَعَامِزًا كُلَّ مَنْ أَثَارُهُ صَوْرٌ
حَتَّى يَنَالَ مَكَانًا فِي تَفَرُّدِهِ
يَبْغِي الرِّعَامَةَ صُغْلُوكَ بِفَطْرَتِهِ
أَمَّا مُلُوكُكَ - لَا كَانُوا وَلَا مَلَكُوا -
بَاعُوكِ دُونَ جَزَاءٍ فِي تَذَبُّذِهِمْ
وَمِثْلُهُمْ زُمْرَةُ الْأَقْطَابِ، رَائِدُهُمْ
يَبْذُدُونَ الْقَوَى تَبْدِيدَ مُتَّهَدٍ
وَيُطْمِعُونَ الْأَعَادِي فِيكَ عَنْ سَفَهٍ

أَهْلُوكِ، أَوْ مَنْ تَرَاوَا شِبْهَ أَهْلِيكَ
وَهَمُّهُ دُونَ هَمِّ الْمَفَالِيكِ
ثُمَّ التَّجَارَةُ فِي أَمْجَارِ مَاضِيكِ
مِنَ النِّفَاقِ، وَتَبْدُو مِثْلَ فَادِيكِ
إِلَّا عِظَائِمُ مَاضِيكِ وَأَتِيكِ
مِنْ تَضَحِيَاتٍ بِتَشْوِيهِ وَتَشْكِيكِ
بِالزُّورِ مَا بَيْنَ تَهْدِيمٍ وَتَفْكِيكِ
بِئْسَ الرِّعَامَةُ فِي أَيْدِي الصَّعَالِيكِ
فَهُمْ أَخْسُ مِثَالٍ لِلْمَمَالِيكِ
إِلَّا مَذَلَّتْهُمْ أَيْانَ بَاعُوكِ
مِثْلَ الرَّحَى طَحْنُ كَنْزٍ مَائِلٍ فِيكَ
فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ أَوْ تَبْدِيدِ مَهْتُوكِ
حَتَّى يَعْیِثَ الْأَعَادِي فِي مَعَالِيكِ

صَهْ يَا دَخِيلُ عَلَيْنَا، لَيْسَ تَعْرِفُهُ
حَرْبَاءَةً أَنْتَ بَلْ قُلْ تَغْلَبُ أَشِيرُ
إِنَّا سَمِعْنَا الدَّعَاوَى: كَمْ حَمَتُ مَرَضاً
لَوْلَا الْمَآسِي الَّتِي عَمَّتْ أَمَانِينَا
لَعَلَّ ذَاكَ جَمَالٌ فِي تَجَرُّدِهِ
سَمَا عَلَى مَنَكِبَيْهِ مَجْدُ أُمَّتِنَا

إِلَّا مَجَالِي التَّدَنِّي لَا مَجَالِيكَ
يَخْتَالُ كَالْهَرُّ أَوْ يَخْتَالُ كَالدَّيْكَ
وَكَمْ حَمَتُ غَرَضاً بَيْنَ الْأَصْحَابِيكَ
فَأَيْنَ أَيْنَ الَّذِي أَحْيَا أَمَانِيكَ؟
عَنِ الْمَطَامِحِ، إِلَّا مَا يُعَلِّيكِ
حِينَ الْخُؤُونُ الْمُرَائِي رَاحَ يَرِثِيكَ!
٣ نيسان / أبريل ١٩٥٣

منبري

نظمها الشاعر في الرابع عشر من نيسان / أبريل ١٩٥٤
لمناسبة مرور ثمانين سنوات على هجرته من مصر العزيرة

مِنْبَرِي عَالَمِي وَلَيْسَ بِأَرْضٍ
إِيهِ نَفْسِي! الْيَوْمَ ذَكَرَى نَزُوحِي
خَنَقْتَنِي أَوْ حَاوَلْتُ ثُمَّ بَاهَتُ
مَا أَبَالِي إِلَّا بِإِسْنَدَاءِ رَأْيِي
قَيَّدُونِي وَحَاصَرُونِي وَأَذَوْ
مِثْلَ صَقَرٍ مُكَبَّلٍ هَشَّمَ الْقَيْدَ
لَمْ يُفَرِّقْ مَا بَيْنَهُ وَدِيَارِ
بَلْ أَثَارَ الصَّيْحَاتِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
إِنِّي شَاعِرُ الْكِنَانَةِ فِي الْبُعْدِ
مَا ثَمَانِي السِّنِّينَ إِلَّا ثَوَانِ

يَسْتَحِلُّ الطَّاغُوتُ فِيهَا الدَّمَارَ
عَنْ رُبَاهَا، وَعَنْ بَوَارٍ وَعَارٍ
بِأَذَاتِي تِلْكَ النُّفُوسُ الصَّغَارُ
وَانْتِشَارٍ لَهُ وَآيٍ انْتِشَارُ
نِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ أَفُكَّ الْحِصَارَ
سَدَّ وَدَوَى بِصَيْحَةٍ، ثُمَّ طَارَ
أَرْهَقْتُهُ، إِنْ بَاعَدْتُهُ الدِّيَارُ
فَاسْتَقَلْتُ بِكُلِّ أَرْضٍ شِعَارُ
وَفِي الْقُرْبِ، كَيْفَ كَانَ الْجَوَارُ
مِنْ حَيَاتِي وَمِنْ وُجُودِي الْمَعَارُ

إِنَّ عُمْرِي جُهْدِي وَفِكْرِي وَإِيمَا
 لَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ يَحْدَانِ وَجُو
 أَيْنَمَا كُنْتُ صَيِّحَتِي صَيِّحَةُ النَّسْرِ وَزَأْرِي زَنْبِيرُهُ الْمُسْتَثَارُ
 وَقَصِيدِي الْيَنْبُوعُ يَرْشِفُهُ الْأَخْ.
 لَا تَسَلْنِي عَنْ مَسْكَنِي، أَيُّ دُنْيَا
 لَمْ أَزَلْ بِالْوَفَاءِ وَالْعَمَلِ الْحَيِّ كَأَنِّي فِي مِصْرَ أَحْمِي الذُّمَارُ
 بَيْنَمَا الْجَا حِدُونَ فِيهَا سُكَارَى
 مَبْدئي لَنْ يَحُولَ مَا بَقِيَ الْحُبُّ
 وَحَيَاتِي جَمِيعُهَا فِي كِفَاحِ
 أَيُّهَا النَّاعِقُونَ حَوْلِي اسْتَرِيحُوا!
 نِي وَحُبِّي، فَإِنَّ عُمْرِي مَنَارُ
 دِي وَلَا دُجَى أَوْ نَهَارُ
 رَارُ وَيَرْفُونَ، وَهُوَ نُورٌ وَنَارُ
 هِيَ أَرْضِي إِذَا عَدَاهَا الصُّغَارُ
 أَوْ حَيَارَى، وَيَنْشُدُونَ الْفَخَارُ
 وَحُبِّي لِمَصْرَ حَيٍّ يُثَارُ
 آيَةً لَا يَذَالُ مِنْهَا الْغُبَارُ
 هُزِمَ اللَّيْلُ إِذْ أَطْلَلَ النَّهَارُ!

أين الربيع؟

تأخر الربيع طويلاً بل ضاع في عام ١٩٥٤ وقد استمر جو الشتاء مديداً
 في نيويورك فلوحي غيابه إلى الشاعر بهذه القصيدة

أين الربيع؟ سألت عنه فلم أجدْ
 ولّى ولم يجضر، فغابَ كأنَّه
 قالوا: هي الدَّرَاتُ حينَ تَفَجَّرَتْ
 فغدا الربيعُ هو الخريفُ كأنَّما
 ومن الرُّعُودِ تَكَلَّمْتُ كَمَدَافِعِ
 فَتَحَجَّبَتْ أَطْيَارُهُ وَتَبَرَّقَعَتْ
 وَبَكَيْتُ فِي نَفْسِي كَأَنِّي فَاقِدُ
 مَنْ رَدَّ غَيْرَ تَدْفُقِ الْأَمْطَارِ
 قَدْ عَاشَ فِي الْأَوْهَامِ وَالْأَفْكَارِ
 نَشَرْتُ نِظَامَ الْجَوِّ أَيَّ نِثَارِ
 قَدْ جُنَّ مِنْ مَطَرٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
 ذَرِيَّةٍ وَتَرَاشَقَتْ بِالنَّارِ
 أَزْهَارُهُ، وَبَكَى الْغَدِيرُ الْجَارِي
 أَهْلِي وَكُلَّ مَعَالِسِ السُّمَارِ

وَإِذَا أَنَاخَ بِنَا السَّكُونُ حَسِبْتُهُ
أَيْنَ السَّمَاحَةِ وَالْهَدْوُ تَأَلَّفَا
أَيْنَ الْجَمَالِ بَرَقَصَهُ وَبَلَّهَوُ
أَيْنَ الصَّبَايَا النُّحْلُ تَجْمَعُ شَهْدَهَا
أَيْنَ الْأَزَاهِيرُ الَّتِي كَمْ سَابَقَتْ
أَيْنَ الْمَرْوُجِ الْحَالِيَّاتِ عِرَائِسًا
أَيْنَ الْعَصَافِيرُ الَّتِي لَمْ تَكْتَمَلْ
ضَاعَتْ جَمِيعًا كَالطُّيُوفِ إِذَا هَوَتْ
إِحْلَمَ بِهَا يَا قَلْبُ أَوْ لَا فَانْسَهَا
وَالْعَامَ مَا عَرَفَ الْحَيَاةَ كَأَنَّهُ
الْجُودُ تَرَقَّبُ مِنْ سَمَاحَةِ مَيِّتٍ

أُخْرَى مِنْ السَّنَوَاتِ أَبَدُوهَا غَدًا^١
إِنْ عَقَّنِي وَطَنِي الْقَدِيمُ فَمَا هَوَى
أَوْ كَانَ جَافَانِي الرَّبِيعُ فَعَلَّهُ
سَأْظَلُّ عَامًا نَاطِرًا^٢ لَوْدَادِهِ
وَلَرُبَّمَا يَأْتِي رَسُولَ مَحَبَّةٍ
فَأَرَى الْجَنَانَ بِهِ نَوَافِحَ بِالْهَوَى

ضَوْضَاءَ مَنْ قَلِقَ وَمَنْ إِنْذَارِ
وَالْأَمْنِ فَاحْتَكَمْتُ عَلَى الْأَبْصَارِ؟
فِي النَّوْرِ أَبْدَعُ فَاتِنَ الْأَنْوَارِ؟
كَالصَّيْرِ فِي وَنْدِهِ الْعَطَّارِ؟
شَغَفِي فَمَا احْتَجَبْتُ عَنِ الْأَنْظَارِ؟
كَعِرَائِسِ الْأَحْلَامِ فِي آذَانِ
أَعْشَاشُهَا بِالْحَبِّ وَالْأَسْرَارِ
وَاللَّحْنِ فَوْقَ مُقَطَّعِ الْأُوتَارِ
فَجَمِيعُ مَا وَهَبَ الرَّبِيعُ عَوَارِي
مَعْنَى حَوَاهِ الْمَوْتِ بِالْإِضْمَارِ
مَا كَانَ غَيْرَ تَعَثُّرِ الْأَقْدَارِ

مُتَهَلِّلًا كَالْوَرْدِ فِي أَيَّارِ
حُبِّي لَدَى الْوَطَنِ الْمَعْرَ شَعَارِي
مِرَاةً مَا عَانَيْتُ مِنْ تَذْكَارِ
حَتَّى يَعُودَ لَنَا مِنَ الْأَسْفَارِ
مِنْ مِصْرَ بَعْدَ تَمَتُّعٍ وَتَوَارِي
وَتَفِيضٍ عَنْ أَشْعَارِهَا أَشْعَارِي

^١ نظم الشاعر هذه القصيدة في نهاية نيسان/أبريل ١٩٥٤، وفي مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٦ نزل في أميركا.

^٢ ناظرًا: مرتقبا.

وحي عيد الفطر

الفِطْرُ جَاءَ بِأَمَالٍ نُجِدُّهَا
لَوْلَا التَّعَلُّقُ بِالْأَمَالِ نَعْبُدُهَا
صَلَّى مَعَ الْفَجْرِ مَنْ صَلَّوْا فَقَبَّلَهُمْ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَ الْفَجْرِ عَافِيَةً
وَأَنْشَقَّ الْعِطْرُ فِي الْأَحْلَامِ وَارْفَةً
وَأَنْظِمُ الْحُبَّ مِنْ قَلْبِي مُعَلِّقَةً
أَهْلًا بَعِيدٍ رَفِيقُ الْحُبِّ بَارَكُهُ
كَأَنَّمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي سَلَفَتْ
سَأَلْتُ رَبِّي إِحْيَاءَ الْوُدِّ بِهِ
فَقَالَ لِي الْوَحْيُ عِشْ لِلنَّاسِ أَجْمَعِهِمْ
وَاجْعَلْ مِنَ الْعِيدِ مَبْدَأَ يُسْتَعَزُّ بِهِ
مَبْدَأَ التَّطَلُّعِ لِلْإِصْلَاحِ يَشْمَلُهُمْ
عِيدُ أَضَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ أَمَثَلَةً
عِيدُ السَّلَامِ وَعِيدُ الْفَطْرِ قَدْ جُمِعَا
كُلُّ احْتِفَاءٍ بِهِ لِلْسَّلَامِ مَرْجِعُهُ
مَنْ يَعِشِقِ السَّلَامَ حُرٌّ شَامِخٌ بَطْلٌ
فَاسْكُبْ عَلَيْنَا جَمَالًا أَنْتَ مُبْدِعُهُ
وَإِنِّي بِاسْمِكَ الْمَيْمُونِ فِي فَرْحِي
أَدْعُو بِلَادًا أَطَالَ الْجَهْلُ نَوْمَتَهَا
وَإِنَّمَا أُمَمُ الْإِسْلَامِ مَبْدَوُهَا

إِنَّ الْحَيَاةَ لَأَمَالٌ وَتَجْدِيدُ
لَمْ يُكْرَمِ الْعِيدُ، بَلْ لَمْ يُعْرِفْ الْعِيدُ
وَقَبَّلْتَنِي بِنَجْوَاهَا الْأَنَاشِيدُ
فَلَا يَرُدُّ صَلَاتِي فِيهِ تَقْيِيدُ
كَأَنَّهَا مِنْ رِضَاءِ اللَّهِ تَأْيِيدُ
وَإِنْ سَكَتُ فَنَبْضُ الْقَلْبِ تَوْحِيدُ
وَبَارَكْتُهُ الْأَحَاسِيْسُ الْمَوَالِيدُ
قَدْ أَنْجَبَتْهَا وَسَوَّتْهَا التَّقَالِيدُ
فَإِنَّ عُمُرِي تَفْكِيرٌ وَتَسْهِيدُ
لَوْ أَنَّ مُعْظَمَهُمْ جَانٍ وَعَرَبِيدُ
فَفِي يَدَيْهِ إِذَا شَاءُوا الْمَقَالِيدُ
كَمَا تَطَّلَعُ نَحْوَ الْوَاحَةِ الْبِيدُ
مِنَ الْجَلَالِ، وَفِيهِ النُّورُ تَغْرِيدُ
مَدَى الْعُصُورِ، فَإِنَّ السَّلَامَ تَعْيِيدُ
وَالسَّلَامُ كَالْحُبِّ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحْدِيدُ
وَعَاشِقُ الْحَرْبِ رَغَمَ الزَّهْوِ رَعْدِيدُ
يَا عِيدُ، وَامْسَحْ لُمُوعَ الْحُزْنِ يَا عِيدُ
أَشْدُو وَأَدْعُو، كَأَنَّ الشَّدَوَ تَسْدِيدُ
حَتَّى تُفِيقَ فَإِنَّ النَّوْمَ تَهْدِيدُ
عِلْمٌ وَسَعْيٌ وَإِصْلَاحٌ وَتَخْلِيدُ

فإن تفتّها فما الإسلامُ مآثها
وإن تُسابقَ سِواها في مآثرها
وسوف تُرجعُ للإسلامِ عزّةهُ

وكلُّ مدحٍ لها نُوحٌ وتعيدُ
فلن يُساورها ظلّمٌ وتبديدُ
كما تسمّى بها الموتى الصّناديدُ
أيار/مايو ١٩٥٤

موائد ح�يران

إن نامَ أيارُ عن وِردٍ وعِدَتٍ بهِ
إنَّ الورودَ معانٍ ليسَ يعرفُها
تَنابُوبَ العِطَرُ والألوانُ أمثَلَةٌ
وما غَنيتُ وحوالي من موائِدِها
أشمُّها إذ أراها شِعَرَ إِلَهَةٍ
عرائسُ الزَّهْرِ فاقتُ في مُنافسَةٍ
أحنو عليها كَأَنِّي عاشِقٌ وأبّ

فهل أنالُ حُقوقِي من حَزيرانٍ؟
إلا مُحبٌّ وإلا قلبٌ فتّانٍ
من النّشيدِ لإحساسي ووجداني
غُنى، ومن خَمَرِها ريٌّ لظمّاني
والعِطَرُ كالشَّعْرِ في استِهواءِ إنسانٍ
عرائسُ النَّاسِ في حُسْنٍ وألوانٍ
أو أنّها خُلِقَتْ مِن قَلْبِي الحاني!

يوم العلم

الرابع عشر من ح�يران/يونيه منذ ١٨١٧ هو يوم العلم في أميركا، يوم الذكريات
الوطنية المجيدة دفاعاً عن الحريات العامة، حقوق الإنسان..

حيّيت يا يومَ العَلَمِ
يا مُستَعزّاً بالنُجومِ
يا مَنْ تَدفُقُ بالحياةِ

يا مَنْ تَأَلَّقَ بالشَّمَمِ
تَبَسَّمتُ لِمَنْ ابتَسَمَ
كأنّها السَّيْلُ العَرِمِ

يَا مَنْ يُذَكِّرُنَا بِأَنْوَاعِ الْبُطُولَةِ وَالْكَرَمِ
كَيْفَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّظَامِ تَأَلَّفَا بِأَسْأَلِ أَتَمِّ
كَيْفَ السَّامِحَةِ بِالنَّفُوسِ أَخْصُ مَا يَبْنِي الْأُمَمِ
كَيْفَ التَّحَرُّرِ وَالْإِخَاءِ هُمَا ذُرَا عَا مَنِ حَلَمِ
يَا مَنْ تُرْفَرُ فِيهِ أَمَالُ تُغْذِّي مَنْ حَكَمِ
يَا مَنْ تَسِيرُ بِهِ الْمَوَاكِبُ كَالْقَصَائِدِ وَالنَّغَمِ
يَا مَنْ حَدِيثُ شِعَارِهِ، فَوْقَ الْمَوَاعِظِ وَالْقَلَمِ
يَا مَنْ تَنَالُ رُمُوزُهُ، مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ ظَلَمِ
يَا مَنْ بِهِ التَّارِيخُ يَشْمَخُ فَوْقَ مَبْنَاهِ الْأَشْجَمِ
يَا مَنْ تَضَمَّنَّ بِالدَّمْعِ وَبِالدَّمِاءِ بِلَا نَدَمِ
يَا مَنْ حَبَّتْهُ التَّضَارِيحُ بِكُلِّ مَجْدٍ يُغْتَنَمِ
يَا مَنْ تَسَاوَتْ فِيهِ أَفْرَاحُ الْبَرِّيَّةِ وَالْأَلَمِ
يَا مَنْ تَقَدَّسَ كُلُّ مَا فِيهِ وَنُورَ وَالْتِمَامِ
أَشْرَقَ عَلَى الدُّنْيَا شِعَارُ غَدْرِ أَبِي لَمْ يَنْتَمِ
يَسْتَمُوبُ بِهِ الْإِنْسَانُ فَوْقَ صَغَارِهِ، فَوْقَ الْعَدَمِ
وَيَرَى الْحَقِيقَةَ كُنْزَهُ وَالسَّيْلُ أَسْرَفَ مُغْتَنَمِ
لَا أَنْ يُنَالَ لِتَرْهَاتِ هُنَّ نِعَمَةٌ مَنِ وَهَمِ
مَا أَجْدَرَ الْإِنْسَانَ بِاسْتِعْلَائِهِ فَوْقَ الرَّمَمِ
إِنَّ التَّنَازُعَ وَالْحُرُوبَ مَمَاتُةٌ مَهْمَا اعْتَصَمِ
وَالْمَوْتُ لَا يُحْيِي وَلَا يُجْدِي وَلَوْ سَكَنَ الْهَرَمِ
فَدُمُ الْمَذْكَرُ لِلْأُمَمِ وَانْشَرُّ عِظَاتِكَ يَا عَلَمِ!

أصدقائي

لي قَلَّةٌ في الأصدقاءِ حَسَبَتْهُمْ
لم يَنْظُرُوا يَوْمًا إِلَيَّ بِرِيبَةٍ^١
مِنْهُمْ قَبَسْتُ أَشِيعَتِي، وَإِلَهُمُو
دَارَ الزَّمَانِ وَلَمْ يَدُورُوا حَوْلَهُ
خَلَقُوا لِي الْأَفْرَاحَ مِنْ صُلْبِ الْأَسَى
لَا مِنْهُمْ مَنْ بَاعَ كَنْزَ مَوَدَّتِي
تَخَذَ^٢ النِّفَاقَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ
وَمَضَى يَمُنُّ عَلَيَّ بَعْدَ نِكَايَةٍ
إِنِّي أَمُرُّ أَحْيَا لِأَنَّ عَقِيدَتِي
وَلَأَتْنِي فَوْقَ الظُّنُونِ، وَمَبْدَتِي
وَإِذَا طَعِنْتُ مِنَ الَّذِي أَحَبَبْتُهُ
دُنْيَا سَاقَطَعُهَا بِغَيْرِ تَرْحُمٍ
يَا مَنْ يَعِيشُ مُشَاغِبًا، وَحَيَاتُهُ
لَا تَحْسَبُنِي بَعْدَ غَدْرِكَ وَامِقَاً
إِنْ كَانَ أَعْمَانِي تَوَدَّدُ مَا كَرِ
فَالْحَقُّ يَا بِي أَنْ أَضَيِّعَ رَحْمَتِي

فَوْقَ الْجَوَاهِرِ لِلْبَخِيلِ الْمُعْدِمِ
بَلْ بَجَلُونِي كَالنَّبِيِّ الْمُلْهِمِ
عَادَتْ مَفَاخِرُهَا، وَعُدْتُ إِلَيْهِمْ
وَتَجَمَّعُوا حَوْلِي وَحَوْلَ تَأْلَمِي
حَتَّى كَأَنَّ الْكَارِثَاتِ تَنْعُمِي
وَكَأَنَّهُ قَدْ بَاعَ عَرْضِي أَوْ دَمِي
وَالْكِدَ مِهْنَتَهُ، وَبَارَكَ مَا تَمِي
مَا لِلنِّكَايَةِ غَيْرُ فَرْطٍ تَبَسُّمِي
تَحْيَا، وَلَسْتُ بِمَنْ يُدَسُّ مِرْقَمِي
مَا كَانَ لِلرَّاضِينَ أَوْ لِلْوَمِ
فَعَلَيَّ وَذُرِّي، لَا عَرَفْتُ تَنْدُمِي
مِنْهَا، وَلَمْ أَبْخُلْ لَهَا بِتَرْحُمِي!
خُدْعٌ عَلَى خُدْعٍ^٣، وَجَمُّ تَوْهَمِ
إِنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ لِأَرْقَمِ
مُتَّفَقَيْنِ، أَوْ سَاحِرٍ مُتَرَنِّمِ
وَالْعَدْلُ يَا بِي أَنْ أُضِلَّلَ كَالْعَمِي!

١٩ حزيران/يونيو ١٩٥٤

^١ الريبة: الشك؛ (و.ف.).

^٢ تَخَذَ: اتخذ؛ (و.ف.).

^٣ خُدْعٌ: جميع خُدَعَةٍ، كظلمة وظلم، والخُدْعَةُ هي الخداع.

أعياد حزيران

في شهر حزيران/يونيه من عام ١٨٦٨ أدخل التعديل الخامس عشر على الدستور الأميركي ضامناً نهائياً الحريات انشعبية الشاملة، وفي حزيران/يونيه من عام ١٩٥٢ أعلنت الجمهورية المصرية

طوبى ومرحى إذا الأحرار جمّعهم
لا مجد للأرض إن دبّ العبيد بها
إن أطلع الورد هذا الشهر مُزدهياً
العالم الحرّ حياه ومجده
فاقت بإخلاصها الواعي ورهبتها
إن الأخوة للإنسان حليته
إن التحرر للإنسان عزته
إن المساواة للإنسان قيمته
في مثل ذا اليوم ثار الحق ثورته
فأصبح الحق بالجمهور مُندمجاً
فأيّ نجوى إذن تُزجى لروعه
ومن إطاّعه، لا طوع عُميان،
في كلّ عام نُحيي عيده شغفاً
لأنّ يُجدّد أرواحاً لنا فنيّت
أنسيت نيسان إذ مات الربيع به،
كأنّما خلقت من نوح أفئدة
أو أنّها بعد جذب شبه فاكهة
نחנו عليها ونرجو أن نزاملنا

عيد، وألفهم تحرير إنسان
وإن تُسخر لأصنام وأوثان
فإن أجمله تحرير عبّان
وحفّاه بتراتيل وقرآن
أي التّبثّل في تسبيح رهبان
قبل التّضلع من دين وعرفان
قبل الجلالة من ملك وسُلطان
قبل انتساب لأجداد وأوطان
شوقاً لفك قيود البائس العاني
من بعد ما كان إرث الباطش الجاني
أجل من شكر أرواح وأبدان؟
بل طوع ذي بصر حر وإيمان؟
كالفيض في شوق أنهار وغدران
من الكفاح ومن ظلم وبهتان
لما لثمت الأمانى في حزيران
كالنور يُخلق من تسعير نيران
تألقت طفلة في حضن بستان
مع الحياة لأزمان وأزمان

وَأَنْ تَعْمَ شُعُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً
بُورَكَتَ يَا عِيدُ، مَا أَحْيَاكَ أَحْيَانِي

مِثْلَ الْهَوَاءِ وَمِثْلَ النُّورِ فِي أَنْ
وَدُمْتَ يَا عِيدُ ذِكْرِي كُلِّ إِنْسَانٍ!

منزلي

وَلِي مَنْزِلٌ لَقَنْتُهُ سِرّاً عُرْلَتِي
وَمَدَّ لَفِيفَ الْكَرْمِ حَتَّى رَأَيْتُهُ
وَحَفَّتْ بِهِ الْأَشْجَارُ مِلءَ حُنُوهَا
كَأَنَّ لَهَا فِيهِ كُنُوزاً ثَمِينَةً
فِيَا مُسْتَحَمَّ الطَّيْرِ^١ إِنْ تُفَشِ سِرَّنَا
وَأَيُّ خَفَاءٍ نَسْتَطِيعُ وَهَذِهِ
وَحَانَ كُسُوفُ الشَّمْسِ لَكُنَّمَا أَبِي
وَرَا حَ يَعْبُ الْمَاءُ سَكْرَانٌ بِالْهَوَى
تَنَوَّعَتِ الْأَحْجَامُ مِنْ كُلِّ صِبْغَةٍ
وَبِعَثَرَتِ الْمَاءِ الضَّحُوكَ لِلْهُوَاهَا
فِيَا شَمْسُ غَيْبِي أَوْ أَطْلِي فَإِنَّا
وَقَدْ وَحَدَّثْنَا فِي تَصَوُّفِنَا مُنَى

فَبَارَكْهَا، ثُمَّ اسْتَحَالَ شِعَارَا
سَتَائِرَ غَنَّتْهَا الظَّلَالُ مِرَارَا
تُخَبِّئُهُ مَهْمَا أَطْلَلَ جَهَارَا
وَلَيْسَتْ سِوَى حُبِّي لَهْنٍ تَوَارَى
عَذْرَتُكَ، كَمْ طَيْرٍ لَدَيْكَ تَبَارَى
حُلِيِّكَ تَعْلُو فِي الْهَوَاءِ نَثَارَا؟
لَهَا الطَّيْرُ عُذْرًا حِينَ حَطَّ وَطَارَا
كَمَا عَبَّ فِي عِيدِ الرِّبِيعِ سُكَارَى
جَوَاهِرَ أَوْ كَالنُّورِ رَفًّا وَثَارَا
فَرَدَّتْهُ مَجْنُوناً فَطَارَ شَرَارَا
نَرَى ضَوْءَكَ الْوَهَّاجَ كَانَ مُعَارَا
تَفِيضُ ضِيَاءٍ فِي الْقُلُوبِ وَنَارَا

٣٠ حزيران/يونيه ١٩٥٤

^١ النافورة التي يستحم فيها الطير بحديقة الشاعر فيعرض منظراً جذاً شائقاً بألوانه ورياضته.

يوم المعاد^١

عيد الثورة المصرية

لَمْ يَنْهَضِ الظُّلْمُ فِي يَوْمِ بِنْسَانٍ
وَلَيْسَ يُعْرِفُ عِيدٌ فِي جَلَالَتِهِ
فَكَيْفَ بِالْعِيدِ أَحْيَا أُمَّةَ رَزَحَتْ
كَأَنَّمَا كُلُّ مَاضِيهَا الَّذِي حَفَلَتْ
فَلَا هِيَ أَكَلُ أَخْنَاتُونَ قَدْ نَهَضَتْ
وَلَيْسَ أَحْمَسُ مَنَسُوبًا لَوَثْبَتِهَا
وَلَا تَهَادَى بِهَا التَّمْدِينُ مُنْبَسِطًا
وَلَا تَهَافَتَ مَنْ رَامُوا مَوَدَّتَهَا
شَأَى الْغُرَاةُ فَنُونًا مِنْ مَآثِرِهَا
وَأَوْغَلُوا فَتَوَارَوْا فِي مَقَابِرِهَا
كَأَنَّمَا الْفَاطِمِيُّونَ الْآلَى ابْتَدَعُوا
كَأَنَّمَا الْأَزْهَرُ الْمَعْمُورُ فَارَقَهَا
كَأَنَّمَا كُلُّ مَا أُعْطِيَ وَمَا خُلِقَتْ
مَنْ شَوَّهَ الْمَجْدَ حَتَّى صَارَ مَنْقَصَةً
لَا شَيْءَ غَيْرُ عُتُوِّ الظُّلْمِ دَانَ لَهُ
كَأَنَّمَا أَنْكَرَ الْأَدِيَانُ أَجْمَعَهَا
وَبَاتَ كَافُورَ مَنْ كُنَّا نُرَجِّبُهُ
مَنْ سَخَّرَ الدِّينَ عَبْدًا فِي فَضَائِحِهِ

فَالظُّلْمُ وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ سَيَّانٍ
أَجَلٌ مِنْ عِيدِ تَحْرِيرِ لِنْسَانٍ
تَحْتَ الْبَلَاءَيْنِ مِنْ جَهْلٍ وَطُغْيَانٍ
بِهِ الشُّعُوبُ خُرَافَاتٍ لِسُكْرَانٍ
عَلَى تَرَاهَا، وَلَا تَوْحِيدُ أَدِيَانٍ
وَلَا تَجَلَّتْ بِهَا آيَاتُ عِرْفَانٍ
وَالنَّيْلَ مَا بَيْنَ إِحْيَاءٍ وَإِحْسَانٍ
عَلَى مَنَائِرَ جَارَتْ كُلَّ حُسْبَانٍ
فَمَا اسْتَطَاعُوا وَأَعْطَتْ كُلَّ فَنَانٍ
تَوَارِي السَّيْلِ فِي أَعْمَاقِ كُتُبَانٍ
لَهَا الْحَضَارَةُ كَانُوا أَهْلَ بُهْتَانٍ
وَبِيعَ سُكَّانُهَا فِي سَوَاقِ عُبْدَانٍ
لَغَوُ، وَيَصْدُقُ فِيهِ الْحَاقِدُ الشَّانِي
وَأَفْسَدَ الْحَقَّ حَتَّى صَارَ كَالْجَانِي؟
مَنْ لَا يَدِينُ لِأَصْنَانٍ وَأَوْثَانٍ
مَنْ قَدَّسُوهَا، فَهَانَتْ دُونِ أَثْمَانٍ
وَإِنْ يَكُنْ فِي أَدِيمٍ أَبْيَضٍ قَانِي
وَلَمْ يَزَلْ خَصْمَ إِنْجِيلٍ وَقُرْآنٍ

^١ أُرِجَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ مَحْطَةِ صَوْتِ أَمِيرْتٍ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ تَمُوزَ/يُولْيُو ١٩٥٤.

مَنْ داسَ فَوْقَ رِقَابِ النَّاسِ أَجْمَعِهِمْ
إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْأَحْرَارِ قَدْ عَمِلُوا
وَاسْتَعْنَبُوا النَّفْيَ رَغَمَ الْبُؤْسِ يَرْهَقُهُمْ
وَاسْتَمَرُّوا الْمَوْتَ مِمَّنْ رَاحَ يَسْحَقُهُمْ
وَاسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ النَّبْلِ لَيْسَ لَهُمْ
فِدَىٌ لِمِصْرَ الَّتِي عَزَّ الْمَسِيحُ بِهَا
فِدَىٌ لِمِصْرَ الَّتِي الْإِسْلَامُ بَارَكَهَا
فِدَىٌ لَخَيْرِ مِثَالِيَّاتِهَا، وَفِدَىٌ
حَتَّى اسْتَجَابَ لَهَا الْأَحْرَارُ أَجْمَعُهُمْ
وَحَرَّ مِنْ عَرْشِهِ الْمَنْهُوكِ فِي وَجَلٍ
وَرَاحَ شَرٌّ طَرِيدٌ مِصْرَ تَلْفُظُهُ
يَا لَيْتَ مِصْرَ الَّتِي قَدْ خَانَ نِعْمَتَهَا
وَعَلَّهَا الْيَوْمَ فِي ذِكْرِي لِثَوْرَتِهَا
فَالْحَقُّ تَأْيِيدُهُ فِي كَفِّ إِيْمَانٍ

تَمَوَّزْ يَا شَهْرَ أَعْيَادٍ مُحَجَّلَةٍ
مَنْ لِي بِزُورَةِ أَوْطَانٍ فُتِنْتُ بِهَا
لَأَشْهَدَ الْفَرَحَةَ الْعُظْمَى وَأَنْشُرَهَا
وَأَرْسِمَ الْيَوْمَ مَعْنَى مَجْدِهَا الثَّانِي
وَأَرْقُبَ الْكَادِحَ الْفَلَّاحَ مُمْتَلِكاً
وَأَنْظُرَ الْمَجْلِسَ الشَّوْرِيَّ مُجْتَمِعاً
وَكُلُّ أَعْضَائِهِ زَانُوا مَقَاعِدَهُمْ

كَأَنَّهُمْ حَشَرَاتٌ مَوْتُهَا دَانِي
لِلنَّارِ مَا بَيْنَ تَشْرِيدٍ وَحِرْمَانٍ
حَتَّى يُؤَدُّوا أَمَانَاتِ الْأَوْطَانِ
كَأَنَّهُمْ حَشَرَاتٌ مَوْتُهَا دَانِي
هَمْ يَمُتُ لِهَذَا الْعَالَمِ الْفَانِي
طِفْلاً، وَعَادَ لَهَا فِي دِينِهِ السَّانِي
كِنَانَةِ اللَّهِ مَا دَانَتْ لِكُفْرَانٍ
لَجِيلِهَا الْوَائِبِ الْمُسْتَيْقِظِ الْبَانِي
وَالْجَيْشُ وَاحْتَشَدُوا فِي وَجْهِ شَيْطَانٍ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ خَوْصٍ وَعِيدَانٍ
لِلْبَحْرِ مِثْلَ وَبِيٍّ بَيْنَ جَرْدَانٍ
وَارْتُهُ فِي إِثْمِهِ مِنْ غَيْرِ أَكْفَانٍ
لَا تَكْتَفِي بَازِذِرَاءٍ أَوْ بِنْسِيَانٍ
وَالْبَطْشُ تَبْدِيدُهُ فِي كَفِّ نِيرَانٍ!

وَكُلُّ عِيدٍ لَهُ عِيدٌ لِوُجْدَانِي
وَإِنْ أَكُنْ فِي رُبُوعٍ مِثْلِ أَوْطَانِي
عِطْراً بِشِعْرِي أَوْ نُوراً بِأَلْحَانِي
فِي فَخْمِ أَلْوَانِهِ لَا فَخْمَ أَلْوَانِي
لأَرْضِيهِ، لَا بَهِيمَا مُلْكٍ أَطْيَانٍ
فِي عِزَّةِ الْحُرِّ لَا فِي ذِلَّةِ الْعَانِي
كَمَا تَلَأُلُ أَفْكَارُ بَأْذَنَانِ

قَدْ أَقْسَمُوا أَنْ يَصُونُوا مِصْرَ عَنْ سَفْهِ
وَيُسْنِهِمُوا فِي حَضَارَاتٍ مُنَوَّعَةٍ
وَيَجْعَلُوا الدِّينَ مَعْنَى لَا يَلَوْنَهُ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبُعْدِ لَمْ يَعْطِفْ سِوَى حُلْمِي
أَوْ كُنْتُ فِي الْبُعْدِ مَنَسِيًّا فَمَا بَرِحْتُ

وَيُبْلِغُوهَا مَكَانًا فَوْقَ كِيَوَانٍ
لَا فِي سَفَاسِيفٍ أَوْهَامٍ وَأَضْغَانٍ
إِفْكُ السِّيَاسَةِ أَوْ تَسْمِيمُ تُعْبَانٍ
عَلَى حَنِينِي، فَهَذَا الْحُلْمُ غُنْيَانِي
رُوحِي تُرْفَرِفُ فِي أَصْدَاءِ تَحْنَانِي!

أَبْنَاءَ مِصْرَ الَّتِي تَسْمُو مَنَاقِبُهَا
مِثْلَ الْجَوَاهِرِ زَادَ الْعُمْرُ قِيمَتَهَا
الْيَوْمَ مَبْدَأُ عَهْدٍ كُلُّهُ هِمَمٌ
لَا عُذْرَ بَعْدُ لِيَأْسٍ قَدْ يُسَاوِرُكُمْ
الْجَيْشُ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ مِصْرُ، لَا مَلِكٌ
وَحَطُّكُمْ بَيْنَ أَعْمَالٍ مُخَلَّدَةٍ
رِسَالَتِي قَبْلُ كَانَتْ فِي إِثَارَتِكُمْ
وَالْيَوْمَ غَنَى لَكُمْ شِعْرِي مَحَامِدَكُمْ

فَوْقَ الْفَرَاعِينَ فِي تَقْدِيرِ أَرْزَامٍ
أَوْ كَالذُّجُومِ بِعُمُرٍ جَدُّ نَوْرَانِي
كَالنَّيِّرَاتِ أَضَاءَتْ وَسَطَ إِدْجَانٍ
فَإِنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الْمَوْطِنِ الْحَانِي
جَانٍ عَلَيْكُمْ، وَلَا آثَامُ أَغْوَانٍ
وَتَضُنُّ حَيَاتٍ لِأَبْطَالٍ وَشُجْعَانٍ
كَمَا يُثَارُ شِوَاظٌ طَيِّ بُرْكَانٍ
كَمَا تَغْنَى بِنَفْحِ الزَّهْرِ بُسْتَانِي!

٢٣ تموز/يوليه سنة ١٩٥٤

الجللاء

الْجَلَاءُ! الْجَلَاءُ! رَدَدَتْ الْأَصْدَاءُ بُشْرِي، وَيَا لَهَا الْيَوْمَ بُشْرِي
لَمْ يَقُلْهَا فَرْدٌ وَلَا الْجَيْشُ وَالشَّعْبُ، وَلَكِنْ كُلُّ الَّذِي عُدَّ مِصْرًا

^١ بعد اثنتين وسبعين سنة من الاحتلال الأجنبي عقدت مصر وبريطانيا اتفاقية الجلاء واهتز الأثير بالنبا العظيم الذي احتفت به مصر أروع احتفاء، فاهتاجت قريحة شاعرنا على الفور لنظم هذه الأبيات الوجدانية الراقصة التي وجّه خاتمتها إلى أزهار الخزامى المعبودة رمزاً لمصر؛ وقد انتظمت حقيقة بعضها.

مِنْ تَرَاهَا وَمِنْ سَمَاهَا وَمِنْ كُلِّ الَّذِي أُنبِتَتْهُ فَنَاءً وَفَكْرًا
فِي نَشِيدٍ مِثْلِ الْمَزَامِيرِ حُورٍ رَنَحَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلُ دَهْرًا
سَمِعَتْهُ الْأَثَارُ فَاهْتَجَّ فِيهَا عِرَّةٌ وَالنَّخِيلُ فَاهْتَزَّ فَخَرًا
وَتَهَادَى النَّيْلُ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلُ أَسِيرًا إِذْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حُرًّا
وَالْحُمَاةُ الْأَبْطَالُ مَنْ طَرَدُوا الْهَكْسُوسَ أَضْحَى لَهُمْ فَتُوحًا وَنَصْرًا
وَجِيُوشُ الْكُمَاةِ مِنْ عَهْدِ رَمْسِيسَ أَطْلَوْا مُهَلَّلِينَ وَسَكْرَى
مَا رَأَتْهُمْ عَيْنٌ وَلَكِنْ رَأَتْهُمْ مُهَجٌّ بِالْوَفَاءِ لِلْأَمْسِ حَرَى
وَرَأَتْهُمْ أَحْلَامُ جِيلٍ وَجِيلٍ رَقَصَتْ كَالضِّيَاءِ لَحْنًا وَشِعْرًا
وَالْخَزَامَى الْحَيَّةُ الَّتِي مَثَلَتْ مِصْرَ جَمَالًا وَعَبَّرَتْ عَنْهُ عَطْرًا
أَنْتِ بَعْضُ مِنْهَا نَزِيلَةٌ بُسْتَانِي، فَهَيَّا نُعِيدِ الْيَوْمَ جَهْرًا
ذَاكَ دَمْعِي مِنْ فَرْحَتِي نَثَرْتُهُ مُهَجَّتِي فَارْشُفِيهِ حُبًّا وَشُكْرًا
إِنْ نَكُنْ نَحْنُ كَالْغَرَبِيِّينَ لَمْ نَبْرَحْ بِإِيمَانِهَا الْمُخَلَّدِ أَدْرَى
غَمَرْتَنَا مِنْهَا الدِّيَاةُ عَلَى الْبُعْدِ كَأَنَّ الْأَثِيرَ قَدْ جَالَ غُمْرًا
فَانْتَشَيْنَا، وَكُلُّ عِيدٍ سَيُنْسَى غَيْرَ عِيدِ لِفَكَ أَسْرَى وَأَسْرَى!

٢٧ تموز/يوليه ١٩٥٤

عيد النيروز^١

ذُكِرَى الأُبَاةَ وَمَطْلَعَ الشُّهَدَاءِ
عَبَّرْتُ عَنْ أَحْرَارِ مِصْرَ بِغُرْبَتِي
وَجَعَلْتُ تَبْرِيكِي مُشَاطِرَةً لَهَا
فِي فَرْحَةِ النَّيْلِ هَلْ مِثْلُنَا
أَوْفَى وَحَوْضُ النَّيْلِ أَصْبَحَ كُلُّهُ
الْحُسْنُ فِي نَظَرَاتِهِ كَالْحَصْبِ فِي
مَرَّتْ عُهْدُ الْحَاكِمِينَ بِأَمْرِهِمْ
مَنْ لَمْ يُصَدِّقْنِي فَذَلِكَ حَوْلَهُ
الشَّعْبُ مَجْدَهَا، وَهَذَا جَيْشُهُ
أَنْتَى نَظَرْتُ تَرَى مَوَاجِبَ نُسَقَتْ
وَتَرَى النَّخِيلَ عَلَى السَّمَاءِ زَوَاهِيَا
تَتَأَلَّقُ الْأَمَالُ فَوْقَ نُضَارِهِ
وَتَرَى جُمُوعَ الْفَالِحِينَ تَعْرِفُوا
الْعَاسُ فِي يَدِ كُلِّ فَرَزٍ مَائِلٍ
يَا لَيْتَنِي فِي مِصْرَ أَلْتُمُ ثَرْبَهَا

هَذَا دُعَاءُ الْمُفْلِحِينَ دُعَائِي
وَلَرُبَّ نَاءٍ كَانَ غَيْرَ النَّائِي
بِعَوَاطِفِي وَمَدَامِعِي وَرَجَائِي
لِسَنَائِهَا وَاخْتَصَّهَا بِوَفَاءِ
حُرّاً فِقَاضَ بِحُبِّهِ الْمِغْطَاءِ
خَطَرَاتِهِ، كَالْوَحْيِ لِلشُّعْرَاءِ
وَالْيَوْمَ بَعَثَ الْحَقُّ وَالشُّهَدَاءِ
جَمٌّ مِنْ الْآيَاتِ وَالْآلَاءِ
قَدْ حَاطَهَا بِمَنَاعَةٍ وَعِلَاءِ
لِلْحُبِّ بَيْنَ تَرْتُّمِ وَضِيَاءِ
فَالنَّيْلُ فَاقَ جَمَالَ كُلِّ سَمَاءِ
كَتَأَلَّقِ الْأَحْلَامُ فِي الصَّحْرَاءِ
أَقْدَارَهُمْ، فَغَدَوْا مِنَ الْأُمَرَاءِ
كَالصَّوْلِجَانِ، وَشَامَخُ لِلرَّائِي
كَالنَّيْلِ يَلْتُمُ شَطْطَهَا بِوَلَاءِ

^١ النيروز هو بداية السنة المصرية القديمة التي ما تزال معمولاً بها لدى جَمَهَرَةِ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ أَيْ الْفَلَاحِينَ، وَتُعَدُّ أَوَّلَ تَقْوِيمٍ شَمْسِي دَقِيقٍ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ، وَكَانَتْ مُتَّبَعَةً حَتَّى بَعْدَ عَهْدِ مُحَمَّدٍ عَلِي الْكَبِيرِ، إِلَى أَنْ حُلَّتْ فِي مِصْرَ الرِّقَابَةُ الْأَجْنِبِيَّةُ. وَفِي سَنَةِ ٢٨٣ لِلْمِيلَادِ وَقَّتْ أَنْ كَانَتْ مِصْرُ تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِيِّينَ، وَكَانُوا لَا يَزَالُونَ وَثْنِينَ، بَيْنَمَا كَانَ الْمِصْرِيُّونَ قَدْ اعْتَقَقُوا الدِّينَ الْمَسِيحِيَّةَ، اضْطَهَدَهُمُ الْأَمْبَرَاطُورُ إِقْلِيدِيَانُوسُ وَسَامَهُمُ الْعَذَابُ وَالْقَتْلُ، وَاسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ جَدًّا، وَلِذَلِكَ اعْتَبِرَ الْأَقْبَاطُ هَذِهِ السَّنَةَ سَنَةً تَارِيخِيَّةً، وَصَارُوا يُورِّخُونَ حَوَادِثَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَسَمَوْهَا "سَنَةَ الشُّهَدَاءِ". وَفِي ١١ مِنْ أَيْلُولِ/سِبْتَمْبَرِ ١٩٥٤ تَبَدَّلَتْ سَنَةُ ١٦٧١ لِلشُّهَدَاءِ، وَيَكُونُ دَائِمًا الْفَرْقُ ٢٨٣ سَنَةً بَيْنَ الْمِيلَادِيَّةِ وَالشُّهَدَاءِ. وَيَتَّقُ النِيرُوزُ أَوْ يَكَادُ مَعَ وَفَاءِ النَّيْلِ، وَلِذَلِكَ اسْتَوَحَّاهَا الشَّاعِرُ كَمَا اسْتَوَحَّى أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْوَطْنِيَّةِ الَّتِي حَيَّا بِهَا هَذَا الْعِيدَ الْقَوْمِيَّ.

حَتَّى أُجَدِّدَ مِنْ غِنَى إِكْسِيرِهِ
فَرَحَانَ كَالطُّفْلِ الصَّغِيرِ تَجَمَّعَتْ
لِمَ لَا وَلِلنَّيْرُوزِ رَوْعَةٌ سَاحِرٌ

أَبْنَاءَ مِصْرَ الْمُخْلِصِينَ تَسَابَقُوا
وَحُذُوا هَدِيَّةَ عِيدِهِ مَا نِلْتُمُو
حَتَّى يُبَارِكَهَا مُبَارَكَةَ الْهُدَى
وَتَصِيرَ كَالنَّيْلِ الْعَزِيزِ أَيْكُمُو
الْعِيدُ هَذَا عِيدُ مِصْرَ بِأَسْرِهَا
غَنَى بِهِ الْفَلَّاحُ مِثْلَ زُرُوعِهِ
يَا لَيْتَ لِي فِي كُلِّ عَامٍ وَقْفَةٌ
حَتَّى أَنْفِسَ كُلُّ حُرٍّ مَوَلَعٍ
وَأُلْقِنَ الْأَحْفَادَ مَا لُقِّنْتُهُ
لَا يَعْرِفُ الْأَحْرَارَ إِلَّا مُسْنَهُمْ
فَلْتَحْيَ يَا وَطَنِي الْأَصِيلَ مُنْعَمًا
وَلْتَحْيَ جُمْهُورِيَّةً أَحْرَزَتْهَا
تَرْقَى الشُّعُوبُ عَلَى سَوَاعِدِ أَهْلِهَا

عُمْرِي وَأَرْشُفَ نِعْمَتِي وَرَوَائِي
كُلُّ الْكُنُوزِ لِصَفْوِهِ فِي الْمَاءِ
قَدْ جَالَ بَيْنَ عَوَاطِفِ وَمَرَائِي؟

لَأَبْيَكُمُو الْمُعْتَزُّ بِالْأَبْنَاءِ
مِنْ نَصْفَةٍ وَتَحَرُّرٍ وَإِخَاءِ
فَتَزِيدَ بَيْنَ سَمَاحَةٍ وَنِقَاءِ
قُدُسًا تَنْزَهُ عَنْ هَوَى وَرِيَاءِ
لَا عِيدُ طَائِفَةٍ وَلَا أَهْوَاءِ
وَدُمُوعِهِ فِي الْحَقْلِ وَالْأَنْدَاءِ
كَالْحَجِّ بَيْنَكُمُو، وَلَيْتَ ثَوَائِي
بِالنَّيْلِ، مَبْتَدِعًا فُنُونَ غِنَائِي
مِنْ قَبْلُ مِنْ سِرِّ لِفَرَطِ إِبَائِي
فِي التَّضَنُّحِيَّاتِ وَقَانِعِ بَعْنَاءِ
بِتَّابِعِ الْأَغْيَادِ كَالْأَضْوَاءِ
كَالْبَغْتِ بَعْدَ تَبَدُّلِ وَفَنَاءِ
وَتَهْوُنُ تَحْتَ سَنَايِكَ الدُّخْلَاءِ

١٧ آب / أغسطس ١٩٥٤

بَاقَةُ حَبِّ

وَدَّعَ بِهَا الشَّاعِرُ الدُّكْتُورَ عِمَادَ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ الْأُسْتَاذَ بِمَعْمَدِ التَّرْبِيَةِ قُبَيْلَ عَوْدَتِهِ إِلَى
مِصْرَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ آبِ/أَغُسْطُسِ ١٩٥٤، وَضَمَّنَهَا تَامِيلَهُ فِي شَبَابِ مِصْرَ
الْجَدِيدَةِ وَحَنِينَهُ إِلَى رُبُوعِ النَّيْلِ

يَا قَاصِداً مِصْرَ فِي زَهْوٍ وَفِي جَذَلٍ
أُمُّ الْحَضَارَةِ، مَا كَانَتْ تُفَوِّلُهَا
لِكُلِّ فَرْدٍ بِلَادُ يَسْتَعْرِزُ بِهَا
لَهَا عُهُودٌ عَلَى الدُّنْيَا مُوْتَقَّةٌ
أَنْتَ ابْنُهَا الْبَرُّ لَا تُنْسِيكَ مَنَزِلَةً
وَمَنْ يُعَدُّ عِمَاداً فِي تَخْصُّصِهِ
عِلْمٌ، وَعِلْمٌ، فَلَا خَيْرَ لَأَمْتِنَا
وَالثَّمْ تَرَى مِصْرَ عَنِّي رَاكِعاً شَغْفاً
عِلْمٌ كَعِلْمِكَ غَدَانِي وَأَحْيَانِي
وَمَا أَقُولُ "وَدَاعاً" بَلْ أَقُولُ "عَلَى"
يَا مَنْ تَوَاضَعُ عُنْوَانُ حِكْمَتِهِ
وَمَنْ شَغِلَتْ طَوِيلًا عَنْ مَجَالِسِهِ
عَهْدٌ عَلَيْكَ: شَبَابُ النَّيْلِ تُرْشِدُهُمْ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ أَسْمَى مَا اتَّصَفَتْ بِهِ
لَا خَيْرَ فِي الْعِلْمِ صَارَ الْجُبْنُ سَيِّدَهُ
هَذِي تَحِيَّةٌ مَهْجُورٍ وَمُغْتَرِبٍ
لَمْ أَلْقَ غَيْرَكَ مَوْهُوباً لِيَرْفَعَهَا
وَلَمْ أَجِدْ نَابِغاً أَوْلَى بِتَكْرِمَتِي
فَعِشْ لِقَوْمِكَ، بَلْ لِلنَّاسِ أَجْمَعِهِمْ

هُنْتُتَ، مَا مِصْرُ إِلَّا أُمُّ أَوْطَانٍ
إِلَّا مَفَاخِرَ فَنَّانٍ وَإِنْسَانٍ
وَمِصْرُ، مَهْمَا اسْتَقَلَّ، الْمَوْطِنُ الثَّانِي
فَطَالَمَا حَبَّتِ الدُّنْيَا بِإِحْسَانٍ
حَقّاً عَلَيْكَ، وَلَا كَرُّ لَأَزْمَانٍ
وَخَالِقاً لِمَزَايَا جِيلِهَا الْبَانِي
إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، إِنَّ الْعِلْمَ نُورَانٍ
وَحُذْ فَوَادِي عَنِّي بَعْضَ قُرْبَانِي
كَذَاكَ خَلْقُكَ يَوْمَ الْيَأْسِ أَحْيَانِي
فِي مَوْطِنِ الشَّمْسِ نَاجَانِي وَنَادَانِي
وَقَدْرُهُ فَوْقَ تَقْدِيرٍ وَعُنْوَانٍ
لَأَنْتَ أَدْنَى إِلَى قَلْبِي مِنَ الدَّانِي
لِلْحَقِّ إِنَّ خَائِنَهُمْ تَدْجِيلُ شَيْطَانٍ
فَاصْدَعْ بِهَا الْبَاطِلَ الْمُسْتَأْسِدَ الْجَانِي
فَالْعِلْمُ بِالْعِلْمِ يَرْقَى دُونَ سُلْطَانٍ
وَبَاقَةٌ مِنْ أَحَاسِيْسِي وَالْحَانِي
لِمِصْرَ حِينَ وَفَاءُ النَّيْلِ نَاجَانِي
وَلَا مِثَالِيَّةً أَوْلَى بِأَيْمَانِي
وَعُدْ لِقَوْمِكَ ذُخْراً لَيْسَ بِالْفَانِي

وداع فرحات زيادة

ألقى الشاعر هذه القصيدة شبه الارتجالية في حفلة توديع الأستاذ الأديب فرحات زيادة الذي استقال من إذاعة صوت أميركا في أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٤ ليتفرغ لتعليم العربية في جامعة برنستن

قالوا لنا: فرحاتٌ سوف يتركنا
من ذا سِواه خَلِيقٌ أن يودبنا
وما "الجرامر" أَلغازاً وأُحجيةً
هيهات! هيهات! لم يبلُغْ مكانتهُ
ويا له "سَيِّداً للخلق" نَعْبُدُه
ولَسْتُ أَنْكِرُ أَنَّ الدُّسكَ زَيْنُهُ
ثلاثة فرحاتٍ راحَ يَخْلُقُهُمْ
يا راحلاً وَلَهُ في ذِكْرِنَا أثرٌ
إلى مَبَاعةٍ دَرَسَ أَنْتَ تَعَشَّقُهُ
عَلَّمَ، وَعَلَّمَ، وَأُنْجِبَ كُلَّ نَافِعَةٍ
واسْعِدْ بِدُنْيَاكَ في بَحْثٍ وفي كُتُبٍ

فَقُلْتُ: يا قوم! جاءَ الهَمُّ والكَدَرُ!
وَأَنْ يُعَلِّمَنَا ما الخُبْرُ والخَبَرُ؟
والفَرْقُ ما بينَ عَمَرُو قال أو عُمَرُ؟
إِلَّا حَبِيبٌ^١، فكم عَزَّتْ لَهُ سِوَرُ
كَأَنَّهُ الصَّنَمُ العُزَّى أو الحَجَرُ
"الشَّمْسُ" والرائعُ "المَرِيخُ" و"القَمَرُ"^٢
مِنْ بَعْدِ ما فَرِحُوا بالموتِ أو قَبِروا!
بورِكتَ كم حَاضِرٍ لم يُبْقِهْ أَثَرُ
ونحنُ نَدْرُسُ في قَیْظٍ ونُحْتَضِرُ
فليسَ يَخْلُدُ إِلَّا العِلْمُ والفِكرُ
إِنْ كانَ يُسْعِدُ مَنْ لَمْ تُرْضِهِ الهَذَرُ!
أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

^١ يعني القسم العربي في الإذاعة.

^٢ هو الأديب الرّصين حبيب مصابني، عضو القسم العربي في إذاعة "صوت أميركا" وهو ينافس الأستاذ فرحات زيادة في وسامة البنية وفي الطموح ويتميز عنه بشكوى الزّمان، ومما اشتهر فيه قول صديقه الشاعر المتفكه في عيد الأضحى (على لسان الأستاذ حبيب):

فإني ذلك الكيشُ الكَنِيبُ
ويرقى فوقَ خازوق حبيب!

أيا كيشَ الفداء فدنك نفسٍ
يرقى الناسُ في voice of America

^٣ ثلاثة آخرون من زملاء الشاعر في الإذاعة.

يوم العمل

عَرَفْنَاكَ يَا يَوْمُ عِيدِ الْحَيَاةِ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَمَنْ يَعْمَلُ
كَذَا عَلِمَتْ عَلَمُنَا الكائناتُ وأسمى الكواكبِ والمِنْجَلُ
وفي الحركاتِ صَمِيمُ الْحَيَاةِ، إِذَا فَاتَهَا المَيِّتُ المَهْمَلُ
فَثَبَّ حَوْلُنَا رَاقِصاً ضَاحِكاً أَيَا عِيدُ واحْفَلْ كَمَا نَحْفَلُ
فهذي الجُمُوعُ شُهُودُ الكِفَاحِ، رُمُوزُ السَّلَامِ الَّذِي يُؤْمَلُ
لَهَا العَمَلُ المُسْتَعِرُّ الشَّعَارُ، وإيمانُهَا: المَعْبُدُ المَعْمَلُ
فَفِيهِ الإِخَاءُ وَفِيهِ الرِّخَاءُ وَفِيهِ الحَضَارَةُ تُسْتَكْمَلُ
وفي كُلِّ عَامٍ لَنَا وَقْفَةٌ تُذَكِّرُ بِالحَجِّ أَوْ مَحْفَلُ
نُحَاسِبُ أَنْفُسَنَا بَيْنَمَا يُدَاعِبُنَا المُقْبِلُ الأَمْتَلُ
يَرَى أَنَّنَا أُمَّةٌ لَا تَنَامُ عَلَى الضَّيْمِ أَوْ قَدَرُهَا يُغْفَلُ
تَسَاوَتْ بِهَا فُرْصُ العَامِلِينَ وَمِنْهَا البَطَالَةُ تُسْتَأْصَلُ
وَفِيهَا التَّكَافُؤُ أَسْمَى المَظَاهِرِ وَالْعَمَلُ المُتَمَرُّ الأَجْمَلُ
وَمَنْ كَانَ يَعْمَلُ فَهُوَ الأَمِيرُ، وَلَا هَكَذَا مُتَرَفٌ يَهْزِلُ
فِيَا عِيدُ يَا مَنْ سَنَقَتْ الخَرِيفَ بِعَهْدِ الرَّبِيعِ الَّذِي تَحْمِلُ
وَفِيكَ الهُدُوءُ وَفِيكَ التَّجَدُّدُ وَالْحَزْمُ وَالْعِزْمُ وَالْمَوْئِلُ
تَدْفُقُ غِنَاءً، تَدْفُقُ مَظَاهِرَ لِلصَّفْوِ وَالْحُبِّ تُسْتَأْهَلُ
فإِنَّا رُعَاةُ حُقُوقِ الشُّعُوبِ وَلَوْ بَيْنَهَا المُرْهَقُ الأَعْزَلُ
وَمَا هِيَ إِلَّا سَنُونَ تُعَادُ فَيَسْجُدُ لِلْحَقِّ مَنْ ضَالَّوَا!
نَعِيشُ بَعْضُنَا لِهْ ثَوْرَةً عَلَى الضَّعْفِ وَالْجَهْلِ لَا تُجْهَلُ
فِيَا أُمَّمَ الشَّرْقِ لَا تَيَاسِي فَمَا عَزَّ دُونَكَ مُسْتَقْبَلُ

هَلَمِّي مُجَنِّحَةً بِالْعُلُومِ إِلَى الشَّمْسِ فَالشَّمْسُ لَا تَنْزِلُ
هَلَمِّي مُحَصَّنَةً بِالْعَدَالَةِ لِلْمَجْدِ، فَالْمَجْدُ لَا يُبْذَلُ
وَحَسْبُكَ مَوْعِظَةٌ يَوْمَ عِيدِ تَسَاوَى بِهِ النَّاسُ وَاسْتَأْهَلُوا

وَسَوِّئْتُ أَيْنَ قَصِيدِي الْحَيِّ؟ وَمَا مِثْلُ شِعْرِي مَا يُسْأَلُ
تَدْفُقُ كَالنَّبْعِ فَوْقَ الصَّافَاةِ إِذَا النَّبْعُ غَازَلَهُ الْبَلْبَلُ
فَفِي كُلِّ مَرَأَى حَيَالِي نَشِيدٌ وَأَهْوْنُهُ مَا شَدَا الْجَدُولُ
وَأَعْظَمُهُ مَا حَكَاهُ الْأَنَامُ قَصَائِدَ كَالْحُبِّ لَا تَذْبُلُ
فِيَا عِيدُ فَضْ بِالْأَمَانِي الْحَسَنِ فَإِنَّ الْأَمَانِي لَا تُمَهَّلُ
وِيَا عِيدُ رَتِّلْ أَحَبَّ الْأَغَانِي، أَغَانِي الْحَقِّ لَا تُغْفَلُ!

أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

وداع نيويورك

إِذَا الْوَاجِبُ الْمَحْتَوَمُ نَاشَدَ أَوْ أَوْحَى
تَرَاكَ، كَأَنِّي مُذْنِبٌ يَطْلُبُ الصَّفْحَا
عَلَى الظُّلْمِ وَالظُّلَامِ، أَشْبَعُهُمْ قَدْحَا
فَمِنْ غَيْرِهَا قَلْبِي تَنْسَمُ وَاسْتَوْحَى
كَمَا كُنْتُ لِي نُورًا شَأَى صُبْحَهُ الصُّبْحَا
كَأَنَّ لَهَا مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ مُسْتَوْحَى
تَهَاوِيلَ مَنْ خَالُوا عَجَائِبَهَا مَرْحَا
فَلَيْلِكَ نُورٌ مِثْلَ عِلْمِكَ لَا يُمْحَى

أُضْحَى بِتَرْحَالِي، وَمِثْلِي مَنْ ضَحَى
وَهِيَهَاتَ أَنْ أَنْسَى خُشُوعِي لِأَيْمًا
لَدُنْ جُرْتُ أَلْفَ الْفَرَاسخِ سَاخِطًا
وَهَانَ لَدَيَّ الصَّيْتُ وَالْحَاهُ وَالْغِنَى
وَقَدْ كُنْتُ لِي بَيْتًا وَمِثْبَرُ دَعْوَةٍ
سَنُونَ ثَمَانٍ أَوْ تَزِيدُ عَرَفْتُهَا
عَجَائِبُ مِنْ صُنْعِ الْحَضَارَةِ جَاوَزَتْ
وَقَدْ ضَاقَ ذَرْعًا مَنْ سَلَبَتْ نُعَاسَهُمْ

ولكنني أنستُ فيك سعادتي
 كائني من أهليك بل من عيونهم
 فأنجبتُ أثاري الروائع مثلما
 وليس الألى خالوك محض جهامة
 معلمة الأحرار كيف صمودهم
 يورق بُعدي عنك حتى كائني
 فإن عشتُ في نغمي فلا زلت كعبة
 تعودت مدح الوافدين وقدحهم
 وقد صغته حتى كأن عواطفي
 تمثّل حباً بالغاً، وأمانياً
 وقد تترك الأمصار، لا عن تجنّب
 ولكن بحكم الحظ، فالحظ كالوغي
 وتركك أدنى للهزيمة بعدما
 فهل ترجع الأيام أيام أنسنا
 إذن ما أبالي بالمسافات أسرفت
 وسوف أضحي الهَمّ ذبحاً بلا ونى

فيا مجمع الأحرار من كل أمة
 وخلي وداعي لا لصرح أقمته
 لئن شرّنتني عن معاليك حيرتي

ولم أنس ترحيباً طلعت به منحا
 فأمطرتني حباً، وجددت لي نقحا
 تجاوب نحلّ والبساتين والطلحا
 بمن عرفوا مجلى لحسنك أو منحي
 وجاعة أحلامهم كل ما صحا
 إلى النفي أمضي، لا إلى جنة فيها
 تزود بالإيمان مهجتي الفرحي
 جزافاً، ولكنني وزنت لك المدحا
 سكن به، أو أنه آيتي الفصحى
 أضعت، وسفحاً من لموعي أو جرحا
 ولا عن سلو، شئن من يشد الرياح
 وفي عنفها الهيجاء قد تلد الصلحا
 بلغت بك النصر المكلل والفتحا
 ولو في قصي ربما شيمته لمحا؟
 عواذل، أو بالدهر ضايقي نصحا
 وأكفره أولى بإنهائه ذبحا!

تعالى بلا حصر، ولا تسامي كدحا
 ولكن لروح فيك قد جاوز الصرحا
 ويزقي، فقلبي عالق بك أو أضحي

١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فلسفتي^١

شَرِبْتُ فِلْسَفَتِي مِنْ نَبْعِ أَلَامِي
وَمَا بَرِحْتُ أُغْنِي زَاخِرًا أَبَدًا
كَأَنَّ دَمْعِي أَنَا شَيْدٌ قَدْ احْتَبَسْتُ
أَنَّ الْمَسِيحَ قُبَيْلَ الصَّلْبِ مِنْ حَرَقٍ
وَأِنْ حُسِدْتُ، كَأَنَّ الْبُؤْسَ لِي شَرَفٌ
أَنَا الضَّعِيفُ، وَلَكِنِّي الْعَتِيُّ عَلَى
إِيَّاكَ إِيَّاكَ يَا نَفْسِي مُهَادِنَةٌ
مَعْنَى الْحَيَاةِ ابْتِسَامٌ لَا يُفَارِقُهَا
وَهَلْ أَكُونُ سِوَى رَمَزٍ تَضِنُّ بِهِ
عَابُوا الْحَقِيقَةَ فِي شِعْرِي، وَمَا سَكَنْتُ
مَا سَفَّ يَوْمًا، وَإِنْ يَجْهَلُهُ مَنْ جَهِلُوا
وَأَنَا وَجَدِي وَتَفْكِيرِي، وَفِلْسَفَتِي
ذَاقَ الْخُلُودَ بِأَلْوَانٍ مُجَنِّحَةٍ
كُلُّ الطَّبِيعَةِ مَعْبُودٌ لِمُهِجَّتِهِ
تَمْتَدُّ خَفَاقَةٌ لَا حَدَّ يَحْصُرُهَا
أَنَا ابْنُهَا، لَا يَنَالُ الدَّهْرُ مِنْ أَثَرِي
كَمْ مِنْ صَغِيرٍ تَرَدَّى، فِي حَقَارَتِهِ

وَقَبْلَهَا عَبٌّ مِنْهُ قَلْبِي الدَّامِي
كَأَنَّ أَلَامَ قَلْبِي لَسُنَّ أَلَامِي
حَتَّى تُرَاقَ عَلَى قُدْسِي أَنْغَام
كَمَا أُعَانِي تَبَارِيحِي وَإِعْدَامِي
وَكُلُّ أَهْلِ الْغِنَى فِي الْبُؤْسِ خُدَامِي
نَفْسِي، إِذَا النَّفْسُ لَمْ تَعْبَأَ بِأَحْكَامِي
لِلظُّلْمِ، أَوْ فَاقْبَعِي فِي سِجْنِ ظُلَامٍ
وَأِنْ أُحِيطَتْ بِجَدْبٍ غَيْرِ بَسَامٍ
عَلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ أَفْنَيْتُ أَعْوَامِي؟
سِوَى الْحَقِيقَةِ أَسْمَى شِعْرِي السَّامِي
أَنَّ الْحَيَاةَ تَعَالَتْ فَوْقَ أَحْلَامٍ
لَيْسَتْ سِوَى مَثَلٍ مِنْ فَنِّ رَسَامٍ
فَوْقَ النُّجُومِ وَفِي أَلْوَانِ أَكَامٍ
تَشَكَّلَتْ حَوْلَ أَطْيَافٍ وَالْهَامِ
كَخَفَقِ قَلْبِي عَلَى إِحْسَاسِي النَّامِي
وَلَمْ يَنْلُ قَبْلُ مِنْ نُورٍ وَأَجْرَامِ
لِلنَّاسِ، وَهُوَ جَلِيلٌ شَامَخُ سَامٍ

^١ ودَّعَ الشاعرُ نِيُويُورِكَ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ قُبَيْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى وَاشِنْطُنِ الْعَاصِمَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ فِي مِنتَصَفِ أَيْلُولِ/ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٥٤. وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يُشِيرُ إِلَى اسْتِقْبَالِهِ نِيُويُورِكَ فِي بَدْءِ هِجْرَتِهِ إِلَى أَمِيرِكَا سَنَةِ ١٩٢٠، وَقَدْ عُبِّرَ عَنْهُ فِي قَصِيدَةٍ تَضْمَنُهَا لِيرَانَةُ الْمَهْجَرِيِّ الْأَوَّلِ الْمَوْسُومُ مِنَ السَّمَاءِ. (وَقَدْ صَدَرَ الدِّيَوَانُ الْمَذْكُورُ فِي الْعَامِ ١٩٤٨ عَنْ مَطْبَعَةِ جَرِيدَةِ الْهَدْيِ، نِيُويُورِكَ، فِي ١٦٠ صَفْحَةٍ مُتَضَمَّنًا مَا نَشَرَهُ أَبُو شَادِي بَيْنَ ١٩٤٢ وَ ١٩٤٧ وَهُوَ بَيْنَ مِصْرَ وَنِيُويُورِكَ؛ وَف.).

كَالْبَذْرِ أَوْ قَطْرَةٍ لِلْبَحْرِ شَارِدَةٍ
وَعَيْتُهَا فِي خَيَالِي، فَهِيَ فَلَسَفَتِي
تَطِيرُ فِي فَرَحَةٍ نَشْوَى، وَيَرْفَعُهَا
كَأَنَّهَا صَائِدٌ رَدَّتْ حِمَاسَتُهُ
أَغْزَوْ كَمَا غَزَتْ^١ الدُّنْيَا، وَإِنْ فَشِلْتُ
حَسْبِي التَّجَارِبُ فِي دُنْيَايَ أَفْهَمُهَا
حَسْبِي شُعُورِي بِأَنَّ الْكَوْنَ أَجْمَعَهُ
حَسْبِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ نَصَبٍ

هِيَ الْوُجُودُ تَنَاهَتْ فَوْقَ أَنْسَامٍ
وَإِنْ تَعَزَّ عَلَى بُهْمٍ وَأَصْنَامٍ
حُبُّ الْحَيَاةِ إِلَى غَايَاتِ إِقْدَامٍ
خَوْفَ الْمَمَاتِ بِأَدْغَالٍ وَأَجَامٍ
وَإِنْ تَمَزَّقْتُ مِنْ غَدْرِ الْأَخْصَامِي
وَإِنْ تَدَقَّ وَلَمْ تُكْشَفْ لِأَفْهَامٍ
يَوْمًا سَيُتْلَى وَيَجْرِي فَوْقَ أَقْلَامٍ
أَنْتِ الطَّلِيْقُ، وَلَمْ أَرْضَخْ لِإِرْغَامٍ!

٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

فَنِّي

شَاعِرَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ دَعَوْنِي
أَنَا رَاضٍ بِمَا دَعَوْنِي، وَلَكِنْ
مَا الْوُجُودُ الَّذِي تَرَأَى حَيَالِي
لَا عَرَفْتُ الْحَيَاةَ إِنْ كَانَ فَنِّي
مَنْحَثْنِي إِيْزِيسُ مَا يَهَبُ الْخِصْمُ
أَنَا بَعْضُ مَنْ الْوُجُودِ، وَلَكِنْ
مَلَأْتُ مُهْجَتِي الْأَثِيرَ طُيُوباً
أُنْظِرُ الشَّمْسَ، إِنَّ فِيهَا شُعُوراً

شَاعِرَ النَّوْرِ عَاطِراً وَالتَّغْنَى
أَثْرَى الْفَنِّ يَرْتَضِي مَا دَعَوْنِي
مِلَّةُ زَهْنِي، وَإِنَّمَا بَعْضُ زَهْنِي
مَا بَدَأَ لِي وَلَسْتُ أَخْلُقُ فَنِّي
بُ، وَخِصْمِي كَالرَّوْحِ يُغْنِي وَيُغْنِي
كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ بَعْضٍ كَوْنِي
وَتَنَاهَيْتُ بِكُلِّ مَا نَدَّ^٢ عَنِّي
كَشُعُورِي، وَكُلُّ مَا شَعَّ مِنِّي

^١ أي القطرة أو البذرة الطائفة.

^٢ ندَّ: انتشر وتفرق.

وانظرِ النجمَ وهو يغمرُ للشَّمْـ
وانظرِ السُّحْبَ وهي تمضي شَاوِي
ضَمَخَتْهَا أَنْفَاسُ شِعْرِي فَحَالَتْ
سِنُّهَا مِنْ سِنِّي لَوْ كُنْتُ تَدْرِي
وَشُعَاعُ الْأَجْرَامِ يَحْسُدُ وَجْدَانِي
أَنَا مَعْنَى مِنَ السَّلَامِ، مِنَ النُّورِ،
مَا اضْطَهَادِي بِنَائِلٍ مِنْ جَنَانِي
جَاحِدِي يُعْلِنُ الْهَزِيمَةَ لَاقَا
إِنَّ رُوحِي تَبَرُّ بِالطَّائِشِ الْهَـ
لَيْسَ فَضْلُ الْحَكِيمِ أَنْ يَنْشُرَ الْحُكْـ
رَحْمَتِي لَا تَضِيقُ بِالصَّفْحِ لِـ
فَكَأَنِّي الْمَسِيحُ فَدَى غَفُوراً
وَتَنَاهَى مَبَادِئاً هِيَ أَبْقَى
بِإِزَالِ رُوحِهِ فَتَنَمُّو وَتَسْرِي
فَلْيَخُنِّي الْحُسَادُ بِالْغَيْبِ مَا شَاوُوا
وَلْيَغْتَوُوا نَقِيضَ مَا هُمْ عَلَيْهِ
وَلْيُنَادُوا بِنُبُلِهِمْ، وَهَرَزُوا
وَلْيُبَاهِ الْجُنَاةُ، لَسْتُ حَقُوداً
ذَاكَ صَدْرِي: هُوَ السَّمَاحَةُ وَالرَّحْـ

سِ بِشَوْقٍ وَلَوْعَةٍ لَمْ تَفْتَنِي
بَاكِياتٍ، وَقَدْ أَصَاخَتْ لِلْحَنِي
فِي الْأَزَاهِيرِ بَيْنَ شَهْدٍ وَمَنْ
أَنْ هَذَا الْأَبَادَ رَفَّتْ بِسِنِّي
وَنَفْسِي كَكَائِنٍ لَمْ تَسْغِنِي
مِنَ الْحَقِّ وَالْعُلَى، لَا التَّدْنِي
لَوْ رَأَيْتَ الضَّيَاءَ يَغْنُو لِغَبْنِ
هَـ، فَمَا كَانَ طَعْنُهُ فِيَّ طَعْنِي
وَيِ كَأَنِّي مُسَدِّدٌ بَعْضَ دِينِي
مَةً قَوْلًا فَحَسَبُ مِنْ دُونِ عَيْنِ
ثُمَّ إِنَّ خُصَّ مِنْ جُمُوعِ بَضْنِ
وَتَسَامَى مِنْ بَعْدِ صَلْبٍ وَدَفْنِ
مِنْ خُلُودِ الْعُلَى وَمِنْ أَيِّ كَوْنِ
سَرِيانَ الْحَيَاةِ فِي غَيْرِ مَنْ
وَلَا عَاشَ حَاسِدٌ لَمْ يَخُنِّي
فَبِحَسَنِي أَنِّي أَقُولُ وَأَغْنِي
وَبِيَأْسٍ لَهُمْ شَبِيهِ بِجُوبِنِ
فَأُجَارِي، وَلَا أَثِمَاً فَأُجْنِي
مَةً لِلْعَالَمِينَ رَغَمَ التَّجَنِّي!

١١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

عاصفة ١٥ أكتوبر^١

وَلَوْلِي! وَلَوْلِي! وصيحي وطيري
واكسيري الباسقات أو فاخلعها
أنا مُذْ جِئْتُ هذه الجَنَّةَ السَّمَّ
أَمْطري يا رياحُ، أو فاسكبي النَّا
ليسَ شَكْوَى الزَّمانِ طَبْعِي، ولكنْ
ما نَثِيرُ الأوراقِ يُحَرِّمُهَا الدَّوْ
ما سُقُوطُ المِصْبَاحِ يَتَّبِعُهُ المِصْبَ
ما زَيْرُ الهَبُوبِ^٢ حَوْلِي سِوَى وَجْ
ما أَبالي مِنْ بَعْدِ مُعْتَرِكِ الأَحْ
لَيْلَةً تَنْقُضِي، وعاصِفةُ النَّفْ
وَتَرَامَيْتُ فَوْقَ سُلْمِ داري
ومُثَارُ الحَصَى تَدْفُقُ حَوْلِي
ثُمَّ لَمَّا وَلَجْتُ داري أَيْ أَهْ

واقْرَعِي وامْنَعِي بِعَصْفِ مَسِيرِي
كُلُّ هَذَا يُرَى بِقَلْبِي الكَسِيرِ
حَةَ ما زِلْتُ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ
رَ فَإِنِّي ما عُدْتُ أَخْشَى مَصِيرِي
هو سُخْرِي مِنْ فِعْلِ دَهْرٍ حَقِيرِ
حُ وَقَصْفُ الأَغْصَانِ إِلَّا نَظِيرِي
بَاحُ إِلَّا كَثُورَتِي فِي ضَمِيرِي
دي فَأَعُولُ يا وَجْدُ بَيْنَ الزَّيْرِ!
دَاثَ فِي. خَاطِرِي جُنُونُ المَغِيرِ
سِ تَنَاهَتْ بِظُلْمَةٍ لِلْأَسِيرِ!
لا أَبالي بِصَرْخَةٍ لِلنَّذِيرِ
كَرْصَاصٍ يَزُزُّ بَيْنَ الصَّفِيرِ
لي عَزَاءُ سِوَى أَمْرِ النَكِيرِ!
١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

^١ مَرَّتْ عاصِفةٌ هُوجاءَ بواشنطن، العاصمة الأميركية، يوم الجمعة الخامس عشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤، فدفعت الشَّاعر إلى نظم هذه الأبيات الوصفية الوجدانية التي أوحتها له أيضاً أزمته النفسية من جراء خسارته الجمَّة وتضحياته بنقله إلى واشنطن.

^٢ الهَبُوبُ (بفتح الهاء) من الرياح: المثيرة للغبرة.

لوعة^١

إلى الصَّدِيقِ خَفَاجِي فِي عَوَالِمِهِ
أُبْتُ مِنْ لَوْعَتِي مَا فَاضِرَ عَنْ كَلَمِي
تَجَمَّعَتْ غُصَصُ الدُّنْيَا، وَمَا فَتَّتَتْ،
فَإِنْ أَعِشْ فِي جِنَانٍ كُلِّهَا عَجَبٌ،
قَدْ ضَيَّعْتَ عُصْبَةً لِلنَّقْلِ مَكْتَبَتِي
وَضَيَّعَ النَّقْلُ رِزْقاً كَانَ لِي سِنْداً
وَضَيَّعَ الِهْمُ نَزْراً كَانَ عَافِيَتِي
وَصَارَ دِينِي رَفِيقاً لَا يُفَارِقُنِي
وَإِذْ عَرَضْتُ لِبَيْعِ كُلِّ مَا مَلَكَتُ
أَنَا الْمُعَاقِبُ، لَا ذَنْبٌ جَنَيْتُ سِوَى
وَمِنْ عَجِيبٍ إِذَا مَا الْحَزَنُ يَغْمُرُنِي
لَمْ أَدْرِ: هَلْ جُنَّ قَلْبِي فِي تَفَاوُلِهِ
لَقَدْ تَمَرَّسْتُ عُمْرِي بِالْأَسَى فَعَدَا
لِمَنْ أَعَذَّبُ؟ مَا جَدَّوَايَ مِنْ زَمَنِي
لَجَّ "الْمُرَاقِبُ" فِي شَطْبِ لَأْفُكَارِي
إِنَّ الْخِيَانَةَ لِلْأَوْطَانِ أَخْطَرُهَا
وَتَرَكُ مِثْلِي يُعَانِي فِي تَحْرِقِهِ

مَا بَيْنَ شَاهِقِ أَبْحَاسٍ وَأَسْفَارِ
وَإِنْ تَحَجَّبَ فِي مَكْنُوزِ إِضْمَارِي
حَرْباً عَلَيَّ، وَعَادَتْنِي لِإِثَارِي
فَإِنَّ قَلْبِي بِالتَّغْذِيبِ فِي النَّارِ
يَا عُصْبَةَ النَّقْلِ قَدْ خُلِدَتْ فِي الْعَارِ!
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ مَشْغُولٌ بِإِفْكَارِي
فَمَا انْتَفَعْتُ بِسُكَّانٍ وَلَا جَارِ
وَكَانَ وَدَّعُهُ أَوْ كَادَ إِنْذَارِي
يَدِي خُذَلْتُ كَمَا قَدْ ضَيَّعُوا دَارِي
بَرِّي، كَأَنَّ عَظِيمَ الذَّنْبِ أَثَارِي
لَطِمْتُهُ مِثْلَ سَبَاحِ بَتِّيَارِ
أَمْ مَا دَرَى خَطْبُهُ أَمْ أَنَّهُ الدَّارِي؟
مَنْنِي وَمَدَّ الْأَسَى عُمْرِي لِأَعْمَارِ!
وَمَا حَيَاتِي؟ وَمَنْ يَغْنِيهِ إِكْبَارِي؟
مَا كَانَ أَوْلَاهُ تَثْقِيفاً بِأَفْكَارِي
حَجَرٌ عَلَى الْحَقِّ أَوْ إِرْهَاقُ أَحْرَارِ
عَارٌ عَلَى الْجِيلِ، لَا ذَنْبِي وَلَا عَارِي!

١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

^١ قصيدة من صميم الشعر الوجداني عبَّرَ فيها الشاعرُ عن لوعته إزاء الأحداثِ المختلفةِ التي اقترنتْ بقلبه من نيويورك إلى واشنطن، ولا ننبأ لإحداهما فيها، وإنما هو عاملُ القدرِ أو سوءُ الحظِّ الذي اعترضه، ومع ذلك ففي القصيدة من نغمة التفاؤل والتأمل الفلسفي والإشادة بحرية الفكر ما يسترعي الانتباه، وقد وجهها الشاعرُ إلى صديقه العلامة الأديب الأساذ محمد عبد المنعم خفاجي.

ميلاد الحرية

قبلت في المولد النبوي الشريف يوم الحادي عشر من ربيع الأول ١٢٧٤ هـ
الموافق السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

ما جاء قبلك للتخليد إنسان
أو دَوَّنتْ صُحُفُ التَّارِيخِ مُعْجِزَةً
ألم تكن أنتَ في صحراء موحشة
ألم تكن أنتَ في دَهْمَاء قاسية
ألم تكن أنتَ محيي النَّاسِ مُكْرِمَهُمْ
ألم تكن أنتَ للدُّنْيَا مُعَلِّمَهَا
ألم تكن أنتَ لِلْأَسْرَى مُحرِّرَهُمْ
ألم تكن أنتَ لِلْإِنْسَانِ حُجَّتَهُ
يا أيُّها البطلُ الأُمِّيُّ عِشْ أَبَدًا
إِنَّ الزَّمانَ الَّذِي نَوَّرْتَ طَلْعَتَهُ
لَوْلا تَعَالِيْمُكَ اللَّاتِي قَدْ ازْدَهَرَتْ
والجَهْلُ أَخطَرُ مِنْ إغْصَارِ كارِثَةِ
ميلادِكَ الحرِّ ميلادِ يَفْوَحِ شَذْيِ
قالوا: أَتَبْظُمُ شِعْرًا فِي مَحَبَّتِهِ
وأيُّ شِعْرٍ لِمِثْلِي كَيْفَمَا عَظُمَتْ
مَنْ حَرَّرَ الْعَقْلَ حِينَ النَّاسُ أَكْثَرُهُمْ
مَنْ تارَ فِي النَّاسِ لا تَخْشَى عَقِيدَتَهُ
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ مَعْنَى السَّلَامِ فِي زَمَنِ
مَنْ لَقَّنَ الْحِكْمَةَ الشَّوْرَى بِسِيرَتِهِ

عنا له الظُّلْمُ وَالظُّلَامُ أَوْ دانوا
كمُعْجِزَاتِكَ فِيهَا الْعَقْلُ بُرْهَانُ
الوَاحَةِ السَّمْحَةِ الْمُتْلَى لِمَنْ عَانُوا؟
النَّجْمَ أَضْوَؤُهُ هَدْيٌ وَعِرْفَانُ؟
مِنْ بَعْدِ مَا أَغْرَقُوا فِي الْمَوْتِ أَوْ هَانُوا؟
حِينَ الْخُرَافَةُ أَدْيَانٌ وَسُلْطَانُ؟
وَالْأَسْرُ وَالرَّقُّ مِثْلَ الْمَوْتِ أَلْوَانُ؟
عَلَى الْفَنَاءِ إِذَا الْإِنْسَانُ إِنْسَانُ؟
ذِكْرَكَ عَطَّرَ وَأَضْوَءُ وَأَلْحَانُ
مِنْ نَوْرِهِ سَطَعَتْ لِلْخُلْدِ أَزْمَانُ
مَدَى الْعُصُورِ لَعَمَّ الْأَرْضَ طُوفَانُ
فَمَا سِوَاهُ لِرِزِّ النَّاسِ شَيْطَانُ!
كَمَا يَفْوَحُ بِشِعْرِ الْحُبِّ بُسْتَانُ
فالشَّعْرُ لِلصَّائِقِ الْإِحْسَاسِ مِيزَانُ؟
رُمُوزُهُ فِي الَّذِي نَجَّوَاهُ قُرْآنُ؟
دُونَ الْبَهَائِمِ وَالْأَدْيَانِ أَوْثَانُ
إِلَّا الْإِلَهَ، فَلَمْ يَرْدَعْهُ طُغْيَانُ
كَانَ الْأَعَزُّ بِهِ بَطْشٌ وَعُدْوَانُ
وَوَزَعُ الْحُبِّ، فَالْأَعْدَاءُ إِخْوَانُ

مَنْ رَامَ كُلَّ الْوَرَى أَنْصَارَ دَعْوَتِهِ
مَنْ رَاضٍ لِلنَّاسِ أَحْلَاماً لِعِزَّتِهِمْ
مَاذَا أَقُولُ وَشِعْرِي دُونَ مَا مَلَكَتْ
حَسْبِي قَلِيلِي، فَتَزْرِي فِي جَوَاهِرِهِ
فِي ظِلِّهِ كُلُّنَا أَبْنَاءُ مِلَّتِهِ
وَكُلُّنَا يَوْمَ هَذَا الْعِيدِ أُمَّتُهُ

عَلَى الْمَدَى، وَاصْطَفَاهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا
وَبَعْضُ الْهَامِ السَّامِي "السَّبْرْمَانُ"
نُهَاسٍ حِينَ جَمِيعُ الْكَوْنِ أَذَانُ؟
مِنْ وَحْيٍ مَنْ حُبُّهُ كَنْزٌ وَدِيْوَانُ
فَمَا تَنَاءَتْ، بَرَّغَمُ الْبُعْدِ، صُلْبَانُ
إِنَّ الْعُرُوبَةَ إِيْمَانٌ وَأَوْطَانُ

٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

توأمي

كَادَ الْخَرِيفُ يَمُوتُ مِثْلَ مَمَاتِي
إِنِّي أَخُوهُ بِمُهْجَتِي وَبِلَوْعَتِي
إِنْ أَرِثْتَهُ فَيَنْظُمُهُ وَيَنْثُرُهُ
لَمْ يَدْرُهُ مَنْ أَوْلَعُوا بِبَهَارِجِ
إِنْ عُدَّ نَسْلُ الصَّيْفِ لَمْ يَعْلُقْ بِهِ
عَرَفَ النَّسْكَ مِنْذُ يَوْمِ وَلَادَةٍ
وَاسْتَقْبَلَ الْإِعْصَارَ غَيْرَ مُرَوِّعٍ
تَخِذْ الْكِفَاحَ إِلَى النَّهَاسَةِ مَبْدَأُ
إِنْ كُنْتُ أَشْبَهُهُ فَتِلْكَ حَمِيَّتِي
عَلَّلْ عَلَى عَلَلٍ أَنْوَاءَ بُرْزِيْهَا
إِنْ كَانَ فِي دَمْعِ الْخَرِيفِ مَدَامِعِي

بَسَّاقِطِ الْأَوْرَاقِ وَالْآهَاتِ
رَفَرَاتُهُ تُشْتَقُّ مِنْ رَفَرَاتِي
أَوْ أَبْكِهِ فَلَقَدْ بَكَيْتُ حَيَاتِي
لِلصَّيْفِ يَمْرُحُ كَالْمَلِكِ الْعَاتِي
عَيْبُ الْإِيْحَاحِي الْحَقِيرِ الذَّاتِ
فَكَأَنَّهُ صَوْرٌ لِوَحْيِ صَلَاتِي
وَهُوَ الصَّرِيعُ الشَّيْخُ بَيْنَ جُنَاةٍ
وَأَبَى خُنُوعَ الْمَوْتِ عِنْدَ مَمَاتِ
رَغَمَ السَّقَامِ وَصُفْرَةَ الْأَمْوَاتِ
وَأَظْلُ أَسْخَرُ بِالشُّتَاءِ الْآتِي
أَوْ كَانَ فِي أَنَاتِهِ أَتَاتِي

فَوَرَّاهَا أَنْفٌ لِكُلِّ دَنِيَّةٍ
وَلَيْنُ نَأَتْ عَنْهُ الْحَرَارَةُ مَا نَأَى
وَالْمَوْتُ مِنْ صَوْرِ الْحَيَاةِ، وَلُغَزُّهُ
إِنْ تَنَأَى خَلَّى فَلَسْتُ بِرَاحِلٍ
هَشَّتْ لِي الْأَغْصَانُ وَهِيَ جَرِيمَةٌ
فَكَأَنَّمَا أَنَا مَنْ يُجَدِّدُ رَوْحَهَا
وَكَأَنَّمَا أَنَا مَنْ يَمُدُّ جُذُورَهَا
جَرْدَاءُ كَالْفَنِّ الْمَجْرَدِ^١، فَهَمُّهَا
إِلَّا عَلَى نِدٍّ يُبَادِلُهَا الْهَوَى
سَكَتَتْ أَهَازِيحُ الْجَنَادِبِ وَاكْتَفَتْ
وَانْتَحَلَتْ أَوْيَ لِلْقَفِيرِ هَنِيئَةً
لِلَّهِ، كَمْ خَلَقَ التَّجَاوُبُ صُحْبَةً

وَلَيْنُ هَطَلَنْ وَصِرْحَنْ مَجْنُونَاتٍ^١
دِفْءٌ تَحَجَّبَ فِي نُهَى الذَّرَاتِ
لُغَزُّ الْوُجُودِ وَآيَةُ الْآيَاتِ
مَا دُمْتَ تُحْيَا فِي نُهَى ذَاتِي
وَتَطَلَّعْتَ لَخُطَايَ فِي الْغَابَاتِ
مِنْ رَوْحِهِ بِالْعَطْفِ وَالْبَسَمَاتِ
بِشُعُورِهِ فَتَعَزَّزْتُ دُونَ حُمَاةٍ
قَدْ دَقَّ فِي كُنْهِهِ وَجُلَّ سِمَاتِ
فُلُغَاتِهَا مَوْصُولَةٌ بِلُغَاتِي
بِخُطَايَ فَوْقَ الْعُشْبِ مُسْتَمِيعَاتِ
حَتَّى كَأَنَّ الشَّهْدَ فِي نَظْرَاتِي
حَتَّى مَعَ الْأَشْجَارِ وَالْحَشَرَاتِ!
٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٤

استقبال واشنطن

الْحُبُّ وَالْحُسْنُ وَالْأَمَانُ
أَحْظَى الْيَوْمَ أَنْ أَرَاهَا
مَشَاهِدٌ قَدْ خَلَبْنَ لُبِّي
قَدْ أَبْدَعَتْهَا بِلا شَبِيهِ

أَعَزُّ مَا يَمْنَحُ الزَّمَانُ
تَعَوُّدُ أُمِّ فَاتِهَا الْأَوَانُ؟
كَأَنَّمَا بَيْنَهَا رِهَانُ
الْعَبَقَرِيَّاتِ لَا الْمَرَانُ

^١ أي المدامع والآثات.
^٢ الفن المجرد: Abstract art.

فَكُلُّ شَيْءٍ بِهَا طَرِيفٌ
وَالنَّاسُ أَدَابُهُمْ تَسَامَتْ
وَسَادَ أَصْنَفِي الْهُدُوءِ حَتَّى
أَتَيْتُهَا خَائِفًا حَزِينًا
وَبَقُسَقَتْ لِي الْغُصُونُ شِعْرًا
وَالْجَوُّ فِي رَفْقِهِ عَطُوفٌ
يُطِلُّ مِنْ نُصْبِهَا جَلَالٌ
وَكَمْ بِهَا مُتَحَفٌّ أَثِيرٌ
وَكَمْ بِهَا نِعْمَةٌ وَلَكِنْ
أَنْسَى تَلَفَّتُ لَمْ أَجِدْنِي
وَكُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ يَلْهُو
إِنْ يَحْرِقِ النَّاسُ نَثْرَ رَوْضٍ
فَدَبْلَهُ النَّارُ بَدَدْتَنِي

وَبَغَضُ آيَاتِهَا الْجِنَانُ
بِهَا، فَرَزِينُوا بِهَا وَزَانُوا
كَأْتَمَّا عَنْدَهَا يُصَانُ
فَهَشَّ لِي الْحُبُّ وَالْأَمَانُ
كَأْتَمَّا الدَّوْحُ مِهْرَجَانُ
كَأَهْلُهَا رَفَقُوا حَنَانُ
وَذَكَرِيَّاتُ لَهَا بَيَانُ
يَفُوحُ مِنْ مَجْدِهِ الدَّهَانُ
هَلْ يَجْذِبُ النُّعْمَةَ افْتِتَانُ؟
إِلَّا رُؤْيَ فَاتَتْهَا الْحِسَانُ
كَأْتَمَّا الْكُلُّ دُونَ جَوَانُ
فِي حَيْنِ أَوْرَاقِهِ جُمَانُ
وَمَا تَبَقَّى هُوَ الدُّخَانُ!

١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٥٤

رثاء الدكتور محمود عزمي

وقد توفي فجأة في نيويورك يوم الأربعاء ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤ حينما كان يدافع عن حقوق مصر في مجلس الأمن، وكان الفقيد صديقاً حميماً للشاعر منذ عهد التلمذة بالمدرسة التوفيقية بالقاهرة

وَمَنْ عَيْشُهُ ذَكَرِي وَمَنْ مَوْتُهُ ذَكَرِي
وَمَا عُمْرُنَا إِلَّا مَغَارِمُنَا تَثْرِي
أَنَا لَكَ مَجْدًا لَا يُبَاعُ وَلَا يُشْرَى؟

عَزَاءً بِهَذَا الْمَوْتِ يَا مَنْ فَدَى مِصْرًا
صَبِيقَ الصَّبَا! مَاذَا غَنَمْنَا مِنَ الصَّبَا
وَلَمْ يَبْقَ فِينَا مُنْصِيفًا غَيْرُ مَيْتَةٍ

سَقَطْتُ كَجُنْدِيَّ شَهِيدٍ، مَمَاتِهِ
وَمُتَّ عَزِيزاً فِي الدِّفَاعِ لِأُمَّةٍ
إِذَا سَقَطَ الْجُنْدِيُّ فِي سَاحَةِ الْوَعْيِ
كَأَنَّ مَمَاتاً دُقَّتْ أَبْلَغُ حَجَّةٍ
وَلَوْ أَنَّ نَاراً مِنْ بَيَانِكَ أَشْعَلَتْ
فِيَا مِدرَةَ الْأَخْرَارِ عُمْرَكَ كُلَّهُ
فَلَمْ تَدِرْ مَعْنَى الْجُبْنِ يَوْماً وَلَا الْهَوَى
وَلَمْ تَهْوِ لِلطَّاغُوتِ يَوْماً مُصَلِّياً
وَأَنْحَى عَلَيَّ الصَّاغِرُونَ فَرِدْتَنِي
وَبَجَّلْتَنِي حَتَّى كَأَنَّكَ تَابِعِي
سَجِيَّةُ نَفْسٍ حُرَّةٍ لَيْسَ تَمْتَرِي
وَمَهْمَا اخْتَلَفْنَا كُنْتَ تَرْفَعُ قُدْرَتِي
وَمَا كُنْتُ مَنْ بَالِي الْخَفَافِيشَ مَرَّةً
وَلَكِنَّمَا بَالَيْتَ بِالْحَقِّ وَحْدَهُ
وَأَشْغَلْتَ بِالْإِنْسَانِ فَرِداً وَأُمَّةً
وَأَشْغَلْتَ بِالْفِكْرِ النَّزِيهِ مُحَرَّراً
كَأَنَّ خَرَابَ الْكَوْنِ رَهْنٌ بِذَلِكَ
حَرَامٌ عَلَى عَيْنِي الدَّمُوعُ فَإِنَّهَا
حَرَامٌ عَلَى شِعْرِي رِثَاؤُكَ قَادِراً
حَرَامٌ عَلَى نَثْرِي الْبَيَانُ وَهَذِهِ
لَقَدْ كُنْتُ مَنْ شَخَّصْتُ دَاكَ أَوَّلاً
وَمَرَّتْ سُنُونٌ لَالْتِيَاعِي عَدِيدَةً

حَيَاةَ لَعْمَرِي حُرَّةً تُخْلِدُ الْفِكْرَا
أَنَابْتُكَ عَنْهَا فِي مُلِمَاتِهَا الْكُبْرَى
فَأَيُّ قَصِيدٍ بَعْدَ هَذَا بِهِ يُطْرَى؟
وَأَوْقَعُ فِي تَفْنِيدِ مُتَّهِمِ مِصْرَا
رُكَّاماً مِنَ الْإِسْفَافِ خُصَّ بِهِ الْأَسْرَى
خِطَابٌ مُدَوٌّ بِالْحَقِيقَةِ لَا يُغْرَى
وَلَمْ تَرْضَ يَوْماً فِي اتِّبَاعِهِمَا عُذْرَا
وَكُنْتُ لِي الْخِلَّ الْمُدَافِعَ وَالْبَرَا
وَلَاءٌ، وَقَدْ كَفَّرْتَ مَنْ خَصَّ بِي الْكُفْرَا
وَلَسْتُ الَّذِي صَالَتْ مَوَاهِبُهُ دَهْرَا
كَذَاكَ النَّبِيلُ الْحُرُّ مَنْ يُكْرِمُ الْحُرَّ
إِلَى قَدْرِكَ الْعَالِي فَتَخْلُقُ لِي قَدْرَا
وَلَا الصَّقْرُ مُجْتَاحاً وَلَا الْجَارِحُ النَّسْرَا
وَلَمْ تَخْشَ دُونَ الْحَقِّ فِي شِدَّةِ أَمْرَا
وَيَا لِحُجُودٍ مِنْكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَصْرَا
وَكُلُّ الَّذِي جَافَاهُ صَوْرَتُهُ نُكْرَا
يُصَابُ بِهَا الْعَقْلُ الَّذِي عَزَّ وَاسْتَنْرَى
شِفَاءً وَحُزْنِي قَدْ يَمُوتُ وَلَا يَبْرَا
فَإِنَّ الرِّثَاءَ الْفَخْمَ قَدْ يَلِدُ الصَّبْرَا
صَحَائِفُكَ الشَّمَاءُ آيَتُكَ الْآخِرَى
فَكُنْتُ كَأَنِّي لِاحِدٍ يَفْتَحُ الْقَبْرَا
وَفِي كُلِّ عَامٍ كُنْتُ أَسْتَبِقُ الْعُمْرَا

إلى أن أتى العام الذي ران نصره

ولكن حكم الموت قد صحب النصر!

٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

رثاء الزعيم الإيراني الحر الدكتور حسين فاطمي

وقد قُتل في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

رمياً بالرصاص مناداته بالحكم الجمهوري في إيران

نِعْمَ الرَّصَاصُ جَزَاءَ خَادِمِ شَعْبِهِ
أَحْسِنُ سَابِقُكَ الْحُسَيْنُ، مَمَاتُهُ
الْفَاطِمِيُّ غُذِيَتْ أَنْتَ بِنَيْلِهِ
مَا كَانَ خَطْبُ فَيْكَ إِلَّا خَطْبُهُ
قَتَلُوكَ رَمِيًّا بِالرَّصَاصِ، وَلَوْ دَرَوْا
يَا ابْنَ الشَّهِيدِ، أَوْ الْحَفِيدَ لِمَجْدِهِ
الشَّاهُ أَكْرَمُ مِنْهُ فِي نَفْعِ لَهَا
عَصْرُ الْمُلُوكِ مَضَى بِكُلِّ عُيُوبِهِ
هِيَ فِتْرَةٌ سَتَمُرُّ يُخْصِبُ مُصْلِحًا
فَتَنُورُ^١ كَالسَّيْلِ الْعَرْمَرَمِ صَاحِبًا
حَتَّى تُصَابَ بِهِ^٢ دِيَارُ جَمَّةٍ
فَيُطَهَّرُ^٣ الْأَرْضَ الَّتِي دَنَسَتْ بِهِ^٤

مَا دَامَ يَوْقِظُ مَنْ وَنَا عَنْ دَأْبِهِ
هُوَ قُدُوةُ الْأَبْطَالِ لَوْ شُغِلُوا بِهِ
وَالْأَلْمَعِيُّ شُغِفَتْ أَنْتَ بِحُبِّهِ
طَهْرَانُ سَاوَتْ كَرْبَلَا فِي كَرْبِهِ
نَثَرُوا عَلَيْكَ الْوَرْدَ نَثَرَ مُحِبِّهِ
طُوبَاكَ، هَذَا الشَّاهُ شَاهُ بَرُوعِهِ
وَهِيَ الصَّحِيَّةُ، وَهُوَ نَزْلَةُ شَعْبِهِ
فَعَلَامَ نُبْقِي مَنْ يَتِيهِ بِعَيْبِهِ؟
دَمُكَ الزَّكِيُّ^٥ قَرَى تَحْنُ لِحَصْنِهِ
مُتَمَرِّدًا لَا يَنْتَهِي لِمَصَابِهِ
يَتَبَخَّثَرُ الطَّاغُوتُ ثُمَّ بِخَبِّهِ
وَبِحَزْبِهِ وَيَنْهَبُهُ وَيَسْلُبُهُ

^١ أي القرى.

^٢ الزكي: الطاهر؛ (و.ف.).

^٣ أي السيل، كناية عن الثورة.

^٤ أي السيل، كناية عن الثورة.

^٥ أي دُنت بالطاغوت.

كَمْ فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مِنْ مُتَجَبِّرٍ
 مَا ضَاعَ عُمْرُكَ فِي تَجَارِبِهِ سُدًى
 هِيَهَاتَ! لَيْسَ الرَّأْيُ وَهْمًا فَانِيًا
 الرَّأْيُ أَخْلَدُ مِنْ خُلُودِ زَعِيمِهِ
 هِيَهَاتَ! مَا الْحَرِيَّةُ الشَّمَاءُ مَا
 يَمْضِي وَلَا يَمْضِي الشَّهِيدُ لِحُبِّهَا
 هِيَ أُمُّ هَذِي الْأَرْضِ فَاشْرَبْ نَحْبَهَا

ذَخَرْتُ لَهُ الْأَيَّامُ طَعْنَةَ قَلْبِهِ
 يَوْمَ الْفِدَاءِ وَلَا انْتَهَى مِنْ رَأْيِهِ
 حَتَّى وَلَوْ حَرَقُوا بِعَالَمِ كُتُبِهِ
 وَالرَّأْيُ أَعْظَمُ مِنْ عَظَائِمِ رَبِّهِ
 يُمَحَى وَإِنْ يَطْعُ الْغَشُومُ بِحَرْبِهِ
 بَلْ يُسْتَعَادُ لِقَتْلِهِ أَوْ صَلْبِهِ
 أَنَّى هَتَفْنَا لِلشَّهِيدِ وَنَحْبِهِ!

العمّ سام^١

بُشْرَاكَ! هَذَا الْعَمُّ عِي—
 أَنْظِرْ إِلَى عُثُونِهِ—
 قَدْ كَانَ فِي حَزْمِ الشُّيُوءِ
 مَنْ ذَا يُطَاوِلُهُ، وَه—
 الْيَوْمَ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مُلْكُ الْهَيْيَامِ
 فِي مَوْطِنٍ حُرٍّ بِهِ الْأَخْرَارُ خُدَامُ السَّلَامِ
 لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى سَمَا
 فِيهِ الْمَسَاوَاةُ الْعَمِيمِ—
 فُرْصُ التُّهُوُوسِ تَكَافَأَتْ

سَى صَارَ فِينَا الْعَمُّ سَامًا!
 فَلَقَدْ تَزَايَدَ وَاسْتَقَامَ
 فِي فَصَارٍ فِي زَهْوِ الْغُلَامِ
 الَّذِي النَّاطِحَاتُ لَهُ تُقَامُ؟
 الْيَوْمَ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مُلْكُ الْهَيْيَامِ
 فِي مَوْطِنٍ حُرٍّ بِهِ الْأَخْرَارُ خُدَامُ السَّلَامِ
 حَتَّى الَّتِي تُغْرِي اللَّئَامَ
 مَمَّةٌ مِلَّةٌ وَلَهُ زَمَامُ
 فِيهِ كَذَرَاتِ الْغَمَامِ

^١ أُثْنِيَتْ فِي مَسَاءِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ/دَيْسَمْبَرِ ١٩٥٤ فِي حَفْلَةِ تَكْرِيمِيَّةٍ بِمَطْعَمِ شَهْرزَادِ بَوَاشْنَطِنِ لِلصَّدِيقِ الْأَسْتَاذِ عَيْسَى خَلِيلِ صِبَاغٍ، بَعْدَ أَنْ صَارَ مَوَاطِنَا أَمِيرَكِيَا، وَقَدْ حَالَ مَرَضُ الشَّاعِرِ دُونَ اشْتِرَاكِهِ شَخْصِيًّا فِي الْحَفْلَةِ.

لا يَدْعُ إِنْ جَذَبَ النَّجْوُ
 وَالْيَوْمَ يَغْنَمُ فَضْلَ عِيَدِ
 كَمْ مَوْقِفٍ لِلْحَقِّ نَذْرُ
 كَمْ مِنْ نَصَائِحَ بَنَاهَا
 فَتَنُوا بَوَا أَنْخَابُهُ
 إِنَّ الْكُؤُوسَ مِنَ الْوَلَا
 الْيَوْمَ يَوْمُ الصَّفْوِ نَغْمُ
 مُتَضَاعِكِينَ، مُهَالِّينَ
 وَلَرَبِّمَا أَصْغَى النَّيَا
 أَنَا بَيْنَكُمْ مَهْمًا نَائِي
 شِعْرِي نَظِيرِي، بَلْ أَعَزُّ نُهَاسِي فِي شِعْرِي أَقَامُ
 فَتَقَبَّلُوهُ بِرَغَمِ عَجْزِ
 وَاسْتَأْذِنُوا مِنْ شَهْرَزَادِ الْحُبِّ قَبْلَ غِنَى الطَّعَامِ
 فَالْيَوْمَ عَيْسَى كَالرَّشِيدِ
 وَحَقُّهُ حَقُّ الْغَرَامِ!

أمير السلام^١

أَلَلَّهُ فِي الْحُبِّ أَلْحَانٌ وَأَصْوَاءُ
 حَيَّيتَ يَا سَلَمُ! هَذَا يَوْمُ سَيِّدِهِ
 وَاللَّهُ فِي السَّلَامِ أَزْهَارٌ وَأَنْدَاءُ
 فَلْتَحْجَلِ الْحَرْبُ، وَلْتَعْتَزْ وَرَقَاءُ!

^١ لمناسبة عيد الميلاد في سنة ١٩٥٤ غرست على جانبي "جادة السلام" في واشنطن العاصمة الأميركية أشجاراً مهداة من أقطار شتى، وتخلّف عددٌ من الأقطار الإسلامية، وأمّا الباكستان فوضعت في المكان المخصّص لها رمزاً جامع صغيراً، على اعتبار أنّ الجامع هو عنوان السلام في الإسلام.

وَلْيَفْرَحِ الْعَالَمُ الْمُنْكَوبُ عَنْ سَفَهٍ
 إِنِّي أَشُمُّ عُطُوراً لَا أُكَيِّفُهَا
 فَأَيْنَ مَبْعُثُهَا الرُّوحِيُّ يَشْمُلُنِي
 لَعَلَّ فِي الْجَامِعِ الْمَبْرُورِ تَذَكُّرَةٌ
 مِنْ وَضْعِ أَمْجَدٍ عَنْ بَرٍّ بِمِلَّتِهِ
 بِلَادَ إِقْبَالٍ لَا فَاتَتْكَ فِلَسْفَةٌ
 إِنَّ السَّلَامَ هُوَ الْإِسْلَامُ مِنْ قِدَمٍ
 وَلَيْسَ أَلْيَقَ رَمْزاً فِي رِسَالَتِهِ
 فِي جَادَةِ أَسْهَمَتْ فِي عُرْسِهَا أُمَمٌ
 مَا بِالْ مُصْرَ تَنَاسَتْ ثُمَّ مَغْرَسَهَا
 كَأَنَّمَا مَشَى نُورُ الْمَسِيحِ بِهَا
 كَأَنَّمَا مَا مَرِيَمُ الْعَذْرَاءُ مَا سَكَنْتُ
 وَأَيْنَ مَا وَهَبَ الْأُرْدُنُّ مِنْ شَجَرٍ
 وَأَيْنَ قُدْسِي أَرْضِيهِ الَّتِي سَطَعَتْ
 يَا لَيْتَنِي الْمَتَنَّبِيُّ الْآنَ، صَوْلَتُهُ
 حَتَّى أَعْلَمَ قَوْمِي فِي تَوَجُّسِهِمْ
 أَنَّ التَّسَامُحَ أَسْنَى مَا يُشَادُ بِهِ
 شَدَا السَّلَامُ وَأَنْفَاسُ الْمَسِيحِ بِهِ
 وَإِنْ تَكُنْ قَدْ تَنَاهَيْتُ فِي مَشَاعِرِنَا
 فَهَلَّالِي يَا بُرُوجاً طَالَمَا هَتَفْتُ

فَقَدْ تَعَالَتْ عَلَى الضَّوْضَاءِ أَشْدَاءُ
 لَكِنْ يُكَيِّفُهَا لِلنَّفْسِ إِحْيَاءُ
 فَلَيْسَ تُدْرِكُهُ عَيْنٌ وَإِصْفَاءُ؟
 فَهَا هُوَ الْجَامِعُ الْمَبْرُورُ وَضَاءُ
 كَذَاكَ يَصْطَحِبُ الْأَكْفَاءُ أَكْفَاءُ
 تُعْلِي السَّلَامَ، وَلَا نَالَتْكَ ضَرَاءُ
 كَمَا رَأَى الْأَلْبَاءُ الْأَجْلَاءُ
 مِنْ جَامِعٍ حَوْلَهُ الْإِيمَانُ أَضْوَاءُ
 وَبُورَكَتْ، فَإِذَا الظُّلُمَاءُ لَأَلَاءُ
 وَفِي ثَرَى مُصْرَ لِلجَنَّاتِ أَفْيَاءُ؟
 وَنُورُهُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ مَشَاءُ
 بِأَرْضِهَا وَكَأَنَّ الْأَرْضَ جَرْدَاءُ
 وَفِي بَسَاتِينِهِ الْأَدْوَا حُ غَنَاءُ؟
 أَمَالُهَا الْيَوْمَ فِي الْإِسْرَاءِ إِسْرَاءُ؟
 تَهَزُّ مَنْ أَدْنَاهُ لِلْحَقِّ صَمَاءُ
 أَنَّ الْعُرُوبَةَ كَالْإِسْلَامِ زَهْرَاءُ
 وَمَا عَدَاةُ فَلَاإِسْلَامٍ أَعْدَاءُ
 فَكُلُّ مَا رَفَّ أَنْغَامٌ وَأَصْدَاءُ
 مِنَ الْعَوَاطِفِ أَطْهَارٌ وَعَذْرَاءُ
 كَمَا هَتَفْتُ، وَنَاجَاهَا الْأَرْقَاءُ

¹ السيد أمجد علي، سفير الباكستان لدى الولايات المتحدة الأميركية.

² الفيلسوف محمد إقبال.

وَحَرَّرِينَا مِنَ الْأَحْزَانِ قَاهِرَةً كَمَا تَحَرَّرَ مِنْ أَسْدَادِهِ الْمَاءُ!

٢١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤

تعزية

إلى الأستاذ محمود أبو رية

قال الصديق وديع^١ في سوانحه^٢:
وراح يذكر من أثاره مثل
من رثق الأدب العالي بنفحته
لم يكفه الخطب في زوج وفي ولد
فيم التفجع والدنيا فواجعها
حل احتمالك ثاراً من نكايتها

"تَقَسَّوْا الْحَيَاةَ عَلَى الْأَخْيَارِ أَرْزَاءَ"
لِلْمُحْسِنِينَ، أَسَرَ الدَّهْرُ أَمَ سَاءَ
وَحَظُّهُ مِنْ عُقُوقِ الدَّهْرِ مَا شَاءَ
حَتَّى أَرَاهُ جُحُودَ النَّاسِ أَنْوَاءَ
لَا تَنْتَهِي، وَتُعِيدُ الْأَمْسَ أَصْدَاءَ؟
وَاسْخَرُ بِهَا حِينَمَا تُشْقِي الْأَلْبَاءَ!

جئنا إلى الكون في الذرات من قدم
وليس يعرف منا كنهه أحد
وإن عرفنا عرفنا بعض أخيلة
ليست نقاط حروف لا نكيفها
ولا الماسي التي غاضت مدامعنا
ساوى النشوء دماراً في مسارحه
وما شكوت التباعاً، بل مسائرة

ولم نفارقه أطيافاً وأضواء
وإن تغلغل في ماضيه مشاء
كأنما البحر ما نلقاه أنداء
قصيدة راودتنا اليوم عصماء
من نارها ستزيد الكون أشلاء
كما عرفت، وساوى البؤس نغماء
للفن، اجتاز أمواتاً وأحياء

^١ الأستاذ وديع فلسطين.

^٢ مقالاته الشهيرة "سوانح" التي تظهر بجريدة الإذار المنياوية بمصر. والإشارة هنا إلى مقالة الذي ظهر بعدد ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤.

فَسِرْ مَعِيَ يَا أَدِيباً عَيْشُهُ حَرَقَ
نَحِيّاً لَهَيْباً كَأَنَّا شَبَهُ إِلَهَةً

فِي مَهْمَةِ الْعُمَرِ مَغْمُورِينَ أَهْوَاءَ
وَنَغْتَدِي بَانْتِهَاءِ النَّارِ إِحْيَاءَ!

٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٥٥

تعزية الشاعر القروي في وفاة والدته

عَلِمَ الْإِبَاءُ وَأَحْكَمَ الشُّعْرَاءُ
أَطْلَعَتْهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْجُمًا
وَالْيَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ سِوَاكَ مَلَاذُهُمْ
مِنْكَ اسْتَمَدَّ الْعَارِفُونَ يَقِينَهُمْ
يَا مَنْ رَأَى مِثْلِي الْمَنِيَّةَ صَوْرَةً
وَلَوْ أَنَّ مَوْتَ الْأُمِّ أَفْدَحُ نَكْبَةً
أُمُّ الْعَرُوبَةِ كُلُّهَا مَحْزُونَةٌ
وَبَنَى لَهَا شُمَّ الْخَوَالِدِ شَعْرُهُ
فَدِيمَ الْبُكَاءِ وَفِي الْمَنِيَّةِ رَحْمَةٌ
أَتَى نَظَرْتُ تَرَى الْمَنَاحَةَ حَوْلَهَا الـ
وَلَسْتُ شَقِيتُ مِنَ الْجُحُودِ فَإِنِّي
فَتَلَقَّ بَطْشَ الدَّهْرِ غَيْرَ مُرَوِّعٍ
وَاجْرَعُ كَمَا جَرَعْتُ فِرطَ جُحُودِهِ
مَنْ كَانَ مِثْلَكَ فِي سَمَاءِ نُبُوغِهِ
وَيَرَى الْخُلُودَ الْمَعْنَوِيَّ كِفَاءَهُ

هَذَا عَزَاءُ الْوَامِقِينَ عَزَائِي
مِنْ وَحْيِكَ الْمَتَفَنِّ الْوَضَاءِ
مَهْمَا لَجَأْتَ لِلْوَعَةِ وَبُكَاءِ
فَلَدَيْكَ مَلَجَوْهُمْ وَخَيْرُ عَزَاءِ
لِلْعَيْشِ لَا تَجَزَعُ مِنَ الْأَرْزَاءِ^١
وَيُضِلُّ فِيهِ تَفَلُّسُ الْحُكَمَاءِ
لَأَسَاكَ يَا مَنْ خَصَّهَا بِوَفَاءِ
بِمَعَالِمِ الْإِرْشَادِ وَالْإِحْيَاءِ
حِينَ الظَّلَامُ مُفَوِّقٌ بِضِيَاءِ
أَعْرَاسُ وَالْأَحْبَابِ فِي الْأَعْدَاءِ
أَثَرْتُ أَنْ أَحْيَا مَعَ الشُّهَدَاءِ
فَالدَّهْرُ مَعْتَنِقٌ لِكُلِّ غِبَاءِ
وَاصْبِرْ فَحَسْبُكَ غَايَةُ الْعَلْيَاءِ
يَسْمُو عَلَى الْأَعْصَارِ وَالْأَنْوَاءِ
وَيُحَقِّقُ التَّخْلِيدَ فِي الْأَعْضَاءِ

٨ شباط/فبراير ١٩٥٥

^١ الارزاء: المصائب.

رثاء سليمان نجيب

الأديب الممثل والسينمائي الشهير، والمدير السابق للأوبرا المصرية

أخي سليمان هذي غُرْبَتِي بَلَغَتْ
قَدْ كُنْتُ أَشْجَى لِنَيْي عَنْكَ فِي أَسْفِي
مَا لِي سَبِيلٌ إِلَى لُقْيَا فَأَتَشُدُّهَا
إِلَّا عَلَى ذِكْرِيَاتِ حَيَّةٍ أَبَدًا
عِشْنَا سَوِيًّا أَلْفِي نِعْمَةٍ وَهَوَى
لَمْ يَبْلُغِ الطَّيْرُ مَا بَلَّغَهُ مِنْ مَرَحٍ
وَلَا ابْتِسَامُ شَوَاطِي النِّيلِ مَا بَلَغَتْ
وَلَا خَرِيرُ السَّوَاقِي فِي تَعَثُّرِهَا
وَلَا اخْتِصَامُ الْوَرَى وَالْحَرْبُ صَاحِبَةٌ
وَلَا الْأَمَانِيُّ لِلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
تِلْكَ السَّنُونُ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى عَجَلٍ
أَحْسُهَا وَأُنَاجِيهَا وَأَعْرِفُهَا
يَا خَادِمَ الْمَسْرَحِ الْعَالِي بِسِيرَتِهِ
قَدْ خُلِدَتْ فِي الْمَرَائِي، فَهِيَ نَابِضَةٌ
مَنْ عَاصِرُوكَ اسْتَقَلُّوا فِي مَشَاعِرِهِمْ
وَمَنْ يَجِيئُونَ حَيْثُ الضَّادُ مُكْرَمَةٌ

بِي غُرْبَتَيْنِ، وَزَادَ الْمَوْتُ إِقْصَائِي
يَا لَيْتَنِي دُمْتُ ذَاكَ الْأَسِيفَ النَّائِي
فَعَالَمُ الْغَيْبِ مَحْفُوفٌ بِظُلُمَاءٍ
مِنَ الطُّفُولَةِ لَمْ يَبْرَحْنَ تَلْقَائِي
نَحْسُو الشَّدَى بَيْنَ أَزْهَارٍ وَأَضْوَاءٍ
وَمِنْ طَلَاقَةِ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءٍ
عُيُونُنَا مِنْ صَفَاءٍ دُونَ أَقْدَاءٍ
تَعَثَّرِي ضَاحِكًا فِي الطَّيْنِ وَالْمَاءِ
مِثْلَ اخْتِصَامٍ لَنَا مِنْ غَيْرِ شَحْنَاءٍ
سَاوَتْ أَمَانِيْنَا أَوْ بَعْضَ إِحْصَائِي
ذَخِيرَةٌ لَمْ تَقُتْ لِحَظِي وَإِصْغَائِي
كَأَنَّمَا هِيَ مِنْ ذَاتِي وَأَعْضَائِي
هَٰذَا رِوَايَاتُكَ الْعَصْمَاءُ لِلرَّائِي
بَيْنَ الْوَرَى، وَالْمَرَائِي مِثْلُ أَحْيَاءٍ
عَنْ عَرْضِهَا، فَهِيَ لَنْ تُنْسَى لِئْسَاءٍ
سَيُكْرِمُونَكَ إِكْرَامَ الْأَلْبَاءِ

¹ الحرب الروسية اليابانية في مطلع القرن.

فَنُ كَفَنَكَ لَنُ يَفْنَى وَإِنْ بَعُدَتْ
لَمْ نَدْرِ أَيُّهُمَا أَوْلَى بِتُكْرِمَةٍ
أَمْ عِبْقَرِيَّةُ تَمَثِيلِ خُصِصْتَ بِهِ
يَا مُصْلِحاً كُلُّ مَا أَهْدَى لَنَا مَثَلٌ
تَخَذْتَ بَعْدَ أَبِيكَ^١ الشَّهْمَ سِيرَتَهُ
وَفِي التَّسَامِي بِمَنْ هَانُوا وَمَنْ قَبِعُوا
إِنَّا افْتَقَدْنَاكَ فِي وَقْتِ أَحَقُّ بِهِ
مَنْ كَانَ دُونَ شَبِيهِ فِي مَنَاقِبِهِ
وَيَمَزِجُ الْجِدَّ طَيِّ الْمَرْحَ تَحْسَبُهُ
نَمْ فِي ضَرِيحِكَ نَوْمَ الْأُنْسِ فِي سُرُرِ
وَاقْبَلْ دُمُوعِي رِثَائِي فَهُوَ مِنْ مُهَجٍ

بِهِ السُّنُونُ كُبْعِدِ لِلْأَحْبَاءِ
تَأْلِيْفُكَ الْحُرُّ فِي نَقْدِ وَإِيصَاءِ
حَتَّى تَعْدَدَ فِي أَلْوَانِ إِيحَاءِ
لِلْمُصْلِحِينَ وَدُسْتُورُ الْأَطِبَّاءِ
شِعَارَكَ الْحَيِّ فِي تَنْوِيرِ دَهْمَاءِ
فِي اللَّهْوِ حَتَّى غَدَوْا أَدْنَى الْأَذْلَاءِ
مَنْ كَانَ مِثْلَكَ يَحْمِي كُلَّ عَلِيَاءِ
حُلُوَ الْفُكَاهَةِ حَتَّى لِلْأَلْدَاءِ
يَلْهُو، وَفِيهِ أَفَانِينَ لِإِغْرَاءِ
مِنْ الضَّيَاءِ وَفِي أَلْوَانِ أَشْدَاءِ
شَتَّى، وَإِنْ كُنَّ أَزْهَارِي وَأُنْدَائِي

واشنطن، ١٣ شباط/فبراير ١٩٥٥

"أبطال" غَزَّة

نُظِمَتْ لِمُنَاسِبَةِ الْهُجُومِ الْإِسْرَائِيلِي الْغَادِرِ عَلَى غَزَّة

فِي مَسَاءِ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَبَاطِ/فَبْرَايِرِ ١٩٥٥

"أَبْطَال" غَزَّة^٢ بَعْدَ قَبِيَّة^٢ هَلَّلُوا
لَا تُنْكِرُوهَا مَا الَّذِي يَبْقَى إِذَا

إِنَّ الْمَخَازِي الْمَوْبِقَاتِ فَخَارُكُمْ
أَنْكَرْتُمُوهَا وَهِيَ بَعْدُ شِعَارُكُمْ؟

^١ الزعيم الوطني والأديب الشاعر مصطفى نجيب.

^٢ وجه الشاعر هذا الخطاب الساخر إلى الصهيونيين المعتدين.

^٣ للشاعر قصيدة لاذعة عن مذبة قبية.

ذَهَبَ السَّمَوَاتُ وَالْمَرْوَةُ وَالنَّدَى
وَعَقَقْتُمُو مُوسَى كَسَابِقِ عَهْدِكُمْ
عَارٌّ عَلَى وَطَنِي الشُّكَاةُ، وَحَقُّهُ
يَا غَاصِبِينَ تَمَرَّغُوا فِي رِجْسِهِمْ
أَنَا لَا أَلْمُكُمْ وَكَلَّومِي أُمَّتِي
رَفَصَ الْمَدَافِعَ وَالذَّخَائِرَ، فَانْتَبَرْتُ
وَبَنُو الْعُرُوبَةِ بَيْنَ لَهْوٍ صَارِخٍ
وَلَهُمْ مِنَ الدُّخَلَاءِ أَلْفُ مُهَرِّجٍ
رَعَمُوا الْعُرُوبَةَ دِينَهُمْ، وَاسْتَمَرُّوا
مِسْكِينَةً هَذِي الْعُرُوبَةُ! مَا دَرْتُ

وَعَبَدْتُمُو صِهْيُونَ وَهُوَ نُضَارُكُمْ^١
فَإِذَا الدُّنْيَا دِينُكُمْ وَعُقَارُكُمْ
تَأْدِيبُكُمْ إِذْ تُسْتَبَاحُ دِيَارُكُمْ
أَكْذَا يَتِيَهُ بِرِجْسِكُمْ "أَطْهَارُكُمْ"
بَلْ كُلُّ يَغْرُبَ حِينَ جُنَّ حِمَارُكُمْ^٢
نِيرَانُهَا، وَمَضَى بِهَا إِعْصَارُكُمْ
أَوْ جَعَجَعَاتِ كُلِّهَا أَنْصَارُكُمْ
يَتَنَافَسُونَ، وَيَبْنِيهِمْ أَصْنَارُكُمْ
طَعْنَ الْحُمَاةَ، لَكِي تُعَزَّ شِفَارُكُمْ
مَا عَارُهَا الْبَاقِي وَمَا هُوَ عَارُكُمْ!

حمدت ربي!

يَضْرِبُ الْفَرَنْسِيُّونَ الْمَثَلَ بِقِصَّةِ الْمَسِيحِ بَرَشُونَ عَلَوِ الْجُحُودِ الْمُتَنَاهِي،
وَيَذْكُرُ الْمُسْلِمُونَ الْحِكْمَةَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، "إِنِّ شَرٌّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ!"

حَمَدْتُ رَبِّي عَلَى ذَمِّي، فَكَثَّرَهُ
فَرَاخَ يَخْتَرِعُ الْأَوْهَامَ يَلْفَحُنِي
أَبَا الْعُقُوقِ رَوِيداً! لَمْ تَنْلُ وَطْراً
مَا شَكُّ يَوْماً بِإِيمَانِي وَلَا عَمَلِي
وَهَبْتُ عُمْرِي لِخَيْرِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مِمَّنْ وَهَبَتْ لَهُ حُبِّي وَإِثَارِي
بِهَا، وَيَحْسَبُ أَنِّي بَتُّ فِي النَّارِ
سِوَى اتِّسَامِكَ بِالتَّهْرِيجِ وَالْعَارِ
حُرٌّ نَبِيلٌ، فَعَيْشِي عَيْشُ أَحْرَارِ
فَصَارَ عُمْرِي الْمُرْجَى بَيْنَ أَعْمَارِ

^١ النضار: الذهب.

^٢ يقصد بن غوريون وزير الحربيّة الإسرائيلي المشغوف بالاعتداء على العرب، المتشبع بمبادئ الطغيان.

وما عَرَفْتُ الدَّنايا كَيْفَما اِتَّسَمَتْ
ولا وُصِفْتُ بِغَيْرِ العَقْلِ اَبْذُلُهُ
فكَيْفَ تُعْرِضُ عَنِّي ثُمَّ تَشْتُمُنِي
سُقْراطُ ما عابَهُ مَنْ راحَ يَشْتُمُهُ
وَمَنْ تَفَنَّنَ في تَجْرِيحِ نَمَتِهِ
حَتَّى تَوَلَّى شَهِيداً صارَ يَحْسُدُهُ
لَئِنْ تَذَوَّقْتُ سُمّاً أَنْتَ واضِيعُهُ
نَفْسِي تُحِيلُ الأَذَى نُعْمى وَيُخْطِئُها
إِنَّ الكَفِيلُ بِإِشْهارِ الَّذِي صَنَعَتْ
فذاك شَرُّ عِقابٍ لِلَّذِي حُقِرَتْ
ثُمَّ ادَّعى الطُّهْرَ في سِتْرِ لِعَوْرَتِهِ
لا عِشْتُ إِنْ كانَ نَبْرَاسِي سِوى أَلْبِي
أَذى المَعْلَمُ أَجِئاً لا مِفاخِرُها
هل جُنَّتِ الأَرْضُ حَتَّى صِرتَ تَحَرُّثُها
أَمْ هَلْ جُنِنْتُ بِإِحْسانِي بِلا سَبَبٍ
أُصارَ مِثْلُكَ حَقّاً مَنْ يُحاسِبُنِي؟
وَضَيْعَةُ الحَقِّ بَيْنَ العابِثِينَ بِهِ
تَحْيَا العُرُوبَةُ في قَوْلِي وفي عَمَلِي
ولا تَعِيشُ بِأَفْكارٍ ومُرْتَرِقٍ
لَمَسْتُ مِنْ حَشَرَاتِي كُلَّ مَرَحْمَةٍ

يا مَنْ عَرَفْتَ الدَّنايا بَيْنَ فُجَّارٍ
وَعُظْماً وفِلَسَفَةً في جَمِّ أَشْعارِي
يا أَيُّها الغِرُّ، يا مَبْبوذَ أَغْرارِ؟
وَمَنْ حَبَّاهُ بِتَلْفِيقٍ وأَوْضارِ
أو نَعَتِهِ بِسَخافاتٍ وأَضْرارِ
مَنْ رافَقَوهُ بِأَذْهارِ وأَذْهارِ
فيما طَهُوتُ، فهذا السُّمُّ أَزْهارِي
أَلْكَائِدُونَ ولو لاذوا بِأَسْوارِ
يَدَاكَ، يا صاغِراً يُغْنى بِإِصْغارِي
جُهودُهُ، وتَهادى بَيْنَ أَشْرارِ
بئسَ الطُّهارةُ في مَجْمُوعِ أَوْزارِ
ومُهْجَتِي وَضَمِيرِي النَّاصِغِ الواري
والرائدُ الحُرُّ في سَعْيِي وأَثاري
وَكُنْتُ مُلْقَى عَلَيْها بَيْنَ أَحْجارِ؟
حَتَّى لُدِغْتُ بِمَكَّارٍ وَغَدَّارِ؟
يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ في إِعْزازِ ثُرَثارِ!
كَأَنَّهُ زَهْرَةٌ في رَغْوَ تَيَّارِ
وفي مِثالِيَّتِي العُلْيَا لِأَبْرارِ
وعاجِزِ هَمُّهُ أَلْوانُ إِتْجارِ
وما أُنِسْتُ بِها مِنْ صاحِبِي الضَّارِي

١٥ آذار/مارس ١٩٥٥

نوار الكرز في واشنطن^١

تَمَهَّلُ أَمَامَ الْمَاءِ حِينَ ابْتِسَامُهُ
تَوَلَّى صَقِيعُ كَادَ يُوْدِي بِحُسْنِهِ
تَخَيَّلْتُهُ فِي الْحُلُمِ مَيْتاً مُجَرَّحاً
وَقَدْ نَفَضَ الْأَكْفَانَ بِيضاً تَبَعَّثَرَتْ
بَنَاتُ الْهَوَى وَالْفَنِّ تُشْرِقُ بِالْمُنَى
نَمَاهَا الْقَصِيُّ الشَّرْقُ ثُمَّ أَتَى بِهَا
فَرَفَّتْ حَنِيناً كَالْأَشِيعَةِ عِنْدَمَا
وَرَفَّتْ وَفَاءً لِلدِّيارِ الَّتِي احْتَفَّتْ
وَقَدْ أَشْعَلُوا الْمَصْبَاحَ^٢ رَمْزاً لِعِيدِهَا
لَيْنٌ سَكَنَتْ هَذِي الْبُحِيرَةَ لَمْ يَكُنْ
وَفِيهَا ضُرُوبٌ مِنْ عَوَاطِفَ لَمْ تَكُنْ
أَتَسْمَعُهَا؟ إِنِّي لَأَسْمَعُ شِعْرَهَا
أُبْصِرُهَا؟ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَعْضَهَا
وَقَدْ عَكِسَتْ فِي الْمَاءِ فَاهْتَاجَهُ الْغَنَى^٣
لَيْنٌ زَارَهَا الْعُشَّاقُ مِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ
وَأَمَّا الْعَصَافِيرُ اللَّوَاهِي بِقُرْبِهَا
تَلَاهَتْ تَلَاهِي النَّحْلِ غَنَّتْ لِطَلْعِهِ

عَلَى الْكَرَزِ الْبَسَامُ غَيْرُ مَرَائِي!
وَجَمَدٌ حَتَّى دَمَعَهُ كَرَجَائِي
فَفَاءً، وَلَكِنْ عَالِقاً بِدَمَاءِ
وَبُدْلَ مِنْهَا حَالِمَاتِ ضِيَاءِ
كَمَا تُشْرِقُ الْأَطْيَافُ لِلشُّعْرَاءِ
شُعُورُ إِخَاءٍ أَوْ شُعُورُ وِلَاءِ
تَحْنٌ إِلَى أَصْلِ لَهَا وَسَمَاءِ
بِهَا، وَأَعَزَّتْهَا عَلَى النَّظَرَاءِ
كَأَنَّ بِهِ لِلْعِيدِ كُنْزَ ضِيَاءِ
سُكُونٌ لَهَا إِلَّا سُكُونُ حَيَاءِ
لِتَسْكُنَ بَلْ جَاشَتْ بِغَيْرِ نِدَاءِ
أَغَانِي مِنْ حُبٍّ لَأَخْرَنَاءِ
مَرَائِي تَجْلُوهَا فُنُونُ مَرَائِي
فَكَانَ لَهَيْباً أَوْ مُذَابَ ذُكَاءِ
فَكَمْ عَاشِقٍ فِي غُرْبَةٍ بَعْنَائِي^٤
فَهُنَّ مَعَانِي رُفْقَةٍ وَإِخَاءِ
عَلَى زُمَرِ الْأَزْهَارِ دُونَ عَنَاءِ^٥

^١ تحنفي واشنطن العاصمة الأميركية في أواخر آذار/مارس من كل عام بتفتح أكمام شجر الكرز الياباني، وقد أوحى منظره الشائق هذه القصيدة إلى الشاعر.

^٢ المصباح الذي أوقده سفير اليابان بواشنطن إيذاناً بافتتاح هذا العيد.

^٣ البحيرة الاصطناعية في واشنطن التي غرست على حافتها بأشجار الكرز الياباني.

^٤ بعنائي: بأسري، ومنه العاني بمعنى الأسير.

^٥ عناء: مشقة.

فأخجلني أني المقصّر بينهما وأن غنائي ليس فيه غنائي!

٣٠ آذار/مارس ١٩٥٥

وحدتي

وحدتي فيلسوفة تمسح الدمع وتأبى عليّ حزناً سقيماً
عانقتني كأنما أنا طفلٌ وحبتني التّديل والتّكرّما
واحتوتني وهدّدت حزني البالغ حتّى استحال حزني نعيماً
أيّ حزنٍ هذا وما كنتُ بالهارب منه وقد أراه النّديماً؟
هو روعي الذي يثور على الظّلم ويأبى الخنوع والتّسليماً
هو قلبي الذي يرفرف كالطّير على الحبّ أسياً أو رحيماً
هو عقلي الذي تمثّل في الناس وأهدى لهم رجاءً مقيماً
هو فتني الذي تغلغل في الفنّ وأعطى الحياة سرّاً عظيماً
هو ديني الذي تسامى على الدّين كما جاوز العبير النّسيماً
هو كلّ الغنى وكلّ وجودي يا زماني فلن تراني العديماً

الذّكريات المدلّلة

تعالني إلى حضن الجَمالِ تعالي
وقد أزهرت فيها فنونُ خيالي
أطايبها من نشوة وجمالِ

أيّا ذكرياتِ الأمسِ ترقصن في الرّؤى
بسّطت لك الأرض المريّة جنةً
وأبدعتُ أفراحاً لها، ليس تنتهي

^١ المريّة: المتنعمة.

تَيْقَظُ فِيهَا الصَّيْفُ مِنْ بَعْدِ غَفْوَةٍ
وَعَنَّتْ بِهَا الْأَحْلَامُ حَتَّى تَمَثَّلَتْ
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ فِي وَهَجِ الضُّحَى
مِبَاهِجٌ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا غَيْرُ شَاعِرٍ
تَطُوفُ بِهَا كُلُّ الْأَحَاسِيْسِ مِثْلَمَا
وَمَا كُنْتُ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ مُبَالِيًا
فِيَا ذِكْرِيَا أَمْسِ عَوْدِي وَجَدُّدِي
فَإِنَّ عَصَا الْأَيَّامِ تُرْهِقُ كَاهِلِي

وَأُطْلِعَ فِيهَا الْحُبُّ كُلَّ مُجَالٍ
شُخُوصًا أَغَانِيهَا الْحَسَانُ حِيَالِي
أَتَيْنَ إِلَيْهَا فِي نَثِيرٍ لَأَلِي
وَغَيْرُ حَفِيٍّ بِالْحَيَاةِ مَوَالِي
يُطَوِّفُ حُجَّاجٌ حِيَالَ مِثَالٍ
بِهَا، فَلِمَاذَا فِي الْمَشِيبِ أُبَالِي؟
شَبَابِي بِسِحْرِ كَالشَّبَابِ مُغَالِي
بِتَأْدِيبِهَا إِيَّايَ قَبْلَ زَوَالِي!

النَّدُوبُ

يَا نُدُوبِي، تَصَبَّرِي يَا نُدُوبِي!
يَا بَنَاتِ الْجِرَاحِ، أَهْلُوكِ أَعْدَائِي
فِي فُؤَادِي عَبَثُنَّ، ثُمَّ بَنَظْنِي
تَرَكْتُكِ الْجِرَاحُ مِثْلِي ضَحَايَا
إِنَّ هَذَا اللَّظَى نُدُوبُ جِرَاحٍ
وَأَنَا وَالسَّمَاءُ شَخْصَانِ قَدْ بَا
قَدْ أُغْنِي، وَمَا غِنَائِي سِوَى دَمٍ
وَكَأَنِّي الْمَصْدُورُ أَنْفُثْتُ فِي شِعْرِ
وَجِرَاحُ الْأَجْسَامِ تُشْفَى، وَمَا تُشَدُّ

وَتَنَاسَيْ هُمُومَ أَمْسِي الْعَصِيبِ
وَقَدْ خَلَّفُوكِ رَغَمَ الْمَشِيبِ
قَدْ تَزَاحَمْنَ فِي غِمَارِ الْحُرُوبِ
كَاللَّظَى فِي السَّمَاءِ بَعْدَ الْمَغِيبِ
مَنْ حَبِيبٍ، فَالشَّمْسُ سِرُّ الْحَبِيبِ
تَا غَرِيمَيْنِ بَعْدَ طَعْنِ الْغُرُوبِ
عِي، وَحِينَا دَمِي سَرَى فِي نَسِيبِي
رِي حَيَاتِي بِكُلِّ لَحْنٍ خَضِيبِ
فِي جِرَاحٍ سَكَنَ طَيِّ الْقُلُوبِ

هاتي المش^١!

غَلَبَ الجوعُ فهاتي المش هاتي!
سادتي أولى به، مَذْ نَهَبُوا
لا تقولي الدودُ قد أَفْسَدَهُ
حَقُّهُ العيشُ كحَقِّي، مَا لَهُ
مَدَحُونِي مِثْلَمَا قَدْ لَعَنُوا
لَيْتَهُمْ قَدْ أَطْعَمُونِي أَوْ كَسَوْا
هذه الأمراضُ لَمْ تَتْرُكْ سِوَى
أُتْرَانِي فِي غَدٍ مُسْتَرْجِعاً
لَيْتَنِي حَتَّى تُدَوِّي صَرَخَتِي
أُسْرِعِي! فَالْوَقْتُ قَاسٍ صَارَ
أُسْرِعِي! لَا تَحْلُمِي وَاهِمَةً
رَبِّمَا تُثْمِرُ يَوْمًا حَنْظَلًا
كَمْ نَبَاتٍ دَيْسَ بِالْأَقْدَامِ لَمْ
وَمَضَى مُسْتَشْرِياً يَقْضِي عَلَى
هذه حَالِي وَذِي فَلَسَفَتِي
إِنْ يَكُنْ جَهْلِي وَفَقْرِي حُجَّةً

لا تقولي اللَّحْمُ - إِنْ أَصْبِرُ - سَيَاتِي!
كُلَّ حَقٍّ لِي وَعَاثُوا بِحَيَاتِي
إِنَّمَا الدَّودُ وَإِنْ يُحَقِّرْ لِدَاتِي^٢
أَيُّ ذَنْبٍ غَيْرُ ذَنْبِي أَوْ أَذَا
قَدْ تَسَاوَى الْمَدْحُ وَاللُّعْنُ لِدَاتِي
رِمَّتِي^٣ قَبْلَ ارْتِقَابِ لِمَمَاتِي
رَمَقِ دَاسَتُهُ أَقْدَامُ الْجُنَاةِ
قَوَّتِي أَوْ طَارِحاً عَنِّي أَنَاتِي
وَيُجَازِي كُلُّ مَا فُونٍ وَعَاتِ
إِنَّ وَقْتَ الْعَبْدِ مِنْ وَقْتِ الْعُتَاةِ!
وَاتْرَكِينِي فِي هُمُومِي يَا فَتَاتِي!
بَلْ سُمُوماً لِلشَّيَاطِينِ الطُّغَاةِ
يَقْبَلِ الدَّوْسَ حَقِيراً فِي النَّبَاتِ
شَامِخِ الْأَشْجَارِ فِذَاً فِي الْعُصَاةِ
وَكِفَاحِي بَيْنَ صَبْرٍ وَصَلَاةِ
لَا ضِطْهَادِي، فَأَمْرُ الثَّارِ أَت!

^١ وصف الشاعرُ في هذه القصيدة التي تمثل لونا من الأدب الواقعي، شعورَ الفلاح المضطهد في الأقطار المتخلفة بعد أن بلغ منه اليأس كل مبلغ. والمَشْ هو الجبن المعنق، وهو طعام الفقراء في مصر.

^٢ لِدَاتِي: أترابي.

^٣ رِمَّتِي: ما بلي من عظامي.

ياسلم

يا سَلْمُ خَيْرٌ أَنْ نَرَاكَ مُزْعَزَعاً
يا جاعِلَ النِّيرانِ جَنّاتِ لَنَا
لا تُلقِنَا يَأْساً، وَصَبْرًا، رَبِّمَا
إِنْ كُنْتَ نَرْجُوْنَا الْفِدَاءَ فَكُنْ لَنَا
يا نَفْحَةَ الْأَرْبابِ حِينَ تَجَاوَبُوا
إِنْ تَبَقَّ حَارِسُنَا رَفَعْتَ نُفُوسَنَا
وَلَيْنَ تَمَادَى الْأَشْقِيَاءُ بِغَبْنِنَا
إِنْ نَحْنُ ضِعْفًا ضِعْتَ أَنْتَ وَإِنْ تَصُنْ
وَيَجِيءُ يَوْمٌ لِلْحَيَاةِ مُقَدَّسٌ
لَوْلَاكَ كَانَتْ مِثْلَ أَشْبَاحِ الرَّدَى
فَأَجِبْ دُعَاءَ لِلْبَرِّيَّةِ شَامِلًا

مِنْ أَنْ نَرَى لِلْحَرْبِ سَوْقًا بَيْنَنَا
وَمُطَهَّرَ الْإِنْسَانِ حَتَّى أَمَنَا
عَلَّمْتَنَا وَصَلَّيْتَنَا فَخَلَقْتَنَا
بَعْضَ الْفِدَى، فَتَرَى السَّعَادَةَ وَالْغِنَى
وَالْفَنَّ فَابْتَدَعُوا سَنَّاكَ فَهَيَّمْنَا
وَالِى الْحَضِيضِ نَزْلُ إِمَّا فَتَّنَا
فَكُنِ الْمَلَاذَ وَلَا تُسَوِّغْ غَبْنَنَا
أَمَّا نَا صَانَتُكَ كَنْزًا يُقْتَنَى
فَتَكُونُ مَعْبُودَ الْحَيَاةِ الْمُعْلَنَا
بِجَهَنَّمَ، لَا مِثْلَ أَطْيَافِ الْمُنَى
مَنْ قَدْ أَسَاءَ لَنَا وَمَنْ قَدْ أَحْسَنَا

عيد الفصح

يحتفي المسيحيون الشرقيون في العشرين من نيسان/أبريل بذكرى صعود السيد المسيح عليه السلام، فيحتفون ويحتفي العالم معهم بتغلب الحياة على الموت، والأمل على اليأس، والخير على الشر، وباعتزاز القيم الروحية. فهذا عيد الرجاء المتجدد، وأية قيمة للبشرية وأية سعادة لها بغير هذا الرجاء المجدد الذي يوحي لها بالعمل والابتسام؟

ومن قديم اقترنت فرحة هذا العيد بين مظاهرها المتعددة الجميلة بأكل البيض الملون، إذ إن البيض عدّ تاريخياً رمزاً للبعث، كما أن نيسان عيد الفصح كانت رمزاً لانتصار الربيع على الشتاء. فلا غرو إذا رتل المنشدون وهم فرحون في حفلاتهم:

يَا أَمَلُ!	يَا أَمَلُ!
يَا هَوَى	مَنْ عَمِلُ
يَا حُلَى	لِلْبَطَلِ
يَا قَوَى	فِي الْجَلَلِ
يَا دَوَا	لِلْكَأَلِ
يَا لَظَى	لِلْكَسَلِ
يَا عَلَى	مَنْ وَصَلَ
يَا حَمَى	مَنْ فَشَلَ
يَا شَذَا	يَا قُبَلَ
يَا سَنَى	لِلْغَزَلِ
يَا نَدَى	مَنْ نَهَلَ
يَا فِدَى	كَمْ قَتَلَ
يَا جَنَى	كَالْعَسَلِ
يَا رَدَى	لِلشَّالِ
يَا هُدَى	لِلرُّسُلِ
إِنْ تَضِعْ	فَالْمَلُ
وَالْمُنَى	وَالْحَيَلُ
وَالسُّورَى	وَالسُّدُولُ
مَوْتُهَُا	مُحْتَمَلُ!

وَيَقْتَرَنُ عِيدُ الْفَصْحِ بِتَوُثُّبِ الرَّبِيعِ وَتَأَلَّقَ نَجُومُهُ وَفُوحَ عُبَيْرِهِ، وَقَدْ تَبَرَّجَتْ أَزْهَارُهُ تَبَرُّجَ الْبَيْضِ بِأَلْوَانِهِ الزَّاهِيَةِ، وَمَا الرَّبِيعُ إِلَّا الْأَمَلُ الْمُتَجَدِّدُ، إِنَّهُ مَعْنَى عِيدِ الْفَصْحِ بَعْدَ غَدْرِ الشِّتَاءِ بِأَعَاصِيرِهِ وَجَلِيدِهِ. وَفِي هَذَا الْعِيدِ الْمَجِيدِ تَكْثُرُ مَوَاقِبُ

البهجة وحفلات الموسيقى والتزاوُرُ بين الأسرِ، ويتبارى الأطفالُ خاصّةً في لبسِ
أحمل الأزياء البديعة الألوان، وكلُّها رموزٌ للتجدّد والفرحة والحيويّة وللأمل. يأتي
الفصح بعد أسبوع الآلام، فهو مكافأةٌ على الصبر والعذاب. وهو بُشرى للمؤمنين
الذين يحتملون التضحية ويثقون بالعدل الإلهي. هو داعٍ إلى الثبات على المبدأ
الحق ولو اجتاز صاحبه الموت لبلوغ هدفه الأسمى. وهذا الرمز الجليل حريٌّ بأن
يؤمن به الأفراد والأمم على السواء.

وكما يأتي الربيع بهدوئه العميق يأتي عيدُ الفصح وشعاره السلام والمحبة،
والإخاء، وتاجه الأمل. وتزدحم الكنائس بالمصلّين الخاشعين كما ازدحمت من قبلُ
سفوح الجبال في أميركا عند الفجر يغمرهم جميعاً في صلاتهم السلام والمحبة
والإخاء، ويتطلّعون في السماء إلى إشراق الأمل.

هيئة الأمر

مِنْ هُمُومِ الْإِنْسَانِ ثُمَّ أَمَانِيهِ تَأَلَّفَتْ^١ هَيْكَلًا لَا يَنَامُ
يَتَوَالِي الْإِشْعَاعُ مِنْهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْيَأْسِ وَاحْتِشَاءِ الظَّلَامِ
كُلَّمَا أُنْجِنَ الظَّلَامُ تَلَالِآتُ كَمَا شَعَّ فَرَقْدٌ مَسْتَهَامُ
أَنْتَ أُمُّ الْجَمِيعِ لَوْ يَعْقِلُ النَّاسُ وَلَوْ يُدْرِكُونَ وَيَلُ الْخِصَامُ
لَأَتَمَّ بَعْدَ لَائِمٍ لَكَ مِنْهُمْ وَعَلَى الرَّغْمِ تَنْشِيرِينَ الْوَيْثَامُ
كَمْ أَيْدٍ^٢ بَذَلَتْهَا هِيَ قَدْ ضَاعَتْ ضِيَاعَ الْإِحْسَانِ بَيْنَ اللَّئَامِ
إِنْ تُبَالِي بِهِمْ وَإِنْ تَنْهَرِيهِمْ فَهُوَ بِرُّ بِهِمْ لَأَمْ تُلَامُ
كُلُّ مَا أَسْلَفُوا ذُنُوبًا تَنَاسَوْهَا وَحُمِلَتْهَا كَارِثُ مَقَامِ

^١ بمعنى أنشأت؛ (و.ف.).

^٢ اليد: المعروف؛ (و.ف.).

عَيْدِي وَاَنْصِرِي الْحَقِيقَةَ لَا تَخْشِي سِوَاهَا وَلَوْ يُسَبِّلُ الْحُسَامُ
عَيْدِي فَالْأَنَامُ مَوْئِلُهُمْ أَنْتَ وَإِنْ لَجَّ جُلَّهُم بِالْخَصَامِ
عَيْدِي فَالشُّعُوبُ نَحْوُكَ مَا زَالَتْ شُخُوصاً نَوَاشِدَ الْإِلَهَامِ
عَيْدِي لِلْأَنَامِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، كَيْفَمَا كُنْتَ، لَا لِعَامٍ وَعَامٍ
عَيْدِي فَالنَّجَاحُ وَالْفَشَلُ الْعَارِضُ سَيَّانٍ إِنْ خَلَقْتَ السَّلَامَ

الاستقلال الأعرج أو الاستعمار المقنع

إلى أحرار تونس

مقدمة إلى الصديق الأديب الحر الأستاذ أبو القاسم محمد كرو

لا أَرْضِيهِ لَكُمْ وَلَا أَرْضَاكُمْ هُوَ خُطْوَةٌ عَرَجَاءُ مَهْمَا حَبَّذَتْ إِنَّ الْقِيُودَ وَإِنْ تُفَكُّ ثَقِيلَةٌ وَدَعُوا الرِّصَاصَ يَنَامُ عَاماً وَاحِداً بَعْضُ السُّكُونِ هُوَ التَّاهُّبُ لِلْوَعَى لَا تَحَسَّبُوا الضَّلِيلَ أَصْبَحَ هَادِياً لَكِنَّهُ احْتَرَفَ الدَّعَارَةَ فَاغْتَدَى لَا غَنَمَ لِلْأَوْطَانِ حِينَ عِدَائِكُمْ أَهْلُ الْحَضَارَةِ مِنْ قَدِيمٍ أَنْتُمْ أَيُّقَالُ إِنَّكُمْ مُحِطٌ حِمَايِهِ حَاشَا وَرَبِّي، أَنْكُمْ سَادَاتُهُمْ لَا بَدَّ فِي الْغَدِ مِنْ قِيَامِ جُمُوعِكُمْ	فَحْيَاةُ الْإِسْتِقْلَالِ مَا أَحْيَاكُمْ فَدَعُوا الْمُحَبِّدَ أَنْ يَكُونَ سِوَاكُمْ فَلتَطْرَحُوهَا طَرَحَ مَنْ عَادَاكُمْ حَتَّى يُجْلِجَلَ بَعْدَ ذَلِكَ نِدَاكُمْ فَتَنْظُرُوهَا فَهِيَ سَوْفَ تَرَاكُمْ لَوْ يَسْتَطِيعُ لِهَدِّكُمْ وَرَثَاكُمْ مَنْ تُبْصِرُونَ كَأَنَّمَا أَغْنَاكُمْ سَادَاتُكُمْ، وَإِذَا الْفُتَاتُ غِذَاكُمْ فَمَنْ الدَّعَى لِيَسْتَبِيحَ عِلَاكُمْ؟ لِهَوَانِكُمْ؟ فَمَنْ الَّذِي أَدْنَاكُمْ؟! لَوْ يُنْصِفُونَ رِجَالَكُمْ وَنِسَاكُمْ لِحَسَابِهِمْ إِنْ يَوْمَكُمْ أَنْسَاكُمْ
---	--

سَرَقَ الْغَشُومُ بِلَادَكُمْ وَإِذَا بِهِ
أَوْ أَنْتَمُو مَنْ يَسْتَنِيمُ لَكَرِهِ

صَارَ الْوَصِيُّ عَلَيْكُمْ لِأَذَاكُمْو!
حَاشَا، وَبَيْنَ جُمُوعِكُمْ شُهَدَاكُمْو!

عيد السائح

تهنئة لجريدة السائح النيويوركية لصاحبها عبد المسيح حداد (١٨٩٠-١٩٦٢)

يا شعر! مَنْ تَرْجُو وَتَحْسَبُ أَنَّهُ
وُلِدَتْ أَزَاهِيرُ الرَّبِيعِ بِعِيدِهِ
وَمَشَى الْجَمَالُ مَوَاكِباً بِحُقُولِهِ
جَاءَتْ عُقُودُ سِنِينِهِ بِثَرَاثِهَا
أَنْسِيَّتُهُ يَا شِعْرُ؟ حَاشَا أَنْ تُرَى
ضَحَى وَضَحَى بِاسْمَاً أَوْ صَابِراً
هِيَهَاتَ تَنْسَى! كَيْفَ تَنْسَى مُبْدِعاً
مَنْ سَاخَ فِي دُنْيَا الْفُنُونِ وَلَمْ يَزَلْ
مَنْ أَبْدَعَ الْقِصَصَ الْعَجِيبَةَ مِثْلَمَا
مَنْ سَلَسَلَ الْإِنْشَاءَ سِمْفُونِيَّةً
مَنْ أَرْجَعَ التَّارِيخَ بَيْنَ دُرُوسِهِ
مَنْ عَلَّمَ الْأَدَابَ إِنْسَانِيَّةً
مَنْ لَقَّنَ الْإِيثَارَ دِيناً لِلْوَرَى
مَنْ فَلَاسَفَ الشَّعْرَ الَّذِي غَنَى بِهِ

أَوَّلَى بِحَبِّكَ أَوْ بِعِيدِ بَاهِرٍ؟
فَتَضَمَّخْتُ مِنْهُ بِنَفْحِ عَاطِرِ
عُلُويَّةٍ مِثْلَ الْمَسِيحِ الطَّاهِرِ
لِلْعَارِفِينَ بِهِ عُقُودَ جَوَاهِرِ
فِي الْجَاحِدِينَ لِمَاهِدِ وَلِمَاهِرِ
حَتَّى مَشَى لِلصُّلْبِ أَكْرَمَ صَابِرِ
نَجْوَاهُ كَالْإِيمَانِ مِلَّةً خَوَاطِرِ
السَّائِحِ الْقَهَّارِ غَيْرَ مُفَاخِرِ
خُلِقْتُ بِإِبْدَاعِ الْإِلَهِ الْقَادِرِ
أَخَاذَةً وَمَلَا حِمَاً لِلْسَّاحِرِ
عَبْرًا، وَأَوْقَفَهُ مَكَانَ الْحَاضِرِ
شَعَّتْ بِإِشْرَاقِ الصَّبَاحِ لثَائِرِ
كَأَخِيهِ^١ وَاسْتَبَقَا اسْتَبَاقَ الْغَافِرِ
فَشَدَّتْ جِدَاوُلُهُ كَبَحْرِ زَاخِرِ

^١ فقيد الشعر ندرة حداد.

مَنْ ظَلَّ يُحْسَبُ جِدُّهُ وَمُزَاحُهُ
عَبْدَ الْمَسِيحِ الْعَبْقَرِيِّ وَحَسْبُهُ
أَنَا التَّفَقُّنَا حَوْلَ أَمْجَادِهِ
أَوْ كَالْتَفَافِ النَّحْلِ لِمَا أُوْلِعَتْ

جِئْنَا نُعَيِّدُ شَاكِرِينَ، وَرُبَّمَا
وَالشَّمْسُ قَدْ يَشْكُو نُفُودَ شُعَاعِهَا
الْأَيَّاعُونَ وَنِيْفٌ مِنْ عُمْرِهِ
تُوحِي الْجَدِيدَ لَنَا وَقَبْلًا طَالَمَا
مَنْ فَاتَهُ إِبْدَاعُهَا قَدْ فَاتَهُ
أَرِثِي لَهُ أَضْعَافَ مَا يَرِثِي لَنَا
فَالْحَقُّ لَا تُخْفِيهِ ضِلَّةٌ سَاخِرٍ

كَالْآيَتَيْنِ لِمُؤْمِنٍ وَلِكَافِرٍ
فِي الْعَبْقَرِيَّةِ خُلِقُ شَهْمٍ نَادِرٍ
مِثْلَ التَّفَافِ السَّفَنِ حَوْلَ مَنَائِرٍ
بِالشَّهْدِ حَوْلَ مَعَاسِلٍ لِأَزَاهِرٍ

يَذْرِي جِلَالَ الْعِيدِ غَيْرُ الشَّاكِرِ
عَانٍ وَيُصَغِّرُهَا حَلِيفُ صَغَائِرِ
مِثْلَتْ بِهِذَا الْعِيدِ مِثْلَ بَشَائِرِ
أَوْحَتْ، وَلَمْ تَبْخَرْ كَفْلُكَ دَائِرِ
إِشْعَاعُهَا النَّفَادُ خَلْفَ سَتَائِرِ
وَلَيْنَ تَمَادَى فِي رُقَاعَةٍ سَاخِرِ
كَالَلِهِ لَا تَنْفِيهِ غَضَبَةٌ فَاجِرِ!

في حديقة البلور بواشنطن

وَقَنَّا لَدَى الشَّلَالِ وَقْفَةً عَابِرَ
تُغَارِزُهُ الشَّمْسُ الْحَيَّةُ مِثْلَمَا
وَهَذِي نُجُومٌ أَطْلَعَتْ دُونَ لَيْلِهَا
وَمِنْ حَوْلِهَا الْأَدْغَالُ، لَكِنْ تَهْدَبَتْ
يُغْنِي خَرِيرُ الْمَاءِ عَذْبًا كَأَنَّمَا
وَهَذِي الظَّلَالُ النَّاعِسَاتُ تَتَأَعَبَتْ

فَفِيهِ لَنَا نُورٌ وَفِيهِ ضِرَامُ
تُغَارِزُهُ الْأَشْجَارُ حِينَ تَنَامُ
وَالْوَانِهَا فَوْقَ الْغُصُونِ مُدَامُ
فَلَا رَيْبَةَ لِلنَّاطِرِينَ تُشَامُ
شَدَتْ خَلْفَهُ حُيُورٌ وَرَفَّ سَلَامُ
وَأَسْكَرَهَا لِلْحَالِمِينَ غَرَامُ

نَسِيتُ مُرُورَ الْوَقْتِ أَوْ قَوْلَ صَاحِبِي
هُنَا مَظْهَرُ الْجَنَاحَاتِ بَلْ ذَاكَ كُنْهَهَا^١
تَطَلَّعْتُ مَفْتُونًا وَحَوْلِي أُمَّةٌ
مَشَاهِدُ شَيْءٍ مِنْ أَرْضِ قَصِيَّةٍ^٢
وَيَسْتَمَكُّهَا رِفَّةٌ^٣، وَأَحْسَبُ أَنَّهَا
تَلَخَّتْ وَإِنْ تُسَبِّحُ إِلَى كُلِّ مَوْطِنٍ
فَكَيْفَ بَنَوْا الْإِنْسَانَ، وَهُوَ مُتَوَجِّجٌ

فَمَا هُوَ وَقْتُ يَنْقُضِي وَكَلَامُ؟
وَعَمَّا عَدَاهَا فِي الْحَيَاةِ يُصَامُ
مِنْ النَّبْتِ، بَلْ دُنْيَا كَذَاكَ تُقَامُ
يُجَمِّعُهَا لِلْعَارِفِينَ نِظَامُ
بِالْفَتْحِهَا تَغْنِي غَنًى وَتُورَامُ
وَبَاعِدَهَا هَمٌّ وَبِانٍ خِصَامُ
كَأَنَّ ضِيَاءَ الْعَقْلِ فِيهِ ظَلَامُ؟!

عند الفسقية

قَالُوا طُيُورٌ تُغَالِي فِي مَحَبَّتِهَا!
مَرِحُنْ حَوْلِي كَالْأَطْفَالِ فِي لَعِبٍ^٤
وَالْبَسَتْ رِيَشَهَا الْأَلْوَانِ أَوْسَمَةً
يُبَعِّثُ الْمَاءَ نُرًّا فِي تَنَافُسِهَا
وَيَغْضَبُ الْمَاءَ حِينًا فِي تَبَجُّحِهَا
وَكَمْ تَعَالَتْ لَنَا أَصَوَاتُهَا هَرْجًا
كَأَنَّمَا صَوْرُ التَّمَثِيلِ مَعْرِضُهَا

فَقُلْتُ! مَا كُنَّ إِلَّا بَعْضُ أَبْنَائِي!
حَتَّى تَحَارِبُنْ فِي فَسْقِيَّةِ الْمَاءِ
كَأَنَّمَا تَتَحَدَّى مَجْدَ أَضْوَاءِ
كَأَنَّمَا كَرِنَفَالُ الْفَنِّ لِلرَّائِي
فَيُسْتَتَارُ كَمَوْجٍ فَوْقَ أُنُوءِ
فَأُضْحِكُنَا وَشَاقَتُنَا بِإِيْمَاءِ
مَا بَيْنَ وَتَسْبِيٍّ وَتَرْتِيلٍ وَأَزِيَاءِ

^١ الكنه: جوهر الشيء؛ (و.ف.).

^٢ قصية: بعيدة؛ (و.ف.).

^٣ إشارة إلى التدفئة الصناعية للحديقة.

^٤ تأثر الشاعر في مطلع هذه القصيدة بقول والدته أمينة نجيب في وصف عصفور:

إمـرـخ صـغـير الطـيـور إمـرـخ هـنـا! لا تُبـال
إِنـا نـعـدُّكَ مـنـا وولـجـد الأطفـال!

أنظر: محمد محمود، الشعر النسائي العصري وشهيرات نجومه، ص ٢٢١.

وأشربُ الشَّايَ عن قُرْبِ أَرَاقِبِهَا
تَرَكْتُ دِيوَانَ شِعْرِ كُنْتُ أَقْرُوهُ
كَمْ شَاعِرٍ بَيْنَهَا فِي قَوْلِهِ عَجَبٌ
لَا تَسْخَرُوا مِنْ وِدَادِي حِينَ أَرْمُقُهَا
لِكُلِّ طَيْرٍ مَعَانٍ وَهِيَ كَافِيَةٌ
أَسْكَنْتُهَا فِي عُيُونِي وَهِيَ شَارِدَةٌ
وَحَوِّمَتْ حَوْلَ سَمْعِي حِينَمَا صَمَمْتُ
فَهَلْ أُغَالِي إِذَا أَخْلَصْتُهَا مِقَّتِي؟

مُنْعَمًا، وَكَأَنَّ الشَّايَ صَهْبَائِي
لَمَّا تَسَامَتَ بِالْحَانَ وَأَصْنَدَاءِ
لِلْمُلْهَمِينَ فَمَا يَكْفِيهِ إِصْغَائِي
وَحِينَ أَعَشَقُهَا مِنْ دُونَ أَسْمَاءِ
لَتَسْتَقِلَّ بِأَشْعَارِي وَأَهْوَائِي
كَالزَّهْرِ تَسْكُنُهُ ذَرَاتُ أُنْدَاءِ
كَأَنَّمَا الصَّمْتُ مَقْرُونٌ بِإِفْشَاءِ
وَهَلْ تُغَالِي بِتَجْدِيدِي وَإِحْيَائِي؟

الصَّيْفُ الشَّرِيدُ

الصَّيْفُ؟ أَيْنَ هُوَ الْحَبِيبُ؟ فَمَا أَرَى
الْجَوَّ تَخْنُقُهُ الدُّمُوعُ لَوْحْشَةٍ
مَنْ صَدَّه عَنَّا وَنَحْنُ رَعِيَّةٌ؟
أَيَجِيءُ مَوْعِدُهُ بِسُخْرِ جَائِرٍ
لِمَنْ الْأَزَاهِيرُ الْحَسَانُ تَبَرَّجَتْ
وَلِمَنْ تَعَطَّرَتْ الطُّيُوفُ وَهُوِّمَتْ
أَمْشَرْدٌ عَنَّا وَتِلْكَ رُبُوعُهُ؟
نَهْفُو إِلَى الدَّفْعِ الْجَمِيلِ فَلَا نَرَى،
وَكَأَنَّمَا هَذِي الْمَنَاطِرُ كُلُّهَا

وَهَجَا يَنْمُ عَلَيْهِ أَوْ أَحْلَامَا؟
وَالشَّمْسُ أَرْهَقَهَا الْعَمَامُ خَصَامَا!
وَلِمَ اسْتَبَدَّ بِنَا وَكَانَ إِمَامَا؟
وَيَكُونُ مَوْلِدُهُ الْأَغْرُ ظَلَامَا؟
وَالنَّحْلُ وَالْحَشَرَاتُ إِذْ تَتَسَامَى
وَتَجَاوَيْتُ بِنَفُوسِنَا أَنْغَامَا؟
فَعَلَامَ بَشَّرْنَا الرُّبُوعَ عِلَامَا؟
إِلَّا الشُّتَاءَ السَّاحِرَ اللَّوَامَا
وَهُمْ وَتَمَثِيلُ طَغَى وَتَرَامَى!

إِسْفِنْدَانْتِي^١ الحمراء

مَدَّ الخَرِيفُ رَوَاقاً مِنْ مَبَاهِجِهِ
وهذه غادتي الحمراء راقصة
أَوْ أَنَّ أَوْرَاقَهَا لَاحَتْ تُرَاوِدُنِي
نَئِهَا مَا دَرْتُ مَا اشْتَدَّ مِنْ مَحْي
شَقِيقَةِ الزَّهْرِ فِي أَصْبَاغِ فَرْحَتِهِ
بُنِّي مِنَ الْفَرْحَةِ الْأَلْوَانِ زَاهِيَةً
وَلَا تُبَالِي عُزُوفِي، فَهُوَ عَنْ مِقَّةٍ
وَكَانَ أَوْلَى بِمِثْلِي فِي تَفْجُّعِهِ
أَنَا الَّذِي عَلَّمَ الْمَكْلُومَ بِهِجَّتَهُ
رَفِي إِذْنٍ فِي نُضَارٍ رَائِعٍ بِهِجٍ
بَلْ مِنْ مَعَانٍ تَخِيلُنَا نَفَائِسَهَا
كَأَنَّهَا بَعْضُ أَحْلَامٍ مَجْنَحَةٍ
كَأَنَّهَا حُلُوهُ الْهَامِ يُدَاعِبُنَا
إِلَّا التَّفَاوُلُ يَبْدُو مِنْ مَخَائِلِهَا
وَلَا تَعْيِي الَّذِي مَا حُدَّ مِنْ نَظْرِي
فَإِنَّ فِيكَ مِنَ الصَّوْفِيِّ فِلْسَفَةً
وَقَدْ قَتَلْتَ سُلُوكِي عَنْكَ سَاحِرَةً

وَبَيْنَهَا نَثَرُ أَطْيَافٍ وَأَلْوَانٍ
كَأَنَّهَا وَحْدَهَا خُصَّتْ بِبُسْتَانِي
بَحْمَرَةِ الشَّمْسِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ الْقَانِي
أَوْ - إِنْ لَرْتُ - لَمْ تُشَاطِرْ بَعْضَ أَحْزَانِي
أَحْسَنْتُ، حَتَّى وَإِنْ أَحْسَسْتُ نِسْيَانِي
لِفَتْنَةِ الطَّيْرِ وَالْإِنْسَانِ فِي أَنْ
كَأَنَّمَا أَنَا أَخْشَى بَثَّ أَشْجَانِي
صَبَرْتُ عَلَى الضَّيْقِ مَهْمَا الضَّيْقُ أَذَانِي
فَصَارَعَ الْهَمَّ جِيَّاشاً بِأَلْحَانِي
وَحُمْرَةً مِنْ يَوَاقِيْتِ وَمَرْجَانٍ
وَمَا عَرَفْنَا لَهَا كُنْهًا بِوُجْدَانٍ
تَمَثَّلَتْ فَوْقَ أَوْرَاقٍ وَأَغْصَانٍ
لَكِنَّهُ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْإِنْسَانِ
وَإِنْ سَمَا فَوْقَ تَكْيِيفِي وَحُسْنِبَانِي
إِلَيْكَ مِثْلَ غَرِيبٍ جَائِعٍ عَانٍ
وَفِيَّ مَنْ عَابِدٍ مَا بَرَّ إِيْمَانِي
فَلَا تَلُومِي إِذْنُ قُرْبِي وَتَحْنَانِي!

١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤

^١ إسْفِنْدَانَة (Maple) من أجمل الأشجار الأميركية ومن أعظمها منافع. وقبل انتهاء الخريف تتخذ أوراقها لونا أحمر للناظرين وفتة للشاعرين. ولعل هذه القصيدة هي أولى ما نظم في موضوعها بالعربية.

الحقيقة الموزعة

أنا مَنْ يُفْتَشُّ عن مَحاسِنِ ناقدِي
حُبُّ الجَمالِ أراه فوقَ خُصومةِ
وأرى الحَقِيقَةَ لا تُحَدُّ فما لنا
لِمَ لا نُفْتَشُّ في شُعورِ مُخلِصٍ
ليستْ أنا نِيَّةُ الحَيَاةِ جَمِيلَةً
وَإِذا تَأَمَّلْتَ الخِلافَ وَجَدْتَهُ

فأذيعُها كَمَاسِـنِ إجناني
وأرى الجَمالَ موزَّعَ الإحسانِ!
نَهَوِ التَّعَصُّبَ في غُرورِ جانٍ؟
للحقِّ دونَ تَحَزُّبٍ وهوانٍ؟
كَلّا ولا عَجَزَ الضَّيرِ الواني
يَحوي بُذورَ الحقِّ للإنسانِ

فهرس

	صورة عن قرب (أو المقدمة بقلم وديع فلسطين)
٥.....	للأديب الشاعر الدكتور أحمد زكي أبي شادي
٣٣.....	أنداء الضجر الديوان الأول للشاعر
٣٤.....	إهداء الديوان
٣٥.....	أنداء الضجر
٣٥.....	الحب والأمل
٣٧.....	حياتان
٣٧.....	حظ الناقمين
٣٧.....	التبرم
٣٨.....	الألوهية
٣٨.....	الشاعر المصور
٣٨.....	قوس قزح
٣٩.....	على صفحة الماء
٣٩.....	إلى سجين القلم
٤٠.....	غدر الجمال
٤٠.....	عهد الصباية
٤١.....	بعد الفراق
٤١.....	الطب الحائر
٤٢.....	دمعة على قبر
٤٣.....	الدنيا
٤٣.....	إسراحل المقيم
٤٤.....	شفيعي
٤٤.....	عيش الحر
٤٥.....	إلى الصديق الشاعر عبد الحليم حلمي المصري
٤٦.....	المعنى الأقدس
٤٦.....	بحر الأمانى
٤٧.....	فؤادي
٤٧.....	أول الشهداء
٤٨.....	إلى صديق الشاعر علي الغاياتي
٤٨.....	أوهام
٤٩.....	حول تمثال مصطفى كامل
٥١.....	أنفاس الخزامي
٥١.....	هجر الكريم (إلى أستاذي خليل مطران)

٥٢.....	عالمٌ وعالمٌ
٥٣.....	لوعة الخريف "١" (إلى أستاذ خليل مطران)
٥٥.....	"٢" رد أستاذي مطران
٥٦.....	المتصرف
٥٦.....	الإستشفاء
٥٦.....	على قبر الشهيد
٥٧.....	وطني! وطني!
٥٧.....	الطائر الجديد
٥٨.....	مسرح الليل
٥٨.....	نبع الصبابة
٥٩.....	لم يحببوك
٥٩.....	عبادات
٦٠.....	موسيقى الوجود
٦٠.....	باقة أنغام
٦٠.....	الإكسير
٦١.....	الخالق الفنان
٦٢.....	بنات الخريف
٦٢.....	الساعة
٦٣.....	أبوساوس
٦٣.....	الطائر الرقيب
٦٣.....	وحي المطر
٦٤.....	القطعة اليتيمة
٦٥.....	ديوان مختارات وحي العام (٣١ ديسمبر ١٩٢٨)
٦٦.....	إهداء الديوان إلى الشاعر الحية
٦٧.....	تصدير
٦٨.....	الفض الباكي
٦٩.....	الوفاء الحي
٧٠.....	إلى أم المصريين
٧١.....	عهد سعد
٧٣.....	سعد الخالد
٧٥.....	شبل إسماعيل
٧٦.....	هدى
٧٧.....	هيكل الشهيد
٧٨.....	ولى سعد
٨٢.....	التقصير
٨٤.....	حسنا وعبدها
٨٤.....	عواطفى



٨٥.....	عبد المجيد
٨٦.....	الطبيعة
٨٨.....	الإلقاء والتمثيل
٨٩.....	التعاليم
٩٠.....	الفلاحة
٩١.....	لغة العرب
٩٣.....	بيت النور
٩٥.....	أمين
٩٧.....	موت الحبيب
٩٧.....	أنا وغيري
٩٨.....	تغلغل في الحياة
٩٩.....	قاطع الطريق
١٠٠.....	صلاة العشاء
١٠١.....	وليمتي
١٠٢.....	هنا وهناك
١٠٦.....	الينبوع
١٠٧.....	وحدة التناقض
١٠٨.....	مناظرة وحنان
١٠٩.....	محرم الفلاح
١١٠.....	خلود الوفاء
١١١.....	تشاؤمي
١١٢.....	وطن الضباب
١١٣.....	الممات
١١٥.....	بلاسكو إيبانز
١٢١.....	جوابي
١٢٢.....	آمال
١٢٣.....	على باب المستشفى
١٢٤.....	النبوغ السجين
١٢٥.....	فانسي
١٢٧.....	نور الجحيم
١٢٨.....	الصدى
١٢٨.....	شوبنهاور والحياة
١٢٩.....	"١" الفلسفة والشعر
١٢٩.....	"٢" فلسفة الرضى وخصيمها
١٣٣.....	"٣" إبداع شوبنهاور وطبيعته
١٣٦.....	"٤" حياة شوبنهاور وبيئته
١٤٢.....	"٥" فلسفة السخط والشقاء

١٤٥.....	"٦" الحقيقة والخيال
١٤٧.....	"٧" العزاء وتوحد الأضداد
١٥٠.....	ولاءان
١٥٠.....	المصرية
١٥١.....	صوت الحرية
	رباعيات الخيام عن عمریات فيتزرالد (١٩٣١)
١٥٣.....	نقلها شعرا عن الإنكليزية الدكتور أحمد زكي أبو شادي
١٥٤.....	عمریات فيتزرالد
١٩٢.....	أطياف الربيع (سبتمبر ١٩٣٣)
١٩٣.....	إهداء الديوان
١٩٤.....	شعر الديوان - تحت الوسادة
١٩٥.....	شاطئ الأحلام
١٩٦.....	في المعبد
١٩٧.....	زيوس ويوروبا
١٩٨.....	إيليا وصموئيل
٢٠٠.....	أفرديت وأدونيس
٢٠٣.....	ميلاد الربيع
٢٠٤.....	رسالة الربيع
٢٠٤.....	عند الجبل الراصد
٢٠٦.....	عذارى الخيال
٢٠٦.....	زهر الليمون
٢٠٧.....	قلب الشاعر
٢٠٨.....	الأحلام
٢١٠.....	عبادة
٢١١.....	زهرة الحب
٢١٢.....	عودة الطائر
٢١٤.....	الأغاني الصامتة
٢١٥.....	ليلة في المعبد
٢١٦.....	الطائر الحائر
٢١٧.....	الزهر الناعس
٢١٨.....	الجمال العريد
٢٢١.....	خلف الطبيعة
٢٢٢.....	حارسة الفن
٢٢٣.....	معابد الحب
٢٢٤.....	الضنان
٢٢٨.....	السكوت
٢٢٩.....	الأحدب

٢٣٠.....	بين المروج
٢٣١.....	مدام بترفلاي
٢٣٣.....	البأس الساحر
٢٣٣.....	سماسرة الهوان
٢٣٤.....	هدأة الصيف
٢٣٤.....	الدنيا المريضة
٢٣٥.....	الناسي
٢٣٦.....	الإعصار العاتية
٢٣٦.....	المعبد المعتزل
٢٣٧.....	قصيدتي الكبرى
٢٣٧.....	أمناء الأرض
٢٣٨.....	اليد البخيلة
٢٣٨.....	الدموع
٢٣٩.....	الطبيب
٢٤٠.....	الغروب الثائر
٢٤١.....	ساعة التوديع
٢٤٢.....	نور ولهب
٢٤٤.....	إمرأة الأبد
٢٤٥.....	كأس الشاعر
٢٤٥.....	طائر الطبيعة
٢٤٦.....	الشروق الهادئ
٢٤٧.....	وعي الرسام
٢٤٨.....	الزهرتان
٢٤٨.....	إلى أفرديت
٢٤٩.....	نسيم الصباح
٢٥٠.....	السجين
٢٥١.....	نشيد الألم
٢٥٢.....	راهب الدير
٢٥٣.....	حزن الفجر
٢٥٤.....	الذكريات
٢٥٤.....	بلوتو ويرسفون
٢٥٧.....	الشعرة البيضاء
٢٥٨.....	أركتوروس
٢٥٩.....	الفراش الهائم
٢٥٩.....	عقابك
٢٦٠.....	الحياة الكونية
٢٦١.....	ألحان الخلود

٢٦١.....	روحي
٢٦٢.....	قسوة الحب
٢٦٢.....	الأحياء
٢٦٣.....	الجازبية
٢٦٣.....	ثورة ببغاء
٢٦٤.....	أكر الضياء
٢٦٤.....	الحراس
٢٦٥.....	المنصورة
٢٦٧.....	العناق
٢٦٨.....	الفاكهة المحرمة
٢٦٨.....	صلاة الصباح
٢٦٩.....	البيت
٢٦٩.....	الصديقان
٢٧٠.....	ذكرى حافظ إبراهيم
٢٧١.....	الشمس الغريقة
٢٧٢.....	جسر الأحلام
٢٧٣.....	المومياء
٢٧٣.....	صورة
٢٧٤.....	تناحر الأضداد
٢٧٤.....	في المنفى
٢٧٥.....	جو اللقاء
٢٧٦.....	الوداع الدائم
٢٧٧.....	ساعة الأحياء
٢٧٨.....	المغيب
٢٧٨.....	حدائق بابل
٢٧٩.....	الأمواج
٢٨٠.....	وداع البحر
٢٨١.....	على الشاطئين
٢٨٢.....	تباريح
٢٨٣.....	بكائي الصامت
٢٨٣.....	بلادي
٢٨٤.....	النفوس المريضة
٢٨٤.....	يوم الوداع
٢٨٥.....	مصر الحية
٢٨٦.....	العيون الحزينة
٢٨٦.....	الغد
٢٨٧.....	التحية

٢٨٧.....	جنون
٢٨٨.....	محاكمة إله
٢٨٩.....	سباق الأموات
٢٩٠.....	الناقمون
٢٩٠.....	الاندماج
٢٩١.....	النظرات
٢٩١.....	الكنز المعروض
٢٩١.....	اليُتم
٢٩٢.....	حمام الشمس
٢٩٣.....	الظماً
٢٩٣.....	الطائر الميت
٢٩٤.....	لو كنت لي
٢٩٤.....	في الحمام
٢٩٥.....	الأصفار
٢٩٥.....	سبحة الفقيه
٢٩٦.....	الحياة
٢٩٦.....	صوم غاندي
٢٩٧.....	النظر الجريء
٢٩٨.....	الناس
٢٩٨.....	التحرر
٢٩٩.....	الرموز
٢٩٩.....	البسمة الحزينة
٣٠٠.....	مازل النيل
٣٠٢.....	ذكرى شوقي
٣٠٤.....	التناوب
٣٠٤.....	الغبين
٣٠٥.....	الجمال الإنساني
٣٠٥.....	لعبة ابنتي
٣٠٦.....	سكان الهواء
٣٠٦.....	البقية
٣٠٦.....	السفهاء
٣٠٧.....	حنين الشجرة
٣٠٧.....	المطية
٣٠٨.....	الفدائية
٣٠٩.....	لاعبات التنس
٣٠٩.....	قطي مشمش
٣١٠.....	ماتم الدنيا

٣١١.....	في بور سعيد
٣١٢.....	هداة الشاعر
٣١٣.....	عيد الوطن الاقتصادي
٣١٤.....	النسيم المأسور
٣١٤.....	كلبي الرقيب
٣١٥.....	زهر الشتاء
٣١٥.....	وحي البحر
٣١٥.....	الخليج
٣١٦.....	الأصدقاء
٣١٧.....	طلاقة الفن
٣١٧.....	الإله المتنكر
٣١٧.....	العطر المستتر
٣١٨.....	الشعاع الخافي
	أغاني أبي شادي
٣١٩.....	مختارة من دواوين الشاعر ومؤلفاته الجزء الأول ١٩٣٣
٣٢٠.....	اللهيب المقدس
٣٢٠.....	فجر العاشق
٣٢١.....	البحر
٣٢١.....	الطيب والزهر
٣٢٢.....	يا قلب
٣٢٢.....	خمرة الحب
٣٢٣.....	ابتهاال
٣٢٤.....	الحلم الصادق
٣٢٥.....	كأس شمبان
٣٢٥.....	الكروان الرسول
٣٢٦.....	إحسان تحتضر
٣٢٧.....	يا آلهي
٣٢٨.....	من مغاني الهوى
٣٢٨.....	المهجة الحزينة
٣٢٩.....	القيثارة المتعبة
٣٢٩.....	اللهيب المقدس
٣٣٠.....	لو ذاق
٣٣٠.....	الوصل الدائم
٣٣١.....	نفس تنوب
٣٣١.....	سكرة الوصل
٣٣١.....	لحظة أنس
٣٣٢.....	أمس واليوم

٣٣٢.....	رفيقة صباي
٣٣٣.....	الذكر والنسيان
٣٣٣.....	أنت.....
٣٣٤.....	يا خفة الروح
٣٣٤.....	أمتع الأنس
٣٣٥.....	ليلة صيف
٣٣٦.....	اذكريني
٣٣٧.....	غروب وذكرى
٣٣٨.....	النعمتان
٣٣٩.....	صور وأنغام
٣٤٠.....	الشفاء
٣٤١.....	رحماك
٣٤١.....	توبة الحب
٣٤٢.....	غناء الحياه
٣٤٣.....	جنتي
٣٤٤.....	حسدتني في عذابي
٣٤٤.....	لو كان
٣٤٥.....	الطائر التائه
٣٤٦.....	عطر الحب
٣٤٧.....	لقاء
٣٤٧.....	المساء
٣٤٨.....	باقة السلام
٣٤٨.....	عشق النظرة الأولى
٣٤٩.....	الجريح المنسي
٣٤٩.....	الشك
٣٥٠.....	دنياي
٣٥٠.....	قبلة البرتقال
٣٥١.....	أنساك؟
٣٥١.....	غناء العاشق
٣٥٢.....	بعد الصيف
٣٥٣.....	وردتي
٣٥٤.....	العذاب المنشود
٣٥٤.....	سامحي نظرتي
٣٥٥.....	الزهر القتل
٣٥٦.....	شم النسيم
٣٥٧.....	خمر الطبيعة
٣٥٧.....	قيثاري

٣٥٨.....	الصدى
٣٥٨.....	متعة العذاب
٣٥٩.....	العائدة
٣٦٠.....	تتساءلين؟
٣٦١.....	عاصفة الربيع
٣٦٢.....	دُميتي
٣٦٣.....	المثال
٣٦٥.....	الحنين
٣٦٦.....	أتمرضين
٣٦٧.....	يا سلوة الروح
٣٦٧.....	التقديس
٣٦٧.....	أغاني الصيف
٣٦٨.....	عيد الربيع
٣٦٩.....	هفوة
٣٧٠.....	الرسول
٣٧٠.....	غزلي
٣٧١.....	القيثارة في المساء
٣٧٢.....	هبيني قبلة
٣٧٣.....	فوق العباب
٣٧٤.....	إهداء الديوان
٣٧٥.....	العام الجديد
٣٧٥.....	فوق العباب
٣٧٦.....	بنات البحر
٣٧٧.....	إلى صدقي باشا
٣٧٧.....	غب يا ربيع
٣٧٨.....	هتاف الربيع
٣٧٩.....	خطيب مصر
٣٨٠.....	إلى الشاكين
٣٨٠.....	غمرة الموت
٣٨١.....	قصة اندنيا
٣٨١.....	رغوة العصور
٣٨٢.....	رسالة الشاعر
٣٨٣.....	رجوع الكروان
٣٨٤.....	إلى الزعيم الأكبر
٣٨٥.....	النافذة المغلقة
٣٨٦.....	موسيقى المعاني
٣٨٧.....	الربّات الراقصات

٣٨٨.....	المسرح الأكبر
٣٨٩.....	سفينة الشمس
٣٩٠.....	ضحية الكهرمان
٣٩١.....	أهلا أبو قردان
٣٩٢.....	مناحة الفن
٣٩٤.....	داء البيئة
٣٩٥.....	عيد الحياة
٣٩٦.....	الهدهد في القرية
٣٩٧.....	إلى زينب
٣٩٩.....	مصر هبة النيل
٤٠١.....	البناء الأعظم
٤٠٢.....	في ضاحية المطرية
٤٠٤.....	زَمْج المطر
٤٠٥.....	في السباق
٤٠٦.....	تسبيحة
٤٠٧.....	أبولو ودفني
٤٠٨.....	الذروة.....
٤٠٩.....	ربيع الأدب
٤١٠.....	أوزريس والتابوت
٤١١.....	الكون الهاتف
٤١٢.....	أيزيس والطفل الأمير
٤١٣.....	إلى ناجي الشاعر
٤١٤.....	عبد الجمال
٤١٥.....	إيزيس تغادر ببلوس
٤١٦.....	على قبر المثال مختار
٤١٨.....	لذة الهدوء
٤١٩.....	الوحدة
٤٢٠.....	الجنة الأرضية
٤٢١.....	الحسن المشتعل
٤٢١.....	منطقة الخطر
٤٢١.....	عمر الأرض
٤٢٢.....	الإشعاع
٤٢٢.....	النظام الشمسي
٤٢٣.....	الطاووس
٤٢٤.....	عبد الله الأنصاري
٤٢٥.....	في المحكمة الشرعية
٤٢٦.....	الهواجس

٤٢٧.....	وراء الغمام
٤٢٨.....	قران الزعيم
٤٢٩.....	أحلام الظلام
٤٣٠.....	الأشعة الكونية
٤٣١.....	وحي الصحراء
٤٣٢.....	الجواهر المجنحة
٤٣٣.....	بلوطو
٤٣٤.....	ما وراء المجرة
٤٣٥.....	وحي الراديو
٤٣٦.....	مخلب الطاووس
٤٣٦.....	الأثمار
٤٣٧.....	المريخ ينتظرا
٤٣٨.....	الصوفي
٤٣٨.....	البداية والنهاية
٤٣٩.....	السيد
٤٤٠.....	بيت الأمة
٤٤١.....	أم مصر
٤٤٢.....	ضريح سعد
٤٤٢.....	في الميدان
٤٤٣.....	المجاهد الكبير
٤٤٤.....	المكنسة
٤٤٤.....	التضحيات
٤٤٥.....	لو كنت
٤٤٦.....	بأس الشعب
٤٤٦.....	غدر الرحيل
٤٤٧.....	في مكتبتي
٤٤٨.....	الزراعون
٤٤٨.....	ديانا وأكتيون
٤٥١.....	شعر النجوم
٤٥٢.....	القرد والسمة
٤٥٣.....	تكريم الفاجر
٤٥٣.....	طرطوف
٤٥٤.....	في الطريق الحزين
٤٥٦.....	الزعماء
٤٥٦.....	مصر المنتجة
٤٥٧.....	رثاء شيخ العروبة
٤٥٨.....	الشعر والوطن

٤٥٩.....	عام الباذنجان
٤٥٩.....	القواد والجند
٤٦٠.....	لوعة الغروب
٤٦١.....	ملاك أم شيطان ١٩
٤٦٢.....	الطاووس الأبيض
٤٦٢.....	وحي البحيرة
٤٦٣.....	على حافة التربة
٤٦٤.....	القلادة المحسودة
٤٦٥.....	التعاون
٤٦٦.....	الحقول
٤٦٦.....	الأشجار الشريدة
٤٦٧.....	فرحة الألوان
٤٦٧.....	الأرز الطائش
٤٦٨.....	بنات الشفق
٤٦٩.....	الراقصة بيا
٤٦٩.....	إلى ناقد الجمال
٤٧٠.....	قصائد الحقول
٤٧٠.....	تصوُّف الطبيعة
٤٧١.....	المرأة العميقة
٤٧٢.....	ذكرى ميت غمر
٤٧٣.....	في حمى الهدير
٤٧٤.....	الصنوبر الكاذب
٤٧٤.....	زفتى في الماء
٤٧٥.....	رثاء هند تبرج
٤٧٧.....	أواز وأبيلارد
٤٨١.....	نصير العمال
٤٨٢.....	نور الشمس
٤٨٢.....	قطار الفض
٤٨٣.....	حرب الشاطئ
٤٨٤.....	المهلّة
٤٨٥.....	الراية السوداء
٤٨٥.....	المسافر
٤٨٦.....	فيضان النهر المقدّس
٤٨٧.....	على رمل الشاطئ
٤٨٨.....	لفتة الوداع
٤٨٩.....	البشبيشي الشاعر
٤٩٠.....	غول الحرب

٤٩٠.....	خراب الفلاح
٤٩١.....	رسامة الآثار
٤٩٢.....	سؤال النحلة
٤٩٣.....	يوم في سنتريس
٤٩٦.....	في مولد السيدة زينب
٤٩٩.....	رثاء الشابي
٥٠١.....	الرحيق الإلهي
٥٠١.....	يا بني القبطا
٥٠٢.....	بيت العنكبوت
٥٠٣.....	في معرض الأزهار
٥٠٣.....	الطبيعة والناس
٥٠٤.....	العيدان
٥٠٥.....	العهد الجديد
٥٠٦.....	لبوا نداء الوطن
٥٠٧.....	تحية المؤتمر الوطني
٥٠٩.....	صيام وصيام
٥٠٩.....	أدباؤنا
٥١٠.....	الفار الطائر
٥١١.....	وداع العام
٥١٢.....	من السماء
٥١٣.....	من السماء
٥١٤.....	على صخرة سيدي بشر
٥١٥.....	رحلة الزمان
٥١٦.....	الجدول المسحور
٥٢٠.....	بجماليون
٥٢١.....	الزمن المريض
٥٢١.....	يأس
٥٢٢.....	إلى الضن
٥٢٣.....	قصر ريجيا
٥٢٤.....	خلائق اليوم
٥٢٥.....	بطل العلمين
٥٢٦.....	نجوى العيد
٥٢٩.....	تحية المليك
٥٣١.....	الموتى المشردون
٥٣٢.....	الحنين
٥٣٤.....	قبلة ميلادي
٥٣٥.....	الإسكندرية الضنانة

٥٣٧.....	الضن الضائع
٥٤١.....	دمعة وابتسامة - "١" كتاب خليل مطران بك
٥٤٢.....	دمعة وابتسامة - "٢" ردّ صاحب الديوان
٥٤٢.....	مجدا
٥٤٣.....	بسمة الأرض
٥٤٤.....	عابر السبيل
٥٤٦.....	الوفاء
٥٤٦.....	الصيف
٥٤٧.....	يوم الجامعة
٥٤٩.....	الخائن الجبار
٥٥٠.....	فن الجحود
٥٥٠.....	حواء تندم
٥٥١.....	حوريات الماء
٥٥٢.....	الأمواج
٥٥٤.....	معركة الحب
٥٥٥.....	قلب لا يشيب
٥٥٦.....	قبلة أعوام
٥٥٩.....	أبانية الجمال
٥٦٠.....	غرام وانتقام
٥٦٢.....	رثاء أحمد محرم
٥٦٣.....	رثاء زوجتي
٥٦٩.....	وداع مصر (كتاب من أستاذي خليل مطران بك)
٥٧٠.....	وداع مصر (أهديت إلى أستاذي خليل مطران بك)
٥٧٢.....	استقبال أمريكا
٥٧٣.....	هكذا حدث
٥٧٥.....	ذكرى المهرجان اللبناني الكبير
٥٧٧.....	ثقتي بمآل الإنسانية
٥٧٧.....	عيد النيروز
٥٧٩.....	في أتلنتيك ستي
٥٨٠.....	رثاء عبد المنعم رياض بك
٥٨٢.....	قطرات الندى
٥٨٣.....	بماذا سيموت
٥٨٤.....	الاحتمال
٥٨٥.....	فني وحياتي
٥٨٦.....	قلب والد
٥٨٧.....	القلب الباكي
٥٨٨.....	ربيع الحر

٥٨٩.....	تحية وفاء
٥٩٠.....	الآلوهة والكون
٥٩١.....	حسني الزعيم
٥٩٢.....	غضبة الأحرار
٥٩٣.....	الشاعر السامي
٥٩٩.....	الطلع والزهر
٦٠٢.....	واذ وواد
٦٠٣.....	كابوس مكئيب
٦٠٤.....	تقديس الفن
٦٠٥.....	إرتريا الجديدة
٦٠٦.....	الواحة والهجير
٦٠٧.....	رجع الصدى
٦٠٨.....	النكبة
٦٠٩.....	نيويورك
٦١١.....	اثلاجئون
٦١٢.....	عيسى
٦١٣.....	شجرة عيد الميلاد
٦١٣.....	الصعود
٦١٥.....	من أناشيد الحياة
٦١٦.....	الوليد الجديد
٦١٨.....	قال لي الحب
٦١٩.....	بدني وروحي
٦٢٠.....	حنان البنوة
٦٢١.....	يا مبرئ الناس
٦٢١.....	نجلاء
٦٢٢.....	الموحيات
٦٢٣.....	عالمي
٦٢٤.....	الواعظ
٦٢٥.....	هردوس الجحيم
٦٢٦.....	التسامح
٦٢٧.....	الشحاذ
٦٢٨.....	إلى إيطاليا
٦٢٩.....	ليالي القاهرة
٦٣٢.....	من العصفور الدّوريّ إلى العقاب
٦٣٣.....	حنين الأرض
٦٣٣.....	الجواب الفصيح
٦٣٥.....	صديقي

٦٣٥.....	الشاعر القروي
٦٣٧.....	طويل العمر
٦٣٨.....	حيرة وعتاب
٦٣٩.....	اعتدادي
٦٤٠.....	وطن الإنسانية
٦٤٢.....	نجمتي الجديدة
٦٤٣.....	أرفعيني إلى سماءك
٦٤٤.....	لا تحسبوه صديقي
٦٤٤.....	الداعرة
٦٤٥.....	سقوط الثلج المفاجئ
٦٤٦.....	صداحة الشرق
٦٤٦.....	جزيرة النور
٦٤٨.....	أربعاء الرماد
٦٤٩.....	بعث المسيح
٦٥٠.....	لنكلن
٦٥٢.....	تحية الجمهورية المصرية
٦٥٤.....	جورج واشنطن
٦٥٥.....	قصيدة
٦٥٦.....	حنين
٦٥٧.....	زفاف عيسى
٦٥٨.....	يوم الجمعة
٦٥٩.....	من وحي الطبيعة
٦٦١.....	تمهل يا قطارا
٦٦٢.....	أمة الإسلام
٦٦٣.....	الأخطبوط
٦٦٤.....	آية الجبن
٦٦٥.....	إمامنا عرفة
٦٦٩.....	الضحايا
٦٦٩.....	محمد نجيب
٦٧١.....	بنو معروف
٦٧٢.....	لماذا الثورة اشتعلت؟
٦٧٣.....	ليس منا
٦٧٤.....	حزم الشباب
٦٧٤.....	عفة المختار
٦٧٥.....	النصر
٦٧٧.....	رذاذ الربيع
٦٧٧.....	وطني الأول

٦٧٩.....	شهر النور (رمضان)
٦٨٠.....	حمام العصفير
٦٨١.....	يوم الأمّ
٦٨٢.....	الرّموز
٦٨٢.....	ورد أيار
٦٨٣.....	أنا والنجوم (صوفيّة)
٦٨٤.....	هذا الوجود
٦٨٥.....	الضباب
٦٨٦.....	دموعي
٦٨٧.....	رشيد سليم الخوري
٦٨٩.....	عند البركة
٦٩٠.....	يا حامل الثمر
٦٩١.....	إلى لص الجزيرة
٦٩٢.....	ربّ عيش يفرّ منه الحمام!
٦٩٣.....	الطلّ والعشب
٦٩٤.....	الخریف
٦٩٥.....	طابع البريد
٦٩٦.....	مجلس قهوة
٦٩٧.....	تحيّة الزهر
٦٩٨.....	ثورة عليل
٦٩٩.....	مقبرة الإنسانية (اليمن السعيدة)
٧٠١.....	مذبحة قبيلة
٧٠٣.....	المولد النبويّ
٧٠٥.....	الأقطاب
٧٠٦.....	إلى فيصل الحكيم
٧٠٧.....	إيزيس
٧٠٨.....	الثلج في الربيع
٧٠٩.....	العروبة
٧١٠.....	منبري
٧١١.....	أين الربيع؟
٧١٣.....	وحي عيد الفطر
٧١٤.....	موائد حزيران
٧١٤.....	يوم العلم
٧١٦.....	أصدقائي
٧١٧.....	أعياد حزيران
٧١٨.....	منزلي
٧١٩.....	يوم المعاد

٧٢١.....	الجلء
٧٢٣.....	عيد النيروز
٧٢٥.....	باقة حب
٧٢٦.....	وداع فرحات زيادة
٧٢٧.....	يوم العمل
٧٢٨.....	وداع نيويورك
٧٣٠.....	فلسفتي
٧٣١.....	فني
٧٣٣.....	عاصفة ١٥ أكتوبر
٧٣٤.....	لوعة
٧٣٥.....	ميلاد الحرية
٧٣٦.....	توأمي
٧٣٧.....	استقبال واشنطن
٧٣٨.....	رثاء الدكتور محمود عزمي
٧٤٠.....	رثاء الزعيم الإيراني الحر الدكتور حسين فاطمي
٧٤١.....	العم سام
٧٤٢.....	أمير السلام
٧٤٤.....	تعزية
٧٤٥.....	تعزية الشاعر القروي في وفاة والدته
٧٤٦.....	رثاء سليمان نجيب
٧٤٧.....	"أبطال" عزّة
٧٤٨.....	حمدت ربّي
٧٥٠.....	نوار الكرزي في واشنطن
٧٥١.....	وحدتي
٧٥١.....	الذكريات المدللة
٧٥٢.....	النّدوب
٧٥٣.....	هاتي المشرا
٧٥٤.....	يا سلم
٧٥٤.....	عيد الفصح
٧٥٦.....	هيئة الأمم
٧٥٧.....	الاستقلال الأعرج أو الاستعمار المقنّع
٧٥٨.....	عيد السائح
٧٥٩.....	في حديقة البلور بواشنطن
٧٦٠.....	عند الفسقية
٧٦١.....	الصيف الشريد
٧٦٢.....	إسفندانتی الحمراء
٧٦٣.....	الحقيقة الموزعة

